الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي

- مؤلف جماعي -

تحرير

أ.د نداء مطشر صادق

المانيا- برلين

2020

الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي

المانيا- برلين

2020

GLOBAL HEALTH SECURITY AS ONE OF THE THREATS

TO THE GLOBAL NATIOAL AND SOCIAL SECURITY

رقم تسجيل الكتاب : VR . 3383 - 6435. B

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

BERLIN 10315 GENSINGER STR: 112

TEL: 0049-CODE GETMANY

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

MOBILTELEFON : 00491742783717

الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي

الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي

- مجموعة مؤلفين -

رقم تسجيل الكتاب : VR.3383_6435B

الطبعة الأولى

العنوان بالإنكليزية

Health security as one of the threats to global national and community security

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز الديمقراطي العربي

الناشر

المركز الديمقراطي العربي

secretarial – information: info@democraticac.de

Media and press: press@democraticac.de

Continue on the Viper_Whats App : 00491742783717

الطبعة الأولى | 2020 | المانيا – برلين

الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي

- تحرير-

أ.د نداء مطشر صادق

- رئيس اللجنة العلمية الاستشارية-

أ.م.د فاطمة سلومي

- تقديم -

أ.م.د اياد خازر المجالي

- نائب رئيس التحرير -

م.م علي احمد عبد مرزوك

- التدقيق اللغوي -

د. زهره ثابت

د. فوزيه محمد عبد الحفيظ

- المؤلفون -

امينة عبد الله سالم

بلعربي عادل عبد الرحمن

حاجي كريمة

دولي سعاد

ريم الشريف

سناء الريس

صفاء عبد الحكيم

صولة فيروز

عائشة عبد الحميد

عباس عبد السلام

عبد الرحمن حسن

عبد الرزاق حساني

عده بن عنو

علاء نزار العقاد

علي احمد عبد مرزوك

فراس عباس هاشم

محمد البني

محمد فتحي عبد العال

ميثاق بيات الضيفي

نبيل عبد الهادي العوني

هشام خلوق

هيبه غربي

2020| المانيا – برلين

اسماء اللجنة العلمية للكتاب

1. أ.م. د. فاطمة سلومي -العراق- رئيس اللجنة العلمية
2. أ.م. د. اياد خازر المجالي- الاردن-
3. د. شيماء الهواري- المغرب-
4. د. ريم الشريف- تونس-
5. د. عقيلة وبيش- باريس-
6. د. امينه عبد الله سالم- مصر-
7. د. امال عبد المنعم احمد- مصر-
8. د علاء نزار العقاد- فلسطين-
9. د. محمود البازي- سوريه-
10. د. ساهره ساهراوي- الجزائر-
11. د. بلال داوود- المغرب-
12. د. جمال خالد الفاضي- فلسطين-
13. د. لطيفه عمر عبد السلام- ليبيا-
14. د. علي عبد الهادي الكرخي – العراق -
15. د. مصطفى باسم السعدي – العراق -
16. د. شيماء يعرب شفيق الكمالي – العراق -
17. د. عباس عبد السلام عبد الرحيم حسن – العراق -
18. د. محمد فتحي عبد العال – مصر -
19. د. فراس عباس هاشم – العراق -
20. د. ميثاق بيات الضيفي – العراق -
21. د. زينب عبد الله – العراق

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

تأسس المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية بجمهورية مصر العربية في أعقاب سنة 2007،وهو شركة ذات مسئولية محدودة خاضعة لأحكام القانون 159 لسنة81، ولائحته التنفيذية تحت رقم1762 لسنة 2007 إستثمار، وبعد سنوات من العمل أسس المركز مقر رئيسي في برلين – المانيا.

ويعتبر المركز مؤسسة مستقلة تعمل فى إطار البحث العلمى الأكاديمي والتحليلات السياسية والقانونية والإعلامية والاقتصادية حول الشؤون الدولية والإقليمية ذات الصلة بالواقع العربي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة. ويضع المركز فى قائمة اولوياته العمل على تمكين الباحثين و الإعلاميين و الأقلام الحرة من طرح أرائهم بموضوعية و دون قيود، إذ يسعى المركز إلى عرض كافة وجهات النظر دون مصادرة تكريسا لديمقراطية، فقد إستقى اسمه أساس من مبدأ راسخ لدى مؤسسه هو تكريس الديمقراطية دون شروط.

ويتبنى المركز نهجا علميا فى دراساته وأبحاثه العلمية التي قوامها النقد البناء الموضوعي،ففى تناوله للمعلومات والقضايا والأفكار ينطلق من أرضية العمل على البناء والتنمية و المساهمة في تقديم الحلول للقضايا الراهنة و رؤيته لتسوية الصراعات، وليس تسليط الضوء على السلبيات و تضخيمها و إظهارها على أنها قدر محتوم لا فرار منه، وذلك إقتناعا من المركز أن المعرفة العلمية ما جعلت إلا من أجل تقديم الحلول للمشاكل وليس تعقيدها،و يتحرك المركز كذلك مانحا باحثيه حرية كاملة فى إجراء بحوثهم والخروج منها بنتائج موضوعية تتميز بالدقة والحياد.

من خلال هذه المنهجية ينظم و يرعى المركز و رش عمل و حلقات نقاشية حول القضايا الأنية الإقليمية و الدولية مسخرا لذلك إمكانيات البحث العلمى وأدواته من جمع المعلومات وأساليب التحليل وصولا الى اكبر قدر من المعلومات فى القضايا المتعلقة بهذه الجوانب التى يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج و توصيات تسهم في إيجاد حلول للقضايا الراهنة.

وفى هذا الإطار يحدد المركز لعمله ثلاثة محاور هى:

اولا: الدراسات العربية وهذه الدراسات ستنصرف الى اتجاهين، الأتجاه الاول هو دراسة قضايا كل دولة عربية على حدة وعلى المستوى الداخلى،ثم دراسات القضايا التى يفرضها نمط العلاقة الثنائية بين كل دولة وأخرى ومدى التفاعل بينهما ومدى تأثير هذه القضايا على العلاقات سلبا أو إيجابا.

ثانيا: الدراسات الدولية وهى تتجه اتجاها واحدا وهو دراسة القضايا التى تنشأ عن نمط العلاقات المتبادلة بين الدول العربية ودول العالم المختلفة،وتستدعى هذه الدراسات تحديد شكل هذه العلاقة ومدى تأثيرها على القضايا المشتركة.

ثالثا: دراسات الاحداث الجارية فكثير من الاحداث التي تقع فى الدول العربية وتكون فى حاجة الى اجراء دراسات وابحاث واستطلاعات رأى عنها لمعرفة أسبابها ودوافعها والنتائج التى يمكن أن تترتب عليها،وهذا النوع من الدراسات مهم للغاية حيث يساعد صانع القرار فى مسوياته المختلفة على اتخاذ القرار السليم.

أهداف المركز:

يهدف المركز من خلال عمله فى انشطته المختلفة الى تحقيق عددا من الاهداف التى يمكن ان يظهرها على النحو التالى:

- نشر الوعى والبحث العلمى في مجال العلوم السياسية والقانون وعلوم الاجتماع والاقتصاد والأعلام لدى الجماهير العربية وذلك من خلال مجموعة الدراسات النظرية والمعرفية التى يقوم بها،وتعتبر دراسات مؤسسة ينم من خلالها تقديم الثقافة الديمقراطية الحقيقية ليس من خلال مفاهيمها الغربية ولكن من خلال المفاهيم التى تتناسب مع وضعيتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية ايضا.
- نقل صورة واضحة عن مجريات الأحداث الدولية و الإقليمية في صيغة أكاديمة تمكن من إزالة الضبابية عن المشهد السياسي من خلال تحليلات عميقة و حيادية.
- تنوير الرأى العام العربى بقضاياه المصيرية وتقديم كافة المعلومات عنها وذلك من خلال إعداد عدد من التقارير الاستراتيجية فى مختلف المناحى السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية،وهى تقارير تعد بطريق محايدة تعرض للمعلومات وتقدم التحليل من خلال الاساليب العلمية المنهجية.

مصادر تمويل المركز:

يعتمد المركز فى تمويله على عدة مصادر من أهمها:

1. المطبوعات التى يصدرها من تقارير ودوريات وكتب وكتيبات وكراسات إستراتيجية فى مختلف مناحى الدراسات البحثية من العلوم السياسية والاقتصادية والقانون والإعلام والعلوم الاجتماعية وسوف توزع هذه المطبوعات على المؤسسات والمراكز الاستراتيجية ووسائل الاعلام المختلفة مسموعة ومرئية ومقروءة والباحثين والمحللين السياسيين والأحزاب السياسية والتنظيمات المختلفة والدوائر المحلية والدولية وذلك كله نظير إشتراك شهرى.
2. الاشتراكات التى سيقوم المركز بتحصيلها من المشتركين فى الدورات التدريبية المختلفة التى سوف يقوم بعقدها بشكل دوري، وسوف يلجأ المركز لهذا النمط من العمل ويقصد به نمط الإشتراكات لضمان جدية المشاركة والمشتركين فى هذه الدورات.
3. من خلال الرعاة المشاريع البحثية التى يقوم المركز باعدادها،وتكون هذه الرعاية مشروطة بالالتزام باهداف المركز وفلسفته فى العمل وذلك حتى لا يخضع المركز لأي أجندة وافدة عليه.

الأقسام العاملة فى المركز:

ينقسم العمل فى المركز الى مجموعة من التخصصات طبقا لمجموعة من الأقسام المتخصصة وهى كالتالى:

- قسم الدراسات والنظم السياسي.
- قسم الدراسات والعلاقات الدولية.
- قسم الدراسات الاقتصادية.
- قسم الدراسات العسكرية.
- قسم الدراسات الاعلامية والصحفية.
- قسم الدراسات الاجتماعية والثقافية.
- قسم الدراسات الايرانية.
- قسم الدراسات الخليجية.
- قسم الدراسات العبرية والاسرائيلية.
- قسم البرامج والمنظومات الديمقراطية.
- قسم الدراسات الدينية والجماعات الاسلامية.
- قسم الدراسات السودانية وحوض وادى النيل.
- قسم دراسات المرأة.

وتقوم الفرق البحثية في المركز باعداد مجموعة من المشروعات البحثية التى تترجم أهداف هذه الأقسام المختلفة،وسيقوم كل قسم من هذه الاقسام بعمل دورات تدريبية لإعداد كوادر بحثية للوصول الى نتائج بحثية علمية ودقيقة وموضوعية حيث ستتضمن الدورات التدريبية التدريب على المعايير العلمية المحايدة البعيدة عن التحيز.

اصدارات المركز:

يقوم المركز من خلال الانشطة البحثية المختلفة التى يجريها باصدار عدد من الاصدارات التى ستعمل على تحقيق أهدافه البحثية ومن أهم هذه الاصدارات ما يلى:

1. المشروعات البحثية التى يمكن تقديمها الى الجهات الاقتصادية والسياسية من أجل إجراء بحوث متكاملة لتقديم خبرات ونتائج يمكن إستخدامها لتطوير وتحديث هذه المؤسسات
2. تقارير دورية عن الأحداث الجارية فى المنطقة العربية والعالمية وتقديم تحليل متكامل لهذه الأحداث بغية تفسيرها والتعرف على خلفياتها.
3. تقارير وإصدارات إستراتيجية فى الشئون المحلية والعربية والدولية وسيتم تحديد دورية إصدار هذه التقارير ويمكن أن تكون فصلية فى البداية تمهيدا لإصدارها بشكل شهرى.
4. الدوريات: يصدر عن المركز عدد من الدوريات التى تحمل طابعا علميا أكاديميا إعلاميا سياسيا يتم من خلالها طرح رؤى الباحثين والإعلاميين و الصحافيين.
5. الكتب والكتيبات المتخصصة.
6. الكتب والبحوث المترجمة من اللغات المختلفة الى اللغة لعربية.
7. مجلات علمية دورية محكمة:

- Zeitschrift für Afro – Mittelostudien
- Journal of Afro-Asian Studies

- مجلة العلوم السياسية والقانون.
- مجلة العلوم الاجتماعية.
- مجلة اتجاهات سياسية.

- مجلة الدراسات الإعلامية.
- مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل.
- المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية.
- المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية.
- مجلة مدارات إيرانية.
- مجلة تنمية الموارد البشرية للدراسات والأبحاث.
- مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية.
- مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية.
- مجلة القانون الدستوري والعلوم الإدارية.
- مجلة قضايا آسيوية.
- مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة.
- مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص.
- مجلة القانون الدولي للدراسات البحثية.
- مجلة التخطيط العمراني والمجالي.

أنشطة المركز:

ينظم المركز و يرعى الأنشطة التي يكون هدفها في النهاية تطبيق وتحقيق الفلسفة التي يقوم عليها المركز وتتضمن هذه الأنشطة ما يلى: الندوات وورش العمل والدورات التدريبية والمؤتمرات التي يحرص المركز على أن يكون لها طابع عالمي.

أ. عمار شرعان

رئيس المركز الديمقراطي العربي

المحتويات

كلمـــة التحريـــر 12

أ.د نداء مظهر صادق

تقـــديم..... 17

د. اياد خازر المجالي

المحـور الأول: ماهية ودلالات الأمـن الـدولي والعـالمي وابـرز مهدداتـه..... **20**

اولاً: مفهـــوم ونظريـــات الأمـــن الـــدولي..... 21

د. علاء نزار العقاد

ثانياً: ماهية الامن العالمي ومهدداته الأساسية..... 66

د. عبد الرحمن حسن عبد الرحمن

ثالثاً: ظاهرة التطرف والإرهاب وتأثيرها على تهديد الأمن الدولي..... 107

د. عائشة عبد الحميد

رابعـــاً: مســـتقبل الأمـــن الـــدولي مـــا بعـــد كورونـــا..... 122

د. هشام خلوف

المحـــــور الثـــــاني: مفهـــــوم ومؤشـــــرات وابعـــــاد الامـــــن الصـــــــــــــــحي..... **150**

اولاً: الأمـن الصـحي بـين الموجـود والمنشـود:(مقاربة قانونيـة لواقـع الصّـحّة في تـــــــــونس)..... 151

نبيل بن الهادي العوني

ثانيـــاً: تـــداعيات الأمـــن الصـــحي في المجتمعـــات المتقدمـــة والناميـــة (المخـــاطر والتحـــــــــــــــديات)..... 192

صولة فيروز

المحور الثالث: دور المنظمات الدولية والهيئات والمؤسسات المحلية في ادارة جائحة كورونا.....**226**

اولاً: جهود منظمة الصحة العالمية في تطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية.....227

صفاء عبد الحكيم احمد بادى

اشراف: د. محمد احمد لطف الجوفي

ثانياً: دور العتبة الحسينية وهيئة الحشد الشعبي في تعزيز الامن الصحي في العراق في ظل جائحة كورونا.....324

د. عباس عبد السلام عبدالرحيم

ثالثاً: جائحة كورونا (COVID-19).. خيارات علاجية.....362

محمد فتحي عبد العال

المحور الرابع: الأمن المجتمعي العالمي واليات تحقيق الأمنية.....**379**

أولاً: مُضَادَّاتُ الهَشَاشَةِ الوَطَنِيَّةِ مِنْ مَنْظُورِ الأَمْنِ المُجْتَمَعِيِّ (دِرَاسَةٌ فِي الِارْتِبَاطَاتِ الأَمَنِيَّةِ المُعَاصِرَةِ لِمُنَاهَضَةِ هُشَيِّاتِ الهَشَاشَةِ).....380

م.م علاءّ أحمَد عبْد مَرزوك

ثانياً: الأمن المجتمعي العالمي والأمنية 447

د. فراس عباس هاشم

المحور الخامس: إثر جائحة كورونا (**COVID-19**) على الجانب السياسي والاقتصادي والاعلامي والتعليمي.....**515**

اولاً: اثار فايروس الكوفيد 19 في السياسة والاقتصاد والفكر العالمي.....516

د. ميثاق بيات الضيفي

ثانياً: النموذج السببي للعلاقات بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية أثناء فترة الحجر الصحي.....561

د. عدة بن عتو

بلعربي عادل عبد الرحمن

ثالثاً: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا: دراسة حالة الاقتصاد التركي.....581

د. عبد الرزاق حسّاني

سناء الرّيس

محمد البنى

رابعاً: الصورة الإعلامية... سلاح يفتك بالرموز القومية.....618

د. ريم الشريف

د. أمينة عبد الله سالم

المحور السادس: قدرة الدول في التعاطي مع جائحة كورونا.....**668**

اولاً: دور التفكير الرشيق في إدارة ازمة كوفيد 19 (عرض التجربة الصينية).....669

د. دولي سعاد

د. حاجي كريمة

ثانياً: قدرة الدول على الحؤول دون تفشي الأوبئة العالمية كوفيد 19 نموذجاً.....689

د. هيبة غربي

كلمة التحرير

يتصدر المركز الديمقراطي العربي- برلين- كعادته لاهم وأبرز المواضيع العلمية الجادة المتعلقة بقضايا معاصرة تهم العالم اجمع. ولعل السعي لاصدار كتاب يتناول موضوع بات يقلق كل صناع القرار سيما بعد بروز جائحة كورونا 19 والتي تعد امنا صحيا عالميا ينعكس على الامن الدولي والعالمي والمجتمعي من خلال هذا الكتاب الذي يتناول موضوع الامن الصحي في ظل جائحة اجتاحت قارات وبلدان العالم واصابت الملايين من البشر، واستلزمت تحشيد كافة الموارد المادية والبشرية للحؤول دون تفشي هذا الوباء. الأمر الذي دفع الباحثون للاسهام الجمعي في السعي لاصدار هذا الكتاب.

ذلك لان الامن الصحي يعد تعبيرا خلافيا غامضا، لانه يمثل تهديد بلامهددين. الامر الذي جعلنا نستدرك مقولة عالم الرياضيات (جون ناش) الذي قال علينا ان نتسلق جبل اخر من تلك القمة البعيدة لنسلط الضوء الكاشف على القمة الاولى، في اشارة واضحة ان حل المشاكل الامنية لايتم الا بعمل جماعي دولي.

وهنا من المفيد الإشارة الى التداخل بين الامن والصحة وذلك من خلال مادعت اليه (انمارك) الى ضرورة (أمننة الصحة) وما سبق دعوتها الاجتماع الذي دعى له مجلس الامن الدولي عام 2000 والذي شكل علامة فارقة في كيفية التعاطي مع الامراض وجرى الحديث عن ان التهديدات الصحية جراء الامراض هي من بين ابرز اهتمامات الامن الدولي والعالمي والقومي والانساني، لان الامراض المعدية تشكل نوعا جديدا من المهددات الامنية كونها ذات طابع غير وطني عابر للقارات،

وعليه يمكن القول أن الامن الصحي يعد احد مرتكزات الامن العالمي منذ ان بدأ العلماء بالتركيز على دراسة متغيرات غير عسكرية، غير عنيفة مثل الفقر والمرض والوباء والجريمة المنظمة والارهاب...الخ واثارها على الدولة والفرد والمجتمع والعالم اجمع. ومادامت الصحة عموما وبالنسبة للجميع هي مسألة (بقاء) وعليه باتت قضية ضرورية للسلم والأمن الدوليين.

وهنا قدم صندوق (سكول) للتهديدات العالمية بتقديم ورقة عمل حول آلية مواجهة التهديدات العالمية لحماية المستقبل وطرح خمسة تهديدات هي الاسلحه النوويه، الصراع في الشرق الاوسط، تغير المناخ، شحة المياه، تفشي الاوبئة.

هنا دخل الامن الصحي كجزء لايتجزء من السلم والامن الدوليين. وكذلك اجرى مركز (راند) للمخاطر والامن العالمي دراسة شملت طيفا يتراوح من الاستراتيجية الى الرعايه الصحية يشمل كل مناطق العالم ووضعت اربعة عناصر (تكتلات) من المقاربات لحل وتجاوز هشاشة الامن الصحي عالميا وهي: -الانترنت، منصات صنع القرار، ائتلاف المتطوعين، المفاوضات.

وهنا تم اعتبار التهديدات الأمنية عبارة عن تصور حركي بعضه داخلي يرتبط باحتمالية فشل الدولة التنموي واخر عابر للقارات والحدود مثل الجريمة المنظمة، التهريب، الارهاب، والذي يشمل الارهاب البيولوجي مثلا. هذا الامر يفضي الى جعل التهديدات اللاتماثلية ان تكون المصدر الاول للقلق الامني الدولي، وهنا يعد الامن الصحي أحد العناصر اللاتماثلية المهددة للسلم والامن الدوليين.

ومن المفيد استذكار ماطرحه رئيس منظمة الصحة العالميه (تيدروس ادهانوم) خلال القمة العالميه للحكومات عام 2018 حيث أكد ان العالم غير مستعد للتعامل مع الاوبئة التي قد تنطلق من اي مكان وفي اي وقت وهو لايزال معرضا للخطر بسبب الاوبئة.

ويبرز لنا مشروع الامن الصحي العالمي على مبادرة التهديد النووي ومركز (جون هوبكنز) للامن الصحي العالمي ويجري تطوير المشروع من وحدة (الايكونومست) للاستخبارات الاقتصادية والذي يهدف الى تقييم قدرة الدول على منع الاوبئة او التخفيف منها من خلال مؤشر يتناول ست فئات هي الوقاية، الكشف المبكر للاوبئة التي تهدد على المستوى العالمي، سرعة الاستجابة للتخفيف من انتشار الوباء،امتلاك نظام صحي قوي قادر على معالجة الوباء، المرضى وحماية العاملين في القطاع الصحي والامتثال للقواعد الدولية في التعامل مع الاوبئه، التواصل الفعال بشأن المخاطر بما يمنح الناس المعلومات التي يحتاجونها في تلك الظروف.

وتعزيزا لارتباط الامن الصحي- البقاء- بالامن العالمي يبرز لنا كتاب (باري بوزان) بعنوان (الناس، الخوف، اشكالية الامن القومي في العلاقات الدولية) الصادر عام 1991.أكد ان الامن هو التحرر من التهديد وفي سياق النظام الدولي اساس الامن هو- البقاء- ومن هنا انطلق (بوزان) من الصور الثلاث التي وضعها (والتز) مقترحا ان يتم النظر للامن من خلال الفرد والدولة والنظام الدولي بثلاثة مستويات هي، الدوله ويهددها السياده والقوه، المجموعة ويهددها الهوية، والفرد ويهدده البقاء والرفاهية. وعليه فإن قطاعات الامن باتت تشمل كل ماهو سياسي واقتصادي وعسكري وبيئي وصحي الخ.

ولقد ابرزت جائحة كورونا كوفيد 19 الاهتمام العالمي بالامن الصحي واعتبرته مرتكزا للامن القومي والعالمي، ذلك لان هذه الجائحة تذكرنا بالفتره التي انهار بها الاتحاد السوفياتي وتغيرت معالم النظام العالمي من حيث زوال نظام القطبيه الثنائيه وبروز نظام القطب الواحد.

وهنا وفي ظل هذه الجائحة سنشهد تغييرات تتجسد بما يمكن ان نطلق عليه (دبلوماسية الكمامات) وقد تشن حروب اقتصادية كبيرة على وسائل الوقايه الصحية، إضافة الى انخفاض مستويات التجارة العالمية وشيوع ظاهرة البطالة والفقر، وانخفاض الطلب على الطاقة ودخول الاقتصاد الدولي مرحلة الانكماش وقد يحصل فك ارتباط مابين الصين والولايات المتحدة الأمريكية.

كل ماتقدم دفعنا ونخبة رائعه من الباحثين للخوض في غمار مفاهيم ودلالات ومؤشرات وابعاد وتداخل الامن الصحي بالامن القومي والمجتمعي العالمي.

من خلال ماتقدم يمكن تحديد اشكالية الدراسة هذه بالاتي : يشكل الامن الصحي نوع جديد من المهددات الامنية ذات الطابع غير الوطني العابر للقارات وذلك من خلال التداخل الواضح بين الامن والصحة التي باتت من ابرز اهتمامات صناع القرار في العالم والعلماء والاطباء والمتخصصين في الشؤون الامنية العالمية سيما بعد بروز جائحة كوفيد 19 فايروس كورونا على مستوى العالم اجمع واصابته لملايين من البشر على مستوى المعمورة.

وتوصلت الدراسة الى فرضية مفادها : اذا كان الامن الصحي والامن الدولي والعالمي يمثل لدى العلماء مسألة بقاء تعكس حالة وجود

تهديدات لاتماثلية تتجسد بعدة صور واشكال ودرجات مثل الجريمة المنظمة والارهاب والحروب البايولوجية والصحة والبيئة خصوصا بعد بروز موضوع الاوبئة العالمية وحرب الفايروسات متمثلا بفايروس كورونا كوفيد 19 هذا الأمر جعل من الامن الصحي المصدر والمرتكز الأول الامن الدولي والمجتمعي العالمي.

أما المناهج المتبعة في هذا الكتاب فهي: المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النظمي والمنهج التاريخي، من خلالها تم تناول كافة المحاور لهذا المؤلف الجماعي.

وفي الختام لايسعني سوى ان أقدم شكري وامتناني لرئيس اللجنة العلمية واعضائها والى من قام بوضع تقديم للكتاب ومن ساهم باخراجه، ومن بحث في ثناياته ومحاوره.

شكري وامتناني الى رئيس المركز الديمقراطي العربي متمثلا بالأستاذ عمار شرعان لدعمه كل المشاريع العلمية.

تحرير

أ.د. نداء مطشر صادق

تشرين الثاني 2020

تقديم

شكلت مخاطر جائحة كورونا (كوفيد 19) تحدياً أمنياً وتهديداً خطيراً للسلم والامن المجتمعي العالمي، رافقها تحولاً عميقاً في مفاهيم الامن الصحي وتنفيذ الإجراءات والأنشطة العابرة للحدود السيادية، جسدته حقيقة الوضع الأمني الأخطر على الاطلاق في النظام الدولي غير المستقر اصلا، تؤكده مؤشرات السياسات الدولية المرتبكة وغياب التنسيق والتكافل الدولي، وانغلاق الدول الكبرى على نفسها خلال الجائحة، زاد من حدة الارباك تصنيف الوباء بالخطر القاتل وبأنه مصدراً رئيسياً للتهديد الامني القومي والعالمي اذا استمر المجتمع الدولي يواجه الوباء بلا تكافل وتعاون مشترك، وما سرعة انتشار الفيروس والعجز الدولي عن مواجهته إلا دليل يؤكد وجود اختلالات هيكلية قائمة في النظام الدولي، انعكست بشكل عميق في قدرة واستعداد دول العالم للتصدي ومواجهة هذه الجائحة.

فكان لابد من البحث في مجالات تحقيق الأمن الصحي ومواجهة التحديات الأمنية الخطيرة مع تنامي الوباء، باتخاذ الاجراءات الصحية الفاعلة عالمياً للكشف عن بؤر الوباء وتشخيص المصابين وتطوير وسائل الوقاية والمواجهة لمنع الانتشار وانحساره، وفق مفاهيم مشتركة بين اطراف المجتمع الدولي على خلفية ما افرزه الواقع الصحي العالمي المستجد في سياقه الصحي والامني، مما تطلب تفعيل المواجهة بمسؤولية مشتركة في صياغة رؤية نافذة في كيفية تطوير البرامج اللازمة لمواجهة هذه التحديات، واتباع أساليب متعددة التخصصات، وبالتالي فإن تعزيز الأمن الصحي يشتمل على اعداد البحوث والابتكارات والأساليب وتحديد حجم

التحديات والمعضلات الأخلاقية والقانونية التي تواجه المؤسسات العلمية والأمنية والصحية والتشريعية، لغاية التخفيف من المعاناة الإنسانية والخسائر في الأرواح البشرية، والحد من الآثار الاقتصادية المترتبة على ذلك.

ويأتي هذا الكتاب كثمرة لجهود بحثية علمية محكمة مشتركة، تناقش أبعاد الامن الصحي برؤى علمية موضوعية دقيقة، لوصف وتحليل وتفسير استراتيجيات عالمية صحية، انعقدت لمعالجة قضايا متعلقة بجائحة كورونا وتداعياتها، ضمن أطر نظرية وتطبيقية ساهم بها مجموعة من الاكاديميين الخبراء والباحثين المختصين، ونظرة للأهمية العلمية والعملية للمتغيرات التي تناولها الكتاب، فهي تجيب على من التساؤلات الاشكالية وتأطر لمفاهيم مشتركة مستحدثة حول الامن الصحي، وتوفر قدر كافي من الدراسات النظرية التي تحلل وتفسر متغيرات الجائحة وتداعياتها، كما وتسلط الضوء على مخاطر أمنية تهدد حياة شعوب العالم دون استثناء، وتناول الاجراءات والانشطة الصحية والوقائية التي اتخذت في محاولات الوقاية والحماية وتقليل نسب الاصابات واعداد الوفيات، خاصة وان الجائحة شكلت تحديا هائلا أمام مؤسسات صنع القرار لمختلف دول العالم، بالإضافة الى الآثار الهامة التي شكلتها تجاه الخصائص الاجتماعية، وانعكاساتها البليغة على اقتصادات الدول، الذي أدخل الاقتصاد العالمي في غياهب الركود والانكماش..

جاءت محاور البحث والتحليل حول الامن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي، برؤى ومفاهيم نظرية وتقييم الأداء ودراسة امكانيات الحفاظ على الامن الصحي على المستوى الدولي، ضمن اطاراً

نظرياً شاملاً لمفهوم ونظريات الامن الدولي، ومحور ماهية الامن العالمي ومهدداته الاساسية والتهديد الصحي والأوبئة العابرة للقارات، ومحوراً حول مفهوم وأبعاد الامن الصحي ومجالات الصحة العامة للأفراد والشعوب والتحديات الاخلاقية والقانونية الطبية، اضافة الى مناقشة محور الامن المجتمعي والأمننة، ومدى التأثر بتفشي الأمراض والأوبئة والعوامل المرافقة لها (كوفيد 19) كورونا نموذجا، كما واشتمل على محور يناقش قدرة الدول على الحؤول دون تفشي الأوبئة العالمية أو احتوائها كوفيد 19 أنموذجا.

د. اياد خازر المجالي
جامعة مؤتة / الاردن

2020/10/3

المحور الأول
ماهية ودلالات الأمن الدولي والعالمي وأبرز مهدداته

اولاً : مفهوم ونظريات الأمن الدولي

د. علاء نزار العقاد

ثانياً : ماهية الامن العالمي ومهدداته الأساسية

د. عبد الرحمن حسن عبد الرحمن

ثالثاً : ظاهرة التطرف والإرهاب وتأثيرها على تهديد الأمن الدولي

د. عائشة عبد الحميد

رابعاً : مستقبل الأمن الدولي ما بعد كورونا

د. هشام خلوق

اولاً : مفهوم ونظريات الأمن الدولي

د. علاء نزار العقاد(*)

مقدمة:

يعتبر الأمن الدولي أكبر وأوسع وحدة تحليل في الدراسات الأمنية كون الدولة تشكل الوحدة الرئيسية في بنية النظام الدولي، والأمن هو السبب الأساسي لقيامها ونشأتها، واعتبارا لذلك هناك تلازم دائم بين مصطلحي الأمن والدولة، فنلمسه في معظم تعريفات الأمن التي تناولها هذا المحور والتي شابها خاصية التعقيد الشديد التي تطبع مفهوم الأمن، حيث اتضح انه لا يوجد تعريف موحد أو متفق عليه لتعريف الأمن أو تحديد طبيعة التهديدات الأمنية بدقة، كما لا توجد أدوات نظرية تمكننا من قياس درجة التهديدات أو مدى تحقيق الأمن بشكل كمي دقيق ومؤكد، وهذا ما يبرر غياب سياسات دولية موحدة أو على الأقل متقاربة لمواجهة مختلف التهديدات الأمنية المتعددة والمترابطة، ومنه تبرير واقع النظام الدولي المعاصر الذي يأخذ الطابع الفوضوي والصراعي أكثر مما يأخذ طابع النظام والتعاون والمساواة بين الدول.

وفي هذا المحور سنكشف كيف أخذت مسألة الأمن حيزا وافرا من الاهتمام في إطار الدراسات الاستراتيجية خلال بداية القرن العشرين، رغم حصرها في التهديدات ذات الطابع العسكري الموجهة ضد أمن الدولة، غير أنه مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين أصبحت مسألة الأمن تدرس في إطار أكثر استقلالاً وتركيزاً وهو مجال الدراسات الأمنية، حيث تطورت بشكل كبير لتتجاوز البعد العسكري، وتشمل جوانب متعددة من

(*) محاضر أكاديمي في حقل علوم الإتصال والسياسة، بجامعة القدس المفتوحة- فلسطين/ قطاع غزة.

جوانب حياة المجتمعات ومستويات متفاوتة فوق وتحت مستوى الدولة، وهذا ما جعل منها قضية أكثر أهمية وتعقيدا من ذي قبل.

ومن هنا يتضمن هذا المحور جانبين أساسيين، تم في الجانب الأول تناول التأصيل المفاهيمي للأمن، وهي مفاهيم الأمن الدولي على وجه التحديد، وذلك بهدف التعرف على العلاقات المحتملة بين تلك المفاهيم. أما الجانب الثاني، فيتضمن أبرز مقاربات ونظريات الأمن الدولي وعلى وجه الترتيب تم تناول النظرية الواقعية للأمن الدولي، والنظرية اللبرالية للأمن الدولي، والتحليل الأمني الشامل للأمن الدولي، والمقاربة البنائية للأمن الدولي، والمقاربة النقدية للأمن الدولي.

1. الأمن الدولي: المفهوم والتطور

يعتبر مفهوم الأمن من أكثر المصطلحات السياسية إثارة للجدل لارتباطه ببقاء الأفراد والشعوب والدول واستمرارها، وقد تعددت تعريفات الأمن من حيث المضمون أو مستوى التحليل أو الوسائل والأطراف المعنية به. فقد أشارت معظم المعاجم اللغوية (العربية أو الأجنبية) إلى أن "الأمن" مرادفا "للطمأنينة" وهو مساويا لغياب الخطر نقيضاً للخوف، وتستعمل عادة للتعبير عن التحرر من الخطر أو الغزو أو الخوف، ورغم أن هذه المصطلحات غير مترادفة الا أنها تحمل تقريبا نفس المعنى أي غياب الأمن ومنه ضرورة التحرر منها، فالأمن لغة مصدر الفعل أمن - أمنا وأمانا وأمنة، ويعني " السلامة " أي اطمئنان النفس وسكون القلب وزوال الخوف، يقال " أمن من الشر" أي " سلم منه "، وكذلك يقال " أمّـــن فلان على كذا " أي " وثق به وجعله أمينا عليه"[1].

(1) هايل عبد المولى طشطوش، الأمن الوطني وعناصر قوة الدولة في ظل النظام العالمي الجديد، عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص 18.

واصطلاحاً: فقد عرفه روبرت بأنه:"التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونه، وأن الأمن الحقيقي للدولة ينبع من معرفتها العميقة للمصادر التي تهدد مختلف قدراتها ومواجهتها لإعطاء الفرصة لتنمية تلك القدرات تنمية حقيقية في المجالات كافة سواء في الحاضر أو المستقبل"[1] ومن بين أهم تعريفات الأمن المعتمدة في الدراسات الأكاديمية هي: تعريف آرنولد وولفر "يقصد بالأمن من وجهة النظر الموضوعية عدم وجود تهديد للقيّم المكتسبة، أما من وجهة النظر الذاتية فيعني عدم وجود مخاوف من تعرض هذه القيّم للخطر"[2]. أما أحدث تعريفات الأمـــــن واكثرها تداولاً، فيمكن التركيز على تعريف باري بوزان "الذي يعد من أبرز المختصين في الدراسات الأمنية، و يعرفه بأنه "العمل على التحرر من التهديد"، وفي اطار النظام الدولي هو " قدرة المجتمعات والدول على الحفاظ على كيانها المستقل، وتماسكها الوظيفي ضدّ قوى التغيير التي تعتبرها معادية" [3]. ومفهوم الأمن يتضمن معنيين متلازمين فهو لا يعني وسيلة للتحرر من الخطر ومواجهة مختلف التهديدات والتصدي لها فقط، وانما يعني أيضاً وسيلة لتحجيمه وجعله محدوداً، أو وضع آليات لإنهاء مسببات غياب الأمن ووجود الخطر، واذا كان الخوف قد أوجد الأمن فإنه يقتضي أيضا ضرورة اعتماد إجراءات مضادة لتحييده واحتوائه، **وهذا ما يجعل مفهوم الأمن يرتكز على أربعة أسس أو ركائز هي** [4]:

- إدراك التهديدات الخارجية والداخلية إدراكا حقيقيا.

---

(1) نفس المرجع، ص 14 .

(2) جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004 ص 414.

(3) حسين خليل أستاذ " مفهوم الأمن الدولي " متوفر على الرابط :
http://drkhalilhussein.blogspot.com/2009/01/blog-post_16.html

(4) زكريا حسين " تغير مفهوم الأمن " متوفر على الرابط:
www.politics-ar.com/ar/index.php/permalink/3056.html

- وضع استراتيجيات لتنمية قوى الدولة.
- توفير القدرة على مواجهة هذه التهديدات، ببناء القوّة المسلحة وقوّة الشرطة القادرة على التصدّي لها.
- إعداد السيناريوهات واتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة التهديدات، وضرورة تطورها تدريجيًّا مع تصاعد هذه التهديدات.

ومما سبق يعد المفهوم من أصعب المفاهيم التي يتناولها التحليل العلمي، فهو أحد أبرز المفاهيم في العلاقات الدولية التي لا تزال تتسم بالكثير من "الغموض" الأمر الذي جعله يفتقر إلى تعريف محدّد له يمكن تقديره بشكل قاطع.

وفي ذلك يرى باري بوزان (Barry Buzan) أن الأمن مفهوم "معقد"، ينبغي لتعريفه الإحاطة بثلاثة أمور على الأقل، بدءا بالسياق السياسي للمفهوم ومرورا بالأبعاد المختلفة له وانتهاء بالغموض والاختلاف الذي يرتبط به عند تطبيقه في العلاقات الدولية[1]. **لذا يمكن تحديد الإشكالات المعرفية التي ثيرها ضبط مفهوم الأمن فيما يلي:**

- أن دراسات الأمن مازالت جزءا من حقل العلاقات الدولية الذي تتقاسمه العديد من المنظورات أو النماذج الإرشادية المتنافسة بشأن القضايا الأنطولوجية والإبستمولوجية[2].
- أن التنامي غير المسبوق لعوامل التفاعل المكثف على الصعيد عبر الوطني وتراجع السيادة الوطنية أمام فواعل لا تحمل الصفة الدولاتية إضافة إلى

(1) سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه وتهديداته: دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد19، صيف 2008، ص09.

(2) حسين براري، أمن إسرائيل صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات استراتيجية. العدد 143، سبتمبر 2004. اطلع عليه من: http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/SBOK20.HTM

الانفجار الاثنوزاعي للبيئة الدولية وفقا لمتغير "الهوية" كلها عوامل ساهمت في تعقيد مفهوم الأمن[1].

- أن مفهوم الأمن يحوي بعض العناصر المعيارية التي لا يمكن الاتفاق على تعريفها سواء من الناحية النظرية، أو بالاعتماد على البيانات والدراسات الأمبريقية[2].
- إن مفهوم الأمن لم يلق اهتماما أكاديميا جديّاً [3] كالذي حظيت به مفاهيم كالعدل، والسلام، والمساواة، والحرية، رغم أن هذه المفاهيم لا تقل تعقيداً عن مفهوم الأمن[4] وحتى المحاولات الأكاديمية التي تحاول مقاربة المفهوم أكاديميا تواجه معضلة تداخل المفهوم ـأي الأمنـ مع غيره من المفاهيم، كالتداخل الحاصل بين مفهوم القوة والأمن ومحاولة هذا الأخير "فك الارتباط" بمفاهيم ظلت لفترة طويلة مرادفة له كمفهوم المصلحة، القوة، الصراع..

ابعاد الأمن:

- **الأمن الشخصي:** ويرتكز على كيفية تأمين الأفراد وحمايتهم من مختلف التهديدات كالنزاعات المسلحة والاتجار بالبشر، والجريمة المنظمة، والاتجار بالمخدرات والأسلحة وغيرها، فتحقيق الأمن الشخصي مرهون

---

(1) Thierry Balzac ; «Qu'est-ce que la sécurité nationale » ; revue International ; n°52 ; hiver 2003-2004 ;p33

(2) حسين براري، أمن إسرائيل صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات استراتيجية. مرجع سابق.

(3) David Baldwin; "The concept of security" Review of International Studies; n° 23,1997. pp 5 -26 obtenu en par courant: http://tau.ac.il/~daniel/pdf/37.pdf

(4) Barry Buzan; People state and Fear the national security problem in international relations. Great Britain: Wheatshe of Books; 1983; p6

بمدى القدرة على الحدّ من درجة انتشار وخطورة هذه التهديدات، ويلعب الاستقرار السياسي وقوّة النظام السياسي الديمقراطي أو التنمية الشاملة دورا محوريّا في القضاء على مثل هذه التهديدات.

- **الأمن الغذائي**: ويرتبط بقدرة الدولة على تأمين الاحتياجات الغذائية لمواطنيها، وإيصالها لهم في الوقت المناسب، أي تمكين الفقراء من الحصول على احتياجاتهم الغذائية [1]، فتوفير الأمن الغذائي ينطلق من حسن استغلال وتوظيف الامكانيات الطبيعية والبشرية في السياسات التنموية والناجحة والمستديمة والشاملة.
- **الأمن الصحي**: الأمن الصحي يرتبط بكيفية ومدى قدرة الدولة على حماية أفراد المجتمع من مختلف المخاطر التي تهدد صحتهم وحياتهم، وغياب الأمن الغذائي والبيئي من أكبر دواعي غياب الأمن الصحي، حيث أن مستوى التغذية ونوعيتها عامل رئيسي في تدهور صحة الانسان، كما أن تلوث البيئية وتلوث الهواء نتيجة النفايات والغازات الصناعية السامة، من أكبر مهددات الأمن الصحي. واعتنى الاسلام بالأمن الصحي من خلال مجموعة الأحكام التي تحفظ أمن الانسان الجسديّ والعقليّ والنفسيّ، فحرّم أكل لحم الخنزير والميتة لما لهما من خطر على صحة الانسان البدنية، وحرم الخمور والمخدرات والتدخين لخطورتها على العقل والنفس، كما أنها من الأسباب المباشرة لمختلف أشكال الاجرام كالاغتصاب والقتل والسرقة والاختطاف وغيرها[2].

---

(1) هايل عبد المولى طشطوش، مرجع سابق، ص 202 .

(2) المرجع السابق، ص ص 203-205 .

* الأصل الذي يفترض أن يستند اليه القانون – الحق في الحكم وفق المفهوم الذي طرحه Max Weber.

- **الأمن السياسي**: يتفرع الأمن السياسي الى سياسة داخلية لإدارة شؤون المواطنين ورعاية احتياجاتهم ومعالجة مشاكلهم، وسياسة خارجية لإدارة مصادر قوة الدولة ومصالحها ومكانتها في المجتمع الدولي. ويكون الأمن السياسي الداخلي من خلال تحقيق الاستقرار في اطار الشرعية الدستورية* والتحكم في تسيير الحياة السياسية، من خلال توجيه القوى الحزبية ومختلف الفواعل السياسية وجماعات المصالح والقوى الأخرى لخدمة مصالح الأمة، أما الأمن السياسي الخارجي فيكون من خلال تأمين متطلبات السيادة الوطنية واحتياجات ومصالح الدولة، من خلال قدرتها على توظيف عناصر قوتها بشكل صحيح دون الخضوع للضغوط الخارجية، ونجاحها أيضا في اقامة علاقات وتحالفات اقليمية ودولية قوية[1].
- **الأمن العسكري**: ويرتكز عليه الأمن الوطني أو القومي للدولة أو الأمة، ويتحقق من خلال قدرة الدولة على مواجهة الاعتداءات العسكرية الخارجية، فهو يتضمن قوّة الدولة العسكـــــــرية وامتلاكها لأسلحة متطـــورة قادرة على ردع أي عدوان خارجي، فامتلاك الدولة لقدرات عسكرية أكبر من قدرات جيرانها يعني تحقيق أمن اقليمها وسيادتها ومواطنيها ومصالحها القومية من الخطر، ومنه فان بناء القوّة العسكرية وتطويرها وفق متطلبات العصر يعتبر من أهم المسائل الضرورية التي تضطلع بها الدولة، وأولى الاسلام أهمية كبيرة لتقوية المقدرات العسكرية المادية والمعنوية للدولة الاسلامية، وذلك من خلال توفير الأسباب المادية للقوة وتقوية وتعميق الايمان الذي يحمله

(1) فايز محمد الدويري، مرجع سابق، ص 123.

المقاتلون في صدورهم، والمتمثل في سموّ الهدف ونبل الغايّة التي يقاتلون من أجلها[1].

- **الأمن الاقتصادي**: وهنا يكون النظام الاقتصادي آمناً عندما يتيح امكانية وقدرة أفراد المجتمع على الا ستجابة لتحديات الحياة والتكيف مع التغيرات الاقتصادية والأزمات الخارجية، وكذا قدرته أيضا على تحقيق تنمية مستدامة لقدراته البشرية والمادية. فلا يمكن تحقيق الأمن الاقتصادي دون النجاح في مسار التنمية المستدامة، فهي تحقق مستوى معيشة أفضل لحياة الناس باستمرار، وتوفر فرص العمل وضمان المساواة في ا ستحقاق المنا صب، وتنمية مختلف مهارات قوة العمل بالتدريب والتأهيل المستمر، ومنه خلق نظام اقتصادي أكثر أماناً واستقراراً[2] ويشكل الأمن الاقتصادي أهم دعامات الأمن البشري، وذلك لما له من أهمية وتداخل في شتى مجالات الحياة، ومنه فالأمن الاقتصادي يرتكز ايضا على اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية الاقتصاد الوطني من مخاطر العولمة الاقتصادية، و ضرورة العمل على تأمين الا ستقرار في الاقتصاد على الصعيد الوطني والاقليمي والعالمي[3].
- **الأمن الاجتماعي**: فلكل مجتمع خصوصيات ومقومات ومكاسب يتميز بها عن غيره من المجتمعات ويقوم على حمايتها والحفاظ على وجودها وا ستمرار تطورها ونموها، وتتمثل هذه المقومات والمكا سب في الوعاء الثقافي والقيّم الأخلاقية والايديولوجية والعقيدية المشتركة، وتمتد ا لى الكيان التنظيمي السيا سي والمؤسساتي والقوانين التي تحكم العلا قات العا مة والخا صة بما يتيح تحقيق مبدأ العدا لة الاجتماعية والمساواة.

(1) هايل عبد المولى طشطوش، مرجع سابق، ص 195 .

(2) فايز محمد الدويري، مرجع سابق، ص 104 .

(3) المقدم الياس أبو جودة، مرجع سابق، ص 57 - 58 .

ويعرفه **صامويل هنتجتون** Samuel Huntington بأنه "قدرة المجتمع في المحافظة على شخصيته الأساسية في الظروف المتغيرة أو التطورات المقبولة "[1] فيعد الأمن المجتمعي من بين أكثر أبعاد الأمن تأثراً بمختلف مصادر التهديدات الداخلية والخارجية، حيث تشكل نسبة الكثافة الديمغرافية وطريقة التوزيع السكاني ومستوى التفاوت الطبقي والتعدد العرقي واللغوي والطائفي، أكبر عوامل التهديد الداخلية، أما عوامل التهديد الخارجي فتظهر في تأثير ثورة الاتصالات والصراع الايديولوجي والحضاري والعولمة، فتحقيق الأمن المجتمعي في هذا الاطار يقوم على الحفاظ على التوازن بين القيم الداخلية والمكتسبات الخارجية، والحفاظ أيضا على التوازن بين المقومات البشرية والمكتسبات السياسية والاقتصادية والثقافية[2].

- **الأمن البيئي**: يتمحور حول مختلف الاجراءات الحمائية الموجهة لتأمين الطبيعة والبشر أو الحدّ من خطورة التهديدات ذات الطابع الايكولوجي المهددة للطبيعة والبيئة، فالأمن البيئي يرتكز على حماية الانسانية من الأخطار الناتجة عن النشاطات البشرية الغير عقلانية لهذه المجتمعات نفسها، ويتحقق من خلال وضع اجراءات قانونية وقواعد تنظيمية لإعادة تقويم أو تأهيل البيئة المتدهورة، وتنظيم النشاط البشري وتطويره باستغلال الطاقات النظيفة والمتجددة.

ومن أهم الأخطار المهددة للأمن البيئي الاحتباس الحراري والتلوث الهوائي، النفايات الصناعية الخطيرة، تآكل طبقة الأوزون، تلوث البحار والأنهار والمياه، التصحر، تقلص الغطاء النباتي، تدمير الغابات الاستوائية،

(1) فايز محمد الدويري، مرجع سابق، ص 101 .

(2) المرجع السابق، ص 102.

تلوث المناطق المكتظة بالسكان وغيرها[1] ويتعذر على الدولة بمفردها ايجاد حلول أو وضع سياسات تأمينية لمشاكل التدهور البيئي المعقدة، بل يجب وضع سياسات تعاون مع بقية أعضاء المجتمع الدولي.

الأمن الانساني: يعتبر الفرد محور وهدف الأمن الانساني، فله الدور الأساس في تحقيقه من خلال مشاركته الفعالة في انجاح السياسات التنموية، وهو حجر الأساس لتحقيق أمن الدولة، فلا وجود لأمن الدولة ان كان الفرد داخلها لا يحس بالأمن، أو لا يتمتع بحاجياته وحرياته الأساسية، فالأمن الانساني ينطلق من مستوى أدنى (الفرد) في بنائه، ليحقق الأمن على المستوى الأعلى (الدولة أو النظام الدولي)، فغياب الأمن الانساني مرتبط بمشكلات الحياة اليومية للإنسان أكثر من ارتباطه مشكلات عالمية أو نزاعات بين الدول، فهو يقوم على الحماية من مخاطر الجوع والمرض والبطالة والجريمة المنظمة والصراع الاجتماعي والقمع السياسي والمخاطر البيئية...، وهو مرتبط بحياة الناس في جميع أنحاء العالم الأغنياء والفقراء على السواء، فبعض المخاطر كالمخدرات والبطالة والتلوث والجريمة وانتهاك حقوق الانسان غير مقتصرة على شعوب الدول الفقيرة فحسب، حتى وان اختلفت درجت حدّتها فهي تمسّ حتّى مجتمعات الدول المتطورة والديمقراطية، حيث جاء في تقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة الانمـــــائي لسنة 1999 بعنوان – عولمة ذات وجه انساني – أنه "على الرغم مما تقدمه العولمة من فرص هائلة للتقدم البشري في كافة المجالات... فإنها في المقابل تفرض مخاطر هائلة على الأمن البشري في القرن الحادي والعشرين، وهذه المخاطر ستصيب الأفراد في الدول الغنية والفقيرة على حدّ سواء"[2] وحدد التقرير سبعة تحديات تهدد الأمن الانساني هي: عدم الاستقرار المالي، غياب الأمان الوظيفي وعدم استقرار الدخل، غياب الأمان

(1) المقدم الياس أبو جودة، مرجع سابق، ص 58.

(2) فايز محمد الدويري، مرجع سابق، ص 116.

الصحي وغياب الأمان الثقافي وغياب الأمان الشخصي وغياب الأمان البيئي، وكذا غياب الأمان السياسي والمجتمعي، فتحقيق الأمن الانساني يتطلب بناء شراكة حقيقية وفاعلة بين الانسان العادي والحكومة، فيسهم بصورة مباشرة في التنمية ويحدد الواجبات المنهجية للفرد تجاه نفسه ومجتمعه ودولته[1].

الأمن الثقافي: الأمن الثقافي هو الوعاء المعبر عن هوية الأمة، بما يحتويه من كيانها ومميزاتها ووحدتها الحضارية، وأصبح هدفا حضاريا يتضمن جوانب سياسية ووطنية وليس ثقافية فقط، وتحقيق الأمن الثقافي للمجتمع والأمة مرتبط بمدى قدرة الدولة على التحرر من المؤثرات الخارجية الوافدة والتفاعل معها إيجابيا، بحيث يستفيد المجتمع من الثقافة الخارجية دون أن يفقد ثقافته المحلية التي تميزه عن غيره من المجتمعات، فيقف في وجه القوى المعادية التي تسعى لطمس هويته، وهذا لا يعني قطع كل علاقة مع الأطراف الأخرى وعدم التفاعل مع الثقافة الانسانية، وانما يجب ان تتم عن طريق العلاقة الواعية مع الثقافة الذاتية، وأهم وسائل بناء هذه الثقافة الذاتية القوّية عاملان أساسيان، يتحقق الأول من خلال الاعتزاز بالذات الثقافية الحضارية، ويتحقق الثاني من خلال الانفتاح والحوار مع الحضارات المعاصرة.

الأمن على المستوى الدولي:

يُعرّف الأمن الدولي بأنه نظام وجزء فرعي من دراسة العلاقات الدولية متناولا التهديدات باستخدام القوة العسكرية والتحكم بها وتحكيمها والسيطرة عليها ومستكشفا المفهوم والظروف التي تجعل من استخدام القوة أمرا ممكنًا وشاملا للآثار التي يتركها على الأفراد والمجتمع والدولة إضافة إلى السياسات المتاحة لإعداد الحرب أو منعها أو احتضانها، وإن هذا يستبعد

(1) نفس المرجع، ص ص 116-119 .

ويعارض المنظور الليبرالي بشأن الأمن الدولي الذي يدرج فيه جميع الجهات الفاعلة غير الحكومية والقضايا الاجتماعية والاقتصادية وحتى البيئية[1].

بعد انقضاء الحرب العالمية الثانية، نشأت مادة جديدة في الدراسات الأكاديمية تهتم بالأمن الدولي[2]. ظهرت تلك المادة في بداياتها على صورة مجال دراسة منفصل، ولكنها صارت مجالًا فرعيًا من علم العلاقات الدولية لاحقًا. احتلت دراسة الأمن الدولي موقع الصدارة في العلاقات الدولية منذ أن ترسخت بهذا المجال في الخمسينيات[3].

وتعتبر معاهدة واستفاليا سنة 1648م التاريخ الفاصل لمفهوم الأمن في اطار الدولة، حيث أصبح مرتبط بوجود الدولة ودورها في تحقيقه أو فقدانه.

واعتبارا الى ذلك أصبح هناك تلازم دائم بين مصطلحي الأمن والدولة، فنلمسه في معظم تعريفات الأمن المتداولة، فتحقيق أو فقدان الأمن مرتبط بدور ووظيفة الدولة، ومن بينها " الأمن هو الاجراءات التي تتخذها الدولة في حدود طاقتها، للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل... وتأمين كيان الأمة ضد الأخطار التي تهددها داخليا وخارجيا، وصيانة مصالحها الحقيقية، وتهيئة الظروف والعوامل المناسبة لتحقيق أهدافها القومية... ويهدف الى تأمين الدولة من الداخل ودفع التهديد الخارجي عنها، بما يكفل

(1) ميثاق بيات الضيفي، شبكة النبأ.
https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/18055

(2) Buzan, B. and L. Hansen (2009). The Evolution of International Security Studies. Cambridge, Cambridge University Press

(3) Sheehan, M. (2005). International Security: An Analytical Survey. London, Lynne Rienner Publishers

لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال أقصى طاقاته للنهوض والتقدم والازدهار"[1].

والأمن الدولي مفهوم معقد ومتنازع عليه، محمل بقيم وأحكام قرون عدة ومفهومه كبير ومرتبط بدراسة الحرب والإستراتيجية العسكرية والأشكال البديلة لاستخدام القوة، ومن الضروري توسيع نطاق المعنى وتوسيع إطاره ليشمل قيم ومصالح قضايا حماية الحقوق الإنسانية والقضايا البيئية والغذائية والبشرية وغيرها. لذلك يتبادر السؤال بمتى وأين ينبغي ترسيم حدود الأمن الدولي؟ وما الذي ينبغي استبعاده عنها وإدراجه؟ هل تغير الأمن الدولي بطريقة تحتاج إلى إعادة تصور؟ يبدو أن التكنولوجيات الجديدة ونهاية الحرب الباردة والحرب ضد الإرهاب والاقتصاد ينذران ببدء ثورة في الشؤون العسكرية لها عواقب مهمة محتملة على الأمن الدولي، وفي مواجهة واقع متغير يقترح تعديل مفهوم الأمن الدولي وتكييفه مع السياق الدولي الجديد، وأن توسيع وتمديد مفهوم الأمن لابد إن يتناول أفضل التهديدات واقتراح بدائل أفضل لضمان السلام الدولي فإذا تغير العالم فلماذا لم يتغير مفهوم الأمن الدولي؟ إن التغيير أمر لا مفر منه وإن الواقع الدولي يحافظ دائما على الاستمرارية كما إن توسيع مفهوم الأمن الدولي يبالغ بشكل منهجي في عوامل التغيير متجاهلا الثوابت التاريخية[2].

يرى أرن ولد وولفرز أن «الأمن» مصطلح معياري. إذ تطبقه الدول «إما لكي تتخذ قرارات مريحة - حل عقلاني يفضي إلى نهاية مقبولة - أو قرارات أخلاقية، أي الفعل الأفضل أو الأقل شرًا». يرى وولفرز أنه كما يختلف

(1) عامر مصباح، نظريات التحليل الاستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط1، 2011 ص 09

(2) ميثاق بيات الضيفي، شبكة النبأ.
https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/18055

البشر في إحساسهم بالأخطار والتهديدات، وكما يتفاوت الناس في قدرتهم على اكتشافها، تختلف الأوطان في مفهومها عن الأمن. إذ تتفاوت البلدان في مدى تحملها للتهديدات، إلى جانب أنها تتعرض لمستويات مختلفة من التهديدات نظراً إلى اختلاف البيئة الجغرافية والاقتصادية والإيكولوجية والسياسية التي تتفرد بها كل أمة[1].

ان محاولات توسيع مفهوم الأمن الدولي ليست جديدة فقد كانت مرتسمة أطروحاته على أولوية سلامة الفرد وبتأكيده على النظام الدولي الجديد محاولا إعطاء أهمية أكبر للقضايا المتعلقة بالتنمية الاجتماعية على الجيوش، وان هذه الحقائق أدت إلى إعادة دراسة قصة وفكرة إستراتيجية الأمن الدولي والعلاقات الدولية بشكل خاص وتوسيع نطاقه المفاهيمي ومعالجة عجز التفسيرات التقليدية وكذلك حلحلة سببية وصول الإرهاب العابر للحدود وعواقبه، لذا فمن الممكن تقسيم المقترحات لتوسيع نطاق دراسة الأمن الدولي إلى نوعين إصلاحيين هما كلا من الإصلاح المتواضع والإصلاح الجذري، وبالنسبة لأتباع نطاق الإصلاح المتواضع فيجب أن تضع الدراسات الأمنية جانبا للتأكيد على الردع النووي وأن تشمل الأدوات السياسية والاليات الإستراتيجية الغير عسكرية مما يعطي مساحة لأشكال مختلفة من الأمن بما في ذلك الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

يرى باري بوزان أن دراسة الأمن الدولي تتعدى دراسة التهديدات بمفردها، فهي تشمل أيضًا دراسة أي من تلك التهديدات يمكن تحملها وأي منها يجب التعامل معه على الفور. فهو يرى أن مفهوم الأمن لا يتعلق بالقوة أو السلام فقط بل ما بينهما[2].

---

(1) Wolfers, A. (1952). ""National Security" as an Ambiguous Symbol." Political Science Quarterly 67(4): 481-502

(2)Buzan, B. (2007). People, States & Fear. Colchester, ECPR

ومع مرور الوقت تم تطوير مفهوم بديل عرف بالأمن البشري لإعطاء الأولوية المعرفية للإنسان على الهياكل الاجتماعية والسياسية الأخرى ونرى إن الأمن البشري للأمن هي رؤية أحادية ومحدودة لذا لابد من التركيز على الأسلحة والتنافسات العسكرية بين الدول والتي تميل أيضاً إلى تجاهل التهديدات البيئية والاقتصادية والثقافية فالأمن المحدد على هذا النحو غير مقبول لأن معظم الدول في نفس الوقت هي مصدر المشكلة وليس الحل. والفكرة الرئيسة وراء مفهوم الأمن البشري هي توسيع الجغرافيا والحس المرتبط بالأمن لتمدد مفهومه إلى مستويات أقل من المستوى النظامي والدولي على أن يشمل تغطية المجموعات والمستويات الفردية الوطنية والأممية، وتوسيع مصطلحه لمستوى أعلى من المنطقية والإقليمية أي إلى النظام الدولي أو فوق الوطني لتغطية المحيط الحيوي والبيئي، إضافة إلى توسيع الأمن البشري أفقيا عبر ضمان عيش مختلف الكيانات والجهات الفاعلة فيجب أن تمتد إلى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما إن المسؤولية السياسية عن توفير الأمن لابد إن تمتد أيضا في كل الاتجاهات المحلية والمنظمات الاتحادية. وكانت أول محاولة لتطبيق ذلك المفهوم عبر تطور العقيدة الذي تبنتها الأمم المتحدة بمسمى عقيدة الحماية المتمحورة على فرضية أن السيادة تنطوي على حد سواء في الحقوق والمسؤوليات لإلزام الدول بحماية السكان في حالات الحروب الأهلية والتمرد والقمع والكوارث الطبيعية وغيرها وان تعسرت الدولة أو اصبحت غير راغبة في تحمل مسؤوليتها فيجب أن يتم توفير تلك الحاجيات وتخصيصها من قبل المجتمع الدولي مما يسمح بالتدخل الإنساني، وإن تنفيذ ذلك المبدأ يوفر للأفراد دورا فيه والأولوية لهم على الدول فيعد تغييرًا جذريًا في طريقة عمل الأمن الدولي وفهمه[1] وبذلك اتسع مفهوم «جهة أمن دولي» في جميع الاتجاهات منذ

(1) ميثاق بيات الضيفي، شبكة النبأ.
https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/18055

التسعينيات ليشمل الأوطان، والمجموعات، والأفراد، والأنظمة الدولية، والمنظمات غير الحكومية، والحكومات المحلية[1]. وسنجد إن الأمن متعدد الانواع فمنه البشري الشامل لعناصر الأمن الاقتصادي ومكافحة الفقر والأمن الغذائي والضمان الاجتماعي والحصول على الصحة، والأمن البيئي الحامي من التدهور البيئي، والأمن المادي المواجه للجريمة، والأمن المجتمعي لضمان الكفاف للأقليات العرقية والثقافية، والأمن السياسي الضمان للحريات الفردية، فنسعى برؤيتنا لتحسين وتوسيع نطاق فهم نقاط الضعف المتعددة التي تصيب البشرية وتميل إلى التوسع في جميع الاتجاهات لتغطي جميع المناطق والمشكلات الأمنية، لأن النزاعات ذات الكثافة العالية تغطي أساساً الحروب بين القوى إن حدثت فكيف ستتم معالجة وتعديل تلك الأنواع المختلفة من النزاعات؟ كما إن هناك الكثير من الصراعات من ذلك النوع وتشمل الصراعات المتوسطة الحدة التي تسمى بالحروب التقليدية، ولذلك من الممكن التأكيد على أن الحروب هي الأخرى قد خضعت لتغييرات قليلة في النزاعات المنخفضة والمتوسطة وعلى الرغم من التغيرات التكنولوجية العديدة ومن التقدم في المعدات فأن تكرر حدوث الحروب قد عكس تغيرا طفيفا في الإستراتيجية العسكرية. وبالرغم من تطور مبدأ مسؤولية الحماية فإن الصعوبات التي تواجه الأمم المتحدة في فرض السلام في سياقات الحروب الأهلية والعرقية ليست جديدة، وكمسألة مبدأ فإن الطريقة التي يشار بها إلى العقيدة تبقى تقديرية وتسترشد ومن دون إنصاف بمصالح القوى النووية الخمس التي يحق لها استخدام حق النقض في مجلس الأمن. وتواجه الأمم المتحدة مشكلات من حيث التدخل وإن بعثات السلام غالباً ما تنجح مؤقتاً بوقف إطلاق النار أو بعقد هدنة عسكرية تستمر لعقود، غير إن المعضلات القديمة التي تواجه الأمم المتحدة اليوم تثير النقاش حول الأمن

(1) Buzan, B. (2000). 'Change and Insecurity' reconsidered. Critical Reflection on Security and Change. S. Croft and T. Terriff. Oxen, Frank Cass Publishers.

الدولي لذلك نتساءل هنا بما الجديد في طريقة عمل الأمم المتحدة؟ وهل من المرجح أن تطرح عقيدتها بطريقة مغايرة ؟

عندما نتحدث عن الأمن الدولي، نتحدث عن عدة مفاهيم مكملة:

- **مفهـــوم التهديد :**

والذي يعني وضع القيمة المركزية للدولة، ذلك أن الدول تختلف في تعريفها للمصلحة الوطنية، مما يجعل "المصلحة الوطنية" The national interestمحل شك وعدم يقين، فالعناصر التي تدخل في تعريف المصلحة الوطنية في الجزائر تتمثل في الإحتفاظ بالسيادة، الاستقلال، وحدة الرقعة الجغرافية، ومنع أي تغيير، في حين أن الولايات المتحدة على خلاف ذلك، كمنطق هيمني على المصلحة الأمنية، تعرفها على أنها "مصلحة كونية"، وهذا ما يجعل المصلحة الوطنية كقيمة معرفة بمكانة الدولة في التوزيع العالمي للقوة، وهذا ما يجعل أن التهديد يصبح موجه للخيارات الكبرى للدولة "التوجه لاستخدام وسائل الحسم العسكري عندما تمس هذه المصالح)[1].

هذا وقد جرت العادة أن يفهم مصطلح التهديد على أنه " التحذير والوعيد وسعي طرف ما للتسبب بالشر والأذى" غير أنه وفي ظل طبيعة لا عسكرية أصبحت سمة التهديدات الأمنية الحالية منها والمتطورة[2] أصبح من المستحيل أن يعرف التهديد على النحو الآنف الذكر ذلك أن "القصدية" المُفترضة في التهديد من خلال الإقرار بأنه "سعي" "تحذير" و "وعيد" لم تعد متوفرة أمام الكثير من الفواعل التي تنتفي صفتها المادية ولكن قد يحضر أثرها المادي (التلوث البيئي، الاحتباس الحراري..) وغيرها من التهديدات التي أصبحت تتخذ

(1)محمد برقوق، مقياس الإستراتيجية والأمن. نظر في 1-8- 2020م
https://www.academia.edu

(2)حسن توركماني، الأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، دمشق: الأولى للنشر والتوزيع، 2004، ص 11.

طابعا أمنيا رغم صعوبة تحديد المسؤولين عن إحداثها سواء أكانوا دولا، فواعل ضمن الدول فواعل عبر أو فوق الدول، كما أنها – التهديدات الأمنية – أصبحت ممتدة في الزمان بما لا يسمح برصدها، ومتسعة في امتدادها المكاني بما لا يدع مجالا لحصرها.

تأسيسا على ما سبق ومحاولةً لتجنب الخوض فيما يثيره ضبط مصطلح التهديد من اختلاف – حتى أن البعض ينفي صفة التهديد عن كل مالا يفترض المواجهة العسكرية – سنحاول مقاربة المفهوم طبقا لما ورد عن مفكري العلاقات الدولية، التوسيعيين منهم على وجه الخصوص.

اتساع نطاق مصادر تهديد الأمن، وتعدد نوعية هذه المصادر وفي هذا الإطار يمكننا أن نشير إلى ما يلي[1]:

- **مصادر تهديد داخلية:**

ازدادت أهمية مصادر التهديد الداخلي للأمن في معظم دول العالم ولا تختلف في ذلك الدول المتقدمة عن الدول المتخلفة ولا الدول الغنية عن الدول الفقيرة، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب محورها يتمثل في عملية التغير التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة بفعل المتغيرات العديدة التي يشهدها الواقع المعاصر، والتي تتطلب إعادة هيكلة وتكييف هذه المجتمعات وفقًا لقواعد وأسس جديدة تتلاءم مع متطلبات العصر، وهو ما ينتج عنه وفقًا للخبرة التاريخية البشرية إلحاق أضرار بأعداد كبيرة من البشر الذين يقعون ضحية لهذه التغيرات، الأمر الذي يجعل منهم قنابل موقوتة قابلة للانفجار في أي وقت، وبأشكال وصور مختلفة وبدوافع متباينة، فإذا ما أضيف إلى ذلك المصادر التقليدية الداخلية لتهديد الأمن كسوء الأوضاع لاقتصادية والاجتماعية،

(1) كمال الأسطل، مفهوم الأمن القومي

http://k-astal.com/index.php?action=detail&id=100 (2011-1-12)

والخلافات الأثنية والعرقية والدينية والمذهبية فإن في هذا ما يفسر الازدياد الواضح للأهمية النسبية لمصادر التهديد الداخلي للأمن القومي.

- **مصادر تهديد من دول الجوار الجغرافي المباشر:**

لم تعد مصادر التهديد الآتية من دول الجوار الجغرافي المباشر قاصرة على الخلافات الحدودية التقليدية أو على إمكانية قيام إحدى هذه الدول باعتداء عسكري مباشر على دولة أخرى مجاورة وإنما اتسعت دائرة مصادر التهديد لتشمل التطورات الداخلية في دول الجوار وما يمكن ان ينتج عنها من آثار تتحول في بعض الأحيان إلى مصادر تهديد لأمن الدول الأخرى، وكذلك طبيعة علاقات دول الجوار مع القوى الدولية الكبرى،فتوتر علاقة إحدى دول الجوار مع القوى الدولية الكبرى تمتد آثاره الأمنية إلى دول الجوار الجغرافي المباشر، بل وفي بعض الحالات المعاصرة قد يجتمع الأمران معًا، بمعنى ان تطور الأوضاع بإحدى دول الجوار وتوتر علاقتها بالقوى الدولية الكبرى يؤديان معًا إلى تهديدات أمنية مباشرة لدول الجوار الجغرافي الأخرى، والنموذج الايراني الحالي يقدم صورة واضحة في هذا الشأن،حيث يمثل المشروع النووي الايراني وتداعياته الاستراتيجية والتقنية والدولية مصدرًا مباشرًا للتهديد الأمني لدول الخليج العربية، فإذا ما استبعدنا الأبعاد الاستراتيجية لهذا المشروع وما يمكن ان ينتج عنها من سياق هذا التحليل تبقى الأبعاد التقنية والتي تتعلق باعتبارات الأمن والسلامة في المنشآت النووية الإيرانية، فأي خلل يحدث في هذا الشأن يمكن أن ينتج عنه آثار كارثية على الأمن القومي لدول الجوار العربية.

ويدخل في نطاق مصادر التهديد الآتية من دول الجوار ما يتعلق بأعمال التهريب والقرصنة والجريمة الدولية المنظمة بأنواعها المختلفة والتسلل عبر الحدود البرية والبحرية والمطارات والهجرة غير المشروعة.

- **مصادر تهديد من الإطار الإقليمي:**

يمثل الإطار الإقليمي لأية دولة الإطار الجغرافي الأوسع المحيط بإقليم الدولة وقد يمثل هذا الإطار عمقًا استراتيجيًا لبعض الدول وقد يتحول إلى مصدر من مصادر التهديد في ظل أوضاع معينة كاختلال توازن القوى الإقليمي لصالح إحدى دول الإقليم الذي يؤدي إلى ازدياد احتمال تعرض الأطراف الأقل قوة للاعتداء أو الضغوط من قبل الدولة الأقوى في الإقليم، كما ان تبلور قوتين اقليميتين كبيرتين متنافستين أو أكثر يؤدي إلى تولد مصادر تهديد أمنية لباقي دول الإقليم،بل نستطيع القول بان توصل القوى الإقليمية الكبرى في إقليم معين إلى تسوية للخلافات القائمة بينهما قد ينتج مصادر تهديد جديدة لباقي أو بعض دول الإقليم الأخرى وذلك إذا ما ترتب على هذه التسوية أضرار على مصالح باقي أو بعض دول الإقليم، وهكذا نستطيع القول بان كل ما يشهده الإطار الإقليمي من تحولات يمكن أن يتحول إلى مصدر من مصادر التهديد الأمني إذا ما توافرت شروط وظروف معينة.

- **مصادر تهديد دولية ناتجة عن تطور الأوضاع على مستوى النظام الدولي:**

تمثل التطورات التي يمكن أن تحدث على مستوى التفاعلات على مستوى النظام الدولي أحد مصادر التهديد للأمن القومي لدول العالم ولاشك في ان طبيعة النظام الدولي تؤثر في هذا المجال،فالنظام الأحادي القطبية تختلف تفاعلاته عن النظام الثنائي القطبية وعن النظام المتعدد الأقطاب،كما ان التحول في علاقات القوة بين الأقطاب الكبرى في إطار النظام يمكن أن ينتج عنها تهديدات أمنية بالنسبة لدول العالم فمن المعروف تاريخيًا ان صعود قوة جديدة إلى موقع القوة الكبرى عادة ما يلقى مقاومة من جانب القوى الأخرى بل ومحاولة لإيقاف هذا الصعود، الأمر الذي قد يترتب عليه مواجهات مباشرة أو غير مباشرة على مستوى النظام الدولي ينتج عنها تهديدات أمنية مباشرة أو غير مباشرة للأطراف الدولية الأخرى.

- **مصادر تهديد كونية:**

وهي مصادر التهديد الناتجة عن العولمة وتداعياتها والأسس التي تقوم عليها كفتح الحدود بين الدول والاعتماد المتبادل فيما بينها، والمشكلات الكونية العديدة كتلوث البيئة وارتفاع درجة حرارة الأرض وازدياد نطاق الفئات الاجتماعية المهمشة في دول العالم المختلفة والآثار الناتجة عن تطور وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة على مستوى الفهم والإدراك الفردي والجماعي في المجتمعات المعاصرة.

- **تعدد نوعية مصادر التهديد الأمني:**

تتعدد في الواقع المعاصر نوعية مصادر التهديد الأمني ويمكننا ايضاح ذلك على النحو التالي:

- **مصادر تهديد اقتصادية:** ويتعلق الأمر هنا بمدى القدرة على توفير الموارد الطبيعية ومدى قدرة الدولة على تلبية متطلبات السكان بما يضمن لهم مستوى معيشة مقبول يجعلهم بمنأى عن البطالة والفقر[1]. أو اخرى مصادر تهدد بإهدار الثروات المالية والاقتصادية للدولة،فعلى سبيل المثال فإن الأزمات المالية التي واجهت دول جنوب شرق آسيا أدت إلى ضياع الثروات التي تم جمعها على مدى ربع قرن كما أن الأزمة المالية والاقتصادية الحالية لعامي 2008م و2009م قد أدت إلى إلحاق أضرار اقتصادية مباشرة لكافة دول العالم.
- **وتتعدد مصادر التهديد الاقتصادية: فمنها ما يرجع إلى البورصات والمضاربات:** التي تحدث في نطاقها والممارسات غير القانونية والتي تحدث في عالم التجارة والأعمال وغسل الأموال والمضاربة على أسعار

(1) Barry Buzan ; People state and fear the International searity Problem in International Relations. Great Britain, wheatsheef Book LTD; 1983; p85.

العملة الوطنية والإغراق والتلاعب في اسعار المواد الأولية والسلع الاستراتيجية.

- **مصادر تهديد لوجستية**: تتعلق بالطرق ووسائل النقل، كالجسور والكباري والموانئ والمطارات والطرق وغيرها.
- **مصادر تهديد سياسية**: وتشمل الطائفية والقبلية والعرقية وما ينتج عنها من قلاقل داخلية،هذا بالإضافة إلى الفئات المهمشة والفقيرة والتي تمثل بؤرًا للانفجارات الداخلية، ويدخل في نطاق هذه المصادر الإرهاب والفساد السياسي والإداري.
- **مصادر تهديد اجتماعية**: ناتجة عن البطالة والمشكلات الناتجة عن أساليب توزيع الدخل والإخلال بمعايير العدالة الاجتماعية وغيرها.
- **مصادر تهديد ناتجة عن عدم الالتزام بالقواعد الفنية**: المتعلقة بأداء الأعمال في المجتمع،مثل مخالفات التشييد والبناء،ومخالفات انتاج السلع الغذائية وغيرها.
- **مصادر تهديد بيئية**: ناتجة عن التلوث البيئي وعدم التزام المصانع والمنشآت بقواعد البيئة. بمعنى انها ترتبط على وجه الخصوص بالنشاط الإنساني المدمر للطبيعة والمتسبب في تدهورها[1].
- **مصادر تهديد صحية**: ناتجة عن عدم الالتزام بالقواعد والمعايير المنظمة للحفاظ على الصحة العامة الأمر الذي قد يؤدي إلى انتشار الأمراض الفتاكة.

وأظهر باحثون نوعية جديدة من التهديدات الأمنية: وقد استرعى موضوعها اهتماما متزايدا من قبل المراكز والمعاهد العالمية ذات الصلة، وفي هذا السياق فقد حدّدت دراسة بحثية قام بها "المركز الفنلندي للدراسات الروسية

(1). Ibid. p85.

والأوربية" خمسة أنواع من التهديدات الأمنية الجديدة المتعلقة "بالأمن الناعم" وهو مفهوم يمكن معه إدراج كل التحديات غير العسكرية ضمن نطاق مهددات أمن الأفراد، الدولة والمجتمع:

- **المخاطر الفردية:** كتعرض الأفراد إلى تهديد الجرائم والأمراض.
- **المخاطر المجتمعية:** مثل اتساع نطاق المخاطر الفردية ليشمل المزيد من القطاعات المجتمعية كالأوبئة والمشاكل البيئية.
- **تهديدات عابرة للحدود:** مثل الهجرة غير الشرعية واللاجئين.
- **الأزمات الزاحفة:** ويتعلق الأمر بالمشكلات التي قد تتحول من أزمات داخلية لتصبح أزمات إقليمية.
- **الكوارث المحتملة:** تحول الأزمات الزاحفة إلى نكبات تصاحبها خسائر فادحة تمتد إلى عدة أقاليم، كالأعاصير والمشاكل البيئية الكبرى[1].

أما "شارل فيليب دافيد" و"عفاف بن السايح"[2]، فقد أشارا إلى صعوبة تقسيم التهديدات الأمنية المستجدة إلى تهديدات داخلية وأخرى خارجية على اعتبار وجود تهديدات تتعدى التصنيف السابق نظرا لطبيعتها عبر الوطنية، وأهم هذه التهديدات:

التهديدات المرتبطة بإعادة تعريف الشرعية السياسية: وهنا يتم التركيز على دول العالم الثالث التي تعاني من مشاكل داخلية سواء ما تعلق منها بحركات التمرد الاجتماعي أو الحروب الأهلية والعرقية. والإجرام عبر الوطني والإرهاب والقضايا البيئية والهجرة غير الشرعية واللجوء.. [3].

---

(1) سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه وتهديداته: دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد19، صيف 2008، ص 12.

(2) Charles-Philippe David et Afef Benssaieh, « La paix par l'intégration ? théories sur l'interdépendance et les nouveaux problème de sécurité ». Étude internationales, vol.28, n°2, 1997 , P227-254.

(3) Ibid.p247-249

- **مفهـوم الهشاشة:**

يقصد بها غياب الإستقرار أو ضعفه في المنظومة الاقتصادية، السياسية، العسكرية والقيمية في الدولة، في الجهة أو على مستوى العالم، والمثال يمكن أن يساق حول المنظومة القيمية، ما وقع في رواندا من إبادة جماعية، مما أدى إلى بروز نقاش في الأمم المتحدة حول جعل هذه العناصر المكونة للهشاشة القيمية، مدخلا لإعادة صياغة محتوى السيادة، كما ورد في خطاب كوفي عنان في سبتمبر 1999م، عندما قال بأنه لا يمكن بأي حال الإفلات من العقاب الفردي، الجماعي والدولتي، من مثل هذه الجرائم باسم السيادة، وهذا ما دفع لإنشاء "لجنة واجب الحماية" في 2001م، والتي كان السفير الجزائري السابق "محمد سحنون" أحد أعضائها، والتي طورت في أول تقرير لها، هذا المفهوم بربطة بالسلم والأمن الدوليين، مما سمح بإنشاء لجنة ثانية في نفس السياق، لاستصدار تقريرها الثاني في 2005م بحضور "الأخضر الإبراهيمي، والذي يجعل من استخدام القوة العسكرية من طرف الدول، ضد أي دولة يستخدم نظامها السياسي العنف المفرط ضد المدنيين، تحت غطاء الأمم المتحدة. وهذا ما رأيناه في القرار 73/19 الصادر في 2011م، والذي بربط حماية المدنيين بالسلم والأمن الدوليين، تحت الفصل السابع من الميثاق[1]. وغالبًا ما يعتمد الأفراد في الدول الهشة على جهات أخرى فاعلة غير الدولة، مثل الزعماء والقادة المحليين، المجتمعات والتنظيمات السرية، العصابات، الميليشيات المسلحة، أو القادة الدينيين، من أجل تلبيه احتياجاتهم الخاصة بالعدالة والأمن. وقد دفع ذلك ليزا دينني(Lisa Denney) ، من معهد الدراسات الخارجية، إلى أن تؤكد على حاجة المانحين الممولين لعمليات التنمية في تلك البلدان، إلى أن

(1) محمد برقوق، مقياس الإستراتيجية والأمن. نظر في 1-8- 2020م
https://www.academia.edu

يتعاملوا مع تلك الجهات غير الرسمية، عندما يحاولون إصلاح الخدمات الأمنية والقضائية في تلك الدول الهشة[1].

ونلخص،ان مفهوم الهشاشة هنا في الدولة الهشة التي تتسم بضعف كفاءتها في أداء مهامها الأساسية، أو باهتزاز شرعيتها، بشكل يجعل المواطنين فيها عرضة لمجموعة واسعة من الأخطار المختلفة. على سبيل المثال، يُعَرف البنك الدولي الدولة على أنها هشة، إذا انطبق عليها الأتي:

1. إذا كانت الدولة بحاجة إلى تلقي معونات أو منح من مؤسسة التنمية الدولية (IDA) .
2. إذا كانت الدولة مسرحًا لأحدى عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، خلال الأعوام الثلاث التي تسبق التقييم.
3. أن تحصل الدولة على درجة أقل من 3.2 في الحوكمة (Governance)، وذلك بحسب مؤشر تقييم أداء الدولة والأداء المؤسسي (CPIA) ، التابع للبنك الدولي[2].

على الرغم من أن العديد من الدول تخطوا نحو تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية التي وضعتها الأمم المتحد (Millennium Development Goals) ؛ إلا أن هناك عددًا من الدول (يتراوح من 35 إلى 50 دولة بحسب المقياس المستخدم)، تتخلف عن تحقيق تلك الأهداف. ووفقًا للتقديرات، فإنه من مجموع سكان العالم البالغ سبعة مليارات نسمة، فإن 26% منهم يعيشون في دول هشة. وفي تلك الدول، يعيش ثلث السكان على أقل من 1.25 دولار أمريكي في

(1) Denney, L. (2012) Non-state security and justice in fragile states: Lessons from Sierra Leone. Overseas Development Institute Briefing Paper http://www.odi.org.uk/sites/odi.org.uk/files/odi-assets/publications-opinion-files/7640.pdf

(2) الدول الهشة. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org

اليوم، كما يتركز فيها نصف عدد الأطفال الذين يموتون تحت سن الخامسة في العالم، بالإضافة إلى ثلث حوادث وفيات الأمومة[1].

- **مفهوم الخطر:**

يرى "ألريش بيك " في كتابه "مجتمع الأخطار"،أن الخطر: عبارة عن ضرر يهدد أمن الأفراد والبيئة والجماعات البشرية،لكنه يوشك أن يحدث أو حدث فعلا ويمكن احتواءه إن لم يتفاقم،كما يعتبر ألريتش بيك أن الأخطار استفحلت وتنوعت مع التطور التكنولوجي و العلمي وتزايدت تأثيرات العولمة وأصبحت تتميز بسرعة الانتشار من منطقة إلى أخرى.

كما أنّه هناك علاقة بين مفهوم التهديد ومفهوم الخطر، وتكمن أوجه التشابه بين المفهومين في اعتبار كل منهما يشكل انعدام الأمن بينهما فيكمن في اعتبار أم الخطر معلوم المصدر ويمكن التنبؤ بتوقيت وقوعه (وإن كان ذلك بدرجة نسبية)،بينما يكون التهديد مجهول المصدر وتوقيت الوقوع، مما يعقد من إمكانية التصدي له[2].

ونفهم مما سبق أن الخطر هو الأقل أهمية في فهم الأمن الدولي، لأنه يربط بالأساس بمستوى إدراك مرحلي، مجالي، لتهديد في بدايته، يمكن احتواءه إن لم يتفاقم، ففي كتاب المفكر الألماني "بيك": "مجتمع المخاطر"، يقول بأن الأمن لا يعني خلو النظام من المخاطر بقدر ما يعني قدرة هذا النظام على اكتساب وسائل احتوائها أو إدارتها لمنع تفاقمها لتشكل تهديداً لها[3].

---

(1) المرجع السابق.

(2) التهديدات الأمنية، الموسوعة السياسية. https://political-encyclopedia.org/dictionary

(3) محمد برقوق، مقياس الإستراتيجية والأمن. نظر في 1-8- 2020م
https://www.academia.edu

- **مفهوم التحدي**

اشتقت كلمة "تحدي" من الناحية اللغوي من اللفظ "التحدي"،حيث يقال في اللغة العربي:"فلان تحدي فلان حول شيء معين أي طالب مباراته في هذا الشيء، وتشير القواميس الإنجليزية البريطانية إلى عدة معاني لتحدي، فهو يعبر على شيء صعب يجب اختياره ويحتاج إلى القوة والمهارة وهو أيضا دعوة للمنافسة والمواجهة كأن يقترح شخص مبارزة أخر وما إلى ذلك، ويعرف كذلك على أنه:"المشكلات أو الصعوبات التي تواجه الدولة وتحد أو تعوق من تقدمها، وتشكل حجرة عثرة أمام تحقيق أمنها و استقرارها ومصالحها الحيوية الذاتية والمشتركة ويصعب تجنبها أو تجاهلها، وقد تبدأ أو تنتهي بزوال أسباب بلوغ التحدي، دون الوصول إلى مستوى التهديد "، كما يمكن التفرقة بين التحدي والتهديد من خلال نطاق كل منهما، فالصورة التي يتخذها التحدي تدخل ضمن نطاق الأمن الناعم، أما التهديد يدخل في نطاق الأمن الصلب، أي الفرق بين الاثنين يكمن في أن التهديد يكون مباشر باستخدام القوة العسكرية أو التهديد بها، ويكون تأثيره مباشرا في الأمن، أما التحدي فإنه يؤدى على المدى المتوسط أو البعيد إلى أضرار مباشرة على الأمن القومي[1].

(1) التهديدات الأمنية، الموسوعة السياسية. https://political-encyclopedia.org/dictionary

2. نظريات الأمن الدولي:

- **النظرية الواقعية للأمن الدولي:**

على الرغم من أن جذور الواقعية نمت في كتابات هؤلاء المفكرين (تيوسيدسدس، ميكيافيلي، هوبز...)، إلا أنها لم تأخذ صفة المنهج النظري لدراسة العلاقات الدولية إلا مؤخراً، وتحديداً في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين وبدايات الأربعينيات[1]، ويعود الفضل في إدخال الواقعية السياسية كمقترب هانس مورغانثوHans Morgenthau، صاحب كتاب "السياسة بين الأمم- الصراع من أجل السلطان والسلام"، والذي وضع فيه أسس الواقعية ارتكازا على القوّة كمفهوم أساسي في الصراع، من أجل الحصول على السلطان داخل النظام السياسي أو على مستوى النظام الدولي[2] فالقوّة هي جوهر السياسة سواء الداخلية أو الخارجية، ولفهم صراع ينبغي الانطلاق من دراسة هذا العنصر المُحَدِّد، فهو يرتبط حركيّا بالقوانين الموضوعية المحرِّكة للأفراد والمجتمع سياسيا والمتمثلة في الدوافع المصلحية، التي تعتبر المعيار الثابت الذي يحقق الأهداف الذاتية والقومية، وهو لا يتغير بتغير الزمان والمكان حتى ولو اختلفت طبيعة ومواصفات الصراعات الدوليـــة.[3]

ينطلق الاتجاه النظري المعروف بالواقعية السياسية من تحليل واقع وطبيعة النظام الدولي القائم، والذي تسوده سياسة القوّة في علاقات مركزة بين الدول ذات السيادة، وتوظف القوّة لحماية المصلحة القومية أو الوطنية، وتستمد الواقعية الكلاسيكية أفكارها الجوهريّة من الفلسفة السياسية، خاصة أفكار

---

(1) مارتن غريفيتش وتيري أوكالاهان: المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 453.

(2) Jean-Jacques Roche, Théories Des Relations Internationales , 4 edition , Montchrestien edition entièrement refonddue, 2001, pp 38-42.

(3) بلقاسم كرمني، مرجع سابق، ص ص 67 - 68 .

نيكولا مكيافيللي وتوماس هوبز، فترتكز على مفهومي الصراع والقوّة كدوافع غريزية متأصلة في النفس البشرية، وهي تنعكس على صورة السياسية الدولية وتصبح السمة البارزة لسلوكيات الدول. حيث يرى **مكيافيللي**: "أن ضمان أمن الدولة وبقائها هو الهدف الذي يصبو الحاكم الى الوصول إليه، وأن السياسة هي صراع مصالح خاصة اذا كانت هذه المصالح متناقضة وليست منسجمة"[1].

فالواقعيون ينطلقون من التفسير المنطقي والعقلاني لمجريات الأحداث الدولية المعيشة والملموسة واقعيا، انطلاقا من حجج مؤشرات السلام منذ بداية القرن العشرين، فالقواعد والنصوص الدولية المعتمدة لم تتمكن من ضبط الصراعات الدولية أو كبح جماح الدول القوية في اللجوء الى استخدام القوة العسكرية، فقد شهد العالم حربين عالميتين، وهو ما يستدل به الواقعيون في حواراتهم مع انصار التيار المثالي، فالهيئات الدولية القانونية والأخلاقية حسبهم غير مجدية في إنهاء فوضوية النظام الدولي، فهي غير قادرة على تجسيد سلطة فوقية بالنسبة للدول قادرة على اخضاعها أو تحجيم سلوكياتها، وذلك اعتبارا الى التعامل مع الواقع الدولي كما هو كائن وليس كما يجب أن يكون، ومنه فان استمرار سياسة القوّة وغياب الأمن يخيم على السياسة الدولية، وهو عكس ما تنبأ به مفكري التيار المثالي- الأخلاقي[2].

الواقعيون يمثلون الاتجاه الأكثر دفاعا عن فكرة اعتبار الأمن من صميم اهتمام وصلاحيات الدولة وحدها، أي أن مفهوم الأمن القومي يرتبط مباشرة بالدولة، حيث يفسر الأمن على أنه أمن الدولة ضد الأخطار والتهديدات الخارجية، ولا يمكن ضمان هذا الأمن إلا بزيادة القدرات العسكرية للدولة، وإقامة تحالفات عسكرية دولية ضمن الترتيب النووي العالمي، وهو مفهوم

---

(1) عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية، ط1، 2007، ص 138.

(2) بلقاسم كرمني، مرجع سابق، ص ص 65 – 66 .

يعكس التحديات الأمنية في ظل الترتيب العالمي ثنائي القطبي[1]. فالدولة باعتبارها **وحدة التحليل** الرئيسية ومحور أي سياسة أمنية، فهي تشعر بالأمن كلما تضاعف حجم قوتها وارتفعت قدراتها العسكرية، وهو ما يؤكده **ريمون أرون**: "الأمن يتحقق بالقوة الذاتية للدولة أو بضعف المنافسين لها، وكل دولة تحاول مضاعفة مواردها للذهاب بأمنها لحدوده القصوى عن طريق الجمع بين القوة والأمن، من أجل فرض إرادتها على الدول الأخرى".[2] فهم يركزون مفهوم الأمن في الدولة كفاعل وحيد والذي يتجسد من خلال قدرتها العسكرية.

على خلاف الواقعيين الكلاسيكيين، يرى بعض أنصار الواقعية الجديدة/البنيوية على رأسهم كينيث ولتز Kenneth Waltz، أن الحل للمعضلة الأمنية (ولو نسبيا) هو قيام علاقات تعاون تقليل حدة الخلاف والصراع الدولي، فدائما تبقى هناك فرص للتعاون المحدود من خلال الارتباط والالتزام باتفاقيات الحد من انتشار الأسلحة وغيرها. أما شارلز جلاسر Charles Glaser فيذهب الى أبعد من ذلك، حيث يرى امكانية قيام علاقات تعاونية وثيقة وايجابية، وأن الأطراف والقوى المتنازعة قادرة على تحقيق أهدافها الأمنية عبر سياسات التعاون بدلا من السياسات التنافسية[3].

نستنتج مما سبق أن البناء النظري للدراسات الأمنية في إطار التوجه التقليدي للأمن ينطلق من التصور الأنطولوجي لدى التقليديين الواقعيين الذين يعتبرون

---

(1). Charles Philippe David et Jean Jacques Roche , Théories de la Sécurité – Définitions Approches et Concepts de la Sécurité Internationale, Paris , Editions Montchrestien , 2002 pp 90-91.

(2) أحسن العايب، "الأمن العربي بين متطلبات الدولة القطرية ومصالح الدول الكبرى 1945-2006 " أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة بن يوسف بن خدة –الجزائر، 2008، ص17

(3) عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية – الحوارات النظرية الكبرى، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009، ص 78

الدولة هي الوحدة المعنية بالأمن ساعين بذلك إلى بناء مفهوم للأمن يقصد به حماية أمن حدود الدولة كفاعل رئيسي في النظام الوستفالي الواقعي المرجعي[1]. أي حماية الدولة من أشكال الإعتداء الخارجي مثل الجاسوسية، أعمال الإستطلاع العدائية، التخريب، الدمار... كما يرى البعض من أصحاب هذا التوجه أن الأمن يرتبط بالتعامل مع ظاهرة العنف ليس على أساس أنها ظاهرة أو سلوك فردي بل نمط من السلوك يضم العديد من المستويات الأخرى ويجعل الأمن يعني "قدرة المجتمع على مواجهة ليس فقط الأحداث والوقائع الفردية للعنف بل جميع المظاهر المتعلقة بالطبيعة المركبة والحادة وللعنف إذ كلما تنوعت وانتشرت مصالحها وتعددت ارتباطاتها اتسع نطاق أمنها وازداد شعيها لاكتساب القوة.

- **النظرية اللبرالية للأمن الدولي:**

تعود الجذور الفكرية للاتجاه اللبرالي الى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبالتحديد لأفكار كل من ايمانويل كانت Immanuel Kant وجريمي بينثام Jeremy Bentham، حيث رفضا فكرة الهمجية والوحشية والعنف في العلاقات الدولية، فقاما بوضع قواعد وخطط من أجل اقامة سلام دائم وتجاوز دواعي لجوء الدول للحرب، في وقت ثار الكثير من المفكرين ورجال الدين على فكرة أن الصراع حالة طبيعية في العلاقات بين الدول، ودعوا الى احلال السلام من خلال اقامة هياكل مؤسساتية لضبط ومعاقبة كل الخارجين عن القوانين، وطرح وليام بن William Penn مع نهاية القرن السابع عشر فكرة

(1) Bjorm Moller: the concept of security: the pros and cons of expansion and contraction, paper for joint session of the peace theories, commission, and the security and disarmament commission, at the 18 th general conference of the international peace research association (I.P.R.A) tampere, finland 5,6 August 2000,p03.

انشاء برلمان أوروبي، تكون نسبة العضوية فيه مناسبة لقوّة الدولة ويكون التشريع فيه قائم على مبدأ الأكثرية (75%) من المندوبين[1] حيث اتضح أن جوهر الفكر اللبرالي هو محاولة وضع آليات تحدّ من قوّة الدولة، وخلق فواعل الى جانب الدولة تساهم في توجيه سلوكياتها.

إن أنصار اللبرالية المؤسساتية يحاولون التأكيد على أن الدول تحتاج الى تجاوز المشاكل الناجمة عن البنية الفوضوية للنظام الدولي، وعلى هذا الأساس طوروا نظريتهم خارج العلاقات الدولية، فقد قاموا بدراسة الاقتصاد الجزئي للوحدات السياسية التي تعمل تحت شروط المنافسة الكاملة، وذلك اعتبارا الى التماثل بين السوق الاقتصادية الداخلية والنظام الدولي لأن كلاهما يتكون من بُنى فوضوية، ومقارنة الآليات التي تدعم خيار التعاون على خيار المنافسة، حيث أن تَدخُل الدولة وقِيامها بدور تنظيمي وتوجيهي على عمل المؤسسات الاقتصادية لتنظيم المنافسة وتعزيز التعاون في الاقتصاد الجزئي.

هذا ما يعكس وجود سلطة ودور الدولة حتى في نظام الاقتصاد التنافسي الحُرّ، ومثل هذه السلطة المشابهة لسلطة الدولة غائبة في النظام الدولي، مما يبرر تفاقم المشاكل وزيادة حدّة التنافس، وقال **دوجـــــلاس هارد** Douglas Hurd وزير خارجية بريطانيا في هذا الاطار في جوان 1992، أنه يجب على المؤسسات أن تلعب وتستمر في لعب دور حاسم في تقوية الأمن، فالغرب طـــور مجموعة من المؤسسات الدولية نجحت في مواجهة العديد من المشاكل، خاصة تحدي القدرة على التكيف مع التحول في شكل النظام الدولي بعد نهاية الحرب الباردة، مثل الاتحاد الأوربي EU ومنظمة حلف شمال الأطلسي NATO ومنظمة الأمن والتعاون في أوربا OSCE، وحتى مؤسسات أخرى في العالم كرابطة دول جنوب شرق آسيا ASEAN[2].

(1)جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص 317 .

(2) عامر مصباح، مرجع سابق، ص ص 92-97.

- **التحليل الأمني الشامل للأمن الدولي:**

يوسم التحليل الذي قدمه المفكر **باري بوزان*** Barry Buzan - أكبر المختصين في الدراسات الأمنية - بأنه الأوسع والأشمل لمفهوم الأمن الدولي، وذلك اعتبارا الى أنه أخذ منحى عمودي وأفقي في نفس الوقت، عمودياً كونه لم يهمل العناصر الأساسية والمحددات المرجعية للتحليل العلمي لمسألة الأمن الدولي، والتي تتمثل في الفرد والمجتمع والدولة والنظام الدولي مع اعتبار الدولة فاعل مركزي، وأفقياً كونه أخذ بتعدد المواضيع المتعلقة بالقضايا الأمنية في جوانبها الأساسية: العسكرية، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والايكولوجية. دون إغفال تركيز بوزان على أهمية قوة الدولة، والتي لا تتحقق من خلال القوّة المادية كما يرى **والتز** Waltz، وإنما اعتبارا الى مستوى استقرار مؤسساتها وقوة انسجام بنائها الاجتماعي والسياسي الداخلي[1].

وهنا يحدد بوزان خمسة أبعاد للأمن لا يمكن فصلها عن بعضها فهي مرتبطة ارتباطا قوياً، وكل خلل أو تهديد يمس أحد هذه الأبعاد يكون له تأثير مباشر على الأبعاد الأخرى بالضرورة وهي[2]:

---

(1)Alex Macleod , Anne-Marie D'aoust et David Grondin , " les etudes de sécurité " In Alex Macleod et Dan O'meara (ed) , Theories des Relations Internationals – Contestations et Resistances , Québec: Athena Editions , 2007 , p 362.

* باري بوزان Barry Buzan أحد أكبر المنظرين للأمن في الفترة التي تلت الحرب الباردة، قدم اسهامات كبيرة في مجال الدراسات الأمنية والعلاقات الدولية، انخرط في البداية ضمن أنصار التيار الواقعي في محاولة لتحديث الواقعية الجديدة، ثم ساهم في توسيع مفهوم الأمن ضمن مدرسة كوبنهاغن في اطار أبحاثها في السلام، والتي أطلق عليها الواقعية ما بعد البنيوية، من أهم مؤلفاته كتاب People States and Fear: The National Security Problem in International Relation .

1. **البعد العسكري**: القدرات الدفاعية ومدركات نوايا الدول الأخرى ومستويات تفاعل أطراف الهجوم المسلح.
2. **البعد السياسي**: مستوى الاستقرار التنظيمي للدول ومصدر شرعية المنظومات الحكومية والايديولوجية.
3. **البعد الاقتصادي**: توفر الموارد المالية وضمان الأسواق للحفاظ على القوة الاقتصادية للدولة ورفاهية مواطنيها.
4. **البعد الاجتماعي**: قدرة المجتمع على حماية خصوصياته الثقافية واللغوية والدينية والهوية الوطنية من مختلف التهديدات، مع القدرة في نفس الوقت على توفير شروط موضوعية لتطويرها وسهولة تكيفها مع أنماط هوية المجتمعات وثقافاتها.
5. **البعد البيئي**: القدرة على المحافظة على المحيط الحيوي ضد كل ما يعيق النشاط الانساني.

ولم يهمل **بوزان** أهمية البعد الاقليمي في الأمن، فهو يعطي أيضاً قيمة مهمة لضرورة بناء نظام الأمني الاقليمي بالنسبة للدول، اعتبارا الى القيمة الوظيفية للأمن الوطني/القومي فيه، فمن غير الممكن عزل أمن الدولة عن الواقع الأمني للمجال الاقليمي الذي تنتمي اليه، فهو يعتبر الظاهرة الأمنية "**ظاهرة علائقية**"، لأن المسألة الأمنية للدولة ليست فردانية أو معزولة عن محيطها الاقليمي وفق ما كان سائدا في المنظور التقليدي، بل على العكس هي مرتبطة به ارتباطا وثيقا وبإمكانية التأثير والتأثر بالتهديدات الأمنية المتواجدة فيه، فالمجال الاقليمي يعتبر مستوى مهم ترتبط فيه الفواعل الدولية.

---

(2)Barry Buzan , People States and Fear: An Agenda For International Security Studies in the Post- Cold War Era , 2nd ed , Boulder ,CO: Lynne Rienner Publishers , 1991 , p p 19-20 .

فحسب **بوزان** التهديدات العسكرية لم تعد المصدر الأساسي لغياب الأمن، وهي في نفس الوقت غير قادرة على تحييد هذه التهديدات المتعددة والمعقدة، فهي تشمل جوانب متداخلة سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية..الخ. ومن هنا سمحت تحليلات باري بوزان بتوسيع مجال البحث في الدراسات الأمنية الى قطاعات جديدة، وادخال وحدات تحليل متعددة مثل: الفرد، الجماعة، المجتمع المحلي، الأمة، الاقليمي، والدولي، فقد قام بإدخال موضوعات مرجعية جديدة مع تعميقها[1].

- **المقاربة البنائية للأمن الدولي:**

فالبنائية تقوم بالربط بين ادراكات الفاعلين والواقع، فهو ليس وحدة مادية موضوعية خارج الوعي الانساني، بقدر ما هو بناء مكون من أفكار وقيم اجتماعية غير مادية، فالأمن في النهاية حسبهم ليس واقعاً موضوعياً ولكنه بناء اجتماعي، فالنظام الدولي هو نتاج فكر واحساس الانسان بوجوده، فهو بناء فكري أو نظام للقيم والمعايير، وتغيير هذه الأفكار والبنى سيغير بالتأكيد شكل النظام الدولي. فأنصار هذا التيّار قاموا بتغيير الموضوع المرجعي أو وحدة التحليل من الدولة الى المجتمع، ومن حماية أمن الدولة ضد التهديدات العسكرية تقليديا، الى حماية الأمن الاجتماعي والهوية الاجتماعية من التهديدات الذاتية وليس الموضوعية.

طور أنصار البنائية الأمن في مفهومه الاجتماعي، حيث استندوا في ذلك الى مختلف التغيرات الجوهرية في النظام الدولي، خاصة ما تعلق بظاهرة العولمة وما ترتب عنها من تخطي للحدود السيادية للدولة في جميع المجالات على

(1)عبد النور بن عنتر، " تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية "، مجلة السياسة الدولية، العدد 160، المجلد 40، أفريل 2005. ص58.

رأسها الجانب الثقافي، وما صاحبه من كثافة الهجرة في العالم وظهور الأقليات في الدول الأوربية خاصة الشرقية منها.

في هذا الاطار أكد أصحاب المدرسة الانجليزية (مدرسة كوبنهاغن)* التي يعتبر **وايفر** أحد أهم روادها، أن العولمة المعاصرة أثرت بقوة على الهويات المجتمعية، حيث وجدت نفسها مهددة بمجموعة من العوامل، خاصة تدفق الهجرات والغزو القسري للثقافات الأجنبية المختلفة [1] وبالتالي فان الدول مهددة في أمنها المجتمعي والهوياتي أكثر من أمنها العسكري، فيربطون هذه البنى المعيارية (الأبعاد المجتمعية الثقافية والهوياتية) بالمصالح والسلوكيات الدولية، فهي أساس تكوينها وتبلورها وتبنيها في شكل مواقف وأفعال، أي أنها المحدد الرئيسي لطبيعة مصالح الدولة وسلوكياتها تجاه باقي الفواعل في النظام الدولي.

فالبنائية كمنظور اجتماعي تنطلق من افتراضات أنطولوجية مثالية، اعتبارا الى اعتقادها أن الحقيقة الاجتماعية تعكس العلاقات الدولية، وأنها تصاغ ويعاد تشكيلها عبر الأفعال الجماعية والتفاعلات الانسانية، أي أنها علاقات مبنية اجتماعيا، مع العلم أن البنائية لم تؤسس بعد كمنظار حقيقي. ومن هذا المنطلق يعترف البنائيون أنفسهم بأن البنائية ليست مهيمنة، ويبقى

---

* مدرسة كوبنهاغن أو معهد بحوث السلام لكوبنهاغن انشا سنة 1985 ببريطانيا " Conpenhagen Peace Research Institute " وترسم اطارا نظريا للدراسات الأمنية، ويمثل منبرا نظريا رائدا في دراسات شؤون الأمن والسلام انطلاقا من خلفية فكرية نقدية، واستضاف المعهد مجموعة مهمة من الباحثين والمفكرين ساهموا بشكل مهم في اثراء رصيده، من أهمهم باري بوزان barry buzan و أولي وايفر Ole Waever ووياب دي وايلد Jaap de Wilde و مورتن كيلستروب Morten Kelstrup و بيير ليميتر Pierre Lemaitre ويعتبر بوزان أهم من أثر في هذه المدرسة عندما كان مديرا لأحد المشروعات البحثية للمعهد بعنوان " السمات غير العسكرية للأمن الأوربي وتطوير مشروعين بحثيين مع أولي ويفر المعروفين ب01/ الأمن المجتمعي 02/ نظرية الأمننة.

(1) Dario Battistella , Théories des Relations Internationales , 2nd éd , Paris: Presses de S.P ,2006 , p 480.

الأمن العسكري شكل مهيمن واقعيا في الدراسات الأمنية حسبهم، لكنهم يؤكدون أن تطور السياسة العالمية يأتي في صالح توسيع ميدان الأمن، ورغم أن **باري بوزان** هو أول من أدخل مفهـوم الأمن الاجتمـــاعي في الدراسات الأمنية، غير أن أنصار مدرسة كوبنهاغن خاصة **وايفر** (Waever)، هم الذين طوروا هذا المفهوم واعتمدوه مرجعية جديدة للأمن، وذلك لأن العديد من التهديدات الجديدة في النظام الدولي الحالي تهدد أمن المجتمع أكثر مما تهدد أمن الدولة، فالمجتمعات أصبحت مهددة في هوياتها في ظل انتشار الظواهر العابرة للحدود، كالاستيراد والواسع للبضائع الثقافية الأجنبية وزيادة تدفقات الهجرة، ويرى **وايفر** في هذا الاطار أن تصاعد الخوف المرتبط بانعدام الأمن في عالم اليوم، هو مرتبط بالسلوكيات غير المدنية، بالآخر، بالهجرة، بضياع القيم الثقافية، ومن الأمثلة على ذلك الاعتداءات العرقية على الأجانب في أوربا، والتطهير العرقي في يوغسلافيا سابقا، وعليه فان الأمن الاجتماعي مرادف للبقاء الهوياتي[1].

- **المقاربة النقدية للأمن الدولي:**

الوحدة التحليلية الرئيسية بالنسبة لهذه المقاربة في تحليل العلاقات الدولية، هي أمن الانسان أو التحرر الانساني، وبالتالي فان هدف هذه المقـاربة هو تحقيق أمن الفرد ضد مختلف التهديدات دون الاعتبار الى أنها تهديدات على المستوى المحلي أو الاقليمي أو حتى على المستوى العالمي، ويتحقق التحرر الانساني -تحرر الأفراد والجماعات- بتجاوز مختلف القيود والكوابح الفيزيائية والاقتصادية والسياسية التي تُعيقهم عن اختيار ما يريدونه[2] فمسألة التحرر والانعتاق عند كين بوث (Ken Booth) هي أساس ومركز النظرية

(1)عبد النور بن عنتر، مرجع سابق، ص ص 58 - 59.

(2) عامر مصباح، نظريات التحليل الاستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص 70، 71.

النقدية للأمن العالمي، فجوهره الحرية من كل القيود التي تعيق الأفراد والشعوب من تحقيق خياراتهم[1] فالإنسان هو موضوع وهدف الأمن وليس الدولة.

ينطلق أنصار المقاربة النقدية من الانتقاد الشديد للاتجاهات التي تعتمد على الدولة كوحدة أساسية للتحليل في الدراسات الأمنية، ويعتقدون أن عدم القدرة على إيجاد حلول ناجعة لمشاكل الأمـــــن في النظام الدولي، يرجع بالأساس الى الخطأ في تحديد مرجعية تحليل العلاقات الدولية (مشكلة أنطولوجية)، فمعظم الجهود والمحاولات التنظيرية ترتكز على المرجعية الدولانية، غير أن تحقيق أمن الدولة لا يترتب عنه تحقيق أمن الأفراد دائما، في حين أن تحقيق أمن الفرد يتضمن أمن الدولة بالضرورة، فقد يعيش الأفراد حالة اللا أمن الناتجة عن الأمراض والفقر داخل دولة آمنة من الاعتداءات الخارجية بمختلف أشكالها.

يطالب رواد هذه المقـاربة بضـــرورة تبني مرجعية جديدة وهي **الفرد – أمن الانسان** ويدعون الى التحرر الانساني والتخلي عن المرجعية التقليدية أي **الدولة**، فالفرد كمرجعية جديدة هو مركز أو محور تفاعل السياسة الدولية والعلاقات الكونية، ويجب عدم معالجة قضايا أمن الدولة على حساب أمن الفرد، أيضا التركيز على الموضوعات التي لها علاقة بأمن الفرد أينما وجد في أي منطقة في العالم. فمعظم التهديدات الجديدة في العقود الأخيرة أصبحت تمس أمن الانسان في حياته اليومية أكثر مما تمس الدول والسياسة الدولية، وفي ضوء هذه المقاربة يتضح ان التباين مع النماذج النظرية التقليدية تباينا جوهريا ومنهجيا عميقا، فبعض مفكري النقدية على رأسهم روبرت كوكس (Robert Cox) ينتقدون هذه النظريات التقليدية كونها تركز على الوصف دون الفهم

(1) Ken Booth , Theory of World Security , Cambridge University Press , 2007 , P 110 .

والشرح، وينتقدون أيضا المقاربات التأويلية التي تركز على الفهم دون تقديم النقد لحدود الفهم، ومنه فهم يحاولون تجاوز هذا النقص من خلال تقديم تحليل لفهم المركب الاجتماعي/السياسي/التاريخي، وفهم كل الظواهر المرتبطة بها، فهي تشكل قطيعة معرفية في الدراسات الأمنية. أما أصحاب المقاربة النقدية يركزون على أن الفرد والمجتمع هما الوحدتين الأساسيتين لتحليل الأمن وكذا المرجع الوحيد للدراسات الأمنية وليس الدولة، التي في بعض الأحيان تقف عائقا أمام أمن الأفراد من خلال السياسات التي تتبعها[1].

(1) عبد النور بن عنتر، مرجع سابق، ص59 .

الخاتمة

اتضح من خلال مناقشة مسألة الأمن الدولي التوسع والترابط الشديد الذي عرفه تطور مفهوم الأمن ونظرياته، وبعد استعراضنا للموضوع يمكن أن نجمل الاستنتاجات المتوصل إليها في ضوء هذا المحور بالآتي: إن مفهوم الأمني تداول على نحو من الغموض أكثر من الوضوح لكون الدراسات الأمنية لا تزال جزءا من حقل العلاقات الدولية وكذا لاحتوائه بعض العناصر المعيارية التي يصعب الاتفاق حولها. اذ ان التحول في مفهوم الأمن خاضع لظروف سياقية زمنية تجعله يصطبغ بسماتها الأمر يجعلنا نستقرئ أن الواقع سيطالعنا بمفاهيم جديدة للأمن تحددها طبيعة المرحلة القادمة.

كما توصلنا في هذا المحور أنه لا يوجد تعريف موحد أو متفق عليه لتعريف الأمن أو تحديد طبيعة التهديدات الأمنية بدقة، كما لا توجد أدوات نظرية تمكننا من قياس درجة التهديدات أو مدى تحقيق الأمن بشكل كمي دقيق ومؤكد، وهذا ما يبرر غياب سياسات دولية موحدة أو على الأقل متقاربة لمواجهة مختلف التهديدات الأمنية المتعددة والمترابطة، ومنه تبرير واقع النظام الدولي المعاصر الذي يأخذ الطابع الفوضوي والصراعي أكثر مما يأخذ طابع النظام والتعاون والمساواة بين الدول، وذلك رغم التغيرات الكبيرة التي شهدها من الناحية الشكلية والبنيوية بظهور فواعل متعددة الى جانب الدولة ساهمت بشكل نسبي في بناء الأمن الدولي، وبالتالي لم نكن نتجاهل الجدل بين التيارات النظرية ذات الصلة بالدراسات الأمنية في فترة ما بعد الحرب الباردة والتي تمركز حول أبعاد أساسية تشمل: مصادر وطبيعة التهديدات، من الذين يقومون بتوفير الأمن، القيم الرئيسية موضوع التهديد، أمن من؟. كما إن الواقع والتجربة أثبتا لنا أنه على الرغم من اتخاذ الأمن لمفاهيم جديدة وعلى الرغم من أن الأمن لم يعد يعني القوة العسكرية إلا أن هذه الأخيرة قد تكون جزءا مهما منه. حيث

ان بعد الموجة الأولى في الدراسات الأمنية التي مثلتها الواقعية، والتي قامت على بنى مفهومية تقليصية أو ضيقة للأمن لاختزاله في مرجعية الدولة والقطاع العسكري، جاءت الموجة الثانية التي تميزت بالتعددية والتوسعية أو تعميق وتوسيع مفهوم الأمن، فالتعددية تتجسد في التوجهات النظرية المختلفة نسبيا رغم أنها تتفق في النقد الشديد للواقعية غير أنها تأخذ بوحدات تحليل جديدة (النظام الدولي، المجتمع، الفرد...)، وقد أصبح الأمن من خلال هذه الاتجاهات يجب ألا يقتصر على الأمن أو يتحدد بحماية الدولة وتعزيز رفاهها بل يفترض أن يهتم أيضا بحماية الأفراد والمجموعات وتعزيز رفاههم من هنا فإن شمولية الأمن تعني أن له أبعادًا متعددة.

وبهذه المسألة توسع مفهوم الأمن عموديا وأفقيا، عموديا باتجاه المواضيع والوحدات (الفرد، المجتمع الدولة النظام الدولي) وأفقيا باتجاه القطاعات والمجالات (الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي، الثقافي، البيئي...)، وتعرف في نفس الوقت هذه القطاعات ارتباطا وثيقا بحيث لا يمكن تحقيق الأمن الاقتصادي دون السياسي أو الثقافي أو البيئي، فهي مترابطة ومتكاملة أين يتعذر تحقيق الأمن في أحداها دون الأخرى، ومنه ظهرت مفاهيم أكثر اتساعاً وشمولاً كالأمن الانساني والأمن الشامل والأمن التعاوني والأمن الصحي وهكذا...

المراجع والمصادر

الكتب:

1. جون بيليس، وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004
2. حسن توركماني، الأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، دمشق: الأولى للنشر والتوزيع، 2004،
3. عامر مصباح، نظـــريات التحلـــيل الاستـــراتيجي والأمنـــي للعلاقات الدولية، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط1، 2011 .
4. عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية – الحوارات النظرية الكبرى، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009.
5. عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية، ط1، 2007.
6. مارتن غريفيتش وتيري أوكالاهان: المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
7. هايل عبد المولى طشطوش، الأمن الوطني وعناصر قوة الدولة في ظل النظام العالمي الجديد، عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

المجلات والأبحاث:

1. عبد النور بن عنتر، " تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية "، مجلة السياسة الدولية، العدد 160، المجلد 40، أفريل 2005.
2. سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه وتهديداته: دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد19، صيف 2008.
3. أحسن العايب، "الأمن العربي بين متطلبات الدولة القطرية ومصالح الدول الكبرى 1945-2006 " أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة بن يوسف بن خدة –الجزائر، 2008 .

مواقع الانترنت:

1. الدول الهشة. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. نظر في 16-8-2020 https://ar.wikipedia.org
2. التهديدات الأمنية، الموسوعة السياسية. نظر في 14-9-2020 https://political-encyclopedia.org/dictionary
3. محمد برقوق، مقياس الإستراتيجية والأمن. نظر في 1-8- 2020م https://www.academia.edu
4. ميثاق بيات الضيفي، شبكة النبأ نظر في 22-9-2020 https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/18055
5. حسين براري، أمن إسرائيل صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات.استراتيجية العدد143 . نظر في 16-9- 2- http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/SBOK20.HTM:2020
6. كمال الأسطل، مفهوم الأمن القومي. نظر في 2-9-2020 http://k-astal.com/index.php?action=detail&id=100
7. ميثاق بيات الضيفي، شبكة النبأ. نظر في 20-8-2020 https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/18055
8. زكريا حسين، تغير مفهوم الأمن: نظر في 16-0-2020 www.politics-ar.com/ar/index.php/permalink/3056.html

Foreign references:

1. Alex Macleod، Anne-Marie D'aoust et David Grondin، " les etudes de sécurité " In Alex Macleod et Dan O'meara (ed) , Theories des Relations Internationals – Contestations et Resistances , Québec: Athena Editions , 2007.
2. Barry Buzan , People States and Fear: An Agenda For International Security Studies in the Post- Cold War Era , 2nd ed , Boulder ,CO: Lynne Rienner Publishers , 1991.
3. Barry Buzan; People state and Fear the national security problem in international relations. Great Britain: Wheatshe of Books; 1983.

4. Bjorm Moller: the concept of security: the pros and cons of expansion and contraction, paper for joint session of the peace theories, commission, and the security and disarmament commission, at the 18 th general conference of the international peace research association (I.P.R.A) tampere, finland 5,6 August 2000.
5. Buzan, B. (2000). 'Change and Insecurity' reconsidered. Critical Reflection on Security and Change. S. Croft and T. Terriff. Oxen, Frank Cass Publishers.
6. Buzan, B. (2007). People, States & Fear. Colchester, ECPR
7. Buzan, B. and L. Hansen (2009). The Evolution of International Security Studies. Cambridge, Cambridge University Press
8. Charles Philippe David et Jean Jacques Roche , Théories de la Sécurité – Définitions Approches et Concepts de la Sécurité Internationale, Paris , Editions Montchrestien.
9. Charles-Philippe David et Afef Benssaieh, « La paix par l'intégration ? théories sur l'interdépendance et les nouveaux problème de sécurité ». Étude internationales, vol.28, n°2, 1997.
10. Dario Battistella , Théories des Relations Internationales , 2nd éd , Paris: Presses de S.P ,2006.
11. Jean-Jacques Roche, Théories Des Relations Internationales , 4 edition , Montchrestien edition entièrement refonddue, 2001.
12. Ken Booth , Theory of World Security , Cambridge University Press , 2007.
13. Sheehan, M. (2005). International Security: An Analytical Survey. London, Lynne Rienner Publishers
14. Thierry Balzac ; «Qu'est-ce que la sécurité nationale » ; revue International ; n°52 ; hiver 2003-2004.

15. Wolfers, A. (1952). ""National Security" as an Ambiguous Symbol." Political Science Quarterly 67

Foreign Internet references:

1. David Baldwin; "The concept of security" Review of International Studies; n° 23,1997. pp 5 -26 obtenu en par courant: http://tau.ac.il/~daniel/pdf/37.pdf
2. Denney, L. (2012) Non-state security and justice in fragile states: Lessons from Sierra Leone. Overseas Development Institute Briefing Paper. http://www.odi.org.uk/sites/odi.org.uk/files/odi-assets/publications-opinion-files/7640.pdf

ثانياً : ماهية الامن العالمي ومهدداته الأساسية

د. عبد الرحمن حسن عبد الرحمن غانم(*)

أن ماهية الأمن في ظل تقلبات وتغييرات الأوضاع بشكل عام على مستوى المجتمعات والدول أن كانت هذه التغييرات داخلية أو اقليمية أو دولية (عالمية) فإنها في جميع الحالات ترجع إلى الجذور التاريخية للنظرية الواقعية إلى الفلسفة السياسية القديمة عند المفكر الهندي "كوتيليا" kautilya 296 – 312 ق.م الذي بحث في أسباب توسع الدول سواء بالتحالف مع الخصوم أو بالقضاء عليهم، وفي الحالتين الدولة مطالبة بتطوير قوتها لمواجهة التهديد المرتقب من الخصوم المباشرين، إذ يعتبر "كوتيليا " بان دول التماس الجغرافي هي مشاريع اعداء محتملة، وفي وصفة لسلوك الدول فانه يصنفها إلى دول محاربة واخرى حيادية إذ يقول: ام شعرت بتفوقك على خصمك لا بد من شن الحرب، أما إذا شعرت بعدم القدرة على ذلك ولكنك تستطيع الدفاع عن نفسك فعليك التزام الحياد ".[1]

وهنا نستطيع أن تدرك أن "كوتيليا" يريد أن يقول لنا أن القوة من تحكم العالم حيث أن التهديدات ليس فقط عسكرية بل أنها ربما تتطور لتصبح أكثر من ذلك وها نحن نعيش في القرن الحادي والعشرين ليصبح الأمن ومهدداته له عدة أشكال تختلف بالشكل وتتفق في الهدف ومن هذه المهددات القوة العسكرية والاقتصادية والتطور العلمي والتكنولوجي والامراض الوبائية

(*) باحث دكتوراه – دراسات سياسية/ فلسطين.

(1) توفيق بوستي، المعهد المصري للدراسات، مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية، 22 فبراير 2019، ص 2-3

والفقر والبطالة.....وسوف نتناول بشيء من التفصيل مفهوم الأمن العالمي، ومهددات الأمن العالمي.

1. مفهوم الأمن العالمي :

لم تعد المسائل الأمنية تقتصر على امن الدولة بل أصبحت تهتم بأمن الأشخاص وهذا نتيجة إلى انخفاض الحروب بين الدول وخصوصا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والبدء بالحرب الباردة فقد نتج عن ذلك النزاعات الداخلية بين السكان وفي بعض الاوقات تصل إلى حروب ونزاعات اهلية، لقد تطور مفهوم الأمن ليصبح " يعني القدرة على تامين مستوى كاف من الوقاية والحماية ضد الاخطار والتهديدات بجميع انواعها وبجميع تأثيراتها ومهما يكن مصدرها، لفائدة افراد مجموعة معينة، في طروف تعطي الأولوية لتنمية وتطور الحياة والانشطة الجماعية والفردية بشكل مستديم ".[1]

ولقد وضع "ابراهام ماسلو" في عام 1943،في نظرية الدافع البشري أو ما يسمى هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية الاحتياج الثاني الاحتياج الأمني بعد الحاجات الفسيولوجية أي أن الأمن الغذائي والجنس أولا ومن ثم الأمن الوقائي والحماية من المخاطر.

لقد شكل مفهوم الأمن جدل كبير بين الباحثين والمفكرين والسياسيين والعسكريين حيث يشكل مفهوم الأمن البقاء بالمعنى المختصر وعلى الرغم من انه يشكل غموض في معناه وشكل حالة من الجدل بين الباحثين ولقد ذهب "

[1] باسكال بونيفاس، صحيفة الاتحاد، نحو مفهوم جديد للأمن العالمي، 3 أكتوبر 2008.

ردني ليبشتز" Ronnie d. lipschutz في قوله:" بوجود ليس فقط صراع حول الأمن بين الأمم بل أيضا صراع حول الأمن بين المفاهيم ".[1]

اثناء الحرب الباردة وحتى بعد انتهائها ومن منطور واقعي اهتم الباحثين والسياسيين بالعلاقات الدولية ولم يهتموا كثيرا بالأمن وقد عرفوه تعريفا ضيقا اقتصر على الأمن العسكري ومحوية امن الدولة والامن الوطني باعتباره التصور الامثل للأمن وهذا في ظل قطبين يحكمان العالم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.

وبالرجوع إلى "كوتيليا"، فقد اتفق معه الكثير فقد أكد "مكيافيلي "على حاجة الحاكم لتبني مقاييس أخلاقية تختلف عن تلك التي يتبناها الفرد العادي، وذلك لضمان امن الدولة وبقائها، في حين يرى "توماس هوبز "على غرار "ميكافيلي" بان " القوة هي عامل حاسم في السلوك الإنساني،فالإنسان يسعى دون هوادة نحو امتلاك المزيد من القوة، ولا يتوقف هذا السعي إلا عند الموت "، أما "هيغل" فيكاد يكون أكثر الفلاسفة السياسيين رفقا لشان وأهمية الدولة، ومع أن الكتابات الواقعية تعكس بعض الآراء القليلة لهيغل، إلا انه يلتقي مع هذه الكتابات من حيث قصره للوظيفة الأساسية للدولة في الحفاظ على ذاتها ".[2]

لقد سيطرت المقاربة الواقعية في فترة الحرب الباردة، وحبها فالأمن يعني قدرة الدولة على الحفاظ على بقائها واستغلالها السياسي ووحدة اقاليمها في ظل نظام دولي يتميز بالفوضى بالنظر لعدم وجود سلطة عليا تستطيع فرض

---

[1] سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية: دراسة في تطور مفهوم الأمن عبر منظورات العلاقات الدولية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، مارس 2010، ص 7

[2] عبد القادر دندن، الاستراتيجية الصينية لأمن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الاقليمي، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2- 2013، ص 32

هيمنتها على جميع الدول وفي هذا الاطار يذهب "فريدريك شومان" في دراسة له في عام 1933م للقول بأنه "في ظل اقتصاد النظام الدولي لحكومة عالمية، فانه من الضروري لكل وحدة في هذا النظام أن تسعى لضمان امنها اعتمادا على قوتها الذاتية، وان تنظر بحذر إلى قوة الدول المجاورة.[1]

لقد ذهب أصحاب المدرسة الواقعية إلى أن قوة الدولة ليس فقط قوة عسكرية فقط بل أنها الكثير من الأشياء، "فالقوة مركبة من أجزاء عسكرية وغير عسكرية، كما تشتمل إلى جانب البعد العسكري على متغيرات أخرى كمستوى التطور التقني، النمو الديمغرافي، المصادر الطبيعية، والعوامل الجغرافية، شكل الحكومة والقيادة السياسية والإيديولوجية "[2]

مما سبق يمكن القول أن محددات تحليل مفهوم الأمن عند انصار النظرية الواقعية الكلاسيكية كالاتي:-

- الدولة هي الفاعل الوحدوي في العلاقات الدولية، وهي الموضوع المرجعي والاساسي للأمن وهي المصدر الأعلى للسلطة الحاكمة
- النظام الدولي هو نظام فوضوي، يفضل عدم وجود سلطة مركزية قادرة على ضبط وتنظيم العلاقات التنافسية بين الدول
- تسعى الدول إلى تطوير قدراتها العسكرية للدفاع عن نفسها، وتوسيع نطاق سيطرتها، أو التأثير على الآخرين وبالتالي فالحرب لا يمكن تفاديها.

---

[1] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظرية المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، الكويت، كاظمية للنشر والتوزيع والترجمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ديسمبر 1995، ص 61

[2] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظرية المتضاربة في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 59

- الطريقة التي توزع بها القدرات العسكرية بين القوى الكبرى، والتوازن بين هذه القوى هو الذي يحدد الاستقرار في النظام الدولي، وبالتالي بنية النظام الدولي هي التي تحدد سلوكيات الدول.
- تتميز بنية النظام الدولي بغياب الثقة بين الدول أو الشك والتوجس، فليس باستطاعة الدول التأكد من نوايا جيرانها وهو ما يود الريبة، ويزيد من احتمال قيام الحرب على الدوام، بمعنى أخر أن العلاقات الاستراتيجية بين الدول مبنية على غياب الثقة لان كل دولة تعمل على تحقيق حد ادنى من القوة، وبالتالي تسعى إلى التسلح كنتيجة لذلك لأنه في ظل مبدأ كل لنفسه يعد الأمن معطى نادرا، وهو ما يفسر نزوع كل دولة إلى الصراع من اجل البقاء.
- استقرار أو عدم استقرار النظام الدولي يتوقف بشكل كبير على بنيته، بمعنى أن ذلك مشروط بتوزيع القدرات خاصة منها العسكرية لا سيما في ظل التوازن بين القوى الكبرى، وهو ما يعبر عن الرغبة في الحفاظ من عدمه على هذه البنية التي تحدد سلوك الدول.[1]

أن أصحاب النظرية الواقعية الكلاسيكية يتفقون في طرحهم على أن مفهوم الأمن لا يتحقق دون بناء قوة عسكرية تستطيع أن تدفع وتدافع عن حدود الدولة ومصالحها من أي عدوان أو مطامع وبامتلاك هذه القوة تستطيع الدولة أن تبحث عن منافع ومصالح لها خارج حدودها حتى لو كانت هذه المصالح في دولة أخرى بمعنى أخر من يمتلك القوة يمتلك كل شيء ان كان له أو لأخرين.

لقد ظهر اتجاه أخر لأصحاب الواقعية الجديدة " بان الدول تعمل وفقا لمبدا الحوافز المادية، وتعكس مواقفها ضمن النظام الدولي،وعليه فالدول تسعى

[1] جويدة حمزاوي، التصور الأمني الأوروبي، نحو بنية أمنية شاملة وهوية استراتيجية في المتوسط، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، 2010- 2011، ص 17- 18

للحفاظ على مكانتها النسبية داخله، فكلما نمت قدرات دولة ما ازدادت مكانتها في تراتبية السلطة وازداد نفوذها وتحدد بنية النظام العالمي عبر هذا التوزيع للقدرات بين الدول....." ويرى والتر أن النظام الدولي يتميز بالفوضى وهو الذي يحدد سلوك الفاعلين فيه (الدول)والذين يحتلون نفس المركز خلافا للأنظمة السياسية الداخلية التي تحملها الهرمية، فكل الدول تمارس الوظائف نفسها أي لا يوجد تقسيم للعمل بسبب غياب ثقة الدولة في الدول الأخرى،ولهذا لا توكل الدولة شؤون امنها للأخرين، وفي هذا الاطار يؤكد الواقعيون الجدد على أن فوضوية النظام الدولي تستدرج وحدات النظام الدولي (الدول) إلى انتهاج سلوك الاعتماد على الذات أو المساعدة الذاتية (self-help) وانطلاقا من رؤية السياسات الدولية حقلا للمساعدة الذاتية، فان الاوتاركية (الاكتفاء الذاتي)سيكون هدفا رئيسيا لكل دولة، والنظام الدولي يحفز كل دولة لتكون قادرة على ادارة شؤونها بنفسها، طالما انه لا يوجد سلطة عليا تتولى هذه الوظيفة.[1]

مما سبق يعطينا مؤشر قوي أن أصحاب الواقعية الجديدة يجعلون من طرحهم صعوبة أن يكون هناك تعاون امني سوى أن كان لها مصالح فهي تكون مرغمة على التعاون الأمني من اجل مصالحها.

لقد تحدث العلامة عبد الرحمن ابن خلدون وترك لنا واحدة من أهم القواعد واوضحها حول مفهوم الأمن،" لدى ابن خلدون اليوم رسالة موجهة لنا جميعا، إذ نعيش في عصر يزداد فيه انعدام الأمن ويشهد فوضى عالمية. لو كان التاريخ شاهدا، وكان ابن خلدون شاهده الرئيسي، فسيخبرنا أن مفتاح رفاهية المجتمع المادية والروحية هو التماسك والتضامن البشر بطبيعتهم " كائنات سياسية " بمعنى انه لا بد لهم أن يعيشوا معا من اجل الحفاظ على ب، وتلبية

[1] توفيق بوستي، المعهد المصري للدراسات، مرجع سابق، ص 7

احتياجاتهم الأساسية، ما يجعل منهم كائنات قابلة للحضارة تسخر الطبائع الحيوانية المدمرة الكامنة في الإنسان عندما يتعلم الناس كيفية التعايش معا ومساعدة بعضهم بعضا، وهذا يتطلب مجموعة من المبادئ الاخلاقية والسياسية التي يراد لها أن تكون متحدة، والاهم من ذلك انه لا توجد حضارة دون أساس ميتافيزيقي. أما من فقدوا تماسكهم الاجتماعي وتضامن المجموع فقد تجاوزهم الاخرون الذين حافظوا على وحدتهم وقوتهم ومرونتهم.[1]

أما أصحاب الليبيرالية البنيوية " فقد اقترن هذا الاتجاه بكتابات كل من مايكل دويل وبروس راست من خلال تأكيدهما على أن التحليل الأمني يجب أن يستند إلى المتغير الديمقراطي، لان انتشار الديمقراطية وترسخها على مستوى الدول وأيضا على مستوى بني النظام الدولي من شانه أن يكرس اطر السلام الدائم التي تفتح المجال أمام مسارات جديدة للسياسة الدولية تكون الصفة التعاونية سمتها الرئيسية، يعكس حالة الصراع الدائم التي صورها الواقعيون أو كما عبر عنها كانط kant بانها حالة الوحشية التي لا تخضع لأي قانون ".[2]

تبرز كتابات ايمانويل كانط كمرجعية فكرية لأصحاب هذا الاتجاه، فكانط في كتابه " مشروع السلام الدائم " لعام 1795، الذي كان مستمدا من عبارة السلام الدائم التي كانت شائعة بين مبدعي مشاريع السلام في القرنين السابع عشر والثامن عشر يحاول أن يبين بان السلام ممكن إذا توفرت بعض الشروط مثل بداية تحول في الوعي الفردي وإقامة جمهورية دستورية ومعاهدة فيدرالية بين الدول لإنهاء الحرب وليس تنظيمها، فقط كما قال بذلك هوغو غروتير hugo Grotius وقد دعى كانط في المادة التعريفية الثالثة لمشروعه

---

[1] ابراهيم كالين، رسالة من ابن خلدون الى العالم الاسلامي، ن بوست، 2016/12/11

[2] خالد معمري، التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد 11 سبتمبر، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2007- 2008، ص 98

بإقامة نوع من التنظيم العالمي بين الدول المتعاهدة، وفعلا تجسدت فكرته في إقامة عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.[1]

أن أصحاب الليبرالية البنيوية يجمعون على أن الدولة الديمقراطية لا تسعى للحروب بل أنها تكون في علاقات جيدة مع جيرانها من الدول الديمقراطية وهذا لا ينفي وجود نزاعات بينها وبين آخرين من الدول الأخرى ولكن الاقتراب الأساسي هو أنها أي الدول الديمقراطية نادرا من تحارب بعضها وهي لا تستخدم الحرب والقوة إلا عندما تستنفذ كل الخيارات السلمية.

وفي هذا الرأي لا بد من أن توضح أن الدول الديمقراطية أو من تدعي الديمقراطية لا تطبق الديمقراطية إلا داخلها ولكن في سياساتها خارج حدودها فهي تعمل لمصالحها على حساب مصالح دول أخرى وخصوصا دول العالم الثالث وعلى وجه التخصيص الدول التي بها ثروات مثل النفط. وهنا لا تستخدم الديمقراطية التي تستخدمها داخل حدودها بل تكون مصلحتها فوق كل الديمقراطيات وحقوق الإنسان وفي هذه الحالات تستخدم الشركات العالمية ولاستخراج هذه الثروات وان تعذر الأمر هناك أكثر من مدخل لتنال هدفها ومصلحتها أما بزج جماعات تعمل على زعزعة الأمن ومن هنا تدخل لمحاربة الإرهاب ومن ثم نهب خيرات هذه الدول التي تصدق أن هذه الدولة الديمقراطية تعمل لصالحها.

---

[1] توفيق بوستي، المعهد المصري للدراسات، مرجع سابق، ص 17

2. مهددات الأمن العالمي: -

أن كلمة مهددات في معاجم اللغة العربية تعني توعد وانذار بالعقوبة، وهذا يدل على أن هناك قوة أو خطر من الممكن أن يؤثر أو ينذر بخطر على مصالح دولة ما.

وأيضا يعرف التهديد (threat) لغة على انه:" من الفعل هدد،يهدد تهديدا وهو ناتج عن الحاق الاذى والضرر " وحسب هذا التعريف يتعلق التهديد بكل ما من شانه أن يعرق عملية بناء الأمن أو يؤدي إلى انقاص الشعور به.

ووفقا لقاموس وستر فالتهديد هو (تصريح أو تعبير عن نية لإيذاء، أو تدمير، أو معاقبة في الانتقام أو الترهيب) وهو كذلك (دليل على الخطر وشيك أو الاذى أو الشر، كالتهديد بالحرب) في السياسة أو الدراسات الأمنية " التهديد " يستخدم كمصطلح سياسي ويوصفه كمفهوم علمي، لا يزال غير معروف في الكثير من قواميس العلوم الاجتماعية.[1]

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والدخول في الحرب الباردة ومع دخول العولمة للعالم التي كان لمبادئها ومعاييرها المالية والاقتصادية المستندة إلى الفلسفة الليبرالية والقائمة على الخصخصة، وتحرير الأسواق من القيود الجمركية، والقاء سياسات الدعم المالي، وتحرير قطاع الخدمات،وتشجيع المنافسة، والاستثمارات الاجنبية المباشرة.....، كان لمبادئها ومعاييرها المالية والاقتصادية تداعيات سلبية على الطبيعة وعلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الدول النامية والدول الرأسمالية على حد سواء.[2]

---

[1] الموسوعة السياسية، صباح باله Sabah Bala , https://pditical-encyclopedia.org/dictiodary/%D8%A7%D9%84

[2] د. جان زيفلر، سادة العالم الجدد، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كتنون أول 2003، ص 100

من ذلك فم تشكل هذه الرؤية الجديدة للدول النامية أي فرص ايجابية تستطيع أن تكون قادرة على أن تستقل اقتصاديا وثقافيا وعسكريا عن الدول التي تسمى بدول الاستعمار وق ما وعد أصحاب نظرية العولمة أو النظام العالمي الجديد في حينه بل أن تم الكشف عكس ذلك، فأدوات العولمة النيوليبرالية المتمثلة بالمؤسسات المالية والتجارية الدولية والشركات المتعددة الجنسية والدول الصناعية، استفادت من التطور التقني لتحقيق مصالحها المادية المرتكزة على الربح السريع،متخطية الحقوق الاجتماعية للإنسانية وطرحت مضامين جديدة للأمن البشري.[1]

أن اردنا أن نعرف مهددات الأمن العالمي فهي تتحدد وبالفرد (الإنسان) بمعنى الإنسان هو ابن بيئته أي أن الإنسان أن كان يعيش في ظل مجتمع يصادر الكثير من حقوقه كانسان ومواطن أصبح أن المجتمع بشكل كامل مهدد في جميع مجالاته الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والبيئية والصحية.....، ام أن كان العكس فهو يكون معول بناء في مجتمعه ولا يوجد خطر سوى الخطر الخارجي لذلك قبل أن ننتقل في تشخيص المهددات الأمنية العالمية علينا أن نقول لتلك الدول التي تحكم العالم أن الحظر الخارجي هو نتاج مخططات خاطئة كنتم تفكرون أنها لا تؤثر عليكم فأصبحت تؤثر على العالم باسره

[1] الياس ابو جودة، مفهوم الأمن البشري في ظل التهديدات العالمية الجديدة، دراسات عليا في العلاقات الدبلوماسية، الجامعة اللبنانية، العدد 74، تشرين الأول 2010

أن التهديدات الأمنية العالمية كثيرة وسوف نتحدث هنا عن بعضها والتي هي من وجهة نظر الكثيرين هي الاهم لدى الجميع

- **المهددات الاقتصادية:**

تواجه البشرية اليوم تحديا كبيرا، يتمثل في كيفية استخدام النظم السياسية الحالية، لعملية ادارة العلاقات الصعبة والمعقدة ما بين الاقتصاد العالمي، وتامين الأمن الاقتصادي داخل الدول، واذا لم تتم عملية المواءمة ما بين اقتصاد عالمي مستدام، وامن اقتصادي إنساني فردي، فلن يكون لأي منا المستقبل الذي يتمناه.

أن العولمة الاقتصادية والمالية بشكل عام، في ظل استراتيجية الشركات المتعددة الجنسية ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وسياستها جعلت اقتصاد العالم وبخاصة الفقيرة منها، اقل استقرارا من خلال التحرر المالي، والتجاري، والاستثمارات الاجنبية المباشرة، والسياسات الاصلاحية لمعالجة المديونية. لقد ادت قواعد التجارة الدولية المتمثلة بشكل رئيسي بفتح الحدود وتحرير القطاعات الصناعية والخدماتية والزراعية، أمام تدفق السلع والخدمات والافكار من دون قيود جمركية، إلى الأضرار واحداث الاضطراب في الصناعات المحلية والمؤسسات التجارية للدول النامية، لان قطاعاتها ومنتجاتها الوطنية في إطار السوق المفتوحة، غالبا ما تتصف بحجم صغير ومتوسط، ما لا يسمح لها بالمنافسة الكونية مع الصناعات الاجنبية للدول الصناعية المتطورة، أو مواجهة الاستيراد والمنتجات الرخيصة وفق المعايير الدولية، وبالطبع هذا الوضع سيهدد الوظائف وسبل عيش الناس المحليين.[1]

[1] الياس ابو جودة، مفهوم الأمن البشري في ظل التهديدات العالمية الجديدة، مرجع سابق

في ظل ما سبق تصبح الظروف الاقتصادية للدول النامية في ظل مجابهة ومنافسة الدول الصناعية والتجارية الكبرى ضعيف ويخدر وهذا ينتج بطالة اكبر وعدم اقبال على المنتجات المحلية من الجمهور وهنا يستحضرنا النظام الاشتراكي للدول الاشتراكية والشيوعية فهذه الدول صاحبة النظام الاشتراكي أو الشيوعي كانت تعتمد في الغالب على منتجاتها ولا تستورد سلع يكون لها بديل داخل الدولة والعامل هو أساس الاقتصاد في الدولة والنظام الاقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الانتاج والادارة التعاونية للاقتصاد.

أما بالنسبة إلى استراتيجية الشركات القائمة على التحالفات والانصهار والاستهلاك عبر الوطني، من خلال الشراكة والاندماج بين الشركات العملاقة في ميدان البحث العلمي والتطوير والتكنولوجيا، ونقل فروع الانتاج، فلقد ادت إلى احتكار السوق العالمية والتمركز وعزل دور الدولة تدريجيا في التنظيم الاقتصادي والتنمية، ولكنها يمكن أن تسبب صعوبات اقتصادية خطيرة من شانها أن تنعكس سلبا على امنيات التنمية المرتقبة على المدى الطويل وانطلاقا من ذلك، لا يمكن اعتبار الاستثمارات المباشرة الاجنبية كافة مساعدة على التنمية، إذ يمكن أن يكون بعض أنواع الاستثمار غير مفيد ويمكن أن يخفي سياسة معينة في طياته من اجل تحقيق مصالح اقتصادية على حساب الاقتصاد الوطني، والدليل على ذلك، أن نظام الاستثمار العالمي قد سلب حق الدولة في الانتقاء من بين المشاريع الاستثمارية وتنظيمها طبقا لأهدافها واولوياتها القومية وبخاصة في قطاع الانتاج الصناعي الموجه نحو التصدير، ما اعاق التنمية وعرض الاستقرار الاقتصادي للخطر، كما أدى تطبيق سياسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الاصلاحية، المتمثلة في خطط التقشف المالي، وفتح الحدود، وعمليات الخصخصة في أكثر من سبعين دولة في العالم الثالث واوروبا الشرقية، إلى فقدان هذه الدول سيادتها الاقتصادية والرقابية والضريبية والمالية،وزعزعة نظمها الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال تزايد

الركود الاقتصادي والفقر والعجز والبطالة والتضخم والتفاوت في توزيع الدخل، وكان من نتيجة سياسة تحرير الأسواق المالية والنقدية التخلي عن معظم الضوابط المحلية والتقليدية التي كانت تسير العمل المصرفي والنظم النقدية لعهود طويلة، وبروز كتل نقدية ضخمة بمليارات الدولارات توفرها البنوك وشركات التامين وصناديق الاستثمار الدولية وصناديق التامين والمعاشات غير الخاضعة للسلطة النقدية المحلية، وقد استخدمت في المضاربات بالعملات والاوراق المالية من اجل الربح السريع، وادت إلى ازمات مالية واقتصادية في الدول النامية والناشئة حيث عجزت السلطات النقدية المحلية (البنوك المركزية) عن الدفاع عن اسعار الصرف واسعار الفائدة واسعار الاوراق المالية في البورصات.[1]

مما سبق إذا عكسنا المهددات الاقتصادية على الفرد الذي هو أساس المجتمع فلا بد أن نوضح كيف يتاثر الفرد من هذه المهددات، فعلى المستوى الفردي، يمكن توسيع مفهوم الأمن الاقتصادي للمواطن ليشمل تدابير الحماية والضمان التي تؤهل الإنسان للحصول على احتياجاته الأساسية من المأكل والمسكن والملبس والعلاج والتعليم، وضمان الحد الادنى لمستوى المعيشة، وقد حاولت الأمم المتحدة أن تجد معنى جامعا يفسر هذا المفهوم فتوصلت إلى الاتي:

الأمن الاقتصادي هو أن يملك المرء الوسائل المادية التي يمكنه من أن يحيا حياة مستقرة ومشيقة، وبالنسبة لكثيرين يتمثل الأمن الاقتصادي ببساطة في امتلاك ما يكفي من النقود لإشباع حاجاتهم الأساسية، كالغذاء والمأوى اللائق والرعاية الصحية الأساسية، والتعليم،أن تحقيق الأمن الاقتصادي يتطلب تامين دخل ثابت للفرد عبر عمله المنتج والمدفوع الاجر أو عبر شبكة

[1] الياس ابو جودة، مفهوم الأمن البشري في ظل التهديدات العالمية الجديدة، مرجع سابق

مالية عامة وامنة، وبهذا المعنى فان ربع سكان العالم فقط هم ضمن هذه الفئة، واذ تبدو مشاكل الأمن الاقتصادي أكثر جدية وخطرا في الدول النامية،فان الدول المتطورة كذلك، تشكو من مشاكل البطالة التي تشكل عاملا مهما في تيسير التوتر السياسي والعنف الاثني[1]

نرى أن المهددات الاقتصادية تؤثر بشكل كبير في تدمير النظم والحكومات فهي تضرب اساس المجتمع (الدولة) في راس مالها إلا وهو الإنسان (المواطن) فان فقد الفرد عطائه ومقومات صموده كيف يكون منتج وبالتالي تظهر الامراض الاجتماعية مثل التسول والسرقة وفقدان الانتماء والتفكك الأسري،..... ويصبح النظام غير قادر على النهوض وليس لديه المقدرة على وضع خطط علاجية تعمل على النهوض بالمجتمع وان كان لديه خطط تحتاج لسنوات لتعالج ما تم تدميره وتصبح الأرض خصبة لكل طامع في ثرواتها ويتم سلب تلك الثروات تحت ذرائع عده منها التنمية والخبرة والتنقيب والبحث والتطوير العلمي والاقتصادي عبر جهات كثيرة مثل الشركات متعددة الجنسيات والبنك الدولي وقروضه والأمم المتحدة وبعثاتها ومؤسسات المجتمع المدني، وغيرها الكثير.

- **المهددات التكنولوجية:**

في ظل التطور التكنولوجي في العالم وخاصة في الدول المتقدمة والتي لا تستطيع الدول النامية أن تجاريها وذلك بسبب ظروفها الاقتصادية والثقافية وعدم الاهتمام بالبحث العلمي، وخاصة في مجالات مهمة في التطور التكنولوجي والإعلام والمعلومات والاتصالات والدفاع العسكري والثقافة ودون ذلك لا تقدر أي دولة أن تواكب الاختراع والابتكار والابداع والمعرفة

[1] احمد علو، الأمن الاقتصادي ودورة في توجيه السياسات والاستراتيجيات، مجلة الجيش اللبناني، العدد 392، شباط 2018

التي هي أساس الثروة والنفوذ والاسلحة الرئيسية للريادة الاقتصادية، واصبح التقدم الحاصل لا يقاس بحجم الصادرات والواردات بقد ما يقاس بالقدرة على ملاحقة التطور التقني وثورة المعلومات والاتصالات، وهو الأمر الذي أدى إلى فرض تحديات متزايدة على الدول النامية والمتقدمة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت تطرح تساؤلات وشكوك حول ايجابية كل تطور تقني منذ العقود الأخيرة من القرن العشرين، بدأت الدول النامية تدرك أهمية التكنولوجيا كأداة تنموية، وبخاصة التكنولوجيات الجديدة في مجال المعلومات والاتصالات التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من الاقتصاد الجديد، ولكن الفجوة الرقمية أصبحت تعكس وتفرض التقدم الحاصل في دول الشمال وتزيد من تخلف دول الجنوب وتهميشا.[1]

وقد اشارت عدة تقارير امية منها تقرير الامين العام للأمم المتحدة في الجمعية العامة أن هناك فرق واختلاف بين الدول المتقدمة والدول النامية في التطور التكنولوجي وخاصة في مجالات الاتصالات والبرمجيات والكمبيوتر والاقمار الصناعية والترددات الخاصة بالأقمار الصناعية والاتصالات والفضائيات والاعلام حيث تشير التقارير أن هناك بعض الدول خاصة في قارة افريقيا نفص كبير في التغطية للأنترنت والاتصالات بحيث أن لديهم سبع وصلات انترنت لكل مليون شخص، وجنوب اسيا التي يمثل سكانها 23% من سكان العالم لا تتجاوز نسبة مستعملي الانترنت 1%.[2]

وفي ظل المعطيات القائمة، ومع انتشار عدوى التطورات السريعة في مجال (التكنولوجيا الحيوية – الروبوتات – وتكنولوجيا الانترنت) وبالرغم مما أوجدته هذه التقنيات من فرص غير مسبوقة للنمو الاقتصادي والتقدم في مجالات عديدة منها الرعاية الصحية، بيد أن تلك التطورات قد زادت من

---

[1] الياس ابو جودة، مفهوم الأمن البشري في ظل التهديدات العالمية الجديدة، مرجع سابق

[2] تقرير الامين العام للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة، الدورة 56، نيويورك 2002، ص 27 - 28

ضعف الدول لصالح الافراد والجماعات والتنظيمات الارهابية، وهو ما يعني زيادة مخاطر مستقبل العنف في العالم خلال السنوات المقبلة بأدوات واليات مستحدثة لم يشهدها المجتمع الدولي من قبل خلال العقود الماضية، فعلى سبيل المثال، انتشرت الاجهزة المحمولة المتصلة بالأنترنت والتي ساعدت على تمكين الافراد من انجاز مهام واعمال كثيرة، غير أن ذلك اوجد فضاء سيبرانيا يمكن من خلاله استغلال الافراد وابتزازهم وسرقتهم والهجوم عليهم، وفي هذا الاطار، يظل مستقبل العنف مرهونا بشكل كبير بالهجمات الارهابية، حيث أن هذه الهجمات تتسم بأنها عابرة للحدود وقادرة على إحداث اضرار بالغة من قبل جماعات في مواجهة الدول، وهو ما يخلق إشكالية مرتبطة بالحرية والخصوصية.[1]

ويتسع نطاق التهديدات الالكترونية الخاصة بالأنترنت والاتصالات ليصل إلى الحرمان من الخدمة بحيث تعمل جماعات الإرهاب الالكتروني أن كانت جماعات أو أنظمة دول على الهجوم الذي يهدف إلى ايقاف قدرة الهدف على تقديم الخدمات المعتادة أو المفترض تقديمها، وذلك عن طريق اغراق جهاز الحاسب الالي المقدم للخدمة server بكم كبير من الاوامر تؤدي إلى توقفه عن العمل وتقديم الخدمة لمستخدميها، أو الحد من قدرته على العمل بصورة طبيعية نتيجة لهذا الكم من الاوامر، وقد ينتج عن هذه الهجمات أيضا ايقاف الاتصال ما بين جهازين الكترونين أو منع شخص معين أو نظام معين من الوصول إلى الخدمة، وكثيرا ما تستخدم هجمات الحرمان من الخدمة كجزء من هجمات الكترونية اكبر وأكثر تعقدا ويتسع نطاق الاستخدامات الهجومية لهذه الالية الالكترونية وانتشارها على المستوى الدولي، حيث باتت احد ابرز التهديدات الالكترونية القادرة على شل حركة

[1] احمد عبد العليم، تهديدات غير تقليدية: مستقبل العنف في ظل التطورات التكنولوجية، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 24 نوفمبر 2015

الانظمة الالكترونية وتعطيل مصالح الدول والحكومات وحتى الافراد والشركات والبنوك وغيرها من المؤسسات.[1]

- **المهددات الهجينة: -**

أن التماثل في الحروب هو أن يكون استخدام القوة في النزاعات والحروب بنفس الادوات، أي جيوش مقابل جيوش وهي الحرب التقليدية ويستخدم بها القوة العسكرية بجانب المعلومات والتكنولوجيا المستخدمة حديثا ويكون هناك محددات لا يمكن تجاوزها وان تم تجاوزها تحاسب الأطراف التي تجاوزتها دوليا وفق القوانين واللوائح المتفق عليها دوليا مثل تقديم قضايا للمحكمة الجنائية الدولية ضد مرتكبين هذه التجاوزات ويقدمون كمجرمين حرب، ولكن في حالة الحروب الهجينة أو المهددات الهجينة يدخل إضافة للقوة العسكرية استخدام اساليب غير متوازنة بمعنى رفض قواعد القتال المفروضة دوليا،وهذا لا يصدر عن جيوش نظامية بل يستخدم به جماعات ارهابية أو جماعات مرتزقة، وباستخدام هذه الجماعات تكون العمليات غير متوقعة وغير معهودة، كاستخدام المدنيين أو وسائل النقل المدنية مثل الطائرات أو القطارات أو مراكز تجارية مثل إحداث 11 سبتمبر وهجمات داعش والجماعات الارهابية الأخرى على المدنيين أيضا ممارسات الدول المحتلة بحق المدنيين مثل ممارسات الكيان الإسرائيلي بحق المدنيين الفلسطينيين اثناء العدوان على قطاع غزة الفلسطيني عام 2008،2012،2014 عندما تم قصف ابراج سكنية وسيارات مدنية ومدارس ومستشفيات هذا يدخل ضمن نطاق المهددات والحروب الهجينة وهذا يجعل وسائل الدفاع المتاحة غير مناسبة للرد على هذه الهجمات وذلك بسبب وقوعها في مناطق مدنية.

---

[1] نوران شفيق، أشكال التهديدات الالكترونية ومصادرها، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، 29 يناير 2020، دراسات مكافحة الإرهاب.

لقد ظهر مفهوم التهديدات الهجينة في بعض دراسات ونقاشات مراكز بحث اميركية في العقد الماضي، ويتعلق المر بتهديدات تمزج فيها فواعل غير دولية مثل الحرب التقليدية والجريمة المنظمة والارهاب والاعمال التخريبية والانقلابات السياسية والاجتماعية، وتتطور التهديدات الهجينة بالأساس في الأقاليم التي لم تعد خاضعة لسيطرة الدولة،لكنه لحكم طبيعتها العابرة للأوطان، في الأغلب، قد تضرب في مناطق مختلفة وبعيدة، خصوصا أن الحدود لم تعد حاجزا يقي الدول من التهديدات، ومن منظور التقنيات والاستراتيجيات القتالية، تعتبر العمليات الهجينة بحد ذاتها نمطا قتاليا تقليدية، واستراتيجية إعلامية قوية جدا، لا سيما عبر الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، وتعرف الجماعات التي تعتمد تقنيات هجينة بتحكمها الكبير في تكنولوجيا الاتصال التي توظفها لتحقيق ماربها، كما يدل على ذلك مثال داعش وفروعه اليوم، والقاعدة بالأمس القريب.[1]

لقد دخل مفهوم التهديدات الهجينة القاموس الاستراتيجي الغربي، وتبناه حلف الناتو بداية من 2010، بقصد انتاج استراتيجية فعالة، تستجيب وطبيعة هذه التهديدات، حيث قامت قيادة الحلف المكلفة بتطويره بإطلاق " مشروع مكافحة التهديدات الهجينة"، ولكنه لم يدرج هذه الأخيرة في مفهومه الاستراتيجي – الوثيقة الأساسية للحلف – في نسخته الجديدة التي صادقت عليها في القمة الاطلسية المنعقدة في لشبونة في 2010، بيد أن "الناتو" تدارك الأمر، وادراج هذا المفهوم (التهديدات الهجينة) في قاموسه السياسي وفي مدركاته للتهديد، حيث خصص فقرة كاملة من البيان الختامي لقمته اخيرا في نيوبورت للتهديدات الهجينة.[2]

---

[1] عبد النور بن عنتر، تهديدات هجينة، العربي الجديد، 2014/10/4

[2] عبد النور بن عنتر، تهديدات هجينة، مرجع سابق

- **المهددات الأمنية:**

أن العلاقة بين مفهومي الأمن والتهديد يشكل لنا مفهوم "التهديد الأمني"، فهناك علاقة تأثير متبادل بحيث عند تفسير مفهوم الأمن لا بد من تحديد مصادر التهديد اثناء الشعور " بالخطر الأمني"، وهذا ما يستدعي الحاجة إلى اجراءات تهدف إلى تحقيق الأمن وتكون متوافقة مع المخاطر الأمنية أو التهديدات الأمنية الفعلية أو المحتملة، وعليه هناك العديد من المفاهيم المشابهة للتهديدات الأمنية والمتمثل في:

1- الخطر:

يرى "الريتش بيك" في كتابه "مجتمع الاخطار"، أن الخطر: عبارة عن ضرر يهدد امن الافراد والبيئة والجماعات البشرية، ولكنه يوشك أن يحدث أو حدث فعلا ويمكن احتواءه أن لم يتفاقم، كما يعتبر الريتش بيك أن الاخطار استفحلت وتنوعت مع التطور التكنولوجي والعلمي وتزايدت تأثيرات العولمة وأصبحت تتميز بسرعة الانتشار من منطقة إلى أخرى.

كما انه هناك علاقة بين مفهوم التهديد ومفهوم الخطر، وتكمن اوجه التشابه بين المفهومين في اعتبار كل منهما بشكل انعدام الأمن بينهما فيكمن في اعتبار ام الخطر معلوم المصدر ويمكن التنبؤ بتوقيت وقوعه (وان كان ذلك بدرجة نسبية)، بينما يكون التهديد مجهول المصدر وتوقيت الوقوع، مما يعقد من إمكانية التصدي له.[1]

2- التحدي:

اشتقت كلمة "تحدي" من الناحية اللغوية من اللفظ "التحدي"، حيث يقال في اللغة العربية:" فلان تحدى فلان حول شئ معين أي طالب مباراته في

[1] الموسوعة السياسية، التهديدات الأمنية، https://political-encyclopedia.org/dictionary/%8%A7%D9

هذا الشي ويقابل لفظ التحدي في اللغة الانجليزية كلمة "challenge" وتشير القواميس الانجليزية البريطانية إلى عدة معاني التحدي، فهو يعبر على شيء صعب يجب اختياره ويحتاج إلى القوة والمهارة وهو أيضا دعوة للمنافسة والمواجهة كان يقترح شخص مبارزة أخر وما إلى ذلك (.....)، كما يمكن التفرقة بين التحدي والتهديد من خلال نطاق كل منهما، فالصورة التي يتخذها التحدي تدخل ضمن نطاق الأمن الناعم، أما التهديد يدخل في نطاق الأمن الصلب، أي الفرق بين الاثنين يكمن في أن التهديد يكون مباشرة باستخدام القوة العسكرية أو التهديد بها، ويكون تأثيره مباشرا في الأمن، أما التحدي فانه يؤدي على المدى المتوسط أو البعيد إلى اضرار مباشرة على الأمن القومي، ومنه نستخلص أن هناك عوامل مؤثرة في تحديد التهديدات الأمنية التي تواجه الأمن:

1- طبيعة التهديد: ويقصد به نوعه أو ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية
2- مكان التهديد: اتجاهاته ومدى قربه أو بعده الجغرافي سواء مباشر أو غير مباشر، ومدى انتشاره على عدة دول أو دولة معينة
3- زمان التهديد: تأثيره الحالي أو المستقبلي ومدى استمراريته وهل هو ثابت أو متغير
4- درجة التهديد: ونقصد بها قوته وخطورته
5- تعبئة الموارد: ترتبط بحجم وخطورة التهديد ومدى كثافته، لا بد من تعبئة الموارد والجهود للحد من تأثيره كما حدد "باري بوزان" تحليلا قطاعيا للتهديدات الأمنية.[1]

- **انواع التهديدات الأمنية:**[1]

[1] الموسوعة السياسية، التهديدات الأمنية، مرجع سابق

أن أنواع التهديدات الأمنية تختلف وتتنوع بحسب أسباب التهديد فمن الممكن أن تكون أسباب جغرافية أو ثروات تكون محط مطامع أو وباء ينتقل أو تهديدات داخلية مثل جماعات ارهابية أو جماعات معارضة للنظام الحاكم، وفيما يلي ابرز أنواع التهديدات الأمنية

1- التهديدات الفعلية:

وتمثل التهديدات الالتي تتعرض فيها الدولة لحظر استخدام القوة العسكرية أو التهديد باستخدامها

2- التهديدات المحتملة:

وتعني وجود أسباب فعلية يمكن أن تعرض سلامة الدولة للخطر إلا أنها لا تصل لمرحلة استخدام القوة العسكرية لحل النزاع

3- التهديدات الكامنة:

وهي وجود أسباب فعلية للخلاف بين دولتين أو أكثر إلا أنها لا تكون ظاهرة

4- التهديدات المتصورة:

وهي التي لا تكون ظاهرة.

---

[1] الموسوعة السياسية، التهديدات الأمنية، مرجع سابق

- **المهددات الاجتماعية :-**

طرحت مدرسة كوبنهاجن للأمن اشكالا جديدة من الاخطار التي قد تواجه الدول، فدراسات الأمن النقدي وسعت مفهومها للأمن، ومن ابرز التحولات ضمن هذا المنظور الانتقال من امن الدولة إلى بقاء الافراد والشعوب بسبب تراجع قدرة الدولة على مواجهة تحديات العولمة المخترقة للأمن القومي، والتي تمس الأمن الهوياتي خاصة في المجتمعات التعددية، فيصبح التهديد الاخطر للأمن المجتمعي ما تقوم به بعض المجتمعات التقليدية من صدامات اثنية يصبح فيها الافراد الهدف الرئيسي للعنف الطائفي في إطار سعيهم للتنافس على الموارد، ووجود صعوبات اقتصادية واخفاق الدولة في أن تكون بمثابة إطار الانتماء الاثني، فالأمن القومي مرتبط بالسيادة وبقاء النظام، أما الأمن الاجتماعي يخص البقاء الهوياتي والترابط الاجتماعي واعتبرت المدرسة أن التهديدات العالمية الاخطر هي تلك التهديدات التي تعد عابرة للحدود، والتي لا تحمل طابعا عسكريا مباشرا، ويكون وراؤها فواعل غير رسمية.[1]

أن التهديدات الاجتماعية أو المجتمعية تتعدد كما أسلفنا ولكن الاخطر هو ما نطلق عليه الدخول في حالة من الاغتراب والاغتراب متعدد فمنه الاغتراب النفسي والمجتمعي والاسرى والثقافي والديني، وهذا الاغتراب من الامراض الاجتماعية التي تهدد امن المجتمع فقد ينتج عن الشعور بأي نوع من أنواع الاغتراب فواعل تؤثر على المجتمع وامنه فمثلا ربما يشعر احد باغتراب مجتمعي لتصل به الدرجة إلى كره المجتمع وكل ما حوله ويتحول إلى عدو لهذا المجتمع ليصبح ارهابيا.

[1] نون بوست، بوعلام برزيق، المأزق الأمني المجتمعي وهواجس التفكك، 2017/9/18

أن ابرز التحديات التي تهدد الأمن المجتمعي بفعل جملة من الظواهر السياسية كالعولمة والتهديدات اللا تماثلية العابرة للقوميات وتصاعد النزاعات الداخلية المسلحة بين الجماعات الاثنية، فترى المجتمعات هوياتها مهددة من طرف هذه الظواهر ومنه اضحى المجتمع " الموضوع المرجعي للأمن " والاداة الأساسية لتحليه وما الدولة إلا وسيلة لتحقيق وتوفير الأمن، فلم تعد الطرف الوحيد المهدد، ولكن أيضا في بعض الاحيان مصدر التهديد، خاصة مع التغير الحاصل في طبيعة الحروب، من حروب خارجية إلى حروب داخلية تقع داخل الدولة، والصراعات الاثنية والعرقية والقبلية بين مختلف اطياف المجتمع أساس الحروب الاهلية، فيبذأ أطراف الصراع بتداول خطابات الخطر وزيادة مستويات الاستقطاب مما يفتح المجال أمام تفجر العنف، فالفوضى تعني بالأساس غياب المأسسة.[1]

- **التهديد الصحي والاوبئة العابرة للقارات**

لقد شهد العالم منذ القدم انتشار العديد من الامراض والفيروسات والاوبئة المتفشية، التي كان نتيجة لها ضحايا بالملايين، ومن هذه الامراض والفيروسات الانفلونزا والسل والطاعون والملاريا والحصبة والسارس وانفلونزا الطيور والخنازير وجنون البقر واخرها كورونا

في عام 1918 تسبب وباء الانفلونزا الاسبانية في اصابة حوالي 500 مليون شخص على مستوى العالم (ثلث سكان العالم في ذلك الوقت)، وتسبب في وفاة ما بين 20 مليون إلى 50 مليون ضحية. كما تسبب تفشي فيروس ايبولا في ليبيريا وغينيا وسيراليون بين عامي 2014 و 2015 م في اصابة 28 ألف شخص، قتل منهم أكثر من 11 ألف شخص، وكشف تقرير لمجلس رصد الاستعداد للأوبئة الدولي التابع لمنظمة الصحة العالمية في سبتمبر 2019 أن

[1] نون بوست، بوعلام برزيق، مرجع سابق

معظم دول العالم غير مهيأة ومستعدة للتعامل الامثل مع هذه النوعية من الامراض والاوبئة، وان حدوث وباء جديد قد يؤدي إلى وفاة 80 مليونا حول العالم في فترة وجيزة، إضافة إلى حدوث دمار اقتصادي هائل. وحث التقرير حكومات العالم على اتخاذ مبادرات عاجلة للاستعداد للطوارئ الصحية، والالتزام بقانون الصحة والذي يتضمن مجموعة من (2005 ihr) الدولية الإجراءات من شانها الحيلولة دون انتشار المرض على الصعيد الدولي والحماية منه ومكافحته ومواجهته، من خلال اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة التي من شانها حفظ الأمن الصحي الوطني والدولي، وطالب مجلس رصد الاستعداد للأوبئة الدولي الدول الأعضاء بالعمل على وضع الأولوية للإنفاق على برامج مراقبة الاوبئة والمخاطر، وتدعيم الأمن الدولي والتنمية (7g) المستدامة، كما اوصى اعضاء مجموعة السبع (77g) ومجموعة ال77 (20g) ومجموعة العشرين بدعم ما من شانه تحقيق أهداف الأمن الصحي الدولي ومتابعة ذلك من خلال التقارير السنوية.[1]

أن التهديد العابر للقارات ليس فقط مرضى أو وباء أو فيروسات، فهناك العديد من المهددات التي تسبب الاوبئة وتهدد الصحة والامن العالمي ومن هذه التهديدات:

1- التهديد البيئي
2- التباين الاقتصادي
3- الهجرة الدولية
4- التطرف والارهاب

وسوف نتناول هذه المهددات بشيء من التفصيل.

[1] داليا السيد احمد، لماذا تشكل الفيروسات العابرة للحدود تهديدا للأمن والسلم الدولي، درع الوطن، عسكرية واستراتيجية، 2020/3/1

- **التهديد البيئي:**

يرتبط مفهوم التهديد البيئي بالأمن، حيث انه يخرج لنه مفهوم جديد هو الأمن البيئي وهذا المفهوم مستحدث من قبل الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الاسكندنافية، وقد تم ربط الأمن البيئي بالأمن العالمي ولكن حتى ألان لم يتفق الدول على مفهوم واحد موحد حول التهديدات البيئية والمفهوم الجديد الأمن البيئي ولكن في ظل اشتراك بقعة جغرافية يشترك بها مجموعة من الدول والمجتمعات وتواجه هذه البقعة مشكلة بيئية يشترط أن تشترك هذه الدول في مكافحة هذه المشكلة دون تأخر من أي طرف " ما يميز الأمن الدولي هو كونه يتحقق في إطار جماعي دولي، كذلك البيئة التي تشكل هذا الاطار لا يمكن المحافظة عليها إلا في إطار جماعي يشمل كافة الأطراف التي تعيش في داخل هذا الاطار وبدون هذا الجهد الجماعي لا يمكن أن يتحقق الأمن البيئي الذى يوفر الاطار المناسب المشجع لتحقيق الأمن الدولي أو اعلى درجة ممكنة من الأمن الدولي، فتحقيق الأمن الدولي بصورته المطلقة حالة مثالية يصعب تحقيقها في إطار عالمي يمتاز بتضارب الاولويات وتقاطع المصالح".[1]

لقد شهد العالم على مر العصور انتشارا واسعا للكثير من المهددات البيئية منها الاوبئة والفيضانات والزلازل والحروب والنزاعات والامراض والاحتباس الحراري وثقب في طبقة الاوزون والاشعاعات المسببة للأمراض بسبب نفايات التجارب النووية والكيماوية واخر هذه المهددات فايروس كورونا المستجد الذي ضرب العالم وحتى اللحظة لم يجد له مصل أو علاج، ومما سبق كان لزاما على المجتمع الدولي ودول العالم في ظل هذا الواقع الخطير

[1] الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، التهديدات البيئية ومنطق الأمن الاقليمي والدولي، 2019/7/3

وعدم قدرة أي دولة منفردة مجابهة هذا التهديد كان لزاما التوحد حول مفاهيم تجمع الجميع للوقوف في وجه هذا التهديد لوضع حلول كهذه المسائل الدولية.

لقد اخذ مفهوم البيئة أهمية في التشريعات الدولية فقد " عقد مؤتمر للأمم المتحدة للبيئة البشرية المنعقد بستوكهولم سنة 1972 تحت شعار نحن لا نملك إلا كرة ارضية واحدة "only one earth " بان البيئة هي عبارة عن جملة من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته " و "عرفها برنامج الأمم المتحدة للبيئة unep بانها مجموعة من الموارد الطبيعية والاجتماعية المتاحة في وقت معين من اجل اشباع الحاجات الإنسانية ".[1]

لقد عمل المجتمع الدولي ودول العالم على وضع اتفاقيات تعمل لحماية البيئة والحفاظ على مقدراتها " إذ هناك ما يزيد عن (250) عمل قانوني في مجال القانون الدولي للبيئة،ما بين معاهدات واتفاقيات، اعلانات واحكام دولية، وتتنوع الاتفاقيات الدولية بتنوع المجالات البيئية سواء برية وبحرية أو جوية".[2]

أن التهديد البيئي له عدة أسباب فمنها نفاذ الموارد الطبيعية، والمائية وتلوث الهواء والماء وانتشار الاوبئة والامراض، وهذا كله له عدة فواعل اولها الإنسان فقد يكون الإنسان أهم سببا في هذه التهديدات فقد يكون الإنسان هو الدولة التي تلوث المياه بالنفط أو بالتخلص من النفايات بالبحار والانهار واما بدفنها في أراضي قريبة من السكان وربما تكون هذه النفايات مخلفات كيميائية أو نووية لتسبب بانتشار الامراض والقضاء على الثروات الطبيعية مثل الاسماك والاشجار والحيوان،..... ومن الممكن أن يكون الإنسان نقل

---

[1] سميرة بوطوطن، دور المنظمات الدولية في حماية البيئة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهدي، ام البواقي، الجزائر، 2019، ص 12

[2] سميرة بوطوطن، دور المنظمات الدولية في حماية البيئة، مرجع سابق، ص 16

فايروس أو مرض أو وباء معين مثل فايروس كورونا المستجد وجعل العالم كله مشلول الحركة اجتماعيا واقتصاديا وطبيا، وهناك تهديدات طبيعية مثل الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات وحرائق الغابات الناتج عن ارتفاع درجات الحرارة كل ذلك وأكثر يتسبب بتهديد البيئة وهذا كله يعود على الإنسان بالضرر والخطر على حياته ومقدراته.

•التباين الاقتصادي :-

يدل مفهوم تباين في الاقتصاد إلى الفرق بين سعر الطلب وسعر العرض للسلعة، ولتوضيح المعني أكثر نقول " تباين الصديقان: أي افترقا، تهاجرا، تقاطعا، تباعدا، تباينا وسار كل منهما في اتجاه مستق، تباين ما بينهما أي تفارقا وتهاجرا.[1]

ومن هذا التعريف المختصر نرى أن هناك تفاوت اقتصادي بمعنى التباين بين الناس (افراد) في دخلهم وممتلكاتهم، وهذا التباين يكن كبير وهائل " تشير احدث احصائيات فوريس إلى وجود 2095 ملياردير في العالم بتاريخ 18 مارس 2020، بعد سقوط 226 اسم خلال 12 يوما من القائمة بسبب فوضى السوق الناجمة عن جائحة كوفيد – 19"، " أن هذه الفروق وغيرها مما نراه في حياتنا اليومية، حيث يعيش المشردون في الخيام على بعد كيلومترات قليلة من الإحياء السكنية الفاخرة، تطرح التساؤلات حول التفاوت الاقتصادي، ما هو ؟ وكيف حدث؟ وهل هو المسار الطبيعي للحياة ام أن خللا ما يوجد في النظام ؟ وهل يجب التوجه نحو المساواة وتقليص هذه الفوارق، بزيادة الضرائب على الدخل المرتفع مثلما فعلت السويد مثلا ؟

---

[1] الانطولوجيا العربية، ohtology.birzeit.edu

وهل ستزيد الجائحة الأمر سوءا ؟ في الحقيقة لا نملك جميع الاجابات، لان أسباب التفاوت الاقتصادي متعددة، ولا يوجد إلى ألان اجماع في الرأي حول ما يلزم فعله تجاهها ".[1]

أن التهديدات الصحية الناتجة عن الاوبئة والامراض العالمية تترك بصمات على كل مناحي ومجالات الحياة أن كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، فعبر التسلسل التاريخي نجد أن الاوبئة مثل الطاعون والانفلونزا الاسبانية والسل اثر بشكل مباشر على مناحي الحياة بجميع تفرعاتها،فدول بأكملها شلت واغلقت حدود، كما تباطأت الاقتصادات العالمية والمدارس اقفلت ابوابها واصبح هناك تباعد اجتماعي واننا نرى هذا جليا في ايامنا هذه فمع تفشي فايروس كورونا المستجد شاهد الجميع التباين الاقتصادي والتراجع في الكثير من الصادرات والواردات وهذا اثر على اقتصاديات الدول بشكل عام ونتج عنه انهيار في الاسهم وخلف وتسجيل ارقام عالمية من البطالة والركود في جميع مناحي الحياة، وان تحدثنا عن الاوبئة وتأثيرها على التباين الاقتصادي فقد تعرض العالم إلى وباء الذي عرف عام 1918" انتج هذا الوباء العالمي الحديث الذي قتل 50 مليون إنسان ب (انفلونزا الاسبانية) حالة وعي لضرورة وجود ادارة عالمية لمخاطر الامراض المعدية وانشا جيلا من الاطباء الشباب المختصين بالفيروسات "، " وكان لوباء الانفلونزا نتائج اقتصادية كانت ضئيلة جدا في النهاية بالمقارنة مع أثار الحرب في أوروبا، وهذا استثناء لان القاعدة العامة تقوم على أن للأوبئة أثار اقتصادية هامة، فهي توقف المبادلات وتعيد توجيه التجارة نحو سبل أخرى ".[2]

أن المتتبع للتاريخ يرى أن للأوبئة تأثيراتها الكبيرة على جميع مجالات الحياة وخصوصا المجال الاقتصادي ففي ظل الوباء كانت تخسر الدول جميع

---

[1] انأ اصدق العلم، موقع الكتروني اقتصادي، العلم علمي، 17 أغسطس 2020

[2] الاقتصادية، جريدة العرب الاقتصادي الدولية، 15 مارس 2020

المجالات إلا مجالا واحدا هو البحث عن علاج لهذه الاوبئة والقضاء عليه واو توفير تطعيمات لهذا المرض أو غيره والتجربة السابقة والطرق العلاجية التي جربها الإنسان على مر العصور أن كانت ناجحة أو فاشلة فهي تعطي تجربة لنا كي نبدأ من حيث انتهى سابقينا، أما بخصوص التباين الاقتصادي فقد نرى أن المؤشرات الاولية مع ظهور فايروس كورونا المستجد أنها كانت في انحدار شديد في البداية حيث تم وقف الصادرات والواردات وهذا اثر على العرض والطلب حيث أن هناك مصانع تم تجميد العمل أو وقفه بها وقد أدى هذا إلى وقف الايدي العاملة أو تسريحها أو الاستغناء عن مجموعة كبيرة منها أيضا اثر ذلك على توفير السلع التي كانت الدولة تعتمد على استيرادها من خارج حدودها كل ذلك اثر بالمجمل على عائدات الدولة ومن ثم اثر على انفاقها وكان المتضرر الأكبر الفرد الذي يعد هو الركيزة الأساسية للمجتمع، واذا نظرنا إلى الفرد في مجتمعنا العربي نراه هو أكثر المتأثرين حيث لا ضمان اجتماعي له ولا خدمات اساسية مقدمة من الدولة وبالأساس لا رعاية صحية أو تعليمية وهنا يظهر بعض أصحاب رؤوس الاموال ليطلوا على المجتمع ويستغلوا كل الظروف التي تحيط بالمجتمع ليمارسوا الجشع والطمع فهم هنا أن جاز التعبير تجار حرب.

- **الهجرة الدولية :-**

وفق المنظمة الدولية للهجرة تصل الهجرة الدولية إلى 270 مليون نسمة، يعيش أكثر نصفهم في أوروبا وامريكا الشمالية، وفي تقريرها عن الهجرة الدولية لعام 2020 اوضحت المنظمة الدولية أن الرقم الاجمالي هو مجرد جزء صغير من سكان العالم (3.5%) مما يعني أن الغالبية العظمى من الناس على مستوى العالم (96.5%) يقيمون في البلاد التي ولدوا فيها.[1]

[1] اخبار الأمم المتحدة، المهاجرون واللاجئون، 27 تشرين الثاني / نوفمبر 2019

واذا اردنا أن نعرف مفهوم الهجرة الدولية فهو " اشتق لفظ الهجرة من لفظ هجر أي تباعد، وكلمة هاجر تعني ترك وطنه وانتقل من مكان كذا إلى غيره، ولفظ هجر ضد الوصل (هجرت الشيء هجرا) أي تركته واغلقته، والهجرة هي انتقال الناس من موطن إلى أخر، وجاء في معجم لاروس الأساسي أن تعبير الهجرة يقصد به " خروج من ارض إلى أخرى سعيا وراء الرزق" والتعريف القانوني للهجرة " بانها مغادرة الفرد لإقليم دولته نهائيا إلى اقليم دولة أخرى ".[1]

وان اردنا أن نعرف من هو المهاجر فهو " شخص اقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة بغض النظر عن الاسباب سواء كانت طوعية أو كراهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة سواء كانت نظامية أو غير نظامية، ووفقا لاتفاقية 1951 بشان اللاجئين، يعرف اللاجئ على انه كل شخص يوجد خارج دولة جنسيته بسبب تخوف مبرر من التعرض للاضطهاد ولأسباب ترجع إلى عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، واصبح بسبب ذلك التخوف يفتقر إلى القدرة على أن يستظل بحماية دولته أو لم تعد لديه الرغبة في ذلك ".[2]

أن الهجرة الدولية تعمل على انتشار الامراض حيث تؤدي موجات الهجرة الكبيرة وخصوصا الهجرة غير الشرعية في ظل انتشار وباء معين إلى نقل المرض أو الفايروس عبر هؤلاء المهاجرون العابرون للحدود بطرق غير شرعية بتسهيل من سماسرة الحدود والمهربين وبذلك يتم نقل الوباء داخل المجتمع (الدولة) المراد الهجرة إليها وربما يؤدي ذلك لانتشار الوباء إلى أكثر

---

[1] امنة ابو حطب، مفهوم الهجرة وانواعها ودوافعها، مدار نيوز، 2018/7/11

[2] الأمم المتحدة، الهجرة، www.un.org/ar/sections /issues-depth/migration/index.html

من دولة حيث يضطر المهاجر إلى قطع عدة دول والدخول من ارضها ليصل إلى وجهته المحددة.

أن من بين السياسات الصحية الاقدم التي انتهجتها الحكومات هناك قوانين الحجر الصحي التي طبقت خلال أوقات انتشار الطاعون في أوروبا في القرن الرابع عشر عندما طبقت عدة مدن شاطئية على البحر المتوسط العزل على المجتمعات المتأثرة بذلك الوباء وقيدت حركة السكان استجابة لمخاطر الازمة الصحية وبحلول القرن الثامن عشر، أصبحت تلك المبادئ المعيار المتبع على الحدود الدولية.[1]

أن الهجرة من مناطق إلى أخرى في ظل الاوبئة والامراض أو الكوارث الطبيعية يؤدي غالبا إلى انتشار الامراض المعدية ونقل الوباء وذلك عن طريق المخالطة حيث إذا تتبعنا الخرائط الوبائية أو المرضية لأي مرض نجد انه انتقل بفعل المخالطة وانتقال الافراد من مكان لمكان يكون احدهم حامل للمرض أو عن طريق الحشرات أو البضائع المستوردة أو الحيوانات.

فمثلا،" في ظروف التشرد القاسية مع نقص المياه النظيفة وضعف مستويات الرعاية الصحية، تفشي وباء الملاريا بين هؤلاء اللاجئين،وفي دارفور تفشى فيروس التهاب الكبد E (وهو فيروس يدخل جسم الإنسان عن طريق الامعاء من خلال شرب المياه الملوثة بالأساس) في العام 2003 بفعل الارتفاع المطرد للنازحين في مخيمات لا تصلها مياه شرب نقية في ظل جفاف قاس، علاوة على انهيار المرافق الصحية، وخلال اشهر انتقل المرض شرق تشاد المجاورة بسبب حركة اللاجئين الفارين ".[2]

---

[1] مايكل ايديلشتاين ودايفد هيمان وخالد كوسر، الازمات الصحية والهجرة، نشرة الهجرة القسرية، مارس 2014

[2] النزاع والمرض... الحلقة المفرغة، الإنساني، مجلة تصدر عن المركز الاقليمي للأعلام، اللجنة الدولية للصليب الاحمر، ايار/ مايو/ 17/ 2018، العدد 63

إذا نظرنا إلى ايامنا هذه وفي ظل تفشي فيروس كوفيد 19 المستجد نجد أن انتشاره مثل النار في الهشيم حيث انه انتقل إلى اغلب دول العالم، وذلك بسبب تنقل الافراد والبضائع وهذا الانتقال تم بشكل رسمي وقانوني بمعنى أن تنقل الافراد والبضائع عبر الحدود والمنافذ الرسمية والموانئ والمطارات فكيف يكون عبر الهجرة الغير شرعية التي يضطر المهاجر أن يسلك عدة دول وحدود كي يثل إلى الوجهة التي يريد وهذا يؤثر على مناعة النظام الصحي حيث تضعف بفعل نقص المرافق الطبية وعدم استيعابها وقدرتها تضعف من حيث تقديم الخدمات للأعداد الكبيرة التي ينتقل لها العدوى وهناك دول بأكملها تبقى بلا قدرة على الوصول إلى الرعاية الصحية، ومع انتشار الوباء عالميا يبقى الجميع منشغلا بوضعه الداخلي حيث لا يوجد دعم دول أخرى بسبب تفشي الوباء عندها وانشغالها كالأخرين.

وقد ناقش كتاب " التنقل عبر الحدود والصحة العالمية: اجتياز الحدود" ل" بيتر كوهين"(استاذ العلوم السياسية، ومدير برنامج الصحة العامة العالمي)، الصادر في 2019،عدة قضايا تتعلق بتأثيرات الهجرة والانتقال عبر الحدود على الصحة العالمية.

حيث يسلط الضوء على التقاطعات القوية والديناميكية بين ثلاثة عناصر اساسية، هي: الانتقال البشري كضرورة وسمة لعصرنا الحالي، وعدم المساواة، والصحة، وانطلاقا من أن الأمن الصحي أصبح يشكل متغيرا اساسيا في جدول أعمال السياسة الدولية، فقد اهتم الكتاب بمحاولة استكشاف المحددات الأساسية للتفاعل بين الصحة العالمية والهجرة، والربط بين التنمية الصحية والهجرة، والرعاية الصحية للمهاجرين "،" أيضا تتزايد حالات الوفاة بين المهاجرين غير الشرعيين نتيجة لعدم توافر الظروف الصحية المناسبة أو الخدمات الصحية للمهاجرين في مراكز الاحتجاز حيث يتعرضون لظروف

معيشية غير لائقة، الأمر الذي يفرض اعباء والتزامات اضافية على السياسات الصحية للهجرة "[1]

أن عدم الاهتمام بالمهاجرين له ارتدادات سلبية ومهددات كبرى حيث عدم الاهتمام بالمهاجرين وتقديم الخدمات الأساسية لهم من رعاية صحية ومسكن ومأكل وتعليم يؤدي إلى امرين الأول اهدار لأرواح المهاجرين ونقل الامراض منهم إلى الدولة التي هاجروا لها أن كانوا مصابون بأمراض معدية أو فيروسات، أما الأمر الثاني وهو لا يقل خطرا عن الأول وهو الاتجاه إلى التطرف والارهاب وذلك بسبب كره هذا المجتمع الجديد الذي كان يشكل امل لهذا المهاجر في كل مناحي الحياة.

- **التطرف والارهاب :-**

قبل أن نتحدث عن التطرف والارهاب وعلاقتها بالتهديدات العابرة للقارات علينا أن نعرف هذه المسميات كي ندرك ما هي وكيف يكون لها تأثير وتهديد للأمن العالمي وتمددها لتكون عابرة للقارات.

التطرف :-

التطرف هو تبني أو التمسك بأفكار أو ايديولوجيات أو معتقدات متشددة، ومن اجل التوضيح يتم تأسيس بعض الايديولوجيات أو المبادئ الدينية بالصورة التي تتيح اعتناقها بنهج متشدد أو معتدل، فالتطرف هو تبني النسخة المتشددة من ايديولوجية أو مبدأ ما، والذي عادة ما يكون مرتبط بالدين، إلا انه في الحقيقة قد يتعلق بأي معتقدات.[2]

---

[1] بينركوهين، اللامساواة الصحية، تأثير الهجرة والانتقال عبر الحدود في الأمن الصحي العالمي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 21 ابريل 2020.

[2] الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الإرهاب والتطرف: هل هما وجهان لعملة واحدة؟، https://www.aucegypt.edu/index.phplar/node/2648

الإرهاب :-

يعد الإرهاب نوع من العنف السياسي حيث يتضمن الاستهداف العمدي للمدنيين ويميز بين الضحايا المباشرين والجمهور الذي يود أن يؤثر عليه، ومن هذا المنطق يتضمن الإرهاب ثلاث عوامل وهما كما يلي: العنف السياسي أو عمل عنيف يهدف إلى توصيل رسالة سياسية ما، والاستهداف العمدي للمدنيين، وطبيعة ثنائية المركز، حيث يهاجم مجموعة ما لإرهاب مجموعة أخرى.[1]

أن أسباب التطرف والارهاب على مر التاريخ هي في الغالب نفسها حيث ما يدفع الجماعات المتطرفة أو الارهابية ليصنفوا ضمن هذه المصطلحات هي أسباب تختصر بالحرية والفقر والعنصرية والتمييز، وهذا ينعكس سلبا على الحكومات والمجتمعات في جميع مناحي الحياة، وتنشط هذه الجماعات في ظل الازمات الدولية والعالمية وخصوصا المحلية فنجدها تنشط للانتقام من الانظمة السياسية التي من وجهة نظرها هي أنظمة فاسدة وتضطهد شعوبها وتسلب الحريات، فتعمل على تنفيذ هجمات على جميع المستويات أن كانت قتل أو تحريض أو العمل على زيادة الازمة بمعنى أن كان هناك وباء أو مرض يجتاح البلاد تعمل على تفشيه، " ووفقا لمؤشر الإرهاب العالمي، فان الحوادث الارهابية اليمينية المتطرفة في الغرب قد زادت بنسبة 320% في السنوات الخمس الماضية، وعلى غرار تنظيم داعش اشارت جماعات اليمين المتطرف إلى عزمها على استغلال أثار وباء "كوفيد19"، وقد " أثار هذا الوباء شبح الإرهاب البيولوجي، باستخدام فيروس " كوفيد 19" كسلاح بيولوجي، وفي كلمة القاها أمام مجلس الأمن، خص الامين العام للأمم المتحدة انطونيو غوت يريس تهديد الإرهاب البيولوجي، محذرا من أن الجماعات غير الدولاتية

[1] الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الإرهاب والتطرف: هل هما وجهان لعملة واحدة ؟ مرجع سابق

يمكن أن تحصل على سلالات خبيثة يمكن أن تشكل دمارا مماثلا للمجتمعات في أنحاء العالم ".[1]

عدم الايفاء بالواجبات الموكلة للحكومات في ظل الاوبئة والامراض التي من الطبيعي أن تقدم للشعوب قد يولد العنف والتطرف إذ لو أن بائع أو مزارع تم تعطيل عمله بسبب هذا الوباء أو تلك الجائحة ولم تقدم له حكومته مقومات صموده في ظل انقطاع دخله فسوف يكون ناقم على تلك الحكومة وسوف يتولد لديه كره ومن الطبيعي أن يتحول هذا الكره إلى حقد ومن ثم الانتقام، قد نجد هذا الأمر في دول العالم الثالث وفي الغالب سوف يتخطى حدود هذه الدول ليصل إلى الدول المتقدمة وهذا ناتج عن كره لبلده وحقده على النظام ليقوم بالهجرة حيث يعتقد أن الهجرة إلى دولة أخرى سوف توفر له ما لا توفره له دولته.

والمتتبع للخارطة الوبائية لأي وباء أو مرض سوف يجد أن هذا الوباء تم نقله بفعل كائن حي، بمعنى أن هذا المرض لم ينقل لأسرة بأكملها إلا عن طريق فرد من أفرادها، ومن ثم للحي الذي يسكن به وسوف يتخالط هذا الحي حيث لكل فرد مصالح خارج الحي لينتقل في النهاية لكل المجتمع ومن ثم للعالم كله، ولتقوم الدولة بمحاربة هذا الوباء عليها أن تشدد من اجراءاتها على الحركة والتنقل وهذا يؤدي إلى تعطل مصالح الافراد وان لم تضع خطط لتلبية احتياجات الافراد سوف يؤدي ذلك للعنف وهنا يأتي دور التطرف والارهاب حيث ستكون ارض خصبة لهذه الجماعات لاستقطاب اوسع في صفوفهم وتنفيذ مخططاتهم داخل المجتمع.

---

[1] المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، مخاطر الإرهاب في ظل فيروس كورونا، 23 يوليو 2020،
https://ly/3FKHmrD

من الاسباب التي تؤدي إلى التطرف والارهاب هو الانشغال من قبل الحكومات بجميع اجهزتها بجائحة أو وباء على حساب اشياء أخرى مثل الأمن والاقتصاد حيث تقوم الحكومة بالإنفاق للتصدي لهذا الوباء والتهاون في المجالات الأخرى التي لا تقل أهمية عن الوباء لتتفاجأ بالعنف والكراهية والارهاب، " في الوقت الذي تستغل فيه الجماعات المتطرفة والمنظمات الارهابية جائحة فيروس كورونا عبر زيادة عملياتها وتهدد الأمن العالمي وتزيد من نفوذها في الوقت الذي تتعامل فيه الدول المختلفة مع تداعيات الوباء عليها".[1]

لقد لوحظ في الآونة الأخيرة أن الإرهاب لا يقتصر على القتل والتفجير والتدمير والاغتيالات بل تم انتهاج شكل جديد وهو الإرهاب الالكتروني حيث تقوم الجماعات الارهابية والمتطرفة باستغلال هذه الجائحة والحجر المفروض على الشعوب وخوفهم فان كانت جماعات ارهابية أو متطرفة دينية فهي تبث عبر شبكات التواصل الاجتماعي بان هذا الوباء هو عبارة عن غضب إلهي وهو جاء ليقضي على الكفار وان المؤمنين هم الذين سوف ينجو من هذا الوباء أما أن كانوا ارهابيين غير دينية فهم يبثون عبر المواقع أيضا أن هذا ناتج عن إهمال الحكومات وفسادها.

سوف يبقى التطرف والارهاب موجودا في كل وقت ومكان هذه هي الطبيعة الإنسانية وذلك باختلاف العقول والافكار والايديولوجيات والتطرف والارهاب لا يقتصر على القتل والتفجير بل هو اوسع من ذلك حيث أن فرض الأفكار والمعتقدات والتمسك بها هو تطرف واجبار الشعوب لاتباع فكر وحزب معين هو ارهاب، التنمر والعنف بجميع اشكاله هو تطرف وارهاب.

---

[1] INDEPENDENT عربية، طارق الشامي، كيف تأثرت مواجهة الإرهاب بسبب وباء كورونا؟، 5 مايو 2020

سوف تبقى ظاهرة التطرف والارهاب عابرة للدول ولم تبقى فقط في الدول المتخلفة أو النامية أو العالم الثالث بل سوف تتوسع وتنتشر لتضرب مصالح الدول الكبرى لإحساس المتطرفين والإرهابيين بالظلم وعدم الاهتمام والتفرقة بين المواطن الاصلي واللاجئ أو المهاجر وبين الابيض والاسود وبين المسلم وغير المسلم..... حيث أن الديمقراطية لا تساوي بين ما سبق بل أنها تميز وتفرق رغم ادعائها المساواة وعدم التمييز.

أن الأمن يشكل الركيزة الأساسية للعالم اجمع، والامن الصحي على وجه الخصوص هو العمود الفقري لمفهوم الأمن بشكل عام، أن الأمن الصحي للفرد يشكل اخطر أنواع الأمن وان كان هناك إهمال به فهو مثل النار في الهشيم حيث يشكل الخطر الأكبر على جوانب الأمن الأخرى،فان كان الأمن الصحي منعدم فهو يؤثر على ألأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي والأمني..... فالأمن بشكل عام الأولوية الثابتة والمصلحة الأساس في بناء المجتمع وبقائه، فلا تستقيم جوانب الحياة الأخرى إلا باستقامة الأمن الصحي.

مع ظهور العولمة وتعميمها بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والصحية وتعميمها إلا أنها مثل ما لها ايجابيات لها سلبيات، فمن ايجابياتها تبادل الخبرات وتعميم المنفعة والتناقل في المعلومات بجميع جوانبها ومجالاتها والانتقال من امن الدولة إلى امن الإنسان ومفهوم الأمن الإنساني العالمي، أما السلبيات فهي هيمنة الدول الكبرى على السوق العالمي والتحكم به وجمع المعلومات وخاصة الأمنية والتحكم بها والتدخل في شؤون الدول الأخرى والاخطر عمل التجارب تحت مسمى التطوير والبحث العلمي بالدول الضعيفة وما يسمى دول العالم الثالث وهذا بفعل اعتقادها أي الدول المتقدمة أنها صانعة للقرارات وهي التي توزع الأدوار على الآخرين تحت مسمى التعاون الاقتصادي والتقدم العلمي والصحي والتكنولوجي وهذا ما نراه اليوم في ظل جائحة كورونا المستجد حيث نرى الدول الكبرى لا تفصح بجميع ما لديها من

معلومات أو تطوير وبحث حول المرضى أو العلاجات الخاصة به والتوصل من عدمه لعلاج لهذا الوباء الذي يجتاح العالم.

لم ولن تجد احد لا يقبل بوجود عالم امن وخالي من الامراض والارهاب حيث يمثل هذا العالم الحياة الكريمة لكل إنسان اينما وجد في هذه الأرض لكن ما يقال لا ينطبق على الواقع، حيث نجد تمايز وتمييز بين دولة واخرى وبين فرد واخر وهذا يعطي للسلبيات حيز واسع وعدم قبول لدى الإنسان الذي لا يتمتع بإيجابيات هذا المفهوم فمن غير المقبول والممكن أن تجد مساواه في جميع مناحي الحياة بين الافراد وتجد هناك عنف أو تطرف وارهاب، فلا يعقل أن يكون هناك امن صحي واقتصادي وسياسي..... وتجد هناك فرد ناقم على النظام، في ظل هذا التمييز سوف نظل نتحدث عن مهددات ومخاطر على الأمن العالمي.

المصادر والمراجع

1- توفيق بوستي، المعهد المصري للدراسات، مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية، 22 فبراير 2019، ص 2-3

2- باسكال بونيفاس، صحيفة الاتحاد، نحو مفهوم جديد للأمن العالمي، 3 أكتوبر 2008.

3- سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية: دراسة في تطور مفهوم الأمن عبر منظورات العلاقات الدولية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، مارس 2010، ص 7.

4- عبد القادر دندن، الاستراتيجية الصينية لأمن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الاقليمي، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2- 2013، ص 32.

5- جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظرية المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، الكويت، كاظمية للنشر والتوزيع والترجمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ديسمبر 1995، ص 61.

6- جويدة حمزاوي، التصور الأمني الأوروبي، نحو بنية أمنية شاملة وهوية استراتيجية في المتوسط، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، 2010- 2011، ص 17- 18.

7- ابراهيم كالين، رسالة من ابن خلدون الى العالم الاسلامي، ن بوست، 2016./12/11

8- خالد معمري، التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد 11 سبتمبر، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2007-2008، ص 98.

9- الموسوعة السياسية، صباح باله Sabah Bala، https://pditical-encyclopedia.org/dictiodary/%D8%A7%D9%84

10 د. جان زيفلر، سادة العالم الجدد، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون أول 2003، ص 100

11- الياس ابو جودة، مفهوم الأمن البشري في ظل التهديدات العالمية الجديدة، دراسات عليا في العلاقات الدبلوماسية، الجامعة اللبنانية، العدد 74، تشرين الأول 2010

12- احمد علو، الأمن الاقتصادي ودورة في توجيه السياسات والاستراتيجيات، مجلة الجيش اللبناني، العدد 392، شباط 2018

13- تقرير الامين العام للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة، الدورة 56، نيويورك 2002، ص 27 - 28

14- احمد عبد العليم، تهديدات غير تقليدية: مستقبل العنف في ظل التطورات التكنولوجية، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 24 نوفمبر 2015

15- نوران شفيق، أشكال التهديدات الالكترونية ومصادرها، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، 29 يناير 2020، دراسات مكافحة الإرهاب.

16- عبد النور بن عنتر، تهديدات هجينة، العربي الجديد، 2014/10/4

17- الموسوعة السياسية، التهديدات الأمنية، https://political-encyclopedia.org/dictionary/%8%A7%D9

18- نون بوست، بوعلام برزيق، المأزق الأمني المجتمعي وهواجس التفكك، 2017/9/18

19- داليا السيد احمد، لماذا تشكل الفيروسات العابرة للحدود تهديدا للأمن والسلم الدولي، درع الوطن، عسكرية واستراتيجية، 2020/3/1

20- الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، التهديدات البيئية ومنطق الأمن الاقليمي والدولي، 2019/7/3

21- سميرة بوطوطن، دور المنظمات الدولية في حماية البيئة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهدي، ام البواقي، الجزائر، 2019، ص 12

22- الانطولوجيا العربية، ohtology.birzeit.edu

23- انأ اصدق العلم، موقع الكتروني اقتصادي، العلم علمي، 17 أغسطس 2020

24- الاقتصادية، جريدة العرب الاقتصادي الدولية، 15 مارس 2020

25- اخبار الأمم المتحدة، المهاجرون واللاجئون، 27 تشرين الثاني / نوفمبر 2019

26- امنة ابو حطب، مفهوم الهجرة وانواعها ودوافعها، مدار نيوز، 2018/7/11

27- الأمم المتحدة، الهجرة، www.un.org/ar/sections /issues-depth/migration/index.html

28- مايكل ايديلشتاين ودايفد هيمان وخالد كوسر، الازمات الصحية والهجرة، نشرة الهجرة القسرية، مارس 2014

29- النزاع والمرض... الحلقة المفرغة، الإنساني، مجلة تصدر عن المركز الاقليمي للأعلام، اللجنة الدولية للصليب الاحمر، ايار/ مايو/ 17/ 2018، العدد 63

30- بينركوهين، اللامساواة الصحية، تأثير الهجرة والانتقال عبر الحدود في الأمن الصحي العالمي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 21 ابريل 2020.

31- الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الإرهاب والتطرف: هل هما وجهان لعملة واحدة؟، https://www.aucegypt.edu/index.phplar/node/2648

32- المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، مخاطر الإرهاب في ظل فيروس كورونا، 23 يوليو 2020، https://ly/3FKHmrD

33- INDEPENDENT عربية، طارق الشامي، كيف تأثرت مواجهة الإرهاب بسبب وباء كورونا؟، 5 مايو 2020

ثالثاً : ظاهرة التطرف والإرهاب وتأثيرها على تهديد الأمن الدولي

د. عائشة عبد الحميد[*]

مقدمة:

لعل أبرز ظاهرة من ظواهر النشاط الإجرامي المنظم في عصرنا الحالي هي ظاهرة الإرهاب الدولي، حيث أصبحت جل الجماعات الإجرامية خاصة بعد انتشار جريمة لصيقة بها وهي تجارة الأسلحة، حيث تنشط الجماعات الإجرامية المنظمة باسم الجماعات الإرهابية المسلحة حتى تموه وتنشر أفكار وهمية وفتن داخلية في البلدان، تكون نتاجها في أبسط صورة توترات وحروب أهلية وتمردات ومن شأنها بث الرعب والترهيب وشرب أسس السلام والأمن العالميين بصفتهما أبرز دعائم الاستقرار والتقدم في العالم.

1. مفهوم التطرف والإرهاب نظريا :

إن التطرف والإرهاب رغم الطابع الذي تتسم به من تعقيد وخطورة إلا أنها أول المتغيرات الدولية كسبب غير مباشر في تنامي الظاهرة، وتبقى ظاهرة اجتماعية نابعة من المجتمع وتتأثر بالبيئة التابعة عنها، تتزايد حدتها بدرجة المتغيرات الدولية والوطنية فهي وليدة أساب وعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، وقد تكون ناتجة عن تصادم وتصارع المصالح الدولية.

- **تعريف التطرف والإرهاب:**

لقد عرف الإرهاب كشكل من أشكال مهددات الأمن، لما ينطوي عليه من عنف ومن معوقات السلم والأمن العالميين. [1]

---

[*] دكتوراه في القانون الدولي والعلاقات الدولية/ جامعة الطارف – الجزائر.

[1] لخضر دهيمي، مهددات الأمن، مقال منشور بكلية اصول الدين بالجزائر، العدد الثالث، سبتمبر 2000، ص 109.

أ- يعتبر تعريف الإرهاب من أعقد التعريفات [1]، كونه أكثر الجرائم انتشارا واختلاطا بالمفاهيم الأخرى، مثل: العنف، التخريب، استعمال القوة، الكفاح المسلح والجهاد، وغير ذلك.

إلا أن الإرهاب يعتبر جريمة بمقتضى القوانين الجنائية الوطنية والدولية، وبالتالي فهو جريمة دولية كونه انتهاك لحقوق الإنسان وتهديد للسلم والأمن العالميين.

وهو أيضا شكل من أشكال الإجرام المنظم، كونه عنف منظم يقصد به الحصول على مكاسب مالية وهو تهديد للنظام العام الاجتماعية والسياسي للدول، والأكثر من ذلك فهو تهديد للسلم والأمن الدوليين أما التطرف أو ما يطلق عليه الغلو في الفكر، هو مجاوزة الحد، وهذا الغلو أو التطرف خطير جدا في أي مجال من مجالات الحياة والإسلام قد حذر منه حتى ولو كان بلباس الدين لقوله النبي صلى الله عليه وسلم: « إياكم والغلو ». [2]

فالإرهاب والتطرف ينطويان على نوع من العنف في بعض النشاطات الإجرامية لهذه الجريمة، مما يزرع نوع من الترهيب والتخويف في نفوس الناس، تصل إلى حد عدم التبليغ عن الإعتداءات الواقعة لهم، وحتى عدم الإدلاء بالشهادة أثناء التحقيقات، والمحاكمة لخطورة وجسامة الإعتداءات التي تتميز بها هذه الجريمة إلى حد يجعلها تختلط حتى بسمات النشاط الإرهابي ومواصفاته.[3]

---

[1] أحمد فاروق أحمد حسين، اتجاهات الشباب نحو الإرهاب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ص 40.

[2] سهام محمد علي السراي، أسباب ظاهرة الإرهاب والعنف والتطرف، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص 13.

[3] لخضر دهيمي، مرجع سابق، ص 115.

فالتطرف الفكري كفتنة لا يرتبط بزمان أو بلد أو دين معين، بل ينتشر، حيث تنتشر قيم الفوضى، ومظاهر العنف، وخطورته تكون أعظم حين يتعلق الأمر بفئة الشباب، ولقد اضر التطرق الفكري بالمجتمعات الإسلامية وأدى إلى نشوب الإرهاب.[1]

- **موقف المشرع الجزائري من تعريف الإرهاب والتطرف:**

تعتبر الجزائر من أولى الدول التي عانت من ويلات الإرهاب طيلة عقد من الزمن أو أكثر، فقد أدرج المشرع الجزائري الجريمة الإرهابية ضمن تشريعه العقابي ونعني به قانون العقوبات الجزائري [2] من خلال نص المادة 87 مكرر منه والتي عرفت الإرهاب بأنه كل عمل إرهابي أو تخريبي يستهدف أمن الدولة والوحدة الوطنية والسلامة الترابية واستقرار المؤسسات وسيرها العادي عن طرق جملة من الأفعال التي عددها على سبيل المثال في نص المادة 87 مكرر من قانون العقوبات الجزائري.

حيث ركزت الجزائر من خلال سياستها العقابية على التسديد في العقاب ضد الجرائم الإرهابية والتي تصل إلى عقوبة الإعدام واعتبرها من الجرائم الموصوفة التي تكون لها إجراءات خاصة من ناحية إجراءات الضبط والتحقيق وسلطات الضبطية القضائية في مثل هذا النوع من الجرائم.

حيث يخضع مثل هذا النوع من الجرائم الموصوفة إلى إجراءات خاصة وردعية خاصة في مجال التحقيق الأولي، والتوقيف للنظر، ويكون للضبطية القضائية في ما يتعلق بالجرائم الإرهابية سلطات واسعة وممتدة لكامل إقليم

---

[1] مولاي ناجم، أثر التطرق الفكري على الفرد والمجتمع، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، مارس، 2017، ص 210.

[2] الأمر رقم 15666 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات الجزائري المعدل والمتمم.

التراب الوطني حيث يمنح هؤلاء صلاحيات وطنية تشمل كل الإقليم الجزائري. [1]

إلا أن المشرع الجزائري لم يعرف جريمة التطرف بصورة مباشرة، إلا أنه و من خلال نص المادة 87 مكرر 10 من قانون العقوبات والتي تعاقب بالحبس من 3 إلى 5 سنوات كل من قام بواسطة الخطب أو بأي فعل من أعمال مخالفة للمهمة النبيلة للمسجد يكون من شأنها الإشادة بالأفعال الإرهابية، التي تتعارض من المادة 87 مكرر 5 من قانون العقوبات والتي تعاقب بالحبس من 5 إلى 10سنوات إذا كانت تأخذ صورة طبع أو نشر الوثائق المطبوعة والتسجيلات التي تشيد بالأعمال الإرهابية عمدا، وهذا على خلفية ما خلفته الخطب المسجدية سنة 1992 من صنع ظاهرة الإرهاب تكبدنا آثارها عشرية كاملة. كما قام المشرع الجزائري بالتقييد الصريح لسلطة القاضي في منح الظروف المخففة بفرض حد أدنى للعقوبة لا يجوز للقاضي النزول عنه، عند توفر ظروف التخفيف، وفق ما تنص عليه المادة 87 مكرر 8 من قانون العقوبات التي وضعت حد أدنى للعقوبة لا يجوز للقاضي النزول عنه.[2]

- **تميز الإرهاب والتطرف عن غيره من المفاهيم:**

نستطيع التمييز بين الإرهاب والتطرف عن باقي الجرائم الأخرى التي ترتكب نعلى نطاق واسع وتضر بالمصالح العليا أو النظام العام للدول مثل الجريمة الدولية والجريمة السياسية وغيرها من المفاهيم المتشابهة معها، نذكر منها مثلا حصرا.

---

[1] عبد الله أوهايبية، شرح قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، دار هومة للنشر، الجزائر، 2008، ص 261.

[2] شريفة سلطاني، أثر السياسة الجنائية المنتهجة من طرف المشرع الجزائري في مواجهة الإرهاب ضد التهديدات الإرهابية الخارجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1، 2020، ص 8046

أ- **الجريمة العابرة للأوطان:** هو امتداد نشاط الجماعة الإجرامية من حدود إقليمها إلى دولة أخرى.

أما الجريمة المنظمة يمكن أن تكون محلية أو عابرة للحدود. [1]

فالجريمة بصفة عامة سواء كانت وطنية أو دولية فهي اعتداء على مصالح يحميها القانون، بصفتها تهم المجتمع الدولي بأسره فهما ينطويان على خطورة جسمية لانتهاكهما النظام العام الوطني أو الدولي، فالقتل والعنف والإرهاب والجرائم الاقتصادية الناجمة عن التهريب والجرائم الجمركية وجرائم الأطفال، وكلها جرائم منظمة بالإضافة إلى جرائم تهريب المهاجرين.

ب- **الجريمة الإرهابية والجريمة المنظمة:**

تنطوي الجريمة المنظمة على عدة مفاهيم متداخلة مثل تجارة المخدرات وبيع الأطفال وغسيل الأموال، فإن جريمة الإرهاب تملك وجها من أموال النشاط الإجرامي مشابه للجريمة المنظمة، حيث نجد أن الجماعة الإجرامية عند ارتكابها لأفعال إرهابية تستعمل نفس أسلوب الجماعة الإجرامية المنظمة أي ترتكب أفعالها تحت لواء أو في شكل جريمة منظمة.

فالجماعات الإجرامية توظف ولأغراضها وما تدفع به للتهرب والإفلات من المسؤولية بموجب نصوص قانونية ودستورية أقرتها جميع الدول، لكن سعت معظم الدول إلى تجريم ظاهرة الإرهاب سواء كان داخليا أو دوليا وجرمت كل الأفعال المرتبطة به مثل دفع الفدية لتحقيق أغراض إرهابية.

حيث تبنى المشرع الجزائري القانون رقن 05-01 المؤرخ في فيفري 2005 المتعلق بالوقاية من تبييض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتها، حيث حرم القانون كل فعل يقوم به الشخص وبأية وسيلة كانت مباشرة أو غير

---

[1] عبر العزيز العشاوي، حقوق الإنسان في القانون الدولي، دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص 311.

مباشرة تقديم أو جمع أموال بنية استخدامها كليا أو جزئيا من أجل ارتكاب الجرائم الموصوفة بأفعال إرهابية أو تخريبية. [1]

2. أثر الإرهاب والتطرف على السلم والأمن الدوليين:

إن ظاهرتا التطرف والإرهاب لهما آثار سلبية ولا شك سواء داخل الدولة أو المجتمع الدولي، فتعيق خطة التنمية والتطور في ظل الأمن والسلم.

ولكن لدراسة أثر الإرهاب والتطرف باعتبارهما متلازمان من حيث استخدام العنف، إما العنف المادي أو العنف الفكري، لابد من تعريف الأمن الدولي تم دراسة التهديدات اللاتماثلية للتطرف والإرهاب على المستوى العالمي.

- **مفهوم الأمن والسلم الدوليين:**

تعرف دائرة المعارف البريطانية الأمن بأنه حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية.

- **تعريف الأمن والسلم الدوليين:**

إن المتفحص لميثاق الأمم المتحدة لعام 1945، لا يجد تعريفا دقيقا لمفهوم السلم والأمن الدوليين، على الرغم من أن هذين المفهومين، يعدان من المقاصد الرئيسية التي نص الميثاق على ضرورة تحقيقها.

حيث لم يضع ميثاق الأمم المتحدة تعريفا واضحا ومحددا للأعمال التي من شأنها تهديد السلم والأمن الدوليين.

إن معيار تحديد ماهية تهديد السلم والأمن الدولي، هو وقوع عدوان أو إخلال بالسلم مصحوب بلجوء استخدام القوة غالبا.

---

[1] كرويش فريدة، بوحفية قوي، دور الجزائر الدولي والإقليمي في مكافحة تمويل الجماعات الإرهابية من مدخل تجريم دفع الفدية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 16، جانفي 2017، ص 51.

حيث ظهر الإرهاب الدولي كأحد التهديدات التي تعترض السلم والأمن الدوليين.[1]

حيث يقصد بأمن الدولة التهديد العسكري الخارجي الذي قد تتعرض له من قبل دول أخرى أو جماعات متمردة، ومن بعض المظاهر غير العسكرية ولم يعد هذا التهديد المصدر الوحيد لتهديد أما الدول بل أصبحت هناك العديد من مصادر التهديد مثل تجارة المخدرات، الجريمة عبر الحدود، الجريمة المنظمة، انتشار ظاهرة الإرهاب الدولي، انتشار الأوبئة... إلخ

ويتشكل مفهوم الأمن الإنساني من مقومات أو دعامات تركز على تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة، وصون حقوق الإنسان وحرياته، والحكم الرشيد، والمساواة الاجتماعية، وسيادة القانون، ذلك أن الأمن الإنساني لا يمكن تحقيقه إلا من خلال إتباع سياسات تنموية رشيدة، وتجنب التهديد العسكري، والحرمان الاقتصادي، والانتقاص من المساواة المقبولة في الحياة، وغياب الضمانات الكافية لحقوق الإنسان الأساسية.

وبضم مصطلح "الأمن" أربعة مستويات هي:

- أمن الفرد ضد أية أخطار تهدد حياته أو ممتلكاته أو أسرته.
- أمن الوطن ضد أية أخطار خارجية أو داخلية للدولة وهو ما يعبر عنه "بالأمن الوطني".
- الأمن القطري أو الجماعي، ويعني اتفاق عدة دول في إطار إقليم واحد على التخطيط لمواجهة التهديدات التي تواجهها داخليا وخارجيا، وهو ما يعبر هم "بالأمن القومي".

---

[1] حاج أمحمد صالح، شعبان صوفيان، السلم والأمن الدوليين، دراسة على ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 11، العدد 1، 2018، ص 182.

- الأمن الدولي وهو الذي تتولاه المنظمات الدولية سواء منها الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن الدولي نظرا لدورهما في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.[1]

3. ظاهرة الإرهاب الدولي كمهدد للأمن والسلم الدوليين:

إن أكثر الظواهر تعقيدا وخطورة على الصعيد العالمي "ظاهرة الإرهاب" كما لها من نتائج خطيرة ومدمرة تتمثل في قتل الأبرياء من المدنيين وتخريب المنشئات الحيوية، الاقتصادية والاجتماعية، وبث الرعب والخوف وعدم الاستقرار داخل المجتمعات.

لذا دأب مجلس الأمن الدولي منذ أواخر الثمانيات من القرن الماضي على تكييف الإرهاب بكافة صوره وأشكاله، على أنه يمثل أقصى درجات تهديد السلم والأمن الدوليين، حيث ورد نص عليه لأول مرة في مقدمة القرار رقم 635 الصادر في 14 جويلية 1989: "... إدراكه لانعكاسات وآثار عمال الإرهاب على الأمن والسلم الدوليين...".

فمجلس الأمن الدولي، باعتباره الهيئة التنفيذية الرئيسية، المعنية بحفظ الأمن والسلم الدوليين من خلال سلطاته الواسعة المخولة له في هذا المجال أصبح معنيا بالإرهاب، وتصدى له بقرارات عديدة، [2] وضمنها عقوبات دبلوماسية وسياسية واقتصادية، بل وأكثر من ذلك تدخل بإجراءات عسكري ضمن

---

[1] عمر سعد الله، معجم في القانون الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص78.

[2] وسيلة قنوفي، توسيع مفهوم السلم والأمن الدوليين في القانون الدولي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 21 ديسمبر 2015، ص71 .

نطاق الفصل السابع الذي يحمل بين طياته استخدام القوة العسكرية [1] في حالة وجود تهديد للأمن والسلم الدوليين أو وقوع عدوان.

- **تهديدات اللاتماثلية للإرهاب والتطرف وتأثيرها على المستوى العالمي:**

بعد أحداث سبتمبر 2001 فإن مجلس الأمن أعلن عن إجراءات مكافحة الإرهاب مطالبا الدول الأعضاء للتحرك بسرعة فائقة ضد هذه الآفة الدولية، بوضع موضع التنفيذ الإجراءات اللازمة لدرئها، مع الأخذ بعين الاعتبار الإجراءات المتميزة في هذا الصدد، وخاصة على مستوى الإتحاد الأوروبي.

وإذا كان الإتحاد الأوروبي لا يساهم إلا بصفة غير مباشرة مع الأمم المتحدة فإن مسئوليته تفرض التعاطي مباشرة مع مجلس الأمن، ومن جهة أخرى فإن تداعيات هذا الفعل على الإتحاد الأوروبي الذي يبدي نوعا من التقاعس في الإمكانات والكفاءات التي تمارس. وفيما يتعلق بمكافحة الإرهاب فإن الإتحاد الأوروبي سيتعاطى من الفعل كداعم ثالث أو دعامة ثالثة حتى توضع الإجراءات والترتيبات المنصوص عليها من طرف مجلس الأمن وبدرجة خاصة القرار 1373 (2001). (نص هذا القرار ضمن وثائق الأمم المتحدة). [2]

- **التدابير الدولية التي تضمنها القرار وآليات تطبيقه**

ويشكل القرار 1373 (2001) إحدى الركائز ذات النظام القانوني الدولي لمعاقبة الإرهاب وتدميره، ويقدم من جهة أخرى المسائل المادية لتحديد تطور دور مجلس الأمن في هذا الصدد.

---

[1] علي جميل حرب، نظام الجزاء الولي، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، 2010، ص 538.

[2] لعمامرة رمضان، الإرهاب تهديد خطير للسلم والأمن، مجلة الجيش، العدد 570، جانفي، 2011، ص 08.

إن هذه القواعد تحدد جملة من التدابير لمكافحة الإرهاب، ويبدو في هذا السياق التوصل إلى اتفاقية دولية للتعاون القانوني والإداري من أجل وضع الإجراءات اللازمة فيما يتعلق بالوقاية وتدمير القواعد الخلفية لهذه الظاهرة من حيث كشف منابع تمويلها حتى يتم تجريمها بمعية الأفعال التي تشكلها، فالمسألة تتعلق بالتعاون الدولي وتظافر الجهود لغرض مصادقة جميع الدول الأعضاء على الأدوات القانونية ذات الطابع الدولي والمتمثلة أساسيا في الاتفاق على اتخاذ إجراء موحد ضد الإرهاب.

إذن يتجانس القرار 1373 (2001) مع ويشكل إطارا لاتفاقية دولية ذات جدوى عالمية تستفيد منها المعمورة بأسرها لوضع حد لهذه الآفة. ولضمان تنفيذ هذا المحصل القانوني النفعي والمجدي يتعين إنشاء لجنة متابعة لغرض تتبع تطبيق القرارات والالتزامات بمساعدة فريق من الخبراء المحايدين للوقوف عن كثب لما يجري من تطبيقات ميدانية حثيثة لتجسيد القرار المذكور.

إن هذا العبء القانوني لا يمكن أن يتجسد قانونيا إلا في ظل التزام دولي توفر له الآليات القانونية لتحسين القدرات التنظيمية والتشريعية ذات الصلة بمحاربة الإرهاب، ويأتي على رأس أولويات الدول السهر الدائم واليقظة الدقيقة في التأكد من عدم استخدام أراضيها كقواعد خلفية تعزز فعالية هذه الأفعال وتجعلها مستفحلة ومنتشرة بشكل يصعب من وضع الآليات الهيكلية والقانونية والتشريعية موضع التنفيذ ويأتي في المقام الثاني من الالتزام الدولي تشكيل خلية معلوماتية واتخاذ إجراءات ثنائية أو متعددة الأطراف.

أن القرار 1373 لسنة 2001 قد وسع مجال تطبيقه بشكل يجعل المساعدة الدولية ذات أثر فعال وبحجم معتبر، حيث تضع الفقرة السادسة منه التزاما على الدول بأن تقدم تقريرا إلى اللجنة الموكول إليها معاينة مدة التطبيق الميداني وذلك في أجل ال 90 يوما يبدأ سريانها منذ المصادقة على القرار المذكور، ومن ثم تجدول الالتزامات في شكل رزنامة يتم اقتراحها من طرف

اللجنة لضمان صدق ومصداقية الدول في التجاوب السريع والفعال مع القرار السالف الذكر. وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن الرزنامة القانونية الدولية طبقا لمضامينها وفحواها لم تسجل الهدف المنتظر، بل أن هناك مكن الدول لا تزال بعيدة كل البعد هن مجاراة الجانب التطبيقي للقرارات الصادرة في هذا الشأن، ومن ثم بات الزاما على كل دولة أن تقنن على مستواها الداخلي التشريع الذي يصب في تجاه القرارات ضمانا للتكامل ودراءا للاتكال لأن الآفة خطيرة ومستفحلة وجهود الجميع ضرورة لا غنى عنها في هذا النطاق لأن القرار قد صدر في إطار الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. [1]

- **تأثير الإرهاب على الأمن العالمي:**

أضف على ذلك، أن ما ساعد هذه المجموعات هو التطور الحاصل في ميدان التكنولوجيا والاتصال وفساد الكيان الاقتصادي من خلال فساد النظام المالي المصرفي الذي تستعمله الجماعات الإجرامية المنظمة في غسيل تلك العائدات الملوثة عن طريق الرشوة وتجارة المخدرات وغيرها فيؤدي إلى عدم الثقة بالمؤسسات المالية القائمة وهو ما يدمر التنمية المعتمدة خاصة على رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية، وهو ما يشجع تهريب رؤوس الأموال إلى الخارج من خلال تقديم الإغراءات والفوائد الخيالية.

فمنذ زمن مضى وليس ببعيد تكاتفت الجهود الدولية وتعاهدت دول العالم على المحافظة على حقوق الإنسان وحرياته في إطار السلم والأمن الدوليين، وهو ما تصبو إليه المجموعة الدولية حاليا كونهما أساس العلاقات الدولية والتطور، وممارسة الحقوق وصيانة الحريات في شكلها القانوني.

لكن في وقتنا الحالي وقد اتجهت الجريمة المنظمة إلى تدويل نشاطاتها بل حتى إلى العالمية، حيث تتآزر عدة مؤسسات إجرامية وتتكامل من حيث

---

[1] رابح حناسي، الجريمة المنظمة في ظل المتغيرات الدولية وأثرها على السلم والأمن العالميين، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، عدد 2، جوان، 2012، ص 299.

أنشطتها وتظهر وتظهر في شكل اتحاد دولي للإجرام المنظم، حيث يمكن الإشارة إلى مجموعة من النتائج المتوقعة لهذه التنظيمات من خلال الندوة التي عقدتها الأمم المتحدة في نابولي عام 1994 لمكافحة الجريمة المنظمة، بأن جريمة الإرهاب أصبحت خطر يهدد جميع دول العالم، وأن الجماعات الإجرامية الدولية تعمل حاليا على انتهاك أحكام القانون الدولي وقوانين كل دولة وهو ما يهدد السلم والأمن العالمي بصفة عامة الذي يعتبر أساس العلاقات الدولية والإطار العام لحماية حقوق الإنسان وحرياته، ولعل خير دليل ما نتج مؤخرا فيما يسمى بالحروب الأهلية والداخلية والتوترات والأعمال التفجيرية التي ظلت تضرب بها دول العالم من كل مكان وفي كل زمان، فخطر هذه المنظمات يهدد قوة الدولة وسلامتها واستقرارها حيث صار في مقدور أو في إمكان هذه المنظمات تكديس ثروات هائلة تجعل منها قوة اقتصادية وسياسية تمكنها من أن تتصدى لأي دولة وبالتالي تكون قد نشأت دولة غير شرعية داخل الدولة، وتفوقت أحيانا الدولة الشرعية بسبب قدرتها على التغلغل داخل أجهزة العدالة الجنائية.

أضف إلى هذا أنها ستكون من معوقات التنمية في شتى الميادين وهو ما يتجلى في الفساد داخل المجتمعات كآلية ظاهرة من آليات عمل المنظمات الإجرامية التي من شأنها أن تجعل في فشل الحكومات في تحقيق نتائج من الفرص التنموية المتاحة لها خاصة في مجال عقد شركات الاستثمار متخذة العامل الأول وهو الأمن والاستقرار فتجد الظرف المناسبة للتعطيل وطرد المستثمرين.[1]

الخاتمة

[1] علي مراح، دور مجلس الدولي في مكافحة الإرهاب، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، عدد 1، 2010، ص 393.

إن جميع التدابير والقرارات المتعلقة بالإرهاب أو تمويله وتسهيل الأعمال الإرهابية، لن يكون مستساغا من الناحية القانونية في ظل عدم وجود مفهوم واضح للإرهاب الدولي وما يشكله من تهديد للأمن والسلم الدوليين.

مما سبق نتوصل إلى النتائج التالية:

- تجانس الإجراءات القانونية الدولية والأوروبية المتعلقة بمكافحة الإرهاب.
- تجانس الروع الدولي للإرهاب من خلال ضعف الترسانة القانونية المتعلقة بمكافحة الإرهاب.
- إن قرار 1373 الصادر عن مجلس الأمن الدولي قد صدر في إطار الفصل السابع من الميثاق.

ونوصي بما يلي:

- أصبح العالم اليوم يعاني من تهديدات لاتماثلية تتخطى حدود الدول لتثير الرعب دوليا.
- إن التصدي للظاهرة مهما كان نوعها يأتي بتضافر جهود وطنية ودولية وقوانين رادعة.
- إن التنظيم المحكم للجماعات الإرهابية جعلها فعليا تتخطى حدود الدول.

المراجع والمصادر

1. أحمد فاروق أحمد حسين، اتجاهات الشباب نحو الإرهاب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.
2. رابح حناسي، الجريمة المنظمة في ظل المتغيرات الدولية وأثرها على السلم والأمن العالميين، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، عدد 2، جوان، 2012.
3. سهام محمد علي السراي، أسباب ظاهرة الإرهاب والعنف والتطرف، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة.
4. شريفة سلطاني، أثر السياسة الجنائية المنتهجة من طرف المشرع الجزائري في مواجهة الإرهاب ضد التهديدات الإرهابية الخارجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1، 2020.
5. عبد الله أوهايبية، شرح قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، دار هومة للنشر، الجزائر، 2008.
6. عبر العزيز العشاوي، حقوق الإنسان في القانون الدولي، دار الخلدونية، الجزائر، 2011.
7. علي مراح، دور مجلس الدولي في مكافحة الإرهاب، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، عدد 1، 2010.
8. حاج أحمد صالح،شعبان صوفيان، السلم والأمن الدوليين، دراسة على ضوء أحكام ميثاق الأمم المتحدة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 11، العدد1، 2018.
9. عمر سعد الله، معجم في القانون الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

10. وسيلة قنوفي، توسيع مفهوم السلم والأمن الدوليين في القانون الدولي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 21 ديسمبر 2015.
11. علي جميل حرب، نظام الجزاء الدولي، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، 2010.
12. كرويش فريدة، بوحفية قوي، دور الجزائر الدولي والإقليمي في مكافحة تمويل الجماعات الإرهابية من مدخل تجريم دفع الفدية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 16، جانفي 2017.
13. لخضر دهيمي، مهددات الأمن، مقال منشور بكلية أصول الدين بالجزائر، العدد الثالث، سبتمبر 2000.
14. لعمامرة رمضان، الإرهاب تهديد خطير للسلم والأمن، مجلة الجيش، العدد 570، جانفي، 2011.
15. مولاي ناجم، أثر التطرق الفكري على الفرد والمجتمع، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، مارس، 2017.
16. الأمر رقم 66-156 المؤرخ في 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات الجزائري المعدل والمتمم.

رابعاً : مستقبل الأمن الدولي ما بعد كورونا

د. هشام خلوق (*)

مقدمة:

أحدث وباء كورونا تغييرات كبيرة في مقاربة العلاقات الدولية، وأربك مفهوم الأمن الدولي، فالأولوية في الأمن الاستراتيجي اليوم لم تعد عسكرية فقط، بل صارت صحية بالأساس، والدول التي تتفاخر بقوتها العسكرية وقدرتها على خوض حربين في نفس الوقت عليها أن تستعد مستقبلا بتجهيزات طبية لمواجهة فيروسين أو أكثر في نفس الوقت. لقد تغير مفهوم القوة والعدوان، فأصبحنا نرى اليوم الكثير من الدول الكبرى، التي كانت تفعل بغيرها من الدول ما يفعله فيروس كورونا بها، وهي غير قادرة على فعل شيء. لقد أثبتنا عجزنا الكبير أمام فيروس بسيط لكنه سليط، فرض سطوته عبر سيناريو لم يكن في الحسبان. وبذلك يستحق لقب "فيروس القانون الدولي" أكثر من لقب "الفيروس الطبي"، لأنه ببساطة فرض قانونه على كامل الكرة الأرضية، بعد أن أصبح حاملا للجواز الدبلوماسي، يتحرك أينما شاء بدون تأشيرة ولا إذن دخول، حيث دشن انطلاقته من يوهان بالصين وجاب كل مناطق العالم.

الصين في البداية تكتمت ولم تعلن ظهور الفيروس على أرضها، إلى أن انتشر، والدول المتقدمة استهزأت وتراخت في مواجهته، وشعوبها سخرت وتهكمت وأخرجت النكت تلو النكت، إلى أن سخر منا الفيروس جميعا وأدخلنا لحجورنا وفرض تدميره على تدبيرنا، وصرنا ننتظر بترقب وفزع من سيطرق علينا باب الحجر أولا، هل هو اللقاح أو الموت.

(*) دكتوراه في القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بفاس-المغرب.

إنه الموت الذي قدم من المجهول، وربما من مختبر معلوم ليسود ويتربع على عرش العالم. وتأسيسا على عجزنا اليوم أمام الفيروس الجائح تأتي الإشكالية الرئيسية التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها وهي:

- في ظل الفشل في مواجهة الأزمة الصحية الحالية، هل يستطيع البشر تجاوز سلبيات الحاضر، وتطوير حلول للأزمات الصحية المهددة للأمن الدولي في المستقبل؟

وتتفرع عن الإشكالية الرئيسية الأسئلة التالية:

- لماذا فشلت الدول الفاعلة على المستوى الدولي، والأمم المتحدة وأجهزتها المتخصصة في محاصرة الأزمة الصحية الطارئة؟
- وكيف سيكون الأمر مع فيروس أخطر؟
- وما هي سيناريوهات الأمن الصحي للعالم في المستقبل؟

من خلال هذه الأسئلة يمكن القول أن الدراسة البحثية تستمد أهميتها من معطيين:

- العجز الدولي أمام فيروس كورونا.
- ضرورة خلق آليات لمواجهة التهديدات الأمنية في المستقبل، خاصة تلك المرتبطة بالمجال الصحي.

فالهدف من البحث يكمن في تجلية نقاط الضعف في مواجهة الأزمة الصحية التي يعيشها العالم، والانطلاق منها من أجل المساهمة في الحلول المستقبلية. حيث ينطلق البحث من فرضية مفادها أنه إذا كان العالم قد فشل في مواجهة أزمة كورونا فإن الفشل سيكون أكبر مع فيروس أخطر، كما أن الأزمة الحالية ورغم الفشل في مواجهتها، إلا أنها تشكل درسا مفيدا لمواجهة الأزمات الصحية المستقبلية، إن تم اعتماد الآليات الدولية المناسبة لمواجهة الأزمات والمخاطر الطارئة.

ومن أجل تحقيق هدف البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي، من خلال وصف واقع الأزمة الصحية التي يعيشها العالم اليوم، والمنهج التحليلي من خلال تحليل الأزمة، ومحاولة تزكية النقط الإيجابية في مواجهتها وتجاوز النقط السلبية، مع التركيز بشكل خاص على الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه خلق آلية أو جهاز دولي لاستباق الأزمات الصحية قبل وقوعها، وتدبيرها بعد حصولها، وذلك عبر الآتي:

1- حاضر الأمن الصحي زمن كورونا

2- سيناريوهات وسبل الحل المستقبلية

1- حاضر الأمن الصحي زمن كورونا

تاريخ الأوبئة طويل وممتد عبر الزمن، فقد عرفت البشرية الكثير من الأزمات الصحية قبل فيروس كورونا، مثل الطاعون أو الموت الأسود، والحمى النازفة أو الوباء العظيم، وفيروس نقص المناعة المكتسبة أو الإيدز، والأنفلونزا الإسبانية، والكوليرا والجدري والتيفوس، وأنفلونزا الخنازير، وفيروس سارس وغيره. وإذا كانت كورونا ليست الأزمة الصحية الأولى التي تضرب العالم، فإنها الأخطر من حيث عدد الإصابات والانتشار المكاني والامتداد الزمني، كما أنها جاءت مفاجئة بشكل غير متوقع، وأثرت على الأمن الدولي، وغيرت الكثير من المفاهيم المرتبطة به.

- **الإطار المفاهيمي**

قبل الحديث عن الآثار التي خلفتها أزمة كورونا، لابد من تحديد بعض المفاهيم المرتبطة بالموضوع مثل مفهوم الأمن الدولي والأمن الصحي والوباء العالمي.

- **مفهوم الأمن الدولي**

الأمن مفهوم مركب ومعقد وصعب المقاربة ومتنازع عليه، كما أن مجاله واسع جدا، ويتأثر بالإيديولوجيات والمرجعيات المختلفة وكذلك المصالح، مما يجعل تعريفاته متعددة، والاستغلال السياسي له كبير[1]. وحين يتم تسييس مفهومه، يتحول من غاية إلى وسيلة لتحقيق غايات ومصالح أخرى سياسية محددة. حيث تستعمله بعض الدول القوية كشماعة ومبرر للعدوان، وباسم الحفاظ على أمنها الداخلي تهدد الأمن الدولي.

كما أن مفهوم الأمن الدولي يحمل قيم وأحكام قرون عدة، تجعله مرتبطا بدراسة الحرب والاستراتيجية العسكرية والأشكال البديلة لاستخدام القوة، إلا أن تطورات الزمن الراهن تجعل من الضروري توسيع نطاق وإطار المعنى ليشمل قضايا حقوق الانسان والقضايا البيئية والغذائية والصحية وغيرها. ففي مواجهة واقع متغير أصبح تكييف مفهوم الأمن الدولي مع السياق الدولي الجديد ضروريا، حتى يستوعب أكثر التهديدات احتمالا[2].

إن مسألة توسيع مفهوم الأمن الدولي فرضته قضايا مثل الفقر والجوع وغياب المساواة في العالم، وهي عوامل مهددة للاستقرار. فالدول تخطئ حين تستثمر في شراء السلاح من أجل تحقيق أمنها على حساب الأمن الصحي والتعليمي والغذائي. هذا الاستثمار في وسائل القتل والدمار يجعل العالم غير آمن وليس العكس[3]. حيث أصبحنا اليوم نصطدم بشعوب ناقمة وبمواطن مُفقر يسعى للانتقام عبر الانضمام للجماعات المتطرفة والمنحرفة سواء في اليمين أو

---

(1) Berthelet Pierre, Chaos international et sécurité globale: La sécurité en débats, Ed EPU, 2014, p. 18.

(2) بيات الضيفي ميثاق، أوكسجين الحرية، EKutub Ltd، 2019، ص 111.

(3) Sous la direction de Jacques Fontanel, Economie politique de la sécurité internationale, Ed L'Harmattan, 2010, p. 1819.

الشمال، وحكومات تمتلك من السلاح والقوة المدمرة ما يغريها بمهاجمة دول أخرى.

باختصار فإن مفهوم الأمن الدولي مفهوم متغير وغير جامد، شهد توسعا في أبعاده، تتجاوز التهديدات العسكرية إلى تهديدات أخرى غير عسكرية، لا تقل أهمية عنها، والتي تنوعت بين تهديدات سياسية واقتصادية واجتماعية وصحية[1].

- **مفهوم الأمن الصحي:**

الأمن أنواع لا يمكن حصرها، فهناك الأمن الداخلي المرتبط باستقرار الوطن، والأمن الخارجي المرتبط بالقدرة على رد العدوان، والأمن الدولي المرتبط باستقرار المجتمع الدولي، والأمن الإنساني المرتبط بحماية حقوق الأفراد وتوفير العدالة، والأمن البيئي المرتبط بحماية الموارد الطبيعية وغيره، لكن ما يهمنا في هذا البحث هو الأمن الصحي بطل المرحلة الحالية والمرتبط بتوفير الخدمات الصحية والوقاية من الأمراض والأوبئة.

لقد طغت الهواجس الصحية على كل خوف آخر بعد أزمة كورونا التي تعد أزمة صحية غير مسبوقة في تاريخ البشرية من حيث الامتداد والآثار الاقتصادية والسياسية، إنها سيدة الأزمات. فمع كورونا لم تعد الأزمات تدور

---

[1] عبد العاطي عمرو، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأميركية، 2014.
https://books.google.co.ma/books?id=Q6ZjDwAAQBAJ&pg=PT26&dq=%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85+%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%86+%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A&hl=fr&sa=X&ved=2ahUKEwigvWJrZnsAhU15OAKHajbDagQ6AEwA3oECAQQAg#v=onepage&q=%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A&f=false

حول الصراعات الاقتصادية أو المسلحة، ولم يعد النزاع الحقيقي بعد اليوم مجاليا أو حدوديا بل وجوديا مع الفضاء الملوث بالفيروسات.

الأزمة الصحية الحالية أرجعت مصطلح الأزمة لأصله الأول حين كان مرتبطا بالمجال الطبي، حيث يرجع أصل كلمة أزمة إلى الطب الإغريقي القديم، حين كانت تعبر عن نقطة تحول مصيرية في تطور المرض، يرتهن بها شفاء المريض أو موته، خلال مدة زمنية محددة، وكون دلائل الأزمة هي الأعراض التي تظهر على المريض، والناجمة عن الصراع داخل جسمه[1]. ثم تم إعادة استخدام هذا المصطلح في القرن السادس عشر في المعاجم الطبية. ثم انتقل للمجالات الأخرى. وإذا كان مفهوم الأزمة مصطلح طبي بالأساس، فسنحاول الرجوع به في هذا المقال لمجاله الأصلي. فما المقصود بالأمن الصحي اليوم؟

يقصد بالأمن الصحي توفير الخدمة الصحية وجعلها في متناول وقدرة الأفراد على الحصول على تلك الخدمة، سواء من خلال نظام التأمين الصحي، أو حمايتهم من الأمراض التي يمكن الوقاية منها. وهو أمن غير محقق بالشكل المطلوب، حيث أن الأسباب الرئيسية للوفاة في البلدان النامية هي الأمراض المعدية، وذلك ناتج عن عدم عدالة توزيع الخدمة الصحية بين الدول[2]، بل وحتى داخل الدولة الواحدة نجد أن هناك تفاوت بين جهاتها. ذلك أن عدد الوفيات بكورونا مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي القوة العظمى، تسجل في صفوف المواطنين الأقل دخلا، والمناطق الهامشية المكتظة.

---

[1] الزبيدي نصير مطر، إدارة الولايات المتحدة للازمات الدولية، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2011، ص 17.

[2] العمارات فارس محمد، الأمن الإنساني في ظل العولمة، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2020، ص 41.

- **مفهوم الوباء العالمي**

الوباء العالمي في أصله كلمة يونانية Pandemic تتكون من Pan التي تعني الجميع، وDemos التي تعني الناس. أي أن الوباء العالمي عدوى تصيب الإنسان وغيره من الكائنات الحية، ويتميز باتساع الرقعة وسرعة الانتشار والآثار السيئة على الصحة والاقتصاد والسياسة العالمية[1].

ومن الأهمية بمكان التفريق حين نتحدث عن الوباء العالمي بين الوباء والجائحة، ذلك أن الوباء يصيب دولة أو بضع دول، ويتحول الوباء لجائحة حين يصيب الكثير من الدول، ويصبح بذلك وباء عالميا بسبب سرعة الانتشار والتأثير. هذا الفرق بين المصطلحين مهم لأنه يحدد طريقة مواجهة الطارئ الصحي، والجميع يتذكر كيف استهانت منظمة الصحة العالمية بفيروس كورونا في بداية ظهوره، واعتبرته وباء لا يرقى لمستوى الجائحة، إلى أن انتشر بشكل كبير، وتم تكييفه كجائحة بعد أن وصل بآثاره لتهديد الأمن الدولي.

- **آثار أزمة كورونا على الأمن الدولي**

قبل كورونا كان الخوف شديدا من اندلاع حرب عالمية ثالثة تُستعمل فيها الأسلحة النووية، ثم صدقت نبوءة الحرب اليوم لكنها لم تأت نووية بل فيروسية. لقد أصبحنا نعيش حربا جديدة بطلها كوفيد، فكيف حصل ذلك؟

فجأة ودون سابق إنذار انطلق عداد ضحايا الخوف الظاهر والمستتر...

حدثت طفرات على الفيروس غير متوقعة، سرعت انتشاره، فاختفت أعراضه وصعب اكتشافه...

وتحطمت النفسيات بالأرقام القياسية لحالات العدوى، ونقصت بالخوف المزمن المناعة ضده...

---

[1] الازهري محمد سيمبو البوغيسي، عواصف الأوبئة القاتلة من الطاعون إلى فيروس كورونا، دار الكتب العلمية، 2020، ص 2223.

رايات العالم صارت ترتعش على وقع الارتعاب من المخاطر المحدقة، وحتى الدول العظمى عاشت النقمة. الفزع أذهب العقل والتعقل عن السياسة الدولية، فتخبطت الحكومات في مواجهته، ودارت حول نفسها دورة كاملة. ولأول مرة في تاريخ البشرية تتعطل الشعائر الدينية الجماعية بإجماع أهل الدين والسياسة والاقتصاد، إجماعا دوليا فوريا لم يتحقق من قبل.

وفي مواجهة الفيروس، سابق الجميع الزمن لصده، وللأسف صعب إيجاد لقاح له إلى حدود كتابة هذا المقال، رغم ادعاء الكثير من الدول السبق في الوصول إلى اللقاح، وهو في الحقيقة سبق سياسي وليس سبقا صحيا حقيقيا.

إنه الموت الذي قدم من المجهول ليسود، ويتربع على عرش العالم. فحين نام قادة الاقتصاد وزعماء السياسة وأهل الرئاسة استيقظ الفيروس ليحكم كامل الكرة الأرضية، وليفرض على الإنسان قوانين الطوارئ الطبيعية، فسجن كامل البشرية في بيوتها بشكل طوعي وشرعي، وأعطاهم الدرس الأول في زمن أخطر الأزمات الصحية.

الفيروس قاتل لكنه عادل لم يميز بين دولة متقدمة وأخرى متأخرة، حيث أخضع الجميع لسطوته بشكل ديمقراطي، فتحقق لأول مرة في التاريخ شرط الديمقراطية العالمية، لكنها للأسف لم تأت حقوقية بل فيروسية. في بداية الأزمة وبسبب نقص المعطيات وتكتم الصين سخر العالم من الفيروس واعتبره الكثير من الرؤساء مزحة سمجة، ولم يلتزموا بشروط الحماية منه، وبعد أن ندموا صاروا يتراشقون بالتهم، دول تتهم أخرى بمحاربتها باستعمال الفيروس، ومنظمات تتهم شركات ربحية طورت الفيروس حسب ادعائها من أجل الكسب، وأخرى تراه من فعل الطبيعة التي خرجت عن السيطرة، ومتدينون ظنوه لعنة وعقابا إلهيا، بل هناك من تحدث عن ثأر إلهي للأقليات التي

تضطهدها الصين تحت سياسة التطهير العرقي[1]. لكن ومع استفحال الخطر واقترابه من كل نفس لم يعد أحد ينشغل بمن كان السبب. الجميع أصبح منشغلا بسبل النجاة والبقاء على قيد الحياة.

وقد كان للأزمة الحالية تبعات مفزعة منها:

- زعزعة الثقة وحضور الشك؛
- تواتر الإشاعات ونشر الرعب؛
- الإحباط العام وارتفاع حدة التوتر؛
- تواتر الوفيات وتأثر كل مناحي الحياة.

فانكشفت بذلك الكثير من النقائص المستترة التي لم تكن جلية منها:

- طغيان الأنانية، تجلت في غياب التضامن الدولي، وحضور القرصنة الدولية للمواد الطبية. كل دولة انغلقت على مصالحها، وحتى تلك التي قدمت المساعدات لم تفعل ذلك بصفاء نية، واستغلتها فرصة للاستعراض، حيث شَحَنَتِ الدول المتطوعة طائراتها بالكاميرات والصحفيين لتوثيق الحدث أكثر من الكمامات والمعدات الطبية؛
- ترنُّح النظام الدولي، وبروز عالم بلا قيادة حقيقية، قادرة على تدبير الأزمة بحكمة؛
- هشاشة اقتصاديات العالم، وضعف البنية الصحية حتى في أغنى الدول. ذلك أن تأثر الخدمات الصحية بالدول الغنية كشف عن فشل سياساتها التي ركزت على التسلح وغزو الفضاء، وتركت مجالا حيويا مثل الصحة، لكونه ليس مجالا للموت بل للحياة، والكثير من قادة العالم يستهويهم الاستثمار في الموت على حساب الحياة؛

[1] عذال ليث، في ساعة كورونا، بيلومانيا للنشر والتوزيع، 2020، ص 9.

- انكشاف الحجم الحقيقي للإنسان، فلأول مرة كان هناك اعتراف بالعجز أمام الطبيعة.

لكن ورغم كل السلبيات جاءت أزمة كورونا ببعض الإيجابية الفورية والمباشرة، لم تستطع البشرية تحقيقها على مدار قرون، منها:

- تحسن مؤشرات البيئة العالمية بشكل غير مسبوق، بسبب تراجع الحركية خاصة على مستوى الطائرات وتوقف الكثير من المعامل الملوثة؛
- جلوس الناس في البيوت قرّب بين الأسر التي كانت مفتونة بالجري هنا وهناك بدون هدف. فبعد الحجر صاروا يعرفون بعضهم ولما هم جالسون. فقد استطاع الوباء أن يعزز العدالة الاجتماعية بين الناس، وأن يجعل المساواة سيدة المرحلة[1]؛
- الهدوء الذي عم الكثير من بؤر التوتر التي كانت مشتعلة قبل الوباء، وتراجع الهجمات الإرهابية، وأخبار القبض على الإرهابيين، والمسلسل اليومي للتخويف من الإرهاب، الذي لم يعد يذكر إلا قليلا.

باختصار فإن آثار الأزمة الصحية الحالية صارت عالمية بامتياز، وخلفت الكثير من السلبيات والقليل من الإيجابيات، والكثير من الخاسرين والقليل من الرابحين.

- **الخاسرون والرابحون من الجائحة**

بداية نؤكد أن الجميع خاسر خسارة مباشرة جراء الجائحة، لكن الخسارة تتفاوت من دولة لأخرى، كما أن فداحتها بالنسبة لبعض الدول يعد ربحا لدول منافسة.

الولايات المتحدة الأمريكية وهي القوة العظمى المسيطرة هي أكبر المتأثرين بالأزمة، حيث عاشت النقمة والعجز المزمن لأول مرة زمن الأحادية

---

[1] الصديق نورة، كورونا بين قلبين، منشورات غاليري، 2020، ص 321.

القطبية، وأخذت تتحسس عظمتها المهددة بالزوال، بعد أن حققت جائحة كورونا على أرضها أعلى نسبة في عدد الإصابات وعدد الوفيات. وأكيد أن النظام الدولي مقبل على الكثير من المفاجئات في القريب من السنوات بسبب فيروس كورونا، قد تكون في غير صالح الولايات المتحدة. صحيح أن التراجع الأمريكي ابتدأ قبل كورونا، لكن الفيروس كشف حقيقة هذا التراجع بما لا يدع مجالا للشك. لذلك حين كان الرئيس الأمريكي ترامب يسميه بالفيروس الصيني، كان الظاهر أنه يتهم الصين بنشر الفيروس، لكن باطن كلامه كان يجلي ما كشفه الفيروس من ضعف أمريكي، بعد أن ضُربت القوة الأولى عالميا في الصميم حين هوجمت في عقر دارها، ولم تمنع القوة العسكرية والموقع الجغرافي المنيع عدوان الجائحة عنها. فالفيروس دخل البلاد عنوة من الباب الرسمية للمطارات، وأسقط الضحية تلو الضحية أمام أعين المارينز والمخابرات الداخلية والخارجية. مما يعيد للذاكرة الهجمات بالطائرات في الحادي عشر من سبتمبر. لكن الأمر صار اليوم مختلفا مع الفيروس، لكون الولايات المتحدة لم تستطع فعل شيء بخلاف هجوم سبتمبر الأسود، حين وقفت وكأنها الجبار لتوزع تهديداتها على العالم وتقسمه لشطرين لا يقبل القسمة على ثلاثة، إما معنا وإما ضدنا. وبينما تعاطف معها العالم خلال هجمات الحادي عشر من سبتمبر، انشغلت الدول بنفسها زمن كورونا، لأن المصاب كان واحدا وإن اختلفت آثاره.

وليست الولايات المتحدة وحدها من ظهر ضعفها، لقد جلّت كورونا حقيقة الكثير من الدول التي أخطأت موعدها مع التاريخ، وظهرت بمظهر القزم أمام الفيروس، واستسلمت لسطوته. فالغرب الأوربي المتقدم تحول لغرب نامي وثالثي حين ارتفعت بأرضه عدد الإصابات، وصار يستقبل المساعدات الطبية من الصين، ويرسل برقيات الغزل والشكر لها.

الأمم المتحدة كذلك كانت من الخاسرين للرهان، مع العلم أنها قلما تربح رهاناتها، حيث فقدت هي الأخرى ما تبقى من هيبتها أمام فيروس كورونا. لكن عجز الأمم المتحدة ولعبها دور المتفرج لم يكن صادما، لأنها دائما ما تأتي متأخرة عن الموعد، وحتى حين تتدخل في الوقت المناسب يكون تدخلها هامشيا ومحتشما، مثل رجل يحضر حفلا وهو غير مدعو له، رغم أنه أب العروس وعم العريس. لقد كشف هذا الارتباك حالة الفراغ التي يعيشها النظام الدولي اليوم، وأثبت أن الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة في مجال تدبير الأزمات رغم أهميته التي لا يمكن إنكارها، لم يصل بعد إلى المكانة التي يجب أن يكون عليها.

منظمة الصحة العالمية التي تعتبر السلطة التوجيهية ضمن المنظومة الأممية فيما يخص المجال الصحي، كان من المفروض أن تعلب دور البطولة في هذه المرحلة باعتبار التخصص، لكنها فشلت هي الأخرى وتورطت بعد تأخرها عن إعلان كورونا وباء عالميا، وساهمت في استفحال الكارثة بالصمت عنها، ووُجهت لها بسبب ذلك اتهامات خطيرة بسوء إدارة الأزمة، مما دفع الولايات المتحدة لتعليق دعمها للمنظمة، متهمة إياها بالتستر على الصين.

ومقابل الخسائر التي أتت بها كورونا لبعض الدول والمنظمات، جاءت الأزمة في صالح دول أخرى. حيث كانت الصين الرابح الأكبر وبدون منازع. فرغم أنها ترنحت في البداية، لكنها استطاعت تحويل أزمتها الداخلية لربح على المستوى الدولي، لدرجة جعلت الكثيرين يتهمونها باصطناع الأزمة. لقد تحولت الصين التي أعلنت القضاء على الوباء في وقت قياسي من مكافحته إلى استغلاله في تعزيز طريق الحرير الصحي نحو دول أوروبا. فأعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ استعداد بلاده لمشاركة خبراتها وتقديم المساعدة الطبية، فانتقلت بسرعة من مرحلة الحرب ضد الفيروس إلى مرحلة توسيع دائرة نفوذها عبره، وذلك من

خلال إحيائها مبادرة طريق الحرير الصحي التي كانت قد أطلقتها عام 2017، وإرسال المساعدات الطبية إلى الدول المتضررة[1].

الصين ليست وحدها من استثمرت في الفيروس، حيث استفاد من الجائحة الكثير من تجار الأزمات، الذين استغلوا فراغ الساحة وأصبحوا أغنياء كورونا، فمن شدة ضعفنا وخوفنا أصبح للأزمة في عالمنا سوقا دوليا، ومستثمرون يزكون الأزمة. دون أن ننسى بعض الدول الشمولية التي استغلت الأزمة كي تحكم قضيتها الأمنية على مواطنيها، وتصفّي الحسابات مع معارضيها، كما أنها استطاعت تمرير قوانين قمعية لم تكن تتجرأ على طرحها حتى للنقاش قبل ظهور الفيروس.

2- سيناريوهات وسبل أكل المستقبليت

تعكف بعض الدول الكبرى اليوم على إعادة النظر في بنيتها العسكرية، للتكيف مع المستجدات التي فرضتها جائحة كورونا، والتأقلم مع آثارها الطويلة المدى[2]. فالصدمة الكبرى جراء الجائحة جعلت منها اختبارا صحيا صعبا فشلت في اجتيازه البشرية، فكيف باختبار أصعب وأكثر فتكا وانتشارا. الأمر الذي يجعل من البحث عن سبل مواجهة الأزمات الصحية اللاحقة مطلبا ملحا، حتى لا نصطدم في المستقبل بسيناريو أخطر من السيناريو القاتم الذي نعيشه اليوم.

---

(1) إبراهيم محمد سمير، "مستقبل العلاقات العربية الصينية"، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 92، صيف 2020، ص 167.

(2) ملاعب ناجي، "عن مستقبل الأمن والدفاع في ظل كورونا"، موقع الأمن والدفاع العربي، 20200510.

https://sdarabia.com/2020/05/%D8%B9%D9%86%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%81%D9%8A%D8%B8%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7/

- **السيناريوهات المستقبلية**

لا أحد يستطيع التنبؤ بما سيقع في المستقبل، لكن هناك الكثير من المؤشرات السلبية التي تعطي تصورا عن مآلات الأمن الدولي ما بعد كورونا. فخلال القرن التاسع عشر لم يكن أحد يتصور أن القرن الذي يليه سيكون قرن الحربين العالميتين اللتين أزهقتا أرواح الملايين، والقنبلة النووية الأكثر تدميرا في التاريخ، وخلال القرن العشرين لم يكن أحد يتصور أن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن جائحة بحجم وتأثير كورونا. قَدَرُ الإنسان أن يصنع مآسيه وأزماته، فقدرته على التفكير في الخير توازيها أو تتجاوزها قدرته على تدبير الشر. الإنسان لم يتغير اليوم عن القرون السابقة، لكن وسائل الدمار تغيرت وأصبح الوصول إليها أكثر سهولة، مما يطرح إشكال مستقبل الأمن الدولي، خاصة وأننا اليوم في قلب أزمة لا ندري متى تنتهي.

أزمة كورونا قد تطول أكثر من المتوقع، وقد تستمر للأبد، وتجبر الإنسان على التعايش معها إن لم يستطع إيجاد لقاح للفيروس، وحينها ستصبح كورونا مرضا عاديا يلازم معيشنا اليومي، ونُطبّع معه كما طبّعنا مع الكثير من الأمراض قبله، والتي لم يتم إيجاد لقاح أو علاج لها مثل الأنفلونزا الموسمية والإيدز وأمراض السرطان وغيرها. وحتى إن تم القضاء على الفيروس فلن تعود الأمور إلى سابق عهدها، فقد تؤدي الأزمة الحالية إلى إفلاس عالمي وتغيرات جوهرية في النظام الدولي لا ندري كيف ستكون مآلاتها، لكن المتوقع أن تكون أكثر قتامة كلما طالت الأزمة أكثر. وبذلك يصبح الدرس الذي يمكن استخلاصه من جائحة كورونا هو أن مستقبل زعامة النظام الدولي ليس وحده من سيطرح حوله الإشكال، بل مستقبل العالم الذي إن استمرت السياسة الدولية على ما هي عليه، قد تعجل بنهايته. انشغال الأقوياء بالتنافس على قمة الهرم والتسابق على الريادة سيؤدي بالعالم إلى الخراب الحتمي.

أزمة كورونا الصحية قد تتبعها أزمات سياسية كبرى، واحتمال انتقال كورونا من جائحة صحية إلى جائحة سياسية ينذر بخطر كبير يحدق بالعالم، وإذا ما تفاقم الأمر فإن العالم سيدخل في صراعات متشعبة لا يمكن الخروج منها إلا بصعوبة بالغة وبتكاليف باهظة، فالجائحة ستنتقل عدواها لتضرب العلاقات الدولية، وقد تصل الأزمات السياسية إلى مراحل صدامية، تنزلق بعدها لمواجهات عسكرية مدمرة إذا وصلت لمراحل متقدمة[1]، وربما نجد أنفسنا أمام حربا عالمية ثالثة لن يكون لها رابع.

من المتوقع كذلك أن يتمازج مفهوم الأمن الداخلي مع مفهوم الأمن الدولي الشامل ليصبحا مفهوما مركبا وواحدا. الولايات المتحدة مثلا وهي القوة العظمى تهتم اليوم ليس فقط بأمنها الداخلي بل بالأمن والاستقرار الدولي كأساس لاستقرارها الداخلي[2]. حيث أصبح الأمن الدولي هاجسا مسيطرا وأولوية الأولويات خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من أحداث[3]. نفس الأمر عاشته مع فيروس كورونا الذي جاء زاحفا من أقصى الشرق ليقتحم مجالها الداخلي.

لكن ماذا عن مستقبل الشعوب؟

---

(1) محمد الشريف مها، "كورونا أصبح جائحة سياسية"، جريدة الشرق الأوسط، الثلاثاء، 26 ماي 2020، رقم العدد [15155].
https://aawsat.com/home/article/2301936/%D9%85%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81/%C2%AB%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7%C2%BB%D8%A3%D8%B5%D8%A8%D8%AD%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9

(2) Brzezinski Zbigniew, Le vrai choix: les EtatsUnis et le reste du monde, Traduit de l'anglais par Michel Bessières, Ed Odile Jacob, Paris, 2004, p. 3435.

(3) Sous la direction de Renner Michael, L'état de la planète 2005 Redéfinir la sécurité mondiale, Ed L'état de la planète publications, 2005, p. 3.

مستقبل المواطن قد لا يكون أفضل في القادم من السنوات، لأنه لعب ويلعب في كل مراحل التاريخ دور المفعول به، بينما القلة الآخرون يتصارعون به ويدعون الصراع من أجله. مستقبل العالم سيظل موضوع صراع دائم بين المواطن ذو المصلحة في جعل هذا المستقبل أكثر تعبيرا عن مطامحه كإنسان يرغب في المزيد من الحرية والتقدم والعدالة، وبين القوى المتحكمة في المواطن والناطقة باسمه، والتي تريد أن تحافظ على مصالحها الضيقة كي لا نقول الشخصية، من خلال إمساكها بالمفاتيح الأساسية للتقدم، واستخدام هذا التقدم ضد الأكثرية من البشر، وذلك بأكثر ما يمكن من التوحش[1]. فالمتوقع أن يستمر المستقبل مختطفا من طرف قلة قليلة تفضل مصلحتها، وكثرة مغلوبة على أمرها تأمل في مستقبل أفضل للعالم، لكنها لا تملك الوسائل للتغيير. وحتى من كان مستضعفا وتمكن يوما من الوسيلة لن يسعى لتحقيق ما كان يأمله، بل سينضم للقلة القليلة في تخريب العالم من أجل مصالحه. بمعنى أن مصلحتنا كأشخاص ومصلحة الكرة الأرضية لا تلتقيان، لأن الإنسان بطبعه أناني ولا يكون إنسانيا إلا حين يعجز.

الجماعات الإرهابية من المتوقع أن تستغل انشغال العالم بالأزمة الصحية الحالية من أجل إعادة تنظيم صفوفها. وبالتالي قد تستعيد عافيتها وتصبح أكثر تنظيما وقوة في المستقبل، وأكثر تهديدا للأمن الدولي. التاريخ يثبت أن الجماعات الإرهابية تلقى رواجا وقبولا أكبر في بيئة الأزمات، مثل ما حصل

---

[1] كريم مروة، في البحث عن المستقبل، دار الساقي، الطبعة الأولى، 2009.
https://books.google.co.ma/books?id=El1oDgAAQBAJ&pg=PT26&dq=%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85&hl=fr&sa=X&ved=2ahUKEwiPr8qI2arsAhUjyYUKHZhOCUUQ6AEwA3oECAEQAg#v=onepage&q=%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85&f=false

مع صعود الحزب النازي وهتلر بعد اتفاقية فرساي المذلة عقب الحرب العالمية الأولى التي انهزمت فيها ألمانيا. وجائحة كورونا ستستغلها الكثير من الجماعات المتطرفة من أجل كسب أنصار جدد، والتوسع في المناطق الهامشية الناقة على ضعف الخدمات الصحية والاجتماعية. وستستفيد كذلك من تحويل الحكومات لجزء من الموارد والدعم الموجه لمكافحة التطرف والجريمة المنظمة لمجالات أخرى فرضها الظرف الجديد[1].

الفيروس قرب الإنسان من سيناريوهات الفناء، وفتح أعين المتربصين به على ما يمكن فعله، خصوصا أن تصنيع مثل تلك الفيروسات لا يحتاج للكثير من الإمكانيات. ألسنة اللهب أصبحت قريبة من الحطب، واحتمال وصول الجماعات المتطرفة وغيرها لسلاح فيروسي مدمر سيناريو محتمل وبشدة.

كما قد يواجه الأمن الدولي جملة معقدة من التهديدات الأخرى لا علاقة لها بالأمن الصحي، أبرزها مخاطر صنع أسلحة الدمار الشامل وتخزينها واستخدامها، وتهديد تداعيات تصدع النظام البيئي للكرة الأرضية، وأخطرها انتشار ظاهرة الاحتباس الحراري والتلوث البيئي، وتوسع ثقب الاوزون، ومتغيرات مناخية خطيرة في صور أعاصير وفيضانات وزلازل غير مسبوقة. ولكي نتجنب هذه السيناريوهات السوداء على المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤوليته في حفظ الأمن والسلم الدوليين. فالتحدي الذي تواجهه البشرية اليوم مرتبط ببقاء العالم وعاء صالحا للعيش[2].

باختصار فإن الإنسان هو صانع التاريخ، ومن يصنع التاريخ يصنع المستقبل. وإذا أردنا سيناريو محدد علينا المشاركة الإيجابية في صياغته، بدل

---

[1] آل سعود عبد الله، "استغلال الأزمات: الجماعات الإرهابية، اليمين المتطرّف، والجريمة المنظمة في ظل فيروس كورونا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020، ص 170171.

[2] الغزاوي صالح رعد قاسم، "التهديدات العالمية المؤكدة لعام 2020"، مجلة الدراسات الإستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص، العدد الرابع، يناير، 2020، ص 16.

الاكتفاء بالشجب وإدانة ما يحدث والانفعال العاطفي. فرحم المستقبل يتسع لسناريوهات بديلة يتحمل البشر مسؤولية اكتمال تشكل وولادة إحداها. وبذلك لا يجب الاكتفاء بالولولة والنواح وتوسيع دائرة الصياح، بل يجب تقديم البدائل والآليات، والمشاركة في صياغة مستقبل العالم[1]. فرغم تركيزنا السابق على السناريوهات الكئيبة والقاتمة التي لا نأمل أن تحدث في المستقبل، إلا أن احتمال حدوث سيناريو مبشر يبقى واردا وبقوة، لكن ذلك يحتاج عملا من الآن حتى يتحقق. أزمة كورونا قد تفتح فرصا للتغيير نحو الأفضل، إنها أزمة قابلة للاستثمار من أجل بناء غد أفضل. فمن المتوقع أن يكبر الاهتمام بالأمن الصحي، بحيث يأخذ المكانة التي تليق به، بعد أن ظل لعقود طويلة على الهامش، بسبب الأولوية التي حضي بها الأمن العسكري، لدرجة أن الكثير من الاكتشافات الطبية كان أساسها عسكريا في البداية.

- **سبل أكل المستقبلي**

السيطرة على أزمة كورونا قد لا يعني نهاية القصة بل بداية حلقة جديدة من فصولها، كحال ذلك الرجل الذي قبض على لص حاول سرقته في شاطئ البحر وأوثقه، ثم ارتمى في البحر ليسبح احتفالا بالنصر، لكن الوثاق لم يكن محكما ففكه اللص وأخذ مال وملابس الرجل وانطلق جريا وتركه عاريا وسط الماء. الفيروس الطارئ كما اللص يسرق الأرواح، لذلك فإن القضاء النهائي عليه لن يكتمل إلا بالقضاء الكامل على كل جيوبه. العديد من الأزمات ورغم حلها إلا أن طريقة معالجتها تؤدي لأزمات جديدة أكثر وأكبر. لا يكفي حل الأزمة، الأهم من تجاوز الأزمة تجنب آثارها الجانبية، كي لا تحدث بسببها أزمات أخرى أكبر منها بمجرد القضاء عليها.

---

[1] شوقي أحمد، صورة المستقبل، كيف نرسم ملامحها؟، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000، ص 59.

- **الاستفادة من دروس كورونا**

إدارة الأزمات الصحية فن وعلم يدرّس وتعتمد عليه الكثير من المؤسسات في الدول المتقدمة، لكن ما حصل من عشوائية في مواجهة كورونا أثبت أنه لازال أمام الدول الكثير لتتعلمه في مواجهة الكوارث الصحية. فانطلاقا من الأخطاء التي وقعت، نستخلص الكثير من العبر التي يمكن استثمارها في تدبير الأزمات اللاحقة منها:

- أن العشوائية والأنانية في مواجهة الأزمة يزيد من تفاقمها، وقد تكون لها نتائج كارثية، وحتى إن نجحت لن يكون النجاح مرده العشوائية نفسها بل الصدفة، ولا يمكن أن نترك مصائرنا بيد الصدف؛
- ضرورة احترام الأزمة الصحية وعدم الاستهانة بها؛
- سلامة التدخل مرتبط بدقة المعلومات وتوافر المعطيات عن طبيعة الأزمة؛
- السيطرة على الوقت جزء من السيطرة على الأزمة الصحية. السرعة مطلوبة في مواجهة فيروس سريع الانتشار، لكن التسرع غير مقبول. الأزمة الصحية ذات العدوى إن لم يتم مواجهتها في بدايتها، قد تتطور ويتولد عنها أزمات أخرى أخطر وأكبر؛
- الهدوء مهم في مواجهة الأزمات، فالارتباك والتوتر من شأنهما أن يؤثرا سلبا على سلامة القرارات؛
- دور الفرد الواعي والمتبصر مهم كذلك، فهناك أهمية قصوى للفرد تظهر بشكل جلي وقت الأزمات الصحية خاصة شديدة العدوى، والتي تتطلب منه أن يتخذ موقفا إيجابيا، لما لها من تأثير مباشر على

حياته في الحاضر والمستقبل[1]. تجهيل وتسطيح عقول الشعوب أنتج فوضى عابرة للقارات زمن كورونا، وأفرادا لم يستوعبوا خطورة الوضع وخرجوا بشكل عشوائي مقاومين الحضر، حتى في الدول الأكثر تحضرا وديمقراطية. فالأمن الصحي لا يتحقق إلا بتظافر الجهود الحكومية والخاصة للأفراد، وتوفير كافة الوسائل والإمكانات اللازمة. لذلك ينبغي إشراك الأفراد في ترسيخ مفهوم الأمن الصحي، باتباع الإرشادات والتوجيهات الصحية التي تصدر لهم من الجهات المختصة[2].

- أهمية المعلومة، فكلما توفرت معلومات أكثر عن الطارئ الصحي كلما سهل التعامل معه، فمعرفة الداء أول الدواء. المعلومة الصحيحة والمفيدة تساهم في مواجهة الإشاعات بنفس القوة التي تواجه بها الأزمة، والتي تتوالد بالمئات كل يوم. وهنا يأتي دور الإعلام الذي من شأنه أن يساهم في التوعية بالأزمة أو في تعميقها. لقد سلطت الأزمة الصحية الحالية الضوء على الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام الطبي، وهو مجال جديد يجدر الاعتناء به خلال السنوات القادمة[3]. الإعلام عند انتشار الأوبئة والأمراض المعدية يصبح مقصدا للجمهور بحثا عن الحقيقة والمعلومات الإرشادية المفيدة، وفي أحيان كثيرة يتصدر الإعلام المشهد، ويصبح النافذة الرئيسية التي يطل الجمهور من خلالها على ما يجري، لكن المواطن في بحثه

---

(1) عبد الحميد صلاح، الإعلام وإدارة الأزمات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2013، ص 138.

(2) بن عبد الله سويلم حمد، انعكاسات استخدام المادة الوراثية وتأثيراتها المحتملة على الأمن الوطني، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011، ص 235.

(3) معبد عبد العليم، "الاستراتيجيات المستقبلية لإدارة أخطار الأوبئة والكوارث الصحية في ظل تجربة أزمة فيروس كورونا المستجد"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020، ص 304.

عن الحقيقة الدقيقة يجد نفسه أمام وسائل إعلام مختلفة ومتخلفة أحيانا، وكم هائل من المعلومات، وأخبار متضاربة[1].

- **اعتماد النهج الاستباقي**

الأضرار الكبيرة التي تسببت فيها أزمة كورونا، جاءت نتيجة غياب توقع واستعداد مسبق لمثل هذه الأزمات. قدرة الدول على مواجهة الأوبئة والكوارث مستقبلا يتطلب تطوير قدراتها في مجال التنبؤ وإدارة الأخطار، والاستعداد الكافي بمجموعة من السيناريوهات الفاعلة[2].

صحيح أن تفادي كل الطوارئ الصحية يعتبر أمرا مستحيلا، لكن الأمر غير الطبيعي هو في عددها ونوعها وكيفية مواجهتها. الكثير منها يمكن استباقها، أو احتواؤها والحد من تأثيراتها. لا يجب أن ننتظر اليوم الذي نرى فيه أحباءنا يتساقطون حولنا دون أن نستطيع فعل شيء. التحرك يجب أن يكون وقائيا وعالميا وإنسانيا قبل فوات الأوان، وقبل أن تتحول حياتنا لفيلم رعب حقيقي. فحتى إن نجونا اليوم من فيروس كورونا لا نريد لأبنائنا وأحفادنا أن يتحملوا أوزار أخطائنا معه، مثلما تحملنا نحن أخطاء آبائنا. مشاكل الحاضر هي نتاج لتراكم أخطاء الماضي، والاحتقان المضارع يمهد لانفجار المستقبل، وقد يذهب خطر كورونا ليأتي ما هو أخطر وأشر، ودورنا كفاعلين في الحاضر أن ندق ناقوس الخطر القادم، وأن نهيئ ما يجب لتأمين المستقبل.

النهج الاستباقي يستلزم تفعيل دور البحث العلمي ومراكز الدراسات، من أجل العمل على إعداد الخطط والتنبؤ بالأزمات واستشعار بوادرها، وذلك بالاعتماد على خبراء دوليين وعلماء وأكاديميين متمكنين. فالذي يفكر في العمل على حل الأزمة بعد وقوعها، كحال ذلك الذي يفكر في تعلم السباحة بعد الغرق.

---

[1] الشرمان عديل، "دور الإعلام في مواجهة الأوبئة والأمراض المعدية: وباء فيروس كورونا نموذجا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020، ص 192.

[2] معبد عبد العليم، مرجع سابق، ص 308.

وبعيدا عن التنجيم فإن للأزمة مؤشرات قبل حدوثها، لذلك يجب أن نطور المقدرة على التقاط الإشارات وقراءة المؤشرات والتحرك قبل فوات الأوان، من أجل القضاء على بذور الأزمات قبل حدوثها، مع الاستنفار الدائم، ومحاكاة الأزمات الوبائية والتدرب على مواجهتها. كما يجب أن نضع في الحسبان حين تكون الأمور عادية أننا في مرحلة ما قبل الأزمة الصحية، وبالتالي إن طال الاستقرار لا يجب أن نطمئن إلى أن الأزمة لن تحصل.

باختصار فإن هناك أهمية في تكوين سلة أزمات تشمل المخاطر المحتملة، وفق أولويات توقع حدوثها، واستنادا إلى هذه الأولويات يتم إعداد سيناريوهات الأزمات والكوارث المتوقعة وسيناريوهات الحل[1].

- **التعاون الدولي وتفعيل آليات الرقابة والمحاسبة**

الغريب في أزمة كورونا أن الفيروس الضعيف لم يستقوي على البشر بل استقوى بالبشر، لأنهم كانوا أمامه مشتتين. تعاون الدول خلال الأزمة مهم، وتجييش كل الفاعلين والمقدرات والأدوات التي تتوفر عليها الدول بشكل علمي ومنهجي ومنظم ضروري، وذلك من خلال ربط الحكامة بتدبير الأزمات.

التكاثف والتعاون بين الدول خاصة في مجال المعلومة يحدث الفارق، ولو أن الصين تعاونت من البداية لما انتقل الفيروس بسرعة البرق وأصبح عالميا، لكنها تكتمت واعتقلت الأطباء الذين فضحوا المستور. أزمة كورونا الصحية طبَعها التكتم في البداية وتبديد الجهود بسبب ضعف التنسيق الدولي، وعمل الدول مجتمعة كان سيساعد في توحيد الجهود ووحدة القرار وسرعة تحقيق النتائج. مواجهة الأزمات الصحية الدولية وغيرهما من الأزمات التي قد تشكل تهديدا للأمن الدولي في المستقبل، يجب أن تكون مسؤولية دولية تضامنية، وألا

---

[1] الدليمي عبد الرزاق، العلاقات العامة وتدبير الأزمات، دار اليازوري العلمية، 2019، ص 249.

تنفرد بها دولة دون باقي الدول. الفوضى العارمة التي نعيشها اليوم نتحمل جميعا تبعاتها، حتى إن كنا غير فاعلين فيها، لأننا اتخذنا موقف السلبية.

مفهوم الأمن الجماعي ببعده الضيق مجرد وسيلة وأداة من أدوات السياسة الدولية، ويقتصر فقط على تحريم الاستعمال التعسفي أو العدواني للقوة، لكن التطور المستمر في مفهوم الأمن الدولي لم يواكبه في نفس الوقت تطور مماثل في الأدوات اللازمة لمواجهة هذه المتغيرات الدولية، ولم يصادف تطورا مماثلا في الإدراك العام لدى الدول بأهمية تحقيق المصالح المشتركة، بل إن غالبية الدول تؤثر تحقيق مصالحها وأمنها القومي على ما عاداه[1]. وعلى الدول في المستقبل أن تتجاوز أنانيتها وفردانيتها.

ولا يمكننا الحديث هنا عن تعاون دولي حقيقي إلا في ظل المؤسسات الدولية التي خلقت لهذا الغرض. لذلك تبقى جميع الحلول التي ذكرناها سابقا ترقيعية بالنسبة للأمن الصحي الدولي إن لم يكن هناك تركيز على إصلاح الأمم المتحدة. لقد مر على تأسيس المنظمة الأممية زمن طويل ولم تعد تستجيب هيكلتها وميثاقها لمتطلبات السلام في زمن العولمة والإرهاب الدولي والاتجار بالبشر والجريمة العابرة للقارات والفيروسات الحاملة للجواز الدبلوماسي. الأمم المتحدة صارت جهازا باردا برودة ميت لا يتحرك إلا أصبعه الكبير (مجلس الأمن). لكن تفعيل دورها من جديد يحتاج لجرأة من أجل الوصول لإصلاح شامل، ذلك أن جل الإصلاحات المقترحة إلى اليوم لا تتمتع بالجرأة المطلوبة، ولا تستجيب لحاجيات الإصلاح الحقيقي. باختصار فإن ضمان مستقبل البشرية وتحقيق الأمن الدولي يمر لزاما عبر إصلاح الأمم المتحدة، أو استبدالها بمنظمة دولية قادرة على القيام بمهام حفظ الأمن والسلم الدوليين في حال تبث أن إصلاح المنظمة الحالية غير ممكن. إكرام الميت دفنه.

---

[1] ابو الخير مصطفى، الأسانيد القانونية لحركات المقاومة في القانون الدولي، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017، ص 178.

الأزمة الصحية الحالية تفرض التفكير في آليات دولية لتدبير الأزمات المستقبلية، وآليات أخرى للمراقبة والتتبع والمحاسبة. هناك دول تتلاعب بمصير البشرية، لذلك يجب فتح باب محاسبة أي دولة أنتجت فيروسات قاتلة ووسعت دائرة انتشارها. لقد أثبت العالم عجزه ليس فقط في مواجهة كورونا، بل حتى في فتح تحقيق من أجل تحديد المسؤول عنها. الصين كان عليها أن تُسأل عن سماحها للملايين بالسفر من ووهان لخارج الصين في الوقت الذي لم تسمح فيه لساكنة المدينة التي ظهر فيها الفيروس بالسفر للمدن الصينية الأخرى، مما أدى لانتشار الفيروس في العالم، وتضرر الاقتصاد العالمي، وتأثر الجميع بما في ذلك أنا صاحب هذا المقال الذي أكتبه وأنا في الحجر الصحي في المغرب البعيد آلاف الكيلومترات عن الصين.

لقد بات وضع آليات دولية ذات قدرة تنفيذية لمحاسبة كل دولة تورطت في اختلاق أزمة تمس الأمن الدولي بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء بالأمر أو التحريض أو التمويل أو التغاضي مطلبا آنيا وملحا. فللتنصل من المسؤولية نجد الأفعال التي ترتكبها الدول سواء ضد رعاياها أو ضد الدول الأخرى تغلّف بأسماء تبعد الشبهة عنها، وقد تجد في التشريعات القانونية ما يسوغ تصرفاتها[1].

الخاتمة

انسجاما مع الطفرة الكبرى والعميقة التي تعيشها البشرية اليوم، صار لزاما التحرك من أجل تأمين المستقبل الصحي للعالم. لقد أصبح من الضروري التعامل مع البنية التحتية الصحية كجزء من الأمن الدولي. مواجهة الأزمة الصحية الحالية يوسع الخبرات أكثر لمواجهة الأزمات اللاحقة، لذلك على

[1] عبد السلام محمد هيثم، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، 2005.

المتخصصين والخبراء في مجال تدبير الأزمات توظيف خبرتهم المكتسبة في حل الأزمات اللاحقة[1].

العالم لابد له من أزمات صحية دورية تقوي مناعة الكرة الأرضية، لكنها إن كثرت دل ذلك على ضعف مناعتنا وهشاشة سياستنا. الأزمات الدولية المتعاقبة وخاصة الصحية في غياب استراتيجية لمواجهتها تفتح المجال لتواترها. لقد أصبح من الضروري التفكير في خلق آلية رسمية أممية قانونية ودائمة، لها قوة تنفيذية للتدخل وتدبير الأزمات الصحية ذات البعد الدولي، حتى لا يبقى مستقبلنا موكولا لإرادة دول بعينها تتخذ المبادرة من أجل حل الأزمة فتزيد في تعميقها، أو تنغلق على نفسها تاركة المجال للأزمة كي تفعل ما تشاء، وهو ما حدث بالضبط في مواجهة فيروس كورونا.

على الدول أن توجه جهدها لمكمن الخطر الحقيقي لا الوهمي، وعليها أن تعلم أن توجهها نحو التسلح لن يحقق لها الأمن، هناك رهانات أخرى وسباقات أهم من سباق الموت. كورونا غيرت مفهوم القوة، وفي المستقبل سيصبح مفهوم "الدولة الكبرى" رهينا بقدرة الدولة الطامعة في الحصول على هذا اللقب على تدبير الأزمات وقيادة الأبحاث، وليس مراكمة الأسلحة. على الدول القوية اليوم أن تعلم أن أمن وصحة المواطن الفقير في أبعد نقطة في العالم قد يكونا أساس أمنها الداخلي، لأن العدوى وانتشار الأمراض لا يمكن تجنبه في مجتمع أصبح متشابكا. الدرس الذي لقنته جائحة كورونا لنا جميعا، هو أن سفينتنا واحدة، وأن ما يجري بسوق بمدينة صينية لم يعلم بوجودها أغلب ساكنة العالم قبل كورونا، يؤثر على تفاصيل الحياة في كامل الكرة الأرضية.

---

(1) Sous la direction de Theirry Portal, crises et facteur humain, Ed De Boeck, 2009.

المراجع والمصادر

الكتب

1. العمارات فارس محمد، الأمن الإنساني في ظل العولمة، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2020.
2. سيمبو البوغيسي الازهري محمد، عواصف الأوبئة القاتلة من الطاعون إلى فيروس كورونا، دار الكتب العلمية، 2020.
3. الزبيدي نصير مطر، إدارة الولايات المتحدة للازمات الدولية، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2011.
4. عذال ليث، في ساعة كورونا، ببلومانيا للنشر والتوزيع، 2020.
5. الصديق نورة، كورونا بين قلبين، منشورات غاليري، 2020.
6. كريم مروة، في البحث عن المستقبل، دار الساقي، الطبعة الأولى، 2009.
7. شوقي أحمد، صورة المستقبل، كيف نرسم ملامحها؟، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000.
8. صلاح عبد الحميد، الإعلام وإدارة الأزمات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2013.
9. بن عبد الله سويلم حمد، انعكاسات استخدام المادة الورائية وتأثيراتها المحتملة على الأمن الوطني، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011.
10. بيات الضيفي ميثاق، أوكسجين الحرية، E-Kutub Ltd، 2019.
11. الدليمي عبد الرزاق، العلاقات العامة وتدبير الأزمات، دار اليازوري العلمية، 2019.
12. ابو الخير مصطفى، الأسانيد القانونية لحركات المقاومة في القانون الدولي، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
13. عبد السلام محمد هيثم، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، 2005.
14. Sous la direction de Portal Theirry، crises et facteur humain، Ed De Boeck, 2009.
15. Berthelet Pierre, Chaos international et sécurité globale: La sécurité en débats, Ed EPU, 2014.

16. Sous la direction de Fontanel Jacques, Economie politique de la sécurité internationale, Ed L'Harmattan, 2010.
17. Brzezinski Zbigniew, Le vrai choix: les Etats-Unis et le reste du monde, Traduit de l'anglais par Michel Bessières, Ed Odile Jacob, Paris, 2004.
18. Sous la direction de Renner Michael, L'état de la planète 2005 - Redéfinir la sécurité mondiale, Ed L'état de la planète publications, 2005.

المقالات

1. إبراهيم محمد سمير، "مستقبل العلاقات العربية الصينية"، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 92، صيف 2020.
2. محمد الشريف مها، "كورونا أصبح جائحة سياسية"، جريدة الشرق الأوسط، الثلاثاء، 26 ماي 2020، العدد [15155].
3. معبد عبد العليم، "الاستراتيجيات المستقبلية لإدارة أخطار الأوبئة والكوارث الصحية في ظل تجربة أزمة فيروس كورونا المستجد"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020.
4. الشرمان عديل، "دور الإعلام في مواجهة الأوبئة والأمراض المعدية: وباء فيروس كورونا نموذجا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020.
5. آل سعود عبد الله، "استغلال الأزمات: الجماعات الإرهابية، اليمين المتطرّف، والجريمة المنظمة في ظل فيروس كورونا"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد 36، 2020.
6. قاسم رعد، الغزاوي صالح، "التهديدات العالمية المؤكدة لعام 2020،" مجلة الدراسات الإستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص، العدد الرابع، يناير، 2020.

المواقع الإلكترونية

1. عبد العاطي عمرو، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأميركية، 2014.
https://books.google.co.ma/books?id=Q6ZjDwAAQBAJ&pg=PT26&dq=%D9
2. ملاعب ناجي، "عن مستقبل الأمن والدفاع في ظل كورونا"، موقع الأمن والدفاع العربي، 10-05-2020،
https://sdarabia.com/2020/05/%D8%B9%D9%86%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D9%81%D9%8A-%D8%B8%D9%84-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7/

المحور الثاني
مفهوم ومؤشرات وابعاد الامن الصحي

اولاً : الأمن الصحي بين الموجود والمنشود :(مقاربة قانونية لواقع الصّحّة في تونس)

نبيل بن الهادي العوني

ثانياً : تداعيات الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمة والناميّة (المخاطر والتحديات)

صولة فيروز

اولاً : الأمن الصحي بين الموجود والمنشود : (مقاربة قانونية لواقع الصّحّة في تونس)

نبيل بن الهادي العوني [*]

مقدمة:

وأنت تتصفّح موقع منظّمة الأمم المتّحدة، قد تطالعك أخبار متفائلة عن التّطوّر العلمي المحرز في قطاع الصّحة في العالم، وعمّا حقّقته دول العالم من خطوات جدّ مشجّعة في ميدان الحدّ من وفيات الأطفال أو التّحصين باللّقاحات أو مقاومة مرض الملاريا... لكنّ التحدّيات لا تزال كبيرة وخطيرة[1]...لاسيّما تلك التّهديدات التي تلقي بظلالها، من زمن إلى آخر، على كلّ أرجاء المعمورة، وهو ما يعاني منه العالم اليوم بفعل استشراء الوباء وقلّة الحيلة وعجز العلماء وتخبّط الأطبّاء... وقديما، قيل إنّ العقل السليم في الجسم السّليم. ولذا، فقد طوّر الإنسان العلوم الطّبّية، وشيّد المؤسّسات الاستشفائية، وسنّ القوانين الحمائية والوقائيّة، وجعل من الحق في الصّحة حقّا مقدّسا... ولم يشذّ المشرّع التّونسي عن هذه القاعدة، ليجعل من الأمن الصحّي جزءا لا يتجزّأ من الأمن القومي، ومن الحقّ في الصّحة[2] حقا دستوريّا يضمنه دستور البلاد التونسية صراحة في فصله 38 حتّى يوفّر أسباب العيش الكريم لكلّ مواطن على

---

[*] باحث قانوني في سلك الدكتوراه- كلية العلوم القانونية/ تونس 2.

[1] نصف قرن من الحق في الصحة، موقع منظمة الأمم المتّحدة الالكتروني:
https://www.un.org/ar/chronicle/article/20078

[2] Jaouher BEN MBAREK, Le principe de la non discrimination et le traitement juridique des maladies transmissibles à travers la loi n° 92-71 du 27/07/1992, Mémoire DEA., Faculté des sciences juridiques (Tunis2, 1992-1993, pp. 29- 30

قدم المساواة. ويراد به الحق في السلامة الجسمية والعقلية والاجتماعية، بحيث يكون للشخص الحق في حماية صحته وبدنه في أحسن الظروف الممكنةكما ينصّ عليه الفصل الأول من القانون عدد 63 لسنة 1991 المتعلق بالتنظيم الصّحّي[1].

ولهذا الحقّ ارتباط وثيق بحقوق وحرّيات كثيرة أخرى، كالحقّ في الحياة (الفصل 22) وكرامة الذات البشرية وحرمة الجسد (الفصل 23) والحق في الإعلام والنّفاذ إلى المعلومة (الفصل 32) وحرية البحث العلمي (الفصل 33) والحق في بيئة سليمة ومتوازنة (الفصل 45)... بل ويذكّر الفصل 47 مرّة أخرى بهذا الحقّ في حمايته لحقوق الطّفل ومصلحته الفضلى[2]. هذا الارتباط توثّقه منظّمة الصحة العالمية التي تعرّف الحق في الصّحة على أنّه "**حالة من الرّفاه الجسدي والنّفسي والاجتماعي الكامل، لا تتحقّق بمجرّد غياب مرض أو عاهة**". وتتضمّن الحق في التحكّم في صحّته وجسده، بما في ذلك حرّيّته الجنسية والإنجابية والحق في إجراء التّجارب الطبّية عليه والحصول على الخدمات الطّبّية والوصول إلى مرافق الرّعاية الصحّية، فضلا عن الحاجة إلى مقوّمات

---

[1] أنظر: المادة 12 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: "تعترف الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية يمكن بلوغه"؛

الفصل 25 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "لكلّ شخص الحق في مستوى معيشي يكفي لضمان الصّحة والرّفاهة له ولأسرته وخاصّة على صعيد المأكل والملبس والمسكن والعناية الطّبّية"؛ يراجع أيضا:

الحق في الصّحة، الشبكة العالمية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الموقع: https://www.escr-net.org/ar/resources/368846

[2] حول حق الطفل في الصّحة: Huminum, Article précité.

العيش الكريم مثل الغذاء والماء والصّرف الصحّي وظروف العمل الصّحيّة والسّكن اللائق[1]...

هذا التّعريف القانوني يؤكّد أهمّية موضوع الحال وشموليته لكافة جوانب الحياة اليومية، وما يتطلّبه الأمن الصحّي من جهود وإمكانيّات بشريّة ولوجيستيّة وهيكليّة، بل وتداعياته على حقّ الفرد في العيش الكريم، الأمر الذي يفسّر ما يتسلّط عليه اليوم من ضوء في الأرض قاطبة. فالعدوّ قاس وعنيد، والمهمّة عسيرة، جسيمة. وإزاء تنامي الخطر، كان لابدّ من قرارات مصيرية تجعل من الحقّ في الصحّة والعلاج وبالتّالي الحقّ في الحياة أولوية الأولويّات باعتبار أنّ الثّروة البشرية لا يمكن تعويضها بالمال. لكنّ المال هو، أيضا قوام الأعمال. فهو الوسيلة التي تمكّن من تطوير البنية الأساسيّة، وتشييد المؤسّسات الاستشفائيّة والمختبرات العلميّة وتكوين الإطارات والأعوان... ذلك أنّ الاستعدادت الصّحيّة تتطلّب إمكانيّات ماليّة ضخمة خاصّة مع التّقدّم العلمي الحاصل في العالم. ولا يخفى على أحد أنّ تلك الإمكانيّات تعوز بلدان العالم النّامي، حيث تظلّ الفجوة عميقة بين الوضع الرّاهن والتّحدّيات الحاليّة من جهة، والطّموحات البشريّة والتطلّعات الصحّية من جهة أخرى. لكنّ غياب الإمكانيّات المادّية ليست العائق الوحيد الذي يحول دون تحقيق المطلوب، أي حقّ المواطن في صحّة جيّدة، فالعراقيل كثيرة، والتحدّيات أكبر بما ينبئ بهشاشة الأمن الصّحي في تلك البلدان.

وفي ظلّ ما يشهده العالم من حرب إبادة ضدّ هذا الوباء العابر للقارّات الذي ضرب في كلّ أصقاع العالم، وعرّى عجز دول متطوّرة عن مواجهة ما حلّ بشعوبها من بلاء نازل، صنّفته منظّمة الصّحة العالمية "جائحة"، وهو مصطلح علمي أكثر شدّة واتّساعا من "الوباء"، ويرمز إلى استشراء الدّاء وعدم

[1] الشبكة العالمية للحقوق الاقتصادية، الحق في الصّحّة، الموقع الالكتروني: https://www.escr-net.org/ar/resources/368846

انحصاره في رقعة واحدة، اخترنا التّجربة التّونسيّة؛ ليس فقط لأنّه بلد نام، ضعيف الإمكانيّات، بل لأنّه ذاك البلد الذي خرج لتوّه من الاستبداد إلى البناء الدّيمقراطي، وما كلّفه ذلك من خسارة على جميع المستويات. تجربة حَريّة بالدّرس، خاصّة أمام وباء بلا حدود، بلا وطن؛ وباء ملأ الدّنيا وشغل الناس... هو "الكوفيد 19"، ذلك الوباء الذي زلزل جميع الأنظمة الصّحية في العالم وبيّن الوهن الذي أصاب الأمن الصحّي في كلّ بقاع العالم بارتفاع عدد الوفيات والإصابات.

وفي بلدي، فإنّ هذا الفيروس- المعروف بـ"الكورونا المستجدّ"، وهو **"مرض مُعد يسبّبه آخر فيروس تمّ اكتشافه من سلالات فيروسات كورونا"**[1]- جعل كافّة مؤسّسات الدّولة في صراع غير متكافئ بين الاستعدادات والتّحضيرات، والمخاطر والتّهديدات.. ولم تنحصر تداعيات هذا الفيروس اللّعين والكائن المتحوّل في الكشف عن مكامن ضعف المنظومة الصحّيّة في تونس، على جميع المستويات، بل إنّه زاد في متاعبها وصعوباتها، وبالتّالي في تنامي التّخوّفات من انهيارها في بلد الانتقال الدّيمقراطي.

ومعلوم أنّ وضع اليد على مواطن الخلل وتشخيص الدّاء الذي ألمّ بالصحّة العمومية هو أوّل خطوة في معالجة الأزمة، بهدف المساهمة- ولو مساهمة متواضعة- في رسم الحلول الكفيلة برأب الصّدع وسدّ تلك الهوّة العميقة بين الواقع الصحّي الرّاهن وما يطمح إليه المواطن من حقّ في صحّة جيّدة[2].

---

[1] الكورونا هو سلالة من الفيروسات التي قد تسبّب المرض للإنسان والحيوان، وهي تتسبّب في أمراض تنفّسية والتهابات رئويّة وعديد الأعراض الأخرى التي قد تؤدّي إلى الهلاك من حمّى وسعال...وهي أعراض تشتدّ لدى المسنّين وأصحاب الأمراض المزمنة؛ يراجع: مرض فيروس كورونا (كوفيد 19: سؤال وجواب، منظّمة الصحة العالميّة، الموقع الالكتروني: https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

[2] حول التّمييز بين الحق في الصّحة والحق في صحّة جيّدة، يراجع باللّغة الفرنسية:

وعليه، فإنّنا لن نكتفي بتوصيف الوضع فقط، بل نسعى- من خلال هذه الدّراسة- إلى تحليل النّصوص النّظريّة ونقد الواقع الصّحّي بغية رسم بعض التّصوّرات والتّوصيات على الصّعيد التّشريعي أو التّطبيقي، لاسيّما وأنّ الوضع من شأنه أن يزداد سوءا في الظروف الاستثنائية. وللوقوف على معالم هذه "الأزمة القديمة-الجديدة"، وتحديد الصّعوبات والتّفاعلات اتّجه طرح الإشكالية التّالية: ما هي مختلف أشكال التّحدّيات أو الصّعوبات التي تواجهها منظومة الأمن الصّحّي في ظلّ الواقع الرّاهن؟

يعرف قطاع الصّحة، اليوم في تونس، الكثير من النّقائص، فرغم كثرة المؤسّسات والأجهزة واللّجان والإطارات الصحّية والطبّية يبدو أنّ هناك خللا في المنظومة الصّحّية، حيث يبقى المرفق الصّحّي بعيدا عمّا جاء في المواثيق الدّولية والإقليمية لحقوق الإنسان والتّوصيات التي قدّمتها لجنة الأمم المتّحدة المعنيّة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية في تعليقها العامّ عدد 14، والتي تستدلّ بعدد من المعايير الصّحيّة للوفاء بهذا الالتزام، كتوفّر الخدمات والمرافق الصّحّيّة وجودتها ومُلاءمتها[1]. ذلك أنّ المرافق الصّحّية والخدمات الإدارية في البلاد هي اليوم من سيّئ إلى أسوأ. فمبدأ الإنصاف بين الجهات مفقود[2]. والمقابل المادي للحقّ في الصّحّة تضاعف مرّات ومرّات، والخدمات

Huminum, (ONG, Le droit à la santé : Comprendre le droit à la santé des enfants ; site éle.:https://www.humanium.org/fr/comprendre-droits-enfant/droit-a-la-sante/

[1] إدريس السدراوي، الحق في الصّحة في المواثيق الدّوليّة والاقليمية لحقوق الإنسان، الرابطة المغربية لحقوق الإنسان، 11نوفمبر 2018، الموقع الالكتروني:
http://www.lmcdh.com/2018/11/11/

[2] فتوزيع أسرّة الإنعاش نفسه يكشف عن الهوّة بين المناطق الدّاخلية وجهات الساحل التي تحظى نسبيّا بمستوى جيّد من العلاج؛

التي تقدّمها المستشفيات العمومية متردّية، وبعض الأدوية إن لم يكن الكثير منها غير موجود، وهجرة الأدمغة الطّبية بلغت ذروتها، وخدمات الصرف الصّحّي وتوفّر المياه مافتئ يؤرّق الكثير من مواطني الجهات الدّاخلية... فسُبل العلاج والرّعاية والمراقبة الصّحية غدت أزمة مجتمع وحكومة. وإذا كانت تلك حال المنظومة في الظّروف العاديّة، فما بالك بما قد يطرأ من ظروف استثنائيّة بفعل التّهديدات الوبائيّة والفيروسيّة الرّاهنة، والتي شكّلت قوّة قاهرة فاقمت الوضع الصحّي وزادت في تأزيمه.

ولم تقتصر مواطن الخلل والضعف على الوضعيّة المتردّية للصحّة العموميّة. فمن خلال المقاربة القانونيّة لمختلف تلك التّحدّيات والصّعوبات والعراقيل التي تهدّد منظومة الأمن الصحّي في جوهرها، يمكن أن نستشفّ أنّها تتراوح بين ما هو نظري، وما هو واقعي. فعلى الصّعيد التّشريعي، تعاني منظومة الأمن الصّحّي من نقائص عدّة، تحول دون تحقيق النّجاعة والفاعلية. فالنّصوص القانونيّة لا تقدّم إجابات شافية عن مواضيع صحّيّة كثيرة.

1. الأمن الصّحّيّ في مواجهة التحدّيات التشريعيّة

يمرّ مشروع القانون بمراحل عدّة بدءا بالاقتراح، مرورا بالمناقشة وانتهاء بالمصادقة والنّشر. وهي إجراءات تأخذ وقتا طويلا في كلّ برلمانات العالم. هذه الملاحظة تفرض نفسها في سنّ قوانين الصحّة باعتبار ما يتطلّبه الأمن الصحّي

مبادرة الإصلاح العربي، تونس تواجه فيروس كورونا: إجراءات استثنائية لمواجهة ظروف استثنائية، 2020/09/16، الموقع الالكتروني:
https://www.arab-reform.net/ar/publication/

يفسّر تردّي الخدمات الصحّية في كثير من البلدان أيضا بأنّ النظام القانوني الخاص بالنّظام الصّحي كان دائما في مرتبة ثانية في اهتمامات الدّولة، يراجع:

Stéphanie RENARD, Thèse précitée.

من سرعة في مواجهة بعض الأزمات. هذا فيما يتعلّق بالقوانين العاديّة[1]، فما بالك إذا ما اتّخذت تلك القوانين شكل قوانين أساسيّة؟؟؟ بل إنّ الغموض يكتنف مسألة تحديد ما إذا كانت القوانين المتّصلة بالأمن الصحّي قوانين أساسيّة أم عادية، بما يفتح الباب أمام التّأويل والطّعن[2]، خاصّة وأنّها تتعلّق بحقّ أساسي من حقوق الإنسان، وقد تنال من حرّيّته في نفس الوقت. وقد تحتدّ المشكلة وتطول الإجراءات إذا ما تعلّق الأمر بالطّعن في هذه القوانين أمام المحكمة الدّستورية[3] أو بالاستفتاء الذي قد يلجأ إليه- عند الاقتضاء- رئيس الجمهوريّة.[4]

وهذه المعطيات التّشريعيّة تُعطي صورة أوّلية عن الصّعوبات التّشريعية والعراقيل القانونيّة التي تواجه النّظام الصحّي. بيد أنّه، رغم كلّ العراقيل، فإنّه لا يمكن أن ننكر أنّ دولة الاستقلال في تونس قد وضعت الإطار التشريعيّ والتنظيمي اللاّزم للقطاع الصحّي بما يعطيك ذاك الانطباع بأنّ تعريف مصطلح الأمن الصحّي هو أمر على غاية من البساطة والبداهة. لكن، في الواقع، فإنّ تلك القوانين- على كثرتها- لا تحلّ كلّ الإشكالات أو الصعوبات المتعلّقة بالأمن الصّحّي، والتي تتراوح بين غموض المفاهيم القانونية **(الفقرة الأولى)**، وتشتّت النّصوص التّنظيميّة **(الفقرة الثانية)**.

---

[1] الفصل 65 (مطّة 15 من الدّستور التّونسي: "تتّخذ شكل قوانين عاديّة النّصوص المتعلّقة بـ... المبادئ المتعلّقة بالصّحّة العمومية."

[2] هناك اختلاف إجرائي في مسألة المصادقة على هذه القوانين من حيث الأغلبية المطلوبة في الدستوري التونسي وفقا لمقتضيات الفصل 64.

[3] انظر الفصل 66 – 81 من الدّستور التّونسي في إجراءات المصادقة وإمكانية الطعن فيه بعدم الدّستوريّة وأجل الردّ وختمها ونشرها.

[4] الفصل 82 يخوّل لرئيس الدّولة ممارسة حقّه في الاستفتاء بالنّسبة لمشاريع القوانين المتعلّقة بالحقوق والحرّيات، بما في ذلك الحق في الصحة كحق من حقوق الإنسان.

- **غموض المفاهيم القانونية**

مبدئيّا، الأمن الصّحي هو أحد المكوّنات الأساسيّة للنّظام العامّ. وهو- أي النّظام العامّ، ويقال أيضا الانتظام العامّ- مفهوم مرِن وواسع.. لذلك لا يوجد لهذا المفهوم تعريف محلّ إجماع[1]، بل هي فكرة عامّة لكافّة فروع النظام القانوني[2]، وكثيرا ما ارتبط بما يُعرَف بالثلاثية الكلاسيكية: الأمن العامّ، الصّحة العامّة والسّكينة العموميّة[3]. وهو أساسا القواعد التي ترنو إلى تحقيق مصلحة عامّة سياسيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة، تتعلّق بنظام المجتمع الأعلى وتعلو على مصلحة الأشخاص[4] والحرّيات الفردية[5].

---

[1] عن الصعوبة في تحديد مفهوم النظام العام، ما قاله بعضهم: "إن النظام العام يستمد عظمته من ذلك الغموض الذي يحيط به، فمن مظاهر سموّه أنه ظل متعاليا على كل الجهود التي بذلها الفقهاء لتعريفه"، يراجع:

- محماد الفرسيوي، النظام الصحي العام في زمن كورونا، مجلة الأخبار (على مدار الساعة الالكترونية، 24 أبريل 2020، الموقع الالكتروني:

https://www.alakhbar.press.ma/%D8%A7%D9%84%D9%86%8%A7-98469.html

- مناد بالا، دور القضاء في حماية النظام العام الصّحي، جريدة هيسبريس الالكترونية (المغربية، السبت 30 ماي 2020، الموقع الالكتروني:

https://www.hespress.com/writers/473014.html

[2] فيصل نسيغة، النظام العام، مجلة المنتدى القانوني، العدد 5، ص. 165؛ الموقع الالكتروني:

http://fdsp.univ-biskra.dz/images/revues/mntda/r5/mk5a12.pdf

[3] مريم عباس، العناصر الحديثة للنظام العام في القانون الإداري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، المجلد 7، عدد 1، لسنة 2020، ص. 2؛ الموقع الالكتروني:

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108164

[4] هو أيضا "مجموعة من القواعد الإلزامية التي تمس بنظام الوطن والمجتمع، بالاقتصاد، بالآداب، بالصحة، بالأمن، بالسلم العام وبالحقوق والحريات الأساسية لكل فرد داخله". بمعنى آخر، هو مفهوم لحياة مجتمعية تتميز بالسلم الاجتماعي والنظام والأمن العام والسكينة والآداب، مناد بالا، المصدر السابق الذكر.

[5] وفي القانون الدولي الخاص هو مبدأ يخصّ دولة دون غيرها من شانه استبعاد أيّة قاعدة قانونية أجنبية قد تؤدّي إلى موقف يتعارض مع المبادئ الأساسية للقانون القومي. ومنها الصّحّة العامّة: أي

وفي هذا الصّدد، فإنّ أيّ مساس بالصّحة العامّة يعدّ مساسا بهذا النظام العامّ الذي تسعى السّلطة إلى تحقيقه وإقامته داخل الدّولة. وبناء عليه، يراد بالنّظام العامّ الصّحّي مجموعة القواعد التي تختلف بحسب الزّمان والمكان، والتي تهدف إلى حماية المجتمع ومراعاة المصلحة العامّة تحقيقا للأمن الصّحّي. ولمّا كان مفهوم الأمن الصحّي يستمدّ خصائصه من فكرة النّظام العامّ[1]، فإنّه سيكون مفهوما متطوّرا ومتغيّرا، بحيث لا توجد قواعد ثابتة، صالحة لكلّ زمان ومكان، تحدّد مضمونه[2]، رغم معرفتنا بالوسائل الكلاسيكية المعهودة لفرض هذا النّظام من كشف وتحاليل وتلاقيح إجبارية وحجر صحّي وحظر تجوال... والتي ظهرت بقوّة في كلّ أصقاع العالم مع "الكوفيد 19"[3]. فكرة ما فتئت تتأكّد، لاسيّما وأنّ مجال العلوم التّجريبيّة والطبّية مجال نسبيّ وفي حالة تطوّر دائم. فالحقيقة نسبيّة، بما لا يتلاءم مع ثبات النّصوص التّشريعية واستقرار أحكامها.

نستخلص ممّا سبق أمرين، **"فما يعتبر من النظام العامّ في بلد ليس كذلك في بلد آخر، وأيضا ما يُعدّ من النّظام العام في زمن معيّن ليس بالضرورة كذلك**

العلم الذي منع الأمراض ورفع مستوى الكفاية جسمانيّا وعقليّا لأفراد المجتمع. وهي تدلّ أيضا على مجموع المصالح التي تتولّاها والتي تتألّف منها وزارة الصّحّة العمومية، أنظر:

القاموس القانوني، فرنسي عربي، ابراهيم النجار & أحمد زكي بدوي & يوسف شلالا، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص. ص. 209- 260.

[1] فيصل نسيغة، النظام العام، المصدر السابق الذّكر، ص. 169 وما بعدها.

[2] عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد: نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام، منشورات دار الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2002، ص. 399.

[3] STÉPHANIE RENARD, L'ÉTAT D'URGENCE SANITAIRE : DROIT D'EXCEPTION ET EXCEPTIONS AU DROIT, REVUE DES DROITS ET LIBERTÉS FONDAMENTAUX, 2020, CHRO. N° 13 ; SITE ELE. :http://www.revuedlf.com/droit-administratif/letat-durgence-sanitaire-droit-dexception-et-exceptions-au-droit/.

في زمن آخر"[1]. وأمّا النّتيجة الثانية، فهي أنّ الأمن الصّحّي يعلو على مصلحة الأفراد الذين يجب عليهم جميعا مراعاة هذه المصلحة وتحقيقها. وفي هذا السّياق، لسائل أن يسأل هل يمكن للأعراف والتّقاليد أن تكون من قبيل العناصر التي تحدّد النّظام العامّ الصحّي؟

في الواقع، تكون القواعد العرفيّة التي يتبنّاها المجتمع، والتي لا تخالف القانون أو الآداب العامّة جزءا من مكوّنات النّظام العامّ الذي يهدف بدوره إلى المحافظة على المبادئ والقيم الاجتماعية. لكنّ الإجابة لا تكون قطعيّة بالنّسبة للأمن الصّحّي. بل لابدّ أن تكون حالة بحالة.. من ذلك أنّ المداواة بالأعشاب الطّبيّة في كامل أنحاء البلاد[2] وكيّ المرضى بالنّار في مقامات أولياء الله الصّالحين والزّوايا[3] أو اللّجوء لبعض العرّافين أو أولياء الله الصّالحين للاستطباب وطلبا الشفاء، وغير ذلك من الطّقوس العلاجية... هو فعل مسكوت عنه، ما لم يدخل

---

[1] محماد الفرسيوي، المصدر السابق الذكر.

[2] تسمّى تلك بأعشاب الطبّ البديل، وتوجد أساسا بسوق "البلاط" بتونس العاصمة، حيث نجد أكثر من 3 آلاف نوع من النّباتات ومستخلصات الأعشاب الطّبيّة والحشائش الموجودة في الغابات، لكلّ حسب مرضه (أمراض مزمنة أو جلدية أو نفسية .... وهذا السّوق يعرف إقبالا كبيرا من طرف التّونسيّين رغم وجود اختصاص التّداوي بالأعشاب كتخصّص علمي في تونس؛ يراجع:
أعشاب الطبّ البديل تنافس وصفات الأطبّاء في تونس،صحيفة العرب، 2015/11/01؛
التداوي بالأعشاب بتونس لتفادي العلاج الكيميائي، موقع الجزيرة نات، 2015/10/31؛ الموقع الالكتروني:
https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2015/10/31/

[3] كثيرة هي تلك الممارسات التي تعتمد على المداواة بالموارد النباتية أو المياه الاستشفائية، وهي تداوي أمراضا مختلفة مثل الصّرع أو الأمراض النّفسية والعصبية...؛
- رضا بركة، الطقوس العلاجية من سيدي علي بن عون إلى سيدي الحلفاوي، جريدة الشروق (التونسية، 2005/06/18؛
- زاوية سيدي علي الحلفاوي، ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، الموقع الالكتروني:
https://ar.wikipedia.org/wiki/

ذلك تحت خانة التّحيّل أو الشّعوذة والدّجل أو حتّى التّحرّش الجنسي، أو طالما لم يكن ذلك مدعاة للفوضى والبلبلة. بل إنّ بعض العادات التي دخلت في قناعات المجتمع أضحت عاملا لاستقرار النّفوس، من ذلك الرّقيا الشرعيّة التي تجد لها قبولا واسعا في الأوساط الشّعبية والدّينيّة[1]. ورغم أنّ ظاهرة "الطّبّ الموازي" قد تؤدّي إلى انهيار المنظومة الصحّية، وتهدّد الأمن الصحّي إذا ما استشرت في المجتمع ووضعت نفسها موضع الطّبيب المعالج، فإنّها تبقى ممارسات مقبولة، تتمّ بمباركة العائلة في غالب الأحيان، لكنّها غير مقنّنة رغم ما تمثّله من أخطار في بعض الأحيان. ويدخل في هذا الباب أيضا بعض الوصفات أو "العقاقير" التي ظهرت لفيروس "كورونا المستجدّ" على صفحات التّواصل الاجتماعي، والتي يعتبرها بعض أهل الذّكر بمثابة "وباء آخر" يواجهه الأطبّاء[2]، خاصّة وأنّ الخوف

---

[1] تبقى هذه الطّريقة مقبولة ما لم يصاحبها تحيّل أو عنف. وهو موضوع أثاره وفاة فتاة 18 ربيعا على يد "راق" شرعي أثناء تلقّيها حصّة علاج بالرّقيا الشرعية باستعمال الخنق والضمّ والعنف لإخراج "الجنّ الغاضب" من جسدها. وهي حادثة ليست معزولة، بل لقس أيضا كهل حتفه في "القيروان"، وتكرّر نفس السيناريو في ولاية "صفاقس".، يراجع:أسماء وهاجر، بعد وفاة فتاة بالرّقيا الشرعيّة هل تونس على وقع عولمة التّجهيل، الوسط نيوز، 30 يونيو 2019، الموقع الالكتروني:
https://www.universnews.tn/ar/
وحول السحر والشعوذة والتحيّل بواسطة الرقيا الشرعية، يراجع: سعيدة الميساوي، "رقية ورّطتهما في قضيّة، جريدة الصباح التونسية، الخميس 2017/12/21، الموقع الالكتروني:
http://www.assabah.com.tn/article/146198/
- مجلّة العلوم الحقيقيّة، خدعة شرب الماء الحارّ في تونس، 2016/03/04، الموقع الالكتروني:http://real-sciences.com/

[2] وصفات كثيرة من الخلّ والليّمون والملح والماء.. قدّمت على أنّها علاج فعّال للكورونا، وقد وجدت لها صدى لدى الكثير من الأشخاص، بل وشهدت محلاّت العطارة المتخصّصة في بيع الأعشاب إقبالا كبيرا من المواطنين. وهو أمر رفع من سعر بعض الموادّ والنّباتات، يراجع: سعودي الطبيب، علاج كورونا بالأعشاب "وباء آخر" يواجهه الأطبّاء، جريدة الخبر (الجزائرية، 03 أوت 2020، الموقع الالكتروني: https://www.elkhabar.com/press/article/170963/

من المستشفيات التي قد تتحوّل إلى بؤر للعدوى يجعل من التّداوي في المنازل هو الحلّ الأفضل بالنّسبة للكثيرين.

لكن يبدو أنّ تحيين القوانين المنظّمة والضّابطة لم يحصل، رغم أنّه الوسيلة الوحيدة لمقاومة ظاهرة الطّبّ الموازي. **"هذا إلى جانب أنّ شيوع اللّجوء إلى التّداوي بالنّباتات لمكافحة كوفيد 19... طريقة يعتمدها الكثير من البلدان الفقيرة أو التي لا توجد فيها منظومات صحّية في المستوى المطلوب"**[1]. ثمّ إنّ الطّبيعة تأبى الفراغ، فغياب السّلط والوعي والنّصيحة الطّبيّة اللاّزمة هو الذي يدفع نحو مثل تلك الممارسات. هذا إلى جانب ما تمثّله بعض الحشائش والنّباتات من خطر على الصّحّة البشريّة على المدى القريب أو البعيد رغم الفوائد الثّابتة. فهي، وإن كانت تساعد في الشّفاء من عديد الأسقام، فإنّه قد تكون لها مخلّفات ثانويّة أخرى، مثل نبتة القرنفل التي قد تؤدّي إلى هبوط في سكر الدّم[2].

في المقابل، غدا دفن جثث موتى فيروس كورونا، بالطريقة الدّينيّة والأعراف المتعارف عليها، من قبيل العادات التي تمنعها- صراحة- التّراتيب الصّحّية التي تفترض تولّي البلديّة بمعيّة إدارة المستشفى القيام بالدّفن في حضور البعض من أقارب الهالك فقط ووفقا لتدابير أمنية وصحّية خاصّة ومشدّدة. إنّ هذا يعني أنّه كلّما كان هناك خطر يهدّد الأمن الصحّي العمومي، يتدخّل النّظام العامّ لمجابهته ودرئه. ولكنّ ذلك يتمّ بمباركة أهل العلم ومشورتهم، وهو ما تؤكّده المناشير في الغرض والتي تدعو السلطات الإدارية إلى التّعاون مع المصالح الصحّية المشرفة عند نقل الجثّة ودفنها من أجل اتّخاذ التدابير الوقائية اللاّزمة[3]. وهذه التّدابير

---

(1) سعودي الطيب، المصدر السابق الذّكر.

(2) كثير من هذه النّباتات تساعد زيادة مناعة الجسم ومقاومة الأكسدة، كما تحتوي على عديد الفيتامينات المهمّة للجسم... لكنّ استعمالها بكلّ اعتباطيّة قد تكون لها مخلّفات سلبيّة؛ يراجع: سعودي الطيب، المصدر السابق الذّكر.

(3) المنشور عدد 08 لسنة 2020، الصادر عن وزارة الشؤون المحلية، المؤرخ في 07 أفريل 2020؛ المنشور عدد 21 لسنة 2020، الصادر عن وزارة الصحة، المؤرّخ في 13 أفريل 2020.

الاستثنائية يبدو أنّها في طريقها إلى المراجعة بعد التّحديثات العلمية الجديدة التي قدّمتها منظّمة الصّحة العالمية، وبعد التّأكّد من وجود مبالغة في تعليمات بروتوكول الدّفن[1].

وهذا يقودنا بدوره إلى تعريف الأمن الصحّي كالتزام محمول على عاتق الدّولة لفائدة المواطن من أجل ضمان سلامته الجسدية وصحّته النّفسية، وبالتّالي حماية حقّه في الصّحة. فالأمن الصّحي ليس- كما يراه بعضهم- مجرّد **"نظام تسعى السّلطة العموميّة إلى حفظه عن طريق وضع سياسة متعلّقة بالصّحة العمومية، وسنّ إجراءات وقوانين تهدف إلى منع انتشار الأمراض المعدية والأوبئة عامّة"**[2]. بل منظومة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة، وهو نمط عيش في المجتمع بغاية حفظ النّوع البشري، وسياسة دولة، وسلوك مجتمعيّ يترسّخ عبر القواعد الآمرة والملزمة، أو عبر التّحسيس والتّوعية[3].

مفهوم له ارتباط وثيق بدور الدّولة ومهامّها المنوطة بها، وبما يحقق مصالحها العليا. ولنا في الفصل 38 ف. 2 و 3 من الدستور التّونسي خير دليل

---

(1) جريدة الرّأي العامّ (التونسية، 2020/10/07، الموقع الالكتروني: https://array-alam.com/%D9

حمادي المعمري، كورونا يفرض شروطه على ضحاياه في تونس، 2020/10/11، الاندبندنت (عربية، الموقع الالكتروني:

https://www.independentarabia.com/node/15936

(2) محماد الفرسيوي، النظام الصحي العام في زمن كورونا، المصدر السابق الذكر.

(3) لا فائدة ترجى من معرفة مدى التّماهي أو الاختلاف بين النّظام العامّ الصحّي والأمن الصّحي بما أنّ الهدف واحد والوسيلة واحدة. وكلّ جدل فيه يبقى نظريّا رغم ما يراه بعضهم من أنّ الأمن الصحّي غيّر من مفهوم النّظام العامّ الصحّي بحيث غدا أمن الأفراد هو جوهر الأنشطة الصحّية العمومية، يراجع باللغة الفرنسية:

Stéphanie RENARD, L'ordre public sanitaire (étude de droit public interne,Thèse, Rennes 1, 2008 ; Site éle. :

http://www.theses.fr/2008REN1G017

على ذلك- وذلك على غرار دساتير أخرى مقارنة، كما هو شأن دستور المملكة المغربية[1]- حيث "**تضمن الدّولة الوقاية والرّعاية الصّحية لكلّ مواطن، وتوفّر الإمكانيّات الضّرورية لضمان السّلامة وجودة الخدمات الصحّيّة.** (كما) **تضمن الدّولة العلاج المجّاني لفاقدي السّند، ولذوي الدّخل المحدود. وتضمن الحقّ في التّغطية الاجتماعية..**"

إذن، فالأمن الصحّي هو التزام بنتيجة وليس مجرّد التزام ببذل عناية. وبالتّالي، فإنّه ينبغي أن تشمل هذه التّغطية الصّحّية جميع المواطنين على حدّ السّواء، وعلى قدم المساواة، فللسّجين وللمحكوم بالإعدام الحقّ في العلاج قبل تنفيذ الحكم عليه.. وبفعل تعاظم دور الدّولة وازدياد تدخّلها في الحياة العامّة وفي كلّ الأنشطة الحياتيّة والحيويّة للمواطن. وهو مفهوم لا يمكن حصره في تقديم العلاج وتوفير اللّقاحات، بل يشمل كلّ الاضطرابات والانتهاكات والأزمات التي قد تهدّد حياة الإنسان ووجوده من أمراض وأوبئة وتلوّث وحروب... ليتجاوز كلّ المفاهيم التّقليدية إلى نطاق أوسع، غايته خير الإنسان.

وفي هذه الظّروف تحديدا، يتعاظم دور العلماء والأطبّاء بحيث لا يكون للسّياسي سوى أن يذعن لتلك المقترحات والتّوصيات العلمية. "**ولا يكون للقانون-عندئذ- سوى أن يصادق على وضعيّة واقعيّة.. يقرّرها العلم**"[2]. ولبلوغ هذا الهدف، كان لزاما على السّلطات أن تعمل على تأمين حدّ أدنى من الخدمات الصحية التي من شأنها أن تضمن حقّ الفرد في الصّحّة، و"**تدفع**

---

[1] مناد بالا، المصدر السابق الذّكر.

[2] Patrick LINGIBE, ETAT D'URGENCE SANITAIRE: QUELS OUTILS POUR FACE AU CORONAVIRUS COVID-19?, VILLAGE DE LA JUSTICE, 26 MARS 2020 ;
HTTPS://WWW.VILLAGE-JUSTICE.COM/ARTICLES/QUELS-OUTILS-POUR-FACE-CORONAVIRUS-COVID-QUE...-ETAT-URGENCE-SANITAIRE,34316.HTML

أحيانا إلى عملية الضبط الإداري والحد من ممارسة الحريات قصد حفظ النظام العامّ كما يحدث خلال إعلان حالة الطوارئ الصّحّية"[1]، وفق ما تقتضيه النّصوص التّشريعيّة في الغرض.

- **تشتّت النّصوص التّنظيميّة**

يُعدّ كلّ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودستور المنظمة العالمية للصّحة أهمّ النّصوص الدّولية التي تكرّس الحقّ في الصّحّة. أمّا النصوص الوطنيّة التي تنظّم الأمن الصحّي في البلاد التونسية، فهي كثيرة جدّا نكتفي، في هذه الدراسة، بعرض سريع لأهمّ المحاور التي يشملها القانون بالنّظر والتّنظيم؛ حيث تتعلّق تلك النّصوص بهياكل الصّحة العموميّة والمؤسّسات الصّحيّة الخاصّة وممارسة المهن الصّحيّة الخاصّة وتأهيل وزارة الصّحّة العموميّة والأنظمة الأساسية لأعوان الصّحّة والمسار المهني والوقاية والعلاج بالأدوية وأنظمة العلاج وطرق تحمّل أعبائه[2].

من جهتها، كثيرة هي تلك الصكوك الدولية أو الإقليمية التي تشكّل مرجعيّة أساسية للقوانين الوطنية من ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948) في فصله 5، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (1965) وفقا لما جاء في فصلها 5- هـ-(4)، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (1996)؛ (الفصول 7 و10 و12)؛ والإعلان الخاص بحقوق المتخلّفين عقليا لسنة 1971، والإعلان

---

[1] مناد بالا، المصدر السابق الذكر.

[2] للاطّلاع على النّصوص وتحميلها، يراجع: الموقع الرسمي لوزارة الصّحّة بالجمهورية التّونسيّة:
http://www.santetunisie.rns.tn/ar/2016-07-27-18-20-27/

الخاص بحقوق المعوقين[1]... أمّا على الصّعيد الوطني، فنذكّر بالقانون عدد 63 المؤرّخ في 29 جويلية 1991 المتعلّق بالتّنظيم الصحّي، والقانون الأساسي عدد 63 المؤرّخ في 27 جويلية 2004 المتعلّق بحماية المعطيات الشّخصيّة، والقانون عدد 71 المؤرخ في 27 جويلية 1992 المتعلّق بالأمراض السّارية، والقانون عدد 17 المؤرخ في 23 فيفري 1998 المتعلّق بالوقاية من مضارّ التّدخين[2]...

(1) أنظر أيضا: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في الفصول 10- 11- 12- 14، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لسنة 1987 (المادة 2- 6؛ واتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989 (المواد 6- 19- 20- 23- 24- ؛ ومبادئ حماية الأشخاص المصابين بمرض عقلي وتحسين العناية بالصحة العقلية لسنة 1991. أمّا إقليميّا فنجد: الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لسنة 1979 (المواد4- 5- 16- 18؛ والميثاق الأفريقي لحقوق الطفل ورفاهه لسنة 1990 (المواد 5- 11- 13- 14- 15-16- 17- 21- 27- 28.

(2) أنظر أيضا على سبيل الذّكر لا الحصر: والأمر عدد 2070 المؤرخ في 06 أكتوبر 2003 المتعلّق بالتنظيم الإداري والمالي للمستشفيات الجهوية وكذلك طرق سيرها والقانون عدد 35 المؤرّخ في 15 مارس 1958 المتعلّق بالنّظام الأساسي لمعهد باستور بتونس؛ والقانون عدد 84 المؤرّخ في 31 ديسمبر 1984 المتعلّق بإحداث المعهد الوطني للصحّة والقانون عدد 4 المؤرّخ في 02 جانفي 1961 المتعلّق بضبط القانون الأساسي للمدارس المهنية للصّحّة العموميّة؛ وقانون الماليّة عدد 100 المؤرّخ في 31 ديسمبر 1981 المتعلّق بإحداث المركز الوطني للحماية من الأشعّة وقانون الماليّة عدد 66 المؤرّخ في 31 ديسمبر 1979 المحدث لمركز الإغاثة الطّبّية الاستعجاليّة؛ والقانون عدد 49 المؤرّخ في 12 جوان 1995 المتعلّق بإحداث المركز الوطني للنّهوض بزرع الأعضاء وقانون الماليّة عدد 109 المؤرّخ في 31 ديسمبر 1985 المحدث للمركز القومي للطبّ المدرسي والجامعي؛ والأمر عدد 1709 المؤرّخ في 06 سبتمبر 2005 المتعلّق بإحداث المرصد الوطني للأمراض الجديدة والمستجدّة؛ وقرار وزير الصّحة العموميّة المؤرّخ في 28 أوت 2020 المتعلّق بالمصادقة على كرّاس الشّروط المتعلّق بضبط شروط مشاركة المخابر الخاصّة لتحاليل البيولوجيا الطّبّية البشرية في تشخيص فيروس كورونا سارس كوفيد؛ وقرار وزير الصحّة المؤرّخ في 28 أكتوبر 2005 المتعلّق بضبط قائمة التلاقيح الإجباريّة،... للاطّلاع على النّصوص التشريعيّة والترتيبيّة الخاصّة بقطاع الصحّة، يراجع: الموقع الرّسمي لوزارة الصّحّة: A9?limit=1&start=1.http://www.santetunisie.rns.tn/ar/2016-07-27-18-20-27/.

هذه القوانين لا تغطّي فقط مسألة تنظيم المؤسّسات الاستشفائيّة وإدارتها وطرق سيرها، بل تنظّم كلّ العمليّات الصّحية والطّبية والبيئيّة، من تلاقيح أو تحاليل أو بيع للأدوية أو استيرادها أو نقلها أو استغلال للمنشآت والمؤسّسات الصّحية أو منح للتّراخيص وسحبها أو الشّهادات العلمية أو التكوين المستمرّ أو التربّصات.. كما تشمل بالعناية كافّة الفئات الاجتماعيّة.. هذا إلى جانب أنّها تضبط حقوق جميع المتدخّلين في القطاع الصحّي وواجباتهم. بل حتّى مجابهة الكوارث وتنظيم النّجدة يجد أساسه في القانون عدد 39 المؤرخ في 08 جوان 1991 المتعلّق بتفادي الكوارث.

نصوص كثيرة جدّا، تُعدّ بالمئات، تكشف عن حرص الدّولة على فرض النّظام العامّ الصحّي، توقّيا من الفوضى أو التّحيّل والاستغلال أو الممارسات الرّعوانية، يعاب عليها أنّها متناثرة، مبعثرة، ورغم أنّها تغطّي تقريبا كلّ الشروط الصحّية المستوجبة لحفظ أمن المواطن في جميع مراحل حياته[1]، بل وحتّى بعد مماته[2]. هذا إلى جانب أنّ التّشريع غير قادر دائما على أن يستبق الكوارث أو الجوائح أو حتّى الطّوارئ الصحية، ليوجد الحلول الكفيلة بالحدّ من مخاطرها أو تجنّب تداعياتها.

ولنا في "الكوفيد 19" مثال آخر، فالمشرّع لم يدرج هذا الوباء ضمن قائمة الأمراض السّارية والمعدية إلاّ بصفة متأخّرة، وبعد أن أخذ الفيروس في الانتشار في كلّ بلدان العالم، وذلك بمقتضى الأمر المؤرّخ في 13 مارس 2020[3]. في حين أنّه تمّ اكتشاف الفيروس منذ تاريخ 31 كانون الأول/

---

[1] أنظر مثلا القانون عدد 46 لسنة 1964، المؤرّخ في 03 نوفمبر 1964 المتعلّق بالشّهادة الطّبيّة السابقة للزّواج.

[2] أنظر مثلا القانون عدد 12 المؤرخ في 25 فيفري 1997 المتعلّق بالمقابر وأماكن الدّفن.

[3] أمر حكومي عدد 152 مؤرّخ في 13 مارس 2020المتعلّق باعتبار الإصابة بفيروس كورونا الجديد "كوفيد 19" من صنف الأمراض السّارية المدرجة بالمرفق الملحق بالقانون عدد 71 لسنة

ديسمبر 2019 في مدينة "ووهان" الصّينيّة [1]. لابدّ من التّذكير، في نفس الإطار، بأنّ محدوديّة العلم وعجزه النّسبي في الإحاطة بكلّ خفايا هذه الأزمة، هو أحد أسباب ذلك التّذبذب التّشريعي والحلول المتغيّرة التي رأيناها في العالم أجمع. من ذلك ما اقتضته القوانين في عدّة بلدان من العالم من حجر صحّي شامل، بل وحظر تجوّل جزئيّ؛ حلّ سرعان ما تخلّى عنه أهل الاختصاص والمشرّعون باعتبار أنّه يؤجّل المشكلة ولا يحلّها، ليقع الاتّجاه نحو ضرورة التّعايش مع الفيروس[2]، لاسيّما إزاء اعتراف العلماء بالعجز عن إيجاد لقاح أو علاج فعّال لهذا الوباء في زمن قياسي[3].

وفي الحقيقة، فإنّه لا غرابة في ذلك، فهذا التخبّط مفهوم ومبرّر. إذ لا يمكن للمشرّع- في غالب الأحيان- إلاّ أن يقرّر ما تمليه عليه اللّجان العلميّة الاستشارية في هذا الشّأن، وإلاّ كانت الحلول التّشريعيّة اعتباطيّة ورعونيّة.

1992 المؤرّخ في 22 جويلية 1992 المتعلّق بالأمراض السّارية، الرائد الرّسمي عدد 21، المؤرّخ في 13 مارس 2020، ص. 740.

[1] حول مراحل اكتشاف هذا الوباء وإعلانه من قبل منظّمة الصّحة العالميّة كجائحة في تونس، يراجع:

Pandémie de Covid 19 en Tunisie, Wikipédia, L'encyclopédie libre, 15.10.2020; Site éle. :

https://fr.wikipedia.org/wiki/Pand%C3%A9mie_de_Covid-19_en_Tunisie

وفي العالم: التسلسل الزمني لاستجابة منظّمة الصّحة العالميّة لجائحة كوفيد 19، 30 يوليو 2020، منظّمة الصّحّة العالميّة، الموقع الرّسمي لمنظّمة الصحة العالمية؛

[2] قناة (BBC، فيروس كورونا: هل بات التعايش مع "كوفيد 1" واقعا محتوما، 2020/09/20، الموقع الالكتروني:

https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52848246

مجدي الورفلي، فيروس كورونا "كوفيد 19" في تونس: التعايش..، جريدة المغرب (التونسية، 2020/08/06.

[3] الجزيرة نت، خمسة أوهام حول لقاح فيروس كورونا، 2020/09/23، الموقع الالكتروني:

https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/9/23/%

فذلك من قبيل السّمات الأساسيّة للأمن الصّحّي الذي يتميّز بعدم الاستقرار والثّبات، فتلك الأسقام التي قد تضرب البلاد تستدعي حلولا وقتيّة ومتغيّرة. وهو ما يعني أنّ للصيرورة الزّمنيّة أحكامها ومقتضياتها للاستجابة لأيّ طارئ صحّي، فعلى ضوء تطوّر الأحداث والتّحدّيات تُسَنّ القوانين.

في المقابل، فرغم كثرة التّشاريع أيضا، فإنّه من باب المفارقة ألاّ توجد النّصوص الإطارية لحالات الطّوارئ الصحّية؛ الأمر الذي يعدّ أحد أهمّ تلك العراقيل التي تواجه فرض النّظام والانضباط عند الطّوارئ الصحيّة، ولمصلحة الأمن الصحّي. فلا المرسوم الحالي المنظّم لحالة الطوارئ ولا حتّى مشروع القانون الأساسي عدد 91 لسنة 2018[1] عمد إلى تنظيم حالة الطوارئ الصحّية[2]. بقي أنّه يمكن تأويل تلك التّهديدات للنّظام العامّ (الفصل الأول من الأمر عدد 50 لسنة 1978[3] والفصل الثاني من المشروع المذكور) على أنّها تهديد للصحّة العامّة أيضا، بما يخوّل للسّلط المختصة اتّخاذ التّدابير الضرورية زمن الأزمات الصّحّية. لكنّ هذا الأمر قد يكون مرفوضا لدى البعض بسبب مبدإ التّأويل المضيّق للقوانين الاستثنائية، ومن باب أحرى قانون حالة الطوارئ، وهو ما يزيد الأمر إشكالا. لذا يلجأ بعضهم إلى الفصل 77 من الدستور الذي يخوّل "**لرئيس الجمهورية في حالة خطر داهم مهدّد لكيان الوطن أو أمن البلاد أو استقلالها يتعذّر معه السير العادي لدواليب الدّولة أن يتخذ التدابير التي تحتّمها تلك الحالة الاستثنائية...**"؛ بحيث يمكن اعتبار جائحة

---

[1] مشروع قانون أساسي عدد 2018/91 يتعلّق بتنظيم حالة الطوارئ، النصوص القانونية المتعلّقة بقطاع الأمن في تونس، مركز جينيف لحوكمة قطاع الأمن، الموقع الالكتروني: https://legislation-securite.tn/ar/node/104437

[2] هناك إشارة بسيطة لهذه الحالة صلب الأمر المتعلّق بتنظيم مصالح وزارة الصحة عدد 793، المؤرّخ في 09 جوان 1981، في فصله 5 (مكرّر.

[3] الأمر الرئاسي عدد 50 المؤرّخ في 1978/01/26؛ الرائد الرسمي للجمهورية التونسية عدد 7، المؤرّخ في 1978/01/24، ص. 210.

"كورونا" بمثابة الخطر الدّاهم والمحدق بأمن البلاد. لكنّ ذلك لا يحلّ كلّ إشكال، باعتبار أنّ تلك الصّلاحيّات الاستثنائيّة قد تؤدّي إلى تداخل في الاختصاصات بين رئاسة الجمهورية ومجلس النّواب، صاحب السلطة الأصليّة[1].

وغموض أو عمومية الأساس القانوني لحالة الطوارئ الصّحية- رغم أهمّيتها- يؤدّي بدوره إلى الالتباس في تحديد أركانها ومقوّماتها وشروطها. وبناء عليه، لسائل أن يسأل هل يكفي مجرّد توجّس السّلطة التّنفيذية، أو وجود تهديد فيروسي للإعلان عن الدّخول في هذه الحالة؟ يرى بعضهم أنّه حتّى الأوضاع العادية التي تمرّ بها البلاد يمكن اتّخاذ مثل ذلك الإجراء[2]. لكنّه رأي لا يبدو أنّه يجد له سندا في نصّ الدّستور أو حتّى في القوانين المقارنة التي تتحدّث دائما عن الخطر الذي يهدّد السير العادي لدواليب الدّولة[3]. فالقانون المغربي وضع

---

[1] هذا إضافة إلى أنّ هناك تكرارا غير مقبول باعتبار أنّ عبارات الفصل 77 وقعت إعادتها بنفس الصّيغة صلب الفصل 80.

[2] وذلك على غرار ما حصل في مدينة السليمانية بالعراق سنة 2007 بسبب اكتشاف مرض الكوليرا أو في مكة المكرّمة سنة 2016 بسبب موجة الغبار في سماء المدينة، أو ما اتّخذته السلطات الأمريكية من إجراءات في جزيرة "بورتوريكو" بسبب فيروس "زيكا" الذي يتسبّب في تشوّهات خلقية للأجنّة، أو حتّى ما أعلنته منظّمة الصّحة العالمية بسبب فيروس انفلونزا الطيور...، يراجع:
بوبكر عميدي، إعلان حالة الطوارئ الصحية: الغياب النصي للمفهوم، وعدم وضوح الإجراءات، مجلة صدى التصرف الإستشفائي، العدد 19-2019.

[3] نظّم المرسوم الصادر في 23 مارس 2020 حالة الطوارئ بالمملكة المغربية، مناد بالا، المصدر السابق الذّكر، أنظر أيضا حول الأسانيد القانونية لهذا النصّ:
عبد الواحد القريشي، المقتضيات والتدابير الاستثنائية إبّان حالة الطوارئ، بناصا، 2020/03/30، الموقع الالكتروني:
https://banassa.com/opinions/15909.html
أمّا القانون الفرنسي فكان ذلك بمقتضى القانون عدد 290-2020، مؤرّخ في 23 مارس 2020، الرائد الرسمي 2020/03/24،وحول إجراءات سنّ القانون:

شروطا شكلية وأخرى موضوعية للإعلان عن حالة الطوارئ، أهمّها انتشار أمراض معدية أو وبائيّة تهدّد حياة الأفراد بما يجعل من إعلان الطّوارئ أمرا ضروريّا[1].

أمّا في تونس، فإنّ غياب نصّ يتعرّض بالتّفصيل والتّدقيق لحالة الطوارئ الصحّية لا يمنع- على المستوى التطبيقي والرقابي- وزارة الصحّة أو مختلف أجهزتها الرقابية والاستعجالية (إدارات الطبّ الاستعجالي، وحفظ صحّة الوسط والمحيط، والمركز الوطني للأمراض الجديدة والمستجدة..) من الإعلان عن الحالات التي تهدّد كيان الأمّة وإنجاز مخطّطات النّجدة أو اقتراح الإجراءات اللاّزمة لمجابهة الكوارث الصّحية، وهو ما لمسناه في تونس منذ انتشار الوباء. فالنّصوص الكثيرة الموجودة تخوّل للهيكل التّنظيمي المركزي أو الجهوي رصد الوضع الوبائي والتّعامل معه[2]. لكن، لا يحقّ لهذه السلط الإدارية أن تتّخذ قرارات بالحدّ من الحقوق والحرّيات الذي يبقى من اختصاص السلطة التشريعية[3].

إزاء هذه الشكليات والتّعطيلات، لم تقف السّلطة التّنفيذية مكتوفة الذّراعين، منذ شهر مارس 2020، بل إنّها طلبت تفويضا من البرلمان لسنّ المراسيم اللاّزمة لمكافحة فيروس كورونا المستجدّ. وبعد أخذ وردّ، وتجاذبات سياسيّة عدّة، كادت تنتهي برفض طلب الحكومة[4]، تمّ تفويض صلاحيات

Patrick LINGIBE, Article Précité.

(1) عبد الواحد القريشي،المصدر السابق الذكر.

(2) حول مختلف الإدارات والدوائر المركزية والجهوية والمهامّ المكلّفة بها، يراجع: بوبكر عميدي، المقال السابق الذّكر.

(3) الفصل 49 من الدّستور التونسي.

(4) آمال الهلالي، أزمة كورونا لماذا طالب رئيس حكومة تونس بتفعيل الفصل 70 من الدستور، الجزيرة نت، 2020/03/23، الموقع الالكتروني:

المجلس التّشريعي إلى رئاسة الحكومة بمقتضى القانون عدد 19 لسنة 2020[1]، وذلك لمدّة شهرين فقط. وهو نصّ رغم أنّه لم يتعرّض إلى حالة الطوارئ الصحيّة، فإنّه أقرّ- ضمنيّا- بالصّبغة الاستثنائية للظّروف التي تمرّ بها البلاد[2]. وبناء عليه، فقد خوّل لرئيس الوزراء اتّخاذ كافّة ما يلزم من تدابير استثنائية في باب الحقوق والحرّيات[3] دون الرّجوع إلى مؤسّسة البرلمان، على أن يقع عرضها عليه للمصادقة فيما بعد[4].

---

https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/23/

[1] قانون عدد 19 مؤرّخ في 12 أفريل 2020، يتعلّق بتفويض إلى رئيس الحكومة لغرض مواجهة تداعيات فيروس كورونا (كوفيد 19)، الرائد الرّسمي للجمهورية التونسية، عدد 31، المؤرّخ في 2020/04/12.

[2] الفصل الأول من القانون عدد 19 لسنة 2020.

[3] يخوّل الفصل الأوّل فقرة 2، (مطة 2 لرئيس الحكومة تنظيم الحقوق والحرّيات بما يتلاءم مع التّدابير الوقائيّة المستوجبة لمقاومة الفيروس... أمّا الفقرة الثالثة، فتسمح له بضبط الإجراءات التنظيمية في المجال الصحّي وفي المجالات ذات العلاقة وحماية البيئة.

[4] وبالمقارنة مع ما نصّ عليه القانون المغربي من إجراءات إبّان هذه الأزمة، فإنّها لا تختلف كثيرا عمّا وقع إعلانه في تونس لمقاومة الوباء رغم عدم وجود القانون المؤطّر كتحجير التنقل إلاّ استثنائيّا ومنع التّجمهر والتظاهر وإغلاق المؤسّسات. وللولاّة أيضا، اتّخاذ جميع التّدابير التي يستلزمها حفظ النّظام العامّ الصّحّي كفرض القيود المؤقّتة على الحرّيات الفردية وإغلاق المحلاّت ودفن الجثث، أو أيّ تدبير آخر من تدابير الشرطة الإدارية في حدود اختصاصاتهم... وليس بعيدا عن ذاك ما أقرّه قانون الطّوارئ الفرنسي، حيث إمكانية مصادرة الممتلكات أو تسخير الأشخاص ومراقبة الأسعار والبضائع: (Article 3131 L. 15 du CSP français، يراجع:

عبد الواحد القريشي، المقال السابق الذّكر.

-Patrick LINGIBE, Article Précité.

-Xavier Dupré de BOULOIS, État d'urgence sanitaire : une création opportune ?, Club des juristes, 26/05/2020; Site éle. : https://www.leclubdesjuristes.com/blog-du-coronavirus/que-dit-le-droit/etat-durgence-sanitaire-une-creation-opportune/

من جهته، حلّ قانون التّفويض مشكلة جهة الاختصاص المخوّل لها إعلان حالة الطوارئ الصّحّية. ولا يمكن الأخذ بقاعدة "من أمكنه الأكثر أمكنه الأقلّ" التي تخوّل لرئيس الدّولة وحده- وفق ما ارتآه بعضهم[1]- إعلان تلك الحالة باعتباره المسؤول عن الأمن القومي وعن التّمديد في حالة الطوارئ العامّة بالبلاد أو إنهائها[2]. ذلك أنّ الخاصّ يستثني العامّ، وقانون التّفويض ليس فقط مجرّد نصّ خاصّ، بل هو أيضا نصّ أعلى درجة من المرسوم الذي ينظّم حالة الطوارئ العامّة في البلاد. ولكنّ المشكل يبقى قائما بالنّظر إلى أنّ النصّ محدود في الزّمن تماما كما هو حال القانون المقارن[3]، ومدّة صلوحيّة التّفويض قد انتهت بنهاية الشّهرين من تاريخ نشره بالرائد الرسمي للجمهورية، ممّا يعني أنّ الحاجة إلى تدخّل تشريعي قد يكون مفيدا وملحّا. في انتظار ذلك، فإنّنا نتّفق مع الرّأي الذي يخوّل لرئيس الدّولة وحده- باعتباره رئيسا لمجلس الأمن القومي، وباعتبار الأمن الصحّي جزءا لا يتجزّأ من الأمن القومي- الحق في اتّخاذ ما يراه مناسبا في مواجهة التهديدات أو المخاطر الاستثنائية.

2. الأمن الصحّي في مواجهة التّهديدات الاستثنائيّة

---

(1) بوبكر عميدي، المصدر السابق الذكر.

(2) في تصريح له، أكّد وزير الصحة التّونسي- زمن الأزمة- أنّ الوحيد المخوّل له التمديد في الحجر الشّامل هو مجلس الأمن القومي؛ أنظر:

وزير الصحة: التمديد في الحجر الصحي ضروري والقرار بيد مجلس الأمن القومي، جريدة الشروق (التونسية، 2020/04/13؛ الموقع الالكتروني:

http://alchourouk.com/video/%D9%88%D

انظر أيضا: الأمر الحكومي عدد 70، المؤرّخ في 2017/01/19، المتعلّق بمجلس الأمن القومي، الرائد الرّسمي عدد 6، المؤرّخ في 2017/01/20، ص. 244.

(3) Patrick LINGIBE, Article Précité.

يُفسَّر اختلال التوازن بين ما هو موجود وما هو مطلوب في قطاع الصّحّة بضعف إمكانيّات الدّولة الوطنيّة وربّما أيضا بسوء التّدبير، لاسيّما في وطن عرف تقلّبات سياسية واقتصادية واجتماعية عظيمة. فميزانية وزارة الصّحة في قانون الماليّة لسنة 2020، لا تتعدّى 5.4 % تصرّفا وتجهيزا رغم تطوّرها في السنوات الأخيرة بنسبة الثلث تقريبا[1]؟!! ثمّ إنّ الكثير من المؤسّسات الصّحّية في حالة عجز وإفلاس كالصّيدلية المركزية التي أمست غير قادرة على الإيفاء بتعهّداتها. بل ولم تشهد البلاد خلال العقد الأخير سوى بناء ثلاثة مستشفيات عمومية فقط. أمّا عدد الأطبّاء في المستشفيات العمومية فهو في انخفاض[2]. هذا إضافة إلى ارتفاع أسعار العقاقير والخدمات الصّحّية[3]، في حين أنّ الأمن الصّحّي "**لا يمكن بناؤه من خلال القرارات التشريعيّة وحدها، (بل) يتطلّب استثمارات وخبرة وأبحاث**[4]".

وهو ما يعني أزمة القطاع الصّحّي (استعدادت متواضعة وبنية أساسية مُهترئة)، في تونس، لا تعود إلى تداعيات "الكورونا"، إنّما هي من مخلّفات دولة الاستقلال في تونس. هذا الواقع المتدهور يؤكّده العمل التقييمي لمؤشّر الأمن الصّحّي لسنة 2019 والذي قامت به مجموعة من الخبراء في العالم؛ حيث لم

---

[1] في ظلّ هذه الأزمة تتّجه 78% من الميزانية نحو خلاص الأجور، في حين تخصّص 553 مليون دينار فقط للتّجهيزات والبنية التّحتيّة؛ يراجع:
كريمة السعداوي، جريدة الشارع المغاربي (تونسية، 2020/03/10، الموقع الالكتروني: https://acharaa.com/ar/484103

[2] هذا حسب بيانات المعهد الوطني للإحصاء؛ كريمة السعداوي، نفس المصدر السابق.

[3] فوفقا لمنظّمة الصّحة العالمية، هناك 1.7 مليون شخص يموتون بسبب شربهم لمياه ملوّثة، ويموت 170 مليون طفل بسبب سوء التّغذية، ويرجع ارتفاع معدّل وفيات الأطفال دون الخمس سنوات إلى ضعف الرّعاية الصّحية في فترة ما قبل الولادة أو بعدها، خلافا للبلدان المتقدّمة حيث نسبة الوفيات أقلّ بكثير؛ يراجع:
إدريس السدراوي، المصدر السابق الذّكر.

[4] نصف قرن من الحق في الصحة، منظمة الأمم المتّحدة، المصدر السابق الذكر.

تصل كلّ الدّول العربية، بعدُ، إلى درجة الدّول الأكثر استعدادا في هذا المجال كما هو شأن بعض الدّول الاسكندينافية. وتحتلّ البلاد التونسية- في هذا الصّدد- المرتبة 122، لتكون بذلك من الدّول المتوسّطة الاستعداد[1]. لكنّ أزمة "الكوفيد 19" عمّقت من مشاكل الأمن الصّحّي، حتّى أنّ شبح السيناريو الإيطالي أو حتّى انهيار المنظومة الصّحّية وعجزها بدا جاثما على أنفس التّونسيّين. لكنّ ذلك لم يمنع- في إطار الاستعداد لكلّ التحدّيات الميدانية الصّحيّة التي واجهتها الحكومة- من اتّخاذ تدابير تباينت في حدّتها وفعاليتها بين مرحلة الحجر الشامل **(الفقرة الأولى)**، أو مرحلة الحجر الموجّه **(الفقرة الثانية)**.

- **مرحلة صارمة من الحجر الشامل**

تاريخيّا، تمّ، في تونس، اكتشاف أوّل إصابة بفيروس كورونا لدى مواطن قادم من إيطاليا، منذ تاريخ 29 فيفري 2020، ثمّ ما لبث أن تمدّد وانتشر[2]... ولم تتأخّر السّلطات- استنادا إلى نصّ القانون عدد 71 لسنة 1992 المتعلّق بالأمراض السارية، والذي يمكّن وزير الصحة من اللّجوء إلى أيّ إجراء أو تدبير خاص ذي صبغة وقائية أو علاجية في شأن الأمراض

---

[1] هو مؤشر عمل قائم على مجموعة من المستشارين ومن الخبراء العالميّين لتقييم قدرة الدّول على مواجهة تفشي الأوبئة ويعتمد على المعطيات التي توفّرها الدّولة الوطنية أو منظّمة الصحة العالميّة ويشمل 195 دولة. ويهدف إلى تعزيز قدرة العالم على مواجهة الأمراض المعدية والأوبئة العالمية وإحداث تغييرات على الأمن الصحّي؛ يراجع: - مجلة سلام، الالكترونية، مؤشر الأمن الصحي العالمي 2019 (GHS تونس تحتلّ المرتبة 122 عالميا في مكافحة انتشار الأوبئة، 06 أفريل 2020، الموقع الالكتروني: https://salamfm.com/2020/04/06/% ؛

- جريدة الرأي الجديد الالكترونية، ترتيب تونس وبقية الدول العربية في مؤشر الأمن الصحي العالمي،2020/03/23، ؛ الموقع الالكتروني:

https://www.rayaljadid.com/2020/03/23/

[2] تونس والأردن والسعودية تسجّل أوّل حالات إصابة بفيروس كورونا على أراضيها، موقع فرانس 24 الإخباري:-https://www.france24.com/ar/20200302

المذكورة[1].. في اتّخاذ الإجراء المناسب. للتّذكير فهذه القوانين تمنح السّلطة التنفيذية سلطة تقديرية كبيرة لاتّخاذ التّدابير التي تراها مناسبة. لكنّها تبيّن في نفس الوقت خارطة الطّريق الواجب اتّباعها للحدّ من خطورة المرض أو القضاء عليه، كالتلاقيح الإجبارية، والعزل الصحّي للأشخاص المصابين وقرارات الاستشفاء الوجوبي...[2].

ونظرا للانتشار السريع جدّا للوباء، لم تحد الإجراءات التي تمّ اتّخاذها عن الاستراتيجية الخاصّة التي انتهجتها معظم دول العالم لمقاومة الوباء، خاصّة في موجته الأولى. فقد عمدت الحكومة إلى إعلان الحجر الشّامل، بتعطيل العمل بالمؤسّسات العمومية باستثناء المرافق الحيوية، من صحّة وغذاء ودواء...، لمنع التجمّعات والتّكتّلات، وإغلاق الحدود وإقرار حظر جزئي للتّجوال[3] وغلق المطاعم والمقاهي وتعليق الصّلوات في المساجد وتعليق الدّروس، بل وإنهاء السنة الدّراسيّة، وإلغاء جميع التّظاهرات[4].

---

[1] أنظر أيضا: الأمر العليّ المؤرّخ في 19 نوفمبر 1899 المتعلّق بواجب الإعلام بالأمراض المعدية؛
- والأمر العليّ المؤرّخ في 17 ديسمبر 1916 والمتعلّق بالتّلقيحات الإجبارية في الجمهورية التونسية؛
- والأمر المؤرّخ في 08 جانفي 1953 والمتعلّق بتراتيب الشرطة الصّحّية؛

[2] بل وحتّى الأطبّاء البيطريّون ملزمون بإجراءات حجز الحيوانات المصابة وإعدامها إذا ما تعلّق الأمر بالحيوانات والمنتجات الحيوانية الأصل؛ يراجع: الأمر عد 2200 المؤرّخ في 14 جويلية 2009 والمتعلّق بالأمراض الحيوانية المنشأ؛
- قرار وزراء الفلاحة والدّاخلية والصّحة المؤرّخ في 30 أفريل 2012 بالنّسبة لمرض طاعون المجترّات الصّغرى

[3] قرار عدد 2020-24، بفرض منع الجولان بكامل تراب الجمهورية، وقرار عدد 28 لسنة 2020 بحجر جولان الأشخاص والعربات بكامل تراب الجمهورية خارج أوقات منع الجولان.

[4] آية جراد، تونس تواجه فيروس كورونا: إجراءات استثنائية لمواجهة ظروف استثنائية، مبادرة الإصلاح العربي، 2020/04/14، الموقع الالكتروني:
https://www.arab-reform.net/ar/publication/

وقد كان للّجنة العلمية- في هذه الفترة- كلمتها في ضبط استراتيجية العمل بمختلف الوزارات والمؤسّسات، كما هو شأن وزارة العدل التي بيّنت في مذكّراتها الموجّهة إلى رؤساء المحاكم لتجنّب الاكتظاظ وضمان سلامة الإطار العامل وكافّة المتدخّلين في المرفق القضائي، هذا مع ضرورة التّحرّي في الحالات المشتبه بها، وتوفير مستلزمات الوقاية والتعقيم[1]. ولم يبتعد البروتوكول الصّحّي الذي بعثت به وزارة التّربية إلى مختلف المؤسّسات التربوية والتعليمية عن هذه التّوجيهات [2]... إنّ صرامة تلك الإجراءات الوقائية والحمائية تدلّ على أنّ النّظام العامّ الصحّي أضحى في اهتمامات كلّ مؤسّسات الدّولة[3]، وعلى أنّ التّنسيق والتّعاون بين السّياسي والعلمي كان مثمرا، حتّى أنّها سرعان ما أتت أكلها ونجحت في احتواء الفيروس وتطويق الوباء في مرحلته الأولى، خاصّة وأنّ عدد موتى "الكوفيد 19" لم يتجاوز خلال هذه الفترة الخمسين شخصا[4].

إنّ طريقة التّعامل مع هذه الأزمة أثبتت أنّ دور الدّولة مركزي في مجال الصّحّة، **"باعتبارها الأقوى والأقدر على إحداث التأثير اللاّزم لاحتواء الأزمة على المدى القصير"**[5]، بل إنّ السّياسة الاتّصالية للدّولة والتي تمثّلت في

---

[1] وزارة العدل تضبط إجراءات وتدابير الوقاية من فيروس كورونا بالمؤسسات القضائية، جريدة الشروق التونسية، 2020/09/16، الموقع الالكتروني:
http://alchourouk.com/article/

[2] أنظر البروتوكول الصّحي الخاص بالعودة المدرسيّة والجامعية الصّادر عن إدارة الطبّ المدرسي والجامعي التّابع لوزارة الصحة التّونسيّة، أوت 2020، الموقع الالكتروني:
https://covid-19.tn/blog/%

[3] وهي تقريبا لا تختلف كثيرا عمّا أقرّته المملكة المغربية من إجراءات في هذا الشأن، يراجع: محماد الفرسيوي، المصدر السابق الذكر

[4] الموقع الرّسمي لوزارة الصّحّة التونسية : https://www.covidvisualizer.com/

[5] مروان المعشّر، من الأقدر على مواجهة أزمة الفيروس، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2020/04/15، الموقع الالكتروني:
https://carnegie-mec.org/2020/04/15/ar-pub-81600

النّدوات الصحفية اليومية كان لها الوقع الكبير في النّفوس، إضافة إلى الحملات والومضات التّحسيسيّة التي قامت بها. فقد كان للخوف والهلع أثره في زيادة التّوقّي. لكنّ هذا النّجاح لم يكن ليُعزى إلى الدّولة وحدها؛ بل كان للمجتمع المدني أيضا صولات وجولات في تحقيق هذا النّجاح النّسبي. فقد كان للمدّ التّضامني الكبير الذي عرفته البلاد أثره في الحدّ من تداعيات هذا الخطر. حيث انطلقت حملة من التبرّعات لفائدة صندوق مالي (18-18) لمقاومة وباء كورونا والنّهوض بقطاع الصحة[1]. هذا إلى جانب ما قامت به مجموعات من شباب الكشافة التونسية أو جمعيّات خيرية من مساعدة للمعوزين والمتضرّرين من قرار الحجر الشامل، أو تنظيم صفوف المواطنين إبّان التّبضّع وشراء الأدوية لتفادي الازدحام، أو حتّى لتعقيم الفضاءات العمومية... وانخرط في هذا المجهود بعض الفنّانين ورجال الأعمال الذين لم يبخلوا على عمّالهم، المعطّلين عن العمل، بتسديد أجورهم[2]... لكنّ دوام الحال كان من المحال أمام جائحة عالمية لا تُبقي ولا تذر.

ذلك أنّ حماية الاقتصاد ورعاية الطّبقة العاملة ومصادر الدّخل وتمويل الميزانية وضمان استمرارية المؤسّسات الاقتصادية هي أيضا أمن قوميّ، وأولوية

---

[1] هو حساب أحدثته وزارة المالية بتاريخ 15 مارس 2020 بوزارة الصّحّة تحت إسم "حساب للتوقّي ومجابهة الجوائح الصّحية. وقد "نظّمت الهيئة العليا المستقلّة للقطاع السّمعي البصري ما عرف بمبادرة "تيليتون كورونا"بمشاركة مختلف المؤسّسات السمعية والبصرية، العمومية والخاصة في تونس لجمع التبرّعات لفائدة هذا الصّندوق. وقد بلغت قيمة التبرّعات إلى حدود 09 ماي 2020 أكثر من 198.300 مليون دينار، أنظر: إذاعة صبرة اف ام (التونسية، 2020/05/09، الموقع الالكتروني: https://www.radiosabrafm.net/

[2] عائد عميرة، كورونا يحيي العمل التضامني في تونس، موقع نون بوست العربي، 2020/03/21، الموقع الالكتروني:
https://www.noonpost.com/content/36401

ننوّه بنفس التّجربة في القانون المغربي، حيث تمّ تأسيس صندوق التّضامن ضدّ فيروس كورونا من أجل تعبئة موارد إضافية، يراجع: محمّد الفرسيوي، المصدر السابق.

تبرّر الحاجة إلى حلول تضمن إعادة عجلة الإنتاج، لاسيّما وأنّ "صندوق النّقد الدّولي" يرى أنّ تعافي الاقتصاد العالمي لن يبدأ إلاّ بحلول العام 2021. وعلى إثر التّسويق بل والتّهويل الإعلامي المضخّم للانتصار الذي حقّقته الحكومة على الوباء، كان لزاما المرور إلى المرحلة الثانية، خاصّة بعد تسجيل عدم انتقال الفيروس، لفترة ثلاثة أسابيع متتالية[1].

ورغم التّحذيرات، التي تنبّأت بحدوث ارتدادات للفيروس، بل ورغم ما توجّهت به منظّمة الصحة العالمية من تنبيه إلى الدّول الأوروبية التي بدأت برفع القيود مؤكّدة على أنّ **"الوقت الآن هو وقت للتّحضير وليس للاحتفال"**[2]، ورغم وعي اللّجنة العلمية في تونس أنّه لم يتمّ بعد القضاء على الوباء، فإنّ القرار بإنهاء فترة الحجر العامّ أُتّخذ وبلا رجعة. فهل يمكن التّسليم مع بعضهم أنّ **"الخروج من الحجر الصّحي العام... في جانب منه مغامرة صحيّة فرضها علينا الوضع الاقتصادي للبلاد تحت ضغط تلويح بعض رجال الأعمال بحجب الأجور على العمّال والشغالين"**[3]؟ خاصّة وأنّ بعض الخبراء أقرّوا بأنّ الفترة القادمة أصعب وأعسر. ما هو مؤكّد اليوم أنّه لم يقع التّعامل مع الوضع الصّحّي بالجدّية المطلوبة، وكان التّراخي الميزة الأساسيّة للفترة الموالية.

- **مرحلة ليّنة من الحجر الموجّه**

---

[1] لم تسجّل بعض الولايات إصابة واحدة بالفيروس منذ 40 يوما، وأخرى منذ 20 يوما؛ يراجع: نصاف بن علية: المرحلة المقبلة في الأمن الصحّي أصعب من السابقة، مجلة الآن الالكترونية، 11 جوان، 2020، الموقع الالكتروني: https://tunisnow.tn/%

[2] هذا الأسبوع تقييم المرحلة الأولى من الحجر الصحّي الموجّه، جريدة الصّباح (التّونسية، 20 ماي 2020، النسخة الالكترونية:

http://www.assabah.com.tn/article/166526/%

[3] مؤسّسة الياسمين، فيروس كورونا في تونس، (غير مؤرّخ، المدونة الالكترونية: http://www.jasminefoundation.org/ar/?p=5601

تمّ خلال هذه المرحلة المرور إلى التّخفيف من قيود الحجر الشامل، بالسماح بعودة اليد العاملة، وإلغاء نظام التناوب في المهن والحرف، وفتح المقاهي والمطاعم[1]. كما وقع استئناف الدّروس بالنّسبة لسنوات الباكالوريا.. وفي مرحلة ثالثة تمّ إلغاء بعض القيود الأخرى على المساجد ودور العبادة، واستئناف أنشطة المحاضن ودور الأطفال والأنشطة الرّياضية ودروس طلبة التعليم العالي، وبعض الأنشطة الثقافية والنّقل بين الجهات وفتح المساحات الكبرى والأسواق الأسبوعية والتّقليص في ساعات حظر التّجوّل[2]. تلك الاستراتيجية التي اعتمدت على التّوصيات العلمية الدّقيقة، رافقتها دعوة من السّلط بالالتزام بالإجراءات الحمائيّة كارتداء الكمّامات والتّباعد الاجتماعي وتعقيم الفضاءات. ويبدو أنّ أهمّ القرارات التي دفع التونسيّون ثمنها باهضا، هو فتح الحدود. فلقد اقترحت اللّجنة العلمية فتح حدود البلاد وتصنيف البلدان بحسب حالتها الوبائيّة وفقا لتصنيفات منظّمة الصّحة العالمية؛ هذا مع التّعامل مع الوافدين وفقا لإجراءات مختلفة[3]. وتمّ التّخلّي- تحت الضّغط- على إجبارية التّحليل بالنّسبة للوافدين، في مقابل اعتماد آليّات خاصة وتطبيقات

---

[1] حول حجم الخسائر الاقتصادية والمالية في كلّ القطاعات من نقل وسياحة وتصدير وتجارة سيارات وبورصات مالية، يراجع:

مؤسّسة الياسمين، فيروس كورونا في تونس، المصدر السابق الذّكر.

[2] كان ذلك وفقا لروزنامة وتواريخ مضبوطة؛ وحول إجراءات المرحلة الثانية من الحجر الصّحي الموجه والتدابير الخاصة بعطلة عيد الفطر المبارك؛ يراجع:

بوابة الإذاعة التونسية، 2020/05/21؛ الموقع الالكتروني:http://www.radiotunisienne.tn/2020/05/21/%D8؛

- فيروس كورونا في تونس، المقال السابق الذكر.

[3] جريدة زوم تينيزيا الالكترونية، 18 جوان 2020؛ الموقع الالكتروني: http://zoomtunisia.net/article/10/91596.html

لمراقبتهم[1]. وبهدف إنقاذ الموسم السّياحي أيضا، تمّ وضع بروتوكول خاصّ بالسّيّاح، يضبط إجراءات التنقّل والرّحلات المؤطّرة[2]. فكانت الانتكاسة، وكان الحفاظ على المكتسبات السابقة وهْما.

ذلك أنّ أرقام اليوم تؤكّد أنّنا أمام هبّة جديدة يشنّها فيروس كورورنا المستجدّ بلا هوادة كما هو شأن بلدان عديدة في العالم. إذ يحسّ المواطن التونسي اليوم أنّ هذه الموجة الجديدة أشدّ وطأة وأعظم وقعا ممّا سلف. فالإصابات اليومية أمست بالآلاف، وعدد الحالات المحلّية فاق الحالات الوافدة[3]، لننتقل بذلك إلى حالة العدوى المجتمعيّة[4]. وهو ما دفع بأهل العلم من الأطبّاء إلى الدّعوة إلى الرّجوع إلى الحجر الصّحي الشّامل من أجل استعادة السيطرة على الوباء[5]. تحرّكات أخرى واحتجاجات عديدة سجّلتها البلاد سواء من قطاع

---

(1) حول مختلف هذه الإجراءات، يراجع: بالنّسبة للوافدين إلى تونس: إجراءات جديدة بداية من 27 جوان تاريخ فتح الحدود البرّية والبحرية والجويّة، التلفزة الوطنية (التونسية، 2020/06/24، الموقع الالكتروني: http://news.tunisiatv.tn/%

(2) مقرّر من وزير السياحة والصناعات التقليديّة عدد 1444، مؤرّخ في 26 ماي 2020، يتعلّق بضبط شروط وإجراءات ونسق استئناف النّشاط في القطاع السّياحي، أنظر أيضا: الجامعة التّونسية للنّزل تدعو الحكومة إلى التّسويق "للأمن الصّحّي"، إذاعة شمس اف. ام. (التونسية، 2020/05/22، الموقع الالكتروني: https://www.shemsfm.net/amp/ar/%

(3) تشير الأرقام في آخر تحيين بتاريخ 28 أكتوبر 2020 إلى وفاة 1153 شخص و54278 حالة مؤكّدة، الموقع الرّسمي للمرصد الوطني للأمراض الجديدة والمستجدّة:
http://www.onmne.tn/ar/%

(4) شأننا في ذلك شأن بقية بلدان العالم، حيث تثير أرقام آخر تحيين بتاريخ 2020/10/29 إلى وفاة أكثر من 1184198 شخص، وإصابة أكثر من 45216947 شخص، أنظر :كوفيد 19، الموقع الرسمي لوزارة الصحة التونسية: https://www.covidvisualizer.com/

(5) أطبّاء يطالبون بالعودة إلى الحجر الصّحّي الشّامل، إذاعة موزاييك اف. ام. (التونسيّة، 2020/09/14، الموقع الالكتروني:https://www.mosaiquefm.net/ar/
نذكّر هنا بما ذهبت إليه عمادة الأطبّاء الشّبّان في فرنسا من أنّ غياب الحجر الشامل هو انتهاك للحق في الحياة، تحليل رفضه القاضي الإداري، يراجع:

الصّحة أو من المربّين الذين ندّدوا بعدم اتّخاذ السّلطة السياسية لما يلزم لحماية منظوريهم في المؤسّسات العموميّة الصّحّية أو التربويّة[1]، احتجاجات يبدو أنّها ستحتدم في قادم الأيّام مع توسّع دائرة العدوى بسبب القرارات غير الموفّقة للسّلطة في إدارة الأزمة. والتي تفسّر أيضا ذلك الجدل الذي سبق اتّخاذ التّدابير المذكورة، وخاصّة فيما يتعلّق بالعودة المدرسيّة والجامعيّة 2020- 2021، لاسيّما وأنّ ما نُصّ عليه من تباعد اجتماعي وفحص دوريّ للتّلاميذ وتعقيم للفضاءات وتأمين للمرافقة النّفسيّة بدا حبيس المناشير، بسبب تدهور الوضع في المؤسّسات التربويّة وتخوّف الأولياء والمربّين من عدم التزام الأطفال بذلك[2].

وفي تقييم موضوعيّ لتدابير الحجر الموجّه، ينبغي الاعتراف بأنّها كانت متسرّعة وليّنة، ولم تأخذ بالاعتبار سوى الإكراهات الاقتصادية. ففي أوّل صدام بين الأمن الصّحّي والأمن الاقتصادي، تختار السّلطة الأمن الاقتصادي والاجتماعي، ولا تثريب عليها؛ فإفلاس الدّولة يعني الخراب والضياع. وهذا التّسريع في الإجراءات[3] يفيد بأنّ التّوفيق بينهما كان صعب المنال، بل مستحيلا. ورغم أنّ تلك الخطة اعتمدت على سياسة التّدرّج والتّجريب، فإنّه

Simon BARBARIT, Coronavirus : où placer le « curseur » entre sécurité et libertés publiques ?, Public Sénat, ,Le 23/03/2020, Site éle. :https://www.publicsenat.fr/article/parlementaire/coronavirus-ou-placer-le-curseur-entre-securite-et-libertes-publiques-181521

(1) بلاغ الجامعة العامّة للتّعليم الثانوي في 06 أكتوبر 2020؛ https://www.facebook.com/syndicat.general.superieur

(2) حمادي المعمري، بروتوكول صحّي للعودة المدرسيّة يثير جدلا في تونس، صحيفة اندبندنت الالكترونية (نسخة عربية، 28 أغسطس 2020: https://www.independentarabia.com/node/

(3) حسان العيادي، جريدة المغرب (التونسية، أعلنت أمس رئاسة الحكومة عن حزمة من الإجراءات الجديدة الهادفة إلى التخفيف من «الحجر» قبل موعد حلول الآجال التي أعلنت عنها ضمن استراتيجيتها، 2020/05/14، الموقع الالكتروني: https://ar.lemaghreb.tn/D8%A9/item

سبق السّيف العذل، ولم يكن بإمكان السّلطة الرّجوع إلى الوراء. بل وزاد التّخبّط وسوء التّصرّف في موارد حساب التّوقّي ومجابهة الجوائح الصحّية (صندوق 18-18) بسبب العوائق البيروقراطية عاملا معطّلا لكلّ الاقتناءات الضرورية لمواجهة ذاك العدوّ وفقا لما اعترف به رئيس الحكومة الحالي[1]، بما يؤكّد أنّ الفساد وسوء الحوكمة والتّخبّط في إدارة البلاد والخيارات الخاطئة يشكّل نزيفا آخر ساهم تردّي الأوضاع.

أمّا توصيات اللّجنة العلميّة بتشديد الرّقابة والمتابعة وفرض الإجراءات الحمائية[2] فقد بقيت مجرّد نصائح، باعتبار عجز الدّولة عن فرض تعليمات النّظام العامّ الصّحّي، حيث اعتمدت السّلطة التّنفيذية على ما قيل "وعي المواطن". كانت تلك إحدى أكبر الأخطاء التي أُرتكبت في مثل هذه المرحلة. وهنا نذكّر بما ذهب إليه بعضهم من أنّ الدّول ذات الأنظمة الشّمولية هي الأقدر على مجابهة هذا الوباء، كما هو شأن الصّين؛ في حين عانت الدّول الديمقراطية- مثل إيطاليا- من التّداعيات الخطيرة لهذا الدّاء[3]. ذلك أنّ الاكتفاء بمجرّد دعوة المواطن إلى الاستجابة والالتزام لم يكن سوى مجرّد وهم أمام الموجة الثانية من انتشار الفيروس.

ولئن كنّا نتّفق- نسبيّا- مع هؤلاء بأنّ النّجاعة في التّعامل مع الأمن الصّحّي مرتبط في جانب منه بطبيعة النّظام السّياسي، وليس فقط بالجانب العلمي، فإنّه لابدّ من تعديل هذا الرّأي بأنّ الحزم والضّبط كانا مطلوبَيْن وبشدّة. وعليه، فإنّ هذه التّشاركيّة بين المواطن والدّولة تحتاج إلى الرّدع، لا

---

(1) أموال الصندوق 1818 لم يصرف منها مليم واحد... ونواجه نفس الإشكال في صرف الهبات،الصباح نيوز، 2020/10/18، الموقع الالكتروني:
http://www.assabahnews.tn/article/252216/%

(2) حسان العيادي، المصدر السابق الذّكر.

(3) مروان المعشر، المصدر السابق الذّكر.

الوعي والتّحسيس فقط. فالحساب والعقاب ضروريّان لفرض الأمن الصحّي. إذ ليس من الهيّن أن يقبل هذا المواطن "الشّريك" بتلك الضّوابط الصّحّية التي تتمثّل في إحالته على البطالة الإجبارية أو خفض مدخوله المالي أو تعريض مصالحه للخطر دونما إكراه، خاصّة وأنه أمام تضحيات اقتصادية كبيرة وموجعة: فهو مقتنع أنّه إن لم يمت من الوباء، فإنّه سيموت من الجوع. ومن ثمّة، فلن يكون منضبطا أو ملتزما.

وفي هذا السّياق، من الغريب أنّ الدّولة، التي سمحت بعودة تدريجية لكلّ القطاعات، بدعوى أنّ الوضع الوبائيّ تحت السّيطرة، ألقت بمسؤولية تردّي الوضع الصحّي على كاهل المواطن[1]، خاصّة وأنّ "**المرحلة الأولى من الحجر الصّحي عرفت عديد التّجاوزات خاصّة في الأسواق**"، على حدّ قول الوزيرة المكلّفة بالمشاريع الكبرى[2]. وهذا يعني أنّه بدلا من تحمّل المسؤوليات أو الاعتراف بالتّقصير، تُلقي باللاّئمة على مواطنيها. ذلك أنّ أزمة "الكوفيد 19" كشفت عن أنّ دور الدّولة لابدّ أن يتفاقم، لا على مستوى التّغطية الاجتماعية فحسب، بل حتّى فيما يتعلّق بالأمن الاقتصادي الشامل والاعتماد على الموارد الذاتية من خلال القيام بما يلزم من إصلاحات مالية وجبائية واقتصادية عميقة بقيت رهن الحملات الانتخابية.

واليوم، يبدو أنّ الوضع الحرج الذي وصلت إليه البلاد التونسية، هو الذي حدا بالحكومة الحالية إلى العودة إلى بعض القيود الصّارمة، وذلك في معادلة- قد تكون مستحيلة-بين السياسي والاقتصادي والعلمي، قصد الحدّ من الخسائر في الأرواح والأملاك في آن واحد. وهي تدابير ذات طابع زجري

---

[1] عبد اللطيف المكي : قرار فتح الحدود كان مستحقا و مدروسا و المشكل كان في إلتزام المواطن بالبروتوكول الصحي إذاعة موزاييك التونسية، 07 أكتوبر 2020، الموقع الالكتروني: https://www.facebook.com/mosaiquefm/

[2] مؤسّسة الياسمين، فيروس كورونا في تونس، نفس المصدر السابق الذّكر.

(كسنّ خطيّة بـ60 دينارا لمن لا يرتدي كمامة في الفضاءات العمومية)[1]، أو اقتصادي (منع استعمال النّرجيلة أو الكراسي في المقاهي أو المطاعم) أو اجتماعي (منع حفلات الزّواج) أو ثقافي (غلق أماكن الترفيه ودور السينما) أو ديني (تعليق صلاة الجمعة)، هذا إضافة إلى إعلان حظر تجوّل جهوي دون المساس باستمرارية العمل والدّراسة[2].

الخاتمة

أمام ضبابية المشهد الصّحّي في كامل أرجاء المعمورة، وانعدام لقاح أوعلاج ناجع لهذا الوباء في التّوّ والحين، لا يسعك إلاّ أن ترفع يديك إلى السّماء طالبا من ربّ السّماء أن يرفع عنك الغمّ ويزيح عنك الهمّ ويتفضّل عليك بشفاء لا يغادر سقما. لكن هل يكفي ذلك لدفع البلاء ورفع الوباء؟

انطلاقا من يقيننا أنّ الأمن الصّحّي مسؤولية جماعية تلتقي فيها الدّولة بالشّعب، نستخلص من هذه المراوحة بين القانون والسّياسة والعلم، أنّ الدّولة ثمّ الدّولة أوّلا، ثمّ المواطن. فالدّولة هي التي توفّر أسباب العيش الكريم والخطط الاستراتيجية العلاجية أو الوقائية، وهي وحدها القادرة على تأهيل الذات البشرية والمؤسّسات، أمّا التّعاطي السّلبي مع الجائحة وتداعياتها، فليس من شأنه سوى إعلان الخراب: خسارة للثروة البشرية وإفلاس للثروة الاقتصادية، خاصة وأنّ بوادر الأزمة ستطول.

وبالتّالي، يبدو أنّه لا يزال هناك عمل كبير في انتظار رجال الحكم والسّياسة، لا فيما يتعلّق بالجانب التّشريعي، كالحاجة إلى قوانين خاصّة

---

[1] بلاغ مؤرّخ في 05 أكتوبر 2020 يتعلّق بإجبارية ارتداء الكمامة، مرسوم صادر عن رئاسة الحكومة عدد 9 مؤرّخ في 17 أفريل 2020 حول العقوبات.

[2] ندوة صحفية حول الإجراءات الاستثنائية للحدّ من انتشار فيروس كورونا، بتاريخ 05 أكتوبر 2020، التلفزة الوطنية (التونسية، الموقع الرسمي:
X4OFxtIzbIU...http://news.tunisiatv.tn/%

بالطوارئ الصّحية، أو نظام خاصّ بالمسؤولية الطّبّية في مثل تلك الظّروف لحماية الجيش الأبيض الذي يعتبر في الصّفوف المتقدّمة من هذه الحرب الجرثومية، وما تتطلّبه من نظم جديدة في الحوكمة والتشاركيّة التي تراهن على التّنمية البشرية والتنمية الاقتصادية، بحماية الفئات الهشّة اجتماعيّا واقتصاديّا... لكنّ أهمّ توصية في ظلّ ما وقع من أخطاء جسيمة في الحوكمة الرّشيدة وسوء إدارة الأزمة، هو ضرورة البحث عن التوازن بين الأمن الصّحيّ وكلّ الرّهانات الأخرى، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فإن غابت هذه المعادلة، واستحال التّوفيق بينها، كانت الصحّة أولويّة مطلقة، ومطلبا حيويّا يستحقّ كلّ التّضحيات، وإلاّ ساد الفساد وعمّ الخراب كلّ شيء.

المراجع والمصادر

1. إدريس السدراوي، الحق في الصّحة في المواثيق الدّوليّة والاقليمية لحقوق الإنسان، الرابطة المغربية لحقوق الإنسان، 11نوفمبر 2018، الموقع الالكتروني: http://www.lmcdh.com/2018/11/11/
2. آمال الهلالي، أزمة كورونا لماذا طالب رئيس حكومة تونس بتفعيل الفصل 70 من الدستور، الجزيرة نات، 2020/03/23، الموقع الالكتروني: https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/23/
3. آية جراد، تونس تواجه فيروس كورونا: إجراءات استثنائية لمواجهة ظروف استثنائية، مبادرة الإصلاح العربي، 2020/04/14، الموقع الالكتروني: https://www.arab-reform.net/ar/publication/
4. بوبكر عميدي، إعلان حالة الطوارئ الصحية: الغياب النصي للمفهوم، وعدم وضوح الإجراءات، مجلة صدى التصرف الإستشفائي، العدد 19-2019.
5. حسان العيادي، جريدة المغرب (التونسية)، أعلنت أمس رئاسة الحكومة عن حزمة من الاجراءات الجديدة الهادفة إلى التخفيف من «الحجر» قبل موعد حلول الآجال التي أعلنت عنها ضمن استراتيجيتها، 2020/05/14، الموقع الالكتروني: https://ar.lemaghreb.tn/D8%A9/item
6. حمادي المعمري، بروتوكول صحّي للعودة المدرسيّة يثير جدلا في تونس، صحيفة اندبندنت الالكترونية (نسخة عربية)، 28 أغسطس 2020: https://www.independentarabia.com/node/
7. رضا بركة، الطقوس العلاجية من سيدي علي بن عون إلى سيدي الحلفاوي، جريدة الشروق (التونسية)، 2005/06/18؛
8. سعودي الطبيب، علاج كورونا بالأعشاب "وباء آخر " يواجهه الأطبّاء، جريدة الخبر (الجزائرية)، 03 أوت 2020: https://www.elkhabar.com/press/article/170963/
9. عائد عميرة، كورونا يحيي العمل التضامني في تونس، موقع نون بوست العربي، 2020/03/21، الموقع الالكتروني: https://www.noonpost.com/content/36401

10. عبد الواحد القريشي، المقتضيات والتدابير الاستثنائية إبان حالة الطوارئ، بناصا، 2020/03/30، الموقع الالكتروني:https://banassa.com/opinions/15909.html

11. فيصل نسيغة، النظام العام، مجلة المنتدى القانوني، العدد 5، ص. 165، الموقع الالكتروني:-http://fdsp.univ-biskra.dz/images/revues/mntda/r5/mk5a12.pdf

12. مجدي الورفلي، فيروس كورونا "كوفيد 19" في تونس: التعايش..، جريدة المغرب (التونسية)، 2020/08/06.

13. محماد الفرسيوي، النظام الصحي العام في زمن كورونا، مجلة الأخبار (على مدار الساعة) الالكترونية، 24 أبريل 2020، الموقع الالكتروني: https://www.alakhbar.press.ma/%D8%A7%D9%8%A7-98469.html

14. مروان المعشّر، من الأقدر على مواجهة أزمة الفيروس، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2020/04/15، الموقع الالكتروني:-https://carnegie-mec.org/2020/04/15/ar-pub-81600

15. مريم عباس، العناصر الحديثة للنظام العام في القانون الإداري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، المجلد 7، عدد 1، لسنة 2020، الموقع الالكتروني:https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108164

16. مناد بالا، دور القضاء في حماية النظام العام الصحي، جريدة هيسبريس الالكترونية (المغربية)، السبت 30 ماي 2020، الموقع الالكتروني:https://www.hespress.com/writers/473014.html

17. القاموس القانوني، فرنسي عربي، ابراهيم النجار & أحمد زكي بدوي & يوسف شلالا، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.

18. **مدوّنات & مواقع الكترونية:-** الجزيرة نت، خمسة أوهام حول لقاح كورونا، 2020/09/23، الموقع الالكتروني:
https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/9/23/

19. مبادرة الإصلاح العربي، تونس تواجه فيروس كورونا: إجراءات استثنائية لمواجهة ظروف استثنائية، 2020/09/16، الموقع الالكتروني: https://www.arab-reform.net/ar/publication/
20. مدونة مؤسّسة الياسمين، فيروس كورونا في تونس، http://www.jasminefoundation.org/ar/?p=5601
21. موقع الرأي الجديد، ترتيب تونس وبقية الدول العربية في مؤشر الأمن الصحي العالمي، 2020/03/23، https://www.rayaljadid.com/2020/03/23/
22. موقع التلفزة الوطنية (التونسية)، بالنّسبة للوافدين إلى تونس: إجراءات جديدة بداية من 27 جوان تاريخ فتح الحدود البرّية والبحرية والجويّة، 2020/06/24، http://news.tunisiatv.tn/%
23. موقع الشبكة العالمية للحقوق الاقتصادية، الحق في الصّحّة، الموقع الالكتروني: https://www.escr-net.org/ar/resources/368846
24. موقع منظمة الأمم المتّحدة الالكتروني، نصف قرن من الحق في الصحة: https://www.un.org/ar/chronicle/article/20078
25. موقع منظّمة الصحة العالميّة، مرض فيروس كورونا (كوفيد 19): سؤال وجواب، الموقع الالكتروني: https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-corona
26. موقع منظّمة الصّحّة العالميّة، التسلسل الزمني لاستجابة منظّمة الصّحة العالميّة لجائحة كوفيد 19، 30 يوليو 2020، https://www.who.int/ar/news-room/detail/08-11-1441-covidtimeline
27. موقع وزارة الصّحّة بالجمهورية التّونسيّة: http://www.santetunisie.rns.tn/ar/2016-07-27-18-20-

القوانين والاوامر : –

1. الأمر العليّ المؤرّخ في 19 نوفمبر 1899 المتعلّق بواجب الإعلام بالأمراض المعدية.
2. الأمر الرئاسي عدد 50 المؤرّخ في 1978/01/26المتعلّق بإعلان حالة الطوارئ؛ الرائد الرسمي للجمهورية التونسية عدد 7 المؤرّخ في 1978/01/24، ص. 210.

3. قانون عدد 19 مؤرّخ في 12 أفريل 2020، يتعلّق بتفويض إلى رئيس الحكومة لغرض مواجهة تداعيات فيروس كورونا (كوفيد 19)؛ الرائد الرّسمي للجمهورية التونسية، عدد 31، المؤرّخ في 2020/04/12.
4. البروتوكول الصّحي الخاص بالعودة المدرسيّة والجامعية الصّادر عن إدارة الطبّ المدرسي والجامعي التّابع لوزارة الصحة التّونسيّة، أوت 2020؛ الموقع الالكتروني: https://covid-19.tn/blog/%

المصادر باللّغة الفرنسيّة:

1. Huminum, (ONG), Le droit à la santé : Comprendre le droit à la santé des enfants ; site éle.:https://www.humanium.org/fr/comprendre-droits-enfant/droit-a-la-sante/
2. Jaouher BEN MBAREK, Le principe de la non discrimination et le traitement juridique des maladies transmissibles à travers la loi n° 92-71 du 27/07/1992, Mémoire DEA., Faculté des sciences juridiques (Tunis2), 1992-1993.
3. Patrick LINGIBE, Etat d'urgence sanitaire: Quel pour faire face au Coronavirus Covid 19?, Village de la justice, 26 Mars 2020; HTTPS://WWW.VILLAGE-JUSTICE.COM/ARTICLES/QUELS-OUTILS-POUR-FACE-CORONAVIRUS-COVID-QUE...-ETAT-URGENCE-SANITAIRE,34316.HTML
4. Simon BARBARIT, Coronavirus : où placer le « curseur » entre sécurité et libertés publiques ?, Public Sénat, Le 23/03/2020, Site éle. : https://www.publicsenat.fr/article/parlementaire/coronavirus-ou-placer-le-curseur-entre-securite-et-libertes-publiques-181521

5. Stéphanie RENARD, L'état d'urgence sanitaire: droit d'exception et exceptions au droit, Revue des droits et libertés fondamentaux, 2020, Chro. N°13 ; Site éle.: http://www.revuedlf.com/droit-administratif/letat-durgence-sanitaire-droit-dexception-et-exceptions-au-droit/
6. Stéphanie RENARD, L'ordre public sanitaire (étude de droit public interne), Rennes 1, 2008 ; Site éle. : http://www.theses.fr/2008REN1G017
7. Xavier Dupré de BOULOIS, État d'urgence sanitaire : une création opportune ?, Club des juristes, 26/05/2020; Site éle. : https://www.leclubdesjuristes.com/blog-du-coronavirus/que-dit-le-droit/etat-durgence-sanitaire-une-creation-opportune/

ثانياً : تداعيات الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمة والناميت (المخاطر والتحديات)

صولة فيروز [*]

مقدمت:

كان مفهوم ونظريات الحداثة تشكل هاجساً كبيراً بين النظريات العلوم الاجتماعية، وما أحدثته من تغيرات اقتصادية وثقافية واجتماعية...ولطالما حظيت بمفارقات نظرية وتوجهات ايديولوجية تكاد تتفق على أن الحداثة عملية تغير حتمي تنتجه النواهض الفكرية والاقتصادية، لكن سرعان ما تحولت مجتمعات العالم إثر تنامي نواهض الحدثة التكنولوجية خاصة منها إلى متغيرات رقمية قياسية أحدث ثورة في جمع المجالات، لقد أصبحت التغيرات العالمية في ظل العولمة تشير إلى أن سكان الأرض يندمجون بشكل تدريجي خاصة في غضون الألفية الثانية؛ وأحدث هذا الاندماج ظواهر عديدة ونواتج وآثار متعددة كثيرا ما يصفها المحللون بالسيئة في مختلف المجالات، ولعل الأمر الذي لم يشأ أن يندثر مع التقدم العلمي والحضاري للمجتمعات هو التهديدات الأمنية مختلفة المجالات لكل سكان العالم، العابرة للقارات التي أضحت العولمة الناقل الأساسي لها.

بالفعل أصبح اللا-أمن الحقيقة الصادمة التي تلاحق التطور السريع فلا تكاد تمر عشرية سنوية من الزمن دون حدوث تهديد أمني يحدق بمجتمع ما، قارة ما،...ثم يصبح يشكل خطرا على العالم ككل.

فقد عرفت بوادر نهاية القرن 20 ظهور للإرهاب والارهاب الدولي، ثم الحروب التي أحدثتها تحالف الناتو على بعض دول الشرق الأوسط بداعي الارهاب، وما تبعها من ظهور مخاطر جيوسياسية وعسكرية وصحية، ثم عرفت

---

[*] أستاذ محاضر، جامعة العربي التبسي- تبسة-، الجزائر.

العديد من الدول العربية اثر تداعيات الربيع العربي تهديدات أمنية أطلت على نسبة جد معتبرة من البلدان العربية والتي مست الدول المجاورة خاصة منها أوروبا وأوروبا الشرقية، وها نحن اليوم في نهاية العشرينية الأولى من الألفية الثالثة تطل علينا تهديدات أمنية صحية أكثر خطرا من ذي قبل، والتي خلفت خسائر صحية وبشرية واقتصادية كبيرة في مختلف أرجاء المعمورة.

ولعل الحديث على الأمن يعني كل ما يهدد استقرار الإنسان، وتعتبر الصحة جزء مهم من استمرار الطمأنينة والاستقرار، حيث شهدت الكثير من دول العالم مخاطر صحية إثر تنامي العنف والحروب والنزاعات السياسية....وخلفت موتى، وجرحى، ومعطوبين ومجاعات، ....كما حدث في اليمن ومالي ونيجيريا، وأقلية الروهينغا المسلمة....، في الوقت التي تتباهى كبرى المؤسسات الاقتصادية بتنامي التطور في شتى المجالات وخاصة التطور التكنولوجي، ناهيك عن المخاطر الصحية الفيروسية التي ظهرت في بداية الألفية الثالثة ولا زالت في تطور حتى الآن.

نحاول في هذه الورقة العلمية أن نجيب على التساؤل الرئيسي للبحث:

- ما هي تداعيات الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمة والنامية؟ وما هي المخاطر والتحديات التي تواجه الأمن الصحي في كل من المجتمعات المتقدمة والنامية؟

1. مفهومات ذات صلة

- **مفهوم الأمن الصحي:**

في الحقيقة مازال مفهوم الأمن الصحي يفتقر إلى معطيات نظرية أو أدبية واضحة وعامة ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها حداثة المفهوم في الاطار العالمي والقومي والثاني فإن مفهوم الأمن الصحي في شقه الأول ونقصد الأمن يرتبط بمتغيرات عدة أهمها المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية

والاجتماعية ....وحين اقترن مفهومه بالصحة يصبح كذلك متعدد الاتجاهات نظرا لأن الصحة الفردية والعامة والعالمية مرتبطة بقضايا عدة أيضا أهمها الأوبئة والبيئة والتكنولوجيا والحروب ولاقتصاد ....وكل ما يقترن بأنماط الحياة المتخلفة أو المتطورة.

وعليه فالأمن الصحي يصبح مفهوم متغير حسب الزمان والمكان، لكن مع بروز العولمة وظهور نواتجها الخاصة بالتطور الرقمي والتكنولوجي، أصبح الأمن الصحي مرتبط بتطور الأمراض الفيروسية وانتقالها عبر الدول والقارات، خاصة مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة انطلاقا من فيروز نقص المناعة المكتسب AIDS، حتى فيروس كوفيد 19 الذي ظهر في نهاية 2019.

- **جذور مصطلح الأمن الصحي:**

"ظهر مصطلح الأمن الصحي رسميا في 16 ديسمبر 1992 في مناقشة مشروع القانون المتعلق بسلامة نقل الدم.

وتم تعريف هذا المفهوم من قبل ديدييه تابوتو في عام 1994 على أنه "الأمن ضد المخاطر المرتبطة بعمل النظام الصحي؛ وهو يُنظر إليه الآن على أنه حماية صحة الإنسان من المخاطر التي يسببها أداء المجتمع، سواء كانت غذائية أو بيئية أو صحية بالمعنى الدقيق للكلمة."

- إنه عنصر أساسي من عناصر الحق الأساسي في حماية الصحة، وهو منهجية لاتخاذ القرارات الصحية، وينطوي على تشكيل آلية مؤسسية ووضع نص تشريعي وتنظيمي من خلال أربعة مبادئ هي:

أ- مبدأ التقييم: تطوير شبكات للكشف عن المخاطر الصحية وإجراءات التقييم للمنتجات (السلع الصحية والغذاء) ؛

ب- المبدأ الوقائي: مراعاة جميع المخاطر المثبتة أو الافتراضية واختيار الحلول ذات التوازن الأفضل بين المخاطر والفوائد ؛

ج- مبدأ الحيادية: التنظيم الذي يحد من مخاطر التواطؤ وتضارب المصالح والتمييز بين مختلف الخدمات المعنية من خلال توضيح المهارات داخل صانعي القرار (تقييم / إدارة المخاطر) ؛

د- مبدأ الشفافية: يضمن وضوح المعلومات المنقولة للمهنيين والجمهور.

- **الأمن الصحي الدولي :**

في يوم الصحة العالمي 2007 عرفت منظمة الصحة العالمية الأمن الصحي الدولي: على أنه: "ضرورة الحد من سرعة تأثر الناس في جميع أنحاء العالم بالمخاطر الجديدة أو الشديدة أو السريعة الانتشار التي تحدق بالصحة، ولاسيما تلك التي تهدد بعبور الحدود الدولية.

- **مفهوم الأمن الصحي الشخصي :**

وفي التقرير الخاص بالصحة 2008 في العالم ويوم الصحة العالمي لموضوع الأمن الصحي الشخصي، يعرف على أنه: " التركيز على الرعاية الصحية الأولية والاستجابة الإنسانية للكوارث الطبيعية والطوارئ المعقدة؛ ويشمل الأمن الصحي الشخصي كلا من الرعاية التي يحتاج إليها الأفراد والثقة في تيسير الحصول على الأدوية واللقاحات والعلاج، لا من أجل تلبية الاحتياجات الماسة فحسب، وإنما أيضا للتصدي للأوبئة المستفحلة والأمراض المزمنة".

- **تداخل مفاهيم الصحة والأمن في المنظمات العالمية :**

بفضل عمل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ولجنة الأمن البشري وغيرهما تبين عدم وجود تعريف وفهم مشترك لكل من "الأمن" و "الأمن البشري" و "الأمن الصحي" و "الصحة والأمن" و "الأمن الصحي الفردي" و "الأمن الصحي العام العالمي"؛ ومع ذلك، على الرغم من الاختلافات الكبيرة والمدهشة في وجهات نظر وفهم المؤلفين المختلفين حول نطاق ومحتوى الأمن البشري والأمن الصحي.

ويرى Feldbaum وآخرون 2006: أن تضع الكثير من الأدبيات افتراضات مبسطة حول الانسجام الطبيعي بين "الأمن الصحي" و "أمن الصحة العامة العالمي" والأمن القومي والسياسة الخارجية.

الصحة العالمية: هي مسعى إنساني يسعى إلى تحسين صحة العالم بما في ذلك أكثر الناس ضعفا، بينما يعمل **الأمن القومي:** على حماية مصالح الناس داخل دولة معينة؛ في حين أن هناك إمكانية لتوسيع أنشطة الصحة العالمية من خلال الشراكة مع مجتمعات الأمن والسياسة الخارجية، فإن معالجة قضايا الصحة العالمية باعتبارها تهديدات للأمن القومي قد تركز الانتباه بشكل غير متناسب على البلدان أو الأمراض التي تشكل تهديدات أمنية للدول الغنية، بدلاً من التركيز على أكبر التهديدات الصحة العالمية؛ وعليه يجب على مجتمع الصحة العالمي أن يفحص بدقة المجالات التي تتداخل فيها مصالح الصحة العالمية مع الأمن القومي.

- **الأمن الصحي العالمي لمن؟**

يرى الكثير من المحللين أن إدخال مفهوم الحماية من التهديد، وأجندات السياسة الخارجية، والمصالح العسكرية، ومخاوف الإرهاب البيولوجي في الصحة العامة العالمية، في إطار مفهوم الأمن الصحي العام العالمي، قد غير فهمنا للصحة العامة العالمية. بحيث تجري إعادة تخصيص أولويات السياسة وإعادة تخصيص الموارد بدون الوضوح بشأن التعريفات أو النوايا (خاصة فيما يتعلق بمفهوم "الأمن")، وبدون إجماع من المجتمع العالمي، ما جعل عدم تقبل البلدان النامية تبرير "الأمن الصحي العالمي" وللاتفاقيات الدولية التي ينظر إليها على أنها محايزة لدول ما، من خلال ردود أفعال الدول الأعضاء في منظمة الصحة العالمية "البرازيل، والهند، وتايلاند، وإندونيسيا" في مفاوضات منظمة الصحة العالمية سنة 2007 .

ثم أصبح مفهوم "الأمن الصحي" واضحا بشكل متزايد في السنوات الأخيرة في كل من الخطابات الأكاديمية والسياسية حول تهديدات الأمراض المعدية عبر الحدود، ومع ذلك فقد لوحظ أن هناك مجموعة من التصورات المتعلقة بـ "الأمن الصحي" متداولة، وأن الالتباس حول هذا المفهوم يخلق توترات دولية مع بعض الدول (خاصة من جنوب الكرة الأرضية) خوفا من أن "الأمن الصحي" في الواقع يعني تأمين الغرب؛ "والدليل على ذلك أن العديد من الأمراض التي تم تأطيرها على نطاق واسع باعتبارها مخاطر أمنية صحية كبيرة مستوطنة في أجزاء من الجنوب العالمي، هذه هي الخطوة الأولى في الحجة القائلة بأن خطاب الأمن الصحي يميل إلى أن يكون ضيقا نسبيا، ويركز عمليا على حماية الغرب من التهديدات الناشئة من العالم النامي. كما أن طبيعة استجابات المنظمات الصحية العالمية الحالية، والتي تميل إلى التركيز على الاحتواء بدلاً من الوقاية.".

وبالنظر لما جاء عن هذه التصريحات نلاحظ أن التهديدات الصحية في نظرها العالمي ترتكز فعلا على التهديدات التي من الممكن أن توقع بدول الشمال، خاصة إذ ما تعلق الأمر بانتشار للفيروسات، والأسلحة البيولوجية، ...لكن وبالنظر للواقع نجد فعلا الدول النامية من تعاني تهديد الأمن الصحي بكل ما يحمله من عواقب، نقص الغذاء، المجاعة في بعض الدول التي تعاني الحروب مثل اليمن، مالي، بعض المقاطعات في نيجيريا، إقليم الروهينغا ببورما، وكثيرا ما تتغاضى المساعدات الدولية الصحية والطبية لحماية هذه الدول من اللأخطار الصحية التي تهدد حياة آلاف الأفراد والتي تمثل فئة الأطفال نسبة معتبرة من ضحاياها.

"وقد أشار ويليام ألديس في كتابه في سياسة وتخطيط الصحة في عام 2008، إلى أن النطاق الهائل من التعريفات المختلفة لـ "الأمن الصحي" المتداولة حاليا قد خلقت "ارتباكا وانعدام ثقة"؛ وقد أوجز المناقشات الأخيرة

التي اندلعت حول من يتم تقديم مصالحهم في مجال الأمن الصحي والمخاوف المتزايدة لبعض الدول النامية من أن تكاليف وفوائد "الأمن الصحي العالمي" لا يتم توزيعها بشكل عادل... وقد تسبب هذا في إلحاق الضرر بالعلاقات الدولية كما يجب أن يعمل مجتمع الصحة العامة نحو فهم مشترك للمفهوم، بدءا بقبول وجود مشكلة".

وهذا يعني في نظر "ألديس" أن مفهوم الأمن الصحي ليس في الحقيقة أصل المشكلة، كأن تكون أنواع القضايا الصحية التي تشكل تهديدا؛ أنواع الاستجابة الضرورية؛ والكائن المرجعي، حيث أن النقاش لا يمكن حله من خلال اتفاق التعريف فقط ولكن من خلال التعامل مع الآثار السياسية لهذا التصور السائد.

- **الأمن الصحي من ماذا؟**

يعطي "Aldis " نظرة لأنواع القضايا الصحية التي يُنظر إليها عادة على أنها تهديدات للأمن الصحي، يمكن تلخيص الادعاءات المرتبطة بالأمن الصحي في الأدبيات في ثلاث عناصر مشتركة:

أ- أن سرعة انتشار الأمراض المعدية في عالم معولم تشكل تهديدا للأفراد أو السكان أو الدول.

ب- إمكانية تسليح مسببات الأمراض، إما من قبل الإرهابيين أو من خلال برامج الأسلحة البيولوجية التي ترعاها الدولة، واستخدامها ضد القوات العسكرية و / أو السكان المدنيين؛

ج- أن عبء المرض الشديد (فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز هو الأكثر شيوعا إلى حد بعيد) يمكن أن يكون له آثار اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية تهدد استقرار الدول والمناطق. (هذا قبل ظهور الفيروسات المستجدة المتعلقة بالأنفلونزا وخاصة "كوفيد 19)

فمخاوف الأمن الصحي التي تمت مناقشتها هنا، حيث تهيمن الأسلحة البيولوجية، والإيدز والأمراض المعدية بشكل ساحق، وتلعب المقاربات القائمة على الأمن البشري دورا أصغر ولكن ليس بالأهمية؛ على الرغم من أن الأمراض المرتبطة بالتبغ تهدد الصحة على نطاق واسع، إلا أنه نادرا ما يتم مناقشتها في مصطلحات "الأمن الصحي" كذلك "وفيات حوادث الطرق؛ الإسهال؛ كما توضح النتائج التي توصل إليهاAldis ، فإن الأمراض المعدية تقريبا هي التي اكتسبت الدرجة أكبر والاهتمام الجدي على أنها مخاطر على الأمن الصحي.

2. المخاطر العالمية وتأثيرها على الأمن الصحي العالمي

- **الأمراض المستجدة**

على مدى العقود الأخيرة من القرن العشرين بدأت الأمراض الجديدة في الظهور بمعدل مرض أو أكثر سنويا، وهي وتيرة غير مسبوقة في التاريخ، وخلال الفترة الممتدة من عام 1973 إلى عام 2000 تم تحديد 39 عاملا معديا جديدا لديه القدرة على إصابة الإنسان بالمرض، والأمر الأكثر إثارة للقلق في هذا الصدد هو معدل فشل الأدوية بسبب تطور مقاومة الميكروبات بسرعة تفوق سرعة الاكتشاف العلمي للأدوية البديلة.

في جانفي 2004 كشفت أنشطة الترصد المكثف عن مجموعة من صغار الأطفال المصابين بداء تنفسي وخيم في أحد مستشفيات الأطفال في "هانوي في فيتنام" بحدوث أول حالات بشرية من الإصابة بأنفلونزا الطيور من النمط H5N 1 خارج منطقة هونغ كونغ الصينية ؛ ومنذ ذلك الحين والعالم يترقب بحذر دائم حدوث جائحة من جوائح الأنفلونزا.

وجائحة الأنفلونزا، لكونها شديدة العدوى، يمكن أن تنشر عواقب مدمرة كالتي أحدثتها المتلازمة الرئوية الحادة الوخيمة (سارس)، لتصل إلى كل ركن من أركان العالم في غضون أسابيع أو شهور.

ويعني خطر تسبب الأمراض الجديدة التي قد يتعرض الجميع لمخاطرها في جميع أنحاء العالم، وفي حدوث أضرار دولية النطاق كما أن البلدان لم يعد بمقدورها التدبير العلاجي لأنماط معينة من الفاشيات التي كانت تبدو بسيطة في البداية، وقد يصبح السيادة الوطنية على المحك بفعل هذه الأحداث والحاجة إلى تأمين الدفاع الجماعي ضد ما تشكله الأمراض المستجدة من تهديدات.

وتمثل أكبر عقبة تعترض وحدها سبيل تحقيق الأمن الصحي الدولي في احتمال عدم تمكن البلدان المتضررة من الانخراط بشكل تام في أنشطة الترصد،

والحفاظ على نظام الاستجابة للطوارئ لمدة شهور، إن لم يكن لمدة سنوات، في حالة ظهور جائحة وخيمة.

ومن بين أهم الأمراض المستجدة التي تطورت بسبب الفيروسات ما يلي:

- حمى القرم -الكونغو النزفية: حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عبر حشرات القراد وحيوانات الماشية بمعدل وفيات يصل إلى% 40، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان لا يوجد لقاح لهذا الداء.

- فيروس الإيبولا: حمى نزفية تسببها الحيوانات البرية بمعدل وفيات يصل إلى % 90، مع إمكانية، الانتقال من إنسان إلى إنسان، يوجد لقاح تجريبي للمرض.

- داء فيروس ماربورغ :حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عن طريق خفافيش الثمار، بمعدل وفيات يصل إلى%88 ، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان، ولا يوجد لقاح.

- حمى لاسا: حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عن طريق ملامسة بول القوارض أو برازها، بمعدل وفيات تصل إلى % 15 في الحالات الحادة، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان، ولا يوجد لقاح للداء.

- فيروس كورونا: المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية مرض يصيب الجهاز التنفسي يسببه فيروس الكورونا وينتقل عن طريق الجمال والبشر بمعدل وفيات يصل إلى35 % لا يوجد لقاح.

- المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة(سارس): مرض يصيب الجهاز التنفسي يسببه فيروس الكورونا وينتقل من إنسان إلى إنسان

ومن الحيوانات(يحتمل الخفافيش) بمعدل وفيات يصل إلى 10 % لا يوجد لقاح.

- أمراض فيروسي نيبا وهينيبا :مرض يسببه فيروس ينتقل عن طريق خفافيش الثمار والخنازير والبشر، وتظهر أعراضه في شكل متلازمة تنفسية

حادة أو إلتهاب الدماغ، بمعدل وفيات يصل إلى100% التحالف من أجل تطوير لقاح جديد ممول من (من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة)

- حمى الوادي المتصدع: مرض يسببه فيروس ينتقل عن طريق ملامسة دم أو أعضاء الحيوانات المصابة، أو عن طريق البعوض بمعدل وفيات يصل إلى 50 %في المرضى الذين يعانون من الحمى النزفية .لم يتم الإبلاغ عن حالات انتقال من إنسان لإنسان، يوجد لقاح تجريبي غير مرخص.

- حمى زيكا: تسببه فيروسة مصفرة ينتقل عن طريق البعوض، ويمكن أن يؤدي إلى صغر الرأس عند المواليد لأمهات مصابة بالفيروس، وفي متلازمة غيان-باريه، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان لا يوجد لقاح.

-كوفيد 19: فيروسات كورونا هي مجموعة من الفيروسات التي يمكنها أن تسبب أمراضا مثل الزكام والالتهاب التنفسي الحاد الوخيم (السارز) ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرز)؛ تم اكتشاف نوع جديد من فيروسات كورونا بعد أن تم التعرف عليه كمسبب لانتشار أحد الأمراض التي بدأت في الصين في ديسمبر 2019.

يُعرف الفيروس الآن باسم فيروس المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة كورونا 2 (سارز كوف 2)،ويسمى المرض الناتج عنه مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد 19). في مارس 2020، أعلنت منظمة الصحة العالمية أنها صنفت مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد 19) كجائحة.

وتقوم المجموعات المختصة بالصحة العامة، مثل مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة (CDC) ومنظمة الصحة العالمية (WHO)، بمراقبة الجائحة ونشر التحديثات على مواقعها على الإنترنت، كما أصدرت هذه المجموعات توصيات حول الوقاية من المرض وعلاجه.

- **الأزمات الدولية والطوارئ الإنسانية**

تنشأ الطوارئ الإنسانية نتيجة الآثار المترتبة على أزمات من قبيل الكوارث الطبيعية ونقص الغذاء والماء، والصراعات المسلحة وهذه الأوضاع مثلما تعوِّق الأفراد، يمكن أن تعطل النظم الصحية المثقلة بالضغوط بالفعل، والتي يعتمد عليها الناس في الحفاظ على أمنهم الصحي.

ومن الآثار غير المباشرة التي تترتب على تلك الأزمات خطر ظهور الأمراض المعدية والإصابة بسوء التغذية وتشرد السكان واعتلال الصحة النفسية وتفاقم الأمراض المزمنة، وهي جميعا مشاكل تتطلب وجود نظم صحية قوية.

وعند وقوع الكوارث الطبيعية تتولى النظم المنسقة للإنذار المبكر والاستجابة، والتي تدعمها شبكات قادرة على تجميع صفوف مهني الصحة العمومية، من مختلف المستويات، وتجميع المتطوعين، فضلا عن اللقاحات والإمدادات والأموال، توفير الإغاثة الفعالة لأشد الناس تضررا؛ ففي عام 2006بلغ عدد المنكوبين بالكوارث الطبيعية 134.6 مليون نسمة، وبلغ عدد من لقوا مصرعهم من جرائها 342 21نسمة.

- **التهديدات الإرهابية الكيميائية والإشعاعية والبيولوجية:**

أصبح خطر حدوث انسكابات المواد الكيميائية أو تسرباتها أو دفن نفاياتها، فضلا عن الانصهار النووي، والأسلحة الكيميائية، يستدعي مفهوم الهجوم المفاجئ أو الحوادث المفاجئة أو الضحايا الأبرياء ومن يفعلون ذلك عن تدبير أو عن إهمال، ويثير مخاوف قد تكون غير متناسبة مع المخاطر الحقيقية.

وقد انضمت معظم البلدان لاتفاقات دولية تحظر الأسلحة البيولوجية والكيميائية؛ ومع ذلك فإن حوادث من قبيل إرسال الرسائل الملوثة بالجمرة الخبيثة، من خلال النظام البريدي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2001، وإطلاق مادة السارين (التي لا تستخدم إلا كغاز مثير للأعصاب) في قطار الأنفاق في طوكيو في عام1995.

مما جعل أنشطة الترصد العالمي اليومية التي تضطلع بها منظمة الصحة العالمية، وتلتقطها تلقائيا الشبكة العالمية لمعلومات الصحة العمومية، وهي الأداة الإلكترونية لجمع المعلومات والتي تعد حليفا قويا في اكتشاف الأحداث التي لا يبلغ عنها بأي شكل آخر. وتتمتع شبكات الاستجابة العالمية بوضع يتيح لها الاستجابة للآثار الصحية المترتبة على الحوادث الكيميائية والإشعاعية بالتقنيات ذاتها المستخدمة في أية كارثة، ألا وهي الاستجابة السريعة والفرز والعلاج وتأمين المياه والغذاء ونظم الإصحاح.

- **التغير البيئي (تغيرات المناخ)**

إن مناخ كوكب الأرض آخذ في التغير، فدرجات الحرارة في ارتفاع، والعواصف المدارية تتزايد وتيرة وشدة؛ كما أن الغطاء الجليدي القطبي والمناطق الدائمة التجمد بدأت في الذوبان؛ والموت يحصد أرواح البشر، حيث بلغ عدد من لقوا مصرعهم في السنوات الأخيرة بسبب كوارث طبيعية ذات صلة بالمناخ 60 000 نسمة، وذلك بصفة رئيسية في البلدان النامية.

وقد أصبحت فاشيات الملاريا، بعد ظواهر النينو الجوية، تحدث أكثر فأكثر في أعالي أفريقيا، ويتسبب اشتداد موجات الحرارة في نوبات جفاف مستمرة تهدد الغذاء والمحاصيل النقدية وقطعان الماشية وأساليب الحياة القائمة على التنقل كما يمكن أن يتسبب في تصاعد العنف.

أما الفيضانات فيمكن أن تلوث إمدادات المياه، وترغم الناس على مغادرة منازلهم وأوطانهم، وتعتبر كنواتج ظروف جديدة مواتية لتكاثر نواقل الأمراض، ويؤثر ارتفاع درجات الحرارة على أنماط هجرة الطيور البرية، ومن ثم فإنه يؤدي إلى احتمال الانتشار غير المسبوق لما تحمله من فيروسات مثل فيروس H5N 1 "افلوانزا الطيور".

وقد خلصت الدوائر العلمية إلى أن النشاط البشري يعد جزءا من المشكلة؛ كما يترتب على الأحداث ذات الصلة بتغير المناخ أثر شديد يمكن أن

يكون محلياً، ولكن أسبابه عالمية .وعندما تلوث الفيضانات المياه الدولية ويهاجر البشر عبر الحدود بحثا عن الغذاء والمأوى، وتتغير أنماط الأمراض بفعل تبدل المناخ يشعر بآثار ذلك على الصعيد الدولي.

فمخاوف الأمن الصحي التي تمت مناقشتها هنا، حيث تهيمن الأسلحة البيولوجية، والإيدز والأمراض المعدية بشكل ساحق، وتلعب المقاربات القائمة على الأمن البشري دورا أصغر ولكن ليس بالأهمية، على الرغم من أن الأمراض المرتبطة بالتبغ تهدد الصحة على نطاق واسع، إلا أنه نادرا ما يتم مناقشتها في مصطلحات "الأمن الصحي"؛ الوفيات وحوادث الطرق، الإسهال؛ كما توضح النتائج التي توصل إليهاAldis ، فإن الأمراض المعدية تقريبا اكتسبت صيتا مقارنة بالأنواع الأخرى من الأمراض.

- **مخاطر النزاعات المسلحة والهجرة العشوائية :**

يتحمل المدنيون العبء الأكبر من الخسائر الناجمة عن النزاعات المسلحة المعاصرة على نحو متزايد، كما تستهدف أطراف النزاع المرافق الصحية ومهاجمتها بدلا من احترامها، ففي نوفمبر 2016 على سبيل المثال ألحق القصف الجوي أضرارا بثمانية مستشفيات وقتل وجرح عاملين صحيين في شمال سوريا كجزء من المساعدات الإنسانية، صرحت الوكالات على أنها هجوم متعمد على مرافق الرعاية الصحية، وأدانت منظمة الصحة العالمية بأنها "انتهاك جسيم للقانون الدولي وتجاهل مأساوي لإنسانيتنا المشتركة"؛ والأمر لم ينتهي هنا ففي مارس 2017 هاجم مسلحو تنظيم الدولة الإسلامية المستشفى العسكري الرئيسي في كابول أفغانستان، مما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 30 من العاملين بالمستشفى والمرضى والزوار وإصابة أكثر من 50 آخرين.

كما أن الظروف غير الآمنة في مناطق النزاع "تساهم بشكل كبير في زيادة هجرة الأدمغة من العاملين الصحيين إلى بلدان أكثر أمنا وغنا، كما هو

الحال للعديد من الأطباء السوريين والعراقيين الذين هاجروا إلى أوروبا وخاصة ألمانيا.

- النزوح القسري "يزيد من مخاطر الصحية السلبية، لا سيما بالنسبة للفئات الضعيفة مثل الأطفال والنساء وكبار السن والأشخاص المصابين بأمراض المزمنة؛ فمثلا لقي نحو 40 ألف شخص حتفهم في ممرات المهاجرين الحدودية (خاصة البحر الأبيض المتوسط) والمناطق الحدودية بين عامي 2000 و 2014.

كما يمثل العنف والنزاعات الداخلية في بعض الدول بسبب التميز العنصري العرقي والديني، تشكل خطرا في مجتمعات افريقيا الوسطي، وكذا آسيا الجنوبية ؛ "فمثلا القتل العشوائي، وتدمير القرى في ميانمار، جعل أفراد مجموعة الروهينغا العرقية المضطهدة يواجهون ظروفا صحية جد صعبة تهدد حياتهم في ولاية راخين، وفي مخيمات النازحين داخليا، وفي مخيمات اللاجئين في بنغلاديش؛ ويسبب ذلك استفحال الأمراض المعدية والمعدية، في المخيمات والمستوطنات المزدحمة، بالإضافة إلى مشاكل الصحة العقلية قبل وبعد النزوح، والأمراض المزمنة مثل مرض السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والأوعية الدموية والتي غالبا ما يتم إغفالها وإهمالها، بالإضافة إلى سوء التغذية المزمن والحاد وما ينتج عنه من تقزم ونقص الوزن منتشران بشكل كبير بين اللاجئين...مما يمثل أعباء صحية خطيرة بين اللاجئين.

- هذا ولا تزال الألغام الأرضية، والمتفجرات من مخلفات الحرب، تتسبب في وقوع إصابات بين المدنيين، ولا سيما الأطفال أثناء التنقل.

3. تداعيات ومخاطر الأمن الصحي في المجتمعات النامية والفقيرة :

- **واقع الصحة العامة والأمن الصحي في المجتمعات الفقيرة (افريقيا نموذج)**

تتسم العديد من البلدان النامية بسمات مشتركة أهمها: ارتفاع معدلات المواليد والوفيات، وانخفاض المستوى الغذائي والمستوى الصحي، حيث تشهد دول العالم الثالث تضخم سكاني هائل نتيجة لزيادة المواليد وتكمن الخطورة من هذه الزيادة السكانية أنها لا تتناسب مع إنتاجها الوطني العام، وبالتالي لا تجد أمامها ضروريات الحياة متوفرة بشكل متوازن، المناطق الريفية فإن الفقر يساعد على انتشار أمراض الخاصة بتلوث الأرض والماء.

غناءا على صعوبة توفير الحاجات الأساسية وازدياد حدوث أشد أنواع الفقر ومظاهر الضعف كما هو الحال في سوء التغذية وسوء الصحة وانخفاض مستويات الصرف الصحي مما يؤدي إلى انتشار السريع للأمراض المائية وتفاقمها، مثل الملاريا والكوليرا .

أما عن الغذاء فإنه يعاني أكثر من 500 مليون إنسان من سوء التغذية بشكل خطير، فسوء التغذية يعتبر شرا يصعب مقاومته ومنعه مما يؤدي إلى تفاقم المرض واستفحاله، حيث يسبب كذلك عند الأمهات حديثي الولادة أطفال ناقصي الوزن" ومما يسبب فيما بعد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى وفاة ما يصل إلى 40000 طفل يوميا قبل بلوغهم سن الخامسة، حسب احصاءيات سنة 2000.

والجدير بالذكر أن معظم الدول النامية أعطت أولوية ثانوية لتحسين الأوضاع الصحية واعتبرت أنه شيء يحسن القيام به إذا أمكن، لكن ليس على حساب الإنفاق على المجالات الإنتاج المباشر، غير أنها أبدت اهتماما بالمجالات الصحية والإنفاق على الصحة بهدف تحسين الاستثمارات في رأس المال البشري، وعلى الرغم من ذلك لا تزال المجتمعات النامية خاصة منها في افريقيا وجنوب آسيا تعرف قصورا حادا في توفير الخدمات الصحية الازمة للسكان،

خاصة في ظل تفشي الأوبئة انطلاقا من فيروس نقص المناعة المكتسب، ثم فيروس ايبولا، وتعاظم مستوى القسور في احتواء وباء كوفيد 19 في نهاية 2019 وبداية 2020 مما خلف عجزا في التغطية الطبية وكفاية المؤسسات الاستشفائية.

فحسب البنك الدولي تعتبر الخدمات الصحية في الدول النامية قليلة جدا وموزعة توزيعا ضعيفا حتى أن النفقات العامة على الخدمات الصحية في الدول النامية تعد أقل بكثير عنها في الدول المتقدمة، يرى الدارسون أن الفقر يعد السبب الرئيسي في تدني الحالة الصحية هذا ما يذهب إليه الواقع إلى أن الفجوة الصحية بين الأغنياء والفقراء في اتساع مستمر، مما جعل الدول المائة وأربعة وثلاثون التي حضرت مؤتمر المنظمة الصحية العالمية في سنة 1978 إلى الاتفاق على جعل شعار الصحة للجميع حقا تسعى إلى تحقيقه وحددت سنة 2000 موعدا لذلك.

بالإضافة للفقر وضعف الخدمات الصحية؛ الدول النامية مصدر لمخاطر الفيروسات المستجدة لما؟

ويمكن أن تكون الاجابة متعدد الأسباب: حيث تعتبر الدول النامية مصدر قلق من حيث ضعف المعيشة الصحية، ونقص الخدمات الصحية سواء من حيث التجهيزات المادية أو البشرية، وعدم توازن وسلامة الأغذية، وكذا ضعف مصادر المياه الصالحة للشرب، وتدني مستويات الصرف الصحي.... كلها قد تكون مسببا للوبائيات والفيروسات.

ولكن يجب أن نلفت النظر أيضا أنه من الممكن أن تكون بعض هذه البلدان حقل تجارب لبعض المصادر الفيروسية وتجارب لقاحاتها، مما يجعلهم عرضة الأمراض المستجدة والمقاومة للمضادات، كما أنهم عرضة للتجارب الطبية الخاصة بصناعة ونجاعة المضادات الحيوية، وعلى الرغم من أن هذه التصريحات الأخيرة لا نتوفر عليها أي أدلة ملموسة، لكن الأمر طرح ونوقش

من قبل الكثير من الأطباء والبيولوجيين المحللين العالمين؛ كما صرح به بعض المسؤولين في افريقيا خاصة ولا ندري إن كان الأمر يستحق التحقيق في زمن يصعب فيه الحصول على الحقيقة الكاملة.

- **تزايد مخاوف البلدان النامية:**

على الرغم من التعبئة الدولية التي لم يسبق لها مثيل في العقود الأخيرة والتي أدت إلى تقدم كبير في مكافحة فيروس نقص المناعة البشرية، فإن المرض لا يزال يسفك بحياة الكثير من الأفراد، وهو مسؤول عن وفاة مليون شخص كل عام.

هذا وقد أصبح السل في عام 2015 أكثر الأمراض المعدية فتكا في العالم، حيث يعد مسؤولا عن 1.7 مليون حالة وفاة سنويا، وكلها تقريبا في البلدان النامية؛ وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 10 مليون شخص يصابون بالنوع الفعال من المرض كل عام، وأن أكثر من ثلثهم لا يتم تشخيصهم ولا علاجهم بسبب نقص الأدوات والتمويل المناسبين.

كما أدى وباء الإيبولا في غرب أفريقيا 2014- 2016 في غينيا وليبريا وسيراليون إلى وفاة أكثر من 11,000 شخص، بما في ذلك ما يقرب من 500 عامل صحي في جميع أنحاء المنطقة.

- **أهم التحديات التي تواجه الأمن الصحي في المجتمعات النامية "النزاعات المسلحة، والفقر" :**

يشكل العنف والنزاعات المسلحة والحروب الأهلية في الدول النامية افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، مشكلة كبرى في مجال الصحة العامة وعائقا جديدا يحول دون إعمال الحق في الصحة .

فقد بات هذا الأمر شائعا منذ عقود من الزمن نتيجة عوامل معقدة قد تكون اجتماعية وسياسية والدينية وعرقية، فإن ملايين من البشر يموتون في

السنة نتيجة أضرار ناجمة عن العنف، ويبقى آخرون على قيد الحياة ولكن مع أشكال للعوق الجسدي والنفسي.

كما أن الحصار المطبق على بعض الدول خاصة منها الفقيرة يعد تهديدا صحيا لا مثيل له، ولعل أكثر مثال على ذلك ما يحدث في اليمن إثر النزاعات المسلحة والحرب الخارجية الناتجة عن التحالف والحصار لبعض دول الخليج العربي ضد الحوثيين باليمن، جعلها مسرحا للمجاعة بين الأطفال خاصة والأمهات ومنبع الأوبئة والأمراض المختلفة وأكثرها تلك المتعلقة بسوء التغذية، الفيروسات والطفيليات والأمراض المعدية خاصة في ظل الافتقار الفادح للخدمات والمساعدات الطبية ونقص الأدوية، ما جعل تزاد مخيف لنسبة الوفيات الناتجة عن الافتقار للعلاج.

الأمن الصحي يكاد ينعدم في البلدان الأكثر فقرا " اليمن نموذجا":

خلال عام 2019 انتشرت أوبئة وأمراض جديدة فاقمت من معاناة اليمنيين، في ظل استمرار تردي الحالة الاقتصادية وارتفاع معدل الانتهاكات، وظهرت خلال العام الخامس من الحرب إنفلونزا الخنازير، وانتشرت بشكل لافت في محافظتي تعز وصنعاء.

وبحسب إحصائيات كشف عنها الناطق الرسمي لوزارة الصحة التابعة للحوثيين يوسف الحاضري للجزيرة نت، فقد وصلت حالات الإصابة والاشتباه بهذه الإنفلونزا إلى أكثر من 650 حالة توفي منها 125 حالة، في عموم المدن اليمنية.

وتؤكد أرقام وزارة الصحة في صنعاء ارتفاع حالات الإصابة بحمى الضنك خلال عام 2019، إلى أكثر من 650 حالة، حيث تسبب الوباء بوفاة أكثر من 270 شخصا.

ووفقا لبيانات الوزارة وصلت حالات الإصابة بمرض الدفتيريا خلال العام نفسه إلى أكثر من أربعة الآف إصابة، كما تسبب في وفاة 253 شخصا، وهناك إصابات أيضا بداء الكلب تجاوزت أكثر من ألف حالة توفي منها 54.

وبلغت حالات الإصابة بالملاريا خلال 2019 أكثر من مليون وعشرين ألف حالة إصابة واشتباه، وقد تأكدت وزارة الصحة بصنعاء عن طريق الفحوصات المخبرية من 150 ألف حالة مصابة، وقد توفي بسببها 17 شخصا.

فحسب احصائيات المنظمة العالمية للصحة أوت 2020 وصل إجمالي عدد الحالات المُشتَبه في إصابتها بالكوليرا في اليمن هذا العام إلى نصف مليون حالة، وتُوفي من جراء هذا المرض ما يقرُب من 2000 شخص منذ أن بدأت فاشية الكوليرا في الانتشار سريعا في نهاية أبريل 2020.

وحسب الأمم المتحدة في جوان 2020 اليمن بات يواجه الآن أسوأ السيناريوهات، مع تفشي جائحة فيروس كورونا المستجد(كوفيد-19) في مختلف أنحاء البلاد، و أن معدل الوفيات بفيروس كورونا في اليمن بلغ 20 بالمئة، مقارنة بالمتوسط العالمي البالغ 7 بالمئة، وقالت منسقة الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في اليمن"ليزا غراندي" في تصريح لشبكة CNN أسوأ السيناريوهات هو الذي نواجهه الآن خاصة أن حصيلة القتلى بسبب كورونا في اليمن ستتجاوز حصيلة القتلى جراء الحرب والأمراض والجوع مجتمعة (في اليمن) خلال السنوات الخمس الماضية.".

هذا وقد أكد مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية على أن نحو 14 مليون من سكان اليمن البالغ عددهم 26 مليون نسمة يحتاجون لمساعدات غذائية بينما يعاني سبعة ملايين من انعدام الأمن الغذائي، ولم تتوقف المعاناة عند الأوبئة والأمراض، ولكن المجاعة وسوء التغذية أيضا كانت عواقبهما حاضرة في حياة اليمنيين خلال 2019، وبحسب الأرقام الصادرة عن

منظمة الصليب الأحمر، فهناك 3.2 ملايين طفل وامرأة في اليمن مصابون بسوء التغذية الحاد، كما يعاني 50% من الأطفال من التقزم الدائم.

- **دور منظمات الصحة العالمية لاحتواء المخاطر الصحية في البلدان النامية والفقيرة:**

تزداد مخاوف الدول النامية من تفشي الأوبئة والمخاطر الصحية المختلفة خاصة كما سبق وذكرنا أنها تفتقر إلى الخدمات الصحية التي تأهلها للمواجهة، كما تزداد هذه المخاوف في ظل اللاعدالة في تحقيق الأمن الصحي العالمي، الذي تشرف عليه منظمات الصحة العالمية، ما إذ كان بإمكانها توفير الخدمات العلمية والطبية والتكنولوجية لصالح الدول النامية، أم سيكون نصيبها جد محدود من هذه النتاجات، خاصة أنها لا تملك القدر المالي الكافي لتغطية الحاجيات الوقائية والعلاجية خاصة من الوبائيات والفيروسات المستجدة.

فعلى البلدان النامية أن تواجه أولا حالات انعدام العدالة الصارخة القائمة بين البلدان النامية والمتقدمة، فالنسبة الأعظم من ميزانيات تمويل الأبحاث الطبية الحيوية يجري إنفاقها على الأمراض التي تصيب أقلية من سكان العالم (أقل من الخمس) التي تقطن العالم المتقدم، وطبقا لبعض التقديرات، تجتذب نسبة 10 %من إجمالي العبء العالمي للأمراض وبالمقابل نجد 90 % من ميزانيات الأبحاث الطبية الحيوية، وتنفق 10 % منها في البلدان النامية حيث يقطن الغالبية العظمى من البشر.

ومع أن تلك الفوارق الهائلة في الاستثمار والإنفاق على الأمن الصحي ليست المحددات الوحيدة للصحة، فإنها تنطوي على تفاوتات شاسعة في الصحة؛ فيمكن لطفل حديث الولادة في أفريقيا أن يتوقع (لو لم تتحسن الأوضاع القائمة اليوم) العيش في المتوسط عمرا يقل ثلاثين عاما عن الطفل المولود حديثا في أمريكا الشمالية أو أوروبا، والطفل المولود في بلد مثل أنجولا يكون احتمال وفاته خلال السنوات القليلة الأولى من عمره أكثر 70مرة من نظيره

المولود في النرويج مثلا، والمرأة التي تعيش في أفريقيا في البلدان الواقعة جنوب الصحراء الكبرى تكون معرضة للوفاة أثناء الولادة أكثر مائة مرة من نظيرتها في إحدى البلدان الغنية.

4. تداعيات ومخاطر الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمة:

- **الأمن الصحي وتداعياته على الاقتصاد القومي للدول الغنية:**

البلدان الغنية الأقل عرضة نسبيا لخطر المعاناة من آثارا صحية هائلة من غالبية الأوبئة قد تعاني من خسائر اقتصادية كبيرة على نحو غير متوازن(حتى بسبب الأوبئة البعيدة) نظرا لحجم اقتصاداتها واعتمادها على التجارة الخارجية. في حالة اندلاع الفاشيات على النحو الذي يفرض عبء صحي جوهري، فإن هناك أدوات للحد من مخاطر الكوارث الاقتصادية، وكما هو الحال بالنسبة للكوارث الطبيعية، قد يساعد التأمين في توزيع العبء الاقتصادي عبر قطاعات الاقتصاد والمناطق، فضا عن أن وضع الأفراد كأولوية، مثل عمال الرعاية الصحية، وأعضاء الجهات العسكرية، وموظفي السامة العامة بهدف توزيع التدابير الطبية الحيوية المضادة أثناء حالة التفشي من شأنه المساعدة في حماية الموارد الاقتصادية المهمة.

ولا يمكننا التنبؤ بنوع مسببات الأمراض التي ستحفز الوباء الخطير التالي، أو التنبؤ بمكان نشوء الوباء، أو بمدى حدة العواقب، ولكن طالما كان هناك تعايش بين البشر ومسببات الأمراض المعدية، فإنه من المؤكد اندلاع الفاشيات والأوبئة، وبالتالي تكبد تكاليف باهظة للمواجهة.

إن عواقب الفاشيات والأوبئة غير موزعة على نحو متكافئ عبر الاقتصاد، بل إن هناك بعض القطاعات التي قد تستفيد ماليا منها، في حين أن قطاعات أخرى ستعاني على نحو غير متوازن(متفاوت)؛ فشركات الأدوية التي تنتج اللقاحات، والمضادات الحيوية أو غيرها من المنتجات اللازمة لمجابهة الفاشية تعتبر من المستفيدين المحتملين.

أما بالنسبة لشركات التأمين الصحي والتأمين على الحياة ستتحمل على الأرجح تكاليف باهظة، كما هو الحال بالنسبة لمنتجي المنتجات الحيوانية في حالة اندلاع فاشية مرتبطة بالحيوانات، وهكذا ستعاني على الأرجح مجموعات السكان الضعيفة، لا سيما الفقراء، على نحو متفاوت نظرا لاحتمالية عدم توافر سبيل للحصول على الرعاية الصحية، وتوفير مدخرات أقل للحماية من الكوارث المالية.

واعتاد صناع السياسات الاقتصادية على إدارة مختلف أنواع المخاطر، مثل اختلالات التجارة، وتحركات سعر الصرف، وتغيرات سوق أسعار الفائدة.

- **الأمن الصحي وتداعيات الأمن القومي في الدول المتقدمة: "الو.م.أ نموذج" :**

أدى الهجوم بغاز السارين عام 1995 في نظام مترو أنفاق طوكيو من قبل جماعة أوم شينريكيو الإرهابية وإرسال أبواغ الجمرة الخبيثة المسلحة بالبريد في عام 2001 عبر النظام البريدي الأمريكي، إلى توعية صانعي السياسات في البلدان الصناعية بتعرض سكانهم للأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وأدى إلى تأهب برامج الدفاع البيولوجي في تلك الدول إلى جانب أنشطة مكافحة الأمراض الحالية.

إن مواءمة برامج الأمن من المرض مع الدفاع البيولوجي رغم كونها تطورا إيجابيا ظاهريا لها آثار عميقة لم يتم استكشافها بالكامل، وقد وصفت هذه العملية بأنها "تأمين" الصحة العامة أو "صياغة الصحة العامة لمحاربة الإرهاب في بعض البلدان، يُنظر إلى دور خدمات الصحة العامة بشكل متزايد على أنه توفير دفاع ضد الإرهاب البيولوجي، مع زيادة الاستثمار لهذا الغرض مع استبدال وظائف الصحة العامة المعتادة، مثل التحصين الروتيني والفحص وتعزيز الصحة.

تعد مبادرة الأمن الصحي العالمية (GHSI) أكثر وضوحا فيما يتعلق بحماية الدول الغربية المتقدمة من تهديدات الأمراض الخارجية؛ حيث تم تشكيل GHSI في البداية للتعامل مع مخاوف الإرهاب البيولوجي في أعقاب هجمات 11 سبتمبر، فقد أفاد الاجتماع الأول في عام 2001 وأتاح فرصة لمناقشة نهج أكثر تنسيقا لتحسين الأمن الصحي للمواطنين، والاستعداد والاستجابة بشكل أفضل لأعمال الإرهاب وعقب الاجتماع، أصدر المشاركون بيانا دعا لاتخاذ إجراءات عالمية متضافرة لتعزيز استجابة الصحة العامة لتهديد الإرهاب البيولوجي الدولي والكيميائي والنووي المشع.

وقد بشر البيان الوزاري لعام 2003 ببدء التحول، مشيرا في نهاية المطاف إلى ما يلي:

- أن الاستعداد والاستجابة للإرهاب البيولوجي لهما الكثير من القواسم المشتركة مع التأهب والاستجابة للتهديدات الصحية العالمية التي تحدث بشكل طبيعي مثل الأنفلونزا الجائحة.

- هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به لتعزيز التأهب من قبل البلدان الأعضاء وعلى الصعيد العالمي من خلال معالجة القضايا الحاسمة من أجل استجابة فعالة للوباء (جائحة الأنفلونزا).

وفي الاجتماع الذي عقد في لندن في ديسمبر 2009 أكدت المبادرات المشتركة على الاستمرار في نفس النهج وتجديد الهدف المشترك المتمثل في: تعزيز قدرات على الاستعداد والاستجابة للتهديدات الصحية التي يشكلها الإرهاب الكيميائي والبيولوجي والإشعاعي والنووي والإنفلونزا الوبائية ؛ واتخاذ إجراءات منسقة لتعزيز الأمن الصحي على الصعيد العالمي.

- فالإجابة على سؤال "الأمان من ماذا؟" باتت واضحة من خلال التصريحات التي كانت متضمنة في الاجتماعات السابقة لمنظمة GHSI وأن "مجموعة عمل

الأمن الصحي العالمي (GHSAG) "التابعة لـ GHSI هي الأداة الأساسية لتحقيق ذلك.

أما الاجابة عن السؤال "الأمن لمن؟": تعد منظمة المن الصحي العالمية GHSI بشكل صريح ترتيبا أمنيا دوليا تعاونيا مصمما لتعزيز الأمن القومي لأعضائه من هجوم الإرهاب البيولوجي (وأخيرا الإنفلونزا الوبائية)؛ وكإنتقادات لـ: GHSI بأنها تهدف إلى تعزيز الأمن للبعض الدول وليس للجميع؛ وهي مجموعة (غير تمثيلية عالميا) من البلدان التي تضم كندا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا واليابان والمكسيك والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وأوروبا.

والسؤال الذي يطرح نفسه في الأخير في هذا الصدد ما هو نصيب الدول الفقيرة الأكثر تضررا من المخاطر الصحية من حماية المنظمات العالمية للصحية؟

- **أهم التحديات الاستراتيجيت لتحقيق الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمت الو.م.أ نموذجا :**

يعد الحفاظ على الشراكات العالمية وسياسات وخطط تنسيق الاستجابة الدولية وتعزيزها أمرا بالغ الأهمية للاستعداد والاستجابة لحالات طوارئ الصحة العامة ذات الاهتمام الدولي التي قد تؤثر على الولايات المتحدة؛ وقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية خطة العمل الوطنية للأمن الصحي الأمريكي و GHSA والتي ستقوم بما يلي:

- مواصلة العمل مع شركاء دوليين مختارين للمساعدة في بناء القدرات الدولية والأمريكية للوقاية من حالات الطوارئ الصحية العامة واكتشافها والتواصل والاستجابة لها، في إطار اللوائح الصحية الدولية (2005) ؛

- السعي لتعزيز العلاقات القوية وآليات الاتصال السريع مع برنامج الطوارئ الصحية التابع لمنظمة الصحة العالمية والشركاء الدوليين من أجل تنسيق أفضل مع الأنشطة العالمية والاستجابة لتهديدات الأمراض المعدية ؛ ومواءمة وتطوير بالاشتراك مع شركائنا الوطنيين الأمريكيين في مجال الأمن الصحي سياسات

وخطط وأدوات الاستعداد المناسبة للاستجابة بشكل أسرع وأكثر كفاءة لحالات الطوارئ الصحية العامة ذات الاهتمام الدولي.

- التنسيق مع الشركاء القطاع الخاص: من خلال اجراء شراكات بين القطاعين العام والخاص من أجل تعزيز نهج الصحة الواحدة لجمع بيانات الوعي الظرفي عبر صحة الإنسان والحيوان والنبات والبيئة؛ إعطاء الأولوية للتواصل ثنائي الاتجاه مع الشركاء، والاستفادة من المعدات والإمدادات الطبية ومساعدة المتطوعين؛

- تحديد الإجراءات الطبية المضادة والآمنة والفعالة وتطويرها وإنتاجها وإتاحتها بسرعة، والمتمثلة في منتجات صيدلانية، مثل اللقاحات ومضادات الميكروبات ومضادات السموم، والمنتجات غير الصيدلانية، مثل أجهزة التنفس الصناعي والاختبارات التشخيصية ومعدات الوقاية الشخصية ومواد تطهير المريض، والتي يمكن استخدامها لمنع أو تخفيف أو معالجة الآثار الصحية الضارة الناجمة عن حالة طوارئ صحية عامة.

- الحفاظ على القدرة على إنتاج لقاحات كافية وغيرها من المواد الضرورية لتوفير الحماية من الأنفلونزا الوبائية والعوامل الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والنووية التي تمثل تهديدا استراتيجيا للأمن الصحي للولا.م.أ ؛ ودعم جهود سلطات من أجل ا التخزين، وسرعة التوزيع، وإدارة ومراقبة سلامة.

5. هل المجتمعات الدولية مستعدة فعلا لمواجهة مخاطر صحية عالمية؟

في سنة 2014 كان العالم على حافة الهاوية إثر تفشي فيروس "إيبولا" الذي بدأ أول مرة في غينيا امتد إلى ليبيريا وسيراليون المجاورتين؛ وقد واجهت الاستجابة تحديات بسبب الافتقار إلى قدرات الصحة العامة، وانعدام ثقة المجتمع في العاملين في مجال الرعاية الصحية، والضعف التواصل، وصعوبات الوصول إلى السكان المتضررين، فقد أكثر من 11000 شخص حياتهم.

أعرب مسؤولو الصحة الدوليون عن مخاوفهم بشأن احتمال انتشار الفيروس في جميع أنحاء القارة، فرغم أن الولايات المتحدة صعدت كقائدة في الاستجابة العالمية لوباء الإيبولا في غرب إفريقيا، والذي سيكلف على مدى عامين مليارات الدولارات غير أن اجتماعها في واشنطن العاصمة مع الدول الشريكة من جميع أنحاء العالم لإطلاق أجندة الأمن الصحي العالمي (GHSA) والذي يقصد به منع النوع ذاته من الوباء الخارج عن السيطرة، الذي كان ينتشر بصمت في غرب إفريقيا: من خلال تحسين البلدان القدرات على منع تفشي الأمراض واكتشافها والاستجابة لها بسرعة؛ وهذا ما يكشف أنه لا يوجد بلد مستعد تمامًا لوباء أو جائحة، فمعظم الدول تفتقر إلى قدرات الصحة العامة الأساسية للوقاية من حالات الطوارئ الصحية واكتشافها والاستجابة لها فعليا.

وتواجه العديد من البلدان مخاطر سياسية وأمنية كبيرة يمكن أن تعترض القدرة الوطنية على مواجهة التهديدات البيولوجية، ولم تخصص معظم البلدان التمويل من الميزانيات الوطنية لسد فجوات التأهب المحددة؛ على سبيل المثال 5٪ فقط من البلدان التي تم تقييمها حصلت على درجات في المستوى الأعلى لتمويل الأمن الصحي.

بالإضافة إلى ذلك فإن البلدان ليست مستعدة لمواجهة مخاطر بيولوجية كارثية عالمية، بما في ذلك تلك التي يمكن أن تكون ناجمة عن الانتشار الدولي لمُمرِض جديد أو ناشئ أو بسبب الإطلاق غير المقصود أو العرضي لعامل أو كائن حي خطِر أو مصمم هندسيا؛ ومن المثير للقلق أن 75٪ من البلدان حصلت على درجات منخفضة في المجالات ذات الصلة بالمخاطر البيولوجي الكارثية العالمية "GCBR "، بما في ذلك الإشراف على البحوث ذات الاستخدام المزدوج و الاستغناء عن الإجراءات الطبية المضادة، مع استمرار

تقدم التقانات الحيوية من أجل المنفعة المجتمعية، ينبغي إنشاء هيئة معيارية دولية مخصصة لتعزيز التحديد المبكر والحد من المخاطر المرتبطة بها

بينما حقق نظام الرعاية الصحية في الولايات المتحدة تقدما في تطوير شبكات التحالف، فإنه يواجه نقاط ضعف جديدة تشمل الهجمات الإلكترونية، وسلاسل إمداد المنتجات الطبية الهشة، وتحديات نظامية أخر.

- ومع انتشار جائحة كورونا في كل أرجاء العام والاعلان عن فقدان السيطرة من طرف العديد من الدول مثل إيطاليا، الصين أثناء الموجة الأولى من انطلاق الفيروس، ثم الو. م. أ.، والعديد من الدول سواء كانت غنية او فقيرة، متقدمة أو متخلفة؛ فإعلان فقدان السيطرة على الفيروس بتصريح من مسؤولين أمريكيين، يزيد مخاف سرعة انتشار الفيروس وطبيعته، فقد صرحت الكثير من الدراسات البيولوجية بأن للفيروس يمتلك استراتيجيات مقاومة متغيرة، وكذلك اختلاف أعراضه بين المصابين من بلد لآخر ومن شخص لآخر مما زاد مخاوفهم عن طبيعة الفيروس ما إذا كان ناتج طبيعي أو ضمن مخابر مختصة، وهذا ما جعل الصراع يشتد بين الو.م. أ والصين، فقد باتت مظاهر هذا الصراع واضحة للملأ من خلال الخطابات الحادة التي يلقيها كل منها للآخر، والتي أعلنها الرئيس الأمريكي ترامب أكثر صراحة من نظيره.

إن هذه التداعيات المصاحبة لانتشار فيروس كرونا شكلت خطرا صحيا محدقا بالعالم بأسره، وخلف وراءه خسائر اقتصادية فادحة زادت الأمر سوء، خاصة الدول الفقيرة التي لا تتوفر على تغطية مالية للنفقات على سكانها في ظل كرونا، ولا تغطية خدماتية علاجية استشفائية لاحتواء هذا الوباء أو الجائحة، مما جعل الأمن الصحي يزداد خطرا وحِدة؛ والأمر لا يتوقف على الدول الفقيرة فحسب بل حتى البلدان الأكثر غِنا بات عليها الضعف وفقدان السيطرة، خاصة بعد عجز المستشفيات على احتواء هذا الوباء سواء من حيث الموارد البشرية في مجال الخدمات الصحية المؤهلة، أو من حيث كفاية

الهياكل المليئة بالمصابين، وعجز منظمة الصحة العالمية في إيجاد حل سواء لاحتواء الوباء أو في ايجاد استراتيجية عالمية لكبح سرعة انتشاره، حتى أن المضادات الحيوية التي تتسابق الدول الكبرى على اكتشافه ما عاد واضحا أمرها حتى الساعة.

وعليه فهناك حاجة ملحة لزيادة القدرات المالية والتقنية والبشرية المتاحة لتعزيز الأمن الصحي العالمي، على الرغم من صعوبة ذلك لكن من الممكن أن يكون هناك تقدما في المجال، فمثلا قرر البنك الدولي أنه مستعد لتمويل الاستثمار في الأمن الصحي، فهو وسيلة فعالة للغاية من حيث التكلفة لحماية الأرواح وحماية سبل العيش والمجتمعات خاصة في المجتمعات منخفضة الدخل.

أما بالنسبة إلى صندوق مواءمة الأمن الصحي العالمي، الذي أثنيا عليه هو في متناول اليد، لكن تحويل هذا التمويل إلى واقع يتطلب قيادة عاجلة ومنسقة من صانعي القرار للاستفادة من الاستثمارات من ميزانيات الدول الوطنية والمنظمات الدولية وفاعلي الخير؛ والجهات المانحة مقابل خطط عمل محددة وأهداف قابلة للقياس؛ يجب أن يبدأ هذا العمل الآن ويمكن أن يكون أحد مجالات التركيز لقمة رؤساء الدول التي يعقدها الأمين العام للأمم المتحدة، وهي توصية رئيسية أخرى من تقرير مؤشر الأمن الصحي العالمي GHS.

فلا يمكن تحقيق الأمن الصحي العالمي على المدى الطويل دون زيادة الاستثمارات من استمراره، فقد وضعت اللجنة العالمية للأمن الصحي GHSA هدفا طموحا لأكثر من 100 دولة تحقق بحلول عام 2024، لاستكمال تقييمات الأمن الصحي، وتعبئة الموارد، والتنفيذ وسد الثغرات لتحقيق هذا الهدف؛ وترى المنضمات العالمية خاصة منظمة الصحة العالمية، والأمن الصحي، وهيئة الأمم المتحدة، أن تلعب الولايات المتحدة فيها دورا قياديا رئيسيا في تحسين قدرات الأمن الصحي في جميع أنحاء العالم؛ من خلال استمرار الدعم التقني والمالي.

- لكن هذا الطموح الأخير هل يمكن أن يتحقق؟ خاصة وأن الو. م. أ مؤخرا بعد فقدان السيطرة عن تفشي وباء كوفيد 19 فيها هدد بالانسحاب من المنظمة العالمية للصحة؟ ويبقى السؤال ذاته مطروح؟

6. توقعات الأمن الصحي في ظل التطور التكنولوجي المتسارع :

- **الأمراض الوبائية والمعدية:**

- من المحتمل أن تستمر الزيادة في تواتر وتنوع حالات تفشي الأمراض المبلغ عنها - مثل حمى الضنك وزيكا – فيروس كرونا كوفيد 19 المستجد، لا تزال سلالة جديدة من ميكروب خبيث يمكن نقله بسهولة بين البشر تشكل تهديدا كبيرا.

- العولمة، وتسارع كثافة السكان، والتحضر، وزيادة نسبة الأفراد الذين يعانون من نقص المناعة و / أو غير الملقحين كلها اتجاهات قوية في القرن الحادي والعشرين حيث تشمل العواقب غير المقصودة انتقال المرض السريع (من خلال زيادة التنقل والوصول إلى المناطق النائية) إلى زيادة المخاطر الصحية.

- إن التهديد المتزايد للأمراض المعدية التي تعبر الحدود الدولية وتؤثر على سكاننا واضح بالفعل؛ ومع ذلك فإن بعض مسببات الأمراض تمثل تهديدا مزدوجا لوجود إمكانية جائحة وفائدتها كإرهاب بيولوجي أو عامل حرب بيولوجية.

- كما أن المقاومة المتزايدة لأدوية المضادات الحيوية ومركبات مضادات الميكروبات الأخرى تزيد من خطر الإصابة بالأمراض المعدية، قدرت مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) أن الالتهابات البكتيرية المقاومة للأدوية تقتل ما يقرب من 23000 شخص وتسبب مليوني إصابة في الولايات المتحدة سنويا، مما يؤدي إلى تكاليف سنوية تقديرية تتراوح بين 20 و 35 مليار دولار من نفقات الرعاية الصحية الزائدة وفقدان الإنتاجية، في حين أن تهديدات مقاومة المضادات الحيوية (AR) تختلف على مستوى العالم، فإن الواقع المعزز موجود في كل جزء من العالم تتطور باستمرار الجراثيم ذات

الجينات المقاومة غير المعتادة والمقاومة لجميع أو معظم المضادات الحيوية المختبرة.

- كما إن امكانية حدوث أغراض خبيثة باستخدام أدوات البيولوجيا الجزيئية الحالية أو في المستقبل ليست مستبعدة وهذا يزيد المخاوف على الصحة العامة والأمن القومي، كما أن أجندات الإرهاب البيولوجي المحتملة أيضا.

- **التكنولوجيا والتهديدات السيبرانية:**

"يتزايد الخطر من أن بعض الخصوم سيشنون هجمات إلكترونية - مثل حذف البيانات أو الاضطرابات الموضعية والمؤقتة للبنية التحتية الحيوية - ضد الولايات المتحدة في أزمة لا تصل إلى حد الحرب.

حيث تحتفظ المعاهد الوطنية الأمريكية للصحة (NIH) والمعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية بقوائم كائنات الدفاع البيولوجي ذات الأولوية، والتي يشار إليها عادة باسم مسببات الأمراض ذات الأولوية من الفئة A و B و C، ويتم تحديث هذه القوائم سنويا وتشمل مسببات الأمراض أو السموم التي يُعتقد أنها تشكل أكبر خطر على الأمن القومي الأمريكي والصحة العامة.

ناهيك عن عوامل أخرى تخص تغيرات المناخ، والنزاعات المسلحة، والحروب الأهلية ...خاصة في ظل الصراعات الدولية متعددة المساعي.

الخاتمة

على الرغم من أن مخاطر الأمن الصحي التي كانت تهدد الدول النامية وخاصة منها الفقيرة أعمق بكثير من الاهتمام التي حظيت به سواء من السلطات المحلية أو من المنظمات العالمية التي تنادي بتحقيق الصحة والأمن العالميين، فهي تتعلق بانتشار الأمراض المعدية والفيروسية منها، ونقص الغذاء والمجاعات في الدول الفقيرة التي تعاني النزاعات المسلحة، نقص الخدمات الصحية والأدوية وعدم كفايتها، كما تتعلق أيضا بالمخاطر البيئية الافتقار لقنوات

الصرف الصحي وندرة المياه الصالحة للشرب وما ينجم عنها من أمراض وأوبئة....إلخ بأرقام ومعدلات جد مخيفة.

فبالرغم من أن منظمة الصحة العالمية كانت تصدر قرارات سلبية في هذه البلدان التي تشهد مظاهر التخلف الصحي غير أنها لم تقدم المساعدات والاهتمام الكافي الذي يحول إلى تحسين الأوضاع بتلك الدول، وهذا ما جعل الكثير من المحللين الناقدين لنشاطات وأعمال المنظمات الصحية العالمية، إلى القول والتصريح بأن هذه الأخير تتعامل مع الوضع لصالح دول معينة فقط وهي الدول الكبرى من أعضاء المنظمة.

غير أن الوضع تغير الآن وأصبح الأمن الصحي الشغل الشاغل لسياسات الدول العالم بأسره في أوانه الأخيرة، وخاصة بعد تفشي الفيروسات المستجدة تلك الناجمة عن الأنفلونزا بأنواعها شتى إلى جائحة "كوفيد 19" والذي أحدث تغيرات لم تكن في الحسبان، خاصة منها المتعلقة بالجانب الاقتصادي والخدمات الاجتماعية، والذي كان أثرها السلبي واضحا على كل الدول بما فيها الدول المتقدمة التي أعلن العديد منها فقدان السيطرة على الوضع، مدام المضادات الحيوية ضد الفيروس لم تطرح بعد في الأسواق.

وهذا ما يطرح العديد من التساؤلات عما إذا كانت منظمات الصحة العالمية بما فيها تلك التي تتعلق بالأمن الصحي العالمي يمثل فعلا الدول الأعضاء دون مفاضلات؟ وهل المنظمات العالمية للصحة والأمن الصحي قادرة على استيعاب واحتواء الجائحات الصحية، خاصة في ظل تنامي المخاطر التي تشهدها التغيرات والتطورات البيوتكنولوجية، وكذا التوترات الاقليمية والدولية، دون أن ننسى المخاطر البيئية؟ خاصة بعد فشلها في السيطرة على الوضع في التجربة الأولى من تصديها للجائحة العالمية 2019-2020، والذي لم تعرف نهايتها بعد.

المراجع والمصادر

الكتب:

1- رودولفو، ساراتشي. **علم الأوبئة، مقدمة قصيرة جدا**.ترجمة، أسامة فاروق حسن و مصطفى محمد فؤاد. القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.

2- كالفرت، سوزان و بيتر كالفرت، **السياية والمجتمع في العالم الثالث**، ترجمة عبد الله بن جمعان و عيسى الغامدي. المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود النشر العلمي والمطابع، 2002م،1422ه.

3- عامر قنديلجي. "البحث العلمي، واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية." تحرير ط 2. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010.

4- Koehn, Peter H ; **Transnational Mobility and Global Health Traversing Borders and Boundaries**; New York: by Routledge Routledge is an imprint of the Taylor & Francis Group, an informa business, 2018.

المجلات العلمية:

1- بلوم، ديفيد، دانيال كاداريت ؛ جى بي سيفيللا. «الأوبئة الأمراض المعدية الجديدة ومتجددة الظهور يمكن أن تخلف تداعيات، اقتصادية بعيدة المدى» مجلة التموين والتنمية، 2018 .
https://www.imf.org/external/arabic/pubs/ft/fandd/2018/06/pdf/bloom.pdf

2- Rushton, Simon. Global Health Security: Security for Whom? Security from What? Vol. 59. Aberystwyth University: POLITICAL STUDIES, Aberystwyth University, 2011.

3- William, Aldis. «Health security as a public health concept: a critical analysis.» Édité par Health Policy and Planning. (Published by Oxford University Press in association with The London School of Hygiene and Tropical) 2008.

4- Diane Meyer, Elizabeth E Cameron, Jessica Bell, et Jennifer B. Nuzzo. The Road to Achieving Global Health Security:. Vol. 18, édité

par Health Security. 2020.https://home.liebertpub.com/cfp/special-featureandnbspinfodemiology/290.

التقارير :

1- National Health Security Strategy 2019-2022, Saving Lives. Protecting Americans. the Department of Health and Human Services U.S.A, s.d.

2- تقريرالمنظمة العالمية للصحة . 2020 https://www.who.int/emergenciesar/

3- الأمم المتحدة 2020 «اليمن يواجه الآن أسوأالسيناريوهات https://www.aa.com.tr/ar 10 ؛الاطلاع على الموقع بتاريخ: أكتوبر 2020.

مواقع انترنيت :

1- الأمراض المعدية والأوبئة، 19 جويلية 2018، موقع أطباء بلا حدود https://www.msf.org/ar. الاطلاع على الموقع 10 سبتمبر 2020.

2- مرض فيروس كورونا المستجد 2019 (كوفيد-19) موقع: https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/coronavirus/symptoms13أكتوبر، 2020 سا 7.00 مساء

3- الملك، محمد عبد. «حرب اليمن في عامها السادس.. مجاعة وأوبئة ودمار.» الجزيرة نت، 29ديسمبر 2019 https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/12/29/%D8%A -%AA%؛ زيارة الموقع في 12 أكتوبر 2020.

4- CONCEPTS : Autour de la “sécurité sanitaire”, Réseau National de Ressources en Science Médico-Sociales, 2012 .http://rnrsms.ac-teil.fr/IMG/pdf/fichesconceptsversionfinale.pdf الاطلاع على الموقع بتاريخ 10 أكتوبر 2020.

المحور الثالث
دور المنظمات الدولية والهيئات والمؤسسات المحلية في ادارة جائحة كورونا

اولاً : جهود منظمة الصحة العالمية في تطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية

صفاء عبد الحكيم احمد بادي اشراف: د. محمد احمد لطف الجوني

ثانياً : دور العتبة الحسينية وهيئة الحشد الشعبي في تعزيز الامن الصحي في العراق في ظل جائحة كورونا

د. عباس عبد السلام عبدالرحيم

ثالثاً : جائحة كورونا (COVID-19).. خيارات علاجية

محمد فتحي عبد العال

اولاً : جهود منظمة الصحة العالمية في تطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية(*)

الباحثة: صفاء عبد الحكيم احمد بادي(**)
اشراف: أ.د محمد أحمد لطف الجوني (***)

مقدمة:

تُعد صحة الإنسان أثمن شيء لديه، حيث تمكنه من العيش باستقرار وبأمان وتوفر الحياة الهادئة والمطمئنة والسعيدة، كما أن تقدم الشعوب وتطورها يعتمد على توفر الصحة الشخصية لأفرادها كافة، والرعاية الصحية مسؤولية كل من الطبيب والمدرس وولي الأمر والدولة والمجتمع المحلي، فضلاً عن مسؤولية المجتمع الدولي[1]. والمدارس -بالخدمات الصحية التي تقدمها- تؤدي دوراً مهماً في تكوين الطلبة من الناحية التعليمية والثقافية، كما أنها ترعى الطلبة من الناحية الصحية عن طريق توفير الرعاية الصحية السليمة لهم، وإكسابهم السلوك الصحي السليم؛ وهذا يؤدي -في النهاية- إلى النهوض بمستوى الصحة العامة للمجتمعات، وتهتم جميع الدول في الوقت الحاضر بالصحة المدرسية وتوفر لها جميع الوسائل التي تسهم في نجاح أهدافها[2]. والصحة المدرسية ليست تخصصاً مستقلًا، وإنما هي بلورة لمجموعة من العلوم والمعارف الصحية العامة والتربوية

(*) بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ(**تصور مقترح لتطوير خدمات الصحة المدرسية بمدارس التعليم العام بالجمهورية اليمنية في ضوء جهود منظمة الصحة العالمية**)، في كلية التربية- جامعة إب- الجمهورية اليمنية.

(**) باحثة دكتوراه في كلية التربية/ جامعة اب/ الجمهورية اليمنية.

(***) أستاذ الإدارة والإشراف التربوي- جامعة إب- الجمهورية اليمنية.

(1) كماش، يوسف. (2009). **الصحة والتربية الصحية**. دار الخليج، عمان، الأردن، ص41.

(2) شكر، فايز وآخرون. (1999). **الصحة المدرسية**. عالم الكتب للنشر، القاهرة، مصر، ص34.

كالطب الوقائي، وعلم الوبائيات، والتوعية الصحية، والإحصاء الحيوي، وصحة البيئة والتغذية، وصحة الفم والأسنان، والتمريض، وعلم النفس التربوي والإدارة المدرسية[1].

وتعتبر الصحة هدف من أهداف التنمية والتطور الاجتماعي والاقتصادي فهي حق أساسي لجميع الشعوب، علاوة على أنها وسيلة مهمة لبلوغ الأهداف المرجوة في رفاهية الشعب والمجتمع، فلقد عاش العالم سنوات طويلة وفي تصوره أن مهمة العلوم الطبيعية هي علاج المرض فإذا امتدت هذه المهمة فإنها لا تتجاوز الوقاية من الأمراض، وتغير هذا المفهوم منذ قيام منظمة الصحة العالمية، حيث اشتد الجدل حول تحديد "مفهوم الصحة" والذي انتهى بأنها حالة من اللياقة البدنية والنفسية والاجتماعية الكاملة، وليست مجرد خلو الجسم من المرض والعجز[2].

وفي الوقت الذي أخذت المشكلات الصحية تتزايد على نحو بات يشغل المعنيين في دول العالم المختلفة والمنظمات الدولية؛ فقد عملت الدول والمنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة الصحة العالمية على تبني ممارسات وسلوكيات تحد من تفشي هذه المشكلات ومن ثم مواجهتها، وذلك من خلال تحسين إمكانات المؤسسات الصحية وتطوير تقنياتها، وتفعيل دور برامج الرعاية الصحية الأولية، وهذا التوجه استدعى الاهتمام بالصحة المدرسية من قبل منظمة الصحة العالمية؛ وذلك بسبب تزايد تكاليف الخدمات العلاجية للأمراض المختلفة، في الوقت الذي تكون فيه الوقاية الصحية في السن المدرسية كفيلة بالحد منها،

---

[1] فضة، سحر. (2012). دور الإدارة المدرسية في تفعيل التربية الصحية في المرحلة الأساسية بمحافظات غزة. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ص32.

[2] صدراتي، فضيلة. (2014). واقع الصحة المدرسية في الجزائر من وجهة نظر الفاعلين في القطاع: دراسة ميدانية بوحدات الكشف والمتابعة والمدارس الابتدائية والمؤسسات العمومية للصحة الجوارية بولاية بسكرة - نموذجاً-. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر، ص83.

فالطلبة إذا ما تعلموا السلوكيات الصحية ومارسوها أصبحوا أكثر قدرة على نقلها للأجيال اللاحقة[1].

وقد حدث اهتمام واسع على المستوى الدولي بالنواحي الصحية؛ إذ أولت الدول المتقدمة برامج الرعاية والخدمات الصحية، بما فيها خدمات الصحة المدرسية اهتماماً كبيراً؛ حيث عقدت سلسلة من المؤتمرات الصحية الدولية، منذ قرنين من الزمان، وتحديداً مع بداية العام 1851م، وحتى العام 1946م، وقد تكللت من خلالها الجهود العالمية بالنجاح من خلال إنشاء منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة[2].

وأعلنت الجمعية الصحية العالمية في العام 1977م، النداء الآتي: أن الهدف الاجتماعي الرئيسي للحكومات ومنظمة الصحة العالمية في العقود القادمة، هو الوصول بكل المواطنين في العالم بحلول عام 2000م، إلى مستوى من الصحة يسمح لهم بالعيش حياة منتجة اجتماعياً واقتصادياً، وقد فسرت ذلك منظمة الصحة العالمية بأن البرامج الصحية الموجهة للعاملين تهدف إلى زيادة الإنتاجية، أما برامج الصحة المدرسية، فهي تهدف إلى أداء اجتماعي أفضل وتحصيل أكاديمي أفضل، وتبعاً لهذا التعريف؛ لم تعد الصحة تقاس من خلال المؤشرات السلبية كمعدلات الوفيات ومعدلات حدوث وانتشار

---

[1] الرشيدي، تركي. (2011). مستوى الصحة المدرسية في المدارس الابتدائية في دولة الكويت من وجهة نظر المديرات والمعلمات. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، الأردن، ص9.

[2] منظمة الصحة العالمية. (1998). **التقرير الخاص بالصحة في العالم: الحياة في القرن الحادي والعشرين كما يتمناها الجميع**. تقرير المدير العام، منظمة الصحة العالمية، جنيف. ويمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/1545/.، ص13.

ا لأمراض، ولكن ها أ صبحت ت قاس بالم عدلات الإيجاب ية ك مستوى التع ليم ومستوى دخل الفرد ونمط الحياة[1].

ووضعت معاهدة الأمم المتحدة لحقوق الطفل في شهر نوفمبر من عام (1989م)، معياراً دولياً لاحترام الأطفال وحقوقهم؛ حيث شددت المعاهدة على المسؤوليات المنوط بها المجتمع من أجل حماية الأطفال (منذ الميلاد وحتى سن الثامنة عشرة)، وتزويدهم بالدعم والخدمات المناسبين، وتنص المعاهدة - فضلاً عن ذلك- على أن الأطفال يتمتعون بالحق في بلوغ أعلى مستوى من الصحة، والحق في العيش في بيئة آمنة وخالية من الإصابات والعنف[2].

وقد تولت منظمات عديدة مسؤولية الاهتمام بالجانب الصحي للأفراد والمجتمعات، ولعل أهمها منظمة الصحة العالمية؛ حيث تبنت تلك المنظمة أسلوب الرعاية الصحية الدولية بوصفها بداية لتحقيق هدف الصحة للجميع، كذلك ركزت على ضرورة التوجه إلى تلاميذ المدارس؛ بوصفهم يشكلون شريحة كبرى في المجتمع، وذلك من خلال تضمين المناهج الدراسية تعليماً صحياً حقيقياً وفاعلاً[3].

وقد بدأ الاهتمام ببرامج الصحة المدرسية في بعض الدول منذ أكثر من (80) عامًا، وبدأت المنظمات الدولية المهتمة بالصحة والتعليم الاهتمام ببرامج

---

[1] عبد اللطيف، فاتن. (2001). نحو استراتيجية متكاملة للصحة المدرسية. **مجلة الطفولة والتنمية**، المجلد (1)، العدد (2)، ص94.

[2] منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط واليونيسيف. (2009). **التقرير الخاص حول الوقاية من إصابات الأطفال**. ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/119893، ص3.

[3] صدراتي، فضيلة. (2014). واقع الصحة المدرسية في الجزائر من وجهة نظر الفاعلين في القطاع: دراسة ميدانية بوحدات الكشف والمتابعة والمدارس الابتدائية والمؤسسات العمومية للصحة الجوارية بولاية بسكرة - نموذجاً-. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر، ص25.

الصحة المدرسية منذ حوالي (50) عامًا، وتبلورت مفاهيم وتطبيقات الصحة المدرسية من خلال نماذج ومبادرات مختلفة على مدى السنوات العشرين الأخيرة، فيما تولي الدول المتقدمة اهتمامًا خاصًا برفع مستوى الصحة المدرسية بشكل خاص[1]. حيث أنشأت بعض المدارس في الولايات المتحدة وحدات صحية مدرسية، بالتعاون مع البلديات والمجتمع المحلي، وقد تم إنشاء فريق من خلال هذه الوحدات يعنى بالطلبة في المراحل الدراسية الأولى، وتضم هذه الوحدات طبيباً دائماً، وممرضة، ومرشداً نفسياً، وذلك من خلال برامج صحية عالية الكفاءة[2]، حيث أدرك العالم، وبصورة عملية، أن المدارس مؤسسات تمثل فرصاً عظيمة لتعزيز الصحة في المجتمع، وأن الصحة الجيدة في المدارس هي استثمار للمستقبل، وفي كثير من دول العالم المتقدم ينظر إلى الصحة في المدارس على أنها استثمار بشري ووطني يستحق كل ما يبذل فيه من موارد[3].

وكذلك الحال العربي؛ فلم يكن بمعزل عن الاهتمام بالصحة المدرسية، إذ بدأت عدة حركات وهيئات ومنظمات إقليمية ومحلية بالاهتمام بالصحة المدرسية، حيث دعت جميعها إلى تضمينها في المناهج المدرسية؛ وفي سياق ذلك عقد مؤتمر إقليمي في القاهرة عام 1999م، للتخطيط لمشروع عربي في مجال الصحة المدرسية، يهدف إلى توسيع مجالات الاهتمام بالصحة والبيئة المدرسية، وتحسين الخدمات الصحية والبيئية للتلاميذ والمتعاملين معهم في المنطقة العربية، وتبنى المؤتمر فكرة تأسيس شبكة عربية للصحة المدرسية باسم مؤسسة "أجيالنا"

---

[1] صدراتي، (2014). مرجع سابق، ص151.

[2] الرشيدي، تركي. (2011). مستوى الصحة المدرسية في المدارس الابتدائية في دولة الكويت من وجهة نظر المديرات والمعلمات. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، الأردن، ص5.

[3] صالح، صفاء. (2015). **التربية الصحية في المدارس الأساسية**. المنهل، يمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.debonobooks.ae/images/files/f929608.pdf، ص16.

يكون مقرها المؤقت في بيروت الجمهورية اللبنانية[1]. كما تم تحليل واقع الصحة المدرسية في كثير من المدارس العربية، وذلك بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، واليونيسيف، وفي منطقة الخليج العربية قامت لجنة التربية التابعة للأمانة العامة الصحية للدول العربية، بتقديم ورقة عمل في العام 1981م، بشأن وضع منهاج تفصيلي، وموحد لبرامج التربية الصحية، والصحة المدرسية الابتدائية[2]، ولاحقاً أهتمت الكثير من الدول العربية وعلى رأسها البحرين بالصحة المدرسية؛ حيث حصلت برامجها المطبقة في هذا المجال على الكثير من الميداليات الذهبية، وأصبحت الدولة النموذجية في مجال المدارس المعززة للصحة[3].

ونظراً للمشكلات الصحية المتعددة والمتنوعة، والتي تفاقمت فعلياً الآونة الأخيرة في العديد من البلدان، والتي أضحت على قائمة الاهتمامات على المستوى العالمي والعربي والمحلي، من حيث نقص الغذاء والدواء، وقلة الإمكانات المادية والتكنولوجية والافتقار إلى الكوادر الصحية المؤهلة والمتخصصة، **وفي ضوء ما سبق؛ فإننا نطرح التساؤل الآتي: ما الجهود التي بذلتها منظمة الصحة العالمية في سبيل تطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية؟**

---

(1) المجلس العربي للطفولة والتنمية. (2001). **تقرير الأداء للمجلس العربي للطفولة والتنمية: نحو تطبيق الإعلان العربي والعالمي للطفولة.** ط2، القاهرة، مصر، ص14.

(2) الرشيدي، تركي. (2011). مستوى الصحة المدرسية في المدارس الابتدائية في دولة الكويت من وجهة نظر المديرات والمعلمات. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، الأردن، ص5.

(3) صدراتي، فضيلة. (2014). واقع الصحة المدرسية في الجزائر من وجهة نظر الفاعلين في القطاع: دراسة ميدانية بوحدات الكشف والمتابعة والمدارس الابتدائية والمؤسسات العمومية للصحة الجوارية بولاية بسكرة - نموذجاً-. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر، ص25.

1. الإطار النظري

- **منظمة الصحة العالمية:**

نشأة منظمة الصحة العالمية:

يطلق على العصر الراهن عصر المنظمات الدولية؛ لما تضطلع به من أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية وثقافية، فقد تطور مفهوم المنظمة الدولية بشكل كبير وواسع كما اتسع نطاقها، وتدخلت في تنظيم جوانب عديدة من النشاطات التي كانت متروكة إلى عهد قريب للدول، ونتيجة للتطور الهائل في مختلف العلوم وخاصة في مجال وسائل المواصلات والاتصالات الدولية، فرض على المجتمع الدولي أن يضع الوسائل الكفيلة في تنظيم المصالح الدولية بين الدول بشكل يحقق المنافع المتبادلة للجميع[1].

ومع دخول عصر الاكتشافات الجغرافية والوصول إلى العالم الجديد (الأمريكيتين) واكتشاف رأس الرجاء الصالح، نشطت التجارة البحرية، وعلى إثر ظهور الثورة الصناعية ببريطانيا ازدهرت حركة التجارة العالمية، ومع ازدياد حركة السفر والتجارة العالمية ازداد معدل انتقال الأمراض، فلجأت الموانئ البحرية في البحر المتوسط إلى التوسع في إنشاء المحاجر الصحية بها لمراقبة حركة المسافرين الصحية والوقاية من انتقال الأمراض. وبمرور الوقت وقفت المحاجر الصحية عائقاً أمام حركة التجارة العالمية؛ الأمر الذي أدى إلى استياء التجار، فظهرت حاجة الدول إلى تنظيم دولي يهدف لمكافحة الأوبئة ومنع انتقالها عالمياً. فانعقد لهذا الغرض أول مؤتمر دولي صحي بباريس عام 1851م، ولكنه لم يلبي

---

[1] الفتلاوي، حسين.(2010). **مبادئ المنظمات الدولية العالمية والإقليمية.** ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، ص15.

حاجة المجتمع الدولي في الحد من انتشار الأوبئة، وإن كان قد مهد الطريق لتعاون دولي صحي بعد ذلك[1].

وفي العام 1907م، وقعت (12) دولة اتفاق روما، الذي نص على إنشاء مكتب دولي للصحة العمومية في باريس. وكانت وظيفة المكتب توفير المعلومات للبلدان المشاركة عن الصحة العمومية، وبخاصة الأمراض المعدية، و شملت أنشطة المكتب أيضاً سلامة الأغذية، وبناء المستشفيات وإدارتها، والصحة المدرسية، والصحة الصناعية. وفي العام 1945م، عقد مؤتمر للأمم المتحدة في مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية للنظر في إمكانية إنشاء منظمة دولية للصحة. واعتبرت صحة جميع الشعوب شرطاً أساسياً لتحقيق السلم والأمن في العالم[2].

ولم تكن نشأة منظمة الصحة العالمية وليدة الصدفة؛ بل جاءت على إثر تطور تاريخي طويل في مجال التعاون الدولي الصحي، فمع نشأة الأمم المتحدة قرر (المجلس الاقتصادي والاجتماعي) - في أول دورة له- بتاريخ 15 فبراير 1946م، تشكيل لجنة تحضيرية لإعداد مشروع المعاهدة المنشئة لمنظمة الصحة العالمية، وتم عرضها في وقت لاحق على المؤتمر الدولي الصحي الذي تقرر عقده بمدينة نيويورك في 19 يونيو 1946م؛ حيث أقر المعاهدة في 22 يوليو 1946م، ودخل حيز النفاذ في 7 أبريل 1948م، وبذلك تغيرت نظرة المجتمع الدولي للصحة؛ فبعد أن كان يهتم بمكافحة الأمراض والسيطرة عليها، اهتمت منظمة الصحة العالمية بالصحة بوجه عام[3].

---

[1] يوسف، خالد. (2012). **الوظيفة التشريعية لمنظمة الصحة العالمية**. دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ص9.

[2] بوحريص، الصديق. (2013). حوكمة الصحة العالمية بين الأسس المعيارية والمصالح التجارية. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، ص33-34.

[3] يوسف، خالد. (2012). مرجع سابق، ص10.

وفي هذا الا طار، فإن إنشاء منظمة الأمم المتحدة عام 1945م، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وفي أوقات لاحقة من العام 1945، تم إنشاء هيئاتها ووكالاتها المختلفة، يمثل محطة بارزة من محطات التعاون الدولي، على الرغم من المآخذ والملاحظات والانتقادات التي صاحبت الفترة ذاتها، وكان تأسيس منظمة الصحة العالمية، واعتماد ميثاقها عام 1946م، وشمولها بعضويتها (193) دولة، يعد أهم علامة في الجهد الدولي المكرس لتمتع الإنسان بأفضل حالة صحية ممكنة[1].

- **مفهوم منظمة الصحة العالمية:**

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بدأ العمل الجاد لإقامة منظمة الصحة العالمية على أساس أن الصحة هي حالة من اكتمال المعافاة بدنياً ونفسياً واجتماعياً، لا مجرد انتفاء المرض أو العجز. وبناءً على ذلك، فقد حدد دستور المنظمة الذي أقره مؤتمر الصحة الدولي المنعقد في نيويورك 1946م، والذي دخل حيز التنفيذ في 7/أبريل/1948م، هدفاً ينبغي أن يسعى العالم إلى بلوغه، وهو: أن تبلغ جميع شعوب العالم أرفع مستوى صحي ممكن[2].

وتشير منظمة الصحة العالمية، لذاتها ككيان، بأنها إحدى الوكالات المتخصصة المرتبطة بالأمم المتحدة، والتي أنشئت عام 1948م، وفي نطاق تلك المنظمة تتبادل المهن الطبية والصحية العامة بما تمتلكه من معارف وخبرات مع الجهات البحثية في أكثر من (130) دولة، وتتحد جهودها لكي تحقق لشعوب العالم أجمع أرقى مستوى صحي ممكن، وتتصدى منظمة الصحة العالمية أساساً

---

[1] الشورة، فايز. (2006). وسائل تنفيذ قرارات منظمة الصحة العالمية. **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الدراسات القانونية العليا، جامعة عمان العربية، الأردن، ص2.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). **الوثائق الأساسية**، الطبعة الثامنة والأربعون. بما في ذلك التعديلات المعتمدة حتى 31/ أكتوبر/ 2014، طبع في إيطاليا، يمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/151605/، ص1.

للمشكلات التي لا يمكن للبلدان أو الأقاليم منفردة أن تحلها بمواردها الذاتية[1].

ومنظمة الصحة العالمية كما يعرفها يوسف، (2012) بأنها: تلك الهيئة التي تعنى بالجانب الصحي، تأسست في السابع من أبريل عام 1948م، وهي إحدى وكالات هيئة الأمم المتحدة، والمتعلقة بحقل الصحة، وهدفها رفع المستوى الصحي في العالم دون تمييز بين فئاته، ومقرها جنيف، تصدر في كل عام شعاراً للصحة، ومن ضمن شعاراتها: "البيئة النظيفة تقود إلى الصحة الجيدة، التطعيم يحصن الجميع"، وغيرها من الشعارات المتعلقة بالجوانب الصحية[2].

ومن خلال التركيز على العناصر الأساسية لتكوين المنظمات، يمكن تعريف **المنظمة الدولية** بأنها: "كيان تنشئه مجموعة من الدول كإطار قانوني لتحقيق أهداف التعاون فيما بينها، كما تمنحه -أي الكيان- صفة الشخصية القانونية الدولية لتمكنه من القيام بأعبائه كما تمنحه إرادة مستقلة عن إرادات الدول الأعضاء وتنشئ له أجهزة دائمة تعمل على أساس قانوني متمثل في اتفاقيات دولية متعددة الأطراف (ميثاق- دستور) تحدد الجوانب الأساسية لأنشطة هذا الكيان وفق أحكام القانون الدولي[3].

وتعرف الباحثة منظمة الصحة العالمية إجرائياً بأنها:" هي الوكالة التابعة للأمم المتحدة والمعنية بتقديم خدمات الصحة المدرسية، وتعنى بالنواحي العقلية والجسدية والنفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع المدرسي من خلال تزويدهم

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (1972). **أسباب تسوس الأسنان والوقاية منه: تقرير لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية.** سلسلة التقارير الفنية رقم 494، الترجمة العربية صادرة عن المكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط، الاسكندرية، مصر، ص4.

[2] يوسف، خالد. (2012). **الوظيفة التشريعية لمنظمة الصحة العالمية.** دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ص15.

[3] مصطفى، مأمون. (1998). **قانون المنظمات الدولية.** مكتبة فلسطين للكتب المصورة، فلسطين. https://palstinebooks.blogspot.com/2017/08/blog-post_5.html، ص19.

بالمهارات والمعارف والخدمات الصحية اللازمة في ظل بيئة مدرسية داعمة لهم، وتعمل على المعالجة والوقاية من الأمراض والأوبئة المنتشرة في المدارس؛ التي تهدد حياة الملايين من الطلبة المتعلمين والعاملين فيها".

- **هيكلية منظمة الصحة العالمية:**

تتكون منظمة الصحة العالمية من أجهزة رئيسة؛ هي: جمعية الصحة العالمية، والمجلس التنفيذي، والأمانة العامة، وذلك وفقاً لما نصت عليه المادة (9) من دستور منظمة الصحة العالمية[1]، كذلك تضم المنظمة ستة أقاليم تابعة لها هي: الإقليم الأفريقي، والإقليم الأمريكي، وإقليم شرق المتوسط، والإقليم الأوروبي، وإقليم جنوب شرق آسيا، وإقليم غرب المحيط الهادئ[2].

ويمكن توضيح هيكلية منظمة الصحة العالمية من خلال عرض ما يأتي:

- **جمعية الصحة العالمية:**

تتألف جمعية الصحة العالمية من مندوبين يمثلون الدول الأعضاء، وتجتمع مرة كل عام في دورة سنوية عادية وفي دورات خاصة حسبما تقتضي الحاجة، وتختار جمعية الصحة في كل دورة سنوية البلد أو الإقليم الذي تعقد فيه دورتها السنوية التالية، ويحدد المجلس بعد ذلك مكان الانعقاد. ومن ضمن وظائف جمعية الصحة العالمية رسم سياسات المنظمة، وتسمية الدول الأعضاء التي لها حق تعيين شخص للعمل عضواً في المجلس التنفيذي، وتعيين المدير العام. وتنتخب جمعية الصحة رئيسها وأعضاء مكتبها الآخرين في بداية كل دورة سنوية، ويظل هؤلاء في مناصبهم حتى يتم انتخاب من يخلفونهم[3].

---

(1) منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). **الوثائق الأساسية**، الطبعة الثامنة والأربعون. بما في ذلك التعديلات المعتمدة حتى 31/ أكتوبر/ 2014، طبع في إيطاليا، يمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/151605/، ص5.

(2) بوحريص، الصديق. (2013). حوكمة الصحة العالمية بين الأسس المعيارية والمصالح التجارية. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، ص56.

(3) منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). مرجع سابق، ص5-6.

- **المجلس التنفيذي:**

يتألف المجلس من أربعة وثلاثين شخصاً، يتم تعيينهم من الدول الأعضاء، وتقوم جمعية الصحة العالمية، مع مراعاة التوزيع الجغرافي العادل، بانتخاب الدول الأعضاء التي لها حق تعيين شخص للعمل عضواً في المجلس: وتنتخب الدول الأعضاء لمدة ثلاث سنوات، وينتخب المجلس رئيساً له، ومدة ولايته سنة واحدة، ويجتمع المجلس مرتين سنوياً ويعقد الاجتماع عادة بالمقر الرئيسي للمنظمة في جنيف. وتتضمن وظائف المجلس كما يشير إليها دستور منظمة الصحة العالمية[1]، بالآتي:

- تنفيذ قرارات جمعية الصحة وسياساتها.
- العمل كجهاز تنفيذي لجمعية الصحة.
- اتخاذ تدابير الطوارئ لمواجهة الأحداث التي تقتضي إجراءً فورياً، مثال على ذلك اتخاذ الخطوات اللازمة لمكافحة الأوبئة، والمشاركة في تنظيم الغوث الصحي لضحايا الكوارث.

- **الأمانة:**

تتألف الأمانة من المدير العام، وما قد تحتاج إليه المنظمة من الموظفين التقنيين والإداريين، ويجب أن يكون الاعتبار الرئيس في استخدام الموظفين هو ضمان الحفاظ على أعلى مستوى من الكفاءة والنزاهة وطابع التمثيل الدولي للأمانة، مع مراعاة أهمية اختيار الموظفين على أوسع أساس جغرافي ممكن[2].

ومن الأجهزة الفرعية لمنظمة الصحة العالمية؛ اللجان الإقليمية التي تتألف من ممثلي الدول الأعضاء، والدول المنتسبة في الإقليم، والأقطار، أو مجموعات

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). مرجع سابق، ص8-9.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). **الوثائق الأساسية**، الطبعة الثامنة والأربعون. بما في ذلك التعديلات المعتمدة حتى 31/ أكتوبر/ 2014، طبع في إيطاليا، يمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/151605/، ص10.

الأقطار الموجودة في الإقليم، وغير المسؤولة مباشرة عن علاقاتها الدولية. وتمارس اللجان الإقليمية أهم الوظائف، التي تتمثل بـ:

- وضع السياسات المتعلقة بالمسائل ذات الطابع الإقليمي الخالص.
- الإشراف على أنشطة المكتب الإقليمي.
- الاقتراح على المكتب الإقليمي للدعوة إلى عقد مؤتمرات فنية.
- القيام بالأعمال اللازمة لتعزيز هدف المنظمة في الإقليم.
- تقديم المشورة إلى المنظمة، عن طريق المدير العام للشؤون الصحية الدولية التي تتجاوز أهميتها النطاق الإقليمي.
- التوصية بأن ترصد حكومات الأقاليم المعنية اعتمادات إضافية للأقاليم، إذا كانت حصة الأقاليم من الميزانية المركزية للمنظمة لا تكفي للقيام بالوظائف الإقليمية.
- القيام بأي وظائف قد تفوض إليها من جمعية الصحة، أو المجلس، أو المدير العام.

والمكتب الإقليمي هو الجهاز الإداري للجنة، ويتولى أيضاً تنفيذ قرارات جمعية الصحة، والمجلس، في الإقليم. وهو يخضع للسلطة العامة للمدير العام. ويعين المجلس التنفيذي رئيس المكتب الإقليمي، بالاتفاق مع اللجنة الإقليمية، ومن اللجان الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية، اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط[1].

- **أهداف منظمة الصحة العالمية ووظائفها :**

إن منظمة الصحة العالمية قامت من أجل هدف سامٍ، وهو أن تصل جميع شعوب العالم إلى أرفع مستوى صحي ممكن، وهو ما نص عليه دستورها في أن التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه، باعتباره أحد الحقوق الأساسية

[1] الشورة، فايز. (2006). وسائل تنفيذ قرارات منظمة الصحة العالمية. **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الدراسات القانونية العليا، جامعة عمان العربية، الأردن، ص22-23.

لكل إنسان، دون تمييز بسبب العنصر أو الدين أو العقيدة السياسية أو الحالة الاقتصادية أو الاجتماعية.

وتهدف منظمة الصحة العالمية إلى رفع مستوى الصحة والرقي الجسماني والعقلي والاجتماعي، كما تسعى المنظمة إلى مقاومة الأمراض الخطيرة المعدية، وكذلك التنسيق في النشاطات والمبادرات الدولية في مجال الصحة[1].

وفي إطار ذلك، تنظر المنظمة إلى أن النشأة الصحية للطفل، يعد أمراً بالغ الأهمية، والقدرة على العيش بانسجام في بيئة كلية متغيرة أمر جوهري لهذه النشأة، وتؤكد المنظمة على أن الحكومات مسئولة عن صحة شعوبها، ولا يمكن الوفاء بهذه المسؤولية إلا باتخاذ تدابير صحية واجتماعية كافية[2].

ولتحقيق هذا الهدف السامي، لا بد للمنظمة من أن تمارس بعض الوظائف، التي تأخذ بعدين من العمل: إما أن يكون دور المنظمة فيه إرشادياً، وإما عملياً.

فبالنسبة للدور الإرشادي، فإنه يأخذ صوراً كثيرة، منها: ما أشار إليه دستور منظمة الصحة العالمية، (2014جـ، 2-3)[3]، والمتمثلة بالآتي:

- العمل بوصفها سلطة توجيهية وتنسيقية في ميدان العمل الصحي الدولي.
- إقامة تعاون فعال مع الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة والإدارات الصحية الحكومية وغيرها حسبما يكون مناسباً.
- مساعدة الحكومات بناءً على طلبها في تعزيز الخدمات الصحية.

---

[1] الشورة، فايز. (2006). مرجع سابق، ص7.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). **الوثائق الأساسية**، الطبعة الثامنة والأربعون. بما في ذلك التعديلات المعتمدة حتى 31/ أكتوبر/ 2014، طبع في إيطاليا، يمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/151605/، ص1.

[3] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). مرجع سابق، ص2-3.

- تقديم المساعدة الفنية المناسبة، وفي حالات الطوارئ تقديم العون اللازم بناءً على طلب الحكومات أو قبولها.
- تقديم، أو المساعدة في تقديم، الخدمات والتسهيلات الصحية بناءً على طلب الأمم المتحدة لجماعات خاصة، كشعوب الأقاليم المشمولة بالوصاية.
- إنشاء ما قد يلزم من الخدمات الإدارية والفنية بما في ذلك الخدمات الوبائية والإحصائية، والحفاظ عليها.
- التشجيع بالتعاون مع الوكالات المتخصصة الأخرى على اتخاذ الاجراءات المناسبة التي تؤدي إلى الوقاية من الأضرار الناجمة عن الحوادث وتحسين التغذية، والإسكان، والترفيه، والأحوال الاقتصادية، وأحوال العمل، وغيرها من نواحي صحة البيئة.
- تشجيع التعاون بين الجماعات العلمية والفنية، التي تسهم في النهوض بالصحة.
- اقتراح الاتفاقيات والاتفاقات والأنظمة ووضع التوصيات حول الشؤون الصحية الدولية.
- تشجيع الأنشطة في ميدان الصحة العقلية، ولا سيما ما يتصل منها بانسجام العلاقات الإنسانية.
- تشجيع البحوث في مجال الصحة وتوجيهها.
- العمل على تحسين مستويات التعليم والتدريب، في المهن الصحية، والطبية والمهن المرتبطة بها.
- دراسة التقنيات الإدارية والاجتماعية المتصلة بالصحة العامة والرعاية الطبية من الناحيتين الوقائية والعلاجية.
- تقديم المعلومات والمشورة، والمساعدة في مجال الصحة.

أما بالنسبة لدور المنظمة العملي فهو: دور تنفيذي تمارسه المنظمة، ويأخذ صوراً عدة؛ منها على سبيل المثال ما أشارت إليه؛ المنظمة في دستورها، (2014جـ، 3)[1]، ممثلاً بالآتي:

- وضع تسميات دولية للأمراض ولأسباب الوفاة، ولممارسات الصحة العامة، ومراجعة هذه التسميات كلما دعت الضرورة.
- توحيد طرق التشخيص بالقدر اللازم.
- وضع المعايير الدولية للمنتجات الغذائية والحياتية والصيدلية وما شابهها، وتقريرها ونشرها.
- اتخاذ كل ما يلزم لبلوغ هدف المنظمة.

وتؤكد؛ العزاوي، (2005)، المشار إليها في (العامري، 2011)[2]، أن هناك قدراً من التعاون والتنسيق بين الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية بخصوص الأمور الصحية، فمثلاً في مذكرة أرسلتها منظمة الصحة العالمية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، تضمنت في محتواها أنه ينبغي الأخذ بعين الاعتبار عدة أمور؛ تخص جوانب حقوق الإنسان التي تهم الصحة في مواجهة تقدم العلم والتقنية؛ أهمها: تدهور الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، والصحة العقلية، والتغذية.

2. **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال الصحة المدرسية تاريخياً :**

برز على المستوى العالمي اهتمام واسع في مجال التعزيز الصحي والرعاية الصحية والتثقيف الصحي للأفراد والمجتمعات من قبل منظمات عالمية عديدة، لعل أبرزها منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسيف، ومنظمة اليونسكو، وقد

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). مرجع سابق، ص3.

[2] العامري، عباس. (2011). حماية حقوق الإنسان في القانون الدولي. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة سانت كليمنتس العالمية للتعليم المفتوح-الدراسات العليا- قسم القانون الدولي، بغداد، العراق، ص115.

تبنت منظمة الصحة العالمية اسلوب الرعاية الأولية وركزت على ضرورة التوجه إلى طلبة المدارس؛ إذ يشكلون شريحة كبيرة في المجتمع.

ففي العام 1950م، تم إنشاء لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية لخدمات الصحة المدرسية. وفي العام 1954م، تم إنشاء لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية حول التوعية الصحية. وفي العام 1959م، عقد اجتماع اللجنة المشتركة لخبراء منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسكو، لإعداد المعلمين للتوعية الصحية. وفي العام 1966م، تم التعاون بين منظمة الصحة العالمية اليونسكو لنشر خطط من أجل التوعية الصحية في المدارس[1].

وفي العام 1977م، أطلقت منظمة الصحة العالمية مبادرتها المعروفة بـ: "**الصحة للجميع بحلول عام 2000**"، وتهدف هذه المبادرة إلى إيصال الخدمات الصحية إلى جميع سكان العالم؛ لتمكنهم من أن يعيشوا حياة منتجة اجتماعياً واقتصادياً[2].

وفي عام 1978م، عقد المؤتمر الدولي للرعاية الصحية الأولية في ألما آتا (عاصمة كازاخستان) الذي شكل أحد معالم تطوير السياسات الصحية. وأكد المؤتمر على أن نهج الرعاية الصحية الأولية شرط أساسي لتحقيق مستوى مقبول من الصحة في جميع أنحاء العالم، واعترف بأن ذلك لا يمكن بلوغه إلا من خلال استخدام أكمل وأفضل لموارد العالم. وفي العام 1981م، اعتمدت جمعية الصحة العالمية الا ستراتيجية العالمية لتوفير الصحة للجميع بحلول عام 2000م،

---

[1] World Health Organization. (1997a). **Promoting health through schools: report of a WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion**. WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion (1995), Switzerland & World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/41987, p5

[2] عبد اللطيف، فاتن. (2001). نحو استراتيجية متكاملة للصحة المدرسية. **مجلة الطفولة والتنمية**، المجلد (1)، العدد (2)، ص94.

ودعت المنظمة الدول الأعضاء إلى صياغة وتعزيز وتنفيذ استراتيجياتها لتوفير الصحة للجميع وفقاً لذلك[1].

وفي العام 1983م، عقدت لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية اجتماعاً حول مداخل جديدة للتوعية الصحية في الرعاية الصحية الأولية، وتمثلت نقاط بحث لجنة الخبراء في الآتي:

- مراجعة الوضع العالمي للصحة المدرسية.
- التعرف على فرص تقوية برامج الصحة المدرسية على المستويات العالمية والوطنية والمحلية ومعوقات هذه البرامج.
- حث الخبراء على تقديم أبحاث وأوراق عمل تتعلق بتعزيز الصحة من خلال المدارس، توضح أفضل الأمثلة على التجارب[2].

وفي عام 1985م، توجهت الأنظار إلى المجتمع المدرسي، عندما انطلقت مبادرة منظمة الصحة العالمية واليونيسيف لتبني ما يسمى "المنهج العملي ذو المردود العلمي"، الموجه لتعزيز صحة الطلبة في دول شرق المتوسط، ويتضمن المنهج تدريب المعلمين عبر وحدات تعليمية عن برامج التطعيم ومكافحة الإسهال والإيدز، وأخرى عن الرضاعة الطبيعية، ورصد نمو الأطفال وغيرها، (منظمة الصحة العالمية، 1988أ، 2-3). كما عقد في العام نفسه المؤتمر الاستشاري

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (1998). **التقرير الخاص بالصحة في العالم: الحياة في القرن الحادي والعشرين كما يتمناها الجميع**. تقرير المدير العام، منظمة الصحة العالمية، جنيف. ويمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/1545/، ص21-25.

[2] World Health Organization. (1997a). **Promoting health through schools: report of a WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion**. WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion (1995), Switzerland & World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/41987, p5

الدولي لمنظمة الصحة العالمية واليونسكو حول التوعية الصحية للأطفال في سن المدرسة[1].

وفي العام 1986، تم عقد أول مؤتمر حول تعزيز الصحة في (اوتاوا) بكندا، و عرف المؤتمر تعزيز الصحة بأنها: **"عملية تمكين الناس وإكسابهم كفايات من أجل خلق سيطرة أكبر على صحتهم وبيئتهم عبر التعليم"**. ومن خلال المؤتمر تم تقديم وثيقة تضم خمسة مبادئ رئيسية لتقديم برنامج عالمي لتعزيز الصحة تمثلت بما يأتي:

- بناء سياسية صحية عامة.
- خلق بيئة مدرسية داعمة.
- تقوية مشاركة المؤسسات المجتمعية.
- تطوير المهارات الشخصية.
- إعادة توجيه مسار الخدمات الصحية[2].

وفي عام (1988م)، تم إبرام اتفاقية بين أربع منظمات تابعة للأمم المتحدة، كما أشار إلى ذلك (Gold, 1990)[3]، وهي: منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسيف، ومنظمة اليونسكو، وصندوق الأمم المتحدة للسكان.

---

(1) World Health Organization. (1997a). **Promoting health through schools: report of a WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion**. WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion (1995), Switzerland & World Health Organization Geneva, p5.

(2) .World Health Organization. (1998b). **Healthy nutrition : an essential element of a health-promoting school**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva, p44-45.

(3) Gold, Robert S. (1990). The world health organization: School health initiative, perspectives in School Health. **Journal of School Health**, 60 (7): 370-378, p375

وكان مفادها: التخطيط لتطوير وتعزيز (المنهج الصحي ذي المردود العملي) على المستوى الوطني والإقليمي. واختيرت الدول العربية؛ مصر، والسودان، والمغرب، والأردن، والبحرين، لتنفيذ البرنامج[1].

وفي العام 1991م؛ عقد المؤتمر الاستشاري العالمي لمنظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة اليونيسيف حول استراتيجيات تطبيق التربية الصحية المدرسية الشاملة[2]. وفي العام 1994م، عقد في كوبنهاجن ورشة التعليم الصحي والديمقراطية ضمت (65) مشاركاً من (30) دولة لوضع أسس المدارس الصحية[3].

وفي عام 1995م؛ شكلت منظمة الصحة العالمية لجنة خبراء التوعية الصحية وتعزيز الصحة الشاملة من خلال المدارس. وقد كان الهدف من هذه اللجنة الخروج بتوصيات، ووضع المقاييس، وتفعيل السياسات التي تمكن المنظمات الصحية والتربوية والمدارس من الاستخدام الأمثل لإمكاناتها، من أجل تحسين صحة الأطفال والناشئة والكوادر التعليمية والأسرة والمجتمع[4].

---

[1] صنقور، خاتون. (2001). تجربة دولة البحرين في مراحل تطبيق مشروع التربية الصحية والبيئة المدرسية في المرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي. **مجلة الطفولة والتنمية**، العدد (1)، ص 231-232.

[2] World Health Organization. (1997a). Pro**moting health through schools: report of a WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion**. WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion (1995), Switzerland & World Health Organization Geneva, p5.

[3] الخالدي، خالد. (2012). دور الإدارة المدرسية في تطبيق مبادرة المدارس الصحية في الأردن ومقترحات التطوير. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ص15.

[4] صالح، صفاء. (2015). **التربية الصحية في المدارس الأساسية**. المنهل، يمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.debonobooks.ae/images/files/f929608.pdf، ص16

وباعتبار التعليم الوسيلة الأساسية لتعزيز صحة أطفال المدارس والمراهقين، والمدرسة هي أفضل مكان للتأثير في صحة هذه الفئة العمرية، فقد ذكرت لجنة خبراء المنظمة بشأن التثقيف الصحي والنهوض بالصحة الشاملين في المدارس، عام 1995م، أن تعزيز الصحة من خلال المدرسة "يمكن أن يخفف المشكلات الصحية المعروفة ويعزز كفاءة النظام التربوي، وبالتالي يعزز الصحة العمومية والتربية، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية"[1].

وفي العام نفسه 1995م، واستناداً إلى عمل لجنة خبراء المنظمة بشأن التثقيف الصحي والنهوض بالصحة الشاملين في المدارس، اطلقت منظمة الصحة العالمية ما يعرف بالمبادرة العالمية للصحة المدرسية، ويسترشد التوجه العام للمبادرة بميثاق أوتاوا، لتعزيز الصحة (1986)، وإعلان جاكرتا، الصادر عن المؤتمر الدولي الرابع لتعزيز الصحة (1997)، وتوصيات لجنة الخبراء التابعة لمنظمة الصحة العالمية (1995)، بشأن التعليم والتربية الصحية المدرسية الشاملة[2]. وأصدرت اللجنة عشر توصيات منها ثلاث يتوقع أن يكون لها تأثير مباشر على الصحة، ويشير إليها تقرير، منظمة الصحة العالمية[3]، بالآتي:

- ضرورة أن توفر البيئة المدرسية المياه النقية، والمرافق الصحية، وأن تحمي تلامذتها والعاملين فيها أيضاً من الأمراض المعدية، ومن التمييز

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (1998). **التقرير الخاص بالصحة في العالم: الحياة في القرن الحادي والعشرين كما يتمناها الجميع**. تقرير المدير العام، منظمة الصحة العالمية، جنيف. ويمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/1545/، ص112-113

[2] World Health Organization.(1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working**. prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63868, p1

[3] منظمة الصحة العالمية. (1998). مرجع سابق، ص112-113.

والمضايقات والتعدي والعنف، وأن ترفض تعاطي التبغ والكحول والمخدرات غير المشروعة.

- ينبغي لكل مدرسة أن تمكن الأطفال والمراهقين من كل المستويات من تعلم مهارات حيوية. وينبغي أن يشمل التعليم الصحي مواضيع منها الأمراض المعدية، والتغذية، والرعاية الصحية الوقائية، والصحة الإنجابية، وأن يمكن الشباب من حماية رفاه أسرهم التي سيتحملون المسؤولية عنها في المستقبل، وحماية المجتمعات التي يعيشون في ظلها.

ومن شأن تعليم المهارات الحياتية أن تساعدهم على اتخاذ قرارات صحية واختيار السلوك الصحي طوال العمر.

- على كل مدرسة من المدارس أن تقي من الإصابة بالأمراض عندما يكون ذلك ممكناً، وأن تعالجها عندما يكون ذلك فعالاً، وأن تحيلها عندما يكون ذلك ضرورياً، وعلى المدارس أن توفر أطعمة مغذية، وغنية بالعناصر المغذية الدقيقة لمكافحة الجوع، واتقاء الأمراض وتعزيز النمو والتنمية، وعليها أن تنشئ برامج للوقاية هدفها التخفيف من تعاطي التبغ والكحول والمخدرات غير المشروعة، والحد من السلوك المؤدي إلى انتشار فيروس العوز المناعي البشري. وعليها المسؤولية أينما كان ذلك ممكناً أن تشخص حالات الإصابة بالعدوى، ومشاكل النطق والإبصار والسمع، والعمل على معالجتها، كما أن عليها التحري إزاء المشكلات النفسية، وأن تحيل أصحابها للجهات المعنية لتلقي المعالجات المناسبة.

وفي عام 1997م، عقد أول مؤتمر للمدارس المعززة للصحة في الإقليم الأوروبي في اليونان، وتم التعرض في هذا المؤتمر إلى البرامج المطبقة في دول الإقليم والتي تهدف إلى تعزيز الصحة، وقد نجح تطبيق هذا المشروع في العديد من الدول، وانتظمت المدارس المعززة للصحة في خمس شبكات دولية منذ

بداية التسعينات وهي: الشبكة الأوروبية، شبكة أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، وشبكة غرب المحيط الهادئ، وشبكة جنوب شرق آسيا[1].

وفي الفترة من 12 إلى 14 ديسمبر من العام 2005م؛ أقام المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق البحر المتوسط مشاورة إقليمية حول المدارس المعززة للصحة في إقليم شرق المتوسط في العاصمة صنعاء، وشارك في هذه المشاورات الإقليمية متخصصون وخبراء في مجال الصحة المدرسية المعنيين من دول شرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، وممثلون عن المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بالقاهرة، والمكتب الإقليمي للأمريكيتين، وهدف اللقاء التشاوري إلى تبادل الخبرات في مجال تطوير المدارس المعززة للصحة على المستوى الوطني، وتحديد أفضل الأساليب والآليات لإنشاء الشبكات الوطنية والإقليمية لهذه المدارس في إقليم شرق المتوسط، وكذلك وضع المؤشرات المتعلقة بالرصد والتقييم في هذا المجال[2].

وفي عام 2007م؛ التقى عدد من خبراء منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي ومنظمة اليونيسيف في اجتماع تشاوري من أجل تعزيز الصحة في المدارس، وقد اتفق المجتمعون على جوانب متعددة لعمل المدرسة المعززة للصحة[3].

---

[1] الشهري، سليمان. (2010). **الدليل الإرشادي لبرنامج المدارس المعززة للصحة**. وزارة التربية والتعليم، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص13.

[2] World Health Organization .(2006).**Report on the Consultation On health-promoting schools in the Eastern Mediterranean Region**. Sana'a, Republic of Yemen 12–14 December 2005. Regional Office for the Eastern Mediterranean, Cairo, Egypt, p1

[3] Buijs, G. (2009). Better School through Health: Networking for Health Promoting School in Europe. **Europe journal of Education**, 44 (4): 507-519, p509

وواصل المكتب الإقليمي تقديم دعمه التقني للصحة المدرسية، في الوقت الذي تسهم فيه البلدان إسهاماً فعالاً في توسيع نطاق الشبكات الوطنية للمدارس المعززة للصحة، وفي تنفيذ المسح العالمي حول الصحة المدرسية، وهو وسيلة هامة للتعرف على عوامل الخطر السلوكية بين المراهقين. كما تم تقديم الدعم التقني إلى المؤتمر الخليجي الثاني حول الصحة المدرسية، الذي عقد في البحرين. وروجعت الوسائل الإلكترونية للشبكة الإقليمية للمدارس المعززة للصحة، ونقحت بالتعاون مع البلدان، مع إعداد مجموعة من الطرق التي تسهل تقييم المدارس المعززة للصحة. وأجريت مراجعة تقنية لأنشطة التحري الطبي لأطفال المدارس في سلطنة عمان. وواصل المكتب الإقليمي التبشير بإدماج إطار السياسات المدرسية لاستراتيجية منظمة الصحة العالمية على الصعيد العالمي حول النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة، في المدارس. وتحظى هذه السياسة باهتمام متزايد، وقد تم تبنيها في معظم البلدان[1].

كما عقد المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في شرق المتوسط مشاورة إقليمية حول "**تنظيم خدمات الصحة المدرسية والتحديات المستجدة**" في مسقط عمان، في الفترة من (29) إلى (31) مايو 2010م، وهدفت المشاورة إلى مراجعة الوضع الراهن للخدمات الصحية المقدمة للمجتمع المدرسي (الأطفال والمراهقين في المدارس، العاملين من تربويين وإداريين وآخرين) واتجاهات التطور في بلدان الإقليم، وتحديد الاحتياجات والأولويات الصحية والفجوات التنظيمية في ممارسة خدمات الصحة المدرسية بالعلاقة مع التحديات المستجدة، واقتراح أفضل النماذج التنظيمية لتقديم الخدمات الصحية للمجتمع المدرسي، واستكشاف الدور الممكن للمدارس المعززة للصحة في جسر

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2010أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2009)**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124609، ص60

الفجوات وتنفيذ النماذج الموصى بها، وخلال الأيام الثلاثة للمشاورة قام خبراء إقليميون ووطنيون، ومدراء برامج، ومسؤولون عن الصحة المدرسية من (16) بلداً من بلدان الإقليم بمشاركة ممثلين عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة UNICEF، ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين UNRWA، باستعراض نتائج الاستبيان الإقليمي حول خدمات الصحة المدرسية في إقليم شرق المتوسط، ومن بينها: المؤشرات العامة عن الطلبة والمدارس والالتحاق والتسرب، والمؤشرات المتعلقة بالكوادر الصحية العاملة في تقديم الخدمات الصحية المدرسية، وملامح الوضع الراهن من حيث السياسات الصحية والتشريعات الخاصة بخدمات الصحة المدرسية، والأطر التنظيمية والهيكلية وأنماط تقديم هذه الخدمات للمجتمع المدرسي بكافة مكوناته من طلبة وعاملين وتربويين وإداريين، سواء من خلال فريق صحي أو عيادات صحية مدرسية أو عيادات الرعاية الصحية الأولية، أو باعتماد مظلات تأمينية صحية معينة[1].

وقد واصل المكتب الإقليمي سعيه لتقديم الدعم التقني لبرامج الصحة المدرسية. فأجرى مراجعة للتحري عن الصحة المدرسية في عُمان، مع تحديد الخطوات المستقبلية، وتقديمها للسلطات الوطنية المعنية، كما تم تصميم استبيان للتعرف على وضع خدمات الصحة المدرسية، بغية توسيع نطاق تنفيذ مكونات المدارس المعززة للصحة، كما تم تحليل المعلومات الواردة، وعرضها في مشاورة إقليمية أقيمت حول تنظيم خدمات الصحة المدرسية، واستجابة لذلك؛ تم اعتماد إعلان مسقط حول تعزيز خدمات المدارس، من خلال التصدي

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2012أ). **إعلان مسقط حول تعزيز الخدمات الصحية المدرسية لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل.** مشاورة إقليمية حول تنظيم الخدمات الصحية المدرسية والتحديات المستجدة، المنعقد في مسقط، سلطنة عُمان، في الفترة من 29 إلى 31 مايو/2010م، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، القاهرة، مصر، ص1.

للتحديات الراهنة والمستقبلية. كما تم إعداد مسودة للدلائل الإرشادية والإقليمية حول خدمات الصحة المدرسية[1].

وفي العام 2015م، عقد الاجتماع التقني للصحة المدرسية التابع لمنظمة الصحة العالمية في بانكوك، في الفترة من 23 إلى 25 نوفمبر، لتوحيد ما تم تعلمه من المناطق والبلدان منذ الاجتماع التقني الأخير لمنظمة الصحة العالمية بشأن الصحة المدرسية في العام 2007م، السابق ذكره، وتجديد الالتزامات وزيادة القدرات المؤسسية لقطاعي الصحة والتعليم، بهدف تحقيق النتائج الصحية والتعليمية وخاصة في ظروف الموارد المنخفضة[2].

وقد ركزت المنظمة في جهودها للعام 2016م، على بناء القدرات الوطنية لإعداد خطط العمل الوطنية المتعددة القطاعات المعنية بالنشاط البدني، وخطط التسويق الاجتماعي وإطلاق حملات عبر وسائل الإعلام لتعزيز النشاط البدني في أوساط المجتمعات. وقدمت المنظمة الدعم التقني إلى البلدان لرصد النمو وإعداد المبادئ التوجيهية بشأن النظم الغذائية المستندة إلى الأغذية، ومكافحة السمنة والوقاية منها، وتعزيز النظام الغذائي الصحي. وحققت تلك المنظمة ومن خلال مكتبها الإقليمي في شرق المتوسط، العديد من الانجازات البارزة من خلال تنفيذها للأولويات الاستراتيجية الخمس التي اعتمدتها بلدان

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2011). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2010)**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص56.

[2] World Health Organization. (2017a). **Global school health initiatives: achieving health and education outcomes: report of a meeting, Bangkok, Thailand, 23–25 November 2015**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/259813, p1.

الإقليم في عام 2012م، وهذه الأولويات كما تشير إليها منظمة الصحة العالمية[1]، هي:

- تعزيز النظم الصحة من أجل بلوغ التغطية الصحية الشاملة.
- صحة الأمهات والأطفال.
- الأمراض السارية (المعدية).
- الأمراض غير السارية (غير المعدية).
- التأهب لحالات الطوارئ والاستجابة لها.

وفي يناير (2020م)، أعلنت منظمة الصحة العالمية أن فاشية مرض فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، طارئة صحية عامة تثير قلقًا دوليًا. وأفادت المنظمة بارتفاع خطر انتقال مرض (كوفيد-19) إلى بلدان أخرى حول العالم، وفي مارس (2020م)، أجرت المنظمة تقييمًا لمرض (كوفيد-19)، وخلصت إلى أنه يمكن وصفه بالجائحة، وتعمل المنظمة وسلطات الصحة العامة حول العالم على احتواء فاشية (كوفيد- 19)، وأشارت منظمة الصحة العالمية أن من شأن توفير الحقائق والمعلومات حول (كوفيد- 19) أن يساعد في تخفيف خشية الطلاب وقلقهم من المرض ويدعم قدرتهم على التعامل مع التأثيرات الثانوية على حياتهم[2]. وعملت منظمة الصحة العالمية على إصدار

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2017). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2016.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. http://www.who.int/iris/handle/10665/259255، ص5-6.

[2] منظمة الصحة العالمية واليونيسف والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر، (2020)، **توجيهات لمنع (كوفيد-19) والسيطرة عليه في المدارس،** https://www.unicef.org/media/66216/file/Key%20Messages%20and%20Actions%20for%20COVID-19%20Prevention%20and%20Control%20in%20Schools_March%202020.pdf، ص5

العديد من الوثائق منها وثيقة تتضمن **نصائح استخدام الكمامات للأطفال في المجتمع المحلي في سياق (كوفيد-19)**، حيث تقدم هذه الوثيقة إرشادات لصانعي القرار ومختصي الرعاية الصحية للأطفال لإبلاغ السياسات بشأن استخدام الأقنعة للأطفال في سياق جائحة (COVID-19). ووثيقة **العودة إلى المدرسة بعد (كوفيد-19)**، ووثيقة **إطار إعادة فتح المدارس**، ووثيقة **اعتبارات لتدابير الصحة العامة بالمدارس في سياق (كوفيد-19)**، ووثيقة **إرشادات مؤقتة للوقاية من (كوفيد-19) ومكافحته في المدارس**، كما عملت منظمة الصحة العالمية على إصدار العديد من الملصقات التثقيفية للمحافظة على سلامة المدرسة والحد من انتشار (كوفيد-19)[1].

كما أصدرت منظمة الصحة العالمية بالتعاون مع اليونيسف والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر وثيقة بعنوان **توجيهات لمنع (كوفيد-19) والسيطرة عليه في المدارس**، وهدفت هذه الوثيقة إلى توفير إرشادات واضحة وقابلة للتنفيذ لتوجيه العمليات الآمنة من خلال منع انتشار (كوفيد-19) في المدارس وغيرها من المرافق التعليمية، والكشف عنه مبكراً والسيطرة عليه. ورغم أن هذه التوجيهات مخصصة للبلدان التي توجد فيها حالات مؤكدة بالعدوى بمرض (كوفيد- 19)، إلا أنها هامة في جميع السياقات الأخرى. فبوسع التعليم أن يشجع الطلاب ليصبحوا مناصرين لمنع الأمراض والسيطرة عليها في البيوت والمدارس والمجتمعات المحلية، وذلك من خلال التحدث مع الآخرين حول كيفية منع انتشار الفيروسات. حيث أن المحافظة على سير الأعمال على نحو آمن في المدارس أو إعادة فتح المدارس بعد إغلاقها، يتطلب

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2020أ). **إرشادات بشأن العودة للمدرسة بأمان خلال جائحة كوفيد-19. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط**، تم الاطلاع عليه في تاريخ: 18/أكتوبر/ 2020، الساعة، 7:35، من خلال الرابط التالي: http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/back-to-school.html، ص1.

العديد من الاعتبارات، وإذا تم تنفيذها على نحو جيد فستعمل على تعزيز الصحة العامة، بالإضافة إلى ذلك توفر هذه التوجيهات رسائل رئيسية، واعتبارات بشأن إشراك الإداريين والمعلمين وموظفي المدارس ومسؤولي إعداد الطعام فيها والأهالي ومقدمي الرعاية وأفراد المجتمع المحلي، وكذلك الأطفال أنفسهم، في تعزيز السلامة والصحة في المدارس[1].

وأصدرت منظمة الصحة العالمية إرشادات بشأن تعديل تدابير الصحة العمومية والرعاية الاجتماعية مع معالجة مخاطر عودة ظهور حالات (كوفيد-19)، وأعدت سلسلة من الملحقات لتوجيه البلدان طوال توقيت إعادة فتح أو إغلاق المدارس في سياق (كوفيد-19)، ولهذه القرارات تبعات مهمة على الأطفال وأولياء الأمور أو مقدمي الرعاية والمعلمين وسائر العاملين والمجتمعات المحلية والمجتمع بأسره[2].

وأصدرت منظمة الصحة العالمية **ملحق: الاعتبارات المتعلقة بتكييف تدابير الصحة العمومية والتدابير الاجتماعية في سياق جائحة كوفيد-19**، ويبحث هذا الملحق في اعتبارات تشغيل المدارس، بما يشمل فتحها وإغلاقها وإعادة

---

[1] منظمة الصحة العالمية واليونيسف والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر، (2020)، **توجيهات لمنع (كوفيد-19) والسيطرة عليه في المدارس**، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
https://www.unicef.org/media/66216/file/Key%20Messages%20and%20Actions%20for%20COVID-19%20Prevention%20and%20Control%20in%20Schools_March%202020.pdf، ص5.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2020ب). **اعتبارات بشأن تدابير الصحة العمومية الخاصة بالمدارس في سياق جائحة كوفيد-19، ملحق: اعتبارات بشأن تعديل تدابير الصحة العمومية والرعاية الاجتماعية في سياق جائحة كوفيد-19.** ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/332052/WHO-2019-nCoV-Adjusting_PH_measures-Schools-2020.1-ara.pdf، ص1.

فتحها والتدابير اللازمة للحدّ من خطر إصابة الطلاب والعاملين بمرض (كوفيد-19). ويطبق هذا الملحق على الأماكن التعليمية للأطفال دون (18) عامًا، ويوضح المبادئ العامة والتوصيات الرئيسية التي يمكن تكييفها، ليس فقط لتناسب المدارس ولكن لتناسب أيضًا سياقات محددة ذات صلة بالمدارس، مثل الأنشطة خارج نطاق المناهج الدراسية. ووضِعَت هذه الوثيقة بالاستعانة بمدخلات الفريق الاستشاري التقني الذي تألف من خبراء معنيين بالمؤسسات التعليمية (وكوفيد- 19) وخبراء من منظمة الصحة العالمية واليونيسف واليونسكو، الذين قاموا معًا باستعراض أحدث البيِّنات لوضع هذه الإرشادات المبدئية، لتناول الإنصاف والآثار المترتبة على الموارد والجدوى. وتمثل التغييرات الرئيسية المدخلة في هذه الوثيقة في طرح نهج قائم على المخاطر لتشغيل المدارس في سياق جائحة (كوفيد – 19)، بالاستناد إلى مستوى انتقال المرض وكثافته على مستويات إدارية أدنى من المستوى الوطني، والاعتبارات العمرية فيما يتعلق بكل من التباعد البدني واستخدام الكمامات داخل المدارس، والتدابير الشاملة المتعددة المستويات للوقاية من ظهور (فيروس كورونا-سارس- 2) وانتشاره في الأماكن التعليمية. ويهدف هذا الملحق إلى مساعدة راسمي السياسات والمعلمين على اتخاذ القرارات بشأن تشغيل المدارس بأكبر قدر ممكن من الأمان في أثناء جائحة (كوفيد- 19)[1].

[1] منظمة الصحة العالمية واليونيسف ومنظمة الأمم المتحدة للتربية، (2020)، **اعتبارات بشأن تدابير الصحة العمومية الخاصة بالمدارس في سياق جائحة كوفيد-19**، ملحق: الاعتبارات المتعلقة بتكييف تدابير الصحة العمومية والتدابير الاجتماعية في سياق جائحة كوفيد-19، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/334294/WHO-2019-nCoV-Adjusting_PH_measures-Schools-2020.2-ara.pdf، ص1.

3. مبادرات منظمة الصحة العالمية في مجال خدمات الصحة المدرسية:

من الجدير ذكره أنه في السنوات العشرين الماضية ظهرت مجموعة من المبادرات، والاستراتيجيات والبرامج تحمل أسماء مختلفة مثل: المدارس المعززة للصحة، والصحة المدرسية الشاملة، والمدارس الصديقة للطفل، ومبادرة تركيز الموارد من أجل صحة مدرسية فعالة (Focus Resources on Effective School Health)، والمعروفة اختصاراً بفرِش (FRESH)، وتشترك هذه المبادرات في اتباع منهج شامل، إدراكاً منها أن كل جانب من جوانب الحياة في المجتمع المدرسي يمكن أن يسهم في تعزيز الصحة والنهوض بها. وأصبح واضحاً في هذا النهج أنه من الضروري القيام بأعمال تتجاوز مجرد إدراج دروس للتثقيف الصحي في المناهج الدراسية، لكي تحقق المدارس أقصى قدراتها على تعزيز صحة كل الطلبة، وإنما هناك إدراك متزايد من قبل المبادرات الدولية لهذا الأمر، بما في ذلك مبادرات منظمة الصحة العالمية، واليونيسيف، واليونسكو، ومراكز الوقاية من الأمراض ومكافحتها، وتحديداً بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي وغيرها من المبادرات[1]، وفيما يأتي نذكر بعضاً من هذه المبادرات، وهي:

- **مبادرة المدارس المعززة للصحة:**

– **مفهومها:** إن منظمة الصحة العالمية ومن خلال مبادرتها العالمية الخاصة بالصحة المدرسية تسعى إلى تعبئة وتعزيز أنشطة تعزيز الصحة والتعليم على

---

[1] الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2009). **تحقيق المدارس المعززة للصحة: الدلائل الإرشادية لتعزيز الصحة في المدارس. النسخة الثانية من الوثيقة المعروفة سابقاً بالبروتوكولات والدلائل الإرشادية للمدارس المعززة للصحة**، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health، ص2.

المستويات المحلية والوطنية والإقليمية والعالمية. وقد تم تصميم المبادرة لتحسين صحة الطلبة وموظفي المدارس والأسر والأعضاء الآخرين في المجتمع من خلال المدارس. والهدف من المبادرة هو زيادة عدد المدارس التي يمكن أن تُسمى بحق "مدارس معززة للصحة"[1].

ومفهوم المدرسة المعززة للصحة "مفهوم عالمي لتحقيق الصحة والتعليم، كما عبرت عن ذلك أهداف منظمتي الصحة العالمية واليونسكو في شعاري "الصحة للجميع" و"التعليم للجميع"، أي إن مبادرة المدارس المعززة للصحة تقوم على ربط التعليم بتعزيز الصحة في المدارس، و بذلك تكون المدارس المعززة للصحة استثمار في التعليم والصحة"، وأن الباعث على تبنى مبادرة المدارس المعززة للصحة، هو: انتشار سلوكيات غير صحية بصورة وبائية بين الشباب خاصة دول أوروبا مثل: التدخين، والإدمان، والعنف، ومن هنا بدأ المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بأوروبا تبني فكرة تحويل التثقيف الصحي إلى تعزيز الصحة[2].

ويشير، (Buijs)[3]، إلى أن إدخال نهج المدرسة المعززة للصحة تم منذ أكثر من عقدين من الزمن؛ حيث يستند المفهوم على ميثاق أوتاوا (Ottawa

---

[1] World Health Organization. (1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working.** prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63868, 2

[2] سالم، رائدة. (2007). **الصحة المدرسية.** دار أجنادين للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى2007، الرياض، 58.

[3] Buijs, G. (2009). Better School through Health: Networking for Health Promoting School in Europe. **Europe journal of Education**, 44 (4): 507-508.

Charter) المقدم في المؤتمر الدولي الأول حول تعزيز الصحة في عام 1986م، وقد قرر المؤتمر أن معنى تعزيز الصحة يعني عملية تمكين الناس وإكسابهم كفايات خلق سيطرة أكبر على صحتهم وبيئتهم عبر التعليم؛ إذ كانت المنهجية التقليدية للبرامج الصحية المدرسية قبل هذا التاريخ ترتكز على اكتساب المعرفة حول المرض وحول السلوكيات الصحية السليمة بعيداً عن الممارسة الفعلية والتطبيق وهذا النوع من التربية الصحية غير فاعل في تغيير السلوكيات الصحية لدى الطلبة على المدى البعيد. وترتكز المنهجية الجديدة للمدرسة الصحية على توفير الحياة السليمة للطالب بعيداً عن الأمراض، وتوفير شروط الحياة الجسمية والنفسية السليمة، وتطوير كفايات المتعلمين والعاملين الصحية.

وعرف، Buijs[1]، المدارس المعززة للصحة بأنها: تلك المدارس التي تنفذ خطة نظامية ومنهجية (بنائية) لتحسين الصحة والرفاه الاجتماعي لجميع الطلبة والمعلمين والإداريين الموجودين في المدرسة. ويعرفها، الشهري[2] بأنها: "المدرسة التي تسعى بشكل دائم إلى تحسين وتطوير قدراتها (المادية والبشرية) لتوفير بيئة صحية ملائمة للتعلم والعمل مما يؤهلها للقيام بدور فعال في تعزيز صحة المجتمع".

ويعرف، الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي[3]، تعزيز الصحة في البيئة المدرسية بوصفه أي نشاط يتم الاضطلاع به لتحسين و/أو حفظ صحة جميع أفراد المجتمع المدرسي؛ ولهذا فهو مفهوم أوسع من التثقيف

---

[1] Buijs, G. (2009), Ibid 508.

[2] الشهري، سليمان. (2010). **الدليل الإرشادي لبرنامج المدارس المعززة للصحة**. وزارة التربية والتعليم، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص15.

[3] الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2010). **تعزيز الصحة في المدارس: من البينات إلى العمل**. ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health، ص 2-6.

الصحي (التربية الصحية)؛ حيث تتبع المدرسة المعززة للصحة نهجاً معتمداً على المدرسة ككل؛ يهدف لتعزيز نتائج كل من الصحة والتعليم للأطفال والمراهقين من خلال تعلم وتعليم التجارب التي تبدأ في المدرسة، وفي بعض الأحيان يطلق عليها أسماء مختلفة في المناطق المختلفة، على سبيل المثال، الصحة المدرسية الشاملة، الصحة المدرسية المنسقة... الخ.

ومع تعدد التعريفات لمفهوم المدارس المعززة للصحة؛ فقد كان من أبرز تلك التعريفات وأوسعها انتشاراً هو مفهوم منظمة الصحة العالمية التي عرفت المدارس المعززة للصحة بأنها: "**مدرسة تعمل باستمرار على تعزيز قدرتها كبيئة صحية للحياة والتعلم والعمل**"، ومن المميزات الرئيسة للمدرسة المعززة للصحة أنها تعمل على إشراك قادة الصحة والتعليم والمجتمع، وتوفر بيئة آمنة وصحية (بدنية ونفسية اجتماعية)، وتوفير التعليم الصحي، والوصول إلى الخدمات الصحية، وتعمل على تنفيذ السياسات والممارسات المعززة للصحة، وتعمل على تحسين صحة المجتمع[1].

كذلك تشير (WHO & Unesco)[2]، إلى أن المدرسة المعززة للصحة هي المدرسة التي:

- تسعى إلى رفع المستوى الصحي للطلبة والعاملين والمجتمع.

---

[1] World Health Organization. (2017a). **Global school health initiatives: achieving health and education outcomes: report of a meeting, Bangkok, Thailand, 23–25 November 2015**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/259813, p2.

[2] World Health Organization, Health Education and Health Promotion Unit & Unesco .(2002) **.Sun protection: an essential element of health-promoting schools**. World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/67400, p8.

- تستعين بكل الإمكانات (المادية والبشرية) المتوفرة لديها لتعزيز صحة أفراد المجتمع المدرسي.
- تسعى لتوفير بيئة مدرسية صحية وآمنة، من خلال برامج تعزيز الصحة (كالتغذية، والأنشطة الرياضية، والترفيهية، وبرامج إرشادية واجتماعية).
- تطبق سياسات وممارسات تعزز الاحترام للفرد ولكرامته، كما تؤمن عدداً من فرص النجاح لأفرادها
- تتعاون مع قطاعات المجتمع كافة (الصحة، البلديات، الدفاع المدني، والمجتمع المحلي).

ويمكن للباحثة -وبالاعتماد على ما سبق من تعريفات- أن تعرف المدارس المعززة للصحة بأنها: المدارس التي تقدم خدمات تربوية صحية شاملة تتمثل في تقديم: الخدمات الصحية، والتثقيف الصحي، والإرشاد والصحة النفسية، والنشاط البدني، والتغذية المدرسية، وتعزيز البيئة المدرسية الصحية والآمنة، وخدمة المجتمع المحلي، لتعزيز المستوى الصحي لأفراد المجتمع المدرسي والمجتمع المحلي وتحسينه.

- **العناصر الأساسية لتعزيز الصحة بالمدارس:** ترتكز المدرسة المعززة للصحة على ميثاق أوتاوا لتعزيز الصحة، والصادر عن منظمة الصحة العالمية الذي يتكون من ستة عناصر أساسية، تضمنها تقرير: الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي، (2009، 3)[1]، وهي على النحو الآتي:

---

[1] الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2009). **تحقيق المدارس المعززة للصحة: الدلائل الإرشادية لتعزيز الصحة في المدارس.** النسخة الثانية من الوثيقة المعروفة سابقاً بالبروتوكولات والدلائل الإرشادية للمدارس المعززة للصحة، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:

- **سياسات مدرسية تعزز الصحة:** حيث يوجد تحديد واضح لهذه السياسات من خلال وثائق أو ممارسات تحظى بالقبول، وتؤدي إلى تعزيز الصحة والعافية، وكثير من السياسات تعزز الصحة والعافية مثل: السياسات التي تكرس الممارسات الغذائية الصحية في المدارس، وسياسات مناهضة العنف.
- **البيئة المادية للمدرسة:** تشمل البيئة المادية المباني والمساحات المحيطة بها والمعدات الموجودة داخل المدرسة وحولها؛ مثل: تصميم المباني، ومواقعها، وتوفر الضوء الطبيعي، والأماكن الظليلة، وتخصيص مساحات للأنشطة البدنية، والمرافق الميسرة للتعلم والغذاء الصحي، وتشير البيئة المادية أيضاً إلى الخدمات والمرافق الأساسية؛ مثل: الصيانة والممارسات الصحية التي تمنع انتشار الأمراض، وكذلك توفر مياه الشرب، ونظافة الهواء إلى جانب وجود أي ملوثات بيئية أو بيولوجية أو كيميائية لها تأثير ضار بالصحة.
- **البيئة الاجتماعية للمدرسة:** وتشمل البيئة الاجتماعية للمدرسة؛ نوعية العلاقات بين العاملين والطلبة والتي تتأثر بالعلاقات مع أولياء الأمور والمجتمع الأشمل.
- **مهارات الأفراد الصحية وكفاءة الأفعال:** وهي تشير إلى المناهج الرسمية وغير الرسمية والأنشطة المتصلة بها، والتي تتيح للطلبة اكتساب معارف مناسبة لسنهم، ومستوى فهمهم ومهاراتهم وخبراتهم، مما يمكنهم من بناء قدراتهم على القيام بأفعال تحسن من صحتهم وعافيتهم، وكذلك صحة وعافية المجتمع مما ينهض بنتائج التعلم لديهم.
- **الارتباط/ الصلة بالمجتمع:** يشمل الارتباط بالمجتمع العلاقات بين المدرسة وأسر الطلبة إلى جانب العلاقات بين المدرسة والجماعات والأفراد المهمين

---

https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health، ص3.

في المجتمع المحلي؛ ذلك أن التشاور والتشارك المناسبين مع هؤلاء المعنيين يعززان المدارس المعززة للصحة، ويوفران للطلبة والعاملين بالمدرسة محيطاً يدعم أعمالهم.

- **الخدمات الإكلينيكية المدرسية:** تمثل الخدمات الصحية في الخدمات المحلية أو الإقليمية المرتكزة على المدارس أو المتصلة بها، والتي تقع عليها مسؤولية رعاية صحة الأطفال والمراهقين وتعزيزها من خلال تقديم خدمات مباشرة للطلبة بما في ذلك الطلبة ذوو الاحتياجات الخاصة.

- **استراتيجيات المدارس المعززة للصحة:** عملت منظمة الصحة العالمية على تحديد عدد من الاستراتيجيات الرئيسية الخاصة بالمدارس المعززة للصحة، تضمنتها وثائق منظمة الصحة العالمية[1]، والمتمثلة بالاستراتيجيات الآتية:

- **بناء القدرات للدعوة إلى تحسين برامج الصحة المدرسية:** في هذا السياق يتم إنشاء وثائق فنية؛ تعزز البحث ورأي الخبراء حول طبيعة برامج الصحة المدرسية ونطاقها وفعاليتها. وكل وثيقة دعوة تقدم حجة قوية لمعالجة مشكلة صحية مهمة، وتحدد مكونات البرنامج الشامل للصحة المدرسية، وتوفر التوجيه في دمج الصحة المدرسية في مكونات البرنامج.
- **إنشاء شبكات وتحالفات لتطوير مدارس لتعزيز الصحة:** بدأت الشبكات الإقليمية لتطوير مدارس تعزيز الصحة في أوروبا وغرب المحيط الهادي وأمريكا اللاتينية. وقد تم تشكيل تحالف عالمي لتمكين المنظمات التمثيلية

---

(1) World Health Organization. (1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working**. prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva, p3-6.

للمدرسين على مستوى العالم، بهدف تحسين الصحة من خلال المدارس، ويشمل تحالف التعليم الدولي، ومراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، ومركز تطوير التعليم، واليونسكو، وبرنامج الأمم المتحدة المشترك المعني بفيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز.

- **تعزيز القدرات الوطنية:** يتم تعزيز التعاون بين وكالات الصحة والتعليم، وتساعد المنظمة البلدان على وضع استراتيجيات وبرامج لتحسين الصحة من خلال المدارس. وتشمل المشاريع الرائدة التي نفذها المركز العالمي للتأمين على الصحة والشركاء برنامج هيلمنت (Helminth) للتدخل مع الصين في عام 1997، وبرنامج الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/ الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي في الصين في عام 1997.
- **البحوث لتحسين برامج الصحة المدرسية:** حيث يتم تحليل البحوث وتقييم آراء الخبراء وتوحيدها لوصف طبيعة وفعالية برامج الصحة المدرسية.

وفي سياق جهود منظمة الصحة العالمية لمساعدة المدارس؛ لتصبح معززة للصحة؛ فقد طورت المنظمة قسماً للتثقيف الصحي، وتعاونت مع مركز الصحة المدرسية والمراهقين في مركز مكافحة الأمراض بأتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية[1]. كما أصدرت المنظمة وثائق؛ تتألف من عدة تقارير صادرة عن لجنة خبراء الصحة المدرسية، تضمنتها وثائق منظمة الصحة العالمية[2]، ومن ضمن هذه التقارير ما يأتي:

---

[1] الأنصاري، صالح والأمين، حسن. (2002). الصحة المدرسية نظرة عالمية ونماذج دولية. **مجلة طب الأسرة والمجتمع**، المجلد (9)، العدد (1)، جامعة الملك فيصل بالدمام، المملكة العربية السعودية. ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.ssfcm.org/public/english/Content/index/secId/567/، ص2.

[2] World Health Organization. (1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working**. prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and

- **النهوض بالصحة من خلال المدارس، (ملخص وتوصيات لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية المعنية بالتثقيف والترويج للصحة المدرسية الشاملة):** تحدد هذه الوثيقة التثقيف الصحي في إطار المدرسة المعززة للصحة، وتقدم توصيات متعددة ومتنوعة وضعتها لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية لتعزيز الصحة من خلال المدارس.
- **البحث لتحسين تنفيذ وتفعيل برامج الصحة المدرسية:** توفر هذه الوثيقة معلومات تتعلق بأنواع البحوث التي يمكن أن توجه الممارسة في بيئات الصحة المدرسية، والتثقيف الصحي والخدمات الصحية. وتناقش الوثيقة المعلومات الأخرى ذات الصلة بالبحوث التي تقدم مؤشرات؛ يمكن استخدامها في تخطيط برامج الصحة المدرسية وتنفيذها ورصدها.
- **تطوير برامج الصحة المدرسية، الحواجز والاستراتيجيات:** تناقش هذه الوثيقة بعض العوائق العامة المشتركة وذات الصلة التي قد تعرقل الجهود المحلية والوطنية والدولية لتحسين برامج الصحة المدرسية. وتقدم أمثلة ناجحة على استراتيجيات محلية ووطنية ودولية محددة، فضلاً عن الاستراتيجيات العامة التي يمكن تنفيذها لتحسين برامج الصحة المدرسية.
- **حالة الصحة المدرسية:** تناقش هذه الوثيقة دور المدارس فيما يتعلق بالتثقيف الصحي، والأسس المنطقية للاستثمار في نهج شامل للصحة المدرسية. وتناقش المشاكل الصحية الرئيسة التي يمكن الحد منها من خلال برامج الصحة المدرسية، واستراتيجيات التنفيذ ومكونات برامج الصحة المدرسية الشاملة.

---

communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva, p3.

كما أصدرت المنظمة مجموعة متنوعة من الوثائق في سنوات مختلفة، تم تطويرها من أجل تعزيز الجهود الدولية والوطنية والمحلية، ولزيادة الدعم لبرامج الوقاية التي تركز على المدارس، وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه الوثائق:

- **تعزيز العمل على الحد من داء الديدان المعوية، مدخل لتطوير المدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة عن منظمة الصحة العالمية لمساعدة وزارات الصحة والتربية على تطوير السياسات، وتوفير التربية الصحية المبنية على المهارات، وخلق بيئة صحية، وتأمين الخدمات الإكلينيكية المدرسية التي تحد من الإصابة بداء الديدان المعوية بين الأطفال، وأسرهم، والمجتمع المحلي. وتقدم هذه الوثيقة وصفاً حول كيفية استخدام كل عنصر من عناصر مبادرة المدارس المعززة للصحة للوقاية من الإصابة بداء الديدان المعوية[1].
- **التغذية الصحية، عنصر أساسي في المدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية، ومنظمة الفاو، وبرنامج التعليم الدولي (Education International)، لمساعدة الأفراد على المناداة ببذل الجهود الضرورية لتعزيز التغذية الصحية من خلال المدارس، والسهر على تطبيق ذلك عملياً. وتقدم هذه الوثيقة حججاً تدعيمية قوية لإطلاق الجهود الرامية إلى معالجة موضوع التغذية والسلوك الغذائي الصحي من خلال مفاهيم وصفات المدارس المعززة للصحة، والطرق المحددة التي تمكن المدارس من توظيف قدراتها

---

[1] World Health Organization. (1997b). **Strengthening interventions to reduce helminth infections as an entry point for the development of health-promoting schools**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63368, p1

التنظيمية الكاملة بغية تحسين التغذية بين الأطفال، والعاملين في المدرسة، والأسر[1].

- **المبادرة العالمية للصحة المدرسية لمنظمة الصحة العالمية: المدارس المعزّزة للصحة**: تقدم هذه الوثيقة لمحة عامة عن مبادرة الصحة المدرسية العالمية لمنظمة الصحة العالمية[2].
- **الوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسب/ الإيدز/، مسؤولية هامة للمدارس المعزّزة للصحة**: صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسكو، وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز (UNAIDS)، وبرنامج التعليم الدولي (Education International)، لمساعدة الأفراد على المناداة بالوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسب/الإيدز/ والأمراض السارية جنسياً من خلال المدارس والتأكيد على تطبيق ذلك عملياً، وهي تقدم حججاً تدعيمية قوية لمعالجة موضوع الوقاية من تلك الأمراض، فضلاً عن ومفاهيم وصفات المدارس المعززة للصحة، والطرق المحددة التي تمكن المدارس

---

(1) World Health Organization. (1998b). **Healthy nutrition : an essential element of a health-promoting school**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63907, p1-3.

(2) World Health Organization. (1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working**. prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63868, p1.

من توظيف قدراتها التنظيمية الكاملة بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة المكتسب، (WHO, 1999b, 1-3)[1].

- **الوقاية من التدخين، مسؤولية مهمة للمدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسكو، وبرنامج التعليم الدولي لمساعدة الأفراد على المناداة ببذل الجهود الضرورية للوقاية من التدخين من خلال مفاهيم وصفات المدارس المعززة للصحة، وتطبيق ذلك بأنفسهم، وتقدم هذه الوثيقة حججاً تدعيمية قوية لمعالجة موضوع الوقاية من التدخين، والطرق المحددة التي تمكن المدارس من ذلك، من خلال المدارس[2].
- **الوقاية من العنف، عنصر هام في المدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسكو، وبرنامج التعليم الدولي (Education International) لمساعدة الأفراد على المناداة ببذل الجهود الضرورية للوقاية من العنف من خلال مفاهيم وصفات المدارس المعززة للصحة وتطبيق ذلك بأنفسهم. وتقدم هذه الوثيقة حججاً تدعيمية قوية لإطلاق الجهود الرامية إلى معالجة موضوع الوقاية من العنف، والطرق المحددة التي تمكن

---

[1] World Health Organization. (1999b). **Preventing HIV/AIDS/STI and related discrimination: an important responsibility of health-promoting schools**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/66225, p1-3

[2] World Health Organization. (1999c). **Tobacco use prevention: an important entry point for the development of health-promoting schools. Health Education and Health Promotion Unit**, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/65608, p1-3.

المدارس من توظيف قدراتها التنظيمية الكاملة بغية الوقاية من العنف[1].

- **تحسين الصحة من خلال المدارس، الاستراتيجيات الوطنية والدولية:** تتضمن هذه الوثيقة فصلاً عن الاستراتيجيات الوطنية في البلدان الأكثر اكتظاظًا بالسكان، وفصلاً عن الجهود التعاونية لتعزيز المدارس المعززة للصحة في البلدان التي يوجد فيها عدد كبير من السكان في سن الدراسة[2].
- **العمل المحلي، إنشاء المدارس المعززة للصحة:** يسهم هذا النشاط في دعم الفاعلين على المستوى المحلي للتخطيط للجهود الرامية إلى تعزيز الصحة من خلال المدارس، وتنفيذها ومن ثم تقييمها. وهو يعطي توجيهات، وأدوات، ونصائح عملية من مختلف المدارس حول العالم. كما يقدم اقتراحات حول كيفية توحيد جهود مدراء المدارس، والمدرسين، والطلبة، والأهل، وأفراد المجتمع المحلي من أجل تطبيق العناصر الأربعة التي يتألف منها برنامج الصحة المدرسية الفعال وهي:
  - السياسات الصحية في المدرسة.

---

(1) World Health Organization. (1999d). **Violence prevention: an important element of a health-promoting school**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/64327, p1-4.

(2) World Health Organization. (1999a). Imp**roving health through schools: national and international strategies: School Health Component of WHO's Mega Country Network for Health Promotion**. compiled and edited by Isolde Birdthistle, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/66314, p5

- المياه الآمنة والإمدادات الصحية كخطوات أولى لخلق بيئة صحية في المدرسة.
- التربية الصحية المبنية على المهارات.
- الخدمات الصحية والغذائية في المدرسة[1].

- **الحماية من الشمس، عنصر أساسي في المدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية (قسم حماية البيئة البشرية (WHO/PHE)، وقسم خطة الصحة الوطنية (WHO/NHP)، ومنظمة اليونيسكو)، لمساعدة الفريق العامل في المدرسة على قياس مدى مساهمة بيئة المدرسة في تمكين الأطفال وفريق العمل من حماية أنفسهم من التأثير الضار للشمس وتزويدهم بالمعلومات الكافية حول ذلك[2].
- **خلق بيئة من الرفاه العاطفي والاجتماعي، مسؤولية هامة للمدارس المعززة للصحة والمدارس الصديقة للطفل:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية، ومنظمة اليونيسيف، لمساعدة العاملين في المدرسة على قياس مدى الدعم الذي تقدمه بيئتهم المدرسية من حيث الرفاه العاطفي والاجتماعي لدى الأطفال. وتتضمن هذه الوثيقة قائمة مراجعة وعدداً من التعليمات والتوجيهات لمساعدة فريق العمل في المدرسة على ذلك بين الطلبة والعاملين في المدرسة، كما تساعد

---

[1] World Health Organization .(2000). **Local action: creating health promoting schools. D**ept. of Health Promotion/NCD Prevention and Surveillance, World Health Organization, Geneva, Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/66576, p1-4.

[2] World Health Organization, Health Education and Health Promotion Unit & Unesco .(2002) **.Sun protection: an essential element of health-promoting schools**. World Health Organization, Geneva, p9.

هذه الوثيقة الفريق العامل في المدرسة على تحديد مدى مطابقة هذه الصفات والمزايا على مدارسهم[1].

- **الحياة الأسرية، الصحة الإنجابية وتعليم السكان، مسؤولية هامة للمدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة بصورة مشتركة عن منظمة الصحة العالمية (وقسم الوقاية من الأمراض غير السارية وتعزيز الصحة (WHO/NPH)، وقسم الصحة الإنجابية والأبحاث المتعلقة بها (WHO/RHR)، ومنظمة اليونيسكو، ومركز تطوير التعلم (EDC)، لمساعدة المسؤولين في المدارس على معالجة المشاكل والتناقضات المتجذرة وبذل كافة الجهود المدرسية الرامية إلى تسويتها سريعاً. كما ستساعد هذه الوثيقة المسؤولين على العمل مع أفراد المجتمع المحلي بغية تحديد أكثر الطرق ملائمة لتوعية الطلبة حول هذه المسائل[2].
- **تعزيز صحة الفم من خلال المدارس:** تهدف هذه الوثيقة، وهي جزءاً من سلسلة معلومات منظمة الصحة العالمية حول الصحة المدرسية، إلى

---

[1] World Health Organization. (2003a). **Creating an environment for emotional and social well-being: an important responsibility of a health promoting and child-friendly school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion, World Health Organization, Geneva, http://www.who.int/iris/handle/10665/42819, p1.

[2] World Health Organization. (2003b). **Family life, reproductive health : key elements of a health-promoting school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion, Prepared by Carmen Aldinger, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/42816, p1-4

مساعدة الناس على استخدام استراتيجيات تعزيز الصحة لتحسين صحة الفم[1].

- **التعليم الصحي القائم على المهارات ومهارات الحياة:** الغرض من هذه الوثيقة هو توضيح المفاهيم الأساسية وشرح كيفية تطبيق التثقيف الصحي القائم على المهارات، بما في ذلك المهارات الحياتية، في السياق الأوسع لما يمكن أن تقوم به المدارس لتحسين التعليم والصحة[2].
- **البيئة المادية، عنصر أساسي في المدارس المعززة للصحة:** صدرت هذه الوثيقة عن منظمة الصحة العالمية (قسم حماية البيئة البشرية (WHO/PHE)، وقسم الوقاية من الأمراض غير السارية وتعزيز الصحة (WHO/NPH))، لمساعدة المسؤولين في المدارس على خلق بيئة سليمة وآمنة للطلبة والعاملين في المدرسة، وإشراك الطلبة في الجهود الرامية إلى خلق بيئة آمنة وصحية للجميع[3].
- **كتاب تمرين المعلم للوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية:** يوفر هذا الدليل بعض الموارد، منها: صحائف الوقائع والمعلومات والبيانات الدقيقة

---

(1) World Health Organization. (2003c). **Oral health promotion: an essential element of a health-promoting school**. World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/70207, p5.

(2) World Health Organization. (2003d). **Skills for health: skills-based health education including life skills: an important component of a child-friendly/health-promoting school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion, World Health Organization, Geneva, http://www.who.int/iris/handle/10665/42818, p2.

(3) World Health Organization .(2004c). **The physical school environment : an essential element of a health-promoting school**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/42683, p1.

حول فيروس نقص المناعة البشرية والأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي، (WHO, 2004a, 1-2)[1].

- **تعزيز النشاط البدني في المدارس، عنصر أساسي في المدارس المعززة للصحة:** تساعد هذه الوثيقة الأفراد على المناداة ببذل الجهود الرامية إلى تعزيز النشاط البدني، والرياضة من خلال المدارس، والسهر على تطبيق ذلك عملياً. وتقدم هذه الوثيقة حججاً تدعيمية قوية لمعالجة موضوع النشاط البدني، ومفاهيم وصفات المدارس المعززة للصحة، والطرق المحددة التي تمكن المدارس من توظيف قدراتها التنظيمية الكاملة بغية تعزيز النشاط البدني بين الطلبة والفريق العامل في المدرسة[2].
- **الوقاية من الملاريا ومكافحتها، مسؤولية هامة للمدارس المعززة للصحة:** تعد هذه الوثيقة جزءاً من سلسلة معلومات منظمة الصحة العالمية عن الصحة المدرسية التي تم إعدادها لمبادرة الصحة المدرسية العالمية لمنظمة الصحة العالمية وشراكة دحر الملاريا. الغرض منها هو تعزيز الجهود داخل المجتمع المدرسي بأكمله لصالح الوقاية من الملاريا ومكافحتها. صدرت هذه الوثيقة بمناسبة اليوم العالمي الأول لمكافحة الملاريا[3].

---

(1) World Health Organization. (2004a). **Participatory learning from EI/WHO training and resources manual on school health and HIV/AIDS prevention**. Education International, Education Development Center, Inc & World Health Organization. Health Education and Health Promotion Unit, Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43008, p1-2.

(2) World Health Organization. (2007b). **Promoting physical activity in schools: an important element of a health-promoting school**. World Health Organization, Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43733, p1-3.

(3) World Health Organization. (2007a). **Malaria prevention and control: an important responsibility of a health-promoting school.** World Health

- **مبادئ تعزيز الصحة في المدارس:** قامت منظمة الصحة العالمية بوضع مجموعة من المبادئ التي يجب أن تتضمنها المدرسة المعززة للصحة في عملها، وتشير هذه الوثائق الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الدولي[1]، بالآتي:
  - تعزز صحة الطلبة وعافيتهم.
  - تحسن نتائج التعلم لدى الطلبة.
  - تتبنى مفاهيم العدالة الاجتماعية والمساواة.
  - توفر بيئة آمنة وداعمة للطلبة.
  - تتضمن مشاركة الطلبة في الأمور المتعلقة بالصحة.
  - تربط بين قضايا وأنظمة الصحة والتعليم.
  - تتصدى لقضايا صحة وعافية كافة العاملين بالمدرسة.
  - تدمج الصحة في أنشطة المدرسة ومناهجها الحالية وفي معايير التقييم.
  - تحدد أهداف واقعية على أساس بيانات دقيقة وأدلة علمية سليمة.
  - تسعى إلى التحسن المستمر عن طريق المتابعة المستمرة والتقييم المستمر.

Organization Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43734, p1-4.

[1] الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2009). **تحقيق المدارس المعززة للصحة: الدلائل الإرشادية لتعزيز الصحة في المدارس.** النسخة الثانية من الوثيقة المعروفة سابقاً بالبروتوكولات والدلائل الإرشادية للمدارس المعززة للصحة، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health، ص2.

- **مكونات المدرسة المعززة للصحة:** أوردت وثائق، منظمة الصحة العالمية والخاصة بتعزيز الصحة من خلال المدارس[1]، مكونات المدارس المعززة للصحة كالآتي:
  - البيئة المدرسية الصحية.
  - خدمات الصحة المدرسية.
  - التثقيف الصحي المدرسي.
  - التغذية والخدمات الغذائية.
  - النشاط البدني والرياضة.
  - الصحة النفسية المدرسية.
  - تعزيز صحة العاملين.
  - العلاقات والتعاون بين المجتمع والمدرسة.
- **أهداف المدارس المعززة للصحة:** و يذكر الشهري وآخرون (2014)، المشار إليه في (آل زياد)[2]، أهدافاً للمدارس المعززة للصحة، أهمها ما يأتي:
  - إكساب المعارف وتنمية المهارات والارتقاء بالعادات الصحية لأفراد المجتمع المدرسي.
  - تنشيط وتحفيز الطلبة للمشاركة الفعالة في أنشطة تعزيز الصحة بالمدرسة.
  - إيجاد بيئة مدرسية صحية وآمنة.
  - التعزيز الفعال لصحة العاملين في المدارس.

---

(1) World Health Organization. (2003c). **Oral health promotion: an essential element of a health-promoting school**. World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/70207, p36.

(2) آل زياد، محمد. (2018). واقع تطبيق برنامج المدارس المعززة للصحة من وجهة نظر معلمي العلوم في المدارس المطبقة للبرنامج في منطقة عسير. **مجلة العلوم التربوية والنفسية**، المجلد (2)، العدد (1)، ص59.

- توثيق الروابط والتعاون بين المجتمع المدرسي والمجتمع المحلي.

وقد تواصلت الجهود في الإقليم لإيجاد تحالفات تستهدف توسيع نطاق شبكة المدارس المعززة للصحة، حيث لا يزال تعزيز أنشطة البحوث من التحديات الرئيسة التي تواجه تعزيز الصحة لدى طلبة المدارس[1].

وهناك العديد من الدول العربية مثل؛ سوريا والأردن، تطبق برنامج المدارس المجتمعية، وهذا البرنامج شبيه ببرنامج المدارس المعززة للصحة، كما أن البرنامج مطبق تجريبياً في جمهورية مصر العربية، وقد قامت الجامعة العربية بدعوة عدد من المهتمين بالصحة المدرسية لمؤتمر عقد في ليبيا، تمخض عنه عدد من التوصيات ومنها: "تعزيز الصحة من خلال المدارس". ورصدت المنظمة العربية للصحة والبيئة المدرسية في بيروت تكريماً للمدارس المعززة. كما بادرت دول مجلس التعاون بتطبيق هذا البرنامج، وهناك تنسيق وتكامل في ذلك من خلال اللجنة الخليجية للصحة المدرسية[2]. وفي العام نفسه أصدرت لجنة خبراء التوعية الصحية وتعزيز الصحة الشاملة من خلال المدارس تقريرها الخاص بـ: "تعزيز الصحة من خلال المدارس"[3].

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2011). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2010).** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص54.

[2] الشهري، سليمان. (2010). **الدليل الإرشادي لبرنامج المدارس المعززة للصحة.** وزارة التربية والتعليم، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 13-14.

[3] صالح، صفاء. (2015). **التربية الصحية في المدارس الأساسية.** المنهل، يمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.debonobooks.ae/images/files/f929608.pdf، ص16.

- **مبادرة فِرش (FRESH):**

في المنتدى العالمي للتعليم للجميع الذي عقد في العاصمة السنغالية، (داكار)، في أبريل من العام 2000م؛ وفي لحظة حرجة في الحركة الصحية المدرسية العالمية في العام 2000م، أطلقت منظمة الصحة العالمية واليونيسيف، واليونسكو، والبنك الدولي مبادرة للعمل معاً على تركيز الموارد على الصحة المدرسية الفعالة تعرف بمبادرة فِرش (FRESH)، وتهدف تلك المنظمات بهذه المبادرة لمساعدة المدارس على توفير بيئة معيشية وتعليمية تتسم بالود والترحيب بالأطفال، وصحية وفعالة وحامية للأطفال[1].

كما تأسست مجموعة عمل تحمل اسم: تركيز الموارد على الصحة المدرسية الفعالة" (FRESH) دعت إلى إنشاء مرافق صحية ومياه ونظافة مناسبة في المدارس، بحسب ما يكون مؤاتياً للفتيات[2].

وخلال المنتدى نظمت منظمة الصحة العالمية، واليونسكو، واليونيسيف، والبنك الدولي جلسة مشتركة خاصة بمناقشة الاستراتيجيات حول رفع وعي القطاعات التعليمية بتنفيذ برنامج فعال للصحة المدرسية والنظافة والتغذية، بوصفها جزءاً من الاستراتيجيات الرئيسية لتحقيق التعليم للجميع. وجزء من هذه الدورة، تم بالاشتراك مع مبادرة "تركيز الموارد على الصحة المدرسية الفعالة" (FRESH)، إصدار إطار عمل خاص بمبادرة فِرش (FRESH) والهادفة

---

[1] World Health Organization, Health Education and Health Promotion Unit & Unesco .(2002) **.Sun protection: an essential element of health-promoting schools**. World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/67400, p8.

[2] اليونسكو. (2015ب). **التعليم للجميع 2000-2015: الإنجازات والتحديات.** الاصدار الثاني عشر من التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، اليونسكو، ص185.

لتعزيز الجودة والمساواة في التعليم. ويعد إطار العمل الخاص بـ (FRESH) بمثابة نقطة انطلاق لتطوير سياسات وبرامج وخدمات صحية مدرسية فعالة[1].

- **مكونات مبادرة فِرش، (FRESH):**

هدفت مبادرة فِرش (FRESH) التي تم إقرارها في داكار، للدعوة إلى اعتماد مقاربة شمولية لتحسين الصحة والتغذية. وهي مبادرة مشتركة بين الوكالات حول الصحة المدرسية، وقد تألفت من (4) مكونات، كما أشارت إلى ذلك وثائق اليونيسيف[2]، بالآتي:

- **السياسات المدرسية المتعلقة بالصحة:** هي سياسات تساعد على ضمان بيئة مادية آمنة ومأمونة وبيئة نفسية اجتماعية إيجابية، وتعالج جميع أنواع العنف المدرسي، مثل إساءة معاملة الطلبة، والتسلط وغيره، والمساعدة في الحفاظ على نظام التعليم في مواجهة بعض الأمراض الفيروسية.
- **تأمين المياه الآمنة والصرف الصحي:** بوصف ذلك نخطوات أولى في خلق بيئة مدرسية صحية تعزز المهارات والسلوكيات الصحية؛ حيث يعد توفير مرافق الصرف الصحي عاملاً مهماً يسهم في الحد من التسرب خاصة بين الفتيات.
- **التربية الصحية المبنية على المهارات:** الذي تركز على تنمية المعارف والقيم والمهارات الحياتية اللازمة لاتخاذ قرارات إيجابية مناسبة، وإرساء

---

(1) World Health Organization. (2017a). **Global school health initiatives: achieving health and education outcomes: report of a meeting, Bangkok, Thailand, 23–25 November 2015**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/259813, p2.

(2) UNICEF. (2009). **Child-Friendly Schools Manual: Chapter 5 Schools as Protective Environments**. Edited, produced and distributed by UNICEF's Division of Communication, unite for children, p20.

ممارسات صحية على مدى الحياة، والحد من التعرض للعديد من المخاطر الصحية المختلفة.

- **الخدمات الإكلينيكية والتغذية المدرسية:** حيث تتم معالجة المشاكل الغذائية البسيطة والسائدة وذات الأهمية في المجتمع، وتقديم المشورة للتعامل الغذائي المناسب لبعض الأمراض.

وعلاوةً على ذلك، أطلقت المبادرة مذكرة توجيه حول رصد برامج الصحة المدرسية وتقييمها، غير أن فائدة المبادرة تجلت على مستوى تحسين أنشطة الشركاء أكثر منه على مستوى تحسين اعتماد السياسات الوطنية ذات الصلة[1].

- **استراتيجيات مبادرة فرِش، (FRESH):**

ولتطبيق العناصر الأربعة الواردة أعلاه حول تركيز الموارد على صحة مدرسية فعالة والخاصة بمبادرة فرِش (FRESH)، فلا بد من وجود بعض الاستراتيجيات الداعمة لها، منها ما أشارت إليها أمانة من طفل إلى طفل[2]، بالآتي:

- **وجود شراكات فاعلة بين المعلمين وعمال الصحة من جهة، وبين قطاعي التربية والصحة من جهة أخرى:** حيث يتطلب نجاح برامج الصحة المدرسية شراكة فاعلة بين وزارات الصحة والتربية من جهة، وبين الأساتذة وعمال الصحة من جهة أخرى. وبينما يتولى قطاع الصحة المسؤولية عن صحة الأطفال، يضطلع قطاع التربية بمسؤولية تطبيق البرامج المدرسية وتمويلها في أغلب الأحيان. ويتعين على هذين القطاعين أن

---

[1] اليونسكو. (2015ب). **التعليم للجميع 2000-2015: الإنجازات والتحديات**. الاصدار الثاني عشر من التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، اليونسكو، ص40.

[2] أمانة من طفل إلى طفل. (2005). **الأطفال شركاء في الصحة "نهج من طفل إلى طفل في البيت والمدرسة والمجتمع"**. ورشة الموارد العربية، بيروت لبنان، ص216.

يعملا على تحديد المسؤوليات الخاصة بكل منهما، وأن يقوما بتنسيق تحركهما بغية تعزيز الصحة والنتاج العملي لدى الأطفال.

- **الشراكات الفاعلة في المجتمع المحلي:** حيث يعد تعزيز التفاعل الإيجابي بين المدرسة والمجتمع المحلي من الدعائم الأساسية لضمان النجاح والاستدامة في أية عملية تحسين في المدارس. وفي هذا الإطار، تولد شراكات المجتمع المحلي حساً من التعاون، والالتزام، والملكية المشتركة، وتسهم في نشر الوعي بين الناس وتقوي حجتهم في المطالبة باحتياجاتهم. وفي سياق ذلك تندرج هذه العمليات التمكينية ضمن خانة الصحة المدرسية، بحيث يأتي التعاون والدعم من قبل الأهل ليعزز التربية الصحية في المنزل ويعمق من أبعادها. كما أن انخراط المجتمع المحلي بنطاقة الأشمل مثلاً: القطاع الخاص، ومنظمات المجتمع المحلي، والجماعات النسائية، كل ذلك يساهم في دفع الصحة المدرسية قدماً وتعزيز مواردها. وكذلك يتعين على هذه الشراكات أن توحد جهودها بغية جعل المدرسة مكاناً صديقاً للطفل، وتحديد المسائل الصحية التي تتطلب معالجة من خلال المدرسة، ومن ثم العمل على تطوير وإدارة النشاطات التي تخدم هذه الغاية.
- **وعي الطلبة ومشاركتهم:** يجب أن يكون الأطفال مشاركين فاعلين في كافة نواحي برامج التربية الصحية، وليس الاكتفاء بالاستفادة منها فحسب. في الواقع، إن مشاركة الأطفال في تطوير السياسات الصحية وتنفيذها، وفي بذل الجهود الرامية إلى خلق بيئة صحية وآمنة، وفي العمل على تعزيز الصحة الموجهة إلى الأهل، والأطفال الآخرين، وأفراد المجتمع المحلي، وفي تقديم خدمات الصحة المدرسية، ومن ثم؛ فإن مشاركتهم هذه تعلمهم الكثير عن الصحة وأمورها. كما تعد طريقة فعالة تمكن الشباب من اكتساب المعلومات، وتطوير المواقف، وتعزيز القيم، وبناء

المهارات الضرورية لاعتماد نمط حياتي صحي، ولدعم مبدأ الصحة والتعليم للجميع.

- **مبادرات عالمية وإقليمية يجري تنفيذها في مجال ترصد ورصد عوامل الاختطار:**

هناك بعض الأمثلة على المبادرات العالمية والإقليمية التي يجري تنفيذها في مجال ترصد ورصد عوامل الاختطار في العديد من البلدان منها ما يأتي:

- **المسح العالمي المدرسي لصحة الطلبة (GSHS):**

يتم إجراء المسح العالمي لصحة الطلبة عن طريق المقر الرئيسي والمكاتب الميدانية التابعة لمنظمة الصحة العالمية. ويستخدم هذا المسح المدرسي الزهيد التكلفة استبياناً شخصياً للحصول على بيانات بشأن أنماط حياة الطلبة، وذلك مثل السلوكيات المتصلة بالنظام الغذائي والنشاط البدني. وقد نفذ في عدد من البلدان أو مازال ينفذ هذا المسح في كل من أفريقيا وأسيا والأمريكيتين. وهو مشروع للترصد التعاوني وضع من أجل مساعدة البلدان على تقييم عوامل الاختطار السلوكية والعوامل الوقائية لدى الناشئة من سن (13 إلى 15) عاماً في (10) مجالات رئيسة، (منظمة الصحة العالمية، 2009، 41). وحددت المنظمة[1]، تلك المجالات بالآتي:

- تعاطي الكحول.
- السلوكيات الغذائية.
- تعاطي المخدرات.
- النظافة.
- الصحة النفسية.

---

[1]World Health Organization. (2017b). **Thailand 2015: Global School – Based Student Health Survey**. World Health Organization, Thailand Office Country Office. https://apps.who.int/iris/handle/10665/259826, p12.

- النشاط البدني.
- عوامل الحماية.
- السلوكيات الجنسية.
- تعاطي التبغ.
- العنف والإصابات غير المتعمدة.

و تم بالتنسيق مع مراكز الوقاية من الأمراض ومكافحتها في أتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية، والمقر الرئيسي للمنظمة، مد نطاق المسح العالمي للصحة المدرسية إلى السودان والعراق وقطر[1].

ووسعت المنظمة بالتعاون مع مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، في أتلانتا، من نطاق تنفيذ المسح العالمي لصحة طلبة المدارس في العديد من البلدان التي لم يشملها المسح قبل ذلك، كما أجرت جولات جديدة للمسح في بلدان أخرى، وتسهم هذه المسوح في تزويد البلدان ببيانات قابلة للمقارنة حول عوامل الخطر السلوكية بين طلبة المدارس يمكن الاسترشاد بها في إعداد سياسة وبرامج تعزيز للمواقع المدرسية[2].

4. السلوك الصحي لدى أطفال المدارس:

يتم إجراء هذا المسح عن طريق المكتب الإقليمي لأوروبا التابع لمنظمة الصحة العالمية بالتعاون مع مؤسسات البحث الوطنية، وهو عبارة عن دراسة بحثية وطنية يجريها عدد من البلدان للحصول على أفكار جديدة بشأن صحة

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2013أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2012**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/123295، ص21.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2014أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2013**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/198943، ص22.

المراهقين، بما في ذلك سلوكهم الصحي وأنماط حياتهم في إطار اجتماعي معين، وتفحص الدراسة الصغار في سن (11 و13 و15) عاماً[1].

- **عملية التقييم السريع والتخطيط للعمل:**

هي طريقة تعتمد على الدولة وتستند إلى الأدلة، وهي تساعد وزارات التعليم والصحة وغيرها من المنظمات الوطنية لتقييم قدرتها على تحسين وتعزيز الصحة من خلال المدارس، وتتضمن هذه العملية الأساليب والأدوات وأنشطة التطوير المهني لإعداد فرق داخل البلد، لجمع بياناتهم الخاصة والانخراط في عملية تخطيط إجراءات مخصصة تهدف لتعزيز قدرة البلدان على دعم برامج الصحة المدرسية المحلية والوطنية والإقليمية[2].

وفضلاً عما سبق ذكره من مبادرات، فهناك مبادرات عالمية مختلفة تعنى بصحة الطفل والمراهق، مثل الاستراتيجية العالمية لصحة المرأة والطفل والمراهق، ولجنة إنهاء سمنة الأطفال، وخطة العمل العالمية لمنظمة الصحة العالمية للوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها في الفترة (2013-2020)، وإعلان (شنغهاي) بشأن تعزيز الصحة في خطة التنمية المستدامة لعام 2030، كلها تقر

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2009). **الاستراتيجية العالمية لمنظمة الصحة العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة: إطار للبلدان فيما يتعلق برصد عملية التنفيذ وتقييمها.** قسم الطباعة والنشر، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/dietphysicalactivity/DPASindicators/ar/، ص41.

[2] Education Development Center. (n.d). **Rapid Assessment and Action Planning Process (RAAPP).** Funded by the World Health Organization, Department of Noncommunicable Disease, Prevention and Health Promotion & Division of Global School Health Initiative, p1.

با لدور الحا سم للمدارس في توفير الأ ساس ا لضمان نمو صحي للأط فال والمراهقين[1].

وبالإ شارة إ لى جهود منظمة الصحة العالمية في مجال الصحة المدر سية السابق ذكرها، ومع تواصل عقد الاجتماعات والمؤتمرات بهذا الخصوص، فقد كان من ضمن ما توصل إليه الاجتماع التقني للصحة المدرسية لمنظمة الصحة العالمية في العام 2007م، الدعوة للاستفادة من الأدلة الموجودة والخبرة العملية في المناطق والبلدان والمدارس الفردية في تعزيز الصحة من خلال المدارس. وفي الاجتماع، توافقت الآراء حول المكونات الأساسية لبرامج الصحة المدرسية الفعالة، وهي: السياسات، التعليم الصحي القائم على المهارات، البيئة الاجتماعية والماد ية الداعمة، الشرا كة المجتمعية و خدمات الصحة المدر سية، التي مثلت الملامح المستقبلية للمدارس المعززة للصحة وفقاً لجهود منظمة الصحة العالمية. علاوة على ذلك، تم تحديد خمسة تحديات رئيسة توردها وثائق منظمة الصحة العالمية[2]، بالآتي:

- الحاجة إلى مواصلة بناء الأدلة واكتساب الخبرة العملية في مجال الصحة المدرسية.
- أهمية تطوير عمليات التطبيق لضمان تحويل الخبرات إلى ممارسات عملية.
- الحاجة إلى التخفيف من الحرمان الاجتماعي والاقتصادي في الوصول إلى التعليم المدرسي وإتمامه بنجاح.
- العمل على تعزيز دور الإعلام في التوعية الصحية.

---

(1) World Health Organization. (2017a). **Global school health initiatives: achieving health and education outcomes: report of a meeting, Bangkok, Thailand, 23–25 November 2015**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/259813, p2.

(2) World Health Organization. (2017a). Ibid, p2-3.

- التحدي المستمر لتحسين الشراكة بين القطاعات المختلفة والمنظمات.

5. **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال (التغذية والنشاط البدني- التثقيف الصحي المدرسي- الصحة النفسية المدرسية- الوقاية والسلامة المدرسية- صحة الفم والأسنان):**

- **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال التغذية والنشاط البدني:**

و من ضمن جهود منظمة الصحة العالمية في مجال خدمات الصحة المدرسية، ما يتعلق بمجال التغذية والنشاط البدني، ففي مايو من العام 2004م، أصدرت جمعية الصحة العالمية السابعة والخمسون القرار المتعلق بالاستراتيجية العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة، وأوصت الدول الأعضاء بوضع خطط عمل وسياسات وطنية للنشاط البدني، بغية الارتقاء بمستويات الأنشطة البدنية بين شعوبها. وفي مايو 2008م، أصدرت جمعية الصحة العالمية الحادية والستون القرار المتعلق بالوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها: تنفيذ الاستراتيجية العالمية وخطة عمل الاستراتيجية العالمية للوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها، وتحث خطة العمل المتفق عليها بين الدول الأعضاء على تطبيق الدلائل الإرشادية الوطنية بشأن النشاط البدني من أجل الصحة، كما تشجعهم على وضع وتنفيذ سياسات ومدخلات ترمي إلى:

- إعداد دلائل إرشادية وطنية بشأن النشاط البدني من أجل الصحة وتنفيذها.
- إدخال سياسات للتنقل تعزز طرقاً فعالة ومأمونة من وإلى المدارس وأماكن العمل، مثل المشي أو ركوب الدراجات.
- ضمان دعم البيئات المادية للتنقل الآمن الفعال، وتخصيص مساحات للأنشطة الترويحية.

- تحث خطة العمل منظمة الصحة العالمية على تزويد البلدان بالدعم التقني، سواء أكان ذلك في تنفيذ الإجراءات الرامية إلى الحد من عوامل الخطر في الأمراض غير السارية على الصعيد الوطني أم تقويتها[1].

وللاستراتيجية العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة أربع غايات رئيسة تحددها منظمة الصحة العالمية[2] بالآتي:

- الحد من عوامل الاختطار المتعلقة بالأمراض غير السارية المزمنة، التي تظهر نتيجة اتباع نظم غذائية غير صحية وقلة النشاط البدني، وذلك عن طريق اتخاذ إجراءات أساسية في مجال الصحة العمومية وتدابير ترمي إلى تعزيز الصحة والوقاية من الأمراض.
- رفع المستوى الإجمالي للوعي وزيادة فهم تأثير النظام الغذائي والنشاط البدني على الصحة العمومية، والأثر الإيجابي الذي تنطوي عليه التدخلات الوقائية.
- تشجيع التنمية والعمل على تعزيز وتنفيذ السياسات وخطط العمل الإقليمية والوطنية والمجتمعية الرامية إلى تحسين النظم الغذائية وزيادة النشاط البدني، وعلى تلك السياسات وخطط العمل أن تكون مستدامة وشاملة، وأن تشارك فيها بنشاط جميع القطاعات، بما في ذلك تقييم التدخلات، وتعزيز الموارد البشرية اللازمة لتدعيم الصحة وحفظها في هذا الميدان.

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2010ب). **التوصيات العالمية بشأن النشاط البدني من أجل الصحة**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، طبع في سويسرا، ص10.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2004). **الاستراتيجية العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة**: تقرير الأمانة. صادر عن جمعية الصحة العالمية، السابعة والخمسون، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/20869، ص10.

- رصد البيانات العلمية والعوامل الأساسية التي تؤثر على النظام الغذائي والنشاط البدني، ودعم عملية إجراء البحوث في مجالات عريضة ذات صلة بالموضوع؛ بما في ذلك تقييم التدخلات، وتعزيز الموارد البشرية اللازمة لتدعيم الصحة وحفظها في هذا الميدان.

وتم في وثيقة الاستراتيجية تحديد دور ومسؤوليات منظمة الصحة العالمية بخصوص تنفيذ الاتفاقية، ووافقت عليها الدول الأعضاء. ووفقاً لهذه المسؤوليات سيتبع تنفيذ الاستراتيجية ثلاثة مسارات رئيسية بيانها كما أوردته وثائق منظمة الصحة العالمية[1]، بالآتي:

- التنفيذ المباشر على المستوى الوطني عن طريق المكاتب الإقليمية والقطرية التابعة للمنظمة.
- تزويد الدول الأعضاء بالإرشادات والدعم التقني والأدوات.
- إقامة شراكات مع مختلف أصحاب المصلحة عند اللزوم وحسب مقتضى الحال.

وتمثلت الأهداف المتوخاة من هذه وثيقة الاستراتيجية فيما يأتي:

- إعطاء الإرشادات للدول الأعضاء بخصوص رصد وتقييم السياسات والخطط الوطنية المتعلقة بالنظام الغذائي والنشاط البدني والصحة، بالتنسيق مع مبادرات الرصد والترصد الجارية.
- مساعدة الدول الأعضاء على وضع مؤشرات محددة وملائمة لقياس تنفيذ السياسات والخطط المتعلقة بالنظام الغذائي والنشاط البدني على المستوى القطري.

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2009). **الاستراتيجية العالمية لمنظمة الصحة العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة: إطار للبلدان فيما يتعلق برصد عملية التنفيذ وتقييمها.** قسم الطباعة والنشر، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/dietphysicalactivity/DPASindicators/ar/، ص4.

وفي العام 2011م، قام رؤساء الدول والحكومات في الأمم المتحدة بتجديد الدعوة إلى الدول الأعضاء لاتخاذ خطوات ملموسة للحد من الخمول البدني، وذلك في إطار الإعلان السياسي الصادر عن الاجتماع الرفيع المستوى للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها. وفي 2013م، اعتمدت جمعية الصحة العالمية هدفاً عالمياً طوعياً، يتمثل في خفض الخمول البدني بنسبة 10% بحلول 2025م. وفي 2012م، في الدورة التاسعة والخمسين للجنة الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، اعتمدت الدول الأعضاء إطار عمل لتنفيذ الإعلان السياسي للأمم المتحدة بشأن الوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها، والذي تضمن تنفيذ التوصيات العالمية الخاصة بالنشاط البدني، وإطلاق حملات إعلامية للتعريف بأهمية اتباع نظام غذائي صحي وفوائد النشاط البدني[1].

وللنهوض بالإجراءات الرامية إلى التصدي للخمول البدني، عقدت منظمة الصحة العالمية منتدى إقليمي رفيع المستوى حول تعزيز النشاط البدني، في دبي بالإمارات العربية المتحدة يومي (24-25) فبراير 2014م، حيث سلط المنتدى الضوء على أهمية الاستثمار في تعزيز النشاط البدني بوسائل منها: اتباع نُهُج شاملة للمدارس ككل لتعزيز النشاط البدني في جميع المدارس وغيرها من الوسائل الأخرى، وحدد المشاركون في المنتدى بعض الإجراءات والتوصيات ذات الأولوية لتعزيز النشاط البدني في قطاع التعليم تضمنتها مصادر منظمة الصحة العالمية[2]، بما يأتي:

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2014ب). **تعزيز النشاط البدني في إقليم شرق المتوسط طوال العمر.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/250530، ص7.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2014ب). **تعزيز النشاط البدني في إقليم شرق المتوسط طوال العمر.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/250530، ص11.

- التأكد من وجود التشريعات المناسبة وتطبيقها تطبيقاً فعالاً، بما يدعم تقديم النشاط البدني العالي الجودة يومياً بوصفه مكوناً أساسياً من مكونات العملية التعليمية الشاملة في المدارس والجامعات للفتيان والفتيات على حد سواء.
- تنفيذ نهج على نطاق المدارس ككل يتيح فرصاً أكبر للنشاط البدني أثناء اليوم الدراسي (قبل ساعات الدراسة/ أو خلالها/ أو بعدها).
- وضع برامج تستهدف تقليل الوقت الذي يقضيه الطلبة في القيام بأنشطة تتسم بقلة الحركة.

وشاركت منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) بتنظيم المؤتمر الدولي الثاني المعني بالتغذية الذي عقد في المقر الرئيسي للفاو في روما من (19 إلى 21، نوفمبر 2014م، وشارك في هذا المؤتمر قادة من الحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص وناقشوا معاً المسائل الرئيسة الراهنة المتعلقة بالتغذية واستعرضوا ما أحرز من تقدم منذ انعقاد المؤتمر الدولي الأول المعني بالتغذية في سنة (1992م) وأقروا بالإجماع إعلان روما بشأن التغذية وإطار العمل للقضاء على الجوع وسوء التغذية إلى الأبد[1].

واعتمد المؤتمر في جلسته الأولى؛ الوثيقتين الختاميتين، وهما: إعلان روما بشأن التغذية وأطار العمل المرفق به. الذي أعاد التأكيد على الالتزامات المقطوعة في كل من المؤتمر الدولي الأول المعني بالتغذية، والذي عقد في العام 1992م، و مؤتمري القمة العالميين للأغذية المذين عقدا في عامي 1996م و2002م، ومؤتمر القمة العالمي حول الأمن الغذائي المنعقد في العام 2009م. وبهذا الصدد فإن إعلان روما قد أعاد التأكيد على التزام الدول الأعضاء في المنظمة ببلوغ غايات التغذية العالمية لعام 2025م، والتي اعتمدتها جمعية الصحة

---

[1] منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. (2015). **المؤتمر الدولي الثاني المعني بالتغذية: الالتزام بمستقبل خال من سوء التغذية.** المنعقد في نوفمبر 2014م: تغذية أفضل، لحياة أفضل، ص3.

في مايو/2012م، والغايات التي حددتها منظمة الصحة العالمية بشأن الأمراض غير السارية لعام 2025م، والتي اعتمدتها جمعية الصحة في مايو/2013م[1].

وأكد المشاركين على أن السياسات التغذوية ينبغي أن تشجع على نظام غذائي صحي ومتوازن ومتنوع في مراحل الحياة كاملة، ويجب التشجيع على الوجبات الغذائية الصحية في روضات الأطفال والمدارس، وأوصى المشاركون بوضع معايير قائمة على الأغذية أو المغذيات لجعل النظم الغذائية الصحية ومياه الشرب متاحة في المرافق العامة مثل مرافق رعاية الأطفال والمدارس[2].

وأنشأت منظمة الصحة العالمية برعاية المديرة العامة للمنظمة لجنة رفيعة المستوى معنية بالقضاء على سمنة الأطفال، بغية التوصل إلى استجابة شاملة تتسم بوفرة المعلومات وحسن الصياغة، وتألفت اللجنة من خمسة عشر عضواً متخصصين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من الميادين ذات الصلة. وكلفت اللجنة بمهمة إعداد تقرير توافقي يحدد النهج ومجموعات التدخلات الأشد فعالية على الأرجح في التصدي لسمنة الأطفال والمراهقين في سياقات متنوعة حول العالم. واستعرضت اللجنة الأولويات والاستراتيجيات القائمة بشأن الوقاية من سمنة الأطفال، واستفادت منها وعالجت ما فيها من ثغرات، وقد حظي عمل اللجنة

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2015ب). **حصيلة المؤتمر الدولي الثاني بشأن التغذية: تقرير من المديرة العامة.** جمعية الصحة العالمية الثامنة والستون، البند 13-1 من جدول الأعمال المؤقت، ج8/68، ص1-2.

[2] منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. (2015). **المؤتمر الدولي الثاني المعني بالتغذية: الالتزام بمستقبل خال من سوء التغذية.** المنعقد في نوفمبر 2014م: تغذية أفضل، لحياة أفضل، ص10-17.

بمساندة فريقين من العاملين المتخصصين والمعنيين بالقضاء على سمنة الأطفال، أحدهما: يتعلق بالعلوم والبينات، والآخر: يتعلق بالتنفيذ، والرصد، والمساءلة[1].

- **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال التثقيف الصحي المدرسي:**

فيما يخص مجال التثقيف الصحي، عملت منظمة الصحة العالمية على إعداد مشروع "**التعليم الصحي المدرسي ذي المردود العملي**" بوصفه أنموذجاً لمنهج دراسي، وذلك خلال الفترة من العام 1983م إلى العام 1985م، حيث تم إدراج التثقيف الصحي بوصفه جزءاً لا يتجزأ من جميع مقررات المنهج المدرسي، وتم تضمين مختلف مقومات التثقيف الصحي بقدر الإمكان، وبحسب الحاجة في مختلف المواد والأنشطة المدرسية الراهنة الملائمة. وتشمل هذه الأنشطة الخدمات الإكلينيكية المدرسية، والبيئة المدرسية المادية والنفسية والاجتماعية، وإشراك المدرسة في الخدمات والأنشطة المجتمعية للارتقاء بالحالة الصحية الإجمالية للمجتمع، ويعد مشروع أنموذج المنهج المدرسي ثمرة الجهود المشتركة للمكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، واليونيسيف، بالتعاون مع اليونسكو[2].

ويتألف المنهج المدرسي الصحي من مرشد المعلم الذي يشمل على خطط دراسية نموذجية، ومرجع المعلم (في ستة كتيبات)، الذي يقترح بعض الأنشطة التعليمية، ومجموعة من الدلائل الوطنية موجه لقادة التعليم في البلدان ليسعان به في إدخال "المنهج" ضمن النظام التعليمي القائم[3].

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2016ب). **تقرير اللجنة المعنية بالقضاء على سمنة الأطفال: جمعية الصحة العالمية التاسعة والستون**، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/255160، ص40.

[2] منظمة الصحة العالمية. (1988أ). **أنموذج المنهج المدرسي الصحي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية: الدلائل الوطنية**. المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، الاسكندرية، مصر، ص2.

[3] حسون، عصام. (1999). أنموذج المنهج المدرسي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية: التوجهات والمعوقات. **ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد**

ولتنفيذ المشروع، فقد تم وضع (خطة عمل) تتكون من أربع مراحل ابتداءً من تحليل الوضع في بعض البلدان المنتقاة ضمن الإقليم، ومن ثم عقد حلقة عملية حول المنهج الصحي ذي المردود العملي، وإعداد أنموذج المنهج المدرسي الصحي ذي المردود العملي، والمرحلة الأخيرة يتم فيها إعداد الدلائل الوطنية المقترحة[1].

وقد كان لمنظمة الصحة العالمية ومؤسسة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة تجربة رائدة بتعيين عدد من الخبراء للقيام بدراسة وتحليل الوضع الصحي في الأقطار العربية، وفيما يأتي نتائج تحليل الوضع الصحي، كما أشار؛ حسون، (1999)[2]، إليه بالآتي:

- أنه بالرغم من اقتناع كل البلدان بأهمية التثقيف الصحي في المدارس؛ فقليل منهم من أبدى ارتياحه للمحتوى أو الطرق التي تم بها تدريس الصحة حالياً، كمادة قائمة بحد ذاتها، فالذين يقومون على تدريسها غير متخصصين، ولا تعقد لهم امتحانات مستقلة في معظم البلدان.
- المواضيع الصحية تدرس ضمن مواد دراسية أخرى وبشكل غير وافر، والمعلومات الصحية لا تعطى بطريقة تؤثر في سلوكيات التلاميذ ومواقفهم؛ بل بالطريقة التي تمكنهم من اجتياز الامتحان.
- كثير من بلدان الإقليم لم تضع خطة عمل، ولم تخصص أياً من البلدان ميزانية مستقلة للتعليم الصحي المدرسي.

العربية، المنعقد في القاهرة في الفترة ما بين 23-25 نوفمبر/1999م، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، مصر، ص7.

[1] عبد الرحمن، صلاح. (1999). مشروع أنموذج المنهج المدرسي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية. **ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد العربية**، المنعقد في القاهرة في الفترة ما بين 23-25 نوفمبر/1999م، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، مصر، ص5.

[2] حسون، عصام. (1999). مرجع سابق، ص6.

- نادراً ما يدعى التلاميذ إلى الاشتراك في الأنشطة الصحية المدرسية.
- معظم المعلمين والمفتشين غير متخصصين، ولم يتم تدريبهم للاطلاع بهذه المسؤولية.

وأكد تقرير منظمة الصحة العالمية[1]، أن مسألة إعداد المدرسين بتزويدهم بالحقائق الأساسية عن تعزيز صحة أطفال المدارس وحمايتهم أمر في غاية الأهمية، وأن مشاركة السلطات التربوية في هذا الميدان من الأمور الجوهرية؛ فالتثقيف الصحي كان حتى عام 1966م، موجهاً نحو الجماهير العريضة، ولم يركز على الاحتياجات التي تنفرد بها كل فئة من الفئات السكانية. وفي عام 1965م، اتخذت اللجنة الاقليمية قرار يحث السلطات الوطنية على إعطاء الأولوية القصوى لمسألة اعداد المدرسين لإشراكهم في ميدان التثقيف الصحي. ومن ثم كان هناك محاولات متفرقة فيما يتعلق بالتربية الصحية في المدراس لا سيما المدارس، الثانوية في شكل دورات خاصة. ولم يكن الأثر الناجم عن ذلك عظيماً، فيما يبدو، وتبين أنه ينبغي توجيه الجهود المبذولة إلى الفئات التي هي في مقتبل العمر، خاصة أن نصف الأطفال في ذلك الحين لا يواصلون التعلم بعد المرحلة الابتدائية. وفي عام 1986م، وبعد عقد مشاورة دولية بشأن التربية الصحية الموجهة إلى أطفال المدارس؛ أطلقت منظمة الصحة العالمية، بالتعاون مع اليونيسيف واليونسكو، مبادرة جديدة للوصول إلى الأطفال وتربيتهم في الأمور الصحية، وذلك من خلال الشبكة المتنامية من المدارس الابتدائية التي تؤكد على الأنشطة التي يقوم بها التلاميذ أنفسهم في نشر المعلومات عن الصحة، وعن السلوك الصحي وبثها بين أسرهم ومجتمعاتهم.

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (1998). **التقرير الخاص بالصحة في العالم: الحياة في القرن الحادي والعشرين كما يتمناها الجميع**. تقرير المدير العام، منظمة الصحة العالمية، جنيف. ويمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/1545/، ص225.

واستمر ذلك المشروع في التوسع خلال الأعوام العشرة الماضية. وفي العام 1996م، تم وضع دليل لتقييم البرنامج.

وقد واصل المكتب الإقليمي بناء القدرات الوطنية والإقليمية في مجال قضايا التثقيف الصحي، وقد تم إعداد مواد التثقيف الصحي لأطفال المدارس في مجالات السلامة الغذائية والكيميائية، والإنفلونزا وتقليص المخاطر أثناء الجفاف والفيضانات والزلازل[1].

كذلك أعد المكتب الإقليمي موارد التثقيف الصحي لأطفال المدارس من خلال شراكة مع منظمة الاستراتيجية الدولية للحد من الكوارث التابعة للأمم المتحدة (UNISDR)، تحت مسمى سلسلة "قوة الأصدقاء"، لمعالجة بعض القضايا الصحية من قبيل أنماط الحياة الصحية والبيئة وسلامة الغذاء والسلامة الكيميائية والانفلونزا، والحد من المخاطر في حالات الجفاف والفيضانات والزلازل. ويجري الإعداد لدليل تدريبي في مجال التثقيف التغذوي لطلبة المدارس، كما تم وضع التعديلات الأخيرة على دليل سهل الاستخدام حول النظام الغذائي، وذلك تمهيداً لنشره[2].

ويشير التقرير السنوي للمدير الإقليمي للمنظمة إلى أن المكتب الإقليمي سيواصل التركيز على تعزيز كشف حالات سوء التغذية الحادة والوخيمة ومعالجتها، من خلال توفير الدلائل الإرشادية للتدبير المجتمعي والتدبير القائم على المرافق لمثل هذه الحالات، وأيضاً من خلال تقديم الدعم التقني وحشد الموارد للبلدان التي تحتاجها، وبناء قدرات العاملين في هذا المجال، ودعم تنفيذ نظم

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2011). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2010).** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص61.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2012ب). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2011.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124618، ص64-70.

الرصد والمراقبة. و سيقوم المكتب ا لإقليمي با لدعوة والتوعية حول النظام الغذائي الصحي، وممارسة النشاط البدني في المدارس وفي المجتمعات المحلية، وذلك من خلال مبادرة المدارس المراعية للتغذية، والتركيز على إعداد سياسات التغذية المدرسية، ورفع مستوى الوعي وبناء القدرات، والتشجيع على الممارسات الخاصة بالغذاء الصحي، والخدمات الصحية والغذائية الداعمة[1].

وفي 21 نوفمبر2016م، عقد المؤتمر العالمي التاسع بشأن تعزيز الصحة، في (شنغهاي)، الذي نظمته حكومة جمهورية الصين الشعبية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، والذي هدف إلى رسم ملامح تعزيز الصحة في المستقبل، ووضعها بشكل حاسم كشرط أساسي لتحقيق خطة الأمم المتحدة 2030م، للتنمية المستدامة وما تنطوي عليه من أهداف التنمية المستدامة 2016م-2030م. ويؤكد هذا الإعلان عن التزام منظمة الصحة العالمية الثابت بتوفير الصحة للجميع[2]. وأكدت المنظمة التزامها بتعزيز التثقيف الصحي من خلال الاستثمار في زيادة حصول المواطنين على المعارف والمعلومات التي من شأنها دعم الخيارات الصحية واتخاذ قرارات مستنيرة بشأن الصحة، بما في ذلك تعزيز التثقيف الصحي في المدارس والاستفادة الكاملة من الثورة الرقمية[3].

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2012ب). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2011**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124618، ص71.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2016جـ). **مسودة إعلان شنغهاي بشأن تعزيز الصحة في خطة التنمية المستدامة لعام 2030: ضمان توفير الصحة المستدامة والمعافاة للجميع**. ورقة مناقشة منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصين، ص1.

[3] منظمة الصحة العالمية. (2016جـ). **مسودة إعلان شنغهاي بشأن تعزيز الصحة في خطة التنمية المستدامة لعام 2030: ضمان توفير الصحة المستدامة والمعافاة للجميع**. ورقة مناقشة منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصين، ص6.

- **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال الصحة النفسية المدرسية:**

فيما يخص جهود المنظمة بجانب الصحة النفسية عموماً والصحة المدرسية بشكل خاص، اعترفت منظمة الصحة العالمية بوصفها قائدة للوكالات الدولية المسؤولة عن الصحة، بقيم الصحة النفسية وتعزيزها، ولقد انبثقت نشاطاتها من المفاهيم والتصورات الجوهرية للصحة بأنها "حالة من الكمال البدني والنفسي والعافية الاجتماعية، وليست مجرد غياب للمرض أو العجز"، ولقد نص دستور المنظمة على بعض الوظائف الجوهرية التي تتضمن: تشجيع النشاطات في مجال الصحة النفسية ولا سيما التي تؤثر على الانسجام في العلاقات الإنسانية، والمساعدة في تطوير الرأي العمومي المطلع بين الناس عن مواد الصحة[1].

وأكدت عدة اجتماعات صحية دولية وعدة قرارات إقليمية الحاجة للمزيد من الجهود الوقائية، ولقد نشرت منظمة الصحة العالمية وثيقة عن الوقاية الأولية من الاضطرابات النفسية والعصبية والعقلية في العام 1998م[2]. وقد حثت عدة قرارات ذات الصلة بالصحة النفسية لجمعية الصحة العالمية، الدول الأعضاء على اتخاذ خطوات الوقاية من الاعتلالات النفسية، وأوصت المدير العام بالخطوات التي توفر المعلومات وتوجه الاستراتيجيات الملائمة. وكان القرار الذي تم تبنيه في عام 2002م، يحث منظمة الصحة العالمية على تسهيل التطوير الفعال للسياسات والبرامج التي تقوي الصحة النفسية وتقيها. ودعا إلى التحالف مع

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2005أ). **تعزيز الصحة النفسية، المفاهيم- البيانات المستجدة- الممارسة: التقرير المختصر. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط**، مترجم، طباعة شركة توشكي، القاهرة، مصر، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/119746، ص70.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2005ب). **الوقاية من الاضطرابات النفسية، التدخلات الفعالة والخيارات السياسية: التقرير المختصر**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، طبع بواسطة شركة توشكى، القاهرة. http://www.who.int/iris/handle/10665/119747، ص4.

المجتمع المدني، وإلى بدء الفعاليات والنشاطات لتعزيز الوعي العالمي ورفع مستوى الإدراك والدعوة إلى الصحة النفسية عبر الحملات التثقيفية، ويمكن إيجاز دور منظمة الصحة العالمية في تعزيز الصحة النفسية كما تضمنتها في وثائقها[1] بما يأتي:

- التعميم والمراجعة والجمع والتصنيف والمواكبة، للبينات والبراهين عن الاستراتيجيات من أجل تعزيز الصحة النفسية ولا سيما للدول الفقيرة والمتوسطة الدخل.
- تطوير الاستراتيجيات والبرامج الملائمة.
- تسهيل الشراكة والتعاون.

وفي مايو، 2012م، اعتمدت منظمة الصحة العالمية خطة العمل الشاملة الخاصة بالصحة النفسية 2013م-2020م، والتي تتناول الأعباء المرضية والاجتماعية والاقتصادية للاضطرابات النفسية وتبعاتها على حقوق الإنسان، وتحدد الخطة إجراءات واضحة تتخذها الدول الأعضاء والأمانة والشركاء على المستوى الدولي والإقليمي والوطني. وتقترح مؤشرات وأهدافاً رئيسة؛ يمكن استخدامها في تقييم مستويات التنفيذ والتقدم والأثر الواقع. وفيما يتعلق بالأطفال؛ تركز خطة العمل على الجوانب الخاصة بنموهم، ومنها على سبيل المثال تعزيز شعورهم الإيجابي بالهوية وقدرتهم على إدارة الأفكار والعواطف وبناء العلاقات الاجتماعية، وكذلك استعدادهم للتعلم والحصول على التعليم، بما يمكنهم في النهاية من المشاركة على نحو كامل وفعال في المجتمع، وتتضمن خطة

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2005أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2014**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/198940، ص70-71.

العمل –في جوهرها- المبدأ المتفق عليه عالمياً والقائل "لا صحة بدون الصحة النفسية"[1].

ويشير التقرير السنوي للمدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية إلى تواصل التعاون مع برنامج الصحة النفسية، بهدف تعزيز الخدمات النفسية والاجتماعية في أوساط الصحة المدرسية، وإضفاء الطابع المؤسسي على تعزيز الصحة النفسية المدرسية وخدماتها. فأوضاع الطوارئ المعقدة في (16) بلداً، من بلدان الإقليم، تؤكد مدى الحاجة إلى إدماج عنصر الصحة النفسية ضمن برامج الصحة المدرسية. وقد تم الانتهاء من إعداد حزمة تدريبية لمعلمي المدارس، والتي خضعت لمراجعة نظراء قام بها مراجعون خارجيون، وكذلك من خلال اجتماع تشاوري إقليمي عُقد في القاهرة، وستتم تجربتها في خمسة بلدان. وفي ضوء الأهمية التي تحظى بها المدارس بوصفها نقطة دخول للعديد من التدخلات الخاصة بالصحة العمومية، فإن الحاجة إلى وضع معايير متكاملة لتعزيز الصحة في المدارس، آخذه في الازدياد. ويتواصل العمل في هذا الاتجاه، وسيتم إطلاق مبادرة جديدة في هذا المجال خلال النصف الثاني من العام (2015)[2].

كما أكد التقرير السنوي للمدير الإقليمي أن المنظمة ستواصل دعمها للبلدان من أجل تعزيز خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي في حالات الطوارئ، كما ستقوم بتعزيز خدمات الصحة النفسية من خلال دعم

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2013ب). **خطة العمل الشاملة الخاصة بالصحة النفسية في الفترة 2013-2020.** جمعية الصحة العالمية السادسة والستون، الجلسة العامة التاسعة، 27 مايو، 2013. http://www.who.int/iris/handle/10665/152166، ص2-3.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2015أ). مرجع سابق، ص26.

الصحة النفسية لطلبة المدارس، والوقاية من الانتحار، وبرامج المعرفة في مجال الصحة النفسية[1].

وقدم المكتب الإقليمي الدعم لكثير من البلدان في مراجعة الاستراتيجيات والتشريعات المعنية بالصحة النفسية من حيث إعدادها وتحديثها، وذلك وفقاً للمؤشرات والغايات المتفق عليها في إطار خطة العمل الشاملة للصحة النفسية (2013-2020)، علاوةً على ذلك، أعدت المنظمة حزمة من خدمات الصحة النفسية المدرسية ويجري الآن تجربتها في بلدان الإقليم، كما قدمت المنظمة الدعم لتوفير دعم الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي في بعض البلدان ومنها الجمهورية اليمنية، وذلك بالتنسيق والتعاون مع وكالات الأمم المتحدة، والمنظمات غير الحكومية، وأصحاب المصلحة الوطنيين، والمؤسسات الأكاديمية. وأدى ذلك بدوره إلى إعداد دورة إقليمية حول بناء القدرات بشأن دعم الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي وتجريبها[2].

- **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال الوقاية والسلامة المدرسية:**

فيما يتعلق بالجانب الخاص بالوقاية والسلامة، فقد أشارت المنظمة إلى الجهود المبذولة فيما يتعلق بتنمية المعرفة والمهارات للوقاية من إصابات الأطفال، إلى أنه لا يقتصر بناء القدرات في مجال الوقاية من الإصابات على الموارد البشرية، وأن المعرفة والمهارات تمثلان أولوية واضحة. وتتجسد إحدى وسائل تطوير قاعدة المعارف الخاصة بالإصابات في منهج التدريب والتعليم،

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2016أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2015**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/250464، ص38.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2017). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2016**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. http://www.who.int/iris/handle/10665/259255، ص31.

وتطوير التعاون الصحي بغية توقي العنف والإصابات (TEACH-VIP): وهو عبارة عن منهج شامل للوقاية من الإصابات ومكافحتها، تم تطويره على مدار ثلاث سنوات عن طريق جهود منظمة الصحة العالمية، وشبكة تضم أكثر من (60) خبيراً في مجال الوقاية من الإصابات في 19 بلداً. وقد وضعت الدورة التدريبية من أجل التوجيه داخل الفصول المدرسية، وتحتوي على عروض لشرائح باوربوينت (Power Point)، وملاحظات إضافية للمحاضرات المختلفة، فضلاً عن تمارين للمتعلم تتناول مجموعة من الموضوعات ذات الصلة بالوقاية من الإصابات ومكافحتها. كما يحتوي منهج (TEACH-VIP) على مجموعة من الدروس عن الإصابات المتعمدة التي تصيب الأطفال والشباب، بما فيها تلك الناجمة عن العنف بين الشباب وإساءة معاملة الأطفال، والإهمال[1].

وفي مجال تنمية المهارات ابتكرت منظمة الصحة العالمية برنامجاً للإرشاد عن بعد باسم (MENTOR-VIP)، وهو برنامج عالمي معني بسبل الوقاية من الإصابات والعنف، وقد صمم خصيصاً لمساعدة صغار العاملين في مجال الإصابات لتنمية مهاراتهم، من خلال التعاون المنظم مع شخص أكثر خبرة تطوع للعمل كمستشار ومرشد في إطار البرنامج. وبذلك يعد هذا البرنامج وسيلة للتوفيق بين الطلب على التوجيه الفني، والعروض الهادفة إلى توفير الدعم التقني[2].

كما قامت منظمة الصحة العالمية بإعداد أول برنامج إقليمي للتواصل حول المخاطر المحدقة بالصحة لأطفال المدارس في شكل كوميدي، بالتعاون مع

---

[1] منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط واليونيسيف. (2009). **التقرير الخاص حول الوقاية من إصابات الأطفال**. ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/119893، ص160.

[2] منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط واليونيسيف. (2009). مرجع سابق، ص160.

منظمة الاستراتيجية الدولية للأمم المتحدة للحد من الكوارث (UNISDR)، وقد خضع هذا البرنامج للاختبار في البلدان، وسيتم إجراء المزيد من التطوير له[1].

ويشير التقرير السنوي للمدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية إلى أنه قد تم استعراض كل ما كتب في هذا الشأن في إقليم شرق المتوسط، واستناداً إلى ذلك تم الانتهاء من إتمام إطار عمل استراتيجي إقليمي بشأن وقاية الأطفال والمراهقين من الإصابات وتحديثه[2].

- **جهود منظمة الصحة العالمية في مجال صحة الفم والأسنان:**

وفيما يتعلق بجانب الجهود المبذولة من قبل منظمة الصحة العالمية في مجال تعزيز صحة الفم، فقد عقد المؤتمر الآسيوي الأول في (طوكيو)، اليابان في 19/يوليو/2001، الذي خصص لتعزيز الصحة الفموية لأطفال المدارس، وتعزيز الفهم المتبادل المنتظم للمعلومات بهدف تحسين حالة صحة أطفال المدارس، وعقد المؤتمر الآسيوي الثاني لتعزيز صحة الفم لأطفال المدارس في (أيوثايا) (Ayutthaya) ، في تايلاند من 21 إلى 23/فبراير/2003م، وكان الهدف من المؤتمر اكتشاف كيفية حماية وتعزيز صحة الأطفال في سن المدرسة، وناقش المشاركون من مناطق جنوب شرق آسيا وغرب المحيط الهادئ، كيفية

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2012ب). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2011**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124618، ص61.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2016أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2015**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/250464، ص27.

تبادل الخبرات المتعلقة بالتنفيذ المستمر لبرامج الصحة الفموية المدرسية في إطار مبادرة الصحة المدرسية العالمية لمنظمة الصحة العالمية[1].

وأعدت منظمة الصحة العالمية في إطار برنامجها للصحة الفموية وثيقة تقنية لتعزيز صحة الفم من خلال برنامج تعزيز الصحة المدرسية، حيث تعمل المنظمة على المستوى العالمي والإقليمي من خلال شبكة واسعة من المدارس المعززة للصحة، ويتضمن البرنامج العالمي للصحة الفموية على أربعة اتجاهات استراتيجية، كما أشارت إليها منظمة الصحة العالمية[2]، كالآتي:

- تطوير وتنفيذ مشاريع إرشادية موجهة للمجتمع من أجل تعزيز صحة الفم، والوقاية من أمراض الفم مع التركيز على الفئات السكانية المحرومة والفقيرة في البلدان المتقدمة والنامية.
- انتهاج أسلوب يقوم على التصدي لعوامل الاختطار المشتركة من أجل الوقاية من أمراض الفم والأمراض المزمنة الأخرى، وتعزيز أنماط الحياة الصحية.
- توفير الدعم التقني للبلدان لتمكينها من تعزيز نظمها الصحية الخاصة بصحة الفم.
- وضع سياسات صحة الفم وتوجيهها نحو مكافحة المخاطر المحدقة بصحة الفم بفعالية، وإدراج صحة الفم في نظمها الصحية العمومية.

---

(1) World Health Organization. (2001). **Ayutthaya Declaration:** The 2nd Asian conference of oral health promotion for school children– February 23, 2003. Available at: http://www.who.int/oral_health/events/asian_declaration/en/, p1.

(2) World Health Organization. (2004b). **Report on the Meeting of national oral health Programme managers: Cairo, Egypt, 8-1 I December 2003**. World Health Organization, Regional Office for the Eastern Mediterranean. Available at: https://apps.who.int/iris/handle/10665/254976, p3-4.

وفي الفترة من 27-28، يناير، 2005م، انعقدت ورشة عمل برعاية من منظمة الصحة العالمية، حول "الوقاية وتعزيز صحة الفم من خلال المدارس"، في (بنغالور)، بالهند، ودعا المشاركون في الورشة إلى ضمان تنفيذ الصحة الفموية في المدارس، وأكدوا على النتائج الصادرة عن المؤتمر الآسيوي الثاني لترويج صحة الفم لأطفال المدارس[1].

وعقد المؤتمر العالمي الثامن لطب الأسنان الوقائي (WCPD) في مدينة (ليفربول) في المملكة المتحدة، في الفترة من 7 إلى 10، سبتمبر، 2005م، حيث تم تنظيمه بهدف تطوير طب الأسنان بالتعاون مع الرابطة الدولية لأبحاث طب الأسنان (IADR)، ومنظمة الصحة العالمية والرابطة الأوروبية للصحة العامة للأسنان (EADPH)، والرابطة البريطانية لدراسة طب أسنان المجتمع (BASCD). وتناول المشاركون من (43) بلداً الوقاية من أمراض الفم التي تشكل أعباء كبيرة على الأطفال والكبار في جميع أنحاء العالم. وأكد المشاركون أن صحة الفم جزء لا يتجزأ من الصحة العامة والرفاهية وحقوق الإنسان الأساسية. وأحاط المشاركون علماً بوثيقة بانكوك "ميثاق بانكوك للنهوض بالصحة في زمن العولمة"، وأكدوا التزامهم بدعم العمل الذي تقوم به

---

[1] World Health Organization & et al. (2005). **CAMHADD/WHO workshop on prevention and promotion of oral health through schools.** In Collaboration with Rajiv Gandhi University Of Health Sciences and R V Dental College and supported by Srinivasan services trust The Bangalore declaration, Bangalore, India. http://www.who.int/oral_health/events/bangalore-declaration/en/, p1.

السلطات الصحية الوطنية والدولية ومؤسسات البحوث والمنظمات غير الحكومية، ومنظمات المجتمع المدني لتعزيز الصحة والوقاية من أمراض الفم[1].

وحثت منظمة الصحة العالمية الدول الأعضاء على وضع وتنفيذ أنشطة الترويج لصحة الفم والوقاية من أمراض الفم في أوساط الأطفال قبل سن الدراسة وأطفال المدارس، بوصفها جزءاً من الأنشطة في المدارس التي تعمل على تعزيز الصحة[2]. كما قدم المكتب الإقليمي دعمه التقني لإعداد الخطط الوطنية في بعض البلدان ومن بينها الجمهورية اليمنية، وذلك في مجال تعزيز صحة الفم، بما في ذلك فلورة الماء والملح[3].

وأجرى المكتب الإقليمي مسحاً لتقييم وضع صحة الفم وقدرات البلدان في هذا المجال. ونتيجة لهذا الإجراء، نوقشت ورقة مفاهيم، ألقت الضوء على التحديات الأساسية والاتجاهات الاستراتيجية المقترحة في مجال صحة الفم، في اجتماع بلداني، صدر عنه نداء أصفهان للعمل وتعزيز صحة الفم في الإقليم. وتتضمن المجالات ذات الأولوية إعداد استراتيجية إقليمية حول تعزيز صحة الفم،

---

(1) World Health Organization .(2005) **The Liverpool Declaration: Promoting Oral Health in the 21st Century: A Call for Action**. Available at: http://www.who.int/oral_health/events/liverpool_declaration/en/, p1.

(2) منظمة الصحة العالمية. (2007). **صحة الفم: خطة عمل ترويجية والوقاية المتكاملة من الأمراض.** جمعية الصحة العالمية الستون، الجلسة العامة الحادية عشرة، 23 مايو 2007، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/23622، ص2.

(3) منظمة الصحة العالمية. (2010أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2009).** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124609، ص66.

ووضع مجموعة أساسية من مؤشرات تعزيز صحة الفم، وإنشاء نظام ترصد لصحة الفم[1].

وعقد المكتب الإقليمي اجتماعاً للخبراء بهدف الانتهاء من وضع استراتيجية إقليمية لتعزيز صحة الفم، ووضع مجموعة أساسية من المؤشرات الخاصة بذلك؛ فضلاً عن اشارت التقرير السنوي للمدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية إلى أن المكتب الإقليمي عقد اجتماعاً للخبراء؛ بهدف الانتهاء من وضع استراتيجية إقليمية لتعزيز صحة الفم، ووضع مجموعة أساسية من مؤشرات تعزيز صحة الفم[2].

6- علاقة منظمة الصحة العالمية مع المنظمات الأخرى:

وفي إطار الجهود الدولية بشكل عام وجهود منظمة الصحة العالمية بشكل خاص، فقد أنشئت العديد من المنظمات الدولية التي تسعى إلى الاهتمام بصحة النشء من المتعلمين على مختلف مستوياتهم العمرية بداية من سن ما قبل المدرسة وإلى ما بعد سن المدرسة، حيث أشارت وثيقة استراتيجية الصحة في لبنان إلى أن برنامج (المدارس المعززة للصحة) في منظمة الصحة العالمية، يلتقي مع برنامج (المدارس الصديقة للطفل)، الذي أطلقته منظمة اليونيسيف، ومع مبادرة اليونيسكو "تركيز الموارد نحو صحة مدرسية فعالة"، وهذه البرامج حددت عناصر الصحة المدرسية كالآتي: البيئة المدرسية السليمة، والخدمات الإكلينيكية

---

[1] منظمة الصحة العالمية. (2012ب). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2011**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/124618، ص63-64.

[2] منظمة الصحة العالمية. (2013أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2012**. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/123295، ص21.

المدرسية، والتربية الصحية، والتربية البيئية، والتربية البدنية، وتعزيز صحة العاملين، ومشاركة الأهل والمجتمع[1].

فكان لا بد من الإشارة إلى أن منظمة الصحة العالمية قد أقامت علاقات تعاون مع منظمات كثيرة، منها منظمات متخصصة؛ فعلى سبيل المثال: اليونسكو، واليونيسيف، وأمانة من طفل إلى طفل، ومنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو)[2]. ومن تلك المنظمات الدولية تشير الباحثة إلى المنظمات الآتية:

- **منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف):**

تعد منظمة اليونيسيف من المنظمات المهتمة بالحفاظ على حياة وصحة الأطفال عن طريق اللقاحات ومكافحة الأمراض الوبائية، ويبرز نشاطها في أوقات الكوارث والحروب[3].

وعلاوةً على ما سبق ذكره، كونت منظمة اليونيسيف مجموعة من برامج الدعم التقني للبرامج المدرسية لتمكين التربويين والعاملين في المجال الصحي من تنفيذ الأنشطة التي تثبت جدواها تجاه تعزيز صحة الأطفال. وبالرغم من كونها برامج موجهة لأطفال ما قبل المدرسة، فإنها تعدهم لحياة دراسية صحية، حيث أسهمت هذه البرامج في انحسار وفيات الأطفال وانخفاض معدلات الأمراض، ومن قبل نفذت المنظمة بالتعاون مع اليونيسيف، مبادرة "ثورة بقاء الطفل" والمبنية على أربع تدخلات هي:

---

[1] الحلبي، سماح. (2017). دور الإدارة المدرسية في تنمية الوعي الصحي لدى طلبتها بمدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظة غزة وسبل تفعيله. **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الإسلامية، غزة، ص47.

[2] الشورة، فايز. (2006). وسائل تنفيذ قرارات منظمة الصحة العالمية. **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الدراسات القانونية العليا، جامعة عمان العربية، الأردن، ص8.

[3] قطيشات، تالا وآخرون. (2002). **مبادئ في الصحة والسلامة العامة**. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، الأردن، ص25.

- برنامج التطعيم الموسع.
- تشجيع الرضاعة الطبيعية
- استعمال محاليل الإرواء بالفم.
- رصد نمو الأطفال[1].

ويؤكد؛ الشورة، (2006)[2]، أنه منذ العام 1978م، عندما قامت منظمة الصحة العالمية بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف، برعاية مؤتمر دولي حول الرعاية الصحية الأولية الذي شكل علامة فارقة، دأبت اليونيسيف على عقد اتفاقيات تعاون مع الحكومات الوطنية والجهات الفاعلة الأساسية لتطوير وتنفيذ استراتيجيات تهدف إلى تحسين صحة الأطفال والنساء.

- **منظمة اليونسكو :**

تتعاون منظمة اليونسكو مع منظمة اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية، وتعمل مع التربويين والعاملين في مجال الصحة على إيجاد البرامج الملائمة والمؤثرة، ومن أمثلة هذه البرامج تكوين "أندية الصحة المدرسية" ثم طرأت الحاجة إلى أن تمتد مبادرة اليونيسيف المعروفة ب" ثورة بقاء الطفل" إلى فصول المدارس. وأدى هذا إلى ما يعرف ب"ثورة تنمية وتطوير الطفل" التي كان من ضمن أهدافها: (الاستفادة من إمكانيات المؤسسات التعليمية والمنظمات ذات العلاقة للمشاركة في تفعيل صحة الطلبة، والقيام بالنشاطات التي من شأنها تنفيذ الاستراتيجيات الصحية في المدارس وتطويرها، وإجراء البحوث العلمية[3].

---

[1] الأنصاري، صالح والأمين، حسن. (2002). الصحة المدرسية نظرة عالمية ونماذج دولية. **مجلة طب الأسرة والمجتمع**، المجلد (9)، العدد (1)، جامعة الملك فيصل بالدمام، المملكة العربية السعودية. ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.ssfcm.org/public/english/Content/index/secId/567/، ص2.

[2] الشورة، فايز. (2006). مرجع سابق، ص85.

[3] الأنصاري، صالح والأمين، حسن. (2002). مرجع سابق، ص2.

كما حظيت التربية الصحية المدرسية بأهمية من جانب منظمة اليونسكو، بوصفها إحدى منظمات الأمم المتحدة المهتمة بشؤون التربية، فاشتركت مع منظمة الصحة العالمية في وضع برامج تهدف إلى تحسين مستوى الصحة في المدارس، ومعاهد إعداد المعلمين[1].

كما تتعاون اليونسكو مع غيرها من وكالات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني من خلال مبادرة تركيز الموارد من أجل صحة مدرسية فعالة، وإقراراً من المنظمة بأن النهوض بالصحة المدرسية لا يقتصر على اكتساب المعلومات بشأن الصحة فحسب؛ بل تدعم المنظمة وشركاؤها الجهود الرامية إلى جعل البيئات المدرسية آمنة وصحية؛ بما في ذلك من خلال منع العنف، وزيادة الانتفاع بالمياه والمراحيض الآمنة، وتحويل التلاميذ إلى الخدمات الصحية المواتية للنشء[2].

- **أمانة من طفل إلى طفل:**

يعد برنامج أمانة من طفل إلى طفل، برنامجاً عالمياً يهدف لتعليم طلبة المدارس وتشجيعهم على الاهتمام بصحة إخوانهم الأصغر سناً، وأطفال المجتمع ككل. وقد تأسست الأمانة في بريطانيا عام 1976م، بمناسبة العام الدولي للطفل بفكرة نشأت من معهد طب الأطفال وكلية التربية بجامعة لندن، والبرنامج أنموذج للتعاون بين الصحة والتعليم، ويقوم على نشاطات وقائية وعلاجية مبسطة تلائم الوضع المحلي، يتم شرحها وتعليمها للأطفال بوساطة معلميهم، ثم ينقلونها بدورهم إلى بيوتهم وعائلاتهم. وهي نشاطات يغلب عليها

---

[1] طه، راضي. (2002). دور المعلمات السعوديات في تحقيق بعض أهداف التربية الصحية المدرسية بالمرحلة المتوسطة. **مجلة كلية التربية بأسوان**، العدد (2)، (1-41)، مصر، ص9.

[2] اليونسكو. (2015أ). **استراتيجية اليونسكو للتعليم 2014-2020**. صادر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، طبع في فرنسا، ص52-53

التثقيف الصحي، تؤدي بأسلوب ممشوق، وتشجع طلبة المدارس على الاكتشاف والاستطلاع وعلى النقاش فيما بينهم[1].

وعلاوةً على ما سبق؛ تتعهد كل من: أمانة من طفل إلى طفل ومبادرة منظمة الصحة العالمية حول الصحة الشاملة في المدرسة، بتوظيف برامجها وموارد ها للمساهمة في تعزيز برامج الصحة المدرسية التي يضطلع فيها الأطفال أنفسهم بدور متكامل وناشط بغية جعل مدارسهم "مدارس معززة للصحة"[2].

---

[1] الأنصاري، صالح والأمين، حسن. (2002). الصحة المدرسية نظرة عالمية ونماذج دولية. مجلة طب الأسرة والمجتمع، المجلد (9)، العدد (1)، جامعة الملك فيصل بالدمام، المملكة العربية السعودية. ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.ssfcm.org/public/english/Content/index/secId/567/، ص2.

[2] أمانة من طفل إلى طفل. (2005). **الأطفال شركاء في الصحة "نهج من طفل إلى طفل في البيت والمدرسة والمجتمع"**. ورشة الموارد العربية، بيروت لبنان، ص206.

الخاتمة

إن التقدم والتنمية المجتمعية الحقيقية والمستدامة لا تتم إلا من خلال العناية والاهتمام الكامل بصحة النشء، وذلك من خلال تفعيل وتطوير خدمات الصحة المدرسية وفق أفضل الممارسات العالمية؛ وبالتالي يمكننا القول: أن التطرق إلى هذا الموضوع يُعد ضرورة ملحة وحاجة مجتمعية متنامية لدراسة خدمات الصحة المدرسية كونها تعاني في الفترة الحالية من قصور وجمود في العديد من البلدان، وتحديدًا النامية منها؛ لا سيما في الفترة الصحية الحالية التي مرت بها دول العالم قاطبة، والتي أظهرت فشلها في مواجهة جائحة (كوفيد-19)، مما يجعل من المنظمات الدولية أن تمارس أدواراً أكثر تطوراً ومعاصرة قد لا تكون معروفة في السابق، وقد حاولنا تسليط الضوء على جهود منظمة الصحة العالمية المتعلقة بتطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية، سعيًا منا إلى إفادة المسؤولين وصانعي القرار في الجهات ذات العلاقة بهذا المجال وذلك للعمل على التنسيق والتعاون مع المنظمات الدولية والمنظمات الأخرى ذات العلاقة بالجانب الصحي؛ بما يساعد على تحقيق الصحة العامة في المجال التربوي.

التوصيات

بناءً على ما تم عرضه من جهود لمنظمة الصحة العالمية في تطوير وتحسين خدمات الصحة المدرسية، تم التوصل إلى عدد من التوصيات تتمثل بالآتي:

1. ضرورة تبني الجهود التي تهدف إلى تحديث الصحة المدرسية ودعمها من قبل الجهات ذات العلاقة بالصحة المدرسية.
2. العمل على تبني توجهات وتوصيات منظمة الصحة العالمية، ووضع الاستراتيجيات والخطط، ونماذج التطبيق لها.
3. وضع منظومة متكاملة من قبل الجهات المختصة في وزارات التربية والتعليم بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة؛ تستهدف التوعية، والتثقيف

لكافة العاملين في إدارات الصحة المدرسية بأهمية توصيات وتوجهات منظمة الصحة العالمية، ومميزاتها ومجالات استخدامها، ودورها في رفع كفاءة خدمات الصحة المدرسية.

4. تحديد ميزانية مالية للصحة المدرسية وبرامجها التي تعتمد على توصيات وتوجيهات منظمة الصحة العالمية؛ لتقديم خدمات ملموسة للمدارس وللمجتمع.
5. إقامة ندوات علمية وورش عمل ولقاءات واجتماعات لوضع دليل إجرائي لتنفيذ المهام والمسؤوليات في إدارات الصحة المدرسية؛ وفقاً لتوجهات منظمة الصحة العالمية.
6. الاستعانة بالخبرات الداخلية والخارجية في الصحة المدرسية على مختلف مجالاتها.
7. الاستفادة من التجارب والخبرات الأجنبية والعربية في تقديم خدمات الصحة المدرسية والنجاح الذي حققته من خلال تطبيقها لتوجيهات منظمة الصحة العالمية.
8. العمل على تبني توجهات وتوصيات منظمة الصحة العالمية بمختلف المدارس؛ لأن ذلك سيمثل تحولاً جذرياً في تقديمها لخدمات الصحة المدرسية من الاتجاه التقليدي إلى الاتجاهات الحديثة.

المراجع والمصادر

الكتب:

1. سالم، رائدة. (2007). **الصحة المدرسية**. دار أجنادين للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى2007، الرياض.
2. شكر، فايز وآخرون. (1999). **الصحة المدرسية**. عالم الكتب للنشر، القاهرة، مصر.
3. الشهري، سليمان. (2010). **الدليل الإرشادي لبرنامج المدارس المعززة للصحة**. وزارة التربية والتعليم، ط3، الرياض، المملكة العربية السعودية.

4. صالح، صفاء. (2015). **التربية الصحية في المدارس الأساسية.** المنهل، يمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.debonobooks.ae/images/files/f929608.pdf

5. الطعامنة، غازي. (2007). **مبادئ في الصحة والسلامة العامة.** عيناء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

6. الفتلاوي، حسين.(2010). **مبادئ المنظمات** الدولية **العالمية والإقليمية.** ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن.

7. قطيشات، تالا وآخرون. (2002). **مبادئ في الصحة والسلامة العامة.** دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، الأردن.

8. كماش، يوسف. (2009). **الصحة والتربية الصحية.** دار الخليج، عمان، الأردن.

9. مصطفى، مأمون. (1998)**. قانون المنظمات الدولية.** مكتبة فلسطين للكتب المصورة، فلسطين. https://palstinebooks.blogspot.com/2017/08/blog-post_5.html

10. يوسف، خالد. (2012). **الوظيفة التشريعية لمنظمة الصحة العالمية.** دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية.

الرسائل العلمية:

1. بوحريص، الصديق. (2013). حوكمة الصحة العالمية بين الأسس المعيارية والمصالح التجارية. **رسالة ماجستير غير منشورة،** جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر.

2. الحلبي، سماح. (2017). دور الإدارة المدرسية في تنمية الوعي الصحي لدى طلبتها بمدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظة غزة وسبل تفعيله. **رسالة ماجستير غير منشورة،** الجامعة الإسلامية، غزة.

3. الخالدي، خالد. (2012). دور الإدارة المدرسية في تطبيق مبادرة المدارس الصحية في الأردن ومقترحات التطوير. **أطروحة دكتوراه غير منشورة،** كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن.

4. الرشيدي، تركي. (2011). مستوى الصحة المدرسية في المدارس الابتدائية في دولة الكويت من وجهة نظر المديرات والمعلمات. **رسالة ماجستير غير منشورة،** جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، الأردن.

5. الشورة، فايز. (2006). وسائل تنفيذ قرارات منظمة الصحة العالمية. **رسالة ماجستير غير منشورة،** كلية الدراسات القانونية العليا، جامعة عمان العربية، الأردن.

6. صدراتي، فضيلة. (2014). واقع الصحة المدرسية في الجزائر من وجهة نظر الفاعلين في القطاع: دراسة ميدانية بوحدات الكشف والمتابعة والمدارس الابتدائية والمؤسسات العمومية للصحة الجوارية بولاية بسكرة - نموذجاً-. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر.
7. العامري، عباس. (2011). حماية حقوق الإنسان في القانون الدولي. **أطروحة دكتوراه غير منشورة**، جامعة سانت كليمنتس العالمية للتعليم المفتوح-الدراسات العليا- قسم القانون الدولي، بغداد، العراق.
8. فضة، سحر. (2012). دور الإدارة المدرسية في تفعيل التربية الصحية في المرحلة الأساسية بمحافظات غزة. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

المقالات العلمية:

1. آل زياد، محمد. (2018). واقع تطبيق برنامج المدارس المعززة للصحة من وجهة نظر معلمي العلوم في المدارس المطبقة للبرنامج في منطقة عسير. **مجلة العلوم التربوية والنفسية**، المجلد (2)، العدد (**1**).
2. الأنصاري، صالح والأمين، حسن. (2002). **الصحة المدرسية نظرة عالمية ونماذج دولية**. مجلة طب الأسرة والمجتمع، المجلد (9)، العدد (**1**)، جامعة الملك فيصل بالدمام، المملكة العربية السعودية. ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي: http://www.ssfcm.org/public/english/Content/index/secId/567/
3. صنقور، خاتون. (2001). تجربة دولة البحرين في مراحل تطبيق مشروع التربية الصحية والبيئة المدرسية في المرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي. **مجلة الطفولة والتنمية**، العدد (**1**).
4. طه، راضي. (2002). دور المعلمات السعوديات في تحقيق بعض أهداف التربية الصحية المدرسية بالمرحلة المتوسطة. **مجلة كلية التربية بأسوان**، العدد (**2**)، (1-41)، مصر.
5. عبد اللطيف، فاتن. (2001). نحو استراتيجية متكاملة للصحة المدرسية. **مجلة الطفولة والتنمية**، المجلد (1)، العدد (**2**).

الندوات والمؤتمرات:

1. أمانة من طفل إلى طفل. (2005). **الأطفال شركاء في الصحة "نهج من طفل إلى طفل في البيت والمدرسة والمجتمع"**. ورشة الموارد العربية، بيروت لبنان.

2. حسون، عصام. (1999). **أنموذج المنهج المدرسي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية: التوجهات والمعوقات.** ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد العربية، المنعقد في القاهرة في الفترة ما بين 23-25 نوفمبر/1999م، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، مصر.

3. عبد الرحمن، صلاح. (1999). **مشروع أنموذج المنهج المدرسي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية.** ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد العربية، المنعقد في القاهرة في الفترة ما بين 23-25 نوفمبر/1999م، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، مصر.

4. منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. (2015). **المؤتمر الدولي الثاني المعني بالتغذية: الالتزام بمستقبل خال من سوء التغذية.** المنعقد في نوفمبر 2014م: تغذية أفضل، لحياة أفضل.

التقارير الدولية:

1. الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2009). **تحقيق المدارس المعززة للصحة: الدلائل الإرشادية لتعزيز الصحة في المدارس.** النسخة الثانية من الوثيقة المعروفة سابقاً بالبروتوكولات والدلائل الإرشادية للمدارس المعززة للصحة، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health.

2. الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتثقيف الصحي. (2010). **تعزيز الصحة في المدارس: من البينات إلى العمل.** ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://www.iuhpe.org/index.php/en/iuhpe-thematic-resources/298-on-school-health.

3. المجلس العربي للطفولة والتنمية. (2001). **تقرير الأداء للمجلس العربي للطفولة والتنمية: نحو تطبيق الإعلان العربي والعالمي للطفولة.** ط2، القاهرة، مصر.

4. منظمة الصحة العالمية واليونيسف والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر، 2020، **توجيهات لمنع (كوفيد-19) والسيطرة عليه في المدارس**، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
https://www.unicef.org/media/66216/file/Key%20Messages%20and%20Actions%20for%20COVID-

19%20Prevention%20and%20Control%20in%20Schools_March%202020.pdf

5. منظمة الصحة العالمية واليونيسف ومنظمة الأمم المتحدة للتربية، 2020، **اعتبارات بشأن تدابير الصحة العمومية الخاصة بالمدارس في سياق جائحة كوفيد-19، ملحق: الاعتبارات المتعلقة بتكييف تدابير الصحة العمومية والتدابير الاجتماعية في سياق جائحة كوفيد-19**، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/334294/WHO-2019-nCoV-Adjusting_PH_measures-Schools-2020.2-ara.pdf

6. منظمة الصحة العالمية. (1972). **أسباب تسوس الأسنان والوقاية منه: تقرير لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية.** سلسلة التقارير الفنية رقم 494، الترجمة العربية صادرة عن المكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط، الاسكندرية، مصر.

7. منظمة الصحة العالمية. (1988أ). **أنموذج المنهج المدرسي الصحي ذي المردود العملي للمدارس الابتدائية: الدلائل الوطنية.** المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، الاسكندرية، مصر.

8. منظمة الصحة العالمية. (1998). **التقرير الخاص بالصحة في العالم: الحياة في القرن الحادي والعشرين كما يتمناها الجميع.** تقرير المدير العام، منظمة الصحة العالمية، جنيف. ويمكن الحصول عليه من الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/1545/.

9. منظمة الصحة العالمية. (2004). **الاستراتيجية العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة: تقرير الأمانة.** صادر عن جمعية الصحة العالمية، السابعة والخمسون، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/20869

10. منظمة الصحة العالمية. (2005أ). **تعزيز الصحة النفسية، المفاهيم- البيانات المستجدة- الممارسة: التقرير المختصر.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، مترجم، طباعة شركة توشكي، القاهرة، مصر، يمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/119746

11. منظمة الصحة العالمية. (2005ب). **الوقاية من الاضطرابات النفسية، التدخلات الفعالة والخيارات السياسية:** التقرير المختصر. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، طبع

بواسطة شركة توشكى، القاهرة.
http://www.who.int/iris/handle/10665/119747

12. منظمة الصحة العالمية. (2007). **صحة الفم: خطة عمل ترويجية والوقاية المتكاملة من الأمراض. جمعية الصحة العالمية الستون**، الجلسة العامة الحادية عشرة، 23 مايو 2007، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/23622

13. منظمة الصحة العالمية. (2009). **الاستراتيجية العالمية لمنظمة الصحة العالمية بشأن النظام الغذائي والنشاط البدني والصحة: إطار للبلدان فيما يتعلق برصد عملية التنفيذ وتقييمها.** قسم الطباعة والنشر، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/dietphysicalactivity/DPASindicators/ar/

14. منظمة الصحة العالمية. (2010أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2009).** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/124609

15. منظمة الصحة العالمية. (2010ب). **التوصيات العالمية بشأن النشاط البدني من أجل الصحة.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، طبع في سويسرا.

16. منظمة الصحة العالمية. (2011). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي (2010).** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط.

17. منظمة الصحة العالمية. (2012أ). **إعلان مسقط حول تعزيز الخدمات الصحية المدرسية لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل.** مشاورة إقليمية حول تنظيم الخدمات الصحية المدرسية والتحديات المستجدة، المنعقد في مسقط، سلطنة عُمان، في الفترة من 29 إلى 31 مايو/2010م، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، القاهرة، مصر.

18. منظمة الصحة العالمية. (2012ب). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2011.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/124618

19. منظمة الصحة العالمية. (2013أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2012.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ويمكن

الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/123295

20. منظمة الصحة العالمية. (2013ب). **خطة العمل الشاملة الخاصة بالصحة النفسية في الفترة 2013-2020.** جمعية الصحة العالمية السادسة والستون، الجلسة العامة التاسعة، 27 مايو، 2013. http://www.who.int/iris/handle/10665/152166

21. منظمة الصحة العالمية. (2014أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2013.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/198943

22. منظمة الصحة العالمية. (2014ب). **تعزيز النشاط البدني في إقليم شرق المتوسط طوال العمر.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/250530.

23. منظمة الصحة العالمية. (2014جـ). **الوثائق الأساسية**، الطبعة الثامنة والأربعون. بما في ذلك التعديلات المعتمدة حتى 31/ أكتوبر/ 2014، طبع في إيطاليا، يمكن الحصول عليه من الرابط التالي:/http://www.who.int/iris/handle/10665/151605

24. منظمة الصحة العالمية. (2015أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2014.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/198940

25. منظمة الصحة العالمية. (2015ب). **حصيلة المؤتمر الدولي الثاني بشأن التغذية: تقرير من المديرة العامة.** جمعية الصحة العالمية الثامنة والستون، البند 13-1 من جدول الأعمال المؤقت، ج8/68.

26. منظمة الصحة العالمية. (2016أ). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2015.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي:
http://www.who.int/iris/handle/10665/250464

27. منظمة الصحة العالمية. (2016ب). **تقرير اللجنة المعنية بالقضاء على سمنة الأطفال:** جمعية الصحة العالمية التاسعة والستون، ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/255160

28. منظمة الصحة العالمية. (2016جـ). **مسودة إعلان شنغهاي بشأن تعزيز الصحة في خطة التنمية المستدامة لعام 2030: ضمان توفير الصحة المستدامة والمعافاة للجميع.** ورقة مناقشة منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصين.

29. منظمة الصحة العالمية. (2017). **أعمال منظمة الصحة العالمية في إقليم شرق المتوسط: التقرير السنوي للمدير الإقليمي 2016.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. http://www.who.int/iris/handle/10665/259255

30. منظمة الصحة العالمية. (2020أ). **إرشادات بشأن العودة للمدرسة بأمان خلال جائحة كوفيد-19.** المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، تم الاطلاع عليه في تاريخ: 18/أكتوبر/ 2020، الساعة، 7:35، من خلال الرابط التالي: http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/back-to-school.html

31. منظمة الصحة العالمية. (2020ب). **اعتبارات بشأن تدابير الصحة العمومية الخاصة بالمدارس في سياق جائحة كوفيد-19، ملحق: اعتبارات بشأن تعديل تدابير الصحة العمومية والرعاية الاجتماعية في سياق جائحة كوفيد-19.** ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/332052/WHO-2019-nCoV-Adjusting_PH_measures-Schools-2020.1-ara.pdf

32. منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط واليونيسيف. (2009). **التقرير الخاص حول الوقاية من إصابات الأطفال.** ويمكن الحصول عليه من خلال الرابط التالي: http://www.who.int/iris/handle/10665/119893.

33. اليونسكو. (2015أ). **استراتيجية اليونسكو للتعليم 2014-2020.** صادر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، طبع في فرنسا.

34. اليونسكو. (2015ب). **التعليم للجميع 2000-2015: الإنجازات والتحديات.** الاصدار الثاني عشر من التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، اليونسكو.

المراجع الأجنبية:

1. Buijs, G. (2009). Better School through Health: Networking for Health Promoting School in Europe**. Europe journal of Education**, 44 (**4**): 507-519.
2. Education Development Center**. (n.d). Rapid Assessment and Action Planning Process (RAAPP).** Funded by the World Health Organization, Department of Noncommunicable Disease, Prevention and Health Promotion & Division of Global School Health Initiative.
3. Gold, Robert S. (1990). The world health organization: School health initiative, perspectives in School Health. **Journal of School Health**, 60 (7): 370-378.
4. UNICEF. (2009). **Child-Friendly Schools Manual: Chapter 5 Schools as Protective Environments**. Edited, produced and distributed by UNICEF's Division of Communication, unite for children.
5. World Health Organization & et al**. (2005). CAMHADD/WHO workshop on prevention and promotion of oral health through schools.** In Collaboration with Rajiv Gandhi University Of Health Sciences and R V Dental College and supported by Srinivasan services trust **The** Bangalore declaration, Bangalore, India. http://www.who.int/oral_health/events/bangalore-declaration/en/
6. World Health Organization, Health Education and Health Promotion Unit & Unesco. (2002). **Sun protection: an essential element of health-promoting schools**. World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/67400
7. World Health Organization. (2000). **Local action: creating health promoting schools**. Dept. of Health Promotion/NCD Prevention

and Surveillance, World Health Organization, Geneva, Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/66576

8. World Health Organization. (1997a). **Promoting health through schools: report of a WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion**. WHO Expert Committee on Comprehensive School Health Education and Promotion (1995), Switzerland & World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/41987
9. World Health Organization. (1997b). **Strengthening interventions to reduce helminth infections as an entry point for the development of health-promoting schools**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63368
10. World Health Organization. (1998a). **Health-promoting schools: a healthy setting for living, learning and working**. prepared by Jack T. Jones; with Furner Matthew, Division of Health Promotion, Education and communication, Technical Officer, Health Education and Health Promotion Unit, WHO, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63868
11. World Health Organization. (1998b). **Healthy nutrition : an essential element of a health-promoting school**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/63907
12. World Health Organization. (1999a). **Improving health through schools: national and international strategies**: School Health Component of WHO's Mega Country Network for Health Promotion. compiled and edited by Isolde Birdthistle, Geneva**.** http://www.who.int/iris/handle/10665/66314

13. World Health Organization. (1999b). **Preventing HIV/AIDS/STI and related discrimination: an important responsibility of health-promoting schools**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/66225
14. World Health Organization. (1999c). **Tobacco use prevention: an important entry point for the development of health-promoting schools**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/65608
15. World Health Organization. (1999d). **Violence prevention: an important element of a health-promoting school**. Health Education and Health Promotion Unit, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/64327
16. World Health Organization. (2001). **Ayutthaya Declaration: The 2nd Asian conference of oral health promotion for school children– February 23, 2003**. Available at: http://www.who.int/oral_health/events/asian_declaration/en/
17. World Health Organization. (2003a). **Creating an environment for emotional and social well-being: an important responsibility of a health promoting and child-friendly school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion, World Health Organization, Geneva, http://www.who.int/iris/handle/10665/42819.
18. World Health Organization. (2003b). **Family life, reproductive health : key elements of a health-promoting school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion,

Prepared by Carmen Aldinger, World Health Organization, Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/42816

19. World Health Organization. (2003c). **Oral health promotion: an essential element of a health-promoting school**. World Health Organization Geneva. http://www.who.int/iris/handle/10665/70207
20. World Health Organization. (2003d). **Skills for health: skills-based health education including life skills: an important component of a child-friendly/health-promoting school**. Dept. of Noncommunicable Disease Prevention and Health Promotion, World Health Organization, Geneva, http://www.who.int/iris/handle/10665/42818
21. World Health Organization. (2004a). **Participatory learning from EI/WHO training and resources manual on school health and HIV/AIDS prevention**. Education International, Education Development Center, Inc & World Health Organization. Health Education and Health Promotion Unit, Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43008
22. World Health Organization. (2005). **The Liverpool Declaration: Promoting Oral Health in the 21st Century**: **A Call for Action.** Available at: http://www.who.int/oral_health/events/liverpool_declaration/en/
23. World Health Organization. (2006). **Report on the Consultation On health-promoting schools in the Eastern Mediterranean Region**. Sana'a, Republic of Yemen 12–14 December 2005. Regional Office for the Eastern Mediterranean, Cairo, Egypt.
24. World Health Organization. (2007a). **Malaria prevention and control: an important responsibility of a health-promoting**

school. World Health Organization Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43734

25. World Health Organization. (2007b). **Promoting physical activity in schools: an important element of a health-promoting school**. World Health Organization, Geneva. Available at http://www.who.int/iris/handle/10665/43733
26. World Health Organization. (2017a). **Global school health initiatives: achieving health and education outcomes: report of a meeting, Bangkok, Thailand, 23–25 November 2015**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/259813.
27. World Health Organization. (**2017b). Thailand 2015: Global School – Based Student Health Survey.** World Health Organization, Thailand Office Country Office**.** https://apps.who.int/iris/handle/10665/259826
28. World Health Organization. (2004b). **Report on the Meeting of national oral health** Programme **managers: Cairo, Egypt, 8-1 I December 2003.** World Health Organization, Regional Office for the Eastern Mediterranean. Available at: https://apps.who.int/iris/handle/10665/254976
29. World Health Organization. (2004c). **The physical school environment : an essential element of a health-promoting school**. World Health Organization, Geneva. Available at: http://www.who.int/iris/handle/10665/42683

ثانياً : دور العتبة الحسينية وهيئة الحشد الشعبي في تعزيز الامن الصحي في العراق في ظل جائحة كورونا

د. عباس عبد السلام عبدالرحيم حسن[*]

مقدمة:

سنتناول في هذا المحور مفهوم الامن الصحي العالمي ومعرفة مؤشر الامن الصحي العالمي، و ماهي مرتكزاته وطريقة تقييم الدول وفق استعدادها لمواجهة الجوائح مع اخذ العراق كانموذج للدراسة، كما سيتم الحديث عن مفهوم اللوائح الصحية العالمية وتم برز مفهومها الى العالم، وبعدها سيتطرق هذا الجزء على الفروق بين الأوبئة والجوائح ومن ثم الانتقال على دور العتبة الحسينية هيئه الحشد الشعبي في الامن الصحي في العراق في ظل تفشي جائحه كوفد 19 في ظل عدم اقرار الموازنة العراقية ووسط المظاهرات الشعبية والمشاكل الجوهرية في البنية التحتية الصحية العراقية التي عانت من الاهمال الشديد لعقود كاملة مما ادى الى ضعف العراق في مؤشرات مكافحة الاوبئة مقارنه بدول الجوار كدولة الكويت مثال.

1. **تعريف الامن الصحي**

تعرّف منظمة الصحة العالمية الأمن الصحي العالمي "بأنه الأنشطة التي تخفض إلى أدنى حد مخاطر وتأثيرات الأحداث الصحية المهددة لسلامة سكان المناطق الجغرافية أو العابرة للحدود. وتؤكد المنظمة أن صحة البشر شرط أساسي

---

[*] طبيب، مقيم دوري، وزارة الصحة العراقية/ دائرة صحه الرصافة/ مستشفى الامام علي (عليه السلام).

لتحقيق الأمن والسلام، وأنه يعتمد على التعاون الكامل بين دول وسكان العالم كافة. ولا يقتصر تأثير الأوبئة والطوارئ الصحية وضعف المنظومات الصحية في إزهاق الأرواح البشرية فقط؛ بل يمثل تهديدا للأمن والاقتصاد العالميين. إن تحسن درجات الحصول على الرعاية الصحية والتغطية الشاملة للمجتمع وجودة الخدمات الصحية أفضل وسائل الدفاع ضد التهديدات الصحية الطارئة الناشئة بشكل طبيعي أو المتسبب فيها البشر"

ان المشاكل التي تنجم عن تفشي الاوبئة والامراض واعلان حالات الطوارئ الصحية لا يمكن مواجهتها من قبل المؤسسة الصحية فقط بل يتطلب الامر تعاون كافة المؤسسات البيئية والاقتصادية والتشريعية والقانونية والامنية كون المشاكل والازمات التي تنتج بسبب تفشي الأوبئة قد تؤثر على كافة اشكال الحياة وتشكل خطر كبير قد يؤدي الة انهيار الانظمة ومن ثم انفلات تام في الوضع الامني وانهيار باقي المؤسسات بالدولة فالعمل بمفهوم الامن الصحي يتطلب الكثير من الابتكار والبحث في اساليب المواجه والتعامل مع التحديات وحل كافة المشاكل والمعضلات التي قد تولد نتيجة لتفشي مثل هكذا أوبئة .

وبعد ظهور مفهوم الامن الصحي العالمي يجب الحديث على المؤشر العالمي للأمن الصحي حيث يقدم مؤشر العالمي للأمن الصحي نتائج تقييم قدرات الأمن الصحي العالمي في 195 دولة أعدها مركز جونز هوبكنز للأمن الصحي، ومبادرة التهديد النووي (NTI) ووحدة الاستخبارات الاقتصادية (EIU)يقدم مؤشر العالمي للأمن الصحي نتائج تقييم قدرات الأمن الصحي

العالمي في 195 دولة أعدها مركز جونز هوبكنز للأمن الصحي، ومبادرة التهديد النووي (NTI) ووحدة الاستخبارات الاقتصادية (EIU) .

حيث يستند التقرير إلى استبيان مكون من 140 سؤالاً، موزعة على 6 فئات و 34 مؤشرًا و 85 مؤشرًا فرعيًا. الفئات الست هي:

- الوقاية: منع ظهور أو إطلاق مسببات الأمراض
- الكشف والإبلاغ: الكشف المبكر والإبلاغ عن الأوبئة ذات الأهمية الدولية المحتملة
- الاستجابة السريعة: الاستجابة السريعة وتخفيف انتشار الوباء
- النظام الصحي: نظام صحي كاف وقوي لمعالجة المرضى وحماية العاملين الصحيين
- الامتثال للقواعد الدولية: الالتزامات بتحسين القدرات الوطنية، وخطط التمويل لسد الثغرات، والتقيد بالمعايير العالمية
- بيئة المخاطر: بيئة المخاطر الشاملة وقابلية الدولة للتهديدات البيولوجية.

ولكي لا نفقد صلة الموضوع فان العراق وهو محور كتابتنا اليوم فوفق المؤشر العالمي للأمن الصحي حيث احتل العراق من اقل الدول استعدادا لمواجهة تحديات الامن الصحي GHS، احتل العراق الترتيب 195/167 عالميا وفق مؤشر GHS وحصل على الترتيب 17/15 بالنسبة لدور غرب اسيا

Index	Index score	Overall rank
Prevent	22.1	150
Detect	42.2	88
Respond	19.5	183
Health	11.8	150
Norms	29.5	183
Risk	29.2	184

Category 1: Prevent الوقاية

Indicators المؤشر

Indicator	Index Score	Rank
1.1) Antimicrobial resistance (AMR) مقاومة الميكروبات	8.3	146 / 195

1.1.1) Antimicrobial control سيطرة على مضادات الميكروبات

Indicator	Index Score	Rank
1.2) Zoonotic disease	20.4	118

Indicator	Index Score	Rank
1.3) Biosecurity	0.0	107

Indicator	Index Score	Rank
1.4) Biosafety	0.0	75

Indicator	Index Score	Rank
1.5) Dual use research and culture of responsible science	0.0	10

Indicator	Index Score	Rank
1.6) Immunisation	87.7	127

Category 2: Detect التحري

Indicators

Indicator	Index Score	Rank
2.1) Laboratory systems النظام المختبري	16.7	161 / 195

Indicator	Indicator score	Over all rank
2.2) Real time surveillance and reporting	36.7	90

Indicator	Index Score	Rank
2.3) Epidemiology workforce	25.0	116

Indicator	Index Score	Rank

Indicator	Index Score	Rank
2.4) Data integration between human/animal/environmental health sectors	100.0	1

Category 3: Respond الاستجابة

Indicator	Index Score	Rank
3.1) Emergency preparedness and response planning	0.0	108 / 195

Indicator	Index Score	Rank
3.2) Exercising respon e plans	0.0	54

Indicator	Index Score	Rank
3.3) Emergency response operation	0.0	129

Indicator	Index Score	Rank
3.4) Linking public health and security authorities	0.0	45

Indicator	Index Score	Rank
3.5) Risk communication	0.0	144

Indicator	Index Score	Rank
3.6) Access to communications infrastructure	68.4	121

Indicator	Index Score	Rank
3.7) Trade and travel restrictions	100.0	1

Health الصحة

Indicator	Index Score	Rank
4.1) Health capacity in clinics, hospitals and community care centres	5.6	152 / 195

Indicator	Index Score	Rank

Indicator	Index Score	Rank
4.2) Medical countermeasures and personnel deployment	0.0	101

Indicator	Index Score	Rank
4.3) Healthcare access	41.9	91

Indicator	Index Score	Rank
4.4) Communications with healthcare workers during a public health emergency	0.0	43

Indicator	Index Score	Rank
4.5) Infection control practices and availability of equipment	0.0	77

Indicator	Index Score	Rank
4.6) Capacity to test and approve new medical countermeasures	25.0	116

Category 5: Norms

ndicator	Index Score	Rank
5.1) IHR reporting compliance and disaster risk reduction	50.0	51 / 195

Indicator	Index Score	Rank
5.2) Cross-border agreements on public health emergency response	0.0	144

ndicator	Index Score	Rank
5.3) International commitments	43.8	87

Indicator	Index Score	Rank
5.4) JEE and PVS	0.0	101

Indicator	Index Score	Rank
5.5) Financing	16.7	131

Indicator	Index Score	Rank
5.6) Commitment to sharing of genetic & biological data & specimens	66.7	11

Category 6: Risk المخاطر

Indicator	Index Score	Rank
6.1) Political and security risk	7.1	188 / 195
Indicator	Index Score	Rank
6.2) Socio-economic resilience	53.6	144
ndicator	Index Score	Rank
6.3) Infrastructure adequacy	8.3	181
Indicator	Index Score	Rank
6.4) Environmental risks	38.6	172
Indicator	Index Score	Rank
6.5) Public health vulnerabilities	42.6	125

- الوقاية: منع ظهور أو إطلاق مسببات الأمراض
- الكشف والإبلاغ: الكشف المبكر والإبلاغ عن الأوبئة ذات الأهمية الدولية المحتملة
- الاستجابة السريعة: الاستجابة السريعة وتخفيف انتشار الوباء
- النظام الصحي: نظام صحي كاف وقوي لمعالجة المرضى وحماية العاملين الصحيين
- الامتثال للقواعد الدولية: الالتزامات بتحسين القدرات الوطنية، وخطط التمويل لسد الثغرات، والتقيد بالمعايير العالمية
- بيئة المخاطر: بيئة المخاطر الشاملة وقابلية الدولة للتهديدات البيولوجية

اللوائح الصحية الدولية (2005) هي اتفاق بين 196 بلداً تشمل جميع الدول الأعضاء في منظمة الصحة العالمية على العمل معاً سعياً إلى تحقيق الأمن الصحي العالمي.

ومن خلال اللوائح الصحية الدولية، اتفقت البلدان على تعزيز قدرتها على الكشف عن أحداث الصحة العمومية وتقييمها والتبليغ عنها. وتتولى منظمة الصحة العالمية دور التنسيق في اللوائح الصحية الدولية، وتعمل مع شركائها على مساعدة البلدان على تعزيز قدراتها.

وتنص اللوائح الصحية الدولية أيضاً على التدابير المحددة التي ينبغي اتخاذها في الموانئ والمطارات والمعابر البرية من أجل الحد من انتشار المخاطر الصحية في البلدان المجاورة، ومنع فرض القيود غير المبررة على السفر والتجارة من أجل الحد من تعطل حركة المرور والتجارة إلى أدنى قدر ممكن.

وعند اخذ مثال احد الدول الجارة للعراق وهي دولة الكويت فقد تصدرت الكويت منطقة دول شرق المتوسط «EMRO» في القدرات الأساسية المتطلبة لتطبيق اللوائح الصحية الدولية، بمعدل إنجاز بلغ 76 في المئة فيما حققت دول المنطقة 66 في المئة، في حين بلغ متوسط اجمالي القدرات الاساسية في العالم 63في المئة، وأشار التقرير الخاص بالتقييم السنوي للقدرات الأساسية لدولة الكويت، لتطبيق اللوائح الصحية الدولية «IHR» لعام 2019، الذي حصلت «الراي» على نسخة منه، إلى أن الكويت حققت تحسناً في الإنجاز يعادل 20 في المئة في مختلف مجالات القدرات الاساسية مقارنة مع معدل الانجاز لعام 2018 والذي بلغ 56في المئة، وعزا التقرير التقدم المحرز لعدة عوامل، أبرزها وعي القيادات العليا في وزارة الصحة لأهمية تطبيق اللوائح الصحية الدولية في تعزيز الامن الصحي والتزامها بتطبيقها، ودعم هذه القيادات للمركز الوطني لتطبيق اللوائح الصحية الدولية الذي يعتبر المسؤول عن التنسيق والتواصل بين جميع القطاعات داخل وخارج الوزارة لتطبيق اللوائح الصحية الدولية، فضلا عن الجهود الحثيثية التي قام بها المركز الوطني منذ انشائه في 2017 بالتعريف بموضوع اللوائح وباهميتها في تعزيز الامن الصحي داخل الوزارة وخارجها.

كما أشار التقرير الى إرساء آليات فعالة للتواصل والتنسيق بين وزارة الصحة والقطاعات الاخرى ذات الاهمية، كالطيران المدني ومؤسسة الموانئ الكويتية والحرس الوطني والاطفاء والدفاع المدني ووزارتي الداخلية والخارجية، وغيرها من القطاعات المشكلة للجنة العليا للوائح الصحية الدولية، والقطاعات المساندة، والذي تجلت نتائجها الايجابية في أزمة مواجهة جائحة كورونا.

وأرجع التقرير التقدم المحرز ايضاً الى رفع القدرات الذاتية الخاصة بتطبيق اللوائح الصحية الدولية لدى القطاعات المختلفة، من خلال التدريب العملي، وعقد ورشات عمل، والمشاركة بجلسات علمية عبر الانترنت، والمشاركة بتدريبات خارجية، وحضور المؤتمرات عالمية واقليمية، ومشاركة جميع النشرات العلمية او العملية ذات الصلة والتي تصدر عن منظمة الصحة العالمية ومنظمة الطيران العالمية، وغيرها من المنظمات الدولية الداعمة مع جميع القطاعات ذات الصلة.

جدول مقارنة بين عامي 2018 و2019
في قدرات تطبيق اللوائح الصحية في الكويت

القدرة	2018	2019
التشريعات والمالية	33	73
وظائف المركز الوطني للوائح الصحية الدولية والتنسيق (IHR)	80	90
الامراض المشتركة	40	60
سلامة الغذاء	80	80
المختبرات	80	100
نظام الترصد	50	70
الموارد البشرية	60	60
نظام الطوارئ الوطني	47	73
تقديم الخدمات الصحية	53	67
التواصل اثناء المخاطر	20	80
نقاط العبور	60	80
الاحداث الكيميائية	40	80
المخاطر الاشعاعية	80	80

2. السيادة الوطنية والامن الصحي

يتطلب تنفيذ اللوائح الصحية الدولية خروج البلدان من معقل السيادة الوطنية في سبيل تحقيق الصالح العام. ومثال على ذلك، أن البلدان يجب أن تكون على استعداد لإصدار تأشيرات الدخول للمشاركين في الاستجابة للطوارئ من الأجانب، والسماح لهم بإجراء التحرّيات، وإتاحة لهم الاطلاع على البيانات والسجلات اطلاعاً كاملاً دون قيد أو شرط. ويجب أن توافق البلدان وشركات الطيران على إرسال عيّنات المرضى إلى المراكز المتعاونة مع المنظمة التي لديها خبرات محددة في مناولة المُمْرضات الخطيرة أو غير المعتادة وتحليلها. ففي كثير من الأحيان تأخرت أو تعثرت الاستجابة للفاشيات بقيادة المنظمة، عندما مارست البلدان حقها السيادي في رفض التعاون الدولي، واعتبرته تدخلاً غير مقبول في الشؤون الوطنية.

ومنعاً لوقوع أحداث كارثية أخرى مثل فاشية الإيبولا التي اجتاحت غرب أفريقيا، يلزم قبل كل شيء أن تحظى البلدان بنُظم صحية قادرة على الصمود وشاملة للجميع تمتد إلى المناطق الريفية، ونظام حسّاس للإنذار المبكر تصاحبه قدرة على الاستجابة السريعة، ومجتمعات محلية واعية ومشاركة تثق في

حكومتها وفي الخدمات الصحية التي تقدمها. كما تحتاج البلدان إلى إمكانية الحصول على اللقاحات ووسائل التشخيص. والعلاجات الفعّالة والميسورة التكلفة (كلما وُجدت) والقدرات المختبرية واللوجستية الفائقة ومرافق العلاج المأمونة والوفيرة التي تحظى بالملاك الوظفي المناسب والمعدات الملائمة.

ومازال الطريق طويلاً أمام العالم كي يصل إلى هذا المستوى من التأهب. فهناك ما يقدر بنحو 400 مليون شخص لا يستطيع الحصول على أبسط الخدمات الصحية. وقد حددت المنظمة تسعة مُمْرضات وخيمة يمكن أن تسبب أوبئة ولكن التدابير الطبية المضادة لها غير كافية أو غير موجودة على الإطلاق - وهو ما يُعد فجوة كبيرة أخرى في التأهب الجماعي للعالم.

ولحسن الحظ، رأت مؤتمرات مجموعة الدول السبع وعدد متنامي من البحوث أن هناك توافقاً يؤدي إلى التعزيز المتبادل بين أهداف التغطية الصحية الشاملة والأمن الصحي العالمي. والبلدان التي لديها نُظم صحية جيدة الأداء وشاملة للجميع تزيد فرصها في الكشف عن الفاشيات في مرحلة مبكرة تكون فيها احتمالات احتوائها قوية. والبلدان التي لديها نُظم صحية قوية تكون متأهبة على نحو أفضل لتلبية الطلب الإضافي على الخدمات الصحية والموظفين الذي ينشأ حتماً عن الفاشيات والطوارئ الصحية الأخرى. وينطوي التاريخ الحديث على أمثلة كثيرة لنُظم صحية هشّة دفعت بها فاشيات بسيطة نسبياً إلى حافة الهاوية. وأخيراً فإن الالتزام بالإنصاف والحماية من الإفلاس، الذي تنطوي عليه التغطية الصحية الشاملة، من شأنه أن يحقق ثقة الجمهور واطمئنانه وهما الأساس الذي يستند إليه الامتثال لتدابير المكافحة التي يوصى بها " وفق لراي منظمة الصحة العالمية .

نفهم من هذا الامر ان على البلدان يجب ان تكون اكثر تعاون واكثر شفافية مع المنظمات الدولية حينما يتعلق الامر بتفشي مرض غير معلوم او احد الأوبئة المعروفة لأنه يتطلب جهد دولي فيما بعد بمحاربته بالرغم من هذا فان العديد من البلدان النامية تعمل على اخفاء امر الاصابات والاوبئة المحتملة ومحاولة حصر الامر والسيطرة عليه محليا وهذا امر قد ينذر بخطر عالمي قد يؤدي الى تفيش وباء قد يتطور الى جائحه عالميه كما حدث الامر في فايروس كوفد 19 وتبادل الاتهامات بين الجانب الامريكي والصيني حول اخفاء الصين معلومات بخصوص الاصابات الاولى بفيروس كوفد 19 كان من الممكن ان تمنع تحوله الى جائحه عالمية وفق للاتهامات الامريكية .

3. الفرق بين الوباء والجائحة وتفشي المرض : -

- **الوباء Epidemic**

هو حالة مرضية تحدث عندما يصاب عدد كبير جداً من الناس في المجتمع بمرض معين في نفس الوقت، ويحدث تفشي على مساحة جغرافية أكبر، وهذا ما حدث حرفيًا في مدينة ووهان الصينية حيث تبين إصابة كل المخالطين لسكان مدينة ووهان بعد قيامهم بإجراء التحاليل المختلفة، ما يعنى أن المرض انتقل تطور من مجرد فيروس عادي إلى وباء أصاب الآلاف.

- **الجائحة pandemic**

الجائحة هو مصطلح يطلق عادة على نطاق واسع لوصف أي أزمة خرجت عن نطاق السيطرة عليها، وعندما يتطور الفيروس ويصيب الآلاف بالعدوى يصبح وباء وإذا انتشر يُعرّف بأنه تفشي للمرض على نطاق واسع بين سكان البلد الواحد، وإذا انتقل الفيروس إلى بلدين على الأقل أصبحت

«جائحة»على وشك الحدوث، وإذا انتشر في أقاليم أو بلدان أو قارات مختلفة أصبح «جائحة» كاملة.

ويمكن أن ينتشر المرض وينتقل بـ عدة طرق مثل الحشرات التي يمكن أن تحمل الأمراض وتنقلها من شخص لآخر، أو الأطعمة والمياه الملوثة، أو عن طريق الهواء ويمكن أن ينتقل عن طريق السعال أو الرذاذ، وغالبًا ما يكون ناتجًا عن فيروس جديد أو سلالة من الفيروس لم يتم تداولها بين الأشخاص لفترة طويلة، وإذا انتشر بين الأفراد يتسبب في وقوع أعداد وفيات كبيرة.

- **تفشي المرض outbreak**

التفشي هو ارتفاع مفاجئ في عدد حالات المرض، وقد يحدث تفشي المرض في مجتمع أو منطقة جغرافية، أو قد يؤثر على العديد من البلدان، ويستمر لبضعة أيام أو أسابيع، أو حتى لعدة سنوات مثل الأنفلونزا، وفي بعض الأحيان، يمكن اعتبار حالة واحدة من الأمراض المعدية تفشيًا ولها آثار خطيرة على الصحة العامة، مثل الفيروس المخُلق وراثيًا أو معمليًا المستخدم في الحروب البيولوجية.

4. دور العتبة الحسينية في تعزيز الامن الصحي في العراق في ظل جائحة كورونا

- **موقف ممثل المرجعية الدينية العليا والعتبة الحسينية المقدسة ازاء تفشي جائحة**

- **مرحلة التوعية :-**

لعبت العتبة الحسينية دور مهم جدا في تعزيز الامن الصحي وذلك من خلال ممارسة تأثيرها الديني في الشارع العراقي لتوعية الناس والجماهير بهذا الوباء وخطره كما تجاوبت بشكل سريع مع الازمة الحصية وابداء توجيهاتها بما يخص

اقامة صلاة الجمعة وتطبيق والإرشادات الصحية ودعم المؤسسات الصحية والكوادر الصحية في العراق. اطلاق اول حملة توعية وتثقيف بفيروس كوفد 19 من قبل مستشفى الامام زين العابدين ع.س في محافظة كربلاء وذلك بعد تسجيل اول اصابة بالعراق بفيروس كوفد 19 بتاريخ 202/2/24.

وفي تاريخ 2020/2/28 دعت ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة صلاة الجمعة من الصحن الحسيني الشريف الى ضرورة التقيد بالوصايا الطبية والتعامل الوقائي مع فيروس كوفد 19 من دون الوصول الى حالة الرعب والهلع والخوف منه كما دعت الى تطبيق الاجراءات الوقائية الفاعلة من قبل المواطنين والجهات الصحية المختصة، كما وجه ممثل المرجعية الدينية سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي رسالة الى الكوادر الطبية والصحيه وذلك بتاريخ 2020/3/1، وفي ادناه نص الرسالة.

الاخوة الاكارم الكوادر الطبية والمهنية العاملة في دائرة صحة كربلاء والمتصدية بكل اقدام واخلاص بفحص وتشخيص الحالات المشتبه بإصابتها بفايروس كورونا أجار الله سبحانه الجميع من شروره

السلام عليكم أعزائي ورحمة الله . وبركاته .

من الرحاب القدسية لمرقد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي أختصه الله تعالى بأن جعل الشفاء في تربته والأئمة من ذريته واستجابة الدعاء تحت قبته ، والمنتشرة في أرجائها نسمات البهجة والسرور في شهر رجب الخير والولاية بإشراقة النور العلوي الهادي ، تتقدم الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة بأزكى التحيات وخالص الدعوات مشفوعة بأصدق مشاعر الاعجاب والإكبار لجهودكم الطبية الوقائية المباركة في هذا التوجه الديني والانساني والوطني الرائع ، تفاديا لإنتشار هذا المرض والحد من التعرض لمسبباته والسيطرة على منابع وروده الى عراقنا الحبيب وحواضره الدينية المقدسة ، سائلين المولى جلت قدرته أن يتقبل ذلك الجهد منكم وأن يجعله في ميزان حسناتكم يوم نلقاه ، رزقكم الله وإيانا شفاعة الامام الحسين عليه السلام يوم الورود .

إنه سميع مجيب .

عبد المهدي الكربلائي

المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

اما تاريخ 2020/3/5 فكان تاريخ مميز جدا ودليل هام على ادراك المرجعية الدينية لخطر تفشي الوباء بالمجتمع العراقي فبعد اسابيع قليلة من تسجيل اول حالة اصابه بالعراق قام ممثل المرجعية الدينية بعدم اقامة صلاة الجمعة في العراق وقد صرح زير الصحة حينها السيد الدكتور جعفر علاوي، وقال علاوي في حديث متلفز، تابعه الموقع الرسمي للعتبة الحسينية، "انا قمت بزيارة واوصلت رسالة إلى المرجعية الكريمة عن طريق ممثل المرجعية في كربلاء المقدسة، واستجابت له المرجعية الدينية في النجف الأشرف مشكورة، حيث قدمت لنا مساعدة كبيرة بإيقاف صلاة الجمعة، بالإضافة لاجراءات أخرى، أما

التزام المواطنين فيعتمد على ثقافة الفرد وتقديره للمرض ووضعة العائلي، ولكن ما حصلنا عليه من التزام من قبل ممثل المرجعية في كربلاء و الاخوة في النجف مشكورين عليه، ومشكورة المرجعية عليه، وهذا نعتبره نجاحا كبيرا"، وأضاف أننا "وجهنا اوامر الى شعبة الامراض الفيروسية في وزارة الزراعة لدراسة موضوع الحصول على لقاح وبدأ العمل به عبر تجارب على الحيوانات"، مشيراً إلى أن الوزارة "تستعين بكوادر عراقية لإيجاد لقاح ضد (كورونا) يستخدم ايضاً لحالات الشفاء لمنع عودة المرض اليهم"، مبينا أن "العراق يستخدم علاجاً ضد مرض الايدز والملاريا، وقد ثبت نجاح استخدامه ضد حالات مصابة بكورونا وهو مرخص من قبل منظمة الصحة العالمية".

- مرحلة العمل: -

وعند تزايد اعداد المصابين والاشخاص الملامسين لهم ونتيجة عدم توفر البنية الملائمة في المستشفيات الرئيسية للتعامل مع عدد الاصابات الكبير قامت العتبة الحسينية بتخصيص مدينة سيد الاوصياء ع.س والتي تعد ارقى مدينه عصريه متاحة بالعراق ومليئة بالخدمات الفندقية الممتازة بتسليمها تحت يد وزارة الصحة العراقية للتعامل مع الاشخاص الملامسين وتطبق عملية الحجر الصحي عليهم وهذا في تاريخ 19-3-2020، وبشكل متزامن فبعد قيام العتبة الحسينة بتسليم مدينتها مدينة سيد الاوصياء الى وزارة الصحة باشرت وحده الصيانة في العتبة الحسينية بالمساهمة في تاسيس خط انتاج كمامات face surgical لمواجهة ازمة الكمامات وشحتها في السوق العراقي خاصة بعد ارتفاع اسعارها محليا وعالميا لزيادة الطلب عليها حيث صرح مسؤول قسم الصيانة في العتبة الحسينية المقدسة، كريم الانباري، للموقع الرسمي للعتبة الحسينية، "أفتتحنا ورشة خاصة لخياطة الكمامات الطبية من اجل توزيعها على المواطنين مجانا".

وأضاف أن "العتبة الحسينية المقدسة وفرت القماش ومكائن الخياطة والكوادر العاملة، وتمت المباشرة بالعمل"، لافتا الى ان "الورشة ستنتج ما يقارب من 1000 الى 1500 كمامة يوميا"، وقال مهند ماهر، يعمل بإحدى الصيدليات في كربلاء، للموقع الرسمي، إن "كربلاء ومنذ أن بدأ المواطنون فيها

بالوقاية من فيروس (كورونا)، شهدت شحة بالكمامات الطبية وارتفعت اسعارها، مبينا ان توجه الجهات الحكومية أو العتبات المقدسة لصناعتها وتوزيعها سيساهم بسد النقص"، وفي تاريخ 21-3-2020 قامت العتبة الحسينية بالعمل على توزيع محصولها الزراعي التابع لمزارعها بشكل مجاني على هيئه سلاه غذائية الى العوائل الفقيرة حيث قام العراق بفرض حضر شامل للتجوال نتيجة تفشي فيروس كوفد 19 وفي ظل غياب المعونات الاجتماعية من قبل الحكومة العراقية وتاخر اقرار الموازنة العراقية وفي ظل ازمة ماليه خانقة على البلد لم يكن الا قيام العتبة الحسينية بالتبرع بمنتجاتها الزراعية بشكل مجاني وتخفيض المنتجات التي تباع من منافذ البيع بنسبه 50 % كمحاولة اسناد للمجتمع العراقي وعليه نجد ان الدور التي لعبته العتبة الحسينية والمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور كبير لم يقتصر على دور الارشاد والتوعية الدينية انما استخدام كافة المقدرات الموارد المتاحة لسد النقص ودعم العراق في ظل جائحة عالميه لم يواجه العراق مثيلها في الزمن الحديث .

وان دور التوعية الصحية والتثقيف في ظل جائحة كوفد 19 لم يقتصر على الناس السليمين بل شمل فئات ذوي الاحتياجات خاصة فئة الصم كما نعلم ان هذه الفئه مظلومة في العراق جدا ولم تجد هذه الشريحة من يصل اليها او يرشدها او يساعدها في ظل هذه الازمة الا ان احضان العتبة الحسينية

والمرجعية الدينية في النجف الاشرف كان لها دور كبير في عمل حملات توعيه خاصه بواسطه كواد مدربه للتعامل مع فئتي الصم والبكم وتوزيع الكمامات لهم بشكل مجاني وتقديم معونات اقتصادية لهم في ظل جائحة كوفد 19 .

وعند اقتراب العراق لإتمام 30 يوم من تفشي وباء كوفد 19 وبدء تسجيل العديد من الاصابات في مختلف المحافظات العراقية شعرت العتبة الحسينية بالعبء الذي تعاني منه وزارة الصحة العراقية قامت بعمل مهم جدا ولم يكن على طاري الحسابان وهو انشاء بما يعرف باسم مراكز الشفاء حيث قامت العتبة الحسينية وبجهود كوادرها الهندسية بإنشاء مراكز الشفاء في معظم المحافظات العراقية تباعا حيث خصصت هذه المراكز لعلاج المصابين بفيروس كوفد 19 وتم تزويدها بكافة المستلزمات الطبية لتسهيل تقديم الخدمة العلاجية من قبل وزارة الصحة للمصابين .

يشار إلى أن الطاقة الاستيعابية لمركز الشفاء للعناية والطوارئ، والذي يشيد على ارض معرض كربلاء الدولي سابقا، تبلغ 60 سريرا بواقع ردهتين أحدهما للرجال، والأخرى للنساء، وبمساحة بنائية تقارب الـ (1400) متر مربع، للعتبة الحسينية المقدسة الجهد الواضح في تقديم الدعم الكامل لوزارة الصحة ومؤسساتها في عدد من المحافظات، وخاصة في مواجهة جائحة (كورونا)، حيث سخرت جميع إمكانياتها للمساندة وعلى أكثر من محور.

من خلال المشرف العام على القطاع الصحي في العتبة الحسينية المقدسة الدكتور ستار الساعدي، نتعرف عليها حيث قال إن "العتبة المطهرة تعمل على تقديم الخدمة ومساندة جهود وزارة الصحة العراقية، وكذلك المحافظات وأبناء شعبنا من الكوادر الطبية والصحية، فقمنا بعدة محاور، مبينا ان المحور الأول تضمن توفير مستلزمات طبية لـ(١١) مستشفى فيه مرضى (كورونا) بمختلف محافظات العراق، وتزويدها بأكثر من ٣٠٠ ألف كف،

و١٠٠ الف كمامة، ٢٠ الف بدلة وقاية، بالإضافة إلى مستلزمات الوقاية الأخرى من محاليل وريدية وكذلك معقمات".

وأضاف "أما المحور الثاني فكان إنشاء ما يقارب (١٥٠) سرير إضافيا في كربلاء المقدسة، والنجف الأشرف، وبغداد (الكرخ والرصافة)"، لافتا الى أن "المهم في هذا الموضوع هو أن الإنشاء كان بجهود كوادر العتبة الحسينية المقدسة ولم نستعن بكوادر خارجية أو شركات".

وتابع أن "العتبة الحسينية المقدسة وفرت الضغط السالب لمنع نقل العدوى، وايضا بكوادرها في مدينة كربلاء وبغداد".

ونوه إلى أن العتبة وفرت (٣٠٠) سرير في مدينة الإمام الحسن (عليه السلام) للزائرين الواقعة على طريق (كربلاء المقدسة- النجف الأشرف) لتكون حاضرة، بالاضافة الى استخدام مدن الزائرين الأخرى للحجر الصحي".

وبين أن "كل هذا كان جزءا من مشروع تحت مظلة كبيرة، وخيمة كبيرة، فكل هذا الخير الذي نحن به هو بتوجيه المرجعية الدينية العليا".

يذكر أن العتبة الحسينية المقدسة كانت قد أفتتحت عدد من مراكز الشفاء للعناية والطوارئ في محافظة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف ومحافظة بغداد لدعم القطاع الصحي لمواجهة جائحة (كورونا)، كما وضعت مدن الزائرين العصرية التابعة لها وهي كل من مدينة سيد الاوصياء، ومدينة الإمام الحسين، ومدينة الإمام الحسن (عليهم السلام) تحت تصرف وزارة الصحة لجعلها اماكن للحجر الصحي للملامسين والوافدين، فضلا عن قيام عدد كبير من أقسامها ومراكزها والمؤسسات التابعة لها بدعم العوائل المتعففة وتوفير السِلال الغذائية وتعفير المناطق.

- **موقف منظمة الصحة العالمية من المرجعية الدينية في ظل جائحة كورونا**

منذ ظهور جائحة (كورونا) ووصولها للعراق، وإصدار المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني عدة توصيات بهدف الحد من إنتشار الفيروس والمحافظة على حياة المواطنين، عمدت المنظمات الدولية إلى تلك التوصيات في تسهيل عملها لمكافحة الفيروس، وقال الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق جينين هينيس بلاسخارت في رسالة للشعب العراقي، أطلع عليها الموقع الرسمي، إنه "هنا أودّ أن أتذكر الكلمات الحكيمة لآية الله العظمى السيد علي السيستاني، والذي حثّ العراقيين على إطاعة النصائح الطبية بشأن التباعد الجسدي وعدم التجمع بأعداد كبيرة، حيث يرتفع جداً خطر إصابة الأشخاص بالعدوى ونشر فيروس (كورونا)".

وتابعت "أوكد مرة أخرى، يجب تجنب جميع التجمعات الرياضية والثقافية والدينية أو غيرها من التجمعات من أجل احتواء الانتشار السريع لهذا الفيروس"، إلى ذلك، قال ممثل منظمة الصحة العالمية، مدير مكتب العراق الدكتور أدهم إسماعيل، في مؤتمر صحافي عقب لقاءه ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي، "نشكر المرجعية الدينية العليا ادامها الله لنا وحفظها، فهي منبر ومرجع نسترشد دائما بكلامها سواء كنا نعمل بأي مجال كان"

وأضاف "وأنا خارج من زيارة ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي، كلي أمل وتفائل، فإذا كانت مرجعياتنا والقمم الدينية لديهم هذا الإحساس العالي بالصحة وأهميتها، إن شاء الله العراق سيصبح في مكان أفضل"، وتابع أن "الحل الوحيد لتجاوز الأزمة الحالية والحد من أنتشار (كورونا) هو الإلتزام باجراءات وزارة الصحة والحكومة العراقية، وكذلك السماع الشديد لحكمة المرجعيات لأن لديهم الحكمة والتوصيات المهمة، وأنا

أشكر المرجعية العليا على مساندتها للقطاع الصحي بشكل مكن لنا بسهولة إصدار القرارات والتنقل بين المحافظات، حيث كنا نذهب للمواطنين بهدف إقناعهم بالإجراءات، لكننا نجدهم مقتنعين بالفعل من خلال توجيهات المرجعية العليا التي يستمعون إليها"، وفي أعقاب أنتهاء زيارة النصف من شعبان المباركة، أصدرت منظمة الصحة العالمية في العراق بيانا أشادت بجهود المرجعية الدينية العليا في العراق وثمنت حثها للمواطنين على اتباع التعليمات الصحية من اجل انقاذ الارواح من خطر (كوفيد 19).

وقال ممثل المنظمة في العراق ببيان إن "المرجعيات الدينية في النجف وكربلاء والكاظمية على وجه التحديد تدعم تعليمات منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة و تؤكد على أهمية البقاء في المنزل، وتجنب التجمعات، والالتزام بالتباعد الاجتماعي لتجنب الضرر غير المقصود الناجم عن نقل المرض"، وأضاف أن "منظمة الصحة العالمية تشكر استجابة المرجعية الدينية العليا في العراق وتقدر دعمها لجهود السلطات الصحية لاحتواء انتشار (COVID-19) في العراق".

وكان مكتب المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، قد اصدر في ٢٣ آذار/ مارس الماضي، بيانا تضمن اجابات لبعض الأسئلة بشأن فيروس (كورونا) جاء من ضمنها عدة توصيات ومنها (الحذر اللائق بحجم هذا الوباء من غير هلع واضطراب والأخذ بأتمّ اسباب الوقاية والعلاج منه وفق ما يقرره اهل الاختصاص بعيداً عن الاساليب غير العلمية)، وكذلك (بالعمل على توعيه الآخرين بمخاطر الاستهانة بهذا الفيروس وحثّهم على الالتزام بالتوجيهات الصادرة من الجهات المعنيّة وعدم التخلّف عنها)

وباشرت العتبة بتاريخ 4/24 /2020 بالعمل على انشاء مركز الشفاء 2 في محافظة النجف الاشرف حيث استغرق انشاء هذا المستشفى الميداني مدة 20 يوما لافتتاحه وتسليمه الى وزارة الصحة العراقية، بتوجيه من ممثل المرجعية الدينية العليا، والمتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، باشرت الملاكات الهندسية والفنية التابعة لقسم المشاريع الهندسية والفنية في العتبة المطهرة، ببناء مستشفى بردهات منعزلة لتعزيز دور الملاكات الصحية في خط الصد الاول بمستشفى الحكيم العام في محافظة النجف الاشرف.

وبتاريخ 2020/5/18 تفتح العتبة الحسينية مركز الشفاء 3 في مستشفى الفرات للعزل في بغداد حيث تم افتتاحه كمركز طبي يكون ملحق لمستشفى الفرات التي كانت في وقتها تعد المستشفى الوحيدة الخاصة بعزل المصابين بفيروس كوفد 19 في قاطع الكرخ في بغداد، افتتاح مركز الشفاء 4 في بغداد كمبنى ملحق لمستشفى ابن الخطيب التي خصصت لعزل المصابين بفيروس كوفد 19 في قطاع الرصافة في بغداد وتم انجاز مركز الشفاء 4 بمدة قياسية وهي 35 يوم فقط وبجهود هندسيه عراقية وتم تسليمه لمستشفى ابن الخطيب لتعالج به المصابين بفيروس كوفد 19 حيث شهد العراق نقص في اسره المستشفيات وعدم وجود طاقة استيعابيه لاستقبال المصابين ومن هنا ظهر دور المرجعية الحكيمة بتوفير وتجهيز مراكز لعلاج المصابين وتسليمها لوزارة الصحة العراقية .

وفي بيان بتاريخ 2020/6/4 اصدرته العتبة الحسينية تعلن عن نيتها انشاء 5 مراكز اخرى في كل من محافظات البصرة سعة (80) سريرا، ذي قار سعة (60) سريرا، واسط سعة (60) سريرا، الديوانية سعة (60) سريرا، وفي ديالى سعة (60) سريرا ايضا".

ان من المخاطر التي واجهت العراق في ظل جائحة كوفد 19 هو الجشع حيث قام الكثير بمحاولة استغلال الامر لصالحهم بشكل بشع للغاية فبعد تطبيق العراق بروتكول علاجي يوجد به التبرع ببلازما المتعافين لا جل المساعده في عملية شفاء المرضى الا ان الكثير من المتعافين قام برفض التبرع بالبلازما الا بمبالغ مالية تجاوزت سعرها 4000 دولار امريكي لكيس بلازما وهذا الامر لم يتم السيطرة بالرغم للنداءات الإنسانية التي وجهتها وزارة الصحة العراقية الا ان المرجعية الدينية قامت بالتشجيع على التبرع بالبلازما وتحريم المتاجرة بها علنت شعبة التبليغ الديني في العتبة الحسينية المقدسة، عن تشكيل لجان خاصة لحث المتشافين من جائحة (كورنا) للتبرع ببلازما الدم في محافظة البصرة، لاستخدامها لأغراض العلاج واخذ 80 متبرع وذلك بتاريخ 2020/6/24

بعد انشاء المزيد من مراكز الشفاء في بغداد وصلاح الدين والمثنى تقوم العتبة الحسينية

جهود استثنائية، تمكن أحد مقاتلي لواء علي الأكبر (عليه السلام) التابع للعتبة الحسينية المقدسة من صناعة روبوت يعمل على حماية خطوط الصد الأول من ملامسة المصابين بشكل مباشر، وفيما يقوم الروبوت بنقل ايعازات الكوادر الطبية بالصوت والصورة الى المريض.

وقال المقاتل مصطفى داخل أحد منتسبي اللواء، إن "هذا الروبوت حلقة وصل بين الطواقم الطبية والمصابين، اذ ينقل توجيهات وتعليمات الأطباء إلى المصابين من خلال الصوت والصورة، فضلا عن تقديمه الطعام والمستلزمات الطبية والعلاجات للمرضى".

وبين أن "الروبوت دخل الخدمة وأثبت نجاحا كبيرا رغم بساطة المواد التي صنع منها، إذ صنع بجهود ذاتية وبوقت قياسي وبكلفة واطئة كما يمتاز بسهولة حمله ونقله بين الغرف والتحكم به عن بعد عن طريق (الريموت كنترول) ومن المؤمل تطويره ليكون قادرا على قياس درجة حرارة المصابين".

يذكر أن لواء علي الأكبر (عليه السلام) التابع للعتبة الحسينية المقدسة، يبذل جهودا كبيرة لمواجهة جائحة (كورونا) منذ وصولها إلى العراق من خلال القيام بحملات التعفير وتقديم السِلال الغذائية للفقراء والمحتاجين وإيصال الأوكسجين للمستشفيات.

وبعد انتقال الوباء وتفشيه في عموم المحافظات العراقية ووصلوه الى محافظة الانبار غربا وبتاريخ 2020/8/11 أعلنت العتبة الحسينية المقدسة، عن انشاء مركز الشفاء في قضاء الرمادي محافظة الانبار بسعة 150 سرير لدعم جهود وزارة الصحة والمحافظة في مواجهة فيروس كورونا.

قال رئيس قسم المشاريع الهندسية في العتبة الحسينية المهندس حسين رضا مهدي في تصريح صحفي، إن "كوادرنا توجهت لمحافظة الانبار لغرض انشاء مركز متطور للشفاء لدعم وزارة الصحة في جهودها لمواجهة جائحة (كورونا) وذلك بتوجيه من قبل ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي".

وأضاف أن "كوادرنا استلمت الارض المخصصة لانشاء مركز الشفاء لمصابي كورونا وبالتنسيق مع دائرة الصحة في محافظة الانبار"، مبينا أن " الارض بمساحة (3) دونم في منطقة 7 كيلو في الانبار ".

وتابع أن "المركز سيكون بسعة (150) سرير، (4) منها مخصصة لغسيل الكلى، بالاضافة الى اسرة خاصة بالعناية المركزة، كما اعد وفق تصاميم متطورة ووفق المعايير العالمية"، مبينا أن "المركز يحتوي على نظام الضغط السالب، بالاضافة الى منظومة اوكسجين متكاملة وحديثة".

إلى ذلك، قال مدير عام صحة الانبار الدكتور خضير خلف شلال في بيان اطلع الموقع الرسمي عليه، إن " المستشفى سيرفع العبء الكبير عن محافظة الانبار لاسيما المرضى الذين يعانون من أمراض انتقالية، حيث يتسع 150سرير ويكون مخصصا للأمراض الوبائية".

وأضاف أن "هذه المبادرة جاءت لدعم جهود وزارة الصحة في مواجهة جائحة (كورونا)"، لافتا إلى أن "اللجنة المشرفة على إنشاء المراكز التابعة للعتبة الحسينية المقدسة أرتأت أن تكون سعة المركز (150) سرير وعلى مساحة (3) دونم في المحافظة".

وبحسب البيان، شكر مدير عام صحة الانبار، العتبة الحسينية قائلاً انه "ليس بجديد على العتبة الحسينية المقدسة أن تتعامل بشكل واحد مع جميع العراقيين"

5. دور هيئة الحشد الشعبي في تعزيز الامن الصحي في العراق في ظل جائحة كورونا

- دفن ضحايا جائحة كورونا

قد يضن الانسان ان اكثر مصيبه قد تلحق به هو فقدان احد الاعزاء عليه ولكن هنالك ماساه اكبر من هذه حدثت بالعراق حيث سادت حاله من الخوف والذعر عند وفاة شخص ما بفيروس كورونا فلا يوجد شخص من اسرته يأخذه يكفنه او يغسله لا قامة مراسيم دفنه فيما بعد ، كما رفضت جميع المقابر بالعراق تلقي جثث ضحايا كوفد 19 خاصة بعد اصدار وزارة الصحة الى ضوابط الدفن وفق المعايير الصحية المقاربة لشروط دفن ضحايا فيروس ايبولا.

الا ان في ظل هذه المأساة حيث ظهر الدور الانساني العظيم الذي لعبته كل من معاونية شؤون الشهداء والمقاتلين / مديرية الطبابة في هيئة الحشد الشعبي وبالتعاون مع فرقة الامام علي ع . س القتالية بقيادة الشيخ طاهر الخاقاني وبجهود تطوعية من المقاتلين وبميزانية ذاتيه بانشاء مقبرة جديده في

محافظة النجف الاشرف عرفت باسم مقبرة ضحايا كوفد 19 او مقبرة وادي السلام الجديدة حيث يتم تجهيز ودفن ضحايا كوفيد 19 وان العملية شملت جميع المتوفيين بفيروس كوفد 19 ممن لم يستطيعوا اهله دفنه او يتخوفوا من هذا الامر حيث قامت فرقة الامام علي القتالية وبالتعاون مع معاونية شؤون الشهداء والمقاتلين / مديرية الطبابة بنقل ودفن اكثر ((3658)) وهذا حتى تاريخ 2020/7/24 من ضمن المدفونين شخص سعودي الجنسية من مدينه الاحساء و 4 اشخاص مسيحين الديانة لان سياسة الحشد الشعبي وفرقة الامام علي القتالية بعدم التفرقه بين جميع الطوائف في العراق وان أي شخص يحتاج تلقي المساعدة من ضحايا كوفد 19 سيتم مساعدته بغض النظر عن جنسيته او دينه او طائفته

حيث تتم الية الدفن من ارسال اسعاف مخصص من قبل هيئة الحشد الشعبي / مديريه الطبابة تقوم بتعفير الجثة ونقلها من ثم الى محافظة النجف الاشرف ومن ثم تقوم فرقه الامام علي القتالية بأخذ الجثث من بوابة النجف وتقوم بتعفيرها مره اخرى ومن ثم نقلها الى مقبرة وادي السلام الجديدة حيث يتم هنالك حفر القبر وترتيب مراسيم الدفن وفق الشرعية الاسلامية من التغسيل والتكفين واقامة الصلاة على المتوفي ومن ثم دفنه وفق تعليمات وزارة الصحة العراقية، وفي تقرير نشرته جريدة العربي في بريطانيا بتاريخ 2020/8/8 حول تكريم ضحايا كوفد 19 من المسيح العراقيين

ويتحدث آري ساهاك ديرتال، وهو مسيحي أرمني يبلغ من العمر 33 عاما، عن الألم الذي لا يزال يشعر به منذ دفن والده يوم 1 يوليو. يقول "ذهبت على الفور إلى الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية في بغداد، لأنني كنت أعرف أن والدي يريد أن يدفن هناك، لكني فوجئت عندما قالوا إنهم لا يستطيعون دفنه هناك". فما كان منهم إلا أن توجهوا بالجثمان إلى "مقبرة كورونا". وفي الطريق إلى هناك، أجرى الابن بعض الاتصالات على عجل لمعرفة الصلوات التي يتعين عليهم تلاوتها أثناء الدفن. يقول إنه مازال يشعر بغُصَّة في حلقه لأن أحدا من الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية لم يرافقه لمواراة أبيه الثرى.

وعند وصوله إلى المقبرة، استقبله الشيوخ المسؤولون عنها، وأخبروه بأن والده يمكن أن يُدفَن في أي مكان. فقال لهم "أريد أن يكون قبر والدي بعيدا عن الآخرين. وبالفعل دفن على بعد كيلومتر من قبور المسلمين".

ويقول الابن إن متعهدي الدفن بذلوا قصارى جهدهم من أجل تكريم والده، وأرسلوا له شريط فيديو يوثق مراسم الدفن، حتى أن أحد أفراد الطاقم الطبي الشيعي كان يرتدي ملابس واقية ويشير بعلامة الصليب على جثة والده. وفي صورة نشرها المكتب الاعلامي الخاص بفرقة الامام علي القتالية تبين اقامت مراسيم الدفن والصلاة على الطريقة الإسلامية لمواطن سعودي الجنسية من مدينه الاحساء كما يظهر اسمه بالصورة ((محمد عبدالكريم حسين)) توفي نتيجة مضاعفات فيروس كوفد 19 بتاريخ 2020/7/5 بمقبرة وادي السلام الجديدة في محافظة النجف الاشرف، تم اختيار موقع المقبرة في مكان بعيد في ارض صحراوية خالية من المياه الجوفية في محافظة النجف الاشرف لدفن ضحايا كوفد 19 .

وهذه صور توضح عملية الدفن في مقبرة وادي السلام الجديدة من قبل سماحه الشيخ طاهر الخاقاني رئيس كتيبة الامام علي القتالية مع مديرية الطبابة في معاونية شؤون الشهداء والمقاتلين في الحشد الشعبي .

- **التعفير وتعقيم :-**

لم تتوانى هيئه الحشد الشعبي باستخدام كافة طاقاتها وقدراتها لإسناد الحكومة العراقية والشعب العراقي في مواجهة فيروس كوفد 19، حيث اقدمت فرقه العباس القتالية الواء 26 في هيئه الحشد الشعبي باستخدام طائرة بلا طيار محورة تبلغ مداها 10 الى 12 كم محملة بحمولة 25 كيلو جرام من المواد المعقمة التي تعمل على تعفير وتعقيم المباني والطرقات الحيوية في العراق.

كما قامت مديرية طبابة الحشد الشعبي في معاونية شؤون الشهداء والمقاتلين بتعفير المباني والدوائر الحكومية في كل من جانبي بغداد الكرخ والرصافة كما قامت الالوية التابعة لهيئة الحشد الشعبي بتعفير المباني السكنية في الاحياء الفقيرة في بغداد كالحرية والشعلة وغيرها من المناطق الاخرى في عموم محافظات العراق .

- **ازمة الاكسجين : -**

في ظل تفشي جائحه كوفد 19 في العراق وازدياد الازمة نتيجة لاحتياج كميات كبيره من الاكسجين السائل وقناني الاكسجين +ونتيجة لحدوث ازمة انسانيه كبيره في كل من بغداد والبصرة وذي قار نتيجة لنقص الاكسجين شرع الحشد الشعبي مديرية الشؤون الهندسية في مديرية الطبابة و مديرية المعدات الفنية في الهيئة الى الاعداد لإنتاج معامل اكسجين بسرعه وبشكل ميداني لمكافحة الازمة الناتجة عن نقص الاكسجين الطبي في المستشفيات وقامت بالعمل عل انشاء منظومة سميت بمنظومة قادة النصر لإنتاج الاكسجين

حيث قامت منظومة قادة النصر التي تم تركيبها في محافظة ذي قار وفق لتصريح مديرية اعلام هيئه الحشد الشعبي بانتاج 3000 الف قنينة يوميا توزع مجنانا الى المؤسسات الصحيه لمواجهة النقص الحاصل في امدادات الاكسجين وقد صرح قائد شرطة البصره الفريق رشيد فليح ان "المنظومة التي تنتج يوميا

1500 قنينة لتزويد البصرة وذي قار والمثنى بالاوكسجين دليل على التلاحم بين الحشد الشعبي والمواطنين".

- **حملة وعي :-**

قامت مديرية الاعلام بالحشد الشعبي وبالتعاون مع مديرية الطبابة باطلاق حملة وعي وقد تم اطلاق هذه الحملة على مرحلتين الاولى كانت عند تسجيل اولى الاصابات بالعراق والجزء الثاني من الحملة كانت بعد اعلان حظر التجوال الشامل في العراق 19-3-2020 حيث كانت ترتكز الحملة على عده محاور

- التوعية والتثقيف .
- حملات التعقيم والتعفير للمؤسسات الحكومية بالتعاون مع الدفاع المدني مع تعفير كافة الاحياء السكنية الفقيرة والمقرات العسكرية في عموم المحافظات العراقية .
- انتاج الكمامات الجراحية بشكل مجاني .
- وتوزيع المعقمات بشكل مجاني للأسر الفقيرة .

ومن ثم برز دور جديد للحشد وهو انشاء مستشفيات ميدانية لمرضى كوفد 19. مستشفى الشهيد القائد ابو مهدي المهندس في محافظة كربلاء حيث تم الحديث من قبل مدير المستشفى دكتور ظافر فاضل بتاريخ 2020/6/20، وقال مدير المستشفى الدكتور ظافر فاضل لـ /المعلومة/، ان "مستشفى الشهيد

القائد ابو مهدي المهندس استقبلت منذ دخولها الخدمة الفعلية قبل اسبوع تقريبا من 60 الى 70 مصابا بفيروس كورونا، بينما يرقد فيها الان 26 مصابا فقط بعد ان اكتسب المتبقين الشفاء التام"، واضاف فاضل ان "المستشفى يستقبل المصابين عن طريق مدينة الامام الحسين (ع) الطبية التي تقوم بتصنيف المرضى وارسالهم للمؤسسات الصحية التي تحت تصرفها سواء في مدينة الزائرين او مستشفى الشهيد ابو مهدي او بقائه في ردهات الحميات لديها، وقال محافظ كربلاء نصيف الخطابي في مؤتمر صحافي حضرته (المستقلة) على هامش الافتتاح، إن "الفياض أفتتح المستشفى بسعة أكثر من 100 سرير والذي تم إنشاءه من قبل هيئة الحشد الشعبي في المحافظة، وبالتعاون مع الحكومة المحلية "، وأضاف إن "المستشفى يضم اقسام الاشعة والسونار وردهات للعمليات دخل الخدمة، ويساهم في دعم المؤسسات الصحية في كربلاء لمكافحة فايروس كورونا.

وبتاريخ 2020/6/29 تم افتتاح مركز الشهيد القائد ابو مهدي المهندس لعلاج مصابي كوفد 19 في محافظة بغداد في المنطقة الخضراء حيث تم تجهيز المركز بأحدث المعدات الطبية والكوادر الطبية المتخصصة .

افتتحَ وزير الصحة والبيئة، مركز الشهيد القائد ابو مهدي المهندس في بغداد الخاص بمعالجة المصابين بفيروس كورونا، بسعة 100 سرير، كما صرح

وزير الصحة العراقي حسن التميمي مركز الشهيد القائد ابو مهدي المهندس، تم افتتاحه بمبادرة من هيئة الحشد الشعبي، وحسب توجيهات رئيس الوزراء الخاصة بدعم جهود الوزارة ومساندتها لمواجهة الجائحة، موضحا ان سعته 100 سرير و هو مجهز با حدث الأجهزة الطبية، مثنيا على جهود هيئة الحشد الشعبي بإنجازه في وقت قياسي لتعزيز امكانيات الوزارة لعلاج المصابين، مضيفا ان الوزارة داعمة لجميع مؤسساتها الصحية من اجل تطوير الخدمات والنهوض بواقع افضل، بما يضمن صحة المواطنين وتنفيذ احتياجات الملاكات العاملة لتحسين الاداء وتقديم افضل الخدمات للمرضى، مشيدا بجهود خط الصد الاول وما يقدمونه من خدمات نوعية ومميزة للمرضى مثبتين انهم يقاتلون من اجل الحفاظ على الانسانية وانقاذ حياة المواطن، وان يكون بلدنا خاليا من اي وباء .)) كما سيتم زيادة طاقة المستشفى الاستيعابية الى 200 سرير .

افتتاح المستشفى من قبل رئيس هيئة الحشد الشعبي السيد فالح الفياض والسيد وزير الصحة حسن التميمي والسيد مدير طبابة هيئة الحشد الشعبي الدكتور علي الخفاف .

وفي هذه اللحظة مزال العراق يكفح من اجل السيطرة في فيروس كوفد 19 حيث سجل العراق والى غايه هده اللحظة بتاريخ 2020/10/8

- عدد الاصابات الكلي 394566
- عدد الحالات تحت العلاج الان 61068
- عدد الحالات الراقدة في العناية المركزة 524
- عدد حالات الوفيات الكلية 9683

جمهورية العراق
وزارة الصحة/ البيئة
دائرة الصحة العامة

Republic of Iraq
Ministry of Health \ Environment
Public Health Directorate
فه رمانگه ی نه ندروستی گشتی

الموقف الوبائي اليومي لجائحة كورونا المستجد
في العراق 8 تشرين الأول 2020

عدد الفحوصات المختبرية ليوم 8 تشرين الأول	20576
عدد الفحوصات المختبرية الكلية	2439828

الشفاء		الاصابات الجديدة		الوفيات	
بغداد الكرخ	705	بغداد الكرخ	866	السليمانية	23
بغداد الرصافة	618	بغداد الرصافة	558	بغداد الكرخ	9
الديوانية	391	أربيل	281	واسط	7
البصرة	383	دهوك	265	كركوك	6
واسط	237	السليمانية	247	البصرة	6
ميسان	170	واسط	234	بغداد الرصافة	4
دهوك	162	ديالى	162	أربيل	4
كركوك	152	نينوى	160	دهوك	4
ديالى	151	كركوك	123	ذي قار	3
ذي قار	148	البصرة	115	نينوى	3
نينوى	145	كربلاء	92	النجف الأشرف	2
النجف الأشرف	133	صلاح الدين	79	ميسان	2
بابل	121	الديوانية	78	المثنى	2
مدينة الطب	120	ميسان	71	كربلاء	1
أربيل	105	مدينة الطب	55	بابل	1
صلاح الدين	81	بابل	46	الديوانية	1
السليمانية	71	الأنبار	36	صلاح الدين	1
كربلاء	69	ذي قار	27	مدينة الطب	
المثنى	47	المثنى	14	ديالى	
الأنبار	22	النجف الأشرف	13	الأنبار	
المجموع	4031	المجموع	3522	المجموع	79

عدد حالات الشفاء الكلي	323815 (82.1 %)
عدد حالات الإصابات الكلي	394566
عدد الحالات التي تحت العلاج	61068
عدد الحالات الراقدة في العناية المركزة	524
عدد حالات الوفيات الكلي	9683

الخاتمة

ان الازمة السياسية في العراق واهمال المجال الصحي قد اثرت بشكل كبير على سرعة احتواء فيروس كوفد 19 فلم يكن العراق جاهزا او مستعدا للتعامل مع مثل هكذا خطر عالمي ، وهذا درس مرير يجب ان نتعلم نه الكثير كيفية ترقية المؤسسة الصحية وتدريب كوادر مختصة على مواجهة الاوبئه وتوفير المزيد من اسرة ووحدات الانعاش التنفسي وغيره الاهتمام بتوفير احتياطي استراتيجي من مواد الوقاية والتي تعرف باسم PPE، ان العراق كاد ان ينجح في السيطرة على الوباء عند فرض حظر التجوال الكلي وغلق الحدود الا ان غياب المساعدات المجتمعية في العراق ادت الى خرق الحظر من قبل المواطنين وتوفير ضغط كبير ادى الى ازاله كافة القيود المفروضة في ظل تسجيل الالاف الاصابات الجيدة بشكل يومي

ان العتبة الحسينية قد اثبتت بانها ليست فقط مؤسسة دينية انما مؤسسة لها دور مهم جدا وايجابي في الشارع العراقي حيث ساهمت في اسناد الحكومة العراقية بتأسيس العديد من مراكز علاج كوفد وتوزيع السلات الغذائية وتخصيص العديد من مواقعها لأجل حجر الملامسين والمصابين بفيروس كوفد كما ظهر دورها في تقويم السلوك للمواطن العراقي حين انتشرت ظاهرت بيع بلازما المتعافين وقامت بتحريمه وتشجيع التبرع المجاني لبلازما المتعافين من اجل المساهمة في علاج المصابين.

ان هيئة الحشد الشعبي في العراق بالرغم من الضغوط السياسية والامنية والتحديات التي تواجهها حيث كانت الجهاز او المؤسسة الامنية الوحيدة التي لعبت دور انساني تطوعي في ازمة كورونا في العراق وقامت بتقديم كافة امكانياتها البشرية والمادية وبكل مديرياتها حيث قامت مديرية الاعلام بالتركيز على التوعية والتثقيف للمواطنين مع انتاج الكمامات والمعقمات بشكل مجاني على المواطنين قيام مديرية الطبابة بمعاونية شؤون الشهداء والمقاتلين بعلاج المصابين

والمساعدة بدفن ضحايا كوفد والمساهمة في حملات التثقيف والتوعية والتعقيم وانشاء مراكز العلاج الميدانية لمصابي كوفد 19 في المحافظات العراقية قيام الجهد الهندسي للحشد باستخدام الطائرات بلا طيار لتعفير المباني واستخدام مهارتهم الهندسية في انتاج معامل اكسجين ميدانية لسد النقص الحاصل جراء ازمة الاكسجين ، الجهد الجبار التطوعي لفرقة الامام علي القتالية بتخصيص مقبره خاصة بضحايا كوفد 19 في ظل رفض الاهالي والمقابر الباقية من استلام الضحايا حيث قامت الفرقة وبتوجيه من قائدها طاهر الخاقاني بتخصيص كافة امكانيات الفرقة لدفن الضحايا وبتطوع من منتسبيها .

عليه يجب على الحكومة المساعدة بتعزيز الدور المجتمعي لكل من العتبة الحسينية والحشد الشعبي لكي يكون لهم دور اكبر في مواجهة أي ازمة قد تواجه العراق ومساعده هاتين لمؤسسات ان يكون لها دور في اعادة اعمار العراق وممارسة مهام اقتصادية كبيره لتعزيز الامن القومي العراقي .

كما ارى عن على الحكومة العراقية اسناد مهمة اعادة الاعمار وعلاج مشاكل السكن الى كل من الحشد الشعبي والعتبة الحسينية مع العمل على المساهمة في انتاج العديد من معامل صناعه الادوية لمواجهة السيطرة الجنبية على السوق الدوائي ومحاولة دعمهم وتشجيعهم على الاستثمار في الصناعات الغذائية المهمة جدا في الامن الصحي والامن القومي وهو حليب الاطفال حيث يعاني الكثير من الاطفال بالعراق من مشاكل صحية تتعلق بالتغذية ولذلك يجب ان يتم توفير مصدر امن وذو تكلفة من منخفضه كل هذه الامور ستساعد من محاولة ترقي العراق الصحي والاقتصادي والامني مع تجنب كل الخلافات الادارية التي قد تنشئ بين كافة المؤسسات نتيجة لتقاسم النفوذ والوجود

المصادر والمراجع

1. الموقع الرسمي لمؤشر الامن الصحى العالمي www.ghsindex.org
2. الموقع الرسمي لهيئة الحشد الشعبي al-hashed.net
3. موقع العتبة الحسينية imamhussain.org
4. الموقع الرسمي لرئيس هيئة الحشد الشعبي لفالح الفياض
http://falihalfayyadh.com/onenews.php?id=140
5. موقع وزارة الصحة العراقية moh.gov.iq

ثالثاً : جائحة كورونا (COVID-19).. خيارات علاجية

محمد فتحي عبد العال(*)

مقدمة:

الفيروسات التاجية هي زمرة من الفيروسات التي تصيب الإنسان والحيوان على حد سواء[1]. سبعة فيروسات من هذه المجموعة بإمكانها نشر العدوى بين البشر حول العالم ولكن أربعة منها تجلب أعراضا بسيطة وهي[2]: E,NL63,OC43 and HKU1229 . أما الثلاثة الأخطر ضمن هذه السلالة فأولها المسئول عن متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (SARS) والذي ظهر بالصين عام 2003 ويليه المسئول عن متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) والتي ظهرت بالمملكة العربية السعودية عام 2012 وآخرها كوفيد - 19 الذي يجتاح العالم حاليا[3].

وقد أعلنت اللجنة الدولية لتصنيف الفيروسات تسمية " فيروس كورونا 2 المسبب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم " (SARS-CoV-2) اسماً رسمياً للفيروس الجديد في 11 شباط/فبراير 2020. واختير هذا الاسم لارتباط

(*) ماجستير الكيمياء الحيوية جامعة الزقازيق، رئيس قسم الجودة بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية بمصر سابقاً.

(1) WHO Q&A on coronaviruses (COVID-19) July 2020.Available at https://www.who.int/news-room/q-a-detail/q-a-coronaviruses.

(2) Ahmad S, Hafeez A, Siddqui SA, Ahmad M, Mishra S. A Review of COVID-19 (Coronavirus Disease-2019) Diagnosis, Treatments and Prevention. EJMO 2020;4(2):116–125.

(3) Singhal, T. A Review of Coronavirus Disease-2019 (COVID-19). Indian J Pediatr (2020). https://doi.org/10.1007/s12098-020-03263-6.

الفيروس جينياً بفيروس كورونا الذي سبب فاشية متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس) في عام 2003. غير أن الفيروسين مختلفان رغم ارتباطهما الجيني. وأعلنت المنظمة بدورها أن "كوفيد-19" هو الاسم الرسمي لهذا المرض الجديد في 11 شباط/فبراير 2020.

يصيب الفيروس المستجد الجميع صغارا وبالغين ولكن تتفاوت درجات خطورة الإصابة تبعا للعمر فكلما زاد العمر زادت الخطورة وبحسب مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) فالفئات الأكثر خطورة هي أصحاب الأمراض المزمنة (الكلى-الكبد - أمراض المناعة-السمنة - القلب-الأنيميا المنجلية) ومرضى الربو وضغط الدم ومرضي السكري من النوع الأول والثاني وحالات الحمل والمدخنين ونزلاء دور المسنين والأطفال المصابين بأمراض جينية أو عصبية أو وظيفية [1].

وينتقل فيروس كوفيد عن طريق الرذاذ الصغير الذي يخرج من أنف أو فم المصاب بالعدوى عند التحدث أو العطس والسعال وأضيف إلى ذلك الهواء مؤخرا وعن طريق العين حيث حذرت دراسة من كلية الطب جامعة جون هوبكنز بالولايات المتحدة من أن الدموع الملوثة بالفيروس قد تكون مصدرا للعدوى وقد علل الباحثون ذلك بامتلاك العين لمستقبلات ACE والموجودة بالرئتين أيضا والتي يستهدفها الفيروس مما يصيب مرضى كورونا بتهيجات العين والتهاب الملتحمة وأن مسحات العين قد دللت على وجود الفيروس في العين لمدة 27 يوما بعد الأعراض الأولية للإصابة بالمرض ويأتي في المرتبة الأخيرة البراز ويعرف ذلك بـFecal oral transmission وذلك وفقا لملاحظات المركز الصيني للسيطرة على الأمراض والوقاية منها من وجود

---

(1) Center for disease controle and prevention, corona virus disease 2019 (COVID-19). https://www.cdc.gov/coronavirus/2019-ncov/symptoms-testing/symptoms.html.

الفيروس ببراز مرضى كورونا وهو ما اعتبروه أمرا طبيعيا حيث من الممكن أن يبتلع الشخص لعابه الملوث بالفيروس فيدخل للمعدة والأمعاء ومنها للبراز. ويستغرق الوقت بين التعرض وظهور الأعراض ما بين يومين و14يوما، بمتوسط خمسة أيام.

وتشمل الأعراض الشائعة : الحمى والسعال والعطس وآلام الحلق وضيق التنفس والصداع وأوجاع الجسم والعضلات وفقدان حاستي الشم والتذوق وقد تؤدي إلى أعراض أكثر تعقيدا كالالتهاب الرئوي مؤخرا أضاف مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها الأمريكي (CDC) ثلاثة أعراض جديدة هي سيلان الأنف أو الاحتقان والإسهال والغثيان(1,2,4).

لا يوجد علاج محدد حتى الآن للفيروس كما تجري الاختبارات على قدم وساق من أجل الوصول إلى لقاح يوفر الحماية للبشرية من هذا الفيروس. وتتركز الجهود الحالية على تنمية الثقافة المجتمعية تجاه مجموعة من التدابير الاحترازية ومنها غسيل اليدين بالماء والصابون والحفاظ على مسافة متر فأكثر من الغير وعزل المشتبه في إصابتهم لمدة أربعة عشر يوما.

فضلا عن تعزيز المناعة عبر الغذاء الصحي المتوازن الغني بالعناصر الغذائية والفيتامينات ويحتل فيتامين (سي) وفيتامين (د) والزنك قائمة الأدوية المفضلة لهذا الغرض. يتوافر فيتامين (سي) في مصادر طبيعية كالحمضيات والتوت والطماطم والفلفل والبروكلي والسبانخ [1].

بحسب موقع مايو كلينيك الشهير فالجرعة اليومية الموصى بها من فيتامين سي للبالغين الرجال 90ملجم وللسيدات البالغات 75 ملجم على ألا تتجاوز

---

[1] Mayo Foundation for Medical Education and Research (MFMER).Vitamin C. Available at https://www.mayoclinic.org/ar/drugs-supplements-vitamin-c/art-20363932.

2000ملجم يوميا حيث تؤدي الجرعات العالية منه إلى الإسهال والغثيان والقيء وحرقة المعدة والصداع والأرق وتكون حصوات على الكلى.

أما فيما يخص الزنك وهو يتوفر طبيعيا في الدجاج واللحوم الحمراء كما يتوافر في البقوليات كالعدس وفي المكسرات كالكاجو وبحسب نفس الموقع فالجرعة الموصى بها من الزنك للبالغين من الرجال 11 ملجم وللسيدات 8 ملجم على ألا تتجاوز الجرعة اليومية 40 ملجم[1].

أما فيما يخص فيتامين (د) ففي دراسة أمريكية أولية بجامعة نورث ويسترن وجدت علاقة بين مستوى فيتامين (د) ومعدلات الوفيات جراء كوفيد-19 وبحسب الدراسة فالأشخاص الذين لديهم مستويات أعلى من فيتامين (د) كانت فرصهم في النجاة من مضاعفات كوفيد-19 اكثر وفرة بالمقارنة بمن لديهم مستوى منخفض من فيتامين (د) والذين كانوا الأكثر عرضة للوفاة ب كوفيد-19 ويربط الباحثون بين مستويات فيتامين (د) وعاصفة السيتوكين جراء نشاط الجهاز المناعي الزائد للمصابين بكوفيد 19 والتي تلحق ضررا بالغا بالرئتين والموت. قد تبدو الدراسات في هذا الصدد غير كافية الا أنه من المفيد أن نحافظ على نظام صحي يحتوي على فيتامين (د) والذي يتواجد في الأغذية الطبيعية مثل اللحوم والبيض والفطر والأسماك كالسلمون والسردين والماكريل إضافة إلى منتجات الألبان المدعومة بفيتامين (د) فضلا عن أهمية التعرض لضوء الشمس باعتدال حيث تصنع أجسامنا معظم فيتامين

---

[1] Mayo Foundation for Medical Education and Research (MFMER). Zinc. Available at https://www.mayoclinic.org/ar/drugs-supplements-zinc/art-20366112.

(د) من أشعة الشمس المباشرة على الجلد[1]، بحسب دراسة سعودية مشتركة مع جامعة بوسطن الأمريكية فانتاج فيتامين (د) من الجلد بعد التعرض لأشعة الشمس المباشرة خلال فصل الصيف يبدأ تدريجياً من الساعة الثامنة والنصف صباحاً ويصل لذروته عند الساعة 11:30 ويستمر إلى الثالثة ظهراً وأن الفترة ما بين 9:30 الى 11 صباحاً هي افضل الأوقات ولا ينصح بالتعرض للشمس مابين 12 إلى 3 ظهراً لان التعرض في هذا الوقت يكون ضارا نسبياً لشدة الحرارة واحتمالية إحداث تغيرات في كروموسومات خلايا الجلد مسببة السرطان[2].

يتم تشخيص الإصابة بالمرض عبر أخذ مسحة الحلق أو مسحة البلعوم الأنفي وإجراء تقنية الاستنساخ العكسي - تفاعل البلمرة المتسلسل (RT-PCR) (4).

وتعد تقنية الاستنساخ العكسي - التفاعل البوليميري المتسلسل أو-RT PCR إحدى أدق الأساليب المخبرية المستمدة من المجال النووي للكشف عن الفيروسات ومنها فيروس كورونا المستجد.

وتعتمد فكرة هذة التقنية علي عملية مضاعفة المادة الوراثية وتحديدا حمض (الدناDNA) وهي المادة الوحيدة القابلة للمضاعفة حيث يتم فك شريطي الدنا بعضهما عن بعض ثم تكوين شريط جديد أمام كل شريط قديم باستخدام انزيم البلمرة ثم يرتبطا ليصبح لدينا جزيئان من الحمض بدلا من جزء

---

(1) 3Ministry of Health - Bahrain.3-Your health matters to us .. and what is the truth and myth about Vitamin D?.Available at https://www.moh.gov.bh/Blog/Article/Details/43.

(2) Ahmad S, Hafeez A, Siddqui SA, Ahmad M, Mishra S. A Review of COVID-19 (Coronavirus Disease-2019) Diagnosis, Treatments and Prevention. EJMO 2020;4(2):116–125.

واحد ويتكرر هذا الإجراء عدة مرات مما يؤدي في النهاية إلى تضخيم وإكثار الجزء المطلوب دراسته من المادة الوراثية حمض (الدنا) مئات الآلاف من المرات. ويمكن عبر الأشعة المقطعية رصد علامات الالتهاب الرئوي [1].

1-ريمديسيفير (Remdesivir)

وقد طورته شركة جلعاد إثر تفشي فيروس إيبولا في غرب إفريقيا في الفترة من 2014 وحتى 2016. والريمديسيفير من مضادات الفيروسات نظيرة النوكليوتييدات مما يعرقل قدرة الفيروس ذو المحتوى من الرنا على الاستنساخ والتكاثر ويستخدم عن طريق الحقن بالوريد. كما وجد ان العلاج المبكر بالريمدسيفير يقلل من تكاثر الفيروس ومن الآثار السلبية على الرئة [2]. ويعمل الدواء في صورته النشطة ثلاثية الفوسفات و بشكل انتقائي تجاه البوليمرات الفيروسية بما يعني سمية أقل تجاه الإنسان.

ويتمتع بطول فترة نصف عمر داخل الخلايا مما يجعله يستخدم مرة واحدة يوميا وتبلغ الجرعة mg200 وريديا في اليوم الأول تليها جرعة وريدية يوميةmg100 في مدة حقن من 30-60دقيقةلمدة عشرة أيام [3].

---

[1] Velavan TP, Meyer CG. The COVID-19 epidemic. Trop Med Int Health. 2020;25(3):278–280. doi:10.1111/tmi.13383 https//:pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/32052514/.

[2] Sheahan TP, Sims AC, Leist SR, et al. Comparative therapeutic efficacy of remdesivir and combination lopinavir, ritonavir, and interferon beta against MERS-CoV. Nature communications. 2020;11(1):222.

[3] Sheahan TP, Sims AC, Graham RL, et al. Broad-spectrum antiviral GS-5734 inhibits both epidemic and zoonotic coronaviruses. Science translational medicine. 2017;9(396).

وقد أثبتت الجرعات اليومية الواحدة من هذا العقار فاعليتها لدى القرود الرايزيسية المصابة بكوفيد - 19حيث أدت الجرعات مرة واحدة يوميا إلى وقف التكاثر الفيروسي[1].

كما تشير بيانات معاهد الصحة الوطنية الأمريكية إلى فاعلية الريمديسيفير في إنقاص زمن التعافي من خمسة عشر يوما وحتى احد عشر يوما لدى مصابي كوفيد - 19.

وافقت منظمة الغذاء والدواء الأمريكية FDA علي استخدام الريمديسفير لمرضى كوفيد-19 في حالات الطوارئ وهي الحالات التي يعاني فيها المرضى من انخفاض مستويات الأكسجين في الدم او بحاجة لجهاز التنفس الصناعي[2].

وقد فشل العلاج في السابق مع فيروس ايبولا الا انه أثبت فاعلية ضد سارس وفيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية.

ومن الأعراض الجانبية له: زيادة مستويات إنزيمات الكبد وانخفاض ضغط الدم والغثيان والقيء والتعرق والرعشة وقلة مستوى البوتاسيوم والألبومين وقلة عدد كريات الدم الحمراء والصفيحات الدموية .

---

[1] Siegel D, Hui HC, Doerffler E, et al. Discovery and Synthesis of a Phosphoramidate Prodrug of a Pyrrolo[2,1-f][triazin-4-amino] Adenine C-Nucleoside (GS-5734) for the Treatment of Ebola and Emerging Viruses. Journal of medicinal chemistry. 2017;60(5):1648-1661.

[2] Warren TK, Jordan R, Lo MK, et al. Therapeutic efficacy of the small molecule GS-5734 against Ebola virus in rhesus monkeys. Nature. 2016;531(7594):381-385.

2ـالكلوروكين والهيدروكسي كلوروكين (chloroquine and hydroxychloroquine)

أظهرت التجارب الصينية للكوروكين بجرعة 500 ملجم عن طريق الفم مرتين يوميا فاعلية في تثبيط الالتهاب الرئوي وتحسين نتائج تصوير الرئة وسرعة التحول السلبي للفيروس. لكن الأعراض السمية للكلوروكين شجعت على استخدام الهيدروكسي كلوروكين . وقد أفادت بعض الدراسات إلى تأثير هيدروكسي كلوروكين 200ملجم عن طريق الفم كل 8ساعات في استئصال الفيروس[1].

كانت البداية لاستخدام هذا العقار عام 1955 للوقاية والعلاج من مرض البرداء او الملاريا وفي أمراض المناعة الذاتية مثل الذئبة الحمراء والتهاب المفاصل الروماتويدي طويل المدى. الآلية التي يعمل بها الهيدروكسي كلوروكين ليست معلومه بالشكل الكامل ولكن نظريا يتطلب دخول الفيروسات المغلفة في الخلايا اندماج الغشاء المحيط بالفيروس مع غشاء الخلية المصابة للسماح بإطلاق الجينوم الفيروسي في السيتوبلازم. وفي حالة COVID-19 فالفيروس يرتبط بمستقبلات للإنزيم المحول للأنجيوتنسين 2 (ACE2) على سطح الخلايا ثم يدخل الخلية مكملا رحلته المرضية حيث يستغل الخلية لتكون مصنع لاستنساخ ومضاعفة محتواه من الرنا الفيروسي . خطوة اندماج الأغشية الفيروسية والخلوية تحتاج إلى خفض الأس الهيدروجيني الحمضي في فجوة الليسوسوم للخلية ومهمة الهيدروكسي كلوروكين هي رفع الأس الهيدروجيني

---

(1) Gautret P., Lagier J.C., Parola P. Hydroxychloroquine and azithromycin as a treatment of COVID-19: results of an open-label non-randomized clinical trial. Int. J. Antimicrob. Agents. 2020 doi: 10.1016/j.ijantimicag.2020.105949.

وبالتالي يمنع الاندماج ودخول الفيروس للخلية. كما يثبط من إنتاج وتحرر السيتوكينات الضارة بالخلايا[1].

علاوة على ذلك، فقد أثبتت بعض الدراسات أن إضافة المضاد الحيوي أزيثروميسين (azithromycin) إلى الهيدروكسي كلوروكوين، يحسن كفاءة القضاء على السارس CoV-2 بشكل كبير.

ومن الأعراض الجانبية له صعوبات الرؤية والقراءة و اعتلال شبكية العين المرتبط بالجرعة حتى بعد التوقف عن استخدامه لذلك ينبغي فحص العينين بشكل دوري مع استخدامه وكذلك تغير تصبغ العين وفرط تصبغ الجلد والطفح الجلدي والدوار وفقر الدم وحب الشباب والكوابيس والاكتئاب إضافة إلى عدم الانتظام في ضربات القلب كما يقلل مؤقتا من عدد خلايا الدم البيضاء مما يزيد من فرصة الإصابة بالعدوى كما قد يؤدي إلى انخفاض نسبة السكر في الدم عند تناوله مع بعض الأدوية كما يزيد من سوء حالة كل من الصدفية والبرفيريا.

وقد أوقفت منظمة الصحة العالمية مؤخرا التجارب السريرية الخاصة باستخدام دواء الملاريا الهيدركسي كلوروكين مؤقتا وذلك لتقييم مدى سلامة استخدامه حيث اثبتت بعض الدراسات ارتفاع معدل الوفيات لدى المجموعات التي تلقت العلاج بالهيدركسي كلوروكين بنسبة 18‰ بالمقارنة بالمجموعة التي لم تعالج باستخدامه 9‰ فضلا عن دراسات أخرى تشكك في جدواه لعلاج حالات فيروس كورونا [2].

---

(1) Touret F, de Lamballerie X. Of chloroquine and COVID-19. Antiviral research. 2020;177:104762.

(2) Magagnoli J., Narendran S., Pereira F. medRxiv; 2020. Outcomes of Hydroxychloroquine Usage in United States Veterans Hospitalized With Covid-19. 2020.04.16.20065920

3ـفافيبيرافير (Favipiravir)

كانت المحطة الأولى لتجربة هذا العقار الياباني المضاد للفيروسات (فافيبيرافير favipiravir) والمعروف تجاريا ب(أفيجان Avigan) على كوفيد-19 في الصين ووافقت على استخدامه في التجارب السريرية حيث أحدث نجاحا في تحول نتائج مرضى كوفيد - 19 من إيجابي لسلبي في غضون أربعة أيام وبحسب الدراسة التي أجريت عليه في ووهان الصينية ونشرت بمجلة medrxiv العلمية فقد تضمنت نجاح العقار الياباني في تخفيف أعراض مرضى كورونا في فترة وجيزة : الحمى في 2.5 يوما والسعال في غضون 4.6 يوما [1].

يعمل (فافيبيرافير Favipiravir) بشكل انتقائي على منع انزيم بلمرة الرنا الفيروسي (viral RNA dependent RNA polymerase) دون المساس بالخلايا البشرية.. ويذهب البعض إلى قدرة الفافيبيرافير المفسفر(favipiravir-RTP) —وهي صورته النشطة— على إحداث طفرة عن طريق اندماجه بالخطأ باعتباره نيكلوتيده في الشريط المنسوخ من المحتوى الفيروسي مما يمنع دمج النيوكليوتيدات وبالتالي تعطل تضاعف الرنا الفيروسي.

أما فيما يخص الآثار الجانبية فلا يوجد معلومات كثيرة في هذا الصدد بحكم حداثة الدواء ولكن يحظر استخدامه تماما أثناء الحمل لاحداثه تشوهات على الاجنة بحسب بعض الدراسات التي أجريت على الحيوانات كما أنه قد يسبب أعراضا طفيفة مثل ارتفاع حمض اليوريك في الدم والأسهال وارتفاع انزيمات الكبد.

وقد استخدم هذا العقار في غرب أفريقيا لمكافحة فيروس إيبولا لكن فاعليته لم تكن على القدر المنشود ففي تجربة سريرية للتحقق من فاعليته

---

[1] Li G, De Clercq E. Therapeutic options for the 2019 novel coronavirus (2019-nCoV). Nature Reviews Drug Discovery 2020 Feb doi:10.1038/d41573-020-00016-0

ضد مرض فيروس إيبولا في غويكيدو، غينيا، خلال ديسمبر 2014 أظهرت النتائج الأولية انخفاضًا في معدل الوفيات في المرضى الذين يعانون من مستويات منخفضة إلى معتدلة من فيروس إيبولا في الدم ولكن خلا الدواء من التأثير على المرضى الذين يعانون من مستويات عالية من الفيروس وهم الأكثر عرضة لخطر الوفاة، كما أبدى (فافيبيرافير) فاعلية محدودة ضد فيروس زيكا في الدراسات على الحيوانات[1].

4- لوبينافير /ريتونافير (Lopinavir and Ritonavir)

وهو من مثبطات انزيم البروتياز في فيروس الإيدز. وقد تم تجربته فيما يتعلق بحالات كوفيد- 19 لكن مؤخرا توصل باحثون في جامعة أكسفورد الى نتائج تستبعد أي فائدة ذات مغزى لعقار لوبينافير وريتونافير في مرضى كوفيد 19. ذلك أن العقار لم يفلح في خفض معدل الوفيات، أو مدة الإقامة في المستشفى، أو خطر التعرض لجهاز التنفس الصناعي مما دعا منظمة الصحة العالمية لايقاف التجارب بشأنه لعدم الفاعلية[2].

5-نيتازوكسانيد (Nitazoxanide)

وهو من مضادات الطفيليات والإسهال . يمتلك نيتازوكسانيد فاعلية واسعة ضد الفيروسات في المختبر وتعود هذه الفاعلية لتداخله مع المسارات

---

(1) Furuta Y, Gowen BB, Takahashi K, Shiraki K, Smee DF, Barnard DL (November 2013). "Favipiravir (T-705), a novel viral RNA polymerase inhibitor". Antiviral Research. 100 (2): 446–54. doi:10.1016/j.antiviral.2013.09.015. PMC 3880838. PMID 24084488.

(2) WHO Q&A on coronaviruses (COVID-19) July 2020. Available at https://www.who.int/news-room/q-a-detail/q-a-coronaviruses

المنظمة لعملية التكاثر الفيروسي بالعائل[1]. فضلا عن كونه يزيد من إنتاج انترفيرون الفا وبيتا والتي تمنع تكاثر الفيروسات داخل الخلايا ومن ثم يقلل انتشار العدوى الفيروسية بين الخلايا . لذلك تجري الدراسات عليه لدراسة فاعليته في الانفلونزا والتهابات الجهاز التنفسي الحادة وذلك بجرعة mg600 مرتين يوميا عن طريق الفم مما أدى لتحسين الأعراض في يوم واحد بالمقارنة بالدواء الوهمي البلاسيبو. لكن على الرغم من النشاط المختبري المبشر لنيتازوكسانيد ضد SARS-CoV-2 الا أنه فشل في تقليل مدة البقاء بالمستشفى وكذلك في تقليل مدة الأعراض في المرحلة الثانية من التجارب السريرية بمرضي التهابات الجهاز التنفسي الحادة التي تسببها الفيروسات والتي تتطلب دخول المستشفى لتلقي العلاج[2].

6-توسيليزوماب (Tocilizumab)

توسيليزوماب هو من الاجسام المضادة وحيدة النسيلة (المونوكلونال monoclonal antibody) المنتجة في المختبر ويمتاز المحلول المضاد الوحيد النسيلة بكونه يعمل ضد مستضد معين (الانتيجين antigen) ويمكن إنتاجه بكميات كبيرة على عكس الأجسام المضادة الطبيعية في الدم والتي تشكل خليط من عدة أجسام مضادة تتفاعل مع كثير من المستضدات. ويستخدم لتثبيط مستقبلات انترلوكين- 6 والتي تفرزها macrophages and

---

(1) Rossignol JF. Nitazoxanide, a new drug candidate for the treatment of Middle East respiratory syndrome coronavirus. Journal of infection and public health. 2016;9(3):227-230.

(2) Haffizulla J, Hartman A, Hoppers M, et al. Effect of nitazoxanide in adults and adolescents with acute uncomplicated influenza: a double-blind, randomised, placebo-controlled, phase 2b/3 trial. The Lancet Infectious diseases. 2014;14(7):609-618

monocytes ضمن الاستجابات المناعية والأعراض المصاحبة لعاصفة السيتوكين السبب في معدلات الوفاة بكوفيد - 19[1]. وقد أحرز التوسيليزوماب نجاحا في علاج الحالات المستعصية في كل من الصين وإيطاليا.

والجرعة الموصى بها في الحالات الحرجة والشديدة من COVID-19 هي 4-8 ملجم لكل كجم أو 400 ملجم قياسي كجرعة وريدية واحدة مع خيار تكرار الجرعة خلال 12ساعة بحيث لا تتجاوز الجرعة الإجمالية 800ملجم[2].

ـالديكساميثازون :

توصلت دراسة بريطانية مؤخرا إلى أن عقار الديكساميثازون الذائع الصيت قد قلص معدلات الوفيات بين الحالات الحادة من مرضى كوفيد المحتاجين للعلاج بالاكسوجين بدرجة كبيرة. والديكساميثازون هو أحد الستيرويدات القشرية ويستخدم كمضاد للالتهاب عبر تثبيط حركة أحد الخلايا المناعية المعروفة بكريات الدم البيضاء متعددة النواة كما يعمل على تثبيط عمل البروستاغلاندين والسيتوكين الالتهابية وهي المسؤولة عن عاصفة السيتوكين المسببة لفشل التنفس مما يعني بارقة أمل لمرضى كوفيد الذين هم على أجهزة

---

(1) Zhou F ea. Clinical course and risk factors for mortality of adult inpatients with COVID-19 in Wuhan, China: a retrospective cohort study. Lancet. Published online 9 Mar 2020 . https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)30566-3.

(2) National Health Commission (NHC) of the People's Republic of China. The diagnosis and treatment guide of COVID-19 pneumonia caused by new coronavirus infection 7th Edition, published March 3rd, 2020. Translanted to English . http://www.gov.cn/zhengce/zhengceku/2020-03/04/content_5486705.htm

التنفس الصناعي[1]. ونظرا للأعراض الجانبية لاستخدام مستحضرات الكورتيزون ومنها الديكساميثازون فقد حذرت منظمة الصحة العالمية من تخزينه ومن الاستخدام العشوائي والخاطئ له وأن استعماله يجب أن يكون وفق دواعي طبية وتحت إشراف طبي ومن الآثار الجانبية لديكساميثازون : تثبيط المناعة والتعرض للإصابة بالأمراض المعدية وتشوش الرؤية وتورم الوجه والأطراف وزيادة سريعة بالوزن وبطء التئام الجروح وارتفاع السكر في الدم وارتفاع ضغط الدم وسرعة أو بطء نبضات القلب[2].

References

1. -Ahmad S, Hafeez A, Siddqui SA, Ahmad M, Mishra S. A Review of COVID-19 (Coronavirus Disease-2019) Diagnosis, Treatments and Prevention. EJMO 2020;4(2):116–125.
2. -Center for disease controle and prevention, corona-virus disease 2019 (COVID-19). https://www.cdc.gov/coronavirus/2019-ncov/symptoms-testing/symptoms.html.
3. -Furuta Y, Gowen BB, Takahashi K, Shiraki K, Smee DF, Barnard DL (November 2013). "Favipiravir (T-705), a novel viral RNA polymerase inhibitor". Antiviral Research. 100 (2): 446–54.

---

(1) Ahmad S, Hafeez A, Siddqui SA, Ahmad M, Mishra S. A Review of COVID-19 (Coronavirus Disease-2019) Diagnosis, Treatments and Prevention. EJMO 2020;4(2):116–125.

(2) NIH. COVID-19 Treatment guidelines. Available at. https://www.covid19treatmentguidelines.nih.gov/immune-based-therapy/immunomodulators/corticosteroids/ Last Updated: July 17, 2020.

doi:10.1016/j.antiviral.2013.09.015. PMC 3880838. PMID 24084488.

4. -Gautret P., Lagier J.C., Parola P. Hydroxychloroquine and azithromycin as a treatment of COVID-19: results of an open-label non-randomized clinical trial. Int. J. Antimicrob. Agents. 2020 doi: 10.1016/j.ijantimicag.2020.105949.
5. -Haffizulla J, Hartman A, Hoppers M, et al. Effect of nitazoxanide in adults and adolescents with acute uncomplicated influenza: a double-blind, randomised, placebo-controlled, phase 2b/3 trial. The Lancet Infectious diseases. 2014;14(7):609-618.
6. -Li G, De Clercq E. Therapeutic options for the 2019 novel coronavirus (2019-nCoV). Nature Reviews Drug Discovery 2020 Feb doi:10.1038/d41573-020-00016-0.
7. Magagnoli J., Narendran S., Pereira F. medRxiv; 2020. Outcomes of Hydroxychloroquine Usage in United States Veterans Hospitalized With Covid-19. 2020.04.16.20065920.
8. -Mayo Foundation for Medical Education and Research (MFMER).Vitamin C. Available at https://www.mayoclinic.org/ar/drugs-supplements-vitamin-c/art-20363932.
9. -Mayo Foundation for Medical Education and Research (MFMER). Zinc. Available at https://www.mayoclinic.org/ar/drugs-supplements-zinc/art-20366112.
10. -Ministry of Health - Bahrain. Your health matters to us .. and what is the truth and myth about Vitamin D?.Available at https://www.moh.gov.bh/Blog/Article/Details/43.

11. -National Health Commission (NHC) of the People's Republic of China. The diagnosis and treatment guide of COVID-19 pneumonia caused by new coronavirus infection 7th Edition, published March 3rd, 2020. Translanted to English . http://www.gov.cn/zhengce/zhengceku/2020-03/04/content_5486705.htm.
12. -NIH. COVID-19 Treatment guidelines. Available at. https://www.covid19treatmentguidelines.nih.gov/immune-based-therapy/immunomodulators/corticosteroids/ Last Updated: July 17, 2020.
13. -Rossignol JF. Nitazoxanide, a new drug candidate for the treatment of Middle East respiratory syndrome coronavirus. Journal of infection and public health. 2016;9(3):227-230.
14. -Sheahan TP, Sims AC, Leist SR, et al. Comparative therapeutic efficacy of remdesivir and combination lopinavir, ritonavir, and interferon beta against MERS-CoV. Nature communications. 2020;11(1):222.
15. Sheahan TP, Sims AC, Graham RL, et al. Broad-spectrum antiviral GS-5734 inhibits both epidemic and zoonotic coronaviruses. Science translational medicine. 2017;9(396).
16. -Siegel D, Hui HC, Doerffler E, et al. Discovery and Synthesis of a Phosphoramidate Prodrug of a Pyrrolo[2,1-f][triazin-4-amino] Adenine C-Nucleoside (GS-5734) for the Treatment of Ebola and Emerging Viruses. Journal of medicinal chemistry. 2017;60(5):1648-1661.
17. -Singhal, T. A Review of Coronavirus Disease-2019 (COVID-19) . Indian J Pediatr (2020). https://doi.org/10.1007/s12098-020-.6-03263

18. -Touret F, de Lamballerie X. Of chloroquine and COVID-19. Antiviral research. 2020;177:104762.
19. -Velavan TP, Meyer CG. The COVID-19 epidemic. Trop Med Int Health. 2020;25(3):278–280. doi:10.1111/tmi.13383 https//: pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/32052514./
20. Warren TK, Jordan R, Lo MK, et al. Therapeutic efficacy of the small molecule GS-5734 against Ebola virus in rhesus monkeys. Nature. 2016;531(7594):381-385.
21. -WHO Q&A on coronaviruses (COVID-19) July 2020, https://www.who.int/news-room/q-a-detail/q-a-coronaviruses.
22. -Zhou F ea. Clinical course and risk factors for mortality of adult inpatients with COVID-19 in Wuhan, China: a retrospective cohort study. Lancet. Published online 9 Mar 2020 . https://doi.org/10.1016/S0140-6736(20)30566-3.

المحور الرابع
الأمن المجتمعي العالمي وآليات تحقيق الأمننة

أولاً : مُضادّاتُ الهَشَاشَة الوَطَنيَّة مِنْ مَنْظورِ الأَمْنِ المُجْتَمَعِيِّ
(دراسَة فِي الارْتِبَاطَاتِ الاَمَنيَّةِ المُعاصِرَة لِمُناهَضَةِ مُسَبِّباتِ الهَشَاشَة)

م.م عليّ أحمَد عبْد مَرزوك

ثانياً : الأمن المجتمعي العالمي والأمننة

د. فراس عباس هاشم

أولاً : مُضادّاتُ الهَشَاشَة الوَطَنيَّة مِنْ مَنْظورِ الأَمْن المُجْتَمَعِيِّ
(دراسَة في الارْتِبَاطَاتِ الاَمَنيَّةِ المُعاصِرَة لِمُناهَضَةِ مُسَبِّباتِ الهَشَاشَة)

م.م عليّ أحمَد عبْد مَرزوك(*)

مُقدّمة

هزَّت جائحة كورونا (COVID-19)، كيان الحضارة الإنسانيَّة، وصدمَتْ وُجدانَها الأخلاقيّ، وفتحتْ نافذةً جديدةً للوعْي الكونيّ الأعمَق، في مختلَف مجالات الفِكر الأمنيّ المعاصر. ولو نظرْنا مِنْ نافذة فيروس كورونا (COVID-19)، لوجدْنا أنَّ التَّحوُّل باتِّجاه أمْن المجتمَع بدأ يأخذ أبعادًا جديدةً، غيرَ تقليديَّة، تحثّ على ضَرورة تَجفيف منابع الصِّراعات، والتَّوجُّه نحْو بِناء الدَّولة الوطنيَّة، ومُعالَجة أمراض الهُويَّة والهَشاشة، مِنْ مَنظورٍ أمنيّ مُعاصِرٍ؛ فقدْ أيقظ الفيروس وُجدانًا دَفينًا كانَ لا بُدَّ منْه، رافضًا الاستسلام للطّمأنينة، الَّتي تسيطِر عليْها سِياسات التَّسميم وحَواملها (الدّينيَّة، واللُّغويَّة، والقوميَّة...)، الَّتي مزَّقتْ شُعوبَنا بأيديولوجيّات، تُوظّف أدوارًا، وتستغلّ ثَقافات، بأدَوات متطرِّفة فرَّقتِ الأُسَر، وهدَمتِ البُيوت، وتركَتْ جِراحاتٍ لا يمكن تَضميدها بسهولة؛ هذه اليَقظة الَّتي لا بُدَّ منْها في دُوَل الصِّراع، تُفْصِح بالأدلَّة والبَراهين، عَنْ عَجْز المؤسَّسات الصِّحّيَّة، والاقتصاديَّة، والبيئيَّة، والبحثيَّة، عَنْ أداء أبسط مَهامِّها للحدّ مِن انتِشار ڤايروس كورونا، في تلكَ الدُّوَل.

ففي الوقت الَّذي تستَثمر فيه دُوَل العالَم المتقدِّم هذا الفيروس، ليكونَ فُرصةً فرديَّةً ومجتمَعيَّة للإنسانيَّة، وفُرصةً تاريخيَّةً - سياسيَّةً، لكسْب ثِقة المواطِنينَ، مِنْ خِلال تَعزيز ونشْر الوعْي الصِّحّيّ، تُساوِره قوَّة تَطبيق القانون،

(*) باحث دكتوراه/ قسم السياسات العامة/ كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين/العراق.

مِنْ حيْثُ الالتزامُ بما تطرَحه المؤسَّسات الصِّحِّيَّة مِنْ إرشادات وتَحذيرات، وصدور تَشريعات، تحدّ من انتشار الفيروس. ترزحُ منطقة الشَّرق الأوسَط تحتَ وطْأة الصِّراعات المسلَّحة والحُروب الأهليَّة، والاضطِراب المجتمَعيّ، وعدَم الاستِقرار السِّياسيّ، والمشاكِل الاقتِصاديَّة، وتَراجُع القُدُرات الأمنيَّة، بمختلَف أبعادِها، والَّتي تَعود جُذور مُعظمِها إلى أزمات، يَتداخل معَها فُقدان الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، مع فُقدان الدَّولة الوطنيَّة الصّانِعة للجَماعة الوطنيَّة، تحتَ مِظلَّة المشتَركات الثَّقافيَّة الوطنيَّة.

ولعلَّ هذه الهَشاشة الَّتي كشفتْ عنها جائحة كورونا (COVID-19) في دُوَلنا، تزيدُ مِنْ عُمْقِ الأزمة، مِنْ ناحيَة الثِّقة السِّياسيَّة بالدَّولة، وبمفهومِها في أذْهان النّاس، بخاصَّة أنَّ التَّداعيات ستكون خطيرةً بالنِّسبة إلى أولئك الَّذين يقَعونَ في خضَمّ الصِّراع؛ فقد تتعطَّل المساعَدات الإنسانيَّة، وتتراجَع عمليّات السَّلام، ويُؤخَّر أوْ يُصرَف أطْراف النِّزاع عَنِ الجُهود النّاشِئة أو الجارِية؛ وهذا ما يؤدّي إلى أزَمات جَديدة، أوْ يُفاقِم الموجود منْها، لذلك لا بُدَّ مِنْ يقظة لهزْم الغزْو الثَّقافيّ المسمَّم، والالتفات إلى الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، وبناء الدَّولة الوطنيَّة، بما تحْمل مِنْ قدُرات تقِف أمامَ المصير المستقبَليّ الغامِض، بما يحْمل مِنْ تَهديدات، كالأوبئة والكَوارِث، الَّتي تَطال الصِّراعات والحُروبَ الأهليَّة؛ وعلى ذلكَ، سنبيّن في هذا المحور مَفهوم الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، وعلاقتَه بالهُويَّة، وسنتناول أهم المدارِس الفِكريَّة الحَديثة الَّتي طوَّرت المفْهوم، فَضْلًا عَنْ اهْم مُهَدّدات هَذَا الأَمْن وَمَا اهْم التَّدابير والسّياسات الأَمْنيَّة المُعاصِرَة الَّتي تَعْمَلُ عَلَى مُناهضَة الهَشَاشَة الوَطَنيَّة الَّتي تُنْتِجُهَا حالَةُ غِيَابِ الأَمْنِ المُجْتَمَعِيّ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

1. الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ: تَحْديداتٌ نَظَرِيَّةٌ

يجدُر بنا، بِدايةً، التَّوقُّف عندَ مَفهوم الأَمْن. وعلى الرّغم مِنْ أنَّه أصبح أكثر ارتِباطًا بحقْل الدِّراسات الأمنيَّة؛ إلّا أنَّه يبقى مَفهومًا ذا صِلة وثيقة بمختلَف تخصُّصات العُلوم الاجتماعيَّة، على تنوُّع حُقولها وفُروعها وتخصُّصاتها. وقد أصبح مَفهوم الْأَمْن، في ظِلّ ما تشْهده الدُّوَل والمجتمَعات، مِنْ صُوَرٍ وأشكال انعِدام الْأَمْن، في سِياق العَولمة، مِنَ المفاهيم المعتمَدة بقُوَّةٍ في ساحاتِ ومُنظَّمات العمَل الإقليميّ والدَّوليّ المشترَك[1]. وعندَ استِقراء تطوُّر ظاهِرة الْأَمْن عمومًا، تُشير إلى اقترانه بالوُجود الإنسانيّ، فقد كانَ البحْث عَنِ الْأَمْن في مُقدّمة اهتِمامات الإنسان' ولا توجَد أيَّة جَماعة في التَّأريخ البشريّ، عاشَت بعيدةً عَنِ القَلق ومَشاكل الأمان[2]، بل منذُ فَجْر التَّأريخ، وعلى مرّ الدُّهور و كرّ العُصور، يواجِه الإنسانُ المخاطِر تلوَ الأخْرى، سَواءٌ أكانتْ متمثّلةً في ظُروف طَبيعيَّة قاسِية، أمْ في الحَيوانات الضّارِيَة، أمْ في أعدائه مِنْ جنسه البَشريّ[3]. ويُعَدّ الْأَمْن بمفهومه العامّ، حاجةً أساسيَّةً للأفراد، كما هُوَ ضَرورةٌ مِنْ ضَرورات بِناء المجتمَع، ومرتكَزٌ أساسيٌّ مِنْ مُرتكَزات تَشييد الحَضارة؛ فلا أمْنَ مِنْ دونِ استِقرار، ولا حضارةَ مِنْ دونِ أمْن، ولا يتحقَّق الْأَمْن إلّا في الحالَة الَّتي يكون فيها العَقل الفرديّ والحسّ الجَماعيّ، خاليًا مِنْ أيّ شُعور بالتَّهديد للسَّلامة والاستِقرار، كما أنَّ الحاجَة إلى الْأَمْن حاجَةٌ إنسانيَّةٌ تميّز الإنسان عَنْ

---

(1) عائشة بَشير التّايب، الجائحة والمضامين المستجِدَّة للأمْن المجتمَعيّ: قِراءةٌ في مَسارات إدارة الأزمة، المجلَّة العَربيَّة للدِّراسات الأمنيَّة، العدَد 2، جامِعة نايف العَربيّة للعُلوم الأمنيَّة، 2020، ص 282.

(2) نجدتْ صبْري ثاكره يى، الإطار القانونيّ للأمْن القَوميّ، مَطبعة زانكو، أَربيل، 2004، ص1.

(3) فرهاد جَلال مُصطفى، الْأَمْن ومُستقبَل السِّياسة الدَّوليَّة، رِسالة ماجستير، كُلِّيَّة العُلوم السِّياسيَّة، جامِعة النَّهرَيْن، 2008، ص 4.

غيْره مِنَ الكائنات، وتأتي في المرتَبة اللّاحقة للحاجات البيولوجيَّة، كـ (الماء، والهَواء، والطَّعام)، كما أنَّ تحقّق الحاجات الأساسيَّة قد لا يتأتّى في غِياب شُعور الفرْد بالأمْن والأمان[1].

في مَضمونه السَّيكولوجيّ النَّفسيّ، يرتَبِطُ مفهومُ الأمْنِ بالطّمأنينة؛ فهُو الشُّعور بالهُدوء والطّمأنينة، والبُعْد عَنِ القَلق والاضطِراب، وهوَ شُعورٌ ضَروريٌّ لحَياة الفرْد والمجتمَع، ومنْ أهمّ وظائفه اطمئنان الفَرد على نفْسه وأمواله، وثِقته باحترام حُقوقه، وإحْساسه بالعَطْف والمودَّة معَ مَنْ يُحيطونَ بِه، وينتج هذا الشُّعور عادةً منذُ الطُّفولة؛ فَمَنْ تربّى عادةً على الخَوْف والرَّهبة، كثيرًا ما يَحمل بقايا مِن ذلكَ الخَوْف طوال حَياته، وما يُطَمئِن الفَرد هوَ انتِشار الْأَمْن والطّمأنينة في المجتمَع[2].

أمّا الْأَمْن في أساسه السّوسيولوجيّ الاجتماعيّ، فَيعني غِياب الخَطَر المادّيّ، أو الحِماية منْه، ويعني أيضًا، الحِماية مِنَ القَلَق النَّفسيّ؛ فهُو يتضمَّن جانبَيْنِ، التَّحرُّر مِنَ الحاجَة، ومِنَ الخوْف[3]؛ وبذلكَ يتَّضح أنَّ الْأَمْن والخَوْف مَفهومانِ نسبيّانِ مُتضادّانِ، يتأثَّر كُلٌّ منْهُما بعَدَدٍ مِنَ العَوامِل والمتغيّرات الذّاتيَّة والموضوعيَّة، الَّتي تعمَل على زِيادة مساحة أحَدهما، أوْ تقليصِها. بِناءً على ذلكَ، لا يوجَدُ أمْنٌ مُطلَقٌ، وَلا خَوْفٌ مُطلَقٌ.

---

[1] أكرم عبد الرَّزّاق المشهَداني، الْأَمْن الشّامِل في مُواجَهة الأزَمات والكَوارِث "جائحة كورونا نَموذجًا"، مجلّة جامِعة نايف للدِّراسات الأمنيَّة، العدَد 2، جامعة نايف العربيَّة للعُلوم الأمنيَّة، 2020، ص 238.

[2] إبراهيم مَدكور، مُعجَم العُلوم الاجتِماعيّة، مَطابع الهيئة المصريَّة للكِتاب، القاهِرة، 1975، ص66.

[3] آمال عزّ الدّين رَشيد، الْأَمْن الإنسانيّ للأُسرة العِراقيّة في تَطبيقات شَبكة الحِماية الاجتِماعيّة (دِراسةٌ ميدانيّةٌ في مَدينة بَغْداد)، رِسالة ماجِستير (غير مَنشورة)، كلّيّة الآداب، جامِعة بغْداد، 2008، ص 10.

أمّا الْأَمْن في بُعْده السّياسيّ، فقَدْ شهد جُهودًا تنظيريَّةً واسعةً، على مَدى مَراحل الفكر البشَريّ المختلفة، كما أنَّهُ عرَف نقلةً نوعيَّةً، بدءًا مِنَ المنْظور التَّقليديّ، الَّذي كانَ يجعَل الْأَمْن مُقتصرًا على أبعاد مُحدَّدة، تَرتبط بشكلٍ أساسيٍ بأمْن الدُّوَل، نحوَ معانٍ أكثرَ شُمولًا واتّساعًا، وأكثرَ استيعابًا لمناحي أمْن الأفراد، الموجودينَ داخلَ تلكَ الدُّوَل، وقدْ جعَل امتداد مَفهوم الْأَمْن، بأبعادِه اللّامُتناهية، جَعَلَ منْه مجالًا عَصيًّا على الضَّبط، ما لمْ يقترَن بما يردفه لحصْر مَعناهُ. وفي هذا السّياق، تأتي غالبيّةُ الصّيغ الثُّنائية المرتبطة به، مثْل: الأمْن القَوْمي، والأمْن الإنْسانيّ، والأَمْن الاقتصاديّ، والأَمْن الصّحّيّ، والأمْن البيئيّ، والأَمْن الثَّقافيّ... وغيْرها)، ولئن بقيَت مُختلَف دلالات تلك الثُّنائيّات ومَضامينها مرتهَنةً إلى حدٍّ كَبيرٍ، بسياقاتها ومُحدّدات ظُهورها، وانتشار تَداوُلها؛ فإنَّها ظلَّت في عُمومها تَدور في فلَك المضْمون العامّ، لمفهوم الْأَمْن وأركانه الأساسيَّة، حتّى وإنْ تجدَّدتْ مَعانيها مِنْ بُرهةٍ زمنيَّةٍ إلى أُخرى[1]، ولعلَّ مرَدَّ ذلكَ التَّطوُّر والتَّجدُّد في مفهوم الْأَمْن، يَعود إلى سببَيْنِ[2]:

- **السَّبب الأوَّل:** اتّساع مَجال التَّهديدات الأمنيَّة، وظُهور أنواعٍ جَديدة مِنَ التَّهديدات، فمعَ نهاية الحَرب الباردة، وظُهور العَولمة، وما نتَج عنْها مِنْ تغيُّرٍ في حَياة الأفراد والمجتمَعات، فقدْ حدثَت تحوُّلاتٌ عميقَةٌ في طَبيعَة الصّراعات ذاتها، إذْ أصبحت مُعظَم الصّراعات داخليَّةً بينَ الجَماعات وَالأفراد، وليستْ بينَ الدُّوَل، وتُشير الإحصاءات الى أنَّ أكثر مِنْ 90% تقريبًا، مِنَ الصّراعات الَّتي شهدها عقْد التّسعينيّات مِنَ القرْن العشرينَ، كانَتْ صراعات داخليَّةً، كما أنَّ 90% مِنْ ضَحاياها، هُمْ مِنَ المدنيّينَ، وَليسوا عَسكريّينَ، وَكذلكَ مَصادر التَّهديد، لمْ تعُدْ مَصادرَ خارجيَّةً فَحَسْب، بلْ أصبحَتْ مِنْ داخل حُدود الدَّولة القَوميَّة ذاتها، وبذلكَ لمْ يعُدِ التَّهديد

---

[1] عائشة بَشير التّايب، مَصدَرٌ سبَق ذكْره، ص 282.

[2] أكرَم عبد الرَّزّاق المشهَداني، مصدَرٌ سبق ذكْره، ص237- 238.

مقصوراً على الجانب العسكريّ، بلْ ظهرتْ أنواعٌ أخْرى مِنَ التَّهديدات، منْها: التَّغيُّرات المناخيَّة، والإرهاب، والأزمات الاقتصاديَّة، والصِّراعات الإثنيَّة، والأزمات والكَوارث... وغيرها).

- **السَّبب الثّاني:** تعدُّد الفَواعِل الدَّوليَّة، فلمْ تعُدِ الدَّوْلة هِيَ الفاعِل والغاية الوَحيدة للأمْن، ولكنْ ظهَر فاعِلونَ جُدُدٌ، سَواءٌ على المستوى الدّاخليّ، أم الدَّوليّ، باتوا يهتَمّونَ بالقضيَّة الأمنيَّة. وانقسَم الفاعِلونَ إلى تيّارَيْن: تيّارٌ يعمَل على خصخَصة الْأَمْن، وآخَر يعمَل على أنسَنة الأَمْن، ومِنْ بينِ هؤلاء الفَواعِل، الجمعيّات المحلّيَّة، ومَراكز الأبحاث. هذا على المستوى الدّاخليّ، أمّا على المستوى الخارجيّ، فنجد المؤسَّسات الدَّوليَّة، سَواءٌ الحُكوميَّة أمْ غير الحُكوميّة، عملَتْ على تغيير مَفهوم وغايَة الْأَمْن، وركَّزت إلى جانب الجمعيّات ومَراكِز الأبحاث، على أمْن المجتمَع، بوَصْفِه أولويَّةً تؤدّي إلى أمْن الدَّولة، ومعَ ذلك، لمْ يغفلوا الدَّور الأساسيّ للدَّوْلة، سَواءٌ أكانتْ فاعِلًا، أمْ مَعنيًّا بالحِمايَة.

وبذلك، فقدْ مرَّتِ التَّنظيرات في حقْل الدِّراسات الأمنيَّة، بثَلاث موجاتٍ عَريضة، هي[1]:

- **المَوْجَة الأولى:** دِراسات الْأَمْن القَوميّ (الدِّراسات الأمنيَّة التَّقليديَّة): كان الشّاغل الأوَّل لِدِراسات الْأَمْن، هوَ السَّعي إلى فهْم مُشكلات الرَّدع النَّوويّ، وتَحديد دَوْر الأسلحة النّوويَّة، وَتَحليل وضْع القُوَّة، والتَّوجُّه نحْو التَّركيز على الْأَمْن القَوميّ، وَذلكَ لتَعزيزه مِنْ مُنطلَقٍ عَسكريٍّ ضَيِّقٍ، وكهدفٍ أساسٍ للسِّياسة الخارجيَّة؛ إذْ شهِدتْ هذه الموجَة، حسَب كولين جْراي، ثلاث مراحِلَ أساسيَّةً، هيَ: المرحلَة الأولى، والَّتي أعقبتِ الحَرب العالميَّة الثّانية مُباشَرةً، وَظهرتْ فيها غالبيَّة

[1] فَرهاد جَلال مُصطفى، مَصدَرٌ سبَق ذكْره، ص 7- 10.

المفاهيم الَّتي تلحَق بالإستراتيجيّة النَّوويَّة، ولكنَّها لَمْ تكنْ مُصاغَةً صياغةً واضِحةً ومُترابطةً بما يكفي، إلّا في المرحلَة الثّانية، أوِ العصْر الذَّهبيّ (1954- 1965)؛ ذلكَ أنَّ المفاهيم الأساسيَّة للدِّراسات الإستراتيجيَّة، كانتْ قدِ اكتَملتْ صِياغتُها بوضوحٍ وتماسُك. أمّا المرحلَة الثّالثة (1971-1982)، فيُعاد فيها النَّظر في أعْمال مُنظّري المرحلَة السّابِقة، وعندَ اللُّزوم، تُعاد صِياغَة مَفاهيمهم، مُستنِدةً إلى أدلَّةٍ إمبريقيَّة.

- **المَوجة الثّانية:** دِراسات الْأَمْن الدَّوليّ: بدأتْ في ثمانينيّات القرْن الماضي، بوجهات النَّظر الدّاعية إلى إعادة النَّظر في مَفهوم الْأَمْن، ورفْض ربْطه بالحَرْب، وَالتّركيز على مَفهومٍ أكثرَ إيجابيَّةً، بَدَلَ ذلك، وقدْ تزعَّمها (جوان جالتون Johan Galtung)، بِدعوته إلى السَّلام الإيجابيّ، وَ(كينث بولدين Kenneth Boulding)، بمفهومه الخاصّ المتمثِّلِ في السَّلام المستقِرّ، والسَّلام العالَميّ عندَ (جانوس كوتشنسكي). وكانت لَجنة بالمي (1982)، قدْ دعتْ إلى تبنّي فِكرة الحَصيلة الإيجابيَّة، تحتَ عُنوان (الأمْن المشترَك)، وظهرَتْ تَسمياتٌ عدَّةٌ، أخذتْ بها في الدِّراسات الأمنيَّة، كالشَّراكة الأمنيَّة، والأمْن المتبادَل، والأمْن التَّعاوُنيّ، وهكذا اتَّجهتِ الدِّراسات تَدريجيًّا، مِنَ الْأَمْن القَوميّ، إلى الْأَمْن الدَّوْليّ، إلّا أنَّها لم تتَجاوزِ الحُدود التَّقليديَّة للمَفهوم، نتيجة استِمرار سِيادة النِّظام الويستفاليّ، الَّذي تؤدّي الدَّوْلة فيه دوْرًا حصْريًّا. لكنَّ التَّركيز هُنا، على التَّعاوُن بينَ الدُّوَل، مِنْ جانبٍ. ومِنْ جانبٍ آخَرَ، على مَفهوم (الأمْن)، بدلَ (القُوَّة)، وهذا تحوُّلٌ كَبيرٌ في الدِّراسات الأمنيَّة.
- **المَوجة الثّالثة:** دِراسات الْأَمْن العالميّ: هذهِ المَوْجة هِيَ مخرَجٌ مُباشَرٌ لمدخَلات انتِهاء الحَرب الباردة، ونِظام القطبيَّة الثُّنائيَّة، تجاوُبًا مع الأحداث العالميَّة، والَّتي حتَّمت على الباحِثينَ في العَلاقات الدَّوليَّة، أنْ

يُعيدوا النَّظر في تصوُّراتهمُ النَّظريَّة حوْل الأمْن؛ ما حَدا بـ(ستيفن وولت)، مثلًا، إلى وَسْم هذهِ المرحلَة بمرحلَة (نهضَة الدِّراسات الأمنيَّة)، كما تُعَدّ تغييرًا في دِراسات الْأَمْن، لكونها في المستوى نفسه الّذي يتغيَّر بِه العالَم، والّذي انتَقل بالدِّراسات، مِنْ سِياقها التَّقليديّ، إلى الدِّراسات الأمنيَّة الحَديثة؛ وبذلكَ تُعَدّ الدِّراسات التَّقليديَّة كافِيةً للتَّعامُل معَ طَبيعة القَضايا الأمنيَّة، ومَصادِر التَّهديد، خِلالَ حقبةَ ما بعْدَ الحَرب الباردة الَّتي لا تنحصر في مَصادِرَ عَسكريَّة، بَل تمَّ تجاوزُها إلى أنماط جَديدة مِنْ تَهديدات، تتعلَّق بقضايا عالَميَّة، وَتتمحور حوْل كيانات أصغرَ مِنَ الدَّولة القوميَّة، كالجَماعات الإثنيَّة وَالأفْراد؛ فعَلى مُستوى الْأَمْن العالَميّ، تحوَّلتِ الدِّراسات للتَّوجّه نحْو الاهتِمام بالفَرْد، إلى جانِب الدَّولة - مِنْ دونِ أنْ يكونَ بَديلًا لها- في مُواجَهة تَحدّيات عالَميَّة جَديدة، على خِلاف دِراسات الْأَمْن الدَّوْليّ، الَّتي تهتمّ بأمْن الدُّوَل، مِنْ دون الأفراد.

ومعَ هذهِ الموجاتِ، عُدَّ الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ مِنْ أهمّ القِطاعات الأمنيَّة للدَّولة، في إطار النَّظرة الموسَّعة والمعمَّقة للأمْن، الَّتي جاءَتْ بها مدرَسة كوبنهاجن، في العَلاقات الدَّوليَّة، والَّتي كانَتْ بمنزِلة تيّار فِكريّ، أنتجَ جُملةً مِنَ الأعمال الفِكريَّة في تسعينيّات القَرن العِشرينَ، حوْل المسأَلة الأمنيَّة، وارتِباطها بمَجال العَلاقات الدَّوليّة، واضطلَع رُوّادها بتَجديد الأُطُر الفِكريَّة والنَّظريَّة لحقْل الدِّراسات الأمنيَّة. ومِنْ أبرز رُوّادها، المفكّر البَريطانيّ (باري بوزان Barry Buzan)، الَّذي أسَّس لأوَّل تَقسيم قِطاعيّ، فصَل القَضايا الأمنيَّة في فِكْر الدِّراسات الأمنيَّة؛ فقد ميَّز في كتابه (النّاس، الخَوف، إشكاليَّة الْأَمْن القَوميّ في العَلاقات الدَّوليَّة people state and fear: The National security

problem in international Relations)[1]، بينَ خمسة قِطاعاتٍ أساسيَّةٍ للأمْن، هيَ: العَسكريّ، والسِّياسيّ، والاقتصاديّ، والمجتمَعيّ، والبيئيّ، كما هو مُبيَّنٌ في الشَّكل رقم (1)، وقدْ شدَّد فيه على كوْن هذهِ القِطاعات لا تعمَل بمعْزلٍ عَنْ بعْضها البَعض، لِوجود تَداخُلٍ وتَأثيرٍ مُتبادَلٍ فيما بينَها. وعلى الرّغم مِن اختِلاف الموضوع المرجعيّ المعرَّض للتَّهديد، باختِلاف القِطاع، أوِ المجال المدروس، إلّا أنَّها تظلّ مرتبِطةً ببعْضها البَعض، في نَسيجٍ متينٍ[2]؛ فقد حلَّل خمْسة قِطاعاتٍ للأمْن، تعكس المستوَى التَّوسُّعيّ لمفهوم الأمْن، وهيَ[3]:

1. **القِطاع العَسكريّ:** ويَشمل القُوَّة الصّلبة (العَقيدة العَسكريَّة، والقُوّات المسلَّحة، والسِّلاح).
2. **القِطاع السِّياسيّ:** ويَشمل الدَّوْلة (شَرعيَّتها، وسِيادتها، ونِظام الحُكْم فيها).
3. **القِطاع الاقتِصاديّ:** ويَشمل الموارِد، مِثل (الطّاقة، والمياه، والتَّمويل، والسّوق، والرِّعاية الاجتِماعيّة).
4. **القِطاع المُجتمَعيّ:** ويَشمل أنماط الهُويَّة، كـ (اللُّغة، والعادات والتَّقاليد، والتَّنوُّع الثَّقافيّ).

---

(1) Barry Buzan, Ole Waever, Jeap de wilde: security: anew framework for analysis, iynnnerinner publishers, 1998, P121.

(2) أحمَد غالِب مُحيي وعليّ أحمَد عبد مَرزوك، البُعْد السِّياسيّ للأمْن الاجتِماعيّ (دِراسَةٌ في المفهوم والأبْعاد والأهْداف)، مجلَّة جامِعة الكوفة للعُلوم القانونيّة والسِّياسيَّة، العدَد 1/ 44، جامعة الكوفَة، النَّجَف الأشرَف، 2019، ص 240.

(3) عبْد الرَّحْمٰن بن عبد الله الشَّقير، الأَمْن البيئيّ الصِّحّيّ في ظِلّ انتِشار فيروس كورونا المستجِدّ: دِراسَةٌ وَصفيَّةٌ تحليليَّةٌ لبَعض الممارَسات الصِّحّيَّة في المملَكة العربيَّة السُّعوديَّة، المجلَّة العربيَّة للدِّراسات الأمنيّة، العدَد: 2، جامِعة نايف العربيَّة للعُلوم الأمنيَّة، 2020، ص 147.

5. **القِطاع البيئيّ:** ويَشمل المحافَظة على الموارِد الطَّبيعيَّة، كـ (الطّاقة، والمِياه، والغابات، والحَيوانات، والنَّباتات).

شكل رقم (1)

القِطاعات الخَمسة للأمْن عنْدَ باري بوزان

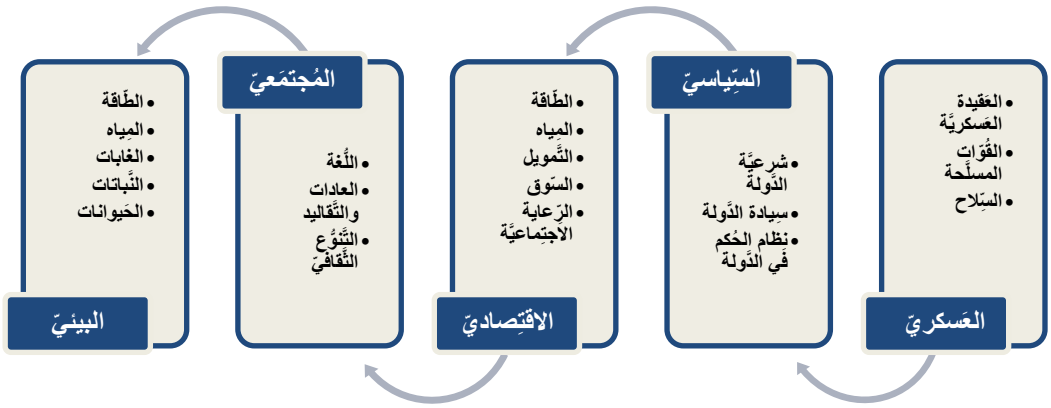

وتَنطلِق مَدرسة كوبنهاغن، مِنْ وَصْفِ الْأَمْن، وقبْل كلّ شَيءٍ، مَسعًى، وأنَّ الفاعِلينَ ينزَعونَ إلى إهمال خِيار التَّفاوُض، والتَّسوِيات السِّلميَّة، بهدَف تَبنّي مَسار (الأمْنَنة Securitisation)، وهُوَ مَسارٌ ترتَكز أُسسه على تَعريفٍ ذاتيّ للتَّهديد، ضدَّ البَقاء، وينطلِق مَنظور كوبنهاغن إلى الأمْن، مِنْ تَعريف باري بوزان، على أنَّه: (العمَل على التَّحرُّر مِنَ التَّهديد). وفي سِياق النِّظام الدّوليّ، فإنَّ الْأَمْن "يعبِّر عَنْ قُدرَة الدُّوَل والمجتمَعات، على الحِفاظ على كيانها المستقِلّ، وتماسُكها الوَظيفيّ، ضدَّ قِوى التَّغيير الَّتي تعُدُّها مُعادِيةً. وفي سعيها إلى الأمْن، تكونُ الدُّوَل والمجتمَع أحيانًا في انْسجامٍ معَ بعضها البَعْض، إلّا أنَّها تَتعارضُ في أحيانٍ أُخرى؛ فأساس الْأَمْن هوَ البَقاء، لكنَّهُ يشمل في

أحْيانٍ أخْرى، جمْلةً مِنَ الاهتِمامات الجوهَريَّة، حوْل شُروط الوُجود"[1]. وتكتَسب مُقارَبة بوزان أهمِّيَّةً كبيرةً، بالنَّظر إلى تَعامُلها معَ جَميع جَوانب الظّاهرة الأمنيَّة، وإدراجِها العوامِلَ الاجتِماعيَّة للأمْن، معَ كيفيَّة مُواجَهة الأفْراد، أوِ المجتمَعات للتَّهديدات؛ فقد أشار إلى أنَّ الْأَمْن لفْظٌ متعدّد المعاني، موضّحًا أنَّه مُصطلَحٌ خِلافيٌّ بالأساس، ليس بسبَب إدراجه ضمْن مُعظم مَجالات الحياة الاجتماعيَّة واليوميَّة فقط.

وبذلك، يُعرِّف بوزان الْأَمْن الْمُجْتمعيّ على أنَّه قُدرَة المجتمَعات على إعادة إنتاج أنماط خصوصيّاتها في اللُّغة، والثَّقافة والهُويَّة الوطنيَّة والدّينيَّة، والعادات والتَّقاليد، في إطار شُروطٍ مقبولةٍ لتَطوُّرها، وكذلكَ التَّهديدات الَّتي تؤثّر على أنماط هُويَّة المجتمَعات وثقافاتها؛ إذْ يختَلف الأفْراد والفِئات الاجتِماعيَّة عَنْ بعضِهمُ البَعض، في الخَصائص الَّتي تظهَر مِنْ خِلال (اللُّغة، والدّين، والذّاكِرة، والعِرْق... الخ) [2]؛ وبهذا تظهَر ميزَة كلِّ مجتمَعٍ عَنِ الآخَر، والَّتي تتجسَّد مِنْ خِلال تِلكَ الأفْكار والقيَم والممارَسات، الَّتي تَعكس الهُويَّة، أوِ التَّصوُّر الذّاتيّ للجَماعات، أوِ الأفْراد، الَّذينَ عرَّفوا عَنْ أنفُسهم على أنَّهم أعْضاءٌ في مُجتمَعٍ ما. وبهذا المفْهوم، يكون الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ أكثرَ أبْعاد الْأَمْن الإنسانيّ حِمايَةً لهذهِ الميزات والخَصائص.

ويعتقِد (أولي وايڤر Ole Waever)، أنَّ الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ هوَ المفهوم النَّظريّ الأكثر انسِجامًا وتوافُقًا، لتَحليل الرِّهانات الجَديدة؛ فالبُعد المجتمَعيّ الَّذي رمَز إلى واحِدٍ مِنْ قِطاعات الدَّولة، في تَصوُّر (باري بوزان)، لِكَوْن نظرته إلى الأمْن تأتي مِنْ زاوِية العمَل مِنْ أجْل بَقاء الدَّولة، والسَّهر على دَيمومتها، وبِخاصَّةٍ قِطاع الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ؛ إذْ يَراه (بوزان) كعُنصرٍ مكوِّنٍ

---

[1] توفيق بوستي، مدرَسة كوبنهاغن- نحْوَ توسيع وتعميقِ مَفهوم الأمْن، المعهَد المصريّ للدّراسات، اسطنبول، 2019، ص 2.

[2] أحمَد غالِب مُحيي وعليّ أحمَد عبْد مَرزوك، مَصدَرٌ سبَق ذكْره، ص 240.

لأمْن الدَّوْلة؛ فكلّ القِطاعات الأمنيَّة الَّتي قام بتَقسيمها، يُنظَر إليها على أنَّها مَجموعاتٌ متفرّعةٌ تَرجع كلُّها إلى جِذعٍ وحيدٍ، وهُوَ الدَّولة. ويوسّع (وايفر) النَّظرة إلى الْأَمْن الْمُجْتَمَعيّ؛ إذْ يَرى أنَّه بفعْل جملةٍ مِنَ الظَّواهر، كـ (العَولَمة، والظَّواهِر العابرة للحُدود، والبِناء الأوروبّيّ، وظُهور عرقيّات قوميَّةٍ في أوروبّا الشَّرقيَّة، وتدفُّقات الهِجرة، والاستيراد الواسع للبَضائع الثَّقافيَّة الأجنبيَّة، وتَحكُّم مَصالحَ أجنبيَّةٍ في الثَّروات الوطنيَّة، والاندِماج في كياناتٍ أوسعَ... وغيرها)؛ فإنَّ المجتمَع مهدَّدٌ أكثرَ مِنَ الدَّولة، فهذه الأخيرة تَرى وظائفها تتغيَّر، مِنْ دون مُراجَعة سِيادتها، بينَما ترى المجتمَعات هُويَّتها مُهدَّدةً، مِنْ طرَف هذه الظَّواهِر المتَقاطِعة؛ وَعليْه، فإنَّ الخوَف المرتبِط بانعِدام الأَمْن، يتمثَّل بالسُّلوكيّات غير المدنيَّة، بالآخَر، وبالهِجرة، وبضَياع القيَم الثَّقافيَّة وأنماط المعيشَة؛ ما يشغل الأفْراد أكثرَ[1].

وتفسِّر التَّعريفات العربيَّة الأمْن المجتمَعيّ، أنَّه مَفهومٌ يشمل كلَّ النَّواحي الحياتيَّة، الَّتي تهمّ الإنسان المعاصِر؛ فالْأَمْن الْمُجْتَمَعيّ يشمل أوَّل ما يشمل، الاكتِفاء المعيشيّ والاقتِصاديّ، والاستِقرار الحياتيّ للمُواطِن؛ فالاستِقرار في حَياة الفَرد عامِلٌ ضَروريٌّ لحفْظ تَوازُنه العاطِفيّ والنَّفسيّ، كما يتضمَّن الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ تَأمين الخدَمات الأساسيَّة للإنسان؛ فلا يشعُر بالعوَز والحاجَة، كما يتغلَّب على الفقْر والفاقة والمرَض، ويُواجِه الأحداث الطّارئة على صحَّته وقُدرته على العمَل والإنتاج، ويشمل أيضًا، الخدَمات المدرَسيَّة والثَّقافيَّة والتَّأميناتِ الاجتماعيَّة والمادِّيَّة، في حالة البِطالة، والتَّوقُّف عَنِ العمَل،

[1] باي أحمَد، العَدالة الانتقالية والْأَمْن الْمُجْتَمَعيّ: التَّقاطُعات والانعِكاسات، مجلَّة البُحوث السِّياسيَّة والإداريَّة، العدَد 9، الجَزائر، 2018، ص 17- 18.

والأزمات، كما يهدف إلى الرَّفاهيَّة الشَّخصيَّة، مِنْ حيث تمتُّعُ الفرْد بما يرغَب مِنْ نَشاطات وهوايات[1].

واتَّخذ مَفهوم الْأَمْن مكانةً بارزةً في كلّ أنحاء العالَم، بعدَ صُدور تقرير التَّنمية البشريَّة لعام 1994، عَنْ برنامَج الأمَم المتَّحدة الإنمائيّ (UNDP)، والَّذي حوَّل تَركيز الْأَمْن، مِنْ حِماية الدَّولة وحُدودها، بالوَسائل العَسكريَّة، إلى حِماية الأفْراد مِنَ التَّهديدات الَّتي تمتدّ على نِطاقٍ واسعٍ، وتَستهدِف أرواحهم وأمْنهم، مِنْ خِلال وَسائلَ وسِياساتٍ أوسَعَ، تتَّخذها الدُّوَل. ولما كانَ عالَم اليوْم يتميَّز بتعدُّد مَصادِر التَّهديد، وعَوامِل عدَم الاستِقرار؛ ممّا يجعَل لمفهوم الْأَمْن الإنسانيّ أهمِيَّةً خاصَّةً في التَّعامُل معَ تلكَ المصادِر والعَوامِل؛ فقدْ قسَّم التَّقرير المنظومةَ الأمنيَّةَ، إلى سبعة أبعاد شامِلةٍ، للتَّهديدات الأمنيَّة كافَّةً، مُنطلقًا في ذلكَ مِنْ مُتغيِّرَيْ (التَّحرُّر مِنَ الخَوْف)، و(التَّحرُّر مِنَ الحاجة)، موضِّحًا أنَّ كلَّ واحدٍ منْها يدلّ إلى منطِقٍ مُعيَّنٍ، ونوْعٍ مُحدَّدٍ مِنَ التَّفاعُل بينَ الوحَدات، الَّتي تُستخدَم كأدَواتِ تَحليلٍ رئيسةٍ؛ لذا، يتَّصل البُعد السِّياسيّ بعَلاقات السُّلطَة، والبُعْدُ الاقتِصاديّ بالعَلاقات الاقتِصاديَّة، والبُعْدُ البيئيّ بالعَلاقة بينَ الإنسان والبيئة. في حينِ يرتبطُ البُعْدُ الاجتِماعيّ بالعَلاقَة بينَ المجموعات الاجتِماعيَّة. وفي الآتي، نوضِّح الأبْعاد السَّبعة، الَّتي تضمَّنها تَقرير الأمَم المتَّحدة[2]:

1. **الأمْن الاقتِصاديّ:** ويهدف إلى إيجاد دخْلٍ مَضمونٍ للأفْراد، وعادةً ما يكون مِنْ أعمالٍ مُنتجةٍ ومُجزِيةٍ، أوْ مِنْ شبكَة الأمان الَّتي يموِّلها القِطاع العامّ؛ فَحوالي ربْع سكّان العالَم في الوقْت الحاضِر، آمِنونَ اقتِصاديًّا. في حينِ أنَّ مُشكِلة الْأَمْن الاقتِصاديّ، قدْ تكون أكثرَ خُطورةً في البُلدان النّامية،

---

(1) مُصطَفى العوَجيّ، الْأَمْن الاجتِماعيّ مقوِّماته وتِقْنيّات ارتِباطه بالتَّربية المدنيَّة، ط 1، مؤسَّسة نوفَل، بيروت، 1983، ص71.

(2) United Nation Development Program, Human Development Report, 1994, P.22-40.

والقَلق ينشأ في البُلدان المتقدّمة أيضًا، ما يُثير المخاوف إزاء خلْق التَّوتُّرات السّياسيَّة، والعنْف العِرقيّ، وانتِشار التَّطرُّف والجَريمة.

2. **الأَمْن الغذائيّ:** ويهدف إلى تَوفير الموادّ الغِذائيَّة الأساسيَّة لجَميع النّاس، وفي جَميع الأَوْقات. ولعلَّ مَدى توافُر الموادّ الغِذائيَّة عمومًا، ليس هوَ المشكلة، بلِ تكمنُ المشْكلَةُ في سوء تَوزيع الموادّ الغِذائيَّة، ونقْصٍ في القُدرة الشِّرائيَّة، ومَفاتيح الحلُول لمشكلة نقْص الغِذاء والجوع، هوَ مُعالَجة المشاكِل المتعلّقة بالحُصول على العمَل، والإيرادات المضمونَة (المتَّصِلة بالأَمْن الاقتِصاديّ).
3. **الأَمْن الصِّحّيّ:** ويهدف إلى ضَمان الحَدّ الأدنى مِنَ الحِماية مِنَ الأَمْراض، وأنماط الحَياة غيرِ الصِّحّيَّة. في البُلدان النّامية، فإنَّ الأسباب الرَّئيسيَّة للوَفاة، كانَتْ تقليديًّا، مِنَ الأَمْراض المعدِية والطُّفيليَّة. في حينِ أنَّه في البُلدان الصِّناعيَّة، كانَتْ أهمّ مُسبِّبات الوَفاة، مِنْ أَمْراض الدَّورة الدَّمويَّة. وعلى الرّغم مِنْ ذلك، فَفي كلٍّ مِنَ البُلدان النّامية والصِّناعيَّة، هناكَ الأخْطار الَّتي تُهدِّد الْأَمْن الصِّحّيّ، وَهِيَ عادةً ما تَكون أكبرَ بالنِّسبة إلى الفُقراء، في المناطِق الريفيَّة، لا سيَّما الأطفال؛ وَيعودُ ذلكَ إلى سوء التَّغذية، وعدَم كِفاية فُرَص الحُصول على الخدَمات الصِّحّيَّة والمياه النَّظيفة، وغيرِها مِنَ الضَّروريّات الأساسيَّة.
4. **الأَمْن البيئيّ:** ويهدف إلى حِماية النّاس مِنْ وَيْلاتٍ قَصيرة الأجَل، وطَويلة الأجَل، مِنَ الطَّبيعة، سَواءٌ أكانتْ مِنْ صُنْع الإنسان، كنَقص الأوكسجين، الَّذي تتعدَّد أسبابه، منْها: كثْرة المصانع، ومخلَّفاتها، مِنْ غازاتٍ تسبّب الاحتِباس الحَراريّ، فضْلًا عَنْ تلوُّث مِياه الأنْهار، بِسبَب مُخلَّفات المصانع، أمْ مِنَ البَراكين والزَّلازل والفَيَضانات... وغيرِها ممّا تُسبِّبه التَّغيُّرات المناخيَّة، وبذلكَ فإنَّ أزمة الوُصول إلى مَوارد المياه النَّظيفة، فضْلًا عَنْ تلوُّث الهَواء، وظاهِرة الاحتِباس الحراريّ، مِنْ أهمّ المخاطِر الَّتي يهدف الْأَمْن البيئيّ إلى الحَدّ منْها.

5. **الأمْن الشَّخصيّ:** ويهدف إلى حماية النّاس مِنَ العُنْف الجَسدِيّ، ذلكَ أنَّ المهدِّد المباشَر والرَّئيس، للأمْن الشَّخصيّ، يتجسَّد في ما يُسمّى بـ (العُنْف)، الَّذي يُقصَد به، حسَب منظَّمة الصِّحَّة العالميَّة، (الاستِعمال المتعمَّد للقُوَّة الفيزيائيَّة (المادِّيَّة)، أوِ القُدرة، سَواءٌ بالتَّهديد أمِ الاستِعمال المادِّيّ الحَقيقيّ ضدَّ الذّات، أمْ ضدَّ شَخْصٍ آخَرَ، أمْ ضدَّ مجموعةٍ أو مجتمَعٍ ما، إذْ يؤدّي إلى حُدوث (أوِ احتِمال حُدوث)، إصابةٍ أوْ موْتٍ، أو إصابةٍ نفسيَّة، أوْ سوء النَّماء/ النّمّو، أوِ الحِرمان)، ودائمًا ما يشكّل العُنف جُزءًا كبيرًا مِنْ مُعاناة النّاس، إذْ يفقد أكثرُ مِنْ مليونِ شخصٍ حياتهم كلَّ عامٍ، بسببه. كما يُعاني عَدَدٌ أكبر مِنْ ذلك، مِنْ إصابات مُميتة، نتيجةً لهُ، سَواءٌ أكان عُنفًا مُوجَّهًا للذّات، أمْ عُنْفًا بينَ الأشخاص، أمْ عُنْفًا جَماعيًّا.

6. **أمْن المُجتمَع:** ويهدف إلى حماية النّاس مِنْ فُقدان العَلاقات والقِيَم التّقليديَّة، مِنَ العنْف والطّائفيَّة والعِرقيَّة، والَّتي غالبًا ما تهدِّد المجتمَعات التَّقليديَّة، لا سيَّما الأقليّات العِرقيَّة.

7. **الأمْن السِّياسيّ:** ويهدف إلى إيجاد نِظامٍ سِياسيّ قائمٍ على بِناءٍ ديمقراطيّ، يلغي الشّروط كافَّةً، كـ(التَّعسُّف، والقَهْر، والخوْف، والقَمْع، والتَّسلُّط)، بما يضمَن الاحترام الكُلّيّ لحاجَة المواطنينَ إلى تمكينهم مِنْ جَميع حُقوقهمُ الإنسانيَّة الأساسيَّة، وهو مرتبطٌ أساسًا بأداء هَياكِل الدَّولة السِّياسيَّة، فإنَّه يشكّل المدخَل الأساسيَّ للتَّأثير الإيجابيّ أوِ السَّلبيّ، على باقي الأبْعاد الأُخْرى للأمْن، وفي مقدِّمتها الْأَمْن الْمُجْتمعيّ، فَمِنْ خِلال تحكُّم الدَّولةِ في أداء هياكِلها السِّياسيَّة، يمكنها أنْ تؤثّر بسهولةٍ على أداء وعمَل باقي هَياكلها الأخْرى.

شكل رقم (2)
الأبعاد الأمنيَّة السَّبعة للأمَم المتَّحدة

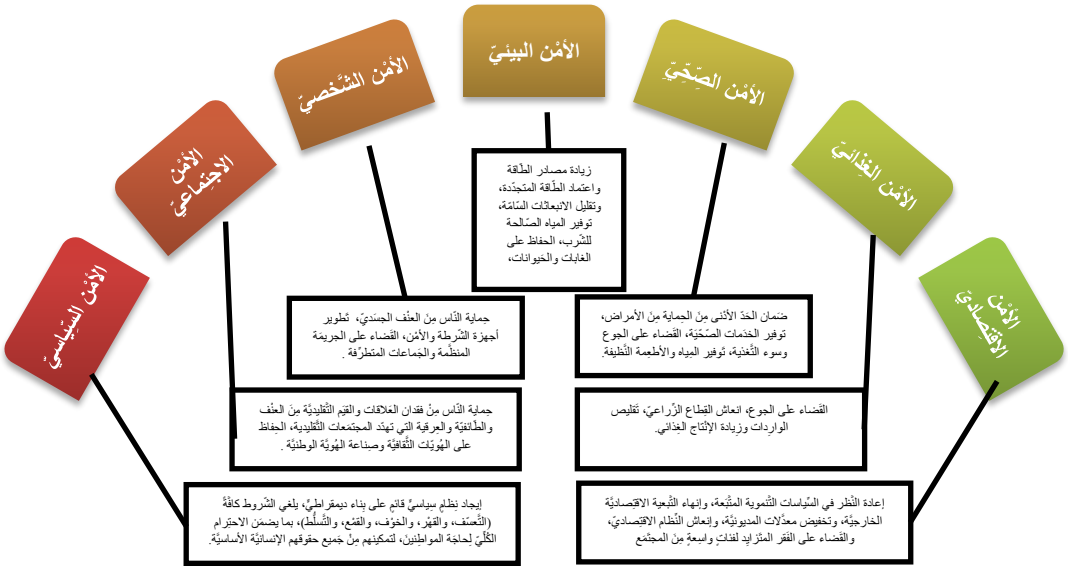

ومِنْ ذلك، يتَّضح أنَّ هذا التَّقسيم السِّباعيَّ أقرَّ بِوُجود صِلةٍ وتَداخُلٍ كبيرَيْنِ بينَ هذهِ الأبْعاد، مثْلما يؤيّده الواقع،؛ فلو أعدْنا النَّظر إلى واقعِ الحَياة، لوجدْنا أنَّ مُعظَم القَضايا أوِ المسائِل الأمنيَّة تنطَوي على مَزيجٍ مِنْ عدَّة أبْعادٍ أمنيَّةٍ، لا يمكن لأيٍّ منْها منفردًا، أنْ يعبّرَ بشكلٍ كافٍ عَنِ المسألة الأمنيَّة، ونهْج بِنائِها، وربَّما مرَدّ التَّشابُك بينَ جَميع هذهِ الأبْعاد، هوَ الارتِباط الوَثيق الَّذي يجمَع الحُقوق المدنيَّة والسِّياسيَّة بالحُقوق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة...؛ إذْ تولَد بينَها علاقةٌ تبادُليَّةٌ نفعيَّةٌ، للحدّ الَّذي يُعْرَفُ معَها كلّ حقٍّ مِنْ خِلال التَّفاعُلات الشّاملة لمجموع الحُقوق الأُخْرى، في ظِلّ كيانٍ قانونيٍّ مُتَناسِقٍ، ومُتكامِلٍ، وغير قابلٍ للفصْل، نظَرًا إلى كَوْن جَميع حُقوق الإنسان، سَواءٌ أكانَتْ مدنيَّةً، أمْ سياسيَّةً أمْ ثَقافيَّةً، أمِ اجتماعيَّةً، حُقوقًا أصليَّةً منبعها كَرامة الإنسان، ومِنْ ثمَّ فهيَ تحصلُ على المكانَةَ نفْسِها، مِنْ حيثُ الحُقوق، ما

يجعَل مِنْ تَدريجها على سلَّمٍ هرَميّ، أمرًا شبْه مُستحيلٍ[1]؛ وبذلكَ، وعنْد الوُقوف على الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، ومَدى تَرابُطه معَ الأبْعاد الأمنيَّة وسِياساتها المتنوّعة، يتَّضح الآتي[2]:

- إنَّ الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، وكغيره مِنَ الأبْعاد الأمنيَّة الأُخْرى، يتطلَّب وُجود أمْنٍ سِياسيّ فعّال، قادرٍ على الاستِجابة لمطالِب المواطنينَ، وانبِثاق المواطَنة مِنْ تُربة الدَّولة الوطنيَّة، بما أنَها هِيَ البيئة السِّياسيَّة الحاضِنة، علمًا أنَّ المواطَنة ليستِ انتِماءً إلى دوْلةٍ، مِنْ قبَل مَنْ يقَعون تحتَ سُلطانها السِّياديّ؛ فما أكثرَ مَنْ همْ رَعايا دُوَلٍ مِنْ دون أنْ يتمتَّعوا بصِفة المواطِنين! وبناءً على ذلكَ، فَإنَّ المواطَنة عَلاقةٌ سياسيَّةٌ بين أفْراد مجتمعٍ، ودَولة، يشترَكونَ في شؤونها العامَّة، وهذا ما تشيّده الدَّولة الوطنيَّة على الأُسس السِّياسيَّة والقانونيَّة، الَّتي تولّد علاقاتِ المواطَنة وتمأسسها[3]؛ لذلك، يصعب تصوُّر وُجود أمْنٍ سياسيٍّ؛ وبالنَّتيجة استِحالة بُلوغ أمْنٍ اجتماعيّ مستقرّ، في ظلِّ غِياب مَنظومة سياسيَّة اجتماعيَّة، شرعيَّة، وممثّلة لأطْياف المجتمَع كافَّة، بمشارِبه العِرقيَّة، والإثنيَّة واللُّغويَّة، والدّينيَّة...، وتحتَكِم في تنظيمها لعَلاقة الدُّوَل بمُواطنيها، إلى مبدأ المساواة في الفُرَص بينَ الجَميع، ومُشاركتهمُ الحُرَّة في صُنْع القَرارات الماسَّة بنِظام حَياتهم، وَبخاصَّةٍ في ظِلِّ رفْض العَديد مِنَ الدُّوَل لإصْرار وتمسُّك الطَّوائف والمجاميع الصَّغيرة، بِحُقوقها المشروعَة، في التَّمثيل والمشارَكة في مؤسَّسات الدَّولة، وتَقاسُم السُّلطة، وهوَ ما يُعدُّ عامِلًا

---

(1) محمَّد يوسُف عَلوان ومحمَّد خَليل الموسى، القانون الدَّوليّ لحُقوق الإنسان (المصادِر ووَسائِل الرَّقابة)، ج 1، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، 2005، ص 114.

(2) للمَزيد يُنظَر: أحمَد غالِب محيي وعليّ أحمَد عبْد مَرزوك، مَصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 220-225.

(3) عبد الإلٰه بلقزيز، الجَماعة السِّياسيَّة والمواطَنة، المركَز الثَّقافي للكِتاب، المغرب، 2020، ص11.

مهمًّا في إذكاء الصِّراعات والتَّوتُّرات في المجتمَعات المتنوّعة ثَقافيًّا. وعلى خِلاف ذلك، فإنَّ توافُر شُروط تَحقيق الْأَمْن السِّياسيّ، مِنْ شأنه أنْ يشكّل قاعِدةً صلبةً للانطِلاق نحوَ بِناء شُروط تَحقيق مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، لِكوْنِه يوفِّر للأفْراد والجَماعات الأدواتِ الضَّروريَّةَ الَّتي تمكّنهم مِنَ السَّعْي بخُطًى ثابتةٍ وواثِقة، نحوَ بُلوغ التَّمكين والانتِفاع مِنْ مَنافِع الانتِماء الثَّقافيّ.

- يَستمِدّ الخَطر الرَّئيس للأمْن المجتمَعي، في ما يُعرَف بـ (المعضِلة الأمنيَّة المجتمَعيَّة)، والَّتي تتجسَّد في واقِعٍ مَفاده أنَّ (أمْن مَجموعةٍ مُعيَّنة، يؤدّي إلى انْعِدام أمْن المجموعات الأُخْرى)؛ وبِالنَّتيجة، كلّ فَريقٍ يعتقد أنَّ رفاهيَّته مشروطةٌ بوُجود عُيوبٍ في المجتمَعات الأخْرى، فَرَفاه الفِئات الأخْرى يمثّل مَساوئَ للمَجموعات نفسِها، ولا يقتَصر الوضْع على ما هوَ عليْه، بل تؤمِن كلّ مَجموعةٍ بتفوُّق ثقافتِها وقيَمها، وترفُض الآخَرينَ جميعَهم، كما تعمَل بناءً على هذا الاعتِقاد، بفرْض أيديولوجيَّتها على المجموعات الأُخْرى، وقد تَلجأ مِنْ أجْل تحقيق ذلكَ، إلى استِعمال العُنْف المادّيّ، المنبّه للعَديد مِنَ الصِّراعات، وبسبَب هذه المعضِلة الأمنيَّة؛ فَإنَّ الصِّراعات الَّتي تنشأ مِنْ قَضايا الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، يمكن أنْ تتَّخذَ أشكالًا عنيفةً؛ فعَلى أرض الواقع، يمكن أنْ تَتصاعدَ وتيرة العُنْف، إلى الحَدّ الَّذي يصبح معَه الهدَف مِنَ الصِّراع، هوَ القَضاء على الوُجود الاجتِماعي للطَّرَف الآخَر، وقد لوحِظ هذا الأمْر فعليًّا في العَديد مِنَ الصِّراعات الطّائفيَّة، الَّتي كثيرًا ما تجلَّت مَظاهرها في مُمارَسات التَّطهير العِرقيّ، والإبادة الجَماعيَّة، اللَّتَيْن تستهدِفان بشكلٍ رئيسيّ، استِبعادَ مَجموعَةٍ عِرقيَّة، أوْ طائفيَّة، أوْ جَماعَة لُغويَّة، مِنْ مِنطقةٍ مُحدَّدةٍ، بجَميع الوَسائل المتاحَة، وفي مُقدّمتها (القتْل، والتَّشريد، والتَّرهيب، وتهجير السُّكّان...)، وفي جَميع هذه الحالات، يختفي التَّمييز تَمامًا بينَ المقاتلينَ وغيرِهم مِنَ المدنيّينَ العُزَّل، الَّذينَ يتعرَّضونَ للقتْل والتَّصفية، على أساس انتِماءاتهمُ الاجتِماعيَّة، والهُويّاتيَّة. والأخطَر مِنْ ذلك، يُصبح الأطْفال

والنّساء والشّباب، هُمُ الأهْداف المفضّلة لهذا النّوع مِنَ العُنْف، لِكَوْنِهم يمثّلونَ بُذور استِمرار الأجيال والمجتَمَعات، وهوَ ما يؤكّد أنَّ الفَرد هُوَ المحاصَر الأساسيّ بمهدّدات الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، الّتي غالبًا ما تترك آثارًا عَميقةً، تمسّ سَلامَته وأمْنَه بالدَّرَجة الأولى.

شكل رقْم (3)

مُسبّبات العُنْف مِنْ مَنْظور الْأَمْن الشّخصيّ وتأثيرها على الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ

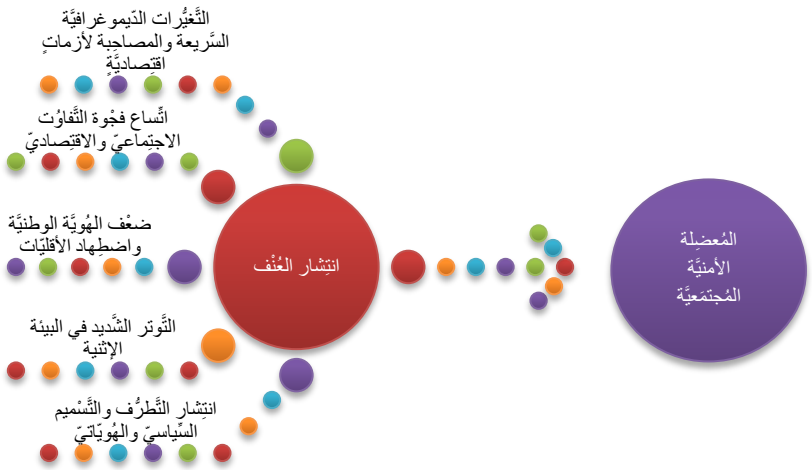

- وقَدْ توصّلتْ لَجنة كارنيجي لمنْع النّزاعات المسلّحة، إلى أنَّ المحاوَلات الكَثيرةَ الّتي بُذِلتْ في القَرْن العشرينَ، لقَمْع الاختلافات الإثنيّة، أو الثّقافيّة، أو الدّينيّة، قدْ أدّت إلى سفْك العَديد مِنَ الدّماء، في الوقْت الّذي ساعَد فيه اسْتيعاب التّنوُّع داخِل الأشكال الدّستوريّة المناسِبة، على الحَيلولة دونَ وُقوع المزيد مِنَ النّزاعات والضّحايا، كما توصّلت البُحوث الّتي أجْراها مَكتَب منْع الأزمات والتّعافي منْها، التّابع لبَرنامَج الأُمَم المتّحدة الإنمائيّ، إلى وُجود عَلاقةٍ طرديّةٍ، بينَ احتِمال حُدوث النّزاعات، وعدَم المساواة بينَ الفئات، في حينِ رصَد مَشروع الأقلّيّات المعرَّضة للخَطَر، في جامِعة ميريلاند، مَجموعة مؤشّراتٍ للتّمييز السّياسيّ والإقْصاء الثّقافيّ والاقتِصاديّ والاضْطِهاد، في

(283) أقلِّيَّةً، في جَميع أنحاء العالَم، ووَجد ارتِباطًا كبيرًا بينَ التَّعرُّض للحِرمان مِنَ الحُقوق، وحُدوث النِّزاع، كما توصَّلت دِراساتٌ عديدةٌ إلى وُجود عَلاقة بينَ التَّحوُّلات السِّياسيَّة، وتَصاعُد حالاتِ النِّزاعات، أوْ وُجود سبَبٍ رمزيٍّ مُحدَّد، ذي ارتِباط بإهانة هُويَّة مجتمَعٍ محلِّيٍّ ما، مثْل حِرمان الأقلِّيات مِن استِخدام لُغتِهم الأمّ[1]، وإنَّ عمليَّة احتِواء تلك المهدِّدات لا تتمّ إلّا مِنْ خِلال منْح مساحةٍ أكبرَ للهُويّات الثَّقافيَّة، وإيجاد حُلولٍ للتَّعايُش السِّلميّ، وقبول الاختِلاف في ظِلّ بيئةٍ ديمقراطيَّةٍ مُشدِّدةٍ على أهمِّيَّة حُقوق الإنسان، وثَقافة الحِوار، ومرَكزيَّة السَّلام، وحُقوق المواطَنة، في مُواجَهة كُلّ مُحاوَلات الاحتِواء والهيمَنة على الشَّخصيَّة مِنَ الخارِج، أوْ مِنْ طرَف مَجموعاتٍ أخْرى.

- يُشكِّل الْأَمْن الاقتصاديّ بُعدًا أساسيًا وضروريًا لتَحقيق الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، ويُعَدّ شَرطًا أساسيًّا للتَّحرُّر مِنَ الحاجَة الَّتي تُشكِّل، إلى جانِب التَّحرُّر مِنَ الخَوْف، عِماد الْأَمْن، بمَنظوره الجَديد، القائِم بالأساس على البُعد الإنسانيّ، بيْدَ أنَّ تحقيقَه يتطلَّب أكثرَ مِنْ مجرَّد تأمين دخْلٍ ثابتٍ للفَرْد، سَواءٌ عَنْ طَريق عمَلٍ مُنتِج ومَدفوع الأجْر، أمْ عبْر شَبكةٍ عامَّةٍ وآمِنة[2]. بالإضافة إلى ذلك، تجتاح النّاسَ غيرَ الآمِنينَ اقتصاديًّا، وبخاصَّة الفُقَراء منْهم، حالَةٌ مِنَ الخَوْف المستمرّ مِنَ المستقبَل، على ضوْء فُقدانهُم الأمَل في الحَياة، بحُكم مُعاناتهم المتعلِّقة بالسَّكَن، وسوء الخدَمات الصِّحِّيَّة والتَّعليميَّة، وتفَشّي

---

[1] تقرير الخَبيرة المستقلَّة المعنيَّة بقَضايا الأقلِّيّات غاي ماكدوغال، تَعزيز وحِماية جَميع حُقوق الإنسان المدنيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتِماعيَّة والثَّقافية بما في ذلكَ الحق في التَّنمية، الأُمَم المتَّحِدة، الجمعيَّة العامّة، ص 15، شبكَة المعلومات الدَّوليَّة (الإنترنت)، على الرّابط: https://www.refworld.

[2] بَرنامَج الأمَم المتَّحِدة الإنمائيّ والصُّندوق العَربيّ للإنماء الاقتِصاديّ والاجتِماعيّ، تَقرير تَحدِّيات أمْن الإنسان في البُلدان العَربيَّة، نيويورك، 2009، ص 99.

الأمِيَّة، وَكذلكَ لانعِدام ثِقَتهم بأنفُسهم؛ ما تترتَّب عنْه نَتائج خَطيرةٌ على مُستوى الأَمْن المُجْتمَعيّ، كانتِشار الإساءة، والإحْباط، والخيْبة، وروح الاحتقار، نتيجةً للإحساس العَميق بالظُّلم والتَّهميش والإقْصاء؛ الأمْر الَّذي يولِّد ضُغوطاتٍ على مُستوى العَلاقات الإنسانيَّة داخِل المجتمَع، قدْ تصِل إلى حدّ التَّسبُّب في فُقْدان الفُقَراء أصولَهمُ الاجتِماعيَّة والسِّياسيَّة؛ ما قدْ يشكّل دافِعًا خَطيرًا لهُم للدُّخول في صِراعاتٍ اجتِماعيَّة، في سَبيل بحْثهم عَنْ سبُل العيْش، وعَنِ الموارِد والفُرَص[1]. وكمثال على ذلكَ، الأزمة الغِذائيَّة الَّتي ضرَبَت أفريقيا عام 2008، كان لها تأثيرٌ كَبيرٌ على فِئات السُّكّان الضَّعيفة، وبِخاصَّة تلكَ الَّتي كانتْ تُعاني مِن وَيلات الفَقر؛ إذ عَمَّت مُظاهَراتٌ عارِمَةٌ في العَديد مِنْ دُوَل القارَّة، مِنْ بينها (بنين، وبوركينافاسو، والكاميرون، وساحِل العاج، وجمهُوريَّة غينيا، ومالي، وموزنبيق، والسِّنغال، والصّومال، وزمبابوي)، على خلفيَّة تَدهوُر الأحْوال الاجتِماعيَّة والاقتِصاديَّة والارتِفاع الشَّديد في تَكاليف العَيْش. وقدْ صاحَبتْ بعضَ هذهِ المظاهَرات، مَوْجاتُ عُنْف قويَّةٌ، تسبَّبتْ في إتْلاف وتَخريب العَديد مِنَ الممتلَكات العامَّة والخاصَّة، إلى جانب وَفاة عدَدٍ كَبير مِنَ النّاس، الَّذينَ كانوا يُطالِبونَ بحقّهم في مُستوًى مَعيشيّ لائِقٍ، يحفَظ لهُم كَرامتهم وحُقوقَهمُ الأساسيّة، وعلى رأسها (حقُّهم في الطَّعام)، وذلكَ نتيجةً للُجوء السُّلُطات داخِل هذهِ الدُّول، إلى استِعمال القُوَّة المفرِطة لهذهِ التَّظاهُرات. وفي الكاميرون على وجْه التَّحديد، تُوُفِّيَ ما يَزيد على (100) شَخْصٍ، على يَدِ السُّلُطات في الدَّولة، في أثناء قمعِها وتَفرقَتها لمظاهَراتٍ عَنيفةٍ، في العَديد مِنَ المدُن الكاميرونيَّة،

---

[1] البَنك الدّولي، تَقرير التَّنمية في العالَم (شَنّ الهُجوم على الفَقْر) 2000- 2001، واشنطن، ص4.

احتجاجًا على ارتفاع تكاليف المعيشة، وانخفاض مُعدَّل الأُجور[1]. ويُشير مُعظَم الباحثين، إلى أنَّ أعْمال الإرْهاب والعُنْف والشَّغَب، الَّتي تجتاح العَديد مِنَ المجتمَعات، ترجع مُقوِّماتُها، وجُذورُها الأساسيَّةُ، بالدَّرَجة الأولى، إلى عوامِلَ اقتِصاديَّةٍ، على اختِلافها (الفَقر، والحِرمان، والبِطالة، وارتِفاع الأسعار، وانخفاض الأُجور...)، وتَدفَع هذه العَوامِل بالفُقَراء والمحتاجينَ، المتنصِّلينَ مِنْ قيَمهمُ الأخلاقيَّة والدِّينيَّة، والمفْتقِرينَ إلى التَّنشئة الاجتِماعيَّة السِّياسيَّة الحَصينة، إلى ارتِكاب أعْمال العُنْف والممارسات الإرهابيَّة، وإثارة الحُروب والنِّزاعات الدّاخليَّة، للتَّعبير عَنْ غَضبهم، وسخَطهم على المجتمَع؛ الأمْر الَّذي يشكِّل خطَرًا على المجتمَع والدَّولة معًا، وتعكيرًا في الوَقت ذاته، لأمْن الأفْراد وسَلامتِهمُ الشَّخصيَّة؛ وكذلكَ تَهديدًا لأمْنهمُ الاجتِماعيّ. أمّا إذا ترافَق انعِدام الْأَمْن الاقتصاديّ، معَ حالَة اللّامُساواة البارِزة بينَ المجاميع والطَّوائف والأقاليم؛ فإنَّه سيشكِّل عامِلًا محوَريًّا في زَعزَعة استِقرار حالَة الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وإذكاءِ التَّوتُّرات السِّياسيَّة والإثنيَّة، بخاصَّةٍ إذا ما صاحَب اللّامُساواة القائمة على أُسسٍ عِرقيَّةٍ أو إثنيَّةٍ.. وما شابَه ذلكَ مِنْ صوَر التَّمييز المجحِف، الَّذي يتَرافق معَ احتِكار الموارِد والفُرَص في جَماعَةٍ مُعيَّنة، على حِساب باقي المجموعات الاجتِماعيَّة الأُخْرى؛ الأمْر الَّذي سيؤدّي إلى زِيادة التَّذمُّر واللّاإستقرار؛ ما يؤدّي بدوْره إلى تَعميق الهُويَّة والتَّضامُن العِرقيّ، وكذلكَ إنتاج بيئةٍ خصبَةٍ لنموّ أشكالٍ مِنَ الانحراف، والتَّطرُّف، والإرهاب، والعُنْف، والتَّمرُّد، والمعارَضة الجامِحة، الَّتي قدْ لا تَستهدِف الْأَمْنَ الشَّخصيّ والاجتِماعيّ والاقتِصاديّ

---

[1] منظَّمة العفْو الدَّوليَّة، تَقريرٌ حوْل حالة حُقوق الإنسان في العالَم، ط 1، 2009، ص11.

للأفْراد فقط، بل وحتّى أمْن الدَّولة والأمْن الإقليميّ[1]؛ ومِنْ ذلك، يمكن القوْل إنَّ الأمْنَ الاقتصاديّ له أهمِّيَّةٌ كُبرى في تَحقيق ودعْم الاستقرار الاجتماعيّ، وَبخاصَّة أنَّ تحليل التَّوتُّرات والصِّراعات الإثنيَّة، لا يمكن فصْلها عَنْ مَسائل التَّوزيع، والاشتراك العادل للمَوارد أوِ الثَّروات بينَ أفْراد المجتمَع؛ فالتَّوتُّر والصِّراع الإثنيّ في ماليزيا، بين المالاويّينَ والصّينيّينَ في السّتينيّات، وكذلكَ الصِّراع المتأجّج بينَ السّنهاليّينَ والتّاميل في سريلانكا، والتّوتّر بينَ السُّكّان الأصليّينَ والطّائفة الهنديَّة في فيجي، جميعها قَضايا تؤشّر إلى حَقيقة مَفادها أنَّ القَضيَّة لا يمكن عزْوُها ببَساطة إلى عامِل الهُويَّة، وإنَّما أكثر ارتباطًا بمسائلَ أُخرى، كالإقْصاء والتَّهميش في الأُطُر الاجتماعيَّة، والَّتي مِنْ مُقَوّماتها العَوامِل الاقتصاديَّة، وعدَم استقرار الْأَمْن الاقتصاديّ؛ فالعُنف الاجتماعيّ بينَ المسلمينَ والهندوس في الهنْد، يحدث مِرارًا وتكرارًا، بسبَب المصالح الاقتصاديَّة المتَضارِبة، ومسائلَ أُخرى تتعلَّق بتَقاسُم الموارِد والثَّروات، ولكنَّها تعبّر عَنْ نفْسها، بمُمارَساتٍ تتعلَّق بالشَّعائر الدّينيَّة لكلّ ديانة.

- يُشكّل الْأَمْن الإنسانيّ أحَد أهمّ المداخل الجَديدة لدراسَة حُقوق الإنْسان، لا لِكوْنه ذا أُطُرٍ معياريَّة، أوْ قيَميَّة، أوْ قَواعدَ قانونيَّة، ترتكز بالأساس على تَحديد مَجموعَة واسعة مِنَ الحُقوق السّياسيَّة والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، اللّازم توافرُها في الأفْراد كافَّةً، بغَضّ النَّظَر عَنِ (النَّوع، أوِ الدّين، أوِ الجنْس، أوِ الانتماء السّياسيّ...)، والمتَّخذة في مُعظَم الأحيان شكْل مُطالَبات قانونيَّة، تنمّ عَنْ ضَرورة سَنّ تَشريعات، وإبرام اتّفاقيّات دَوليَّة، كَفيلة بوضْع التزامات مُحدَّدة، تجاه حُقوقٍ بعيْنها، ولكنْ لِكَوْنه أساسًا تعبيريًّا فعليًا عَنْ مُستوى تَحقيق الإنسان لذاته القيَميَّة (الخاصَّة)،

[1] منيغر سَناء، التَّنوُّع الثَّقافيّ مِنْ مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، رِسالة ماجِستير، كلّيَّة الحُقوق والعُلوم السّياسيَّة، جامِعة سطيف 2، 2014، ص 94.

وعَنْ مُستوَى إشْباعه لحاجاته الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، المرتبِطة ببَقائه وعَيشه[1]؛ من ذلك، جاءَ مَفهوم الْأَمْن الإنسانيّ، في مَجال الدِّراسات الأكاديميَّة، استِجابةً للحاجَة الملِحَّة في تَجاوُز التَّركيز على الأُطُر القانونيَّة، كأساسٍ للتَّعامُل معَ مُشكِلات غِياب أمْن الأفْراد؛ فَعلى الرُّغم مِنْ وُجود مَجموعَة كبيرة مِنَ الأُطُر القانونيَّة، المنظِّمة لالتزامات الدُّوَل، تجاه قَضايا حُقوق الأفْراد، إلّا أنَّها تبقى غير كافِية، وفاقِدةً للفعاليَّة، بسبَب وُجود مَيْلٍ للدُّوَل، نحْو التَّركيز على المعْطَيات السِّياسيَّة، لا الإنسانيَّة؛ إذْ يكمن جوهر مَفهوم الْأَمْن الإنسانيّ، الَّذي يتعامل معَ حُقوق الإنسان، لِكوْنِها إطارًا حرَكيًّا، مُوجِّهًا للسِّياسات العامَّة، ومُحدِّدًا لمستَوَيات التَّفاعُلات الإنسانيَّة، سَواءٌ داخِل المجتمَع، بينَ الأفْراد أنفُسهم، أمْ معَ النِّظام السِّياسيّ، وَبينَ الدُّول، أمْ فيما يختَصّ بِالإنسانيَّة جمْعاءَ؛ فَحُقوق الإنسان مِنْ مَنظور الْأَمْن الإنسانيّ، وإنْ كانتْ ترتَكز حقيقةً على الأفْراد، إلّا أنَّها لا تَنظر إليه كَمركَزٍ، بمعنى هَدَفٍ وغايَة فقَط، بلْ كصاحِب حَقٍّ، وشَريكٍ فعْليّ، وكَفاعِلٍ أساسيّ تجاه النُّظُم السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والبيئيَّة؛ ومِنْ ذلكَ، نجِد أنَّ معظَم الأهْداف الَّتي يتطلَّع الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ إلى تَحقيقِها، قدْ تكون في أكثرها، هيَ نفْسُها المراد بلوغُها، مِنْ قبَل مَفهوم الْأَمْن الإنسانيّ، لأنَّ كِلَيْهما يهدف إلى احترام وحِماية الحُقوق والحُرِّيّات الأساسيَّة، وتعزيز الحُكْم، وتمكُّن المواطِنينَ مِنَ الانتفاع مِنْ حُقوقهم، وتَوسيع نِطاقها على الأقلّ في حُدودها الدُّنيا، وحتّى لَوْ كان مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ يولي اهتِمامًا خاصًّا بالأُطُر المتعلّقة بالقَضايا الاجتماعيَّة والهُويّاتيَّة، وَذلكَ لا يُلغي الصِّلة التَّبادُليَّة بينَ جَميع أبْعاد الْأَمْن، ومِنْها (الإنسانيّ).

[1] نور الدّين دُخان، الأمْن الإنسانيّ (دِراسةٌ في المفْهوم)، مجلَّة دِراسات إستراتيجيَّة، العدَد 9، مرْكَز البَصرة للبُحوث والاستِثمارات والخدَمات التَّعليميَّة، الجَزائِر، 2009، ص 12.

مِنَ البيّنِ إذَن، أنّ الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وسياساته المتنوّعة، وترابُطه معَ سلسلة الأبْعاد الأمنيَّة، المذكورةِ سابقًا، لا يتحقَّق إلّا ببُلوغ لحظَة التَّعايُش والاستقرار، والتَّمتُّع بالمكتَسَبات المدنيَّة والسّياسيَّة، الفَرديَّة والجَماعيَّة، خُطوةٌ ضروريَّةٌ وحاسمةٌ، لا مَحيدَ عَنْ سُلوك دربِها نحْو بِناء (مَنظومة أمنيَّة مُتكاملة)؛ فَالْأَمْن الْمُجْتمَعيّ بمفهومِه المعاصِر، يتجاوَز المفهوم المركَّز للسَّلامة الجَسديَّة، أوِ الوِقاية مِنَ الإجرام، ليَشمل سِياساتِ مُواجَهة حالات التَّنازُع، والصِّراع بينَ الانتماءات الموضوعيَّة، والتَّنوُّعات الثَّقافيَّة والسّياسيَّة، عَنْ طَريق التَّعايُش المشترَك بينَ هذهِ التَّنوُّعات، على قاعِدة الهُويّة الوطنيَّة المشترَكة، والوحْدة الوطنيَّة والمصالح الاقتصاديَّة والسّياسيَّة.

وبِناءً على ذلكَ، فإنَّ الهدَف الأسْمى للأمْن المجتمَعيّ، هوَ تَحقيق التَّعايُش السِّلميّ، وإنَّ الأخير يَنفي مَبدأ التَّدافُع والصِّراع في الحرَكة الاجتماعيّة؛ إذْ يَعني بِشكلٍ مُحدَّد، استبدال أساليبَ سِلميَّة تَقوم على الحُجَّة والبُرهان، وتَحكيم الرَّأي العامّ، بِتِقْنيّات التَّدافُع، وأساليب الصِّراع، مِنْ تِقْنيّاتٍ وأساليبَ عَنيفَة (قَمعيَّة)، وتَبقى الحُدود الَّتي تُحافِظ على مَنهجيَّة هذا التَّدافُع، هيَ الوَلاء للأمَّة والمجتمَع والوَطَن، ويبقى التَّعايُش السِّلميّ وآلِيّاته المختلفة، أحَد مَقاصد أوْ أهْداف الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، الَّذي لا يؤسِّس للعَلاقة السِّلميَّة بينَ التَّنوُّعات السّياسيَّة والثَّقافيَّة، داخِلَ المجتمَع فحَسْبُ، بل يؤسِّس للعَلاقة داخل الإطار الواحِد أيضًا؛ وَبِناءً على ذلكَ، فَإنَّ بِناء وتَرسيخ ثَقافَة التَّعايُش بينَ الهُويّات الثَّقافيَّة المتنوّعة، وتأطيرها بهُويَّة وطنيَّة جامعة، يَقِف حائلًا أمام نمُو التَّطَرُّف؛ فَيقطَع جُذوره. لِذا، ينبَغي أنْ يتمَّ ذلكَ على أُسُس الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وما يرتبِط بِه مِنْ مَضامينَ نَفسيَّة، واقتِصاديَّة، وحتّى صِحّيَّة في بعْض الأحْيان؛ ما يجعَل طبيعة المعالَجة ذاتَ انعِكاساتٍ فعّالة، في تَفعيل مُضادّات الهَشاشة، تِجاه أمراض الهُويَّة.

2. اللّيبراليّة المُؤسّساتيّة والبِنيَويّة والأَمْن المُجْتمَعيّ

تُعَدّ اللّيبراليَّة مِنْ أقدم النَّظريَّات الَّتي دخلَتْ حقْل العُلوم السِّياسيَّة، وهيَ كَباقي النَّظريّات، تَجمُّعٌ وتَراكُمٌ لأفْكارٍ مختلفة؛ فَاللّيبراليَّةُ أيديولوجيَّةٌ جامِعةٌ، تَتفاعل في بوتَقتها الفَلسَفات الأربع الوضعيَّة، والوضعيَّة المنطِقيَّة، والبراغماتيَّة، والوُجوديَّة، وغَيرها مِنَ الفلسَفات الأُخْرى، بِغَضّ النَّظر عَنْ مَدى، ونَوعيَّة العَلاقات، بينَ كلٍّ منْها، وبينَ أطروحات الأيديولوجيَّة نفسها، في مَجالات أُخْرى، وتُغطّي اللّيبراليَّة أُفُقًا واسعًا مِنَ الفِكْر الدَّوليّ؛ إذْ تمتدّ مِنَ اللّيبراليَّة الدَّوليَّة في عصْر التّنوير، إلى اللّيبراليَّة المثاليَّة لما بينَ الحَرْبَيْنِ العالميَّتَيْنِ، الأولى والثّانية، ونَظريَّة السَّلام الدّيمقراطيّ، وأخيرًا النّيوليبراليَّة[1]، وبذلكَ تعدَّدتِ الاتّجاهات في تَفسير مَفهوم اللّيبراليَّة، وَيمكن إيجازها بالآتي[2]:

- الاتّجاه الأوَّل: يرى في اللّيبراليَّة مَنظورًا عقليًّا فرديًّا، وينطلق مِنَ الفرْد ليعزّز مكانتَه على حساب الجَماعة، والمبدأ الَّذي يَقوم عليْه هذا المنظور العَقليّ، هُوَ حُرّيَّة الفرْد، في الميادين كلّها، الاقتِصاديَّة، والاجتِماعيَّة، والسّياسيَّة، والرّوحيَّة.
- الاتّجاه الثّاني: يَرى في اللّيبراليَّة نِظامًا فلسَفيًّا متجانِسًا، يؤكّد استِقلال الفَرد، في إطار الكَوْن الَّذي يَعيش فيه؛ فهِيَ مُنتظَمٌ (نِظامٌ فِكريٌّ)، يقرّر قبْل كلّ شَيءٍ، كَمبدأ ووَسيلةٍ لازمَيْنِ، لازدِهار الفَرد بالحُرّيَّة الفرديَّة.

---

(1) آمال محمَّد عبْد الرَّحمٰن عوَض، النَّظريَّة الواقعيَّة والنَّظريَّة اللّيبراليَّة في العَلاقات الدَّوليَّة "دِراسَةٌ مُقارَنةٌ"، رِسالة ماجِستير، كلّيَّة الاقتِصاد والعُلوم الإداريّة، جامِعة غزَّة، 2016، ص54.

(2) عبْد الرِّضا الطّعّان وآخَرون، مَوسوعة الفِكر السِّياسيّ عبْر العُصور، ط 1، ابن النَّديم للنَّشر والتَّوزيع، الجَزائِر، 2015 م، ص 449.

- الاتّجاه الثّالث: ويرى في اللّيبراليَّة مَنظورًا مُجتمعيًّا عامًّا، قِوامه وُجود مُجتمَعٍ، يعتَمد اقتِصادَ السّوق (النّظام الرّأسماليّ)، الّذي تميّزه المنافَسة الحُرَّة اقتِصاديًّا، وَصُعود الطَّبقة المتوسّطة إلى السُّلطة، وهيمنتها عليْها اجتِماعيًّا، والدّيمقراطية سياسيًّا، وحُرّيَّة التَّفكير والتّعبير ثَقافيًّا، والإيمان بالفَرد والفرديَّة أخْلاقيًّا.

يَعود مُصطلَح اللّيبراليَّة (Liberalism)، إلى الكلمة اللّاتينيَّة (Liber)، بمعنى حُرّ، وقد استُعمِلتْ كلمة ليبراليّ بشَكلٍ دَقيقٍ ومُباشَرٍ، لأوَّل مرَّة على وجْه التَّحديد، عام 1810، عندَما تمَّ إطلاقها على أحَد الأحْزاب السِّياسيَّة في إسبانيا[1]، وتعبّر اللّيبراليَّة في جَوهَرها عَنْ مُعتقَد ثابتٍ، هوَ أنَّ الإنسان حُرٌّ، وأنَّ هذه الحُرّيَّة تظهَر في مُعارَضتِها لكلّ ما هُوَ مُضادٌّ لها في الواقع والفكر، ولهذا، فإنَّ اللّيبراليَّة تمثّل النَّقيض للاستبداد، للشُّموليَّة (التّوتاليتاريَّة)، للأوتوقراطيَّة، للحُكْم المطلَق، ولهَيمَنة الدَّولة. وبعبارةٍ أُخْرى، إنَّ اللّيبراليَّة هيَ (الانعتاقيَّة، أوِ المذهَب الفَرديّ). كما أنَّها مَذهَبٌ ومَجموعَةٌ مِنَ المبادئ، مِنْ أجْل تَنظيم وإدارَة اقتِصادٍ سوقيٍّ، بهَدف تَحقيق أقْصى قدْرٍ مِنَ الفاعليَّة والنُّمّو الاقتِصاديّ، ورَفاه الفَرد. وبكلمة موجَزة، يمكن القَوْل إنَّ مَعنى اللّيبراليَّة، تُجسّده الصّيغة الّتي اقْترحَها (الفزيوقراطيّونَ)[2]، والقائلة: "دعِ الفرْدَ يعمَل، دعِ السِّلَع تمرّ".

---

(1) محمّد محمود رَبيع، الفِكر السّياسيّ الغَربيّ فَلسَفته ومَناهِجُه مِنْ أفْلاطون إلى ماركس، مَطبوعات جامعة الكوَيت، الكوَيت، ط 1، 1994، ص 399.

(2) الفزيوقراطيّونَ أو الطّبيعيّونَ أو المدرَسة الطَّبيعيّة (Physiocrats)، شكّلَه تيّارٌ مِنَ المفكّرينَ الاقتِصاديّينَ، ظهَروا بينَ عامَيْ (1750- 1775)، وقِوام فَلسَفتهم تَستَند إلى أنَّ الظّاهِرة الاقتِصاديَّة تحكُمها قَوانينُ طبيعيّةٌ بمنطق الظَّواهر الطَّبيعيّة نَفسها، والّتي يجب كشْفها بمنهَجيّةٍ علميّةٍ بَعيدًا عَنِ التّحليل الأخْلاقي والفَلسفيّ، وكان مِنْ أبْرز هؤلاء المفكّرينَ، الاقتِصاديّ الفَرنسيّ الطَّبيب (فرانسوا كيناي) (1694- 1774)، الّذي وضَع

ومِنْ ثمَّ إنَّ الصّورة الجَديدة للّيبراليَّة، تختلف تمامًا عَنِ اللّيبراليَّة التَّقليديَّة؛ لأنَّ الأخيرة قدْ عرَّفها الكثير مِنَ المفكّرينَ بأنَّها (ليبراليَّةٌ ثوريَّةٌ، وتقدُّميَّةٌ في نزعَتها. وبمعْنًى آخَرَ، إنَّ اللّيبراليَّة التَّقليديَّة تُعَد ثورةً ضدّ الملكيّات المطلَقة، ضدَّ الكَمّ الهائِل مِنَ القُيود السّياسيَّة، والاقتِصاديَّة والاجتِماعيَّة والدّينيّة، والَّتي تشكَّلت خِلال القُرون الماضية)، وإنَّ اللّيبراليَّة تَعني التَّركيز على الفَرد، وتؤمِن بضَرورة تحرُّره مِنْ كلّ أنْواع السَّيطرة والاستِبداد؛ فاللّيبراليَّة تَصبو على نحْوٍ خاصّ، إلى تَحرير الفَرد مِنْ تَسلُّط الدَّولة، بمعْنى (الاستِبداد السّياسيّ)، ومِنْ تسلُّط الجَماعَة السّياسيَّة، بمَعْنى (الاستِبداد الجَماعيّ)؛ وبهذا، فهِيَ جعلَتْ مِنَ الفرْدِ الغايَة في ذاته، مُعارِضَةً بذلكَ الأعْراف والتَّقاليدَ والسُّلطَة المطلَقة، عبْر رفْضها جعْل إرادَة الفرْد مجرَّد امتِدادٍ لإرادَة الجَماعَة. ولعلَّ الفِكر السّياسيَّ اللّيبراليَّ بات يتميَّز بأوجُهٍ عَديدة، وهذا ما أكَّده (جان توشار)، بقَوْله: "بدت اللّيبراليَّة، ولمدَّة طَويلة، ككُتلة واحِدة؛ فاللّيبراليَّة السّياسيَّة والاقتِصاديَّة والفِكريَّة والدّينيَّة، كلُّها تمثِّل مَظاهِر عَديدة، لعَقيدة واحِدة وذاتيَّة". ومعَ ذلكَ، نجِد أنَّ هُناك العَديد مِنَ المفكّرينَ يجِدونَ أنَّ اللّيبراليَّة تتميَّز بوجهَيْنِ، أوْ صفتَيْنِ أساسيَّتَيْنِ، هُما: اللّيبراليَّة السّياسيَّة، والاقتصاديَّة؛ فكِلاهما يمثّل جزْءًا لا يتجزَّأ مِنَ الآخَر. وفي بعْض الأحْيان، يكمّلان بعْضُهما البَعْض[1].

أُسُس المدرَسة الفيزيوقراطيَّة، بإصداره كتابَه الشَّهير (الجَداول الاقتِصاديَّة) سنة 1750، والَّذي انضمَّ تحتَ رايته عدَدٌ مِنَ المفكّرينَ الاقتِصاديّينَ الفَرنسيّينَ، مثل (آن روبير جاك تيرجو)، والكونت (دي ميرابو)، و(ديبون دي نيمور)... وعلى خِلاف الماركنتيليَّة، الَّتي صاغ أفْكارَ ها التُّجّار والسّيا سيّونَ؛ فإنَّ الطَّبيعيّة صاغَتْها مَجموعَةٌ مِنَ العُلَماء والملّاك الزّراعيّينَ بفَرنسا، وا ستمرَّت هَيمَنة تلكَ الأفْكار الاقْتصاديَّة بفَرنسا، حتّى قِيام الثَّورة الفَرنسيَّة. للمَزيد يُنظَر: أمجَد حامِد جُمعة، جَدَليَّة النّخبويَّة والدّيمقراطيَّة في الفِكر اللّيبراليّ الغَربيّ المعاصِر، أطْروحة دُكتوراه، كُلّيَّة العُلوم السّياسيَّة، جامعة بَغْداد، 2018، ص8.

[1] رنا مَولود شاكِر سَلمان الرّاوي، حُقوق الإنسان في الفِكر السّياسيّ اللّيبراليّ الأوروبّي الغربيّ المعاصِر، رِسالة ماجِستير، كلّيَّة العُلوم السّياسيَّة، جامِعة بَغْداد، 2009، ص 9.

وقد وسَّع المذهب اللّيبراليّ النَّظرة إلى الأمْن؛ إذْ يرتَبط مَفهوم الأمْن عندَ اللّيبراليّين أساسًا، بفكرة الحُرِّيَّة، وتَعاظُم قُدُرات الدَّولة، ومَواردها، الَّتي ستحسّن مِنْ أدائِها، ومُستَواها، وقُدرتها على مُواجَهة التَّحدّيات؛ وبناءً عليْه، فَالقوَّة عندَهم لا تَعني الإرغام، أوِ الإكْراه، بقَدْر ما تَعني (قُدرة الدَّولة على تَوسيع نِطاق مَواردها، أوِ التَّوافُق حولَها)؛ ثمَّ هيَ وَظيفةٌ أساسيَّةٌ في تَحديد إرادتها، لا قُدُراتها، بمعْنى أنَّ الأمْن يعْني القُدْرة على تعْظيم الموارِد اللّازِمة لحِمايَة حُرِّيَّة الإنسان وكَرامته، بِغَضّ النَّظر عَنْ أيَّة مُعْطَيات أخْرى، أوْ مُقيّدات، مثل السِّيادة الوطنيَّة، ومُعْطَيات الأمْن القَوميّ، وما شابَهَ ذلكَ؛ فلا سِيادة قوميَّةً أمام انتِهاك حُقوق الإنسان، أوْ إفقار البَشَر وحِرمانهم حقوقَهمُ الطَّبيعية؛ وبناءً على ذلكَ، لا تركّز اللّيبراليَّة في حقْل الأمْن، على الأبْعاد العَسكريَّة للمَخاطِر، الَّتي تُواجِه الدُّوَل، إلّا أنَّها بتركيزها على دِراسَة بعْض الأنشطة والمتغيّرات، على مُستوى بِنية الدَّولة، الَّتي تشكّل تَهديدًا للدَّولة، سُواءٌ أكانَت اقتصاديَّةً، أمْ سياسيَّةً، أمْ إستراتيجيَّة، وبنائها، مثل: (التَّصنيع، أنواعٍ معيَّنة مِنَ المحاصيل الزِّراعيَّة، التَّخلُّص مِنَ النِّفايات الطِّبيَّة)، مِنَ الممْكن أنْ تُمثّل تَهديدًا بيئيًّا عليْها؛ فهذه التَّهديدات تَتزايَد بالتَّضافُر معَ بعْض المتغيّرات المحلّيَّة الأُخرى، مثل حجْم السُّكّان (عدَد المستهلِكينَ، أوِ المطالِبينَ)، ومُستوى التِّكنولوجيا (المعرِفة، والمهارات، والقُدرة على التَّطوير، وتَحويل الموارِد، والحُصول عليها واستهلاكها)، وثالثًا إمكانيَّة الحُصول على الموارِد ومَدى إتاحتها، وبالرَّبط بينَ الأغْراض الاجتماعيَّة، والتَّركيز النُّظُمي والبِنيويّ، لأداء الدَّولة، مِنَ الممْكن تَفسير المتغيّرات الَّتي تحدُث على مُستوى النِّظام، مثْل (نَظريّات السَّلام الدّيمقراطيّ، والتَّجمُّعات الأمنيَّة)، عَنْ طَريق تَقديم مَفهومٍ واضِحٍ للقُوَّة؛ ثمَّ القُدرة على تَوضيح شُروط تَحقيق السِّلْم والأمْن[1].

---

[1] أحمَد محمَّد أبو زيْد، التَّنمية والأمْن: ارتباطاتٌ نظَريَّةٌ، في مَجموعَة مؤلّفينَ، النُّموّ الاقتصاديّ والتَّنمية المستدامَة في الدُّوَل العربيَّة (الأبْعاد السِّياسيَّة والاجتماعيَّة)، المركَز العربيّ

وبذلكَ، نتعامل اللّيبراليَّة معَ عالَمٍ مثاليّ، تَسعى الدُّوَل فيهِ إلى تَحقيق السَّلام، والتَّعاوُن الاقتصاديّ، والرَّخاء للجَميع، عَنْ طَريق التّجارة والتَّقارُب القِيَميّ، مثلما هوَ الحال في الغَرْب؛ إذْ تهتمُّ الدُّول بالسَّعي نحْو تَحقيق الصّالح العامّ، والاهتمام بالمكاسب الكُلّيَّة، أكثرَ منَ المكاسب الجُزئيَّة، وحَلّ الصّراعات بالطُّرُق السِّلميَّة والتَّفاوُضيَّة؛ ذلكَ أنَّ الإمكانات والاحتياجات الأساسيَّة للشُّعوب مُتوافِرةٌ، ويمكن الحُصول عليْها بسُهولة، وتتواجد مؤسَّساتٌ وتَقاليدُ راسِخَةٌ، في إدارَة العَلاقة بينَ الدَّولة والمجتمَع، والجَماعات العِرقيَّة، على قدْرٍ كَبيرٍ منَ التَّطوُّر، الَّذي يحدّد سبُل العيْش السِّلميّ المشترَك فيما بينَهم، بينَما الأوْضاع في العالَم النّامي مُغايِرةٌ تَمامًا؛ إذْ ما زالتِ الأوضاع التَّنمويَّة في هذهِ الدُّوَل مُتردِّيَةً جدًّا، وَحالة التَّعايُش المشترَك بينَ الهُويّات الثَّقافيَّة مُضطرِبةً، نَتيجة عدَم الاستقرار السِّياسيّ والاجتماعيّ (الدّاخليّ، والخارجيّ)، وحَداثة خِبرتها في التَّعامُل الدَّولي، والتَّدخُّل الحادّ للقوى الدَّوليَّة، (السّاعِية إلى السَّيطرة عليْها، وعلى مَواردها الطَّبيعيَّة)، في شُؤونها الدّاخليَّة[1].

وتُعَدّ اللّيبراليَّة أكثرَ مَدارس العُلوم السِّياسيَّة نُزوعًا لقيمة التَّعاوُن الدَّوليّ، وبُروز الأمْن الدَّوليّ، وتَحقيق التَّعاوُن والاستقرار، وهذا ما جاءَتْ به اللّيبراليَّة المؤسَّساتيَّة، أوْ ما يُسمّى بـ (اللّيبراليَّة الجَديدة)، الَّتي تُعَدّ اتّجاهًا مُهمًّا، ضمْن عائلة اللّيبراليّات، الَّذي تمَّ تَطويره في سبعينيّات وثمانينيّات القَرْن العِشرين، مِنْ طرَف مُنظّري المنْظار التَّعدُّديّ، كـ (روبرت كوهين)، و(وجوزيف ناي)، في إطار النَّظرية المؤسَّساتيَّة الدَّوليَّة، الَّتي تؤكّد الدَّوْر المركَزيَّ للمُؤسَّسات الدَّوليَّة، في إطار الرّأسماليَّة، وقيَم الدّيمقراطيَّة، كما تؤكّد اللّيبراليَّة المؤسَّساتيَّة أنَّ المؤسَّسات تُؤدّي دَورًا جوهريًّا، في تَحقيق الأمْن الدَّوليّ، وتَحقيق التَّعاوُن والاستقرار، لأنَّ بوسْعها توفير المعلومات، وخَفْض تكاليف العمَليّات، وجعْل

للأبحاث ودِراسة السِّياسات، الدَّوْحة، 2013، ص 240.

[1] أحمَد محمَّد أبو زيْد، مصدر سبق ذكره، ص 242.

الالتزامات أكثرَ موثوقيَّةً، وإقامَة نِقاط تَركيزٍ، مِنْ أجْل التَّنسيق، وتعمَل بصفَة عامَّة، على تَسهيل إجْراءات المعامَلة بالمثْل[1]؛ إذْ تؤكِّد أطروحات اللّيبراليَّة المؤسَّسيَّة، أنَّ المؤسَّسات الدَّوليَّةَ قادرةٌ على تَحقيق الانضِباط في التَّفاعُلات الدَّوليَّة، وتَعزيز التَّعاوُن الأمْنيّ بينَ الدُّوَل، وتجنُّب الصِّراعات. وبالمقابِل، شهِد المنظور اللّيبيرالي تَطوُّرًا كَبيرًا خِلال سبعينيّات وثمانينيّات القرْن العشرينَ، في ظِلّ تَطوُّر نَظريَّة الاعتماد المتبادَل، وتَشابُك العَلاقات الاقتصاديَّة الدَّوليَّة؛ إذْ أعْطى الاتّجاه اللّيبيرالي الجَديد، مُقارباتٍ جَديدةً، لمحاوَلة فهْم وتَعزيز السِّلْم والأمْن الدَّوليَّيْن؛ وبِذلكَ تَقوم المؤسَّسات بصِياغة قَواعد متَّفَقٍ عليْها، ومَعايير للسُّلوك، تلتَزم بها الدُّوَل، فضْلًا عَنْ دَوْرها في التَّوفيق بينَ مَصالحها، ودفعِها إلى تحقيقِ المكاسِب النِّسبيَّة، والَّتي تَقوم على تقاسُم عَوائد التَّعاوُن بينَ الدُّول، ويَرى (روبرت كوهين) أنَّ مؤسَّساتٍ، مثلَ (الأُمَم المتَّحدة، وحلْف النّاتو)، نَشأتْ نَتيجة العَقلانيَّة الَّتي تغلبُ على سِياسات الدُّوَل، والَّتي دفعتْها إلى قبول الانضِمام لهَذه المؤسَّسات، بِصورةٍ طوعيَّة، بحُسبانها الوَسيلة الأكثَر فاعليَّةً، والأقلَّ تكلِفةً لتَحقيق مَصالحها، وتجنُّب النِّزعات العُدوانيَّة، مِنْ جانِب الدُّوَل الأخْرى، وأعادتْ نظريّاتُ كلٍّ مِنْ (ستيفن كراسنر)، و(أوراني ونج)، طرْحَ الافتِراضات ذاتها، في إطار مَفهوم النُّظُم الدَّوليَّة، عبر تأكيد مَركزيَّة أدْوار المؤسَّسات الدَّوليَّة، معَ تَوضيح دوْر المبادِئ، ومَعايير السُّلوك، في تَنظيم التَّفاعُلات الدَّوليَّة المؤسَّسيَّة بينَ الدُّوَل[2].

---

[1] تَوفيق بوستي، مَفهوم الأمْن في مَنظورات العَلاقات الدَّوليَّة، المعهَد المصريّ للدِّراسات، إسطَنبول، 2019، ص 7.

[2] محمَّد عبد الله يونُس، مَداخِل تَحجيم "الفوضويَّة" في النِّظام الدَّوليّ، مُلحَق اتِّجاهات نظَريَّة في تَحليل السِّياسات الدَّوليَّة، مجلَّة السِّياسة الدَّوليَّة، العدَد 211، مَركَز الأهْرام للدِّراسات، القاهِرة، 2018، ص 18.

وتركِّز اللّيبراليَّة المؤسَّساتيَّة على الطَّريقة الَّتي مِنْ خلالها، يمكن للمُؤسَّسات الدّوليَّة أنْ تؤثّر على توفير الأمْن، بواسطة نَشْر قيمٍ معيَّنة، أوْ خلْق نمطٍ مِنَ السُّلوك المحكوم بقَوانينَ معيَّنة، كما ترتبط بنظامٍ دوْليّ، يتوفَّر فيه شَرطانِ أساسيّان، الأوَّل: يجب أنْ تكونَ بين الفاعلينَ مِنَ الدُّوَل وغيرها، مَصالحُ مُتبادَلةٌ يُرجى الحُصول عليْها، نَتيجةً لعمليَّة التَّعاوُن، الثّاني: أنْ يكونَ التَّغيير في درَجة المؤَسَّسة، يمارِس تأثيرًا قويًّا على سُلوك الدُّوَل. وترَى اللّيبراليَّة المؤسَّساتيَّة أنّ المؤسَّسات الَّتي تنجَح في تَسهيل التَّعاوُن، لتَبادُل المنافِع، سوْف تُصبح على قدْرٍ مِنَ الأهمِّيَّة للدُّوَل، لما توفّره لها مِنْ فرصٍ، ولذلك سَوف تكتسب قدْرًا مِنَ الاستمرار، كما ستقيّد قواعدها الحُكومات، مِنْ حيثُ مُمارستُها للقُوَّة، وإنْ كان هذا لا يمنَع مِنِ استمرار الدُّوَل في مُحاوَلة الوُصول إلى غاياتها، بما في ذلكَ زِيادة مكاسِبها، مِنْ خلال استخدام النُّفوذ السِّياسيّ. وفي إطار تَعزيز التَّعاوُن بينَ الدُّوَل، تُصبح المسألة الكُبرى هنا، تهيئةً للأجواء الَّتي يمكن فيها تَحقيق التَّعاوُن على أفضَل وجهٍ، وصورة السِّياسة العالميَّة المنبثقة عَنْ هذه النَّظريَّة اللّيبراليَّة، هي صورَة نِظامٍ معقَّد مِنَ المساوَمات، بينَ العَناصِر الفاعلة المتنوِّعة. والسِّياسة الدَّوليَّة، مِنْ وجْهة النَّظر اللّيبراليَّة، لا تَقوم على أساس لُعبة محصّلة الصِّفر، أكثرَ مِنْ قِيام علْم الاقتصاد الدَّوليّ، على تلك اللُّعبة. أمّا المصالح، فهِي دومًا قابلةٌ للتَّوفيق والمصالَحة، كما يظهَر التَّعاوُن الدَّوليّ عنْدما تُعدّل الدُّول سُلوكَها، ليُلائِم التَّفضيلات الفعليَّة، أوِ المتوقَّعة للدُّوَل الأخْرى؛ ذلكَ أنَّ السِّياسات الَّتي تتَّبعها إحْدى الحُكومات بِشَكْلٍ فِعْليّ، تُعَدّ مِنْ جانب شُركائِها بأنَّها تُساعد على تَحقيق الغايات الخاصَّة بهم؛ إذْ تتَّفق اللّيبراليَّة الجَديدة مع الواقِعيَّة البِنيويَّة، في صُعوبة تَحقيق التَّعاوُن الدَّوليّ، في ظِلّ بيئةٍ فَوضويَّةٍ، تَرعى

الخوْف وعدَم اليَقين، ولكنَّها تجادِل بأنَّ المؤسَّساتِ تُتيح للدُّوَل التَّغلُّب على مَجموعةٍ مُتنوِّعة، مِنْ عَراقيل العمَل الجَماعيّ[1].

ومنذُ انتِهاء الحرْب الباردة، ظهرتْ فِكرة (السَّلام الدّيمقراطيّ)، كمُقارَبةٍ ليبراليَّةٍ في الأمْن الدَّوليّ، وقد تمثَّل ظُهورُها بطُروحاتٍ نظريَّةٍ، وسِياساتٍ عمليَّةٍ، واقترن ذلكَ الاتِّجاه بِكتابات (مايكل دويل)، عَنْ طَريق تأكيده أنَّ التَّحليل الأمنيَّ يجب أنْ يستندَ إلى المتغيِّر الدّيمقراطيّ؛ لأنَّ انتِشار الدّيمقراطيَّة، وترسُّخها في الدُّول، وكذلكَ ما بينَ النِّظام الدَّوليّ، مِنْ شَأنه أنْ يكرِّس أُطُر السَّلام الدّائم، الَّتي تفتَح المجال قُبالَة مَساراتٍ جَديدة، تكون السِّمة الرَّئيسة المشْتَرَكَةُ بينَهم، هيَ (التَّعاوُن)، وذلكَ ما نَراه في كِتابات (إيمانويل كانط)، في كِتابه: "مَشروع السَّلام الدّائم" في العام 1795. وكذلك تؤمِن تلْك المدرَسة بفِكرةٍ مَفادُها: أنَّ الدُّوَل الدّيمقراطيَّة أكثرَ مَيلًا لاحترام إرادَة مُواطِنيها، وعنْدَما تكون الحُكومات ديمقراطيَّةً، فإنَّ ذلكَ بدوْره يؤثِّر على صنْع السِّلم الدَّوليّ[2]، ووِفقًا لهذه النَّظريَّة، فإنَّ الدُّوَل الدّيمقراطيَّة عادةً ما تتجنَّب خوْض الحُروب، بسبَب التَّكلفة السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، المرتفعة، لقَرار الحَرب، والمساءَلة الَّتي يواجِهها صُنّاع القَرار، في حالة الهَزيمة، فضْلًا عَنْ دوْر المؤسَّسات التَّشريعيَّة والقَضائيَّة، في الرَّقابة على قَرارات السُّلطة التَّنفيذيَّة، بالإضافَة إلى فاعِليَّة دوْر النّاخِبينَ، في تَحديد تَفضيلاتهمْ للسِّياسة الخارجيَّة، مِنْ خِلال التَّصويت في الانتِخابات.

وبذلك، فَاللّيبيراليَّة البِنيويَّة تتمحْوَرُ حوْل فِكرةٍ أساسيَّة، مَفادُها أنَّ الدُّوَل الدّيمقراطيَّة أكثرُ مَيلًا لاحترام إرادَة مُواطِنيها، وأقلّ ميْلًا للإقدام على

---

[1] تَوفيق بوستي، مَفهوم الأمْن في مَنظورات العَلاقات الدَّوليَّة، مَصدرٌ سبَق ذِكْره، ص 9.

[2] محمَّد الطّاهر عَديلة، الجدَل اللّيبراليّ الواقِعيّ حوْل دَوْر الاعتِماد المتبادَل في تَعزيز الأمْن الدَّوليّ، مُلتَقى الباحِثينَ السِّياسيِّينَ العرَب، شبَكة المعلومات الدَّوليَّة (الإنترنت)، على الرّابِط: http://arabprf.com/?p=2215.

مُباشَرة الحرْب معَ جيرانها الدّيمقراطيّينَ، وعلى الرُّغم مِنْ أنَّ جوهَر الفِكرة قَديمٌ جدًّا، إلّا أنَّ هذه الرُّؤية قدْ أُعيد تَقديمها حَديثًا، في إطار ما يُعرَفُ بـ (نظريَّة السَّلام الدّيمقراطيّ)؛ إذْ يَرى أنْصارها أنَّ الدُّوَل الدّيمقراطيَّة لا تَسعى إلى مُحارَبة بعضِها البَعْض؛ ذلكَ أنَّ الدّيمقراطيَّة تشَكّلُ مصدرًا رئيسيًّا للسَّلام. وفي هذا الإطار، يرى (روبرت كوفمان) أنّ سبَب الحُروب، وعدَم الاستقرار الأمْنيّ، يُعزى إلى غِياب الدّيمقراطيَّة، لذلكَ فإنَّ الاقتِراب الرَّئيسيَّ لهذه المقارَبة، يرتكز على أنَّ الدُّوَل الدّيمقراطيَّة، نادِرًا ما تُحارِب بعضَها البعْض، على الرّغْم مِنْ دُخولها في حُروبٍ معَ دُوَلٍ أُخْرى، لِكوْن الحُكومات الدّيمقراطيّة تقومُ بِدوْرٍ، في صنْع ودعْم السِّلم الدَّوليّ، وذلكَ بانطِلاقِها مِنْ فرضيَّة أنَّ الدُّول الدّيمقراطيَّة، تَعتنق ضَوابط التَّوفيق، الَّتي تمنَع مِنِ استِعمال القُوَّة بينَ أطْراف تعتَنق المبادئ نَفْسَها، بوَصْفِها أكثرَ ميْلًا للسَّلام مِنَ الدُّوَل التَّسلُّطيَّة، كما أنَّ الدّيمقراطيّات ستمتَنع عنِ استِخدام القُوَّة ضدَّ ديمقراطيّاتٍ أخْرى، وأنَّ التِّجارة المهمَّة اقتِصاديًّا، تخلق حافِزًا للمُحافَظة على العَلاقات السِّلميَّة، وأنَّه يمكن للمُنظَّمات الدَّوليَّة أنْ تقيّد صُنّاع القَرار، مِنْ خِلال تَعزيز السَّلام بطَريقةٍ إيجابيَّة. وبهذا المعْنى، فقدْ أوْجدتِ الدُّوَل اللّيبيراليَّة ما سمّاه مايكل دويل: (السَّلام المنفصِل)، ومعَ أنَّ الدُّوَل اللّيبراليَّة مُسالمةٌ بالنّسبة إلى الدُّوَل اللّيبراليَّة الأخْرى، فإنَّ دويل يُدرِك أنَّ الدّيمقراطيّات اللّيبراليّة لا تَقلّ عُدوانيَّةً، عَنْ أيّ نوْعٍ آخَرَ مِنَ الدُّوَل، في عَلاقاتها مَعَ الأنظمة الفاشيَّة، والشُّعوب الَّتي ليست لها دُوَلٌ، وقدْ تميّزتْ هذه المقارَبة بالتَّشديد على الطّابع السِّلميّ للدّيمقراطيّات، الَّتي تَحترم القانون، ولا تميل للعُنْف، وبالقَول إنَّ النُّظُم الدّيمقراطيَّة لا يمكن أنْ تَلجأ إلى الحرب، في مُواجَهة بعضِها البَعض، كأسْلوبٍ لمعالَجة الخِلافات والتَّناقُضات، وهوَ ما يبرّر تَسمية هذا الاتّجاه بالسَّلام الدّيمقراطيّ، في إشارةٍ إلى ما قدَّمه (إيمانويل كانط)، مِنْ تَصوُّرٍ للسَّلام، قائمٍ على أهمّيَّة إقرار دُستورٍ عالميّ يضمَن السَّلام بينَ الأمَم، والفدراليَّة، أوِ الحُكومة المركزيَّة للدُّوَل الحُرَّة، الَّتي

تَسعى إلى السَّلام، وحُكْم القانون؛ فالدّيمقراطيّات مُصمَّمةٌ مؤسَّسيًّا، كيْ تَستجيبَ لآراء جُمهور ناخبيها؛ فبما أنَّ النّاس يفضّلونَ السَّلام على الحَرب بصفةٍ عامَّة، وبما أنَّ النّاس همُ الَّذين يُعانونَ في الحَرْب؛ فإنَّ الحُكوماتِ الدّيمقراطيَّةً تتَّصف بالحَساسيَّة، إزاء تكاليف الصِّراع؛ لذا، يَغلب عليها اتّباع إستراتيجيّات ترمي الى تجنُّب الحَرب. وفيما يختَصّ بالمعايير والثَّقافة؛ فإنَّ الدّيمقراطيَّات تفترض أنَّ الدّيمقراطيّات الأخْرى، تؤمن أيْضًا بفكرة التَّسوية السِّلميَّة للمُنازَعات، واستخدام القُوَّة فقط، في الملاذ الأخير[1]؛ وبذلكَ، فَإنَّ المدرَسة اللّيبراليَّة (المؤسَّسيَّة، والبِنائيَّة)، هيَ أكثر مَدارس العُلوم السِّياسيَّة، إملاءً لقيمة التَّعاوُن الدَّوليّ؛ ذلكَ أنَّها تنظر إلى ذلك التَّعاوُن على أنَه الحالَة الطَّبيعيَّة في العَلاقات الدَّوليَّة، وإلى النِّزاعات- لاسيَّما المسلَّحة- على أنَّها الاستِثْناء.

3. الْهُوِيَّة وَالْمُجْتَمع والْأَمْن الْمُجْتَمَعِيّ

يشغل مَوضوع الهُويَّة حيّزًا كبيرًا في الثَّقافة والفكر، وفي دِراسات عُلوم السِّياسة، والقانون، والاجتماع والأمْن، وبخاصَّةٍ في ظِلّ الجَدَل الَّذي ارتفعَت وتيرته، منذُ ما يَزيد على ربْع قرْن تقريبًا، سَواءً على المستَوى الدّاخليّ أم الدَّوليّ، في إطار مُجتمَعات مُتعدّدة التَّكوينات والهُويّات، أمْ في إطار احتِدامات المصالح الدَّوليَّة والإقليميَّة. وكان لانهيار الأنظمة الشُّموليَّة، وبخاصَّةٍ في أوروبّا الشَّرقيَّة، أثَره الكبير على انفتاح الصِّراع بينَ هُويّات (كُبرى، وصُغرى)، وهُويَّات (تابِعة، ومَتبوعة)، وهُويّات (عُليا، ودُنيا)، وهُويّات (قويَّة، وضَعيفة)؛ الأمْر الَّذي عرّض بعْض الكيانات الكُبرى، أي (الدُّوَل، والمجتمَعات ذات الثَّقافاتِ المتعدّدة)، للتَّصدُّع والتَّآكُل، وَبخاصَّةٍ بِتبلوُر بعْض

---

[1] توفيق بوستي، مَفهوم الأمْن في مَنظورات العَلاقات الدَّوليَّة، مصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 10.

خُصوصيّات الهُويّات الفرعيَّة، الَّتي وجَدت الفُرصة مُناسبةً للتَّعبير عَنْ وُجودها وكياناتها، بعدَ طول انتظارٍ، وكبْتٍ، وشُعورٍ بالغُبْن والحِرمان، ناهيكَ عَنْ (ضَعْف المواطَنة)، بسبَب سِياسات الإقْصاء والتَّمييز والتَّهميش، وعدَم المساواة[1]؛ إذْ تبدَّلت القيَم وقَواعد السُّلوك؛ ففي الكَثير مِنَ المجتمَعات، وعلى مرّ وكرّ العُصور، تَضاربت الهُويّاتُ مُحاولةً أنْ تلغِيَ الآخَرَ، وأنْ تخطفَ رؤاها الكَونيَّة بعْضَ الأضْواء، لِتحتلَّ مكانتَها بينَ الأنْساق المعرفيَّة، والمناصب السِّياسيَّة، وتُطالبَ بحقّها في التَّعبير عَنِ الذّات[2]. واشتدَّت الأزمات الهُويّاتيَّةُ وَتفَجَّرَتْ، وتزايَدت الأمْراض المجتمَعيَّة، المقضَّة للعيْش المشترَك، والمربِكة لمظاهِر التَّعايُش والتَّآلُف، معَ لُجوء إنسان العصْر الحاليّ إلى التَّقوقُع والاحتِماء والانزواء، تحتَ هُويّاتٍ ضيّقة، ونِحَل صَغيرة، في مشهدٍ يُظهِر مَدى تَراخي شبَكة العَلاقات الاجتماعيَّة، في أداء وَظائفها. لقد أصبح الاغتِراب بِالنِّسبة إلَيْها، والقلَق وعَدَمُ التَّضامُن والعُنْف والإرهاب وانعِدام الأمْن، سِمات العَصر الحَديث، وظهَرتْ إلى العلَن، أعلامٌ فِكريَّةٌ، وأصواتٌ تنويريَّةٌ، وجُهودٌ تَنظيريَّةٌ واسعةٌ، لحَلّ تلكَ المعضِلات، الَّتي تنتج عَنْ سوء إدارَة التَّنوُّع الهُويّاتيّ[3]، وَلعلَّ الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ يمثّلُ أهمَّ تلْك الجُهود التَّنظيريَّة، الَّتي قدَّمتْ براديغمات فِكريَّةً مِنْ واقِع التَّجارب الاجتِماعيَّة، لتَيسير فهْم ظَواهِر الأزَمات المعاشَة، وتَقديم التَّدابير والسِّياساتِ والتَفسيراتِ، الَّتي تُسهِم في تَقديم حُلولٍ تَجاوُزيَّةٍ

---

(1) عبْد الحُسَيْن شَعبان، الهُويَّة والمواطَنة البَدائِل الملتبِسة والحَداثة المتعثّرة، مَركز دِراسات الوحْدة العربيَّة، بيروت، 2017، ص 9.

(2) دارو يوش شايغان، هُويَّةٌ بأربعينَ وجهًا، ترجَمة: حيْدر نجَف، مُراجَعة وتَقديم: عبد الجبّار الرِّفاعيّ، مرَكز دِراسات فلسَفة الدّين، بَغداد، 2016، ص 125.

(3) محمَّد بو عبْد الله، سوسيولوجيا الاعتِراف لمواجَهة مَشاكل العُنْف والجور الاجتِماعيّ، مجلَّة إضافات، العدَد 40، الجمعيَّة العربيَّة لعِلم الاجتِماع، مَركز دِراسات الوحْدة العربيَّة، بيروت، 2017، ص 141.

تراندستاليَّة، بقصد الوُصول بالإنْسان إلى الحَياة الخيِّرة في إطار العَيْش المشترَك. ولبَيان عَلاقَة الهُوية بالْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، نَطرح التَّساؤُلات الآتية: كيفَ يُساهم الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ في إدارَة الهُويّات الثَّقافيَّة في المجتمَع؟ وما أهمّ مُهدّدات أمْن المجتمَع والتَّنوُّع الثَّقافيّ؟ ما التَّدابير والسِّياسات الَّتي يرتكز عليْها الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، في إدارة التَّنوُّع، وخلْق مُجتمَعٍ آمِنٍ، يرفُض العُنْف وماكنات الحَرب الفِكريَّة؟.

الْهُوِيَّة والْأَمْن الْمُجْتمَعيّ

يَرى (ريجاد جنكز)، أنَّ الهُويَّة (هيَ تصوُّرنا حولَ مَنْ نحنُ، ومَنِ الآخَرونَ، وكذلكَ تصوُّرُ الآخَرينَ حولَ أنفُسهمْ، وحوْل الآخَرينَ)[1]، وبذلكَ يميّز (رونوا وليفييه)، بينَ مَعنيَيْنِ مُختلفَيْنِ لمفْهوم الهُويَّة: الأنا، (أيْ إدراك الشَّخص لذاته، وبأنَّه يظلّ هُوَ نفْسه، معَ مُرور الزَّمن، وعلى الرَّغم مِنَ التَّغيُّرات الَّتي تَطرأ عليه)، والشَّبيهَة (أيْ كلّ ما هُوَ مُشترَكٌ بينَ شخصَيْنِ، أوْ عدَّة أفْرادٍ، أوْ مَجموعاتٍ). ثمَّ يوسّع نِطاق تَفكيره، ليشملَ القَضايا الَّتي تَطرحها فِكرة الذّاكرة الجَماعيَّة (واجب الذِّكرى)، وانتقال التّاريخ، والهُويّات الجَماعيَّة[2]، فالهُويَّة ليسَت ظاهرةً بيولوجيَّةً، أوْ ظاهرةً طَبيعيَّة، إنَّما هيَ بِنيةٌ مُستحدَثةٌ، وتخضَع باستمرارٍ للتَّأويل، وإعادَة التَّفسير، سَواءٌ مِنْ جانبِ أولئكَ المتمسّكينَ بها: "أعتزُّ بمواطنيَّتي الفرنسيَّة، وانتمائي إلى إقليمي، أوْ عائلتي..."، أمْ مِنْ جانبِ أولئكَ الَّذين يتبنَّونَها: "قرَّرْتُ أنْ أكونَ نَصيرًا للعَوْلَمة البَديلة، أو كاثوليكيًّا..."، أمْ مِنْ جانب مَنْ يرفضونَها بَاتاً؛ فالأمْر يتعلَّق في المقام الأوَّل، بمنظومةٍ مِنَ

---

[1] هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثَّقافة والهُويَّة، ترجَمة: حاتِم حَميد مُحسِن، كيوان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمَشق، 2010، ص 93.

[2] برنو أوليفييه، الهُويات الجَمْعيَّة: كيفَ يَسعُنا أنْ نفهَم قضيَّةً سياسيَّةً مُحتدِمةً، في: نخبَة مِنَ الباحثينَ، الهُويّات الجَمعيَّة في عصْر العَولَمة، ترجَمة: خالِد طه الخالِد، مَنشورات ضِفاف، بيروت، 2015، ص 9.

التَّمثيل للذّات، والغَيْر، فيما يختَصّ بالهُويّات الفرديَّة، ولنا وللآخَرينَ، فيما يختَصّ بالهُويّات الجمعيَّة؛ وَعليْه، فَإنَّ الهُويّات الفَرديَّة والجَمعيَّة نِتاجٌ لعمَليّات تعمَل على تَشكيلها، طوال حَياة الفرْد عند البَعْض، وعلى امتداد الأجْيال عندَ الآخَرينَ، وتخضَع كذلكَ لعمليَّة التَّناقُل بينَ الأجْيال[1]؛ وهكذا، نُسهِم كُلُّنا في بِناء الهُويّات المتعدّدة؛ فَلدينا الهُويّات العائليَّة، والمناطقيَّة، واللُّغويَّة، والسّياسيَّة، والثَّقافيَّة، والعِرقيَّة، والدّينيَّة... وغيرها، ولو تواجدَتْ هذه الهُويّات كافَّةً، على مُستوى ذاتِنا الفَرديَّة؛ فإنَّها تَتواجَد أيضًا لدى أفْراد مُواطِنينا، في الأماكن ذاتها، وعلى المستوى الجَمْعيّ؛ فهيَ تمثيلاتٌ عقليَّةٌ محفورةٌ في وجدان كلّ فَرْدٍ منّا، وتظهَر لدى الأفْراد والمجْموعات المجتمعيَّة، معَ أنَّها قد تَبدو حصْريَّةً لفئةٍ مِنْ دونِ أخْرى، هذه الهُويّات تتحكَّم في التَّصوُّرات الَّتي نُكوِّنها عَنِ الآخَرينَ، وعَنْ أنفُسِنا، وعَلاقتِنا معَ الغَيْر.

وبذلك، يرى (باتريك سافيدان)، أنَّ هذا التَّعدد الهُويّاتيّ، في إطار التَّصوُّر المرتبِط بالإدماج، يكون مِنْ واجِب الدَّولة الدّيمقراطيَّة، (الاعتِراف) بتعدُّد الهُويّات التي تُساهِم بشكْلٍ دالّ في تكوين ساكنتِها مِنْ جِهةٍ، والبَحْث من جِهةٍ أُخْرى، ضِمْنَ الملاءَمة في حُدود الإمكانات المتوفِّرة، عَنْ هذا التَّنوُّع الهُويّاتيّ، وذلكَ على أُسسٍ منطقيَّةٍ وَواضِحة، ويتخلّى التَّصوُّر المرتبِط بالتَّعدُّد الثَّقافيّ، عَنْ وِجهة النَّظَر الَّتي تُقرّ بالتَّذويب، الَّذي يتأسَّس على مبْدأ اختِلاف التَّعامُل، معَ (الاعتِراف) بالمفهوم الضَّيّق لفَهْم الاختلاف[2].

ومنذُ نهاية الخَمسينيّات مِنَ القَرْن العشرينَ، برزَ مَفهوم (الهُويَّة الثَّقافيَّة) عالميًّا، وَبِخاصَّةٍ في الوِلايات المتَّحدة الأمريكيَّة، تزامَن ذلكَ معَ ظُهور مَشاكل الأقلّيّات، والمشاكِل الإثنيَّة، ومُبادَرات البَحْث عَنْ وَسائِلَ مُناسِبةٍ، تَسمَح

---

[1] المصدر نفْسُه، ص 10.

[2] باتريك سافيدان، الدَّولة والتَّعدُّد الثَّقافيّ، تَرجَمة: المصطفى حَسّوني، دار توبقال للنَّشر، المغرب، 2011، ص14- 15.

بتَوضيح المشاكِل النّاجمة عَنِ اندِماج المهاجِرينَ، كما ظهَرتْ كانْشغال اجتماعيّ، أوْ سِياسيّ، وَبخاصَّة عنْدَما بدأت التّيّارات الفِكريَّة والأيديولوجيَّة، الَّتي أصبحَتْ تُهدّد ثَقافاتِ الشُّعوب وحَضاراتهم، بعدَما كانَتْ مهمَّشةً، وغيْرَ مبرمَجة، في انْشغالاتِ المحافِل العِلميَّة الكُبرى؛ وبهذا، أصبحَتِ الهُويَّة الثَّقافيَّة في المجتمَعات، وعلى اختِلاف ثَقافاتهم، محلَّ اهتِمامٍ، بوصْفها وَسيلةً تَحمي ميراثَهُ الثَّقافيّ المهدَّد بالاندِثار، والحال ذاتُه في أوروبّا خِلال السّتّينيّات، بعدَما استقرَّت الجاليات المهاجِرة للعمَل في أوروبّا، وبدَأ المناخ الثَّقافي بِالظُّهور، وَقَدْ ميَّزتْه ظاهِرة الطّائفيَّة، الَّتي كانتْ تجسّد نوْعًا مِنِ استِرجاع الهُويَّة الأصليَّة، الَّتي نَشأوا عليْها، وتغلَّبتْ عليْهم ظاهِرة الانغلاق داخِلَ جالياتهم؛ وبذلكَ، فالهُويَّة الثَّقافيَّة هيَ القَدَر الثّابت والجَوهَريّ وَالمشترَك، مِنَ السِّمات والقَسَمات العامَّة، الَّتي تميّز حَضارة هذه الأمَّة، عَنْ غيرها مِنَ الحَضارات؛ فهيَ نِظامٌ مِنَ القِيَم والتَّصوُّرات الَّتي يتميَّز بها مُجتمَعٌ ما، تبْعًا لخصوصيَّته التّاريخيَّة والحَضاريَّة؛ ذلكَ أنَّ كلَّ شعْبٍ مِنَ الشُّعوب البَشريَّة، ينتَمي إلى ثَقافة متميّزة عَنْ غيْرها، وهيَ كيانٌ يتطوَّر باستمرارٍ، ويتأثَّر بالهُويّات الثَّقافيَّة الأُخْرى؛ فالهُويَّة الثَّقافيَّة لها مَجموعَةٌ مِنَ المقوّمات، تتمثَّل بالآتي[1]:

- اللُّغَة الوطنيَّة واللَّهجات المحلّيَّة، المرتبِطة بوُجود شعْبٍ ما، وتطوُّره ومصيره، على أساسِ أنْ تكونَ اللُّغَة الوطنيَّة مُعتمَدةً في التَّدريس، على جَميع المستوَيات، وفي التَّسيير الإداريّ، وفي القَضاء، إضافةً الى التَّواصُل بينَ شَرائِح المجتمَع، إلى جانب اللَّهجات المحلّيَّة.
- القيَم الدّينيّة المتكوّنة عبرَ العُصور، والَّتي تُكسِب الشَّعب، حامِل الهُويَّة، حَصانَةً تَحول دونَ ذوَبانه في شُعوبٍ أُخْرى، وتؤهّله لمقاوَمة كلِّ مُحاوَلات التَّذويب، مَهما كانَ مصدرُها.

---

[1] شفيعة حدّاد وأسماء بلاغماس، تأثير العَولَمة في بُعْدها الثَّقافيّ الهُويّاتيّ على الهُويَّة الثَّقافية الوَطنيَّة، المجلَّة الجَزائريَّة للأمْن الإنْسانيّ، العدَد 2، الجَزائر، 2019، ص 238.

- العادات والتَّقاليد والأعْراف، النّابِعة مِنْ تلكَ القيَم، والحامِلة لها، والعاكِسة لمستوى الشَّعب، حامِل الهُويَّة.
- الذّاكِرة التّاريخية النّضاليَّة، الَّتي ينسجها ذلكَ الشَّعب، حامِل الهُويَّة، مِنْ أجْل المحافَظة على هُويَّته، أرضًا، وقيَمًا، وعاداتٍ، وتَقاليدَ، وأعرافًا.

وبذلكَ، فإنَّ مِنْ أهمّ مُهدّدات التَّنوُّع الثَّقافيّ، العَولمةَ الثَّقافيَّة، الَّتي تعمَل على تهْميش الهُويَّة، وتَدمير الثَّقافَة الوَطنيَّة، ومُحاوَلة تَنْميط سُلوكيّات البَشر وثقافتهم، في المجتمَعات كافَّةً، وإخضاعها لقيَم، وأنْماط سُلوكٍ، سائِدة في ثَقافاتٍ أُخْرى، لمجتمَعات حَديثة؛ فقدْ توصَّلتْ غالبيَّةُ النَّظريّات العلميَّة، إلى أنَّ تَفعيلَ عَناصِر (الهُويَّة الوطنيَّة)، وتَجديد الثَّقافة المحلّيَّة، واعتماد التَّنوُّع الثَّقافيّ، والمشارَكة في بِناء الحَضارة العالميَّة، يكونُ في سَبيل الحِفاظ على الهُويّات الثَّقافيَّة[1]؛ وهكذا، رفَع التَّفكير رايَة الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، ليُعالج مَفهوم الهُويَّة، في جوانبه السَّيكولوجيَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، ويرسمَ لنا في إطار هذه المعالَجة، مساقِطَ نُموّ الهُويَّة ومُكوّناتها، ومَحاوِل تَفاعُلاتها، وأُسُس تماسُكها ووحْدتها؛ وَعليْه، فَهوَ يُعالج أمراضها، وأزماتها، وانشِطاراتها، وأشكال استلابها، وقدْ اشتدَّتْ هذهِ الدّيناميَّة عندَ الخُروج مِنَ الحَرْب البارِدة. وقد دشَّن سُقوط جِدار برلين سنة 1989، على المستوى الدَّوليّ، مَرحلةً جَديدةً فيما يختَصّ بالصّراعات الإثنيَّة الدّاخليَّة، وظهرَتْ في عالمٍ يشْهَد إعادَة التَّشكيل، وَيشْهَد بَوادِر تَشجيع أشْكال التَّنوُّع الثَّقافيّ والهُويّاتيّ، مبنيَّةً على أساس احترام حُقوق الأقلّيّات، وكان الهَدف يكْمُن في بسْط عَلائق السِّلم، داخِلَ المجموعات الثَّقافيَّة، والتَّنبؤ بمخاطِر الصّراعات. وَقامَتِ المنظَّمات الدَّوليَّة بِدوْرٍ مهمّ في هذا الجانب، وساهمتْ على مُستوًى عالَميّ، في إشاعَة (الخِطاب السِّياسيّ المرتبِط بالتَّعدُّد الثَّقافيّ)؛ ما شجَّع المجموعاتِ الثَّقافيَّةَ المختلِفة على المطالَبة بحُقوقها، وكياناتها

---

[1] شفيعة حدّاد وأسماء بلاغماس، مصدَر سبق ذكره، ص228.

الخاصَّة، مِنْ خلال بيئة دَوليَّة داعمة، وظُروف مُناسبة، مَوضوعيًّا وذاتيًّا، وعليْه، فإنَّ الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ مُرادِفٌ للبَقاء الهُوياتيّ، وهذا يعني التَّمييز بين "نحن" و"هُم"، بمعنى أنَّ كلَّ ما يشكِّل تَهديدًا وُجوديًّا لبَقاء "نحن"، سَواءً أكانَ أمَّةً، أمْ عِرْقًا، أمْ جَماعَةً دينيَّةً، أمْ إثنيَّةً، يُعَدّ فرضيًّا أمنيًّا، لأنَّ التَّهديداتِ ضدَّ الْأَمْن الْمُجْتَمعيّ، ذاتيَّةٌ أكثر ممّا هيَ موضوعيَّةٌ.

4. التَّسْميم السِّياسيّ لِلْهُوِيَّة والْانْتماء وتَهْديد أمْن الْمُجْتَمَع

أ. في مَفْهُوم التَّسْميم السّياسيّ واسْتِغْلال الْهُوِيَّة (تَحْديداتٌ نَظَرِيَّةٌ)

نَشأ مُصطلح (التَّسْميم السّياسيّ)، في الأدبيّات الفَرنسيَّة، في أواخِر السّتّينيّات، والَّذي يَدور حوْل زرْع أفْكارٍ مُعيَّنة، مِنْ خِلال الخَديعة والكذِب؛ إذْ تؤدّي إلى تصوُّرٍ مُعيَّنٍ للموقف، يختلف عَنْ حقيقته ممّا يترتَّب عليْه عندَ اكتِشاف تلكَ الحَقيقة، إلّا أنَّ جوهَر التَّسميم، منطلَقٌ وأسلوبٌ للغزْو الثَّقافيّ، يَعود إلى منتصَف القَرن التّاسع عشَرَ، وربَّما ارتبَط بظُهور الدَّوْلة القَوميَّة في أوروبّا، إلّا أنَّ صِياغَته في إطارٍ نظريٍّ مُتكامِلٍ، لا تَزال في مرحلَة التَّكوين، كما أنَّ التَّعامُل معَه يتَّصف بالنِّسبيَّة، ويُعَدّ مؤلَّف العالم الفَرنسيّ (فورد)، الصّادر عام 1971، مِنَ الدِّراسات الحَديثة الَّتي أصَّلتْ هذا المفهوم، مِنْ خِلال الوَقائع التَّجريبيَّة[1].

ويُعدّ التَّسْميم السّياسيّ مَدخلًا مِنْ مَداخل التَّطَرُّف، والّذي يُعنى بنشْر أفكارٍ، أوْ قيمٍ مُعيَّنة، في مجتمعٍ مُعيّنٍ، والعمَل على نقْل مَكانة هذهِ الأفكار والقيمِ، مِنْ مُستوى القيمَ التّابعة، إلى مُستوى القيمَ العُليا، في المجتمَع المستهدَف، ويُنجَز هذا الهدَف، بطَريقةٍ غير مُباشَرةٍ، مِنْ خِلال استِقطاب نُخَبٍ فكريّةٍ وثَقافيَّةٍ مُختارَةٍ، تتبنّى هذهِ الأفكار والقيمَ في المرحلَة الأولى، لتقومَ في ما بعدُ،

---

[1] للمَزيد يُنظَر: حَميدة سميسِم، الحَرْب النَّفسيَّة، الدّار الثَّقافيّة للنَّشر والتَّوزيع، بَغْداد، 2005، ص 155.

بتَرويجها بطَريقةٍ منظَّمة، بينَ صُفوف المجتمَع، مِنْ خِلال وَسائلَ مُختلِفة، منها وَسائِل الإعلام، الأحْزاب السِّياسيَّة، والمؤسّسات الثّقافيَّة، والمناهِج التَّعليميّة المختلِفة...وغيرها. ويجري التّركيز في التَّسْميم السِّياسيّ، على تَشكيك الفَرد والمجتمَع، في عَدالَة قَضاياهُ، بطَريقةٍ تَدريجيّة، ليصل إلى حدّ خَلخَلة البِنية العَقيديّة، والتّماسُك الوطنيّ للمُجتمَع، عَنْ طَريق تَفتيت الوَلاء الوَطنيّ، ولا بُدَّ مِنْ أنْ تَستندَ عمليّة التّشكيك هذه، مِنْ خِلال الفهْم الجيّد للبِنية العَقيديّة، والمركَّب المتنوّع مِنَ الهُويّات الثّقافيَّة للمُجتمَع، إلى تَحديد نِقاط الضّعف، والتّسلّل مِنْ خِلالها، وتُعزَّز هذه العمليّة مِنْ خِلال تَقديم المنْظومة القِيَميّة للمُهاجِم، كبَديلٍ أكثرَ نجاعةً[1]؛ ما يؤدّي إلى تَهديد أمْن المجتمَع؛ ذلكَ أنَّ للتَّسميم السِّياسيّ غاياتٍ مُختلِفةً، وَهوَ يَمرُّ بمراحِلَ، ويَستخدِم أدواتٍ متنوّعةً، لتَحطيم إيمان الخصْم بعَقيدته السِّياسيَّة، والدّينيَّة، أوْ بعدالَة ومَشروعيَّة القَضيَّة الَّتي يُدافع عنْها، فضْلًا عَنْ تَحطيم التَّماسُك النَّفسيّ، والإدراكيّ، والعَقليّ، للخصْم السِّياسيّ، أوِ العَقائديّ، وَالدّينيّ، وتَمزيق مكوِّنات هُويَّته الثَّقافيَّة. وَيبدو ذلكَ جَليًّا، كما هوَ موضَّحٌ في الشَّكل أدناهُ، رقم (4).

---

[1] عليّ فارِس حَميد وعليّ أحمَد عبْد مَرزوك، سِياسات مُناهَضة التَّطرُّف مِنْ مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعِيّ (العِراق أنموذَجًا)، مجلّة قَضايا سيا سيَّة، العدَد 61، كلّيّة العُلوم السِّيا سيَّة، جامِعة النَّهرَيْن، بَغْداد، 2020، ص 289.

شكل رقم (4)

تَهْديد الْأَمْن الْمُجْتَمَعيّ: التَّسْمِيم السِّيَاسيّ لِلهُوِيَّة والْانْتِماء وصِناعَة التَّطَرُّف

وإنَّ التَّسْميم السِّياسيّ، مُرادِفٌ للغَزْو الثَّقافيّ، الَّذي هوَ نَهْجٌ مُتكامِلٌ يهْدف إلى إخْضاع الشُّعوب، وتَهديم الثَّقافات، وتَشويهها، وطمْس مَعالمها، ومِنْ ثمَّ تَحقيق التَّبعيَّة الكاملة، أوِ الاستِتباع الشّامِل للإمبرياليَّة الثَّقافيَّة الجَديدة؛ وعليْه، فَإنَّ الغَزْو الثَّقافيَّ مُرادِفٌ للتَّسميم السِّياسيّ؛ إذْ يَعمَلانِ على تَشويه كلّ القيَم الثَّقافيَّة الأصليَّة، ومِنْ ثمَّ تَكريس الهَيمَنة الثَّقافيَّة، والَّتي تَعني هَيمَنة ثقافَة ما، على ثَقافة أخْرى؛ فَتأخذ الأخيرة في فُقدان هُويَّتها شيئًا فشيئًا. ولعلَّ مِنْ أهمّ العَوامِل المساعِدة على هذهِ الهَيمَنة الثَّقافيَّة، القُوَّة الاقتِصاديَّة، والنُّفوذ

السِّياسيّ، والوَضْع الثَّقافيّ؛ إذْ تَسود ثَقافة الأقْوى اقتِصاديًّا وسِياسيًّا، فَيعمَل التَّسْميم السِّياسيّ والغَزو الثَّقافيّ، على تَهديد أمْن المجتمَع عَنْ طريق[1]:

- إضْعاف الانتِماء الوَطنيّ، وتَسطيح الوعْي، وُصولًا إلى فُقدان الثِّقَة في الشَّخصيَّة الوَطنيَّة، والتَّقاليد المحلِّيَّة، وإهْمال القِيَم والمشاعر الإنسانيَّة، والتَّشكيك بالثَّوابت الدّينيَّة للطَّرَف الآخَر.
- تَهْديد الخُصوصيَّة الثَّقافيَّة الوَطنيَّة، مِنْ خِلال زرْع القِيَم والأفْكار النَّفسيَّة والفِكريَّة، للقِوى المسَيطِرة في وعْي الآخَرين، وبِخاصَّة أبْناء المجتمَعات العَربيَّة، وانفِتاح هذه المجتمَعات أمام الثَّقافة الغَربيَّة، وإسْقاط عَناصِر المقاوَمة والممانَعة، والتَّحصين، وبالمعْنى الثَّقافيّ الحَضاريّ، إعادَة صِياغَة قِيَم وعادات جَديدة، تُؤسِّس لهُويَّة ثَقافيَّة وحَضاريَّة أُخْرى لهذه المجتمَعات، مُهدّدةً هُويَّتها باتِّجاه فَرْض نَمَط ثَقافيّ، وهَيمَنة ثَقافيَّة وحَضاريَّة مُعيَّنة، تُنتِجُها مَصالح الأقْوِياء، ووَسيلتها الأساسيَّة أداةٌ إعْلاميَّةٌ جبّارةٌ، أصبحَتْ قادرةً على صِياغَة الأخْلاق، وحتّى العادات والتَّقاليد.
- توسُّعُ الفَجْوة الاقتِصاديَّة والحَضاريَّة؛ ما أدّى إلى ازدِياد الدُّوَل العربيَّة فقْرًا، ثمَّ التَّأثير على هُويَّتها الوَطنيَّة، مِنْ خِلال الهِجرة المكثَّفة، إلى بُلدانٍ أخْرى، بحْثًا عَنِ الاعتِراف بهُويَّتها، وعَنْ لقْمة العَيش.

ومِنَ البيِّن، إذنْ، أنَّ مَوجات التَّسْميم السِّياسيّ، الَّتي جاءَت مِنْ قِوًى إقليميَّةٍ ودَوْليَّةٍ، تِجاه الوَطن العربيّ، أدَّتْ إلى بُروز العُنْف السِّياسيّ، على نحْوٍ رَهيبٍ، في العقدَيْن الأخيرَيْن، وتفاقَمَتْ مخاطِرها على أمْن المجتمَع واستِقراره، ووحْدة الكِيان الوطنيّ، وقدْ شارَك الجَميع (سُلطَةً، ومُعارَضةً، في مسؤوليَّة الوُقوف وراءَها، على نحْوٍ ما مِنَ الأنْحاء، وهوَ أمْرٌ نحْتاج إلى الاعتِراف به، مِنْ دونِ أنْ نوزِّع أقْساط هذه المسؤوليَّة تَوزيعًا تَراتُبيًّا، وإنْ كنّا في حاجَةٍ إلى

[1] شَفيعة حدّاد وأسماء بلاغماس، مَصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 243.

تَوصيف ثمَنها السِّياسيّ الباهِظ، ولعَلَّ جَدَليَّة القمْع والتَّطرّف، الَّتي تحكُم مُعطَيات الحقْل السِّياسيّ، في البُلدان العَربيَّة، تقدّم تعريفًا مجمَلًا بالمشْهَد السِّياسيّ العَربيّ الرّاهِن، وتجهَر بتوجيه الاتّهام إلى شُركاء هذا الحقَل، في تعْريض السِّلْم والأمْن المجتمَعيّ إلى الصَّدْع[1]؛ وعليْه، فإنَّ للعنْف السِّياسيّ الَّذي ينتج عَنْ هَشاشة الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، عدَّةَ أشْكال:

- **الشَّكل الأوَّل** لممارَسة العُنْف السِّياسيّ في الوَطن العَربيّ، هوَ ذاك الَّذي تُعبّر عنْه تِقْنيّات وآليّات مُمارَسة السُّلطَة في الدُّوَل العربيَّة؛ إذْ تجنَح النُّخَب الحاكِمة إلى حِفْظ بَقائها في الحُكْم، مِنْ خِلال تَعميم القمْع، ونشْر أدَواته وقِواه، في مَجموع النَّسيج الاجتِماعيّ. ومَظاهِر هذا القمْع عَديدةٌ لا تُحصى، منْها ما يَطال المجتمَع برمَّته؛ وَذلكَ بإهْدار الحُرِّيّات الخاصّة، والحُرِّيّات العامّة، وحَظْر حُقوق الإنسان، واحتِكار المجال السِّياسيّ، ولا يقتَصر هذا العُنْف الَّذي تُمارِسه السُّلطَة، على مُستوى المجال السِّياسيّ والثَّقافيّ فَحسبُ، بلْ يَطال المجال الاجتِماعيّ- الاقتِصاديّ؛ إذْ تعمّم السُّلطة علاقات التَّفاوُت بينَ حُقوق الفِئات والطَّبقات، فتَحتكِر لفِئَة معيَّنة (الَّتي تُشكّل قاعِدتها)، الثَّروةَ والامتِيازات، بينَما تُعامِل باقي أعضاءِ المجتَمَع بالحَيْف، فيما تقذف إستراتيجيّاتها الاقتِصاديَّة بسِياسات تؤدّي إلى التَّهميش، والعَيْش في إملاق، لا يَليق بكَرامة الإنسان. ولا شكَّ في أنَّ هذا البَطش الاقتِصاديَّ بحقوق المجتمَع، لا يقلّ فَداحَةً وسوءًا، عَنِ البَطش السِّياسيّ، بلْ هوَ الأَساس الَّذي يتغذّى منْه.
- **الشَّكل الثّاني** لممارَسة العُنف، هوَ ذاكَ الَّذي نُعانيه في العَمليّات المسلَّحة، الَّتي تَقوم بها جَماعاتٌ سِياسيَّةٌ إسلاميَّةٌ، ضدَّ أهْداف سياسيَّة مدنيَّة. والشَّواهِد كَثيرةٌ في بُلدانِنا، الَّتي شهِدتْ تدهْوُرًا في العَلاقة، بينَ هذه

---

[1] عبد الإلٰه بلقزيز، العُنف السِّياسيّ في الوطَن العَربيّ، ملفّ حال الأمَّة العربيَّة، العدَد 207، مرْكَز دِراسات الوحْدة العربيَّة، 1996، ص 73.

الجَماعات والسُّلطَة، معَ أنَّ بعضَ هذهِ الجَماعاتِ تبرِّر إقدامها على العُنْف، بدَعْوى الدِّفاع عَنِ النَّفس، في مُواجَهة بطْش السُّلطة، وجبَروت الحاكِم، إلّا أنَّ قِراءاتِ أدبيّاتٍ كَثيرةٍ منْها، تقطع بأنّ العُنف ليسَ أسْلوبًا وظيفيًّا تَلجأ إليْه، على مقتَضى الجَبْر والاضْطِرار، بل هوَ مِنْ صَميم عَقيدتها السِّياسيَّة، واختيارٌ يرقى إلى مرتَبة الفَريضة.

وبذلكَ لا تقتَصر حالة التَّسْميم السِّياسيّ، كمدخَلٍ للتّطرّف فقط، وإنَّما تصل حالَة التّسميم، إلى إضعاف بِنية الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ للدَّولة، وجعْلها في موضع الهَشاشة، عَنْ طَريق تَعزيز النّزعاتَ الانفصاليّة، للثّقافات الفَرعيّة للمجتمع، ومُحاوَلة مدّ جُسور العَلاقة معَ الكيانات السِّياسيّة، الّتي ستنبثق عَنْ هذهِ الثّقافات الفرعيّة، فضلًا عن أنّ تقبُّل بعض الهُويات دوْر الحَليف للقِوى الكُبرى، بفعْل عامليْ ضغْط: أوَّلهما: الخوْف مِنَ السّلطة المركزيّة، وثانيهما: الخوْف مِنَ الهُويّات الثّقافيّة الأُخرى، المنافسة لها، وَبناءً على ذلكَ، يتطوّر هذا الدّوْر ليصلَ إلى تحوّلٍ تدريجيّ، مِنْ هُويّاتٍ ثقافيَّةٍ إلى كيانات سياسيّةٍ واقتِصاديّةٍ، وأحيانًا يصل إلى عَسكَرة هذهِ الهُويات[1]، الأمر الّذي يدفَعُ إلى عِلاج مثلِ هذه الظّواهر، بِمُضادّاتٍ مكلفةٍ، وطويلة الأجَل، للخَلاص مِنْ حالَة الهَشاشة. ولعلّ ما كتبه (زئيف شيف)، حوْل (تَقسيم العِراق إلى ثَلاث دُوَلٍ)، هوَ مؤشّر إلى أثَر حالة التّسميم في الهُوية والانتِماء، ثمَّ التّقسيم والانفِصال.

(1) Saad Eddin Ibrahim, "Management and Mismanagement of Diversity", http://www.unesco.org/most/ibraeng.htm

ب. العراق والتّسميم السّياسيّ وخلق أزمة الأمن المجتمعيّ

إنَّ الدَّولة العراقيَة الحديثة، الَّتي وُلِدت عام 1921، كانَتْ واعيةً في شخْص ملِكها فيْصل الأوَّل، لمشكلة الهُويّة الوطنيَّة الجامعة، أمامَ تعدُّد الهُويّات الثَّقافيَّة بمشاربها المتنوّعة، وقدْ بذَل الملِك فيْصل جُهودًا في سَبيل حلّها، إلّا أنَّ وَفاته المبكّرة حالَت دونَ تبَلْور مَشروعه، ولَمْ تقمْ مُحاوَلةٌ جادَّةٌ لمعالَجة هذه المشكلة، وبِناء هُويَّة وطنيَّة جامعة لهذا التَّنوُّع طوال عُمْر الدَّولة العِراقية، وإنْ جرتْ مُحاولاتٌ لبِناء نَموذجٍ، كرَّس في الغالِب للاستِبداد- بحسَب بعْض الباحثينَ- حتّى وصلَت الدَّولة إلى انهِيار النّظام السّياسيّ، عام 2003[1].

وبعدَ التَّغيير السّياسيّ الَّذي طرأ على جسَد الدَّولة العِراقيَّة في العام 2003، وهدْم الموروث الجامد "الدّكتاتوريّ"، بدَأ العِراق في مَرحلة بِناء المستقبَل، الَّذي يحمل في طيّاته أمَلًا للأجْيال القادِمة، ورغبةً حقيقيَّةً في تخَطّي الماضي، بكلّ ما فيه مِنْ آلامٍ ومحَنٍ، إلّا أنَّ السّياسات الَّتي اتَّبعها النّظام السّياسيّ، والحُكومات المتعاقِبة، تسبَّبَتْ في أحيانٍ كَثيرةٍ، بتَعميق الانقِسام، وخلْق الهَشاشة، وانهِيار قيَم المجتمَع، وتهْديد هُويَّته، عبْر الاستئثار والتَّهميش ونقْص الحرّيّات، وسبَب ذلكَ يعودُ إلى مَشاعر القَلق والتَّوجُّس والخوْف مِنَ الآخَر، على مُستوَى الفرْد، وعلى مُستوَى المجموع الإثْنيّ، وأدَّتْ هذهِ الأوْضاع إلى ظاهِرة الهِجرة، والبَحْث عَنْ هُويّاتٍ بَديلة؛ ما أضرَّ بالنَّسيج الاجتماعيّ، وأفرغ البَلد مِنْ أبنائه، وقادَ المجتمَع العِراقيَّ إلى الانتقال مِنَ الموَحّدات الكُبرى، وتتجسَّد أساسًا بالدَّولة، إلى الموَحّدات الصُّغرى، الَّتي تمثَّلتْ بالوَلاءات (العِرقيَّة، والطّائفيَّة، والدّينيَّة... وغيرها)؛ إذِ انكفأَتِ الإثْنيّات على ذاتها،

---

[1] عليّ عبْد الهادي المعموريّ، المصالَحة الوطنيَّة والسِّلم الأهْليّ- مُعضِلة هُويّاتٍ فَرعيَّةٍ أمْ غِياب دَولةٍ؟، مَركَز حَوْكَمة للسّياسات العامَّة، بَغْداد، 2016، ص 1.

كوَسيلةٍ للدِّفاع الذّاتيّ، ما أدّى إلى سُهولة تَمرير الفِكر المتطرِّف، عبْر آليّات التَّسْميم السِّياسيّ السّابِق ذِكْرُها.

وقدْ تأجّجتِ الصِّراعات المذهبيَّة والإثنيَّة، واتَّخذتْ طابعًا استئصاليًّا، أوْ تَهميشيًّا، بعْد تَفجير حادِثة مرقَدَيِ الإمامَيْنِ العَسكريَّيْن (ع)، في سامرّاء، عام 2006، وما صاحبَها مِنْ عُنْفٍ طائفيّ مَقيتٍ، ناهيكَ عَنْ دُخول داعِش الإرهابيّ، في العام 2014، وما سبَّبه مِنْ دمارٍ فِكْريٍّ وعُمْرانيٍّ؛ إذ اندفَعتِ الكَثير مِنَ المجاميع المتطرِّفة، المولِّدة للإرهاب، بتَشكيلاتها القَديمة والجَديدة، في ظلِّ استِنفارٍ طائفيٍّ، باتِّجاه سفْك دِماء العِراقيّينَ، مِنْ مختلَف الانتِماءات الدّينيَّة والإثنيَّة[1]، الأمْرُ الَّذي أصاب التَّنوُّع، والتَّعدُّديَّة الثَّقافيَّة المجتمَعيَّة بالصَّميم، وألحَق الضَّرر الكَبير بالنَّسيج الاجتِماعيّ المتَعايِش، أمام حالَة التَّسْميم السِّياسيّ، بدَوافعها الدّاخليَّة والتّاريخيَّة والخارجيَّة؛ ما ألحَق الضَّرر بالهُويّات الثَّقافيَّة، وَبخاصَّةٍ لفِئات المسيحيّينَ، والأشوريّينَ، والأرْمَن، والكلدانيّينَ، والأيزيديّينَ، والصّابِئة المندائينَ، والشّبك، والكاكائيَّة، وغيرهم، وإنَّ الأمْر يشمل الجَميع مِنْ دون استِثناءٍ، لكنَّ هذه المجاميعَ الثَّقافيَّة، تعرَّضت بكِاناتها، إلى عُنفٍ شَديدٍ؛ واضطرَّت أعْدادٌ واسِعةٌ منْها إلى الهِجرة، بعْدَ ما لحقَها مِنِ انتِهاكات سافِرةٍ بالأرْواح والمقدَّسات والممتلَكات، وغيرها، وقدْ تعرَّضتِ النِّساء الأيزيديّات لِعمليّات السَّبي، وهُوَ شكلٌ مِنْ أشكال العُبوديَّة؛ إذْ تمَّ بيْعُهنَّ بسوق النِّخاسة، الأمْر الَّذي يندى له جَبين الإنسانيَّة، لكنَّ ذلكَ لا يعْني أنَّ (التَّطرُّف) أمْرٌ مُستورَدٌ، بقدْر ما كانَتْ هُناك ظُروفٌ اجتِماعيَّةٌ، وثَقافيَّةٌ، واقتِصاديَّةٌ، وسِياسيَّةٌ، ودينيَّةٌ، وطائفيَّةٌ، ونفسيَّةٌ... وغيرها، ساعَدت في انتِشار فيروسه، على نحْوٍ مُريعٍ، وذلكَ بالاستِفادة مِنَ الحواضِن الَّتي شكَّلتْ بيئةً صالحةً لنموِّها، ما يمكن تفْسيرها كمَداخلَ ومسبِّباتٍ، لظُهور التَّطرُّف في العِراق، ومِنْ

---

[1] عبْد الحُسَيْن شَعبان، هَلِ القَضاء على التَّطرُّف باتَ مُستعصِيًا؟، جَريدة الزَّمان (طبْعة العِراق)، آراءٌ وأفكارٌ، 2015، ص 8.

تَسهيلات تمرير هذا الفكر، هَشاشة الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وتَقادُم سياساته، فضْلًا عَنْ غِياب الهُويّة الوطنيَّة والشُّعور بالتَّمييز والإقصاء، وتردّي الأوضاع الاقتصاديَّة.

وهذا ما خلَق معوّقاتٍ جديدةً، أضعفتْ قُدرة الفعْل العِراقيّ، في التَّأثير على صَعيد المحيط الدّاخليّ والخارجيّ، وأثارتْ وبدَرَجاتٍ متفاوتَة، العَوامِل الكامنة في البِنية الاجتماعيَّة العِراقيَّة، لحِساب الهُويّات الفرعيَّة، وبذلكَ أوجَدتْ حالة عَجْزٍ بِنيويّ، وتوالُدٍ متواصلٍ للمشْكِلات، وافتقارٍ للإرادَة الاجتماعيّة، ولأدَوات التَّمكينِ مِنَ التَّعامُل معَ المشكِلات؛ ممّا أضعَف سلطَة التَّحكُّم والضَّبط، وشلَّ قدرتَها على جعْل الأفْراد والجَماعاتِ، ممتثِلينَ للمَعايير المقْبولة اجتماعيًّا[1].

صاحَب ذلكَ غيابٌ ملْحوظٌ لبيئَة الحِوار والتَّسامُح والاحترام، واعتماد القُوَّة كَنهجٍ وأسلوبٍ؛ ما يجعَل نار التَّطَرُّف والكراهيَّة كامنةً، كَرَواسبَ قابلةٍ للظُّهور في أيَّة لحْظةٍ مؤاتيَة. وشكَّل التَّنافُس بين الهُويّات الثَّقافيَّة، للصُّعود إلى سلَّم السُّلطة، بِخاصَّةٍ بينَ الشّيعة والسُّنَّة، محْور صِراعٍ سِياسيّ في الدَّولة؛ فقدْ أعاق هذا الصِّراع، وما نتَج عَنْه مِنْ توتُّراتٍ طائفيَّة، عمليَّة بِناء الدَّولة، فضْلًا عن عرقَلة بِناء الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، غيرَ أنَّ الحُكومة العِراقيَّة لم تقُمْ بأيَّة مُحاوَلة واضِحة، للتَّغلُّب على هذه الانقسامات، وبِناء هُويَّةٍ وطنيَّةٍ مُشتركَة، لا بلْ أنَّ العَديد مِنَ الإجراءات الَّتي اتُّخذتْ حتّى الآنَ، لمْ تؤدِّ إلّا إلى مَزيدٍ مِنْ تفتيت الدَّولة، واتّباع مُحاصَصة السُّلطة.

فقدْ أثَّرتْ سِياسات تَمرير الأجنْدة الخارجيَّة، على حِساب المصلَحة الوطنيَّة، على التَّماسُك الاجتماعيّ، أمامَ سِياسات التَّسميم، بفَواعلها الدّاخليَّة والخارجيَّة، كما أثَّرتِ الشُّكوك المتبادَلة، والتَّعبئة الطّائفيَّة، على سُلوك النُّخْبة

---

[1] عَدنان يا سين مُصطفى، الأمْن الإنسانيّ والمتغيّرات المجتمَعيّة في العِراق- تَحليلٌ سوسيولوجيٌّ، العارِف للمَطبوعات، بيروت، 2009، ص 84.

السِّياسيَّة، الَّتي تتطلَّع إلى تكوين جُمهور ناخبينَ، وحشْد الدَّعْم الشَّعبيّ، ويَبدو هذا صَحيحًا، بصفةٍ خاصَّة، خِلال مَواسم الانتخابات، عنْدما يتبنّى مُرشَّحو تلكَ الأحْزاب خِطابًا صِداميًّا، لاستمالة المؤيّدينَ، وكسْب سُلوك الهُويّات المماثلة لشَخْص المرشَّح، أوْ هُويَّة الحِزْب، ولذلكَ ظَلَّ تَقسيم القَواعد الانتخابيَّة السِّياسيَّة، إلى ثَلاث جَماعات طائفيَّة وعِرقيَّة رَئيسة: الشّيعيَّة، والسُّنّيَّة، والكُرديَّة، واستمرار قاعِدة التَّنافُس الفِئَويّ، لا التَّنافُس التَّنمَويّ، القائِم على بَرامِجَ، تعمَل على بِناء الإنْسان والدَّوْلة[1].

مِنَ البَيِّن، إذنْ، أنَّ تنوُّع الهُويّات الثَّقافيَّة، وتَعميق انقِسامِها، على حساب الهُويَّة الوطنيَّة العِراقيَّة، جاء نتيجةً لوُجود خلَلٍ في سِياسات الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، مُتمثّلةً بالآتي:

- سِيادة حالَة الانْسداد السِّياسيّ، الَّتي بلغَها النِّظام السِّياسيّ العِراقيّ، بعدَ العام 2003، مِنْ حيثُ عَجْزُه عَنْ تَقديم أجْوبة حقيقيَّة، عَنِ المطالِب التّاريخيَّة للمُجتمَع العِراقيّ (الإصْلاح، التَّحديث، النَّهضة، التَّقدُّم، حُقوق الإنسان... وغيرها)، والَّتي كان بعْضها في أساس قِيامه، (أوْ على الأصَحّ، مِنْ مَزاعِم قِيامه)؛ إذْ يشْهد العِراق لحْظة الذُّروَة في ذلك الانْسداد، مُمَثَّلةً في عَجْزه عَنْ حِماية الاستِقلال الوَطنيّ والسِّيادة، أي الحِفاظ على كِيان الدَّولة ذاته، في مُواجَهة الحقبة الجَديدة، مِنَ المهَدّدات الخارجيَّة والدّاخليَّة.
- تَراجُع الثَّقافة السِّياسيَّة، بحُسبانها الثَّقافة الَّتي تتحكَّم في سيرورة عَلاقات الحقْل السِّياسيّ، وقبْلها، في تصوُّر مَجال السِّياسة، وبِناء الوعْي بالعمَليَّة السِّياسيَّة. وقد تبدو الثَّقافة السِّياسيَّة في العِراق حديثةً، لكنَّها أخذتْ بالتَّقسيمات

---

[1] عَليّ أحمَد عبْد مَرزوك الجَنابيّ، الحَمَلات الانتخابيَّة للأحْزاب السِّياسيَّة وأثرها في سُلوك النّاخِب (انتخابات مجلِس النُّوّاب العِراقيّ لِعام 2018 أنموذَجًا)، رِسالة ماجِستير (غير مَنشورة)، قِسْم العُلوم السِّيا سيَّة، مَعهَد العَلَمَيْنِ للدِّرا سات العُليا، النَّجَف الأشْرف، 2019، ص 3.

الدّيمقراطيَّة (الأحْزاب مثلًا)، غير أنَّها في حقيقة أمْرها، ثَقافة عصْبَويَّةٌ تَقليديَّةٌ، تركّب المشروع السّياسيّ على النّظام الاجتماعيّ (القبَليّ، أوِ الطّائفيّ، أوِ العَشائريّ، أوِ العِرقيّ...) المفوت. وقد يكون مِنَ الشّواهد عليْها، جُنوحُها إلى التّمرُّد على الدّوْلة والسُّلطة، لمجرّد أنَّهما تمثّلان نظامًا، أوْ شكْلًا مِنَ النّظام المؤسّسيّ؛ وعليْه، تأسّست الدّولة العِراقيَّة، بعْدَ عام 2003، على نِظام المحاصَصة الطّائفيَّة، وعدَم السَّعي إلى ترْسيخ فِكرة التّجانُس السّياسيّ الوَطنيّ، الّذي يوجّه مَشروع الدّولة الوَطنيَّة؛ فَأصبحَتِ الدّولة هَشَّةً ضَعيفةً، وَغيرَ مُترابِطة؛ ما يجعلُها أرضًا خصبةً لنُموّ الجَماعات المتطرّفة، وهوَ ما يسهّل عمَليّات التّسْميم السّياسيّ، وخلْق حالَة الهَشاشة الأمنيَّة، والاستعاضة عَنْ فِكرة المواطَنة، بِروابطَ مُفترَضة، أوْ فَرعيَّة، تؤسّس لصِراعات مجتمَعيَّة، داخل بِنية الدّولة، فيما يُحيي الوَلاءاتِ الفَرعيَّة، وتطرُّفها، على حِساب الهُويّة الوَطنيَّة، والوَلاء الوَطنيّ. في مُقابِل ذلكَ، تعمَل الحَواضِن الثّقافيَّة والفِكريَّة- أدَوات التّسْميم السّياسيّ- على زِيادة التّعصُّب، وتنَشُّطه على مُستوَى الوَلاء، لا على مُستوَى الانتماء، وتجعَله معيارًا تفاضُليًّا لبناءات الحَياة كافَّةً، بما يخلُق فجْوةً بينَ الانتماءات الفَرعيَّة والكُلّيَّة، للمُجتمَع والدّوْلة.

- إنَّ القارِئ في وقائع تَراجُع الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ العِراقيّ، يلْحَظ أنَّ القاعِدة الاجتماعيَّة الأساس لتَنظيمات وحرَكات العُنْف السّياسيّ، تَنتَمي إلى الأرْياف، أوْ مدُن الصَّفيح، وأحْزِمة البؤس، الّتي تضْرب طوْقًا على كُبرى المدُن العِراقيَّة (كما مبين في جدول رقم (1))، ومَعنى ذلكَ أنَّ ثمَّة أسْبابًا اقتِصاديَّةً للظّاهِرة فقد ارتفعت معدلات البطالة وتراجع النشاط الاقتصادي (كما مبين في جدول رقم (2))، يتَوقَّف فهْم جَوانِبَ عَديدةٍ منْها، على إدراكها.

جدول رقم (1)

مؤشرات التجمعات السكنية العشوائية في العراق (2017)

المحافظات	عدد التجمعات السكنية العشوائية *	نسبة التجمعات من العدد الكلي للتجمعات %	عدد المساكن العشوائية *	نسبة المساكن العشوائية من المجموع الكلي للمساكن العشوائية %
كركوك	279	7.6	60,935	11.7
ديالى	172	4.7	21,402	4.1
بغداد	1,022	27.7	136,689	26.2
بابل	225	6.1	25,156	4.8
كربلاء	88	2.4	22,315	4.3
واسط	210	5.7	42,874	8.2
النجف	89	2.4	53,810	10.3
الديوانية	229	6.2	17,571	3.4
المثنى	120	3.3	21,432	4.1
ذي قار	333	9.0	37,927	7.3
ميسان	243	6.6	19,234	3.7
البصرة	677	18.4	62,602	12.0
العراق	3,687	100	521,947	100

* لايقل عدد الوحدات السكنية العشوائية في التجمع الواحد عن خمس وحدات سكنية
* تتميز بعض المحافظات بأعداد تجمعات مختلفة ولها تقريبا نفس عدد الوحدات السكنية العشوائية مما يدل على كبر حجم التجمع العشوائي من حيث عدد الوحدات

المصدر: استراتيجية تثبيت مواقع تجمعات السكن العشوائي، الإدارة التنفيذية لاستراتيجية التخفيف من الفقر 2017، مجلس الوزراء العراقي.

وأنَّ تَفاقُمها ليسَ في النِّهاية، إلّا شكْلًا مِنْ أشْكال التَّرجَمة الاجتِماعيَّة، لخلَلٍ ما في المعمار الاقتِصادي العِراقيّ، والحقيقة أنَّ الصِّلة بينَ الظّاهِرة، وَالوضْع الاقتِصاديّ، وهيكَل تَوزيع الثَّروة في العِراق، قائِمةٌ على نحْوٍ لا تَستَعْصي فيه على البَيان؛ فآليَّة العُنف تتحرَّك صُعودًا وتَصعيدًا، بالتَّناسُب معَ هُبوط مُؤشِّرات التَّنمية، وتَدهْور مُعدَّلات التَّوازُن في تَوزيع الثَّروة.

جدول (2)

مؤشرات البطالة والنشاط الاقتصادي للاعمار (15-25 سنة) حسب المحافظات (2014-2016)

المحافظة	2016 **		2014*	
	النشاط الاقتصادي	البطالة	النشاط الاقتصادي	البطالة
دهوك	34.5	28.1	33.7	**15.0**
نينوى	...	...	36.4	**12.8**
السليمانية	35.8	19.4	37.2	**12.3**
كركوك	27.6	28.7	42.2	**5.2**
اربيل	41.4	22.2	43.8	**11.2**
ديالى	31.6	12.0	35.9	**17.9**
الانبار	...	...	33.1	**33.3**
بغداد	38.2	18.6	39.9	**19.0**
بابل	45.8	11.0	34.1	**21.3**
كربلاء	37.7	12.1	40.4	**12.2**
واسط	38.2	20.2	34.5	**12.5**
صلاح الدين	33.5	16.3	35.6	**15.3**
النجف	38.6	16.4	39.1	**10.6**
القادسية	33.4	21.0	40.7	**21.0**
المثنى	31.6	26.0	31.6	**12.0**
ذي قار	29.0	34.8	36.7	**31.0**
ميسان	33.4	29.2	37.7	**28.7**
البصرة	39.7	25.5	33.0	**22.7**
الاجمالي	36.6	20.4	37.3	**17.6**

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الرابط: http://cosit.gov.iq/ar/2013-01-31-08-48-55

وأنّ الإخْفاق التَّنمَويّ العِراقيّ، الَّذي لَمْ يكنْ بِسبَب الأخْذ بالنَّموذج (الاشتِراكيّ)، أوِ الأخْذ بالنَّموذَج (اللّيبراليّ)، بلْ بسبَب سوء إدارَة البَرنامَج التَّنمَويّ ذاته، قاد إلى جُملةٍ مِنَ الاختِلالات الرَّهيبة في حقْل الاقتِصاد: تجاهُل الزِّراعة في سِياق وهْمه الصّناعِيّ المستَحيل؛ ما قاد إلى الإفْقار الغِذائيّ الشّامِل، ورُجوع الاقتِصاد الطُّفيْليّ (اقتِصاد التّرانزيت والخدَمات)، على الاقتِصاد الإنتاجيّ؛ ما دمَّر البِنية الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة، والتَّركز على المدُن، وإهمال الأرْياف؛ ما أنتجَ تَشوُّهاتٍ هيكليَّةً، وفُروقًا رهيبةً في الثَّروة. وأخيرًا، اختار أنْ

يقومَ على أساس اقتِصاد الكَماليّات، لا لإشْباع الحاجات. أمّا حَصيلة ذلكَ كلّه، فكانتِ الغُلُوّ في سوء تَوزيع الثَّروة، بينَ الفِئات والطَّبَقات الاجتِماعيَّة؛ إذْ أسْفر المشهَد الاجتِماعيّ- الاقتِصاديّ العِراقيّ، عَنْ خارِطةٍ اجتِماعيَّةٍ شاذَّةٍ (فئاتٍ مِنَ الكومبرادور)، جديدةٍ، تَحتكر الثَّروة، وتَعيش أعلى مُعدَّلات البذخ، وأفحَش مُستوَيات الثَّراء، مُقابِلَ شعْبٍ مِنَ الجِياع وأشْباه الجِياع، يَعيشونَ حالَة الفاقة والإمْلاق الشَّديدَيْن[1].

لذلكَ، لا نَستغرِب أنْ تتحوَّل حالَة الانسِحاق والتَّهميش، الَّتي يَعيش تحتَ وطْأة أحْكامها القاسِية، القسْمُ الأعْظَم مِنَ المجتمَع، إلى قنبلةٍ قابِلةٍ للانْفجار، ولتَعريض حالَة الأمْن الاجتِماعيّ للصَّدع أوِ الانْهيار؛ فحِينَ يشعر قِسمٌ مِنَ المجتمَع بالإقْصاء الاقتِصاديّ، في ظِلّ زَوال الحَدّ الأدْنى مِنَ الحِمايَة الاجتِماعيَّة؛ فلا غُبار على اختِياره سبيلًا للدِّفاع الأعْمى عَنْ نفْسه، بل لا غُبارَ على سُلوكه أحْيانًا، سبَيل الاحتِجاج الوَحشيّ على الانْسِحاق، وهو احتِجاجٌ باتَ يتوسَّع بتوسُّع دائِرة المهمَّشينَ، الَّذينَ لمْ يَعودوا تلكَ البروليتاريا الرَّثَّة فحَسبُ، بلْ أُضيفَ إلَيْهم وَقودٌ اجتِماعيٌّ وثَقافيٌّ جَديدٌ، هُو جيْش المتعلّمينَ المقصيّينَ مِنْ حمَلة الشَّهادات، العاطلينَ (أوِ المعَطَّلينَ بالأحرى). ولذلك، إذا كانَتْ تَنظيمات العُنْف السِّياسيّ تتوسَّع اجتِماعيًّا، في أوْساط المهمَّشينَ مِنْ سُكّان أحْزِمة البُؤس، وفي أوْساط المتعلّمينَ العاطِلينَ، ثُمَّ في الأرْياف المهمَّشة؛ فذلكَ لأنَّ هذا العالَم مجرَّدٌ تَمامًا مِنَ الحِماية، ويتلقّى مُباشَرةً نتيجةَ الإخْفاق التَّنمويّ؛ وهذا ما يعبّر عنْه بجَلاءٍ، واقِعُ مَجال الانتِعاش السِّياسيّ لحَركة (التَّطرُّف) الإسْلامي في العِراق.

[1] عبْد الإلٰه بلقزيز، العُنْف السِّياسيّ في الوطَن العربيّ، مَصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 79.

مِنَ البَيِّن، إذنْ، أنَّ التَّسْميم السِّياسيّ للهُوِيَّة والانتماء، لتَمرير الفِكْر المتطرِّف، ووليدِه الإرْهاب، والأخير يمثّل في سِياق العَولمة الكولونيَّة الَّتي تمزّق الأوطان والكيانات، أعْلى أشكال العُدوان على الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وعلى هيْبة الدَّولة ووَظائفها، وهوَ مِنْ دونِ شكٍ، أشدُّ خطَرًا مِنَ الحُروب الخارجيَّة، على أمْن المجتمَع، وسَلامة أفراده وجَماعاته؛ ففي الحُروب، ثمَّة، على الأقل، قَوانينُ واتِّفاقيّاتٌ تَحمي المدنيّينَ في فتْرة الحرْب، وتجرِّم المساس بِحَياتهم وممتلَكاتهم، أمّا الإرهاب فضَحاياه الأولى مِنَ المدنيّينَ، وبخاصَّةٍ حينَما يتذرَّع بدَعاوى الدّين؛ فيزعم القائمونَ عليْهِ أنَّهم إنَّما يفرضونَ به على النّاس، أحْكام الشَّريعة، ويطبّقون على المعارِضينَ منْهم، حدَّ الجلْد والقَتْل. وكما يرى (عبد الإلٰه بلقزيز)، فَإنَّ الإرهاب فعلُ إنْفاءٍ أعمى، لا أخْلاقَ حرْب تنظّمه، ولا عاصِمَ يعصمه مِنَ التَّمادي في العُدوان على- والقَصاص مِنْ- مُجتمَعٍ يحمّله مَسؤوليَّة التَّساكُن مع دَولة جائرةٍ، أوْ مُستبِدَّة، أوْ كافِرة...، كان في مرحلَةٍ مِنَ التّاريخ المعاصِر، في مجتمَعات الغَرب بخاصَّة، مُوجّهًا ضدَّ رُموز الدَّولة (أجْهزة الأمْن، والقَضاء...)، وهوَ اليَومَ مُوجَّهٌ ضدَّ الدَّولة، وأمْن المجتمَع على السَّواء، على نَحْوِ ما هيَ عليْه حاله في البِلاد العربيَّة[1].

5. السِّيَاسَاتُ وَالتَّدَابِيرُ الأَمْنِيَّة لِحِفْظِ الهويّاتِ الثَّقافيَّة وَمُناهَضَةِ الهَشَاشَة

لا حاجَةَ إلى القَوْل إنَّ السِّياسات العامَّة الرّاهنة، الهادفة إلى بِناء الْأَمْن الْمُجْتمعيّ، هيَ سِياساتٌ قاصِرةٌ عَنْ أداء وظائفها المفترَضة، بسبَب العجْز عَنْ تَقديم تَشخيصٍ دَقيقٍ لأزمات الأمْن، لا يكتَفي بالوُقوف عنْدَ أعْراضها فحَسْبُ، على نحْو ما هُوَ حاصِلٌ اليَومَ في العِراق وسوريا واليَمَن وليبيا... وغيرها، ثمَّ بسبَب إيكال سياسات الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، إلى أجهِزةٍ وفِئاتٍ ليسَ

[1] عبْد الإلٰه بلقزيز، الجَماعة الوَطنيَّة والمواطَنة، مَصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 76.

مِن اختِصاصاتِها، ولا مِنْ مَشمولات وظائفِها؛ وعليه، سيكون مآل هذه السِّياسات إلى فشَلٍ ذَريعٍ، ونحْن نُعاين- اليوْمَ- بعْضًا مِنْ مَظاهِر ذلكَ الفشَل في العِراق، ممثَّلًا في تَصاعُد أعمال العنْف السِّياسيّ، وتَزايُد جُمهوره، طرْدًا وتَناسُبًا معَ تَزايُد العمَل بتِلك السِّياسات والإستراتيجيّات، والاستِمرار في التَّعويل على فعاليَّتها؛ وهذا إنَّما يفتَح الباب أمام صيَغٍ واختِياراتٍ أخْرى لمعالجَتها؛ ذلكَ أنَّ الانتِقال بالبُلدان العربيَّة مِنْ حالَة الصِّراع الَّتي تَشهدها الآنَ، إلى حالَة أكثرَ هُدوءًا، وتُتيح مِساحَةً لإعادة بِناء كُلٍّ مِنَ الدَّولة والمجتمَع، على أُسُسٍ جَديدة مِنْ ناحِية، وصِياغة العَلاقة بينَهما بشَكلٍ مُختلِف، مِنْ ناحيَةٍ أخْرى، يقتَضي أنْ نَطرح بعْض القَضايا المهمَّة في هذا الصَّدد، منْها:

- **إلغاء الأسْباب السِّياسيَّة وتَفعيل الأمْن السِّياسيّ:** لعلَّ المدخَل إلى إلغاء الأسْباب السِّياسيَّة للمُعضِلة الأمنيَّة المجتمَعيَّة، هوَ فتْح ملفّ الدّيمقراطيَّة، والسُّلطَة، وحُقوق الإنْسان، على إجراءات وخِيارات جَديدة، وإدخاله مِنطقة الإصْلاح والتَّقويم، لا سَبيلَ إلى تَحرير المجال السِّياسيّ، مِنْ تلكَ المعضِلة، إلّا بتَحريره ممّا يجعَل السِّياسة تَنحرف عَن مَساراتها الحَضاريَّة الطَّبيعيَّة، إلى التَّعبير عَنْ نفْسها مِنْ خِلال العُنْف. والتَّحرير الَّذي نَعنيه هُنا، هوَ تنْظيف حقْله مِنَ الأَلْغام المزروعَة فيه، منذُ تكوُّنه الحَديث، تَنظيفه مِنْ قيَم القمْع، وثَقافة التَّسلُّط، واحتِكار الرَّأي، والعُدوان على الحُقوق المدنيَّة والسِّياسيَّة للمُجتمَع، واستصلاح تُربَته بزَرْع قيَم الحُرِّيَّة: حرِّيَّة الرَّأي، والاختلاف، والحَقّ في التَّعدُّديَّة، وفي التَّمثيل على قدَم المساواة، والحَقّ في التَّداول السِّلميّ للسُّلطَة، وحَوكَمة هذا المجال على نحْوٍ لا غُبارَ عليْه، وبناء تعاقُد سياسيّ بينَ أطرافه، على احترام النِّظام الدّيمقراطيّ الدّستوريّ، والحَياة التَّمثيليَّة، والتَّنافُس السِّياسيّ الوَطنيّ السِّلميّ، والاحتكام إلى الاقتِراع الحُرّ النَّزيه، وإلى إرادَة الشَّعب، ورُبَّ قائلٍ إنَّ ذلكَ لا يُجدي، ولنْ يجدي نفعًا معَ جَماعاتٍ، يحتَسبُ بعضُها الدّيمقراطيَّة كُفرًا، وبِضاعَةً مسمومةً، مُستوردَةً

مِنَ الأجنبيّ...؛ فنَقول لَها إنَّ رأيها ذاكَ، ليْس عقيدةً نهائيَّةً، بلْ هوَ على صِلةٍ بِمِحْنة الأمْن الاجتماعيّ اليَوْمَ، أوْ هوَ جزْءٌ مِنَ المضارَبات الأيديولوجيَّة، الَّتي تنتَعش في المراحِل الدَّعَويَّة والتَّعبويَّة، والَّتي لا تكون لها مِنْ وظيفةٍ سِوى تَحشيد وتجييش الرَّأي العامّ، (والأتْباعِ، والمريدينَ)، في المعركة ضدَّ الخَصْم، وهوَ ما يتغيَّر أمره بتغيُّر الظَّرفيَّة السِّياسيَّة، أي بِالانتِقال إلى حَياةٍ سِياسيَّةٍ ديمقراطيَّةٍ مختلِفة، تؤمِّن الفرَص للجَميع؛ فَلا يشْعر أحَد بالغُبن والتَّهميش، ودَليلنا إلى أنَّ أمْر هذهِ المضارَبات الأيديولوجيَّة إلى زَوالٍ، هوَ أنَّ تكفير النِّظام الدّيمقراطيّ، بدأ- بلُغَةٍ أخْرى- معَ جَماعاتٍ سياسيَّةٍ أخْرى، قبْل الجَماعات الإسلاميَّة، هيَ الجَماعات الماركسيَّة العربيَّة، الَّتي عدَّته بِدْعةً برجوازيَّةً، لتَكريس نِظام السَّيطَرة الطَّبَقيَّة للبرجوازيَّة، ومعَ الجَماعات القَوْميَّة العربيَّة، الَّتي عدَّته وَسيلةً لتَكريس التَّجزئة (أي الدَّولة القِطْريَّة)، وبثّ الفِرقَة والاختِلاف في وحْدة الأمَّة، مِنْ خِلال تَمزيق نَسيجها السِّياسيّ، في أحْزابٍ ومُنظَّماتٍ، بعدَد المِلَلِ والنِّحَل... وقدْ أكَّدت التَّجربة أنَّ تلكَ الجَماعاتِ الَّتي ناهَضتِ الدّيمقراطيَّة، هيَ الَّتي تتصدَّر اليوْمَ معركة النِّضال مِنْ أجْلها.

- **إلْغاء الأسْباب الاقتِصاديَّة وتَفعيل الأمْن الاقتِصاديّ:** وَذلكَ عَنْ طَريق إعادَة النَّظَر في السِّياسات التَّنمويَّة المتَّبعة، الَّتي قادَتْ إلى الإخْفاق، ممثَّلًا في فُقدان الأمْن الغِذائيّ، وفي تَزايُد التَّبَعيَّة للخارِج، وفي ارتِفاع مُعدَّلات المديونيَّة، وكَساد النِّظام الاقتِصاديّ، والافتِقار المتَزايد إلى فئاتٍ واسِعةٍ مِنَ المجتمَع...، وليسَت إعادَة النَّظر الَّتي نعني، سِوى مُراجَعة الفلسَفة الاقتِصاديَّة الرَّسميَّة وخِياراتها التَّنمويَّة، مُراجَعة مُعادَلة التَّضخُّم في القِطاع الطُّفَيْليّ، وضُمور القِطاع المنتج، ومُعادَلة نُموّ اقتِصادات الكَماليّات، وتَدهور اقتِصاد الحاجات، ومُعادَلة التَّنمية، الَّتي لا تُقيم التَّوازُن بينَ الإنْتاج والاستِهلاك، وبينَ المواردِ الوَطنيَّة المتاحَة؛ فتضطرّ إلى الاستِدانة

والاسْتيراد، ثمَّ مُراجَعة فرضيَّة فشَل القِطاع العامّ، وفتْح الباب أمام الخوَصصة، والمبادَرة الحُرَّة، بمراجَعة الأسْباب الَّتي قادتْ إلى فَساد سياسات التَّخطيط المركزيّ، وتدخُّل الدَّولة في النَّشاط الاقتصاديّ (وهي ذاتيَّةٌ- في المقام الأوَّل- ولا عَلاقَة لها بالخِيار التَّنمويّ الدَّوليّ، الَّذي نجَح في بِقاعٍ أُخْرى في العالَم، وأعْطى أعْلى نِسبة نُمُوٍّ عالميَّةٍ في الصّين مثلًا)، ومُراجَعة أولويّات الاستِثمار والإنْفاق الوطنيّ، على مَشروعات التَّنمية، ومراجَعة سِياسات تَعبِئة المواردِ الوَطنيَّة: الطَّاقويَّة، والماليَّة، والعلميَّة، والبشريَّة، وأوجُه توْظيفها، ومُراجَعة سِياسات التَّصحيح الهيكليّ، والخُضوع لتَوصِيات المؤسَّسات الماليَّة العالميَّة، وشُروطِها القاتلة. وَلعلَّ المراجَعة المطلوبَة ينبغي أنْ تَجريَ تعبئَتَها في أُفُق مَشروعٍ تنمَويٍّ بديلٍ، يؤمّن الخُبز للنّاس، ويرفَع عنْهم ضائقة العيْش والانسداد الاجتماعي، الَّذي يدفعُهم الى الانتحار السِّياسيّ أحْيانًا، مَشروعٌ تَنمَويٌّ يُنصِف الأرْياف، ويحقّق الحَدَّ الأدْنى مِنَ التَّوازُن في الإمْكانيّات التَّنمويَّة، بينَها وبينَ المدُن، ويؤمّن قاعِدةً إنتاجيَّةً مُتطوّرةً، تحُدّ مِنَ الحاجَة إلى الالتِجاء إلى الخارِج، وتحدّ مِنِ استنزاف الثَّروة الوَطنيَّة، بتَغطِية مُستحَقّات الدَّيْن الخارجيّ، وتؤمّن فرَص العمَل للنّاس؛ فتمتصّ عوزَهم، وإملاقَهم، وفاقَة فُقَرائِهم، ومُهمَّشيهم، وليستْ في ما نقولُ، الحُجَّة إلى هذه الثَّورة الاقتِصاديّة؛ ذلكَ أنَّ كثيرًا مِنْ مَشاكِل الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ استُزرِعتْ في تُربة الاقتصاد، وفي عَلاقات الإنْتاج، وهيَ لنْ تُمحى مِنَ الوُجود، بمجرَّد نزْع الثِّمار، أوْ قطع الأغْصان، بلْ باقتِلاع تلكَ الجُذور، الَّتي أثمرتْها، وستظلّ تُثمِرها، إنْ هيَ بقيَتْ ضاربةً في التّراب الاقتِصاديّ، ولا يمكن أنْ يتحقَّقَ الأمْن الاقتِصاديّ، إلّا باستِئصال ظاهِرة الفَساد الماليّ والإداريّ، الدّابّة في مُؤسَّسات السُّلطة، وتَحرير هذه السُّلْطة مِنَ البيروقراطيَّة الأوامِريَّة، وهذا يتمّ عَنْ طَريق تَصفية رُموز الفَساد في السُّلطَة، تصفيةً سِياسيَّةً، بتَجريدِهم مِنَ المواقِع الَّتي احتلّوها، عَنْ غيْر

أهليَّة واستحقاقٍ، على حِساب الكَفاءات الوَطنيَّة: السِّياسيَّة، والإداريَّة، والاقتصاديَّة، والعلميَّة..، لمجرَّد أنَّهم (خُبَراء في التَّفاوُض)، وبتأجير اللِّسان، أوْ لأنَّهم مِنْ ذَوي القُربى، كَما تَحتاج إلى إجْراءاتٍ ثَلاثةٍ رَديفةٍ، هيَ تمتُّع القَضاء بالمزيد مِنْ ضَمانات الاستِقلاليَّة والنَّزاهة، وبالحقّ المطلَق في مُراقَبة سِياسات الإدارَة الماليَّة العامَّة، ومُساءَلة الخارجينَ على القانون، وتمتيع المجلِس التَّشريعيّ بصَلاحيّاتٍ فعليَّةٍ، للرَّقابة على الممتلَكات، والمال العامّ، ومُساءَلة المسؤولينَ مُساءَلةً تَشريعيَّةً؛ ثمَّ إحاطَة السِّياسات الرَّسميّة، الماليَّة والإداريَّة، بضَماناتٍ قانونيَّة، تفرِض عليْها توخّيَ الشَّفافيَّة في العمَل، وبذلكَ نحْن في حاجَةٍ إلى تَكريس قَواعِد العمَل الدّيمقراطيّ والمؤسَّسيّ، في أجْهِزة السُّلطَة، لمحاصَرة المزاجيَّة، والاستِفراد بالقَرار، والعبَث بالقانون، والنَّزعة الأوامريَّة الفوقيَّة، وهيَ مهمَّةٌ تَقتَضي مَعركةً فِكريَّةً حَقيقيَّةً، معَ ثَقافةٍ سِياسيَّةٍ فرديَّةٍ، مُزمِنةٍ في التّاريخ العِراقيّ المعاصِر.

- **إلغاء الأسْباب الاجتِماعيَّة وتَفعيل الأمْن الشَّخصيّ والمُجتمعيّ:** يتعلَّق هذا المدخَل بالمدخَل السّابق (الأمْن الاقتِصاديّ)؛ ذلك أنَّه مِنْ دونِ رفْع الأسْباب الاقتِصاديَّة، الَّتي أنجبَتْ هَشاشة الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، في البُلدان العربيَّة، لا سبيلَ إلى إلغاء شُروطه الاجتِماعيَّة؛ فإذا كانَتْ مِنَ العَوامل الاجتِماعيَّة، الدّافعة إلى تغَلغُل التَّطرُّف في الوجود، حالَةُ التَّهميش العامَّة، الّتي تَطال شَرائِحَ اجتماعيَّةً واسِعةً، ووُجودُ فَوارقَ فاحِشةٍ بينَ الفئات والطَّبَقات، إلى الحدّ الَّذي تتركَّز فيه الثَّروة في يدِ أقلّيَّةٍ صَغيرةٍ مِنَ المجتمَع، في مُقابِل جيْشٍ كَبيرٍ مِنَ الجِياع والمهمَّشينَ، ممَّن يعيشونَ- بالمقاييس والمؤشّرات العالَميَّة- تحتَ خطّ الفَقْر...، فَإنَّ رفْع هذا التَّهميش، وإعادَة تَوزيع الثَّروة تَوزيعًا عادِلًا، بينَ فِئات المجتمَع، هوَ السَّبيل إلى مَحْو الأسْباب الَّتي تَصنع الشُّعور بالانْسحاق والإقْصاء، وترفَع مِنْ درَجة الاحتقان السِّياسيّ والنَّفسيّ، ومِنَ الرَّغبة في التَّمرُّد على نِظامٍ مِنَ الإجْحاف. وغنِيٌّ عَنِ

البَيان، أنَّ تَحقيق ذلكَ مُتوقّفٌ على إنجاز بَرامجَ تَنمويَّة حقيقيَّة[1]. وإلى جانب ذلكَ، أدَّى إهمال قضيَّة الانْدماج الاجتماعيّ، لسَنوات طَويلة، إلى غِياب تَوافُق عامّ، على الأُسُس الَّتي يَقوم عليْها المجتمَع، ومعَ الوقتِ تحوَّل غِياب التَّوافُق، إلى صِراعٍ داخِل المجتمَع، وقد تَمّت تَغذية هذه الصِّراعات، بِسياسات اقتِصاديَّة، واجتماعيَّة، تحيَّزت لهُويّاتٍ مِنْ دونِ أُخْرى، ومعَ الوقْتِ، أصبح الانتماء الأوَّليّ هوَ المحدّد للنَّفاذ للحُقوق كافَّةً، ولَمْ يقتَصِرِ الأمْر على ذلكَ، بلْ تعرَّضَتْ هُويّاتٌ أُخْرى للتَّهديد والإقْصاء، والحَقيقة أنَّ الهُويّات الأوَّليَّة تبرز للمقدّمة، عندَما تتعرَّض للتَّهديد، في حينِ أنَّها تَتوارى عنْدَما تَسود الهُويَّةُ الوَطنيَّةُ الضّامنةُ والممَثّلة[2].

مِنَ البَيِّن، إذَنْ، أنَّ سِياسات الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ تَبتعد في إستراتيجيّاتها، عَنِ استِخدام أدوات الأمْن العَسكريّ (إلّا عنْدَ الضَّرورة القُصوى)، أمامَ التَّسْميم السِّياسيّ للهُويَّة والانتماء، وأنَّ أمْن المجتمَع بما هوَ تأمينُ الهُويّات الثَّقافيَّة، وإشباع الحاجات، وبما هوَ أمْنٌ اقتِصاديٌّ وغِذائيٌّ واجتِماعيٌّ، لا يمكن تمامُه مِنْ دونِ تَنمية وتَوزيعٍ عادلٍ للثّروة، ومِنْ دونِ تأمينٍ لحُقوق الفِئات الأقَلّ دخْلًا، ولحُقوق المرميّ بهِمْ على هامِش الاقتِصاد والإنْتاج. فعَلى حَدّ تَعبير روبرت مكنمار، أصبَح مقياس الأمْن مرتَبِطًا بالتَّنمية، وما تُحقّقه مِنْ مَردود اجتماعيّ، فالقبول والرِّضا الَّذي يتشكَّل اجتماعيًّا، يؤسّس المداخل الأولى في مُواجهة التَّطَرُّف العَنيف، في أيّ مكانٍ كانَ، وظاهِرة التَّطَرُّف المولّدة للإرْهاب، هيَ مَدخَل التَّفكير في البُنى والشُّروط التَّحتيَّة، الاجتماعيّة، الثَّقافيَّة، الاقتِصاديَّة) العِراقيَّة، تقدّم فُرصةً لفهْمٍ موضوعيّ صَحيحٍ للظّاهرة،

---

(1) عبْد الإلٰه بلقزيز، العُنْف السِّياسيّ في الوطَن العربيّ، مَصدَرٌ سبَق ذِكْره، ص 83- 85.

(2) هوَيْدا عَدلي، الكَراهيَّة في المجتمَعات مِنْ مَنظور "أزمة الهُويَّة"، مُلحَق اتِّجاهات نظريَّة في تَحليل السِّياسة الدَّوليَّة، مجلّة السِّياسة الدَّوليَّة، العدَد 199، مَركَز الأهْرام للدِّراسات، القاهِرة، 2015، ص 16.

بمقْدار ما تقومُ بِردَّة فعلٍ، للمُقارَبة الأمنيّة الاستئصاليَّة، المدفوعَة إلى جُنونها الأقْصى، والمرتكِزة إلى الفرَضيَّة الخاطئة، عَنِ انحِراف سُلوك مُمارِسي العنْف والإرْهاب، وإلى الفِكرة الأكثر خَطأً عَنْ إمكانيَّة تَصويب ذلك الانحِراف، عَنْ طَريق الرَّدع الأمْنيّ (العَسكريّ) العَنيف فقط؛ إذْ يجب أنْ تتضمَّن رؤى المعالَجة والمواجَهة، مَنظوراتٍ قادِرةً على بِناء القَبول والرِّضا الشَّعبيّ، حِيال السّياسات العامَّة الَّتي تتبنّاها الدَّولة تجاه المجتمَع؛ وَعليْه، فإنَّ الدّيمقراطيَّة، والتَّنمية، والعَدالة الاجتِماعيَّة، والتَّجديد الثَّقافيّ... وغيرها، هيَ عَناوينُ السّياسات البَديلة، الَّتي تُنشد إستراتيجيَّة تَحرير الأمْن الاجتِماعيّ مِنَ الهَشاشة، والخُروج عَن سوق المضارَبات الأيديولوجيَّة والمزايَدات، (أوِ المناقَصات) الكَلاميَّة، وإنهاء حالَة الحَرب الأهليَّة الفِكريَّة، الَّتي يعيشها الوعْي العربيّ بينَ دُعاة الأصالة والمعاصَرة، والهُويَّة والحَداثة، والأسلَمة والعلمَنة...، والَّتي تُنتج ثَقافة التّكفير، والتَّأثيم، والإقْصاء والإنكار المتبادَل، وبدلَ ذلكَ، تنمِية ثَقافة الحِوار والتَّسامُح، والمناظَرة العلميَّة، والتَّثاقُف الخلّاق بينَ المرجعيّات، والانفِتاح المتعدّد على التُّراث والعَصْر، وروح النّسبيَّة في التَّفكير، وسِواها مِنَ القيَم الَّتي تُعيد هَيكَلة قَواعِد الثَّقافة خارِج نِظام العَسكَرة المتَنامِية، للحَقل الثَّقافيّ المقفَل على مَعارك الرَّوافِض.

الخاتمة

وفي الختام، وإذْ تمثّل الدُّروس المستخلَصة عُنصرًا أساسيًّا في النَّشاطات العلميَّة المنهجيَّة، بما توفِّره لها، الآنَ وفي المستقبَل، مِنْ إمْكانيَّة الوُصول بمواضع اهتمامها، إلى نَتائجَ محدَّدةٍ، وبِناء الأفْكار والنَّشاطات. في ضَوْء هذهِ الدُّروس، وعلى أساسِها، فإنّ ما يمكِن استخلاصه مِن دُروسِ الأحداث، والصِّراعات، والأزَمات، والكَوارث ... وما شابَه ذلكَ؛ الأمْرُ الَّذي جَعَلَ العَديد مِنْ بُلدان الوَطن العَربيّ، تَبدو أكثرَ مِنْ أنْ تُحصيَها، أوْ تُعالجَها دِراسَةٌ واحِدةٌ. ولكنَّ أبرز تِلك الدُّروس، وأكثرَها أهمِّيَّةً، مِنْ مَنظور الأمْن وطَبيعته، ومُقتَضياته:

- ضَرورة إثبات الأهمِّيَّة المطلَقة لقَضايا الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، وأولويَّتها الَّتي لا تُنازِع عليْها جَداوِل العمَل الإنسانيّ، الفرْديّ، والمجتمَعيّ، على أيِّ حالٍ، وفي كلِّ زَمانٍ ومَكانٍ.
- ضَرورة الانتِباه إلى ازدِياد أعدادِ، وتغيُّر أنْواع مَصادِر التَّهديدات، والمشكِلات الأمنيَّة، لتشملَ أيضًا الجَماعاتِ الصَّغيرة والأفْراد، الَّذين أصبَحوا قادِرينَ على خرْق جِدار الأمْن، وتهديدِه، حتّى بالنِّسبة إلى الدُّوَل العُظمى؛ إذ توفَّرت لهمُ القُدُرات اللّازِمة، والظُّروف المناسِبة.
- اتِّساع نِطاق التَّهديدات الأمنيَّة، وارتِفاع دَرَجة خُطورتها، بعْد أنْ أصبَحتْ أسلحة الدَّمار الشّامِل الكيميائيَّة، والبيولوجيَّة، وربَّما النَّوويَّة مُستقبَلًا، في مُتنَاوَل كلِّ الرّاغِبينَ في استِخدامها، طالما كانوا قادِرينَ على امتِلاك خبُراتِ وقدُراتِ تصْنيعها، أوْ على الأقلِّ، امتِلاك القُدْرة على دفْع أثمانها.
- انعِكاس سِياسات العوْلَمة، وتأثيراتها على تهْديدات الأمْن، ومُشكلاتها، لتجعلَ منْها هيَ الأُخْرى، تهديداتٍ، ومُشكلاتٍ مَعلومةً، إنْ لمْ يكنْ بالنِّسبة إلى الوَحدات الدَّوليَّة كلِّها، فعَلى الأقلِّ، بالنِّسبة إلى الوحَدات ذاتِ السِّياسات، والمصالح، والأهْداف المعلومَة، أوْ تلكَ الَّتي تقع في نِطاق اهتِمام، أوْ تأثير مِثل هذهِ الوحِدات.

- إنَّ التَّنمية قدْ لا تمنَع مِنْ وُقوع الحُروب والصِّراعات، لكنَّ الحروب بالتّأكيد، سوْف تقَع في غِيابها، وإذا كانَتِ الدُّوَل والمجتمَعات البَشريَّة، في نِهاية الأمْر، ما هيَ إلّا (مَجموعَةً مِنَ البَشر)، مثلَما يجادِل البِنائيّونَ عَنْ حقٍّ؛ فَإنَّ أيّ تَهديدٍ، أوْ خطَر يُوجَّه إلَيْهم، يجب عَدُّه تهديدًا للدَّولة، تمامًا مثلَما هيَ الحرْب، أوِ الاحتلال الخارجيّ؛ فحَقّ البشَر في العَيش، حياةً كريمةً ومستقِرَّةً وآمِنةً، لا بُدَّ مِنْ أنْ يُحتَرَم تمامًا، مثلَما تُحتَرَم مَساعي الدُّوَل، في العَيْش في بيئةٍ إقليميَّةٍ، ودَوْليَّةٍ آمِنة، ومُستقرَّة.

وبِفعْل الأحْداث السّابقة، والدُّروس المستخلَصة منْها، يجبُ أنْ تَستعيدَ قَضايا الأمْن في البُلدان العَربيَّة، موقِع الصَّدارة مِنْ جَديدٍ، على جَدوَل الاهتِمامات الإنسانيَّة، بعدَ أنْ شاعَتْ بعْض الأوْهام، عَنْ إمكانيَّة تخلّيها عَنْ هذا الموقِع، لاهتِمامات أُخْرى، قيلَ الكَثير عَن حَيويَّتها، وحساسيَّتها، وخُطورتها، ثمَّ عادتِ الوَقائع لتثبتَ أنَّ الأمْن يبْقى دائمًا، وفي النِّهايَة، أوَّلَ احتِياجات الإنسان، وأكثرَ مَطالبِه حَيويَّةً وضَرورةً.

المصادر والمراجع

اولاً : الكتب العربية

1. إبراهيم مَدكور، مُعجَم العُلوم الاجتِماعيَّة، مَطابع الهيئة المصريَّة للكِتَاب، القاهرة، 1975.
2. أحمَد محمَّد أبو زيْد، التَّنمية والأمْن: ارتباطاتٌ نظَريَّةٌ، في مَجموعَة مؤلّفينَ، النُّموّ الاقتِصاديّ والتَّنمية المستَدامَة في الدُّوَل العربيَّة الأبْعاد السِّياسيَّة والاجتِماعيَّة، المركَز العربيّ للأبحاث ودِراسة السِّياسات، الدَّوْحة، 2013.
3. توفيق بو ستي، مدرَسة كوبنهاغن- نحْوَ توسيع وتعميقِ مَفهوم الأمْن، المعهَد المصريّ للدِّراسات، اسطنبول، 2019.
4. تَوفيق بوستي، مَفهوم الأمْن في مَنظورات العَلاقات الدَّوليَّة، المعهَد المصريّ للدِّراسات، إسطَنبول، 2019 .
5. حَميدة سميسِم، الحَرْب النَّفسيَّة، الدّار الثَّقافيَّة للنَّشر والتَّوزيع، بَغْداد .
6. عبد الإلٰه بلقزيز، الجَماعة السِّياسيَّة والمواطَنة، المركَز الثَّقافي للكِتَاب، المغرب، 2020 .
7. عبْد الحُسَيْن شَعبان، الهُويَّة والمواطَنة البَدائِل الملتبِسة والحَداثة المتعثِّرة، مَركز دِراسات الوحْدة العربيَّة، بَيروت، 2017 .
8. عبْد الرِّضا الطَّعّان وآخَرون، مَوسوعة الفِكر السِّياسيّ عبْر العُصور، ط 1، ابن النَّديم للنَّشر والتَّوزيع، الجَزائِر، 2015 م.
9. عدنان ياسين مُصطفى، الأمْن الإنسانيّ والمتغيِّرات المجتمَعيَّة في العِراق- تَحليلٌ سوسيولوجيٌّ، العارِف للمَطبوعات، بَيروت، 2009.
10. عليّ عبْد الهادي المعموريّ، المصالَحة الوطنيَّة والسِّلم الأهْليّ- مُعضِلة هُويّاتٍ فَرعيَّةٍ أمْ غِياب دَولةٍ؟، مَركز حَوكَمة للسِّياسات العامَّة، بَغْداد، 2016 .
11. مُحَمَّد محمود رَبيع، الفِكر السِّياسيّ الغَربيّ فَلسَفته ومَناهِجُه مِنْ أفْلاطون إلى ماركس، مَطبوعات جامعة الكوَيت، الكوَيت، ط 1، 1994 .
12. محمَّد يوسُف عَلوان ومحمَّد خَليل الموسى، القانون الدَّوليّ لحُقوق الإنسان المصادِر ووَسائِل الرَّقابة، ج 1، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع، عمّان، 2005 .
13. مُصطَفى العوَجيّ، الأمْن الاجتِماعيّ مقوِّماته وتِقْنيّات ارتِباطه بالتَّربية المدنيَّة، ط 1، مؤسَّسة نوفَل، بيروت، 1983، ص71.
14. منظَّمة العفْو الدَّوليَّة، تَقريرٌ حوْل حالة حُقوق الإنسان في العالَم، ط 1، 2009 .
15. نجدتْ صبْري ئاكره يى، الإطار القانونيّ للأمْن القَوميّ، مَطبعة زانكو، أَربيل، 2004.

ثانياً : الكتب والتقارير المترجمة

1. باتريك سافيدان، الدَّولة والتَّعدُّد الثَّقافيّ، تَرجَمة: المصطفى حَسّوني، دار توبقال للنَّشر، المغرب، 2011.
2. بَرنامَج الأمَم المتَّحِدة الإنمائيّ والصُّندوق العَربيّ للإنماء الاقتِصاديّ والاجتِماعيّ، تَقرير تَحدّيات أمْن الإنسان في البُلدان العَربيَّة، نيويورك، 2009 .
3. برنو أوليفييه، الهُويات الجَمْعيَّة: كيفَ يَسعُنا أنْ نفهَم قضيَّةً سياسيَّةً مُحتدِمةً، في: نخبَة مِنَ الباحثينَ، الهُويّات الجَمعيَّة في عصْر العَولَمة، ترجَمة: خالِد طْه الخالِد، مَنشورات ضِفاف، بَيروت، 2015.
4. البَنك الدّولي، تَقرير التَّنمية في العالَم شَنّ الهُجوم على الفَقْر 2000- 2001، واشنطن .
5. تقرير الخَبيرة المستقلَّة المعنيَّة بقَضايا الأقلّيّات غاي ماكدوغال، تَعزيز وحِماية جَميع حُقوق الإنسان المدنيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتِماعيَّة والثَّقافية بما في ذلكَ الحَقّ في التَّنمية، الأُمَم المتَّحِدة، الجمعيَّة العامّة، ص 15، شبَكة المعلومات الدَّوليَّة الإنترنت، على الرّابط : https://www.refworld.
6. دارويوش شايغان، هُويَّةٌ بأربعينَ وجهًا، ترجَمة: حيْدر نجَف، مُراجَعة وتَقديم: عبد الجبّار الرِّفاعيّ، مرَكَز دِراسات فلسَفة الدّين، بَغْداد، 2016 .
7. هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثَّقافة والهُويَّة، ترجَمة: حاتِم حَميد مُحسِن، كيوان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمَشق، 2010 .

ثالثاً : البحوث والدراسات

1. أحمَد غالِب مُحيي وعليّ أحمَد عبد مَرزوك، البُعْد السِّياسيّ للأمْن الاجتِماعيّ دِراسَةٌ في المفهوم والأبْعاد والأهْداف، مجلَّة جامِعة الكوفة للعُلوم القانونيّة والسِّياسيَّة، العدَد 1/ 44، جامِعة الكوفَة، النَّجَف الأشرَف، 2019 .
2. أكرم عبد الرَّزّاق المشهَداني، الأَمْن الشّامِل في مُواجَهة الأزَمات والكَوارِث "جائحة كورونا نَموذجًا"، مجلَّة جامِعة نايف للدِّراسات الأمنيَّة، العدَد 2، جامعة نايف العربيَّة للعُلوم الأمنيَّة، 2020 .
3. باي أحمَد، العَدالة الانتقالية والأَمْن المُجْتمَعيّ: التَّقاطُعات والانعِكاسات، مجلَّة البُحوث السِّياسيَّة والإداريَّة، العدَد 9، الجَزائر، 2018.
4. شفيعة حدّاد وأسماء بلاغماس، تأثير العَولَمة في بُعْدها الثَّقافيّ الهُويّاتيّ على الهُويَّة الثَّقافية الوَطنيَّة، المجلَّة الجَزائريَّة للأمْن الإنْسانيّ، العدَد 2، الجَزائر، 2019.

5. عائشة بَشير التّايب، الجائحة والمضامين المستجِدَّة للأمْن المجتمَعيّ: قِراءةٌ في مَسارات إدارة الأزمة، المجلّة العَربيّة للدّراسات الأمنيّة، العدَد 2، جامِعة نايف العَربيّة للعُلوم الأمنيّة، 2020 .

6. عبد الإلٰه بلقزيز، العُنف السّياسيّ في الوطَن العَربيّ، ملفّ حال الأمّة العربيّة، العدَد 207، مرَكز دِراسات الوحْدة العربيّة، 1996.

7. عبْد الرَّحمٰن بن عبد الله الشّقير، الْأَمْن البيئيّ الصّحّيّ في ظِلّ انتِشار ڤيروس كورونا المستجِدّ: دِراسَةٌ وَصفيَّةٌ تحليليَّةٌ لبَعض الممارَسات الصّحّيَّة في المملَكة العربيَّة السُّعوديَّة، المجلّة العربيَّة للدّراسات الأمنيّة، العدَد: 2، جامِعة نايف العربيَّة للعُلوم الأمنيَّة، 2020، .

8. عليّ فارِس حَميد وعليّ أحمَد عبْد مَرزوك، سِياسات مُناهَضة التَّطرُّف مِنْ مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ العِراق أنموذَجًا، مجلّة قَضايا سياسيَّة، العدَد 61، كلّيّة العُلوم السّياسيَّة، جامِعة النَّهرَيْن، بَغْداد، 2020.

9. محمَّد بو عبْد الله، سوسيولوجيا الاعتِراف لمواجَهة مَشاكل العُنْف والجور الاجتماعيّ، مجلّة إضافات، العدَد 40، الجمعيَّة العربيَّة لعِلم الاجتِماع، مَركز دِراسات الوحْدة العربيَّة، بيروت، 2017 .

10. محمَّد عبد الله يونُس، مَداخل تَحجيم "الفوضويَّة" في النّظام الدَّوليّ، مُلحَق اتّجاهات نظَريَّة في تَحليل السّياسات الدَّوليَّة، مجلّة السّياسة الدَّوليَّة، العدَد 211، مَركز الأهْرام للدّراسات، القاهِرة، 2018 .

11. نور الدّين دُخان، الأمْن الإنسانيّ دِراسةٌ في المفْهوم، مجلّة دِراسات إستراتيجيَّة، العدَد 9، مرَكز البَصرة للبُحوث والاستِثمارات والخدَمات التَّعليميَّة، الجَزائِر، 2009 .

12. هوَيْدا عَدلي، الكَراهيَّة في المجتمَعات مِنْ مَنظور "أزمة الهُويَّة"، مُلحَق اتّجاهات نظريَّة في تَحليل السّيا سة الدَّوليّة، مجلّة السّيا سة الدَّوليّة، العدَد 199، مَركز ا لأهْرام للدّرا سات، القاهِرة، 2015.

رابعاً : الرسائل والاطاريح :

1. آمال عزّ الدّين رَشيد، الْأَمْن الإنسانيّ للأُسرة العِراقيَّة في تَطبيقات شَبكة الحِماية الاجتِماعيَّة دِراسةٌ ميدانيَّةٌ في مَدينة بَغْدادَ، رِسالة ماجِستير غير مَنشورةٍ، كلّيّة الآداب، جامِعة بغْدادَ، 2008 .

2. آمال محمَّد عبْد الرَّحمٰن عوَض، النَّظريَّة الواقِعيَّة والنَّظريَّة اللّيبراليَّة في العَلا قات الدَّوليَّة "دِراسَةٌ مُقارَنةٌ"، رِسالة ماجِستير، كلّيّة الاقتِصاد والعُلوم الإداريّة، جامِعة غزَّة، 2016.

3. أمجَد حامِد جُمعة، جَدَلِيَّة النّخبويَّة والدّيمقراطيَّة في الفِكر اللّيبراليّ الغَربيّ المعاصِر، أطْروحة دُكتوراه، كُلِّيَّة العُلوم السِّياسيَّة، جامِعة بَغْداد، 2018.
4. رنا مَولود شاكِر سَلمان الرّاوي، حُقوق الإنسان في الفِكر السِّياسيّ اللّيبراليّ الأوروبّي الغربيّ المعاصِر، رِسالة ماجِستير، كلِّيَّة العُلوم السِّياسيَّة، جامِعة بَغْداد، 2009 .
5. عَليّ أحمَد عبْد مَرزوك الجَنابيّ، الحَملات الانتخابيَّة للأحْزاب السِّياسيَّة وأثرها في سُلوك النّاخِب انتخابات مجلِس النُّوّاب العِراقيّ لِعام 2018 أنموذَجًا، رِسالة ماجِستير غير مَنشورةٍ، قِسْم العُلوم السِّياسيَّة، مَعهَد العَلَمَيْن للدِّراسات العُليا، النَّجَف الأشْرف، 2019.
6. فرهاد جَلال مُصطفى، الْأَمْن ومُستقبَل السِّياسة الدَّوليَّة، رِسالة ماجستير، كُلِّيَّة العُلوم السِّياسيَّة، جامِعة النَّهرَيْن، 2008.
7. منيغر سَناء، التَّنوُّع الثَّقافيّ مِنْ مَنظور الْأَمْن الْمُجْتمَعيّ، رِسالة ماجِستير، كلِّيَّة الحُقوق والعُلوم السِّياسيَّة، جامِعة سطيف 2، 2014.

خامساً : الصحف والجرائد :

1. عبْد الحُسَيْن شَعبان، هَلِ القَضاء على التَّطَرُّف باتَ مُستعصِيًا؟، جَريدة الزَّمان طبْعة العِراق، آراءٌ وأفكارٌ، 2015.

سادساً : شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

1. محمَّد الطّاهر عَديلة، الجدَل اللّيبراليّ الواقِعيّ حوْل دَوْر الاعتماد المتبادَل في تَعزيز الأمْن الدَّوليّ، مُلتَقى الباحِثينَ السِّياسيّينَ العرَب، شبكة المعلومات الدَّوليَّة الإنترنت، على الرّابِط : http://arabprf.com/?p=2215.

سابعاً : المصادر الاجنبية :

1. Barry Buzan, Ole Waever, Jeap de wilde: security: anew framework for analysis, iynnnerinner publishers, 1998.
2. Saad Eddin Ibrahim, "Management and Mismanagement of Diversity", http://www.unesco.org/most/ibraeng.htm
3. United Nation Development Program, Human Development Report, 1994.

ثانياً : الأمن المجتمعي العالمي والأمننة

د. فراس عباس هاشم (*)

مقدمة

شهد حقل الدراسات الأمنية حركة تنظيرية تركز على البحث في المتغيرات الاجتماعية، هذا المسعى يمثل محاولات مقصودة لمعالجة هذا المشكلة،وذلك من خلال التركيز في هذا المجال على مفهوم الأمن في استخداماته في الوقت الراهن، بعيداً عن تكريس النزعة العسكرية للأمن من شانه أن يدفعنا للافتراض هناك جملة من العوامل والمتغيرات التي شهدها العالم،ساهمت في بناء مفهوم الأمن المجتمعي خارج الحدود التقليدية لمفهوم الأمن وذلك من أجل ملاءمة حالات وسياقات جديدة،تشهدها المجتمعات وكأحد النماذج المعرفية للنظرية الأمنية التي ساهمت فيها مدرسة كوبنهاكن للدراسات الأمنية لمواكبة التطور المفاهيمي الذي القت بضلاله العولمة، حيث أصبح موضع اهتمام من قبل الباحثين والمختصين في الدراسات الأكاديمية .

وإزاء ذلك بدت طبيعة المفهوم المركبة كمقدمة لمجالات متعددة من الظواهر الاجتماعية تمس كل سمات الحياة الإنسانية بما فيها قضايا الهوية والثقافات، كوجه شرعي لتسويغ تأكيد الذات تحت مظلة العولمة على نحو الخصوص بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، ومحاولة الأفراد في الجمهوريات السوفيتية السابقة البحث عن هويتها الإثنية وما نتج عنها من حروب وصراعات للاعتراف بها واستمراريتها، وهكذا ساهمت تلك النزاعات بين الأطراف في عدم فضها أو الوصول إلى توافق بين اطرافها تجعلها في حالة تنازع دائم تحتل حيزاً كبيراً في اهتمامات الأوساط الرسمية ومراكز الفكر، وبالتالي تتطلب جهود من

(*) باحث متخصص بالشؤون الإقليمية، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية/ قسم الاستراتيجية، في كلية العلوم السياسية - جامعة النهرين –العراق - .

قبل الدول لإيجاد الحلول المناسبة، وهذا يعني أنها باتت تشكل تهديد للمجتمعات من حيث سماتها وخصائصها يجعلها تأخذ بعداً أمنياً سواء على مستوى الداخل أو الخارج، وفقاً لمعطيات حالة السيولة التي باتت تشهدها البيئة الدولية وما تستلزمه تلك التهديدات والمخاطر من معالجات.

وقد ظل حقل الدّراسات الأمنية في حالة تطور مستمر، على الرغم من الانشغال السابق بالقضايا العسكرية والنووية، لن شهد عقب فترة الحرب الباردة اتساعاً لتضمين موضوعات جديدة كأجندة بحثية لهذا الحقل "Research Agenda"،ولعل أحد مستويات التطور في هذا الحقل هو تلك المزاوجة الحاصلة بين الدراسات الأمنية والعلوم الاجتماعية، الأمر الذي دفع (ستيفن والت - Steven Wallet) إلى التعبير عن ذلك بأننا نشهد عصر "النهضة في الدراسات الأمنية " إذ يمثل الضبّط الإجرائي لمفهوم الأمن أحد المداخل المعرفية والمنهجية لصياغة وبناء إطار نظري وعملي في ميدان الدراسات الأمنية [1]، وهنا تبدو الأمننة كانها من زاوية ابستيمولوجية أمر ضروري يساهم كنموذج معرفي يلبي تلك الضرورات من أجل تحقيق الاستقرار والحفاظ على سيادة الدول باعتبارها إطاراً معرفياً يهدف إلى التعامل مع التهديدات التي باتت تواجها المجتمعات على الصعد المختلفة سواء المجتمعية أو الأمنية أو الوبائية،وبالتالي يمثل انعدام الأمن على المستوي المحلي أو الإقليمي يوسع ويعمق من انتشارها،في أن تمنح محتوى مفهوم الأمن العالمي من أجل ضمان مسالة الأمن المجتمعي إلى أبعد مدى،ليغدو الأخير جزء لا يتجزاء من الأمن العالمي واعتباراه أطاراً مكملا بمحاولة التوصل إلى تحقيق الاستقرار وتعزيز الأمن .

---

[1] إدريس عطية بن الطيب،" الحاجة العالمية لتطبيق الهندسة الأمنية المستدامة: التوجه نحو ما بعد النظرية في الدراسات الأمنية الجديدة"، **المجلة العربية للدراسات الأمنية**، المجلد (36)، العدد (1)،(2020)، ص 16.

ومن هنا تأتي **أهمية البحث** في كونه محاولة لدراسة المتغيرات التي رافقت مفهوم الأمن الاجتماعي وما افصحت عنه من رؤى واتجاهات فكرية في حقل الدراسات الأمنية، وما أفضه إليه هذا الطرح من جملة من الاعتبارات الجديدة،وقد تجسد بنموذج الأمن الاجتماعي العالمي،والتي تفضي إلى المزيد من الفهم والتفسير عند وضع استراتيجيات لمواجهة التهديدات والمخاطر التي توجه المجتمعات. وبالتالي **تأتي الاشكالية** التي ينطلق منها البحث شكلت المخاطر والتهديدات التي أضحت تواجه المجتمعات قضية معقدة وبالتالي تترك تداعياتها على الأمن الاجتماعي للأفراد نتيجة تراكم مدخلات هذه التحديات، والاختلاف الواسع في سبل مواجهته بين دولة وأخرى، وبالتالي يلقي مسار التحول عن الأمن المجتمعي نحو الأمن العالمي ودور الأمننة في ذلك التحول. وتنطلق الاجابة على هذا **التساؤلات من فرضية** مفادها أن الأمن المجتمعي العالمي أصبح ركيزة البقاء بالنسبة للعديد من الدول، لا سيما وأن هنالك عوامل شجعت على ظهوره في ظل الظروف والمتغيرات التي شهدتها البيئة الدولية ولتحقيق ما يعتبر ظرفاً أمنياً في الحلات التي تغطيها دراسات الأمن للتحرر من المخاطر وعناصر التهديد.ومن هنا فرضت علينا **منهجية البحث** إتباع أكثر من منهج وحسب اقتضاء الضرورة، فقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة التحولات القيمية التي شهدتها التحولات الكبرى في الفضاءات السياسية لمفهوم الدولة وصولا إلى تحقيق أهدافها في ضمان الأمن للمجتمع والأفراد وحماية حقوقه في مختلف مناطق العالم،كما جرى توظيف المنهج الاستقرائي لبيان أهمية التحولات في البنية المجتمعية للدول في أوضاع المجتمع العالمي وما اضفت عليه هذه التحولات من طابع أمني للقضايا المجتمعية،ولتضع الدول والمجتمع العالمي في مواجهة التهديدات والتحديات الاجتماعية التي تواجها الدول أو الأقليات أو التدفق المتزايد للمهاجرين ... الخ، وتداعياتها على القطاعات الإنسانية . واتساقاً مع ما تقدم سيتم **توزيع هيكلية البحث** إلى ثلاث

محاور، يشمل المحور الأول : المباني المفاهيمية للأمن المجتمعي ودعائم تطوره . إما المحور الثاني فيركز على : مسوغات أسس التجديد وتعميق مجالات الأمن المجتمعي . في حين يتناول المحور الثالث : الأمننة كمنطلق لوقائع البناءات العالمية للأمن المجتمعي.

1. المباني المفاهيمية للأمن المجتمعي ودعائم تطوره

- **ماهية الأمن ضمن المقاربات النظرية**

لا جدال في أن مفهوم الأمن اكتسب مفهومة أهمية خاصة على الصعيدين العملي والأكاديمي في ظل تعدد الآراء والمذاهب الفكرية المختلفة التي تناولت هذا المفهوم، وما طرحته من تصورات للتأسيس للنظرية الأمنية في حقل دراسات الأمن على امتداد التاريخ،بما يكفل أمن الدول ومواطنيها للتصدي للأخطار وتهديد مصالحها.

وعليه يمثل الأمن مما يعنيه منهجياً أنه مستوعبا كبيرا يلخص بتداعياته سر الوجود لطالبيه، لذا تراه لا ينحصر كما اعتدنا على تكراره بأنه المعطى الناتج عن الاطمئنان الساري فينا نتيجة ما لاحنا واعياً من خوف بكافة صوره هواجس قلاقل نوايا تهديدات تحديات ... الخ، بل هو موقف من الذات ومن الآخر ويقاس كما نقاس معطيات المصير،ومن المعلوم أن الدول شأنها شأن المجتمعات أيضاً لم تزل تبحث عمن يعلم طريقها في الوجود والتفاعل والتعايش المشترك فيما بينها تستكنه بعضاً من دلالته، لذا تراها دوما مصرة على تطويع البيئة المعاشه والمحيطة لطمأنه شواغلها ... ومتى ما وصلت إلى درجة من الاقناع بات حافزاً يشجعها على المزيد من التدابير المفيدة،بهذا الاتجاه سعت وبكل ثقلها إلى تأديتها،وفي ظنها الوصول إلى درجة من الاكتفاء المجتمعي من السلامة لمجتمعاتها، في هذا السياق يمكن القول بدأ الأمن معطي يقوم على أساس التفاعل وضبط التغيير باتجاه معين وتحييد مضاره واستثمار فرصه حتى

بدأ عند البعض متغيراً فاعلاً تقاس على أساسه حيوية الدولة أو الأمة أو الشعب ومن هنا بدا الأمن وكانه تنمية [1].

وبهذا المعنى فإن كلمة الأمن في اللغة[*] تعني عدم الخوف والحفظ والثقة، واستقرار الذات وطلب الحماية والسلم.. الخ، وهي المعاني التي أبرزتها المقاربة المعرفية وفي ذلك ثراء لغوي كبير من كل جانب، حيث يصعب فصل هذه المعاني عن بعضها البعض نظراً لتداخلها وترادفها في بعض الأحيان، كما أن لها دوراً تكاملياً في إثراء مفهوم الأمن اهتماماً وتعمقاً، فكان هذا التصور سببا لتدفق أفكار مجموعة من الكتاب بإدخال تعديلات في صياغة مفهوم الأمن وتأثير هذا التحول في تصوره لحقيقة الأمن وعدم تحديده بالخوف، وتبعاً لذلك فهم يرون فيه مفهوماً ضيقاً وسلبياً كون أن شعور الإنسان بالأمن من مشاعر الخوف والقلق والتوتر قد ينشأ لديه لأسباب أخرى مثل تدني ظروفه المعيشية والاجتماعية،

---

[1] منعم صاحي العمار، **العراق ومنظومة الأمن الخليجي**، (بغداد : مكتب الغفران للخدمات الطباعية، 2012)، ص 86.

[*] مشتق الأمن في اللغة من (الأمان) و(الأمانة) بمعنى وقد (أمن) من باب فهم وسلم، وأيضاً من (أمانا) و (أمنة) بفتحتين فهو (أمن) و(أمنة) بمعنى كون الأمن ضد الخوف .أما في المعجم الإسلامي فقد وردت كلمة الأمن بمعنى (الطمأنينة)، أي زوال الخوف والقلق و الشعور بحالة الإحساس بالثقة، وقد ورد ذكر الأمن في القران الكريم بقولة تعالى﴿ وَإذ قَالَ إبراهِيمُ رَبِّ أجعَل هَذَا بَلداً ءَامِناً وَارزُق أَهلهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَن ءَامَنَ مِنهُم بِاللهِ وَالْيَومِ الأَخِرِ﴾ وكذلك في قولة تعالى:﴿ إنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي ءَايَاتِنا لاَ يَخفونَ عَلينَا أَفَمَن يُلقَى فِي النارِ خَيرٌ أَم مَّن يأتي ءَامِناً يَوم القِيَامَةِ اعملوا مَا شِئتُم إنهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. نقلا عن : فراس عباس هاشم، "تأثير العوامل الجيوبوليتيكة في تكامل وتماسك بيئة الأمن القومي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (أنموذجا)"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2012، ص 2.

وتقييد فعالياته وطموحاته بقيود غير مشروعة مع إمكانيه أن يشعر أنه معزول عن الحركة ولهذا كله ما يبرره على أرض الواقع [1]،وبناء عليه على حد بعض القراءات التي ترى أن ضمان الأمن الوطني أضحى لأية دولة في عالمنا المعاصر سواءً كانت متقدمة أم نامية، قضية مركزية باستعمالاتها وتحتل هرم الأولويات الاستراتيجية تبعا لأمن وخصائص النظام العالمي حيث التداخل في المصالح وسرعة التغير بحيث يكون لع معنى، فضلاً عن التأثر والتأثير، مما يدفع بالدول منفردة أو مجتمعة إلى أن تجعل من أمنها المحور الأساس لحركتها الداخلية والخارجية لطالما ظل الأمن يمثل جوهر ما تطمح إليه الدولة من استقرار سياسي ومجتمعي [2].

ومن المفيد القول في هذا السياق إن بناء الأمن كمفهوم وكمصطلح لم يصادف الاهتمام المتواتر به، ولا التطور الذي لاحة عبر العقود الماضية، لولا التغيير الذي أصاب المنجزات التاريخية للشعوب والأمم ومنها الدولة، حتى أصبح حاملاً لقيم ثابتة (كأسس نظرية)، ولقيم مكتسبة تعتمد في رؤيتها على ما تجود به جهود الشعوب والدول (النظم) في حيازة ما يمكن أن يحقق لها الاطمئنان وغياب التهديدات، وتأسيساً على ذلك بدأ الأمن كما أشارت إليه دورية الدفاع الأمريكية في تقريرها الصادر في شباط عام (2006)،وكأنه محاولة لاكتشاف معادلة ذاتية وموضوعية، بل صناعة تحويلية، ترتكز على مجموعة من الدلالات كمواردها الأولية، والقيم الثابتة التي تتعلق بالفطرة الإنسانية،

---

[1] جراية الصادق، "تحولات مفهوم الأمن في ظل التهديدات الدولية الجديدة"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، العدد (8)،(2014)، ص 19.

[2] منعم صاحي العمار، شيماء تركان صالح، "الأمن الوطني العراقي ومكافحة الإرهاب : دراسة في إشكالية الإدارة"، **مجلة دراسات دولية**، العدد (61)،(2015)، ص 28.وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر : نواف قطيش، **الأمن الوطني وإدارة الأزمات**،(الأردن : دار الراية للنشر والتوزيع، 2009).

وآلياتها (الأفكار التي ماثل مرجعية للتدابير التي تتخذها الدولة)،بدءً من الفلسفة (الفكر الاستراتيجي) وانتهاءً بالتسلح وصور التهديد به أو باستخدامه [1].

من هنا أصبح مفهوم الأمن هو الأكثر إشكالية بين المفاهيم المقترنة بالصراع خصوصا الجانب النظرية منه، مهد هذا الأمر ووفقا لهذه الاختلافات الكشف أن مفهوم الأمن وصفي على نحو غير وافٍ، بل أنه أيضاً كفكرة عامة غامض في جوهره ويختلف معناه الوصفي باختلاف الظروف والزمن،وبناء عليه أن تمثلنا لاصطلاح الأمن في العديد من المجالات والمواقف ابتداءً من الإجراءات البسيطة مشتق من تمثلنا للحركة بتأمين المواطنين داخل الدولة من حيث مقدار الأخطار المحتملة التي تمسهم في سلامتهم وحياتهم وحرياتهم وأموالهم وانتهاء بالإجراءات الخاصة بتأمين نفسها على المستويين المحلي والإقليمي [2].

وبناءً على ذلك يمكن القول مع التطورات الفكرية في حقل الدراسات الأمنية التي وجه فيها النظر إلى السمات التي يتميز بها الأمن بما في ذلك سمة التغيير، في بعض الموضوعات مع استمرار الاختلافات المنهاجية المعيارية،الأمر الذي يدخل الدولة في دائرة مغلقة نحو زيادة القوة مما يخلق انعدام الأمن المتصاعدة لدى دول أخرى في سياق سعيها لتحقيق الأمن لذاتها، وهذا المعادلة المتصاعدة من حالات انعدام الأمن يطلق عليها أسم "المعضلة الأمنية" والتي يرجعها كل من (بوث وويلر- Wheeler-Booth)، إلى شعور دولة ما بعدم اليقين والاطمئنان عما إذا كانت الاستعدادات العسكرية لدولة أخرى مجرد استعدادات دفاعية بحته لدعم أمنها أم أنها ذات

---

[1] نقلا عن : منعم صاحي العمار، شيماء تركان صالح، **مصدر سابق**، ص ص 30 -31 .

[2] اشرف علام، **مشروع قناة البحرين والأمن العربي**،(القاهرة : مجموعة النيل العربية، 2008)،ص 70 .

طابع هجومي تهدف من ورائه إلى تغيير الوضع الراهن لمصلحتها [1]،ومن هنا فتعريف الأمن يأتي كنتيجة لمتغيرات عديدة، وخاصة منها كل من متغير الزمان والمكان، فتغير المكان يغير من مفهوم الأمن (نظرتنا له)، ونفس الشيء بالنسبة للزمن، ولكن ما لا يتغير في تعريف الأمن هو اللاعقلانية التي تترجم بشعور قديم يتمثل في الخوف، إذا ما أسقطناه على التفرقة بين ما هو كائن وما يظهر على أنه كائن في مجال الأمن، وبأكثر دقة التفرقة بين أن تكون مهددًا والشعور بأنك مهدد، وتظهر العلاقات المنسوجة ما بين العقلانية واللاعقلانية على أنها أكثر تعقيدًا [2].

ومن جانب آخر يمتاز الأمن بكونه نوعا من المفاهيم المركبة حيث تجمع في مضامينها معاني عدة بين معنى ضيق للأمن وآخر وأسع،هذه الاختلافات وجدت أشارت لها فنجد أن الاتجاه الأول ينصرف إلى كافة الإجراءات الخاصة بتامين الأفراد داخل الدولة ضد الأخطار المحتملة وتهيئة الظروف المحيطة بهم لإشباع حاجاتهم الأساسية والتكميلية. أما المفهوم الواسع فهو يشمل كل ما يحقق الاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي فهو يشمل تحقيق الأمن ببعديه الداخلي والخارجي،وفي المقابل هنالك مفهوم الأمن الخشن(Hard Security) والأمن الناعم(Soft Security) فالخشن هو ذلك الأمن الذي يميزه الطابع العسكري أي الأمن التقليدي،وعلى الجانب الآخر فإن مفهوم الأمن الناعم فهو يندرج فيه كل التحديات الغير عسكرية التي تواجه الدول مثل تحديات الصحة الجرائم المدنية المشاكل العرقية...،وهي تحديات غير مباشرة ذات طبيعة مركبة يتداخل فيها أمن الأفراد بأمن الدولة والمجتمع وهذه

---

[1] نقلا عن :وداد غزلاني،" الأمننة : منظومة للقيم الأمنية الجديدة في العلاقات الدولية"،**مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد (20)،(2017)، ص ص 57-58.

[2] إدريس عطية بن الطيب،**مصدر سابق**، ص 21 .

الظاهرة قد تكون ممتدة جغرافيا وعابرة للحدود [1]،وفي هذا السياق فقد حددت دراسة بحثية قام بها المركز الفنلندي للدراسات الروسية والأوروبية خمسة أنواع من التهديدات لـــ(الأمن الناعم) تأتي تباعاً بشكل تصاعدي على النحو التالي :

أولاً: المخاطر الفردية(Individual Risks) :مثل تعرض عدد محدد من الأفراد إلى تهديد الجرائم والأمراض .

ثانياً: المخاطر المجتمعية(Community Risks) : مثل اتساع رقعة الضحايا لتشمل قطاعات أوسع داخل المجتمع مثل انتشار الأوبئة والمشاكل البيئية في الدولة ذاتها .

ثالثاً: تهديدات عابرة للحدود (Cross Borderthreats):مثل مشكلات الهجرة غير الشرعية واللاجئين.

رابعاً : الأزمات الزاحفة(Creeping Crises) : اتساع نطاق الخطر ليصبح أزمة إقليمية تهدد الأفراد في عدة دول مثل : انتشار الأوبئة المعدية القاتلة .

خامساً: الكوارث المحتملة(Potential Catastrophes) : تحول الأزمات الزاحفة إلى نكبات تصاحبها خسائر فادحة تمتد إلى عدة أقاليم مثل : الأعاصير والكوارث النووية، والمشاكل البيئية الكبرى [2].

في الواقع أن معظم الملامح الرئيسة للأمن والتي تحظى بالمزيد من الاهتمام والبحث العلمي على المستوى الأكاديمي، نتيجة لاتساع مجالات هذا الموضوع مع ما يصاحبه من معظم الأدبيات التي قامت بتعريف الأمن يلاحظ أنها تتفق على أن المفهوم يشير عموماً إلى تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف

---

[1] سليمان عبد الله الحربي، "مفهوم الأمن : مستوياته وصيغه وتهديداته (دراسة نظرية في المفاهيم والأطر)"، **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد(19)،(2008)، ص ص 11-12.

[2] سليمان عبد الله الحربي، **مصدر سابق**، ص 12.

واحلال شعور الأمان ببعديه النفسي والجسدي محل الشعور بالخوف، تجعل ميزة الشعور بالأمان قيمة إنسانية كونية مرغوبا فيها ولا تقتصر على فئة اجتماعية معينة أو ترتبط بمستوى الدخل في كثير من المجتمعات،فالفقير مثل الغني يحتاج إلى الشعور بالأمان ويسعى لتحقيقه وأن اختلفت درجات المتمتع به ونظراً لصعوبة تحقيق الأمان الكامل فقد أصبح ينظر إلى الأمن على أنه مسالة نسبية مرهونة بالسعي لتعزيز أفضل الشروط لتوافره [1]،ومن هنا فقد تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم الأمن وتنوعت باختلاف الاتجاهات الفكرية وتعدد المدارس لهذا لم يتفق الباحثون على تعريف محدد.

والأمن من وجهة(جاكسون-Jackson) يعني بأنه: "شعور الإنسان في الوسط الذي يعيش فيه بعدم الخوف من التعرض للأذى الحسي وبالعدالة الاجتماعية والاقتصادية التي من مظاهرها حصول الأفراد على فرص متكافئة للنمو والتطور وتوافر الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم" [2]، إما (علي الدين هلال) يرى أن الأمن: " هو تأمين كيان الدولة أو عدد من الدول من الاخطار التي تهددها في الداخل ومن الخارج وتامين مصالحها الحيوية وخلق الأوضاع الملائمة لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية والتي تتمثل في الاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي والتنمية الشاملة "، والأمن كما يعرفه (عدلي سعيد) بأنه : "تأمين الدولة من الداخل ودفع التهديد الخارجي عنها بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر لها استغلال أقصى طاقاتها للنهوض والتقدم"[3]، إما الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية فأنها تعرف الأمن بأنه:" قدرة الأمن على

---

[1] علاء عبد الحفيظ محمد، **المواءمة بين اعتبارات الأمن والممارسة الديمقراطية : التجربة الأمريكية انموذجا**، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014)، ص 26.

[2] نقلا عن :جراية الصادق، **مصدر سابق**، ص 19.

[3] نقلا عن :علاء عبد الحفيظ محمد، **مصدر سابق**، ص 51.

حماية قيمها الداخلية من التهديدات الخارجية بدفع العدوان عن الدولة وضمان استقلالها "[1].

ويذهب آخرون في تعريفهم للأمن بأنه :" وضع دوله أو مجموعه من الدول أو المجتمع الدولي خال من وجود إخطار داخليه أو خارجية أو الأثنين معاً،وإن الأمن يظل ظاهرة نفسيه مرتبطة بالطبيعة البشرية، وعموماً فإن الدول تضع في الحسابات دائما وجود مخاطر محتمله،حتى وأن افترضنا أنها تعيش في أمن وسلم واستقرار فمن طبيعة الدول أنها تتحايل من أجل السيطرة على بعضها البعض لذلك نفهم ثقل الهاجس الأمني في سياستها في النظر في طبيعتها وحجم قوتها" [2]،في حين ذهب في الاتجاه الآخر بعض الباحثين في تعريفهم للأمن باعتباره :" أن الأمن هو الشعور الذي يسود الفرد أو الجماعة بإشباع الدوافع العضوية والنفسية واطمئنان المجتمع إلى زوال ما يهدده من مخاطر وذلك هو الأمن كشعور، وقد تكون الجهود التي تصدر عن الفرد أو الجماعة لتحقيق حاجاتها الأساسية أو لرد العدوان عن كيانها ككل، وهذا ما يعنيه الأمن كأجراء "[3].

ويتبين مما تقدم أن أغلب وجهات النظر حول مفهوم الأمن تعكس وجود اختلافا في مفهومة، ويعود سبب ذلك لوجود تصورات مختلفة لكل تعريف تناول المفهوم، وبالتالي يكشف هذا التباين الطابع التنازعي حول ماهية مفهوم الأمن وخصائصه ومستوياته المختلفة .

---

[1] نقلا عن :اشرف علام، **مصدر سابق**،ص 70.

[2] نقلا عن :محمد بو عشة، **العرب والمستقبل في الصراع الدولي**،(ليبيا :الدار العربية للنشر والتوزيع، 2000)، ص 118 .

[3] نقلا عن : زروقي براهيم، "الأمن القومي العربي دراسة في المفهوم والإبعاد والمرتكزات"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، العدد (2)،(2013)، ص 229.

وعلى الجانب الآخر سعت بعض الدراسات إلى تقديم رؤية أكثر شمولاً لحقل الدراسات الأمنية ومنطلقاته الأنطولوجية ومناهجه تبعا للنظرية التي يتم من خلالها النظر للمصطلح سواء من منظور واقعي أو ليبرالي أو ثوري، وبحسب المنظور الواقعي فإن الدولة هي الفاعل الرئيس، وهي تتحرك وفق إدراكها للمحافظة على أمنها مما يقتضي الاستحواذ على القوة واستخدامها عند اللزوم،وبالتالي فإن الأمن المستهدف هو أمن الدولة الذي يحقق التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي للدولة، أما المنظور الليبرالي فهو يرفض فكرة أن الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية، وأن أمنها لا يقتصر على البعد العسكري فحسب بل يتعداه إلى إبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية،أما المنظور الثوري فيسعى إلى تغير النظام وليس مجرد إصلاحه باعتبار ذلك وسيلة ضرورية للقضاء على الظلم [1] .

واتساقاً مع ما تقدم فإن للأمن مستويات متعددة ؛ وهي تجمل في أربعة: أمن الفرد ضد كل ما قد يهدد حياته وممتلكاته أو أسرته، وأمن الوطن ضد أي أخطار خارجية أو داخلية، وأمن قطري" إقليمي " أو أمن جماعي لدول تتشارك المصالح وتعمل على التكتل لحماية كيانها، والأمن الدولي الذي تتولى حمايته المنظمة الدولية للأمم المتحدة ؛ إلا أن الأمن الكوكبي أفرز مستويين هما: الأمن دون الوطني، والأمن الذي تمارسه الدولة المهيمنة، وقد ساهم ذلك في تطور هذا المصطلح[2].

ومن هنا يمكننا القول أن مفهوم الأمن يعد بوصفه تحرراً من التهديد أمراً واضحاً، غير أنه يثير عددا من التساؤلات هي: من يحمي المرء ؟ ماذا يحميه؟ من أي تهديد ؟ من حيث المبدأ ينطبق الأمن علي أي شخص أو على أي شيء،

---

[1] جهاد عودة، **الصراع الدولي و القرار الاستراتيجي**، (القاهرة : المكتب العربي للمعارف، 2019)، ص 619 .

[2] جهاد عودة، **مصدر سابق**، ص ص 619 -620.

وقد يتحدث المرء عن الأمن العالمي، و الأمن الدولي و الأمن القومي، و الأمن الإقليمي، أو أمن المؤسسات أو الجماعات، أو الأفراد، و كذلك يمكن أن ينطبق المفهوم على أي من التهديدات [1].

وعلى هذا الأساس من خلال تتبع تطور الأفكار الرئيسة للحقل يلاحظ أن منطق الأمن والإحساس به بشكل فردي أو جماعي قد تحور نتيجة تطورات من غرائز الإنسان الطبيعية والظواهر القديمة قدم الخليقة، ذلك أن مفهوم الأمن لم يكن غريب عن الفكر الإنساني طيلة مراحل تطوره ورأوا فيه حقيقة ملازمة له منذ أن بدأ الفرد يشعر نمو بالمعاني المترتبة على الخوف من ظاهرة ما لأن الله فطر خلقه، وفي طيات أنفسهم عدد من الغرائز ينجذب اليها ومنها الخوف، ونتيجة لذلك اتخذ السبل الكفيلة لمواجهتها ومعالجتها، وهذا يفترض بالطبع القول بأن فكرة الخوف والإحساس بالخطر كانت الدافع وراء الترتيبات الأمنية التي لجأ اليها الفرد لحماية ذاته، وضمان بقاءه والتي تعد خطوة ضرورية من خلال توضيح المخاوف [2].

بناءً على هذا التصور ينظر اصحاب التخصصات العلمية للأمن كل من زاوية تخصصه فعلماء الاجتماع ينظرون إليه من زاوية اجتماعية،تأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات والمؤسسات الاجتماعية كقوى فاعلة في توفير الأمن الاجتماعي ونوعية الخيارات المتاحة وامكانية تطبيقها ضد التهديدات، من ناحية أخرى ينظر الاقتصاديون إلى الأمن من منظور استتباب الأمن الاقتصادي والرخاء والتنمية عن طريق تعزز الفرص الاقتصادية وتسريع عمليه التنمية،وهكذا الأمر بالنسبة للتخصصات الأخرى ولكن الذي يتفق عليه الجميع

---

[1] بول روبنسون، **قاموس الأمن الدولي**، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2009)، ص 269.

[2] علي عبد العزيز الياسري، **الأمن القومي العراقي : الابعاد الفكرية السياسية لاستراتيجية الأمن القومي في العراق**، (العراق : بلا، 2010)، ص 51.

هو أن الأمن يشكل العمود الفقري للحياة وبقاء الإنسان ومحور السعادة والراحة النفسية والطمأنينة والاستقرار للأفراد والمجتمعات والشعوب قاطبة [1]، في نفس الوقت تفضي الظروف إن من أولويات وظائف الدولة التي يجب عليها القيام بها هي توفير الأمن إبتداءاً من الإجراءات البسيطة لتامين حياة ومصالح رعاياها داخل حدودها، وادراك التهديدات والأخطار الخارجية وفق التوقعات المحتملة واتساع منظورها والتي قد تمس حياتهم ومصالحهم وحرياتهم الفردية، ويجعل ذلك من الأمن حقيقة متغيرة مرتبطة باعتبارات مختلفة منها : الداخلي كالطباع القومية والحدود الآمنة التي ترغب الدولة في تأكيد سلامتها في نطاقها ومنها الخارجي كعلاقة الدولة بالدول المجاورة لها فهو مسالة تخضع للعديد من العوامل والأوضاع الداخلية والخارجية،عموماً ليس بالإمكان الحديث عن تحقيق أمن الدولة دون تحقيق أمن مجتمعها ضمن حدودها السياسية والقانونية، ولا يمكن تحقيق هذا الأمن والاستقرار إلا عن طريق رعاية وحماية مصلحة الفرد الذي هو غاية الأمن ووسيلته[2].

ومن هنا يرى الباحثون أن معاينة امثلة عبر حقب طويلة من الزمن من النقاط الأساسية فيما يخص التأكد من صحة الافتراضات حول الأمن، وهذا يجعل نتائج الرجوع إلى استخدام لفظة الأمن بوصفها جزءا من طابع إمبريقي تشير إلى انتشار معنى جديد فتمكين الشخص من وضعية الرفاهة التي تنجم عن نشوء الأسواق وتوسعها في مجرى التطور الاقتصادي، فضلاً عن حمايته من التهديدات والمخاطر الطارئة والتي تعد البيئة الخارجية مكونا له تأثيرات تحدثها، فإن هذه المقاربة تساهم في إبراز أثر تداعيات الرأسمالية على التغير الاجتماعي والاقتصادي، وفي الوقت ذاته فإن مجرى هذه التحولات أصبح المفهوم متصلاً بالرفاهية والأرض والمال ووسائل العيش كما ارتبط

---

[1] المصدر نفسه، ص 58.

[2] علي عبد العزيز الياسري، **مصدر سابق**، ص 58.

بالحرية فـ(شارل مونتسكيو-Charles Montesquieu) فهم الأمن في علاقته بالحرية السياسية في حين تتبنى مقاربة (آدم سميث-Adam Smith) إلى الحرية وأمن الأفراد الحرية من الهجوم العنيف المتوقع على الفرد أو على رفاهته[1].

في مقابل ذلك يتبين إذن أن الأمن هو قيمة انسانية بالنظر إلى التجارب المختلفة يدمج مع قيم الحرية والنظام والتضامن، وبهذه الدلالية فأنه يقدم فهما اشد تعقيدا من خلال مجانسة فهم الدولة على أنها فاعل أو أداة لحماية القيم الخالصة للطبيعة الإنسانية في هذه الحالة تكون مقاربة المعنى الحديث

---

[1] سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية : دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، (أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بلا سنة)، ص 19.

[*]يوضح (روسو) في كتابة العقد الاجتماعي تصوره لقيان التوافق بين الناس على العيش جماعة انطلاقاً من عقد ضمني يربطهم بين بعضهم ويتضمن بنوداً توافقوا عليها فأصبحت دستورا لهم .فالنظام الاجتماعي لديه هو حق مقدس وقاعدة وأساس لسائر الحقوق (دستور) وجدير بالذكر أن (روسو) قد طور نظرية العقد الاجتماعي التي صاغها (توماس هوبز- Thomas Hobbes) الذي ركز على المكنة التي يستطيع أن يتجاوز بها النظام الاجتماعي حالة الفوضى الطبيعية التي يعيشها الإنسان، ولقد رفض (روسو) ما عبر عنه (هوبز) بالظروف التي كان يعيشها الإنسان، وهي حالة الحرب الشاملة والانحلال الاجتماعي لأنه يرى أن الطبيعة الاجتماعية للإنسان تمنع الدولة الطبيعية من أن تعيش منعزلة وأن رغبة الإنسان في ترك الدولة تكمن في سعيه إلى زيادة ملكيته الخاصة والاحتفاظ بها في حالة آمنة . وقد اختلف (روسو) بالقول إن السلطة التي تنتظم حياة الانسان لا يمكن أن تأتي من الخارج وأن انعدام الأمن والطمأنينة هو ما خلق الحاجة إلى ايجاد نظام المجتمع المدني الذي لا يتكامل إلا بحماية حقوق أعضائه ويكون فيه الإنسان حراً في تحديد مصيره طالما أنه يوجه أفعاله طبقا للقانون الذي اشترك في وضعه فأصبح مصدر السلطة القوى الاجتماعية التي تعبر عن إرادة أفرادها . فراس عباس البياتي، **الأمن البشري بين الحقيقة والزيف**، (الأردن : دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011)، ص 128.

والجماعي للأمن كصفة للدولة يضمن بالوسائل العسكرية والدبلوماسية جاء كنتيجة الاستدلال حول طبيعة العقد الاجتماعي الذي ماثل الدولة بالأفراد، فنظرية العقد الاجتماعي(*) (social-contract theory) فهمت من لدن (جان جاك روسو-Jean-Jacques Rousseau) كما من قبل (جون لوك-John Locke) و(مونتسكيو) كنتاج لشغف الأفراد بالأمن والحرية وتمثل هذه التفسيرات الرؤى الرئيسة عند التعمق في تحليل المشكل الأساسي الذي جاءت مؤسسة الدولة لتحله [1].فضلاً عن ذلك فأن الأمن ظاهرة حركية (Dynamic) وهو عملية (Process) وليس حالة سكونيه يصل إليها المجتمع ويقف عندها وهو محصلة التوازن الذي يقف على حجم هذه التفاعلات وحدتها ونوعها [2].

ولذلك يمكن القول إن نشأة حقل الدراسات الأمنية حديث العهد نسبيا، فقد اقتصرت الأبحاث الأكاديمية قبل الحرب العالمية الثانية على التاريخ العسكري والدبلوماسي، في حين كان الاهتمام بالشؤون الاستراتيجية والحربية حكراً على المؤسسة العسكرية، غير أنه نتيجة الضغط المطلوب للوقت والمكان بشكل متزايد خلال الحرب العالمية الثانية، حول الحاجة إلى فهم أكثر دقة لتجربة متأصلة في إدماج الباحثون المدنيون في أنشطة التخطيط العسكري وعلى نطاق وأسع، يذكي الدافعية على نحو يعيد فتح المجال للموجة الأولى من الدراسات الأمنية [3].مركزين فيه على كافة إبعاد المجتمع واستمراريته وتلبيه حاجات شعوبه الضرورية على الصعد والمستويات كافة .

---

[1] سليم قسوم، **مصدر سابق**، ص 20.

[2] علاء عبد الحفيظ محمد، **مصدر سابق**، ص 52.

[3] فوزية قاسي، "أثر خطاب الأمننة على تطور الدراسات الأمنية بعد أحداث 11 / 9 : إسهامات مدرسة كوبنهاجن"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، العدد (1)،(2019)، ص 1500.

- **الأمن المجتمعي وتطور المنطق المعرفي**

من المعلوم إن الاتجاه التقليدي للأمن جاء في صيغته الأولى باعتباره مرادفا لحماية وبقاء الوحدة السياسية،المتمثلة في الدولة وكأنه موضوع واحد لا حدود بينهما ولا انفصال بينهما بفضل نخبة من الباحثون بعد التحولات التي عرفها النظام الدولي، لوصف الجهود التي تتخذها الدول لتامين وجودها في مواجهة التهديدات العسكرية للدول المنافسة في سياقها التاريخي، انطلاقاً من ذلك ساد هذا الاستخدام في الفترة (1950-1985) أي في الحقبة التي حددها (ستيفن والت-Stephen Walt) و(دايفيد بالدوين- David Baldwin) والممتدة منذ نشأة الدراسات الأمنية كحقل دارسة إلى غاية نهضته في منتصف الثمانينات من القرن العشرين. كل ذلك أدى إلى طرح جملة من الاعتبارات الجديدة لاستيعاب التطورات التي عرفتها البيئة الدولية تزامنت هذه الفترة مع هيمنة نموذج مركزية الدولة، الذي كان يعتبر أن الدول هي الفواعل الأمنية الوحيدة وأن بقاء واستقلال الدولة هي القيم الأساسية موضوع التهديد، وقد تجسد هذا النموذج في مفهوم الأمن القومي الذي عكس معظم الصياغات المفهومية المبكرة التي ترى في استقلال وبقاء الوحدة السياسية الهدف الأساسي للسياسة الأمنية [1].

وفي سياق تطورت الأحداث العالمية وأغفال سياسات الدول الكبرى للمعاني الإنسانية للأمن ولم تحظ باهتمام كاف، فإنها في الواقع هيأت الظروف للحقل القدرة لاكتشاف مجالات نظرية جديدة تقدم نتائج بحثية بإعادة النظر في طبيعة ووظائف الدولة،بناء عليه فإنها تبلورت في كتاب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (روبرت مكنمارا-Robert McNamara) المعنون

---

[1] سيد أحمد قوجيلي،" تطور لدراسات الأمنية : ومعضلة التطبيق في العالم العربي"، **دراسات استراتيجية** (169)،(أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012)، ص 10.

(جوهر الأمن) ساهم في استحداث مسارات بحثية بتعريفه الأمن بأنه :" يعنى التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونة "، واضاف أن الأمن الحقيقي للدولة ينبع من معرفتها العميقة للمصادر التي تهدد مختلف قدراتها ومواجهتها لإعطاء الفرصة لتنمية تلك القدرات تنمية حقيقية في المجالات كافة سواء في الحاضر أو المستقبل، ومن جانب أخر يرى العديد من المساهمين في هذا المجال ومنهم وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (أدوارد ستاتنيوس-Edward Stettinius) أن الاعتبارات المعيارية في الدراسات الأمنية حددت في رؤيتها المنهجية هوية المكونين الجوهرين للأمن البشرى اللازم لتحقيق السلام في :

1- الجبهة الأمنية التي لا تكون إلا بالتحرر من الخوف .

2- الجبهة الاقتصادية والاجتماعية، حيث يعنى النصر التحرر من العوز[1].

من هذا المنظور نجد أن هذا المصطلح تطور ليشمل المفهوم العام للأمن الاجتماعي كل النواحي الحياتية التي تهم الإنسان المعاصر، بدءاً من شعوره بالاكتفاء المعيشي والاستقرار الاقتصادي إلى الاستقرار الشخصي في محيطه الأسري و بيئته الخارجية [2]، يتبين لنا هنا أهمية البعد الاجتماعي في الأمن.

في إطار ما سبق يتبين أن التقدم الذي عرفه مفهوم الأمن أدى إلى ظهور الكثير من التصورات والافكار حاولت تغيير الأسس الجوهرية للمنظومة الأمنية، وهو تحول اتخذ إبعاد ثورية جديدة حيث يعتبر الداعمون إلى توسيع

---

[1] جهاد عودة، **مصدر سابق**، ص 618.وللمزيد حول الموضوع ينظر :

-Matt McDonald, Securitization and the Construction of Security, University of Warwick institutional repository,2008. http://wrap.warwick.ac.uk/1232/

[2] جهاد عودة، **مصدر سابق**، ص 619.

مفهوم الأمن أن المشكلات غير العسكرية هي مصدر الصراعات العسكرية، كما أن المشكلات غير العسكرية هي التي تهم معظم الناس في الدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء ففي الدول المتقدمة يهتم الناس بمشكلات من قبيل انخفاض الأجور والهجرة غير الشرعية واللاجئين وتهريب المخدرات وغيرها، أما الدول النامية فيعاني الناس مشكلات اقتصادية خطيرة تهدد مستوى معيشتهم واحياناً بقاءهم ذاته بسبب النقص في الحاجات الأساسية، كالغذاء والصحة والاسكان وهو ما يفسر ذلك المنحى الثوري الذي اخذته الدراسات الأمنية في مواكبة التطور المعرفي[1]،إذن نستطيع القول أن الداعمون إلى توسيع مفهوم الأمن يرون أن تلبية تلك الحاجات تعد من الأمور الحيوية للأمن وضرورة أكثر من ملحة،وشكلت نقطة انعطاف كبيرة في مسار جوهر الأمن، وتعبر من جهة ثانية عن صياغة رؤية جديدة لبنية ومقومات التفكير الأمني،الذين اعتبروا أن الإنفاق العسكري يأتي على حساب النمو الاقتصادي والإنفاق على الحاجات الإنسانية ولذلك ينبغي ايجاد حلول مدنية غير عسكرية للمشكلات الأمنية من بينها التحول الديمقراطي، وبناء الدولة وتنمية المجتمع المدني والنمو الاقتصادي والاعتماد المتبادل، أما المسؤولية عن الأمن فلا ينبغي في رايهم أن تكون مسؤولية الدول القومية ولكن تقع على عاتق المؤسسات الدولية ونظام الأمن الجماعي، أما بالنسبة إلى القيم المحورية للمفهوم الجديد فلا تشمل القيم التي كان المفهوم التقليدي يركز عليها مثل الاستقلال القومي والتكامل الإقليمي والسيادة وقدسية الحدود بل تتضمن حقوق الإنسان وتوفير حاجاته الأساسية والرخاء الاقتصادي وحماية البيئة[2].

وكما أشرنا فإن هذا التحول المعرفي في ميدان الأمن يعود إلى بداية توسيع مفهوم الأمن إلى أواخر السبعينيات هذا الاتجاه المعرفي الجديد تزامن مع

---

[1] علاء عبد الحفيظ محمد، مصدر سابق، ص 50.

[2] المصدر نفسه، ص 50

نشر أعمال (كينيث بولدينغ -Kenneth Boulding) حول السلام المستقر و(يوهان غالتونغ-Johan Galtung) حول السلام الايجابي وأعطى تصوراً جديداً من المفاهيم والتصورات للأمن، إضافة إلى تقرير لجنة "بالم" حول نزع السلاح الذي حمل عنوان الأمن المشترك، وعلى الأرجح أن البداية الفعلية لعملية التوسع في مفهوم الأمن جاءت مع صدور كتاب (باري بوزان- barry buzan) المعنون بـــ(الشعب والدول والخوف) الصادر في العام (1982) الذي دعا فيه إلى مقاربة قطاعية للأمن بتوسيع نطاق التحليل ليشمل القطاعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والتي كانت نقلة نوعية في النموذج المعرفي للأمن[1].

وعلى هذا الأساس أضفت هذه الوضعية الى تقديم العديد من الباحثين مجموعة من الصياغات المفهومية للأمن له دلالات واسعة خارج نموذج الدولة –المركز، من خلال توسيع مجال القضايا التي يتناولها موضوع الأمن ليتجاوز التركيز التقليدي على الدولة والقطاع العسكري نحو الفواعل الأمنية غير الدول مثل (الأفراد والمجتمع والقطاعات الأمنية غير العسكرية مثل الاقتصادية المجتمعية والبيئية) باستخدام مخرجات الأبحاث بصفة عامة،عرف هذا التحول بعملية "توسع " و"تعميق " المفهوم حيث أصبح يشمل مستويات وقطاعات تحليل متعددة(انظر الجدول رقم (1))، أثمر هذا التوجه الجديد على إنتاج العديد من البدائل التصورية لمفهوم الأمن، مثل "الأمن المتكامل المشترك التعاوني"، أضافة إلى مفاهيم الأمن المجتمعي والأمن الانساني والبيئي ... الخ،معظم هذه المباني المفهومية جاءت ضمن اسهامات المدارس الأمنية

---

[1] سيد احمد قوجيلي، **الدراسات الأمنية النقدية : مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن**، (الأردن :المركز العلمي لدراسات السياسية، 2014)، ص 18.

الأوروبية كوبنهاكن أو ابريستويث[*] أو باريس[**] أو ما أصبح يعرف تحت علامة الدراسات الأمنية النقدية [1].

---

[*] ركزت مدرسة ابريستويث (ويلز) في إعادة تعريفهم للأمن على بنى فكرية أهمها الآتي:
البناء الأول: هو الانعتاق(Emancipation) كموضوع للدراسات الأمنية ويمثل قلب النظرية للأمن العالمي حسب (كين بوث-Ken Booth) يسعى الانعتاق إلى الحرية من جميع القيود و كل أشكال الاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي .
- البناء الثاني هو الأفراد هم الموضوع المرجعي أو الوحدة المرجعية للأمن :حيث يرون أن الدولة تكون أحيانا سبب انعدام الأمن، وبتالي وضع الفرد كمرجعية مركزية لتحليل الأمني يؤدي إلى صعود جملة من التهديدات كالعنف الجسدي والاضطهاد والتهميش والبطالة وهو كفاح مستمر ضد الأمن من خلال سعي الأفراد للانعتاق من مثل هذه الظروف، الحقيقة الأمنية مثل ما يعتبرها مفكرو هذه المدرسة لن تكون من فراغ، كما أنها ليست مجرد قرارات، بل تعبر عن تضارب أفكار وقيم وتقليد، ومصالح مختلفة داخل الإطار المؤسسي، ويعتبر الانعتاق شرط أساسي في المؤسسات الأكاديمية وهو ما ذهبت إليه (ريتا توراك-Rita Turk) في تحليلها لأعمال هذه المدرسة. حفيظة مكي، دراسة في الأبعاد والمستويات .. النظريات النقدية الجديدة المفسرة للأمن.
[**] ركزت مدرسة باريس للدراسات الأمنية على مواضيع الأمن الداخلي كتقنية حكومية،ظهرت في باريس وركزت على المستويات الدنيا للأمن كالجريمة والاختطاف و التهديدات المرتكزة على الأمن المجتمعي و كالجريمة المنظمة، نقاط العبور، موجات شغب والعنف والاحتجاج ومع بروز العولمة وتلاشي فكرة الحدود الوطنية برزت الاتجاهات النقدية في الدراسات الأمنية وظهرت معها عدة مدارس منها مدرسة باريس، ممثلة العديد من الأفكار أهمها :
أولا: دمج الأمن الداخلي و الخارجي هذه العملية يعتبرها رواد هذه المدرسة بمثابة توسيع أنشطة الأمن الداخلي وإضفاء الطابع المحلي على الأمن الخارجي كتوسيع نشاط الأمن الداخلي بتصدير أسلوب الشرطة على المستوى الدولي (الشرطة العالمية – انتربول-) والعكس بإضفاء الطابع المحلي على الأمن الخارجي من خلال الميزة الروتينية للعملية العسكرية على الساحة العالمية .

وعلى هذا الأساس مثلت نهاية الحرب الباردة نقطة تحول فارقة في عملية التنظير في الدراسات الأمنية فقد شهدت البيئة الأمنية، في هذه الفترة نقطة تحول تاريخية في منظومة مفاهيمية مغايرة للتي كانت سائدة من قبل، فأعطى فقد رؤية جديدة لماهية الأمن ووحداته المرجعية، تختلف عن تلك التي دارت حيالها النقاشات الكلاسيكية، وتطبيقا لذلك وضع (بوزان) ومدرسة "كوبنهاكن" إطاراً تحليلياً جديدا ارتكز على ثلاث مستويات للتحليل (الفرد، الدولة، النظام السياسي) من هذا المنحى اتجه إلى توسيع قطاعات الأمن لتشمل كلا من (الاقتصاد السياسة المجتمع البيئة بالإضافة إلى القطاع العسكري)، فضلاً عن البعد الإقليمي للأمن الذي من خلاله يتم تصنيف الدول إلى مجمعات أمن إقليمية [1].

ثانيا :توجيه نقد لاذع للدراسات الأمنية التقليدية التي أهملت دور ممتهني الأمن الذين تعتبرهم هذه المدرسة بمثابة التمثيل العملي للدراسات الأمنية ويشير(بيغو) إلى الفواعل والأجهزة والتقنيات المنتجة للحقيقة الأمنية من خلال البيانات والأرقام والمعلومات بهدف بناء استراتيجيات أمنية بالإضافة إلى ممارستها لفعل القوة و الإكراه. حفيظة مكي، **مصدر سابق** .

[1] سيد احمد قوجيلي، "الحوارات المنظورية واشكالية البناء المعرفي في الدراسات الأمنية"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة يوسف بن خدة -الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2010، ص16.

[1] فوزية قاسي، "الحرب على الإرهاب ومنطق الأمننة: قراءة في السياسة الأمريكية الجديدة من منظور مدرسة كوبنهاغن"، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، العدد (3)،(2011)، ص 74.

جدول (1)

مجالات التوسع في حقل الدراسات الأمنية

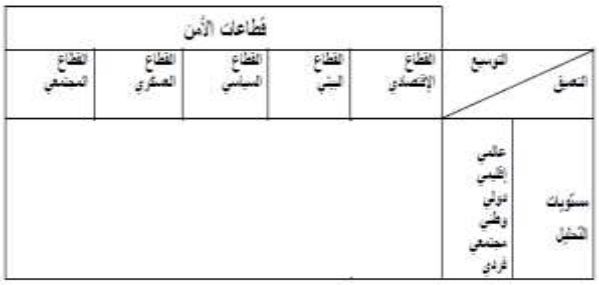

المصدر :أمينة دير، أثر التهديدات البيئية على واقع الأمن الإنساني في إفريقيا :دراسة حالة دول القرن الإفريقي، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة محمد خضير –بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014،ص 14.

وفقاً لهذا نجد أن تصور الأمن ليس له مضمون محدد سلفا بل أنه يتغير بشكل ديناميكي عبر "التفاعل البيذاتاني" (Intersubjective) بين الأفراد في أسلوب التفكير في مسائل المعرفة بأسلوب جديد، مثلاً تقدم مدرسة "كوبنهاكن" للأمن إطاراً ملائماً لدراسة الطبيعة الديناميكية لمدركات الأمن، بإقرارها بأن الأمن ليس مفهوماً ثابتاً، بل هو بناء اجتماعي يتشكل عبر الممارسة وبشكل ديناميكي وضمن الإطار التحليلي ذاته يناقش (بوزان) بأن إضفاء "الطابع الأمني" على مجال معين من السياسة العامة يكون عبر عملية خطابية لغوية، حيث يعمل هذا الخطاب على الاستدلال بوجود تهديد يمس البقاء (المادي أو المعنوي) لمرجعية أمنية ما قد تكون الفرد أو الجماعة أو الدولة أو الهوية، ... وتهدف عملية إضفاء الطابع الأمني على قضية ما إلى شرعنة لجوء القائمين على رسم السياسة العامة للمؤسسة الدولية لترتيبات استثنائية الغاية منها تأمين "الكيان" (المرجعية) محل التهديد من المخاطر المحدقة به ويتبع ذلك زحزحته من الحيز العادي للسياسة العامة إلى حيز القضايا الطارئة من السياسة

العامة،حيث يمكن التعامل معها بسلاسة أكثر بمعزل عن الضغوط والقيود التي تمارسها الضوابط الديمقراطية لصناعة القرار، سيما ما يرافقها من ضغط لمنظمات المجتمع المدني [1].

وبالمحصلة تعتبر مدرسة كوبنهاغن من بين أبرز المدارس التي ساهمت في توسيع وتعميق مفهوم الأمن مستمدة أصولها التنظيرية في العلاقات الدولية من كتاب (بوزان) : الناس، الخوف، إشكالية الأمن القومي في العلاقات الدولية الصادر عام(1991)،وترتكز دراسات مدرسة كوبنهاغن على التجليات الاجتماعية للأمن، معتمدة على معطيات تجريبية بمعنى أن الأمن ليس مفهوما ثابتا كما أقرها(غالتونغ) في إطار هذه المدرسة، بل إنه بناء اجتماعي يتشكل عبر الممارسة وبشكل ديناميكي وكان من نتيجة ذلك توسيع الأمن ليتجاوز المنظور الكلاسيكي الذي يركز على الحروب بين الدول ضمن السياق العام[2]،إضافة إلى ذلك أن الحقيقة الأساسية التي من الضروري التسليم بها أن مدرسة "كوبنهاكن" تعتبر أول المساهمين بدرجة كبيرة في إعادة صياغة مفهوم الأمن وتعزز من خلال فتح مجالات جديدة للبحث في حقل الدراسات الأمنية، الذي تسجد في تلك الجهود الفكرية المبذولة منذ العقد الثامن من القرن العشرين، حيث انطلقت من أرادة في تأسيس مسار خاص للدراسات الأمنية يسمح بالتغلب على حدود الدراسات الاستراتيجية التقليدية والمقاربات الكلاسيكية في العلاقات الدولية، عن طريق مد مجال البحث إلى أبعد من الجانب العسكري البحت وتعميقه أكثر من العلاقات بين الدول فقط، ومن ثم تضع في إطار أوسع العوامل المجتمعية وتعميق ادراك أهمية المجتمع أكثر في

---

[1] عادل زقاق، "المعضلة الأمنية المجتمعية : خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة"، **المجلة الجزائرية للسياسات العامة**، العدد (1)، (2011)، ص 67

[2] توفيق بوستي، "مدرسة كوبنهاغن نحو توسيع وتعميق مفهوم الأمن"، **دراسات استراتيجية**، المعهد المصري للدراسات، (2019)، ص 1 .

الدراسات الأمنية [1]، نظراً لطبيعة المتغيرات الدولية على المستويات كافة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية والتي باتت تتصف بها المجتمعات، لذلك جاءت تحركات الدول كمحاولة بالأساس لحماية الأفراد وتنظيم علاقاتهم في الداخل باتخاذ إجراءات وتدابير لتجنب الشقاق الداخلي وبالتالي إضعاف الدولة .

وبناء عليه ترى (إحسان محمد الحسن) أن الأمن المجتمعي يعني: " سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم كالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة " [2]، وعليه فإن الأمن كما تبدى لنا آنفا يحتل مكانة مركزية في التفكير الاستراتيجي والمجتمعي من منظور الفاعلين الاجتماعيين لأية دولة، ليس باعتباره محور حصائل السياستين الداخلية والخارجية وقدرتها على معالجة التهديدات والتحديات التي تعترضها فحسب ...في سياق الحركات الاجتماعية، بل لأنه أساس استمرار الوجود وتنميته وتعبئة موارده باتجاه التكون، ومن ثم يغدو لنا الأمن هو المنطق الاجتماعي وكأنه برنامج تكون مجتمعي الغرض ومستمر بسلسلة إجراءات لا ينقطع مددها أو تأثيرها أو ما تولده من أهداف مضافة [3].

ومن هنا نجد أن الأمن المجتمعي يرتبط بعدة مقومات متى توفرت تحقق هذا الأمن في أسمى معانيه،وهذا يعود في تقديرنا في جانب منه إلى الحرية العدالة إشباع الحاجات وغياب الندرة والتضامن والولاء للجماعة،بالإضافة إلى

---

[1] المصدر نفسه،ص2.

[2] نقلا عن :علاء زهير الرواشدة، سعيد ناصف، موزة عيسى الدوي، "العوامل المؤدية للسلوك الانحرافي وانعكاساتها على الأمن المجتمعي : دراسة سوسيولوجية "، **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد (2)،(2019)، ص 32.

[3] منعم صاحي العمار، **مصدر سابق**، ص 88.

الاستقرار وغياب كل ما من شأنه الإضرار بهذه المقومات نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية،وهو حاجة أساسية ومصلحة وطنية حيوية تنشدها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وترصدها بما تضع من خطط وبرامج تنموية وهو غاية سامية تعمل لتحقيقها منظمات المجتمع المدني كالجمعيات الخيرية التعليمية والاجتماعية،فالكل يتطلع إلى المجتمع الآمن من الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه بالأخطار كالجهل والفقر والمرض والمخدرات والجرائم والانحراف السلوكي، لذلك هناك حاجة مسة إلى تطوير الجد النظري المتعلق بالأمن المجتمعي عموماً ولإنتاج مفاهيم تواكب المستجدات [1].

وفي ضوء ذلك يمكننا القول أن معني مفهوم الأمن المجتمعي يغطي مجالاً واسعاً من الحالات بحسب طبيعة المتغيرات والتحديات التي تشمل نطاقات واسعة من الظواهر الاجتماعية في الدول،وهكذا يصبح الأمن المجتمعي سبيلاً نحو التحرر من أنواع التهديد الداخلي أو الخارجي،وتعزيز قطاعات الدولة كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن الأفراد والمجتمع لمواجهة التحديات التي أصبحت مصدر خطر .

2. مسوغات أسس التجديد وتعميق مجالات الأمن المجتمعي

في ظل هذا التحول الفلسفي في جوهر مفهوم الأمن[2] بهدم أسس المفهوم الكلاسيكية في البحث واختصارها على تأمين أمن لدولة، وهوما

---

[1] فول مراد، "تاثير ظاهرة الهجرة غير الشرعية على الأمن المجتمعي الجزائري"، **المجلة الجزائرية للدراسات السياسية**، العدد (1)، (2019)، ص ص40- 41.

[2]David Baldwin, "The concept of security", International Studies Review,1997,p8.

https://www.princeton.edu/~dbaldwin/selected%20articles/Baldwin%20(1997)%20The%20Concept%20of%20Security.pdf

سيحصل عند انتقاله إلى إعادة بناء تفكير جديد تفضي إلى إيحاء إضافي لحدود مجالات اهتمامات الأمن خاصة مع تغيير الظروف الخارجية، والذي هيئ لبروز مفهوم الأمن المجتمعي باعتباره من الموضوعات التي تتجاوز نمط التفكير التقليدي في حقل الدراسات الأمنية انبثق عن الإقرار بوجود وحدات مرجعية للأمن غير الدولة، وقد طور هذا المفهوم داخل مدرسة كوبنهاكن خصوصا من طرف (أول ويفر-Ole Waever)، الذي أحدث به قطيعة مع الدراسات التقليدية المتمحورة حول الدولة ولتحقيق فهم أفضل للتطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[1]،و يؤكد (ويفر)أن العولمة[*]الحالية أثرت على الدول لكن ليس بالدرجة نفسها التي أثرت بها على المجتمعات فإن هويتها أصبحت على المحك في

---

[1] توفيق بوستي، **مصدر سابق**، ص 9.

[*]ليست العولمة بالظاهرة الحديثة وذلك لارتباطها بحركة تطور المجتمعات، فقد سبق أن روج العالم لمثل هذه الأفكار . ففي أعقاب الحرب العالمية الأولي دعا الرئيس الأمريكي(وودرو ويلسون-Woodrow Wilson) عام (1918) إلى مبادئه الأربعة عشر لتدشين عصر جديد يتسم باحترام حقوق الشعوب كافة، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية تمت صياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك قبل سنوات من بداية عصر " المكارتية " في الولايات المتحدة حيث يعاقب الناس لما يجول في أفكارهم ومن يشتبه في وجود صلة بينه وبين الشيوعية. جهاد عودة، **مصدر سابق**، ص 622. إذ تعرف العولمة بأنها :"اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات ".أما (برهان غليون) فإنه يعرفها بأنها:" ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعملية للحضارة ... يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي لهوامشها أيضاً". نقلا عن :عامر مصباح، **المنظورات الاستراتيجية في بناء الأمن**،(القاهرة : دار الكتب الحديث، 2013)، ص ص 99-100.

مواجهتها لمجموعة من الظواهر الجديدة كتصاعد وتيرة الهجرات، الاستيراد الكبير للسلع الثقافية الأجنبية،وتصاعد ديناميكية الاندماج ضمن كيانات أوسع،وهي ظواهر تهدد الهوية الوطنية والدينية للمجتمع ومكوناتها، فتصبح التخوفات المرتبطة باللا أمن،بالآخر، بالهجرة، بالغزو، بفقدان القيم الثقافية وأنماط الحياة هي ما يشغل الأفراد والأمن المجتمعي مرادف للبقاء الهوياتي الذي يشير إلى ظهور شعور الـ " نحن " المتميز عن " الآخر" هذا الآخر سواء كان إثنية أو طائفية دينية أو غيرهما فإنه ينظر إليه كتهديد من طرف الـ " نحن" انطلاقاً من معطيات الممارسات المتقلبة المجتمعية [1]،إضافة إلى ذلك تقضي هذه المفهمة أن الأمن يحمل دائما في مدلوله قيمة ايجابية هو يحيل إلى الحماية والوقاية والسلامة والطمأنينة والسكينة والاستقرار، هو يحيل أيضاً إلى تمثلات موضوعية كالعقلنة والإدارة والتنظيم باختصار هو مرادف لكل شيء مرغوب أو ذي قيمة حيوية [2].

وبناءً عليه فإن مفهوم الأمن غالباً ما يستقيم تصوره وفهمه من خلال مقتربين، أولهما: حصر وضبط التهديدات بأنماطها المختلفة (الانتقالية والمستديمة)، وثانيهما: صياغة الأهداف والوسائل اللازمة لضبط الأمن والوصول به إلى غاياته، ومع ذلك تبقى الحقيقة أن الأمن بدأ واحداً وأن تعددت مجالاته أو وسائله، ويحتل مكانة مركزية في منهجية صنع المعنى وكيفية تنفيذها باعتباره نتاجاً من الممارسات المجتمعية،حيث طمأنة الشواغل وتحقيق الأهداف أو التعامل مع التغيير وضبط اتجاهاته بما يعزز من حيوية الدولة، وهذا مبطن بملاحظة أدلى بها الدكتور (أحمد برقاوي) في كتابه (نحو تحديد نظري للأمن القومي العربي)حيث ذكر إن الأمن يعني سيادة الأمة أو الدولة

---

[1] توفيق بوستي، **مصدر سابق**، ص 9.

[2] سيد احمد فوجيلي، "الأمن كابتزاز : جذور الدولة الحامية في العالم العربي، **مجلة شؤون الأوسط** "، العدد (150)، (2015)، ص 11.

على أرضها وثرواتها وتوفير حالة من الاطمئنان لأفراد المجتمع ضد أي تهديد خارجي [1].

من خلال تناول مختلف الجوانب المتعلقة بالدولة وعلاقتها بالأمن المجتمعي إلا أن هناك اجماعاً حول عدم امكانية تجاهل دور الدولة من القضايا والمشكلات الاجتماعية، خصوصا ذات الإبعاد الأمنية بالرغم ما ذهبت أليه بعض الآراء والتوجهات الفكرية التي تتحدث عن تراجع دور ومكانة الدولة في ظل العولمة، إلا أن الكثير من الأزمات التي بدأت تتعرض إليها المجتمعات والتي أخذت طابع أمني كشفت عن أهمية دور الدولة، انطلاقاً من ادراكات تعزز من فاعلية الدولة وأهميتها .

وهنا لا يخطئ من يظن بأن الأمن حقيقة ملازمة للفرد والدولة بل هو غريزة طبيعية عمادها الخوف والإحساس بالخطر، الدافع وراء الترتيبات الأفقية التي يلجأ لها الفرد مثلما تلجأ لها الدولة لحماية ذاتها وضمان بقائهما بصفته يشكل الاتجاهات العامة التي تتبعها الحكومات،الأمر الذي جعل مدلولات الأمن تلتقي عند مجتمعيته الغرضية ولا تختصر بالقوة فحسب على وجه التحديد، وعلى هذا الأساس، وكما يقول (ل. جي كاربتير) المدير التنفيذي لمعهد الدراسات الاستراتيجية(واشنطن) في الأيام الأخيرة من حكم الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان-Ronald Reagan)، إن الأمن بدأ متجسداً في ثلاثية واضحة حيث (الإدراك، بناء القدرات وتوظيفها، تطويع التوقع لصالح صياغة الأهداف)،فإذا ما ضبطت هذه الثلاثية من قبل الدولة، أصابت الاطمئنان على حياضها وشعبها، بل وعلى مصالحها الحيوية وتنميتها لصالح إدامة مفعولها الرجعي لحقيقة ما تستهدفه من أمن بجميع جوانبه[2].

---

[1] منعم صاحي العمار، شيماء تركان صالح، مصدر سابق، ص 34 .

[2] منعم صاحي العمار، شيماء تركان صالح، مصدر سابق، ص 31 .

على مستوى آخر يتمثل التحول القيمي في اعلاه مكانة الإنسان الفرد وقيمته في السياسة الواقعية، مقابل المكانة التقليدية المهيمنة التي احتلتها كل من الدولة والأدوات العسكرية في تحقيق الغايات السياسية وضمان الأمن، على أساس أن هذا التحول القيمي مثل استجابة لسلسة تحولات كبرى شهدها الفضاء السياسي تدريجيا عبر مدى زمني يمتد من منتصف القرن العشرين ولا يزال جاريا حتى اللحظة الراهنة، بل يمكن القول بالرغم من كل الاسهامات الفلسفية منذ القرن السابع عشر في تأكيد أسبقية حقوق الإنسان على أي كيان سياسي، فقد ظلت الدولة عملياً وتقليدياً صاحب المكانة الأعلى في الممارسة السياسية بحكم امتلاكها بل واحتكارها لأدوات تأثير مختلفة لم تكن تتوافر لأي من الفاعلين السياسيين الذين يندرجون في إطارها [1]،بعبارة أخرى كانت الدولة بالمفهوم "الهيجيلي" أي الدولة الغاية في حد ذاتها والتي لا تتحقق فضيلة بدونها هي الحاضرة في عالم السياسة بشكل فعلي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن العشرين، فكان السبيل الرئيسي لتحقيق رفاهية الأفراد وضمان أمنهم وحماية وجودهم لا يتحقق إلا من خلال الدولة التي تمتلك أدوات الفعل الرئيسية والمتفوقة على ما عداها من أدوات تأثير يمتلكها أي من الكيانات التي تنطوي في ظلها، بدأ هذا الواقع يتغير مع ادراك البشرية لجسامة الخسائر التي أصبحت تتولد عن الحروب والتي وصلت إلى امكانية الوجود الإنساني في الأرض[2].

من هنا يقوم الهدف من التحليل الكلي على تقديم تصور مجرد وشمولي لمفهوم الأمن ولا اختزاله في عامل دون آخر، وإنما الربط بين العوامل المشكلة لمجال فهم الظاهرة الأمنية أو مفهوم تحدد تعريف الأمن من خلال الربط بين

---

[1] مالك عوني، "رهان الثورات : تصاعد مشكلات الامن غير التقليدي في المنطقة العربية"، **ملحق مجلة السياسة الدولية**، العدد (186)، (2011)، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ص 4.

المتغيرات والعوامل دون اختزال التعريف في عامل محدد، حيث جاءت مرتبطة بالسيادة والحدود والقومية التي انطلقت من فكرة تحرير الفرد كشرط من شروط العقد الاجتماعي،فمثلاً إن الدولة تكون أمنة عندما تعمل على حماية مصالحها ورعاياها والقيم السائدة مهما كانت مستويات ذلك والتي تهدف إلى حماية الفرد في مجال الحقوق والحريات، خصوصاً أنه

محدد بقيم مجردة وأن الأمن هو مختلف التصرفات التي يسعى معها المجتمع إلى الحفاظ على حقه في البقاء كعامل محدد[1].

في هذا السياق نجد أيضاً اقراراً لهذه الفكرة من خلال إبراز (إميل دوركهايم - Émile Durkheim) مفهوم الوعي كمدخل للإدراك فيقول: "يشير مفهوم الضمير الجمعي عنده إلى المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف بين أعضاء المجتمع، التي تشكل نسقًا له طابع مميز، يكسب هذا الضمير العام واقعًا ملموساً، فهو يتكون من المثاليات الاجتماعية التي تكوّنها نظمٌ دينية وأخلاقية واقتصادية". يقابل هذا المفهوم مفهوم (أنوميا) عند (دوركهايم)، ويعني اللامعيارية، وينتج عن فقدان القيم والمعايير الاجتماعية التي تفضي إلى التفكك الاجتماعي. وهنا يدخل الفرد والمجتمع في أزمة هوية، وتتعلق هذه التحولات بالأساس بتغير العلاقة بين الفرد والجماعة، ويرى (دوركهايم) أن في داخل كل فرد مكونات ومعطيات جمعية، تتمثل بالضمير الجمعي، تتشكل من أنساق قيم وأفكار وعادات ورموز تعبر عن شخصية الفرد، وتعبّر عن الجماعة التي ينتمي إليها، وهذا الضمير الجمعي هو النواة البانية للهوية الجمعية، وهي ذاتها نماذج التفكير والعمل، مضيفا أن الجماعة تفكر وتسلك وتشعر بشكل مختلف تمامًا عن

---

[1] عبد اللطيف بوروبي، "نحو نسق معرفي جديد لمفهوم الأمن في العلاقات الدولية "، **مجلة شؤون الأوسط**، العدد (150)، (2015)،ص 26.وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر: عبد الإله بلقزيز، **الدولة والمجتمع جدليات التوحد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر**، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008).

أفرادها، إذا كانوا منفردين، فالتجمع يؤدي إلى إنتاج وعي جمعي وهوية اجتماعية [1]، كما اكدت اعمال بحثية عدة على مدى الاعوام الاخيرة على إن مفهومي الجماعة والمجتمع يعتمدان نموذجين من الإرادة، الجماعة تتضمن الإرادة الطبيعية، والمجتمع يتضمن الإرادة العقلية، باعتبارها مرتكزاً أساسياً في تمايزات العلاقات موجودة في كل منهما، مثالًا على ذلك في الجماعة، هناك علاقات أولية مسيطرة (الولاء والنسب والقرابة والدين) وعلى ضوئها يتحدد الوعي بالهوية، أما في الإرادة الفعلية "المجتمع" فتتميز علاقاته بالتعاقدية والنفعية والضبط، ويتحدد فيها الوعي بالهوية على أساس المصالح والتعاقدات والاتحادات الحرة [2].

ويمكن إدراك هذه المظاهر من خلال تأكيد الفرد وجوده من رؤية (نوربرت إلياس-Norbert Elias) باعتبارها فهماً وتفسيراً لمقاربة العوامل والاتجاهات المجتمعية، تجلى بعضها نحو ليس هناك هوية لـ "الأنا" دون هوية لـ " النحن". أي لا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع، والعلاقة بينهما علاقة تأثر وتأثير، ويطرح عبارة "هوية نحن – أنا"، ويرصد كيف تغيرت "أولوية هوية الأنا على النحن" متبنياً مقاربة سوسيولوجية توفيقية، تجمع بين التصور الكلي عند (دوركهايم)، والقصور الفردي عند (ماكس فيبر-Max Weber)، فتميزت مقاربته في أنها انبنائية، أي إن الواقع الاجتماعي يبنى من قبل الأفراد الفاعلين المجتمعيين، ويخلص (إلياس) إلى أن سلطة الدولة هي المحرك الحقيقي للحضارة، ويرى أن القرن التاسع عشر كان محورياً في بروز شكل هوياتي جديد ومسيطر

---

[1] "سوسيولوجية الهوية، جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء "، مراجعة: فادي كحلوس، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2019/7/25، شوهد في 2020/7/21، في:
https://www.harmoon.org/reports

[2] المصدر نفسه .

يمتلك الفرد فيه هويته، يتمثل بالنزعة الهوياتية القومية، وقد أدت هذه النزعة برأيه إلى حربين عالميتين [1].

وفي الإطار نفسه يمكن أن يكون مفهوم الأمن في بعده الاجتماعي مدخلاً للتركيز على المظالم الثقافية التي لها علاقة بالهويات[*] التي تواجهها جماعات ثقافية وأقليات عديدة في مناطق مختلفة من العالم، والتي أصبحت

---

[1] كل شخصية لها أصولها بالذات كنتاج اجتماعي، فهي ليست مجرد انعكاس للوسط المحيط بها، أي أن الوعي الاجتماعي السائد يتجسد في الفعل الاجتماعي، لأنه ينضوي تحت "بنية معرفية معيارية" زودته بها الثقافة ومنظومة القيم والقواعد السلوكية الجماعية. وهذه البنية المعرفية المعيارية بمثابة دليل ومرشد لوجهة العقل ومساراته، وتصبح بمنزلة "العناصر البانية للهوية" الاجتماعية والثقافية، والتي تميز الثقافة الجمعية المشتركة والسائدة في جماعة معينة. "سوسيولوجية الهوية، جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء "، **مصدر سابق** .

[*] يشير مفهوم الهوية وفقا لما جاء في قاموس (أكسفورد) بوصفها "حالة الكينونة المتطابقة بإحكام، والمتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق"، اما في موسوعة (روبير) "باعتبارها الميزة الثابتة في الذات"،اذ يختزن هذا التحديد معنيين يعمل على توضيحهما معجم المفاهيم الفلسفية (لفولتير- Voltaire) على الشكل التالي " إنها ميزة ما هو متماثل، سواء تعلق الأمر بعلاقة الاستمرارية التي يقيمها فرد ما مع ذاته، أو من جهة العلاقات التي يقيمها مع الوقائع على اختلاف أشكالها" . اما (اليكس ميكشيللي- Alex Michelle) فانه يرى في تعريف الهوية "بوصفها منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية"، فالهوية تتسم بالتطور وقابلية التغيير وفقاً لمنطقها الخاص الذي يتجسد في عمليات التقمص والاصطفاء وهي في سياق تطورها تتحدد على نحو تدريجي، وتعيد تنظيم نفسها، وتتغير من غير توقف وذلك إلى حد تكون فيه قادرة على تحديد خصوصية الكائن الإنساني، وهي تنطوي على دينامية داخلية مماثلة لمنظومة العمليات المعرفية والعقلية التي تشكل الإحساس بالهوية". ويعبر هذا التعريف عن كون الهوية متحركة وغير ساكنة تتطور مع طبيعة المتغيرات التي يتعرض اليها المجتمع لتعيد تنظيم نفسها داخل المجتمع من جديد .نقلا عن : فراس عباس هاشم، "الهويات المتصارعة ومحنة تعريف الذات (الهوية الشيعية انموذجا)"،**مجلة أبحاث استراتيجية**، العدد (16)،(2017)، ص 308.

أكثر أهمية بعد نهاية الحرب الباردة من قبل المنظرون لمجال حقل الأمن، من زاوية ما شهدته من صراعات عنيفة داخل الدول الأمر الذي دفع في اتجاه إعادة تقييم دراسات الأمن وطرح المناقشات بشان توسيع وتعميق هذا المفهوم،ومن هذا المنطلق نفهم إن مخرجات الواقع اثبت أن المجتمع أصبح يشكل في حد ذاته موضوعا مرجعيا للأمن، إضافة إلى ذلك أصبح الأمن الاجتماعي بعداً هاماً من أبعاد الأمن لا يمكن تجاوزه باي حال من الأحوال، ويعتبر المس بسلامة التنوع الثقافي أهم التهديدات الماسة به خاصة مع ما تشهده الأحداث من محاولات متكررة لإذابة الفوارق والخصوصيات الثقافية، ومن هنا تعمق مع الوقت مشهد تنميط الناس بشكل لا يحترم اشكالهم الثقافية وهو وضع خطير يمكن التنبؤ بعواقبه من خلال الشواهد والأحداث المعاصرة بمختلف مستوياتها[1].

انطلاقاً من هذا التأطير يعتبر الأمن المجتمعي مفهوم أساس من بين أهم عناصر برنامج البحث في الدراسات الأمنية المعاصرة يعاد إنتاجها فقد تجاوز الرؤى التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع من قطاعات أمن الدولة إلى اعتباره كياناً قائماً بذاته وموضوعاً متميزاً وفقاً لـ (دور كايم-Durkheim)،تعرف المجتمعات على أنها "وحدات مكونة من مجموعة من الأفراد التي يفضل اعتقاداتها الدينية ومشاعرها الوطنية المشتركة تحس بوجود رابط بينها على شكل وعي جماعي مستقل ويفوق مجموع وعيها الفردي"، تبعاً لذلك تشير مدرسة "كوبنهاكن" إلى تصور ينزع على أن العولمة المعاصرة قد أثرت وبشكل كبير على الهويات المجتمعية التي وجدت نفسها مهددة بطائفة من العوامل كتدفق الهجرات والاستيراد القسري للثقافات الاجنبية المغايرة

---

[1] احمد غالب محي، علي احمد عبد مرزوك، "البعد السياسي للأمن الاجتماعي : دراسة في المفهوم والأبعاد والأهداف:، **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**، العدد (44)،(2020)، ص 233.

بالإضافة إلى الاندماج في وحدات أكثر اتساعاً [1]،ومعنى ذلك يتمحور الأمن المجتمعي حول بنية الهوية أو بعبارة أخرى، تفترض في حقيقة الأمر حول ما يمكن الجماعة من الإشارة إلى نفسها

بضمير نحن في مقابل الآخر الذي قد يشكل تهديداً موضوعياً لهذه الهوية التي تمثل أمة إثنية جماعة دينية ... الخ [2].

- **الاستدعاء الهوياتي لمعالجة التحولات الأمنية**

مما لاشك فيه أن تأمل الأحداث والوقائع التي تقودنا إلى أشكال العلاقة بين الهوية والوطنية رسمت الصفات الجوهرية والمكونات الهوية[*] التي تتسم بالثبات النسبي أمام التغييرات التي تحدث جراء التقدم والتطور في البيئة الدولية، تجلت في الأمن الاجتماعي مرادف للبقاء الهوياتي، وهذا يعني التمييز بين "نحن" و "هم " بمعنى أن كل ما يشكل تهديداً وجودياً لبقاء" نحن" سواه كان أمة، عرق، جماعة دينية أو إثنية يعتبر فرضياً أمنياً، يفترض تلاقي التهديدات ضد الأمن الاجتماعي ذاتية أكثر مما هي موضوعية تنطوي على قابلية التغيير، وكما أوضح (وايفر) أن مفهوم الأمن المجتمعي يبدو مفهوما نظرياً ملائماً ومتماسكاً مما يجعل المفهوم أساساً في تنظير التغير الاجتماعي والذي طور تصوره للأمن الاجتماعي،في إعطاء أمثلة على قواعد تشكل أساساً لأي ممارسات اجتماعية،ولذلك لخص (وايفر) تصنيف (بوزان) في شقين أساسين : الأمن القومي والأمن المجتمعي، فالأول يعني السيادة وبقاء النظام، والآخر يخص الهوية وبقاء المجتمع وبتركيزه على الأمن الاجتماعي،مفترضا نقل الموضوع المرجعي من الدولة إلى المجتمع ورفع هذا الأخير إلى مصاف موضوع

---

[1] قسوم سليم، مصدر سابق، ص 113.

[2] المصدر نفسه، ص 114.

مستقل[1]، ومما أراه في الحقيقة هو أن عنصر الهوية (Identity) يشكل جزءاً لا يتجزأ من القواعد الاجتماعية اعتيد فيه إلى أوضاع جديدة في عالم ما بعد

(*) يميز الباحث الهندي (أمارتيا كومار سن-Amartya Kumar Sen) بين تصورين عن مفهوم الهوية الاول ايجابي والثاني سلبي، فعلى صعيد التصور الايجابي: فقد اكدته الدراسات في مجال رأس المال الاجتماعي بان الهوية المشتركة مع الآخرين في الجماعة الاجتماعية نفسها يمكن أن تجعل حياة الجميع تسير بشكل أفضل كثيرا في هذه الجماعة، لهذا ينظر إلى الشعور بالانتماء إلى جماعة إنسانية ما بوصفه أحد مصادر الثروة، فمن الممكن أن تكون الهويّة مصدراً للثراء والدفء. أما التصور السلبي: يتجلى في أن تكون الهوية مصدراً للعنف المروع، وهذه الصفة الثانية للهوية المتأزمة فهي أداة قتل مروعة، وبلا رحمة في حالات كثيرة، يمكن لشعور قوي ومطلق بالانتماء يقتصر على جماعة واحدة أن يحمل معه إدراكا لمسافة البعد والاختلاف عن الجماعات الأخرى فالتضامن من الداخل لجماعة ما يمكن أن يغذي التنافر بينها وبين الجماعات الأخرى. وهذا ما ينطبق على حالة الرفض للأخر من هويات فرعية وجدت في سقوط الانظمة العربية متنفس لممارسة طقوسها وذاتها المفقودة الامر الذي جعلها امام تحدي وجودي امام الاخر جعل من العنف سبيلا لحالة الاقصاء . من جانب اخر هناك من ركز على البعد الذاتي من إدراك أو وعي أو شعور بالانتماء إلى جماعة أو جماعات معينة في تشكل الهوية الجماعية وصناعتها، مع تشديده على أثر العوامل الموضوعية من أرض ولغة وتاريخ وثقافة كخصائص جماعية يشترك فيها أفراد الجماعة في تشكيل مستوى الشعور والوعي بالهوية)، ولذلك من لم يكتفِ البعض بوجود قواسم أو خصائص مشتركة وانتماء ووعي، بل أعطى أهمية لضرورة وجود حدود للهوية، تصنعها الجماعة لنفسها، وتفصلها وتميزها عن الهويات الأخرى، ويعترف بها الآخرون)،ولكن من ناحية اخرى يرفض أدونيس اعتبار الهوية معطاة سلفا وأن الأفراد هم ثمارها، وأن علاقتهم بها كعلاقة الفرع الأصل، وقد لاحظ أن الهوية في حالة حركة وأن الإنسان هو من يبدع هويته ويكونها، فالهوية إذن هي نقطة الاتصال الذي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي اليها . فراس عباس هاشم، **مصدر سابق**، ص ص 308 - 309.

(1) باي احمد، "العدالة الانتقالية والامن المجتمعي : التقاطعات والانعكاسات"، **مجلة البحوث السياسية والإدارية**، العدد (9)،(2016)،ص 18. يرى (بوزان) أن المعضلة الأمنية

الحرب الباردة، وتؤكد على كيفية تعامل الهويات مع الطريقة التي تستوعبها الوحدات السياسية(الدول) وتستجيب لمطالبها ومؤسساتها وعلى هذا الأساس فالهوية تولد وتصقل المصالح، كما تعتبر هذه المقاربة أن العوامل الثقافية تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الهوية، وأن المصالح القومية تنبع من بناء خالص لهوية الذات مقابل هوية الآخر، وهو ما يفسر بروز قضايا الأقليات بعدما تحول الصراع من صراع بين الدول أثناء الحرب الباردة إلى صراع داخل الدول بعد نهايتها، وكذا قضايا الإرهاب والتنظيمات الإرهابية بعد تحول الصراع من إيديولوجي إلى حضاري، فضلاً عن تحريك النعرات الطائفية والانتماءات العرقية والثقافية للأفراد وصناع قرار هذه الوحدات السياسية وهي كلها مؤثرات تدل على وجود عدة فاعلين وليس فاعل واحد في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة [1].

عموماً تستمد قضايا الأمن الاجتماعي أهميتها من زاوية أن حقيقة الوحدات الاجتماعية والأمم لا تكون متطابقة في كثير من الأحيان،لكن الملاحظ أيضاً أن حدود الدول والأمم ليست متماهية بالضرورة إلى ما سمي

تتمحور حول الهوية، حول ما يمكن المجموعة من الإشارة إلى نفسها بضمير "نحن" "نحن" "أبناء المهاجرين" في "فرنسا"، "نحن" "الأكراد" في "تركيا" و"نحن"، لكن مكمن التحدي هنا هو جانبها التطوري. فهي عملية تفاعلية مستمرة للتحكم في المطالب الملحة وإشباع حاجات معينة، حيث يلعب الإدراك والذّاتية دورا مهما. غير أن هذا المسار التفاعلي قد يقود إلى معضلة أمنية مجتمعية إذا أصبحت الهوية جوهرا للصراع على المصالح وسندا للسعي من أجل الهيمنة أو سنداً لبنية العلاقات القائمة مع المجموعات الأخرى. ويتضح ذلك في تغليب مظاهر "الأنا" على المظاهر التعاونية، وهذا بالالتجاء إلى المكونات المجتمعية، بدل مؤسسات الدولة، كإطار للصراع من أجل البقاء، وكضمان وحيد للأفراد للحصول على الحماية في مناخ يسوده الخوف. عادل زقاق، **مصدر سابق**، ص 65.

[1] توفيق بوستي، "مفهوم الأمن ومنظورات ما بعد الوضعية"، **دراسات استراتيجية**، المعهد المصري للدراسات، 2019، ص2.

سيادتها،ما يثير احتمالات عديدة لوقوع صدامات عنيفة فعندما تقف الدولة عاجزة عن تمثيل مصالح فصائلها الاجتماعية، على خليفة أن هذا يوصل رسالة عليها أن تواجه مطالب هذه الجماعات المستبعدة بزيادة أمنها الاجتماعي سببا لانعدام الأمن بالنسبة اليها، وبالتالي تظهر بوضوح التهديدات الماسة بالسلامة المادية للأفراد عندما تكون هنالك مجموعات تتميز بالخصوصية أو الانفصالية عن هوية الدولة ويكون هناك محاولة من هذه الأخيرة لتوسيع دائرة هويتها لتشمل تلك المجموعات وكما سيلاحظ لاحقاً [1]، لذلك بطبيعة الحال تبدا الدولة باللجوء إلى تبني استراتيجيات قائمة لعل أبرزها انتهاج سياسة الصهر والإدماج والتي عادة تساعد على إيجاد بيئة حاضنة وإنما تكون مصحوبة بمخاطر وتكلفة بشرية بالغة، ومن المعلوم أنه في اسوأ الحالات أدت محاولات انشاء دول عرقياً أو دينياً من خلال عملية الصهر القسري في مجتمعات لا تتلاءم ظروفها إلى وقوع اعتداءات إباديه كبيرة وفي الغالب ما يشكل هذا جزءاً مألوفاً من المشهد السياسي للكثير من الدول [2].

بناءً على ما سبق فالدراسات الأمنية تحتاج إلى تبني فهم ثنائي للأمن يمزج بين أمن الدولة الذي يدور حول السيادة والأمن المجتمعي المتعلق بالهوية فالبقاء بالنسبة لأية دولة يختصر في حماية هويته بالأساس ومنه ازدواجية أمن الدولة والأمن المجتمعي، بذلك الأمن المجتمعي كان يحتفظ بوصفه قطاعاً من أمن الدولة، لكن الأن أصبح يشكل الموضوع المرجعي للأمن[3].وإذا ما أخذنا المثال الذي لعلة الاشد وضوحا في بنية المجتمعات الإنسانية التي تتشكل وتتحدد استناداً إلى الأفكار والرؤى المشتركة أكثر من استنادها إلى القوة المادية، كما أن الهويات والمصالح الذاتية للفاعلين تتحدد ويجري تعريفها وفقاً لهذه الأفكار

---

[1] احمد غالب محي، علي احمد عبد مرزوك، **مصدر سابق**، ص 237 .

[2] احمد غالب محي، علي احمد عبد مرزوك، **مصدر سابق**، ص 237.

[3] باي احمد، **مصدر سابق**، ص 18.

والرؤى أيضاً، ويترتب على هذه المقدمات أن الهويات والمصالح ليست حتمية، على أنها تعمل على مستويات متفاوتة في العمق كما تركز على أهمية الثقافة والقيم والأفكار وتقرر أن هذه العوامل الأساسية هي التي يمكن الاعتماد عليها في تفسير أنماط القوة ومستوياتها أيضا، بوصفها قادرة على إنتاج تباينات على جميع مستويات المجتمع، وفي هذه الحالة تفاعل الدول لا يمكن حصره فقط بالمصالح القومية [1]،من هنا يمكن التأشير إلى أن ظهور حركات هوياتية عابرة للدول والحدود الجغرافية أخذت تشغل حيز أكبر من الاهتمام في تأكيد الباحثين والمفكرين،فضلاً عن مدياتها كما يبدو في كثير من المناطق في العالم، إذ فرضت هذه التطورات دراسة كيف أصبحت تتعامل تلك الهويات في سلوكها عبر الحدود مع ما يماثلها من هويات تبادلها الثقافة بما في ذلك في محيطها .

وفي هذه الحالة تكون الترسيمات لاستخدام مصطلح المجتمع ليس المقصود منه بنيته أو تنظيمه بقدر ما تركز الاهتمام حول هويته التي بإمكانها أن تفسر الوقع عموما، بمعنى آخر فالمجتمع يعبر عن "سلسلة الأفكار والممارسات المحددة للأفراد كأعضاء من مجموعة اجتماعية فالمجتمع يتمحور حول الهوية وحول التصور الذاتي للطوائف وللأفراد الذين يعرفون ذواتهم كأعضاء من طائفة معينة له وجود مادي...، استناداً لمعيار أن المجتمعات كانت هي التي تمثل مركز الاهتمام في الإشكالية الجديدة للأمن بوصف مسائل الهوية هي أيضاً تمثيلات لترسيم الادراكات القاعدية للتهديدات والهشاشات وعليه فالمجتمعات أبرز تمثيل للاختزالية التي تتمركز بالأساس حول الهوية [2].

في هذا الإطار من المهم التذكير أن أزمة الهوية هي ليست من داخلها بقدر ماهي من خارجها أي من التحديات، التي تجعل كل جماعة فرعية تستقطب مشاعر الولاء لهويتها الفرعة على حساب الهوية الوطنية وهو ما يؤدي

---

[1] توفيق بوستي، مفهوم الأمن ومنظورات ما بعد الوضعية، مصدر سابق، ص3.

[2] قسوم سليم، مصدر سابق، ص 119.

إلى أزمة هوية، وهي حالة من التوتر والتمزق الذي ينمي الانطواء على الذات ويدفع إلى التعصب والتمييز العرقي أو الديني أو الطائفي ويقلل بالتالي من فرص التسامح والتفاهم والحوار ولذلك أصبح مفهوم الأمن الاجتماعي مادة علمية ذات قيمة إنسانية [1]، وتأسيسا على هذا فان الحالة المقابلة أو حالة اللا أمن لا جمعي هي حالة عدم استقرار أو حالة اضطراب وظيفي وخلل ينئي تعرض لها ذلك البناء التنظيمي المستقر نسبياً اختل ترتيب مواقع اعضاء الجماعة وتداخلت آليات وظائفهم وارتكبت مراكزهم وادوارهم ثم تصدعت علاقاتهم الاجتماعية، وفي الوقت نفسه أخل بتوازن النظام الاجتماعي واربك آلياته فتأثر السلوك بذلك الارتباك وتحجم الشعور بالانتماء إلى الجماعة فظهرت مظاهر القلق والتوتر والاغتراب على المستوى "السايكواجتماعي"،وكثرت ظواهر الانحراف سلوكيا عن المعايير النمطية المعترف بشرعيتها وتفاقمت أزمات والمشكلات الاجتماعية على المستوى التنظيم الاجتماعي، الأمر الذي افقد المجتمع فاعليته في إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس المكانة والدور وإعادة توازن عناصر البناء الاجتماعي للمجتمع وتأكيد الأنا الفردي والتحرك كفاعل مجتمعي [2].

وفي السياق ذاته ذكر عالم الاجتماع (كارل مانهايم- Karl Mannheim) قائلا: "أن اللا أمن الجمعي هو أحد الأسباب الاساسية لحالة اللاتكامل المفاجىء التي تصيب الاتجاهات المؤسسة او المبناة اجتماعيا والذي يؤدي إلى انحلال جزئي أو كلي للمجتمع ".ومن ناحية أخرى يلاحظ (مانهايم) إن إحساس السكان البدو باللا أمن تعززه عوامل مثل حالة الجفاف أو الأوبئة التي تصيب الحيوانات أو الهجرة وهذه الحالة تختلف عن حالة اللا

---

[1] هيفاء احمد محمد، "اشكالية الهوية الوطنية العراقية وأهم مقوماتها "، **أوارق دولية**، العدد(213)،(2012)، ص12.

[2] فراس عباس البياتي، **مصدر سابق**، ص 124.

أمن في المجتمعات الحديثة، وينتبه (مانهايم) إلى هذه التطورات إذ ميز بين ما اسماه باللا أمن غير المنظم والأمن المنظم (Organized and Unorganized)،فانعدام فرص العمل بالنسبة للفرد وتأثير ذلك على إحساسه بالهدفية وعدم إرضاء رغباته هو مثال للأول، أما الثاني فيتمثل في تلك الظروف الاجتماعية التي تصبح فيها مصداقية المبادئ والقيم موضع شك وتصير الايديولوجيات مفضوحة أنها حالة تدمير لعادات التفكير الراسخة بالأحرى[1].

من الواضح إذا أن مفهوم الأمن المجتمعي أصبح مادة علمية ذات قيمة إنسانية وحضارية تناقلها المفكرون والمتخصصون والعاملون في الحقل الاجتماعي في كتاباتهم حتى بات من الملاحظ اليوم أنه لا يخلو مجتمع من الدعوة للمطالبة بتوفير الأمن المجتمعي للمواطن،وبعد أن كان مدلول المصطلح منحصراً في جانب الأمن المضاد للخوف والفزع، فإن هذا المصطلح اتسع ليشمل مفاهيم ومضامين متعددة وجديدة في كثير من النواحي ومنها مسألة الهوية لفهم بنى التحولات في داخل المجتمعات، ويمكن القول في الحقيقة تتداخل مع مجمل أوضاع الحياة ليشمل الإصلاح الاجتماعي والسياسي،وتحقق العدل والمساواة والحرية،والكفاية الاقتصادية وغيرها من القضايا الملحة ذات العلاقة التي يحتاج اليها الفرد بفضاءات حياته اليومية [2].

والجدير بالذكر أن المنطلق الأساسي للأمن المجتمعي يقوم على أساس أنه لا يمكن التمييز بين الدولة والمجتمع فيما يخص الهدف من وجودهما، في عالم الصراعات الاستراتيجية، فاذا كانت الدولة في حاجة إلى تامين سيادتها للبقاء مستقلة عن الأخرين من خلال الافعال التي تتسق مع إعادة إنتاج الأنساق الاجتماعية القائمة فإن المجتمع يحتاج أن يكون آمنا في هويته التي تميزه هو

---

[1] المصدر نفسه، ص 125.

[2] علاء زهير الرواشدة، سعيد ناصف، موزة عيسى الدوي، مصدر سابق، ص 32.

الآخر عن المجتمعات الأخرى وما تتفق عليه مختلف التعريفات الخاصة بالهوية هو : الخصوصية والتميز عن الآخر خصوصية فردية أو جماعية،وهي ما يمكن أن تفسر المسارات التي حددها الباحثون ومن مقومات الهوية في هذا الصدد هي : الدين، التاريخ، الوطن بمكوناته، اللغة والثقافة[1]،علاوة على هذا فإن التهديدات التي تواجه المجتمع هي الهوية اللغة المعتقدات الثقافة القضايا الإثنية فتؤثر على التماسك الاجتماعي من خلال تجاوز المأزق المجتمعي وتوفير الأمن للمجموعات والأقليات التي تتمتع بهويات مستقلة وهي السمة الأساسية التي ينطوي عليها الانتقالات المحتملة للمجتمعات [2].

فمن الناحية التاريخية مع نهاية القطبية الثنائية وبروز ظواهر كالعولمة والبناء الأوروبي توسع التمركز حول القوميات في أوروبا الشرقية، فإن المجتمع هو المعني بالتهديد أكثر من الدولة فقد انشغل الأفراد وارتبط خوفهم بمواضيع كالهجرة وضياع القيم الثقافية وفقدان نمط الحياة [3]،ما يعني أن مفهوم الأمن المجتمعي هو المفهوم النظري الأكثر انسجاماً وتوافقا لتحليل هذه الرهانات الجديدة فالبعد المجتمعي الذي رمز إلى واحد من قطاعات الدولة التي عبر عنها (بوزان) من خلال وضع ومرجعية أمنية، وبالتالي فالنقطة المهمة في إعادة بناء الدراسات الأمنية هي التفرقة بين الدولة والمجتمع فالدراسات الأمنية تحتاج إلى تبني فهم ثنائي للأمن إلى حد ما على الأقل بين أمن الدولة الذي يدور حول

---

(1) فول مراد، **مصدر سابق**، ص 40

(2) بهولي عبير، "النظرية الواقعية البنيوية في الدراسات الأمنية : دراسة لحالة الغزو الأمريكي للعراق في 2003"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2014، ص 26.

(3) قسوم سليم، **مصدر سابق**، ص 118.

السيادة والأمن المجتمعي المتعلق بالهوية، فالبقاء بالنسبة لأي دولة يختصر في حمياتها لسيادتها في حين يكمن بقاء المجتمع في حماية هويته بالأساس[1].

في مقابل هذا ظهرت آراء تحلل تلك الفكرة ولم تخرج عن مبادئها،إذ يكتب (وايفر) في ذلك قائلا :" لا نريد الأمن المجتمعي الذي يؤدي إلى فهم أمن الدول قياساً للمجتمعات المكونة لها (نحن) نقترح بأن يعاد تصور حقل الأمن من حيث ازدواجية أمن الدولة وأمن المجتمع بالنسبة لأمن الدولة القيمة النهائية هي السيادة أما بالنسبة لأمن المجتمع فقيمة الهوية كلا الاستعمالين يدل على البقاء إذا فقدت الدولة سيادتها تزل كدولة والمجتمع الذي يفقد هويته تسوده مخاف من أنه لن يكون قادراً على البقاء نفسه" [2].

وفي ضوء ذلك ما يجب الإشارة إليه أن مبدا الحركة والتقلب الهوياتي التي تمحورت في بعض الأنظمة بحد ذاتها بعد نهاية الحرب الباردة، هي التي تحكم التناقضات داخل المجتمع في جميع حالاته وتجعل في سياق رؤيتهم مفهوم المعضلة أو المأزق الأمني من النماذج الهامة عند تطبيقه على النزاع الإثني، وخصوصاً في الإقليم السوفيتي سابقا،حيث انهار النظام التسلطي، حيث أن الجماعات الإثنية التي كانت سابقا تنظر إلى السلطة المركزية كحامية لها ،ما يعني أيضاً أنها وجدت نفسها في محيط شبيه بالطبيعة الفوضوية للمجتمع الدولي، فالدول المستقلة حديثا تفتقر تقريبا للدساتير والمؤسسات التي تحمي الأقليات، وكذا القوانين التي تكفل حريتهم وعناصر هويتهم ،ومن ثم أفراد هذه الأقليات يلجؤون إلى شكل تنظيمي آخر هو الجماعة الإثنية ، حيث تصبح هذه الجماعة مسؤولة عن حماية نفسها في وجه التهديدات التي تستهدف بقاءها واستمراريتها وفي ظل هذا المأزق فإن جهود أي مجموعة إثنية لتعزيز أمنها، يتم تفسيرها من

---

[1] المصدر نفسه، ص 118.

[2] سيد أحمد قوجيلي،"الدراسات الأمنية النقدية : مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن"، **مصدر سابق**، ص 82.

قبل المجموعات الأخرى على إنها خطوة عدائية باتجاه التصعيد، وبالتالي تزيد من فرص التعبئة لأغراض غير دفاعية و تقوي احتمالات الحرب الوقائية[1].

يضاف إلى ذلك أن اتساع نطاق الصراعات التي تنشا من قضايا الأن الاجتماعي المتعلقة بالهوية والانتماءات الثقافية والدينية يمكن أن تتخذ اشكالاً عنيفة، فعلى أرض الواقع يمكن أن تتكثف هذه الأمنية للحد الذي يصبح معه الهدف من الصراع هو القضاء على الوجود الاجتماعي للطرف الآخر، بل الأهم من ذلك أنه عملياً أيضاً لوحظ هذا الأمر فعلياً في العديد من الصراعات الطائفية التي كثيراً ما تجلت مظاهرها في ممارسات التطهير العرقي والإبادة الجماعية، للتأن تستهدفان بشكل رئيسي استبعاد مجموعات عرقية أو طائفية أو جماعة لغوية من منطقة محددة بجميع الوسائل المتاحة، وفي مقدمتها(القتل والتشريد والترهيب وتهجير السكان) وفي جميع هذه الحالات يختفي تماما التمييز بين المقاتلين وغيرهم من المدنيين العزل اللذين يتعرضون للقتل والتصفية على أساس انتماءاتهم الاجتماعية والهوياتية، وهو ما يؤكد فرضية أساسية بأن الفرد هو المحاصر الأساسي بمهددات الأمن الاجتماعي التي دائما ما تترك آثاراً عميقة تمس سلامته وأمنة بالدرجة الأولى [2]، ومن هنا يمكننا القول لقد حددت هذه العوامل أن قضايا الهوية أصبحت ذات بعد وجودي للكثير من الشعوب في الأغلب التي جعلت منها بناء يحتوي على ذاتها رغم ظهورها ورسم حدود الجغرافيا داخل الدولة الواحدة،وبالتالي أصبحت هذه المدركات جزء متنام من العلاقات الدولية وبما يستجيب لطبيعة التحولات الجديدة والتي تعكس قيم معيارية من خلال التأكيد على واقع سياسي جديد .

---

[1] يسين طرشي، حكيمي توفيق، **المعضلة الأمنية الدولية**، (الجزائر، بلا، 2006)، ص 10.وللمزيد من المعلومات حول الموضوع ينظر :أمارتيا صن، **الهوية والعنف وهم المصير الحتمي**، ترجمة: سحر توفيق، (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008).

[2] أحمد غالب محي، علي احمد عبد مرزوك، **مصدر سابق**، ص 238 .

3. الأمننة كمنطلق لوقائع البناءات العالمية للأمن المجتمعي

تعتبر القضايا المجتمعية التي أخذت إبعاد دولية تتنوع مضامينها في العديد من الأحوال، لا سيما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وما تبعة من ظهور لقضايا الهويات والتحولات في البنية المجتمعية للدول والتي تؤثر في أوضاع المجتمع العالمي وعلاقاته، وبالتالي فإنها تبعث في ذاتها ديناميكية عميقة لإعادة تشكيل رؤية للواقع العالمي، لذلك ظهرت الحاجة المتزايدة لتفسير واقع المجتمعات الإنسانية فقد تمت ممارسة معظم النظريات المتداولة في الدراسات الأمنية لمعرفة الآثار الاجتماعية التي يكون لها تأثير حاسم على الأمن العالمي.

بناء على ما سبق تعد نظرية الأمننة أحد أهم النظريات التي برزت في حقل الدراسات الأمنية المعاصرة وأكثرها ابتكاراً وجدلاً في الوقت ذاته، والتي قام(وايفر) بتأسيسها عام(1995) من خلال مقاله المعنون بـ"الأمننة ونزع الأمننة"(Securitisation and Desecuritisation)،ولقد شاركه في تطويرها (بوزان) لتصبح هذه النظرية ميزة خاصة بمدرسة كوبنهاغن للدراسات الأمنية والسعي إلى بلورة نماذج أمنية تتلاءم أكثر مع تحولات الأنماط المجتمعية[1].

إضافة إلى ذلك فالأمننة كعملية يتم فيها تحويل المشاكل إلى قضايا أمنية من خلال إضفاء الطابع الأمني عليها، تفترض أن الأمن يمكن أن يفهم على أنه نتيجة لأعمال خطاب(Speech Act) أي عملية الاستخدام المتكرر لإظهار حدث ما على أنه تهديد وجودي، من خلال لغة خطابية تسويقها للجمهور العام مرتكزة على أدلة في إطار منظم، تقدم من خلالها هذه القضية على أنها تمس البقاء (Survival) المادي أو المعنوي وتتطلب إجراءات استثنائية مستعجلة لتشريع الأفعال خارج العملية السياسية المعتادة(انظر

---

[1] فوزية قاسي، مصدر سابق، ص 1509.

الشكل رقم (1))،من جانبه يرى (بوزان) أن فواعل الأمننة الأكثر شيوعا في كثير من الأحيان قد يكونوا (قادة سياسيين، بيروقراطية، حكومات، لوبيات، جماعات ضغط)، أما اللا أمننة فهي تعني إنتقال القضايا المؤمنة خارج حالة الطوارئ إلى عمليات المساومة الطبيعية للمجال السياسي، فإزالة القضايا من الأجندة الأمنية يرجع إلى فشل التحرك الأمني[1].

ومن زاوية أخرى، لا يمكننا أن نعتبر الأمن شيئا ايجابيا إذا كان عنده ضحايا والأهم من ذلك إن ضحايا الأمن لا يقتصرون فقط على اولئك الذين تطاولهم الآلة القمعية للدولة بشكل مباشر وبتمثل تجسدي على حد تعبير (ميشال فوكو-Michel Foucault)، ولكن يتضمنون ايضا اولئك الذين يقعون فريسة للخطابات التي تروجها النخبة الحاكمة وآلتها الدعائية التي تعبئ كامل المجتمع ضدهم من أجل خلق معان جديدة تصبح بعض الجماعات تهديداً لأمن الدولة والمجتمع، وتغدو هذه وجهات نظر ذاتية التحقيق أملتها طبيعة الموضوع المتمثل في محاولة النخبة في إعادة بناء الدلالة في سياق اجتماعي وعلى أي حال اطلق علماء الأمن على هذه العلمية أسم الأمننة [2].

---

[1] أمينة دير، "أثر التهديدات البيئية على واقع الأمن الإنساني في إفريقيا :دراسة حالة دول القرن الإفريقي"، **رسالة ماجستير**، (غير منشورة)، جامعة محمد خضير –بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014،ص 19.

[2] سيد احمد فوجيلي، "الأمن كابتزاز : جذور الدولة الحامية في العالم العربي"، **مصدر سابق**، ص 12.

شكل (1)

مسار عملية الأمننة

المصدر :عادل زقاق،"المعضلة الأمنية المجتمعية : خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة"، **المجلة الجزائرية للسياسات العامة**،العدد (1)، (2011)، ص 68.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن مفهوم الأمننة يعتبر نموذجاً مفسراً على صعيد العدة المفهومية للقضايا الأمنية وأيضاً اطاراً لتحليها، وكذلك لما تتيحه من امكانات لنقل القضايا الأمنية من المجال غير السياسي إلى المنظور السياسي، والارتقاء إلى درجة تحدي المخاطر والاجتماعية وتداعياتها على باقي القطاعات الإنسانية،وهذا يعني أيضاً اقتراح تدابير استثنائية وليس أدل على ذلك ما تمليه من استخدام القوة العسكرية في بعض أوجهها،وبهذا المعنى فالأمننة تعني تأسيس تذاتي لتهديد وجودي والذي يتطلب اهتماماً ملحاً وفورياً، فضلاً عن استخدام تدابير استثنائية لمواجهة هذا التهديد [1].

[1] بونوار بن صايم، "اثر جائحة كورونا (كوفيد 19) على الدراسات الأمنية"، **المجلة الجزائرية للأمن الانساني**، العدد (2)، (2020)، ص 829.

في ضوء ما سبق بإمكاننا القول أن الجوهر الأساس لنظرية الأمننة [1] هو وصفها للأمن كفعل خطابي،بعبارة أخرى أصبح ممكنا بفضل هذه البنية النظرية معرفة مشكلة ما أمنية متى أعلنت النخب أنه كذلك، وهو ما يرسم خط الأمننة إلى المسار الذي يمكن من خلاله لفاعل ما أن يعلن مسالة محددة أو فاعل آخر على أنه يشكل تهديداً فعلياً لوحدة مرجعية معينة، وعليه تصبح قضية ما رهاناً أمنياً متى ما تم تاطيرها في خطاب أمني على أنها تشكل تهديداً وجودياً، وهذا يعني بعبارات أخرى أن التعامل معها يتطلب إجراءات مستعجلة غير الإجراء السياسي المعتاد، ويرى انصار هذه النظرية بإن الأمننة الناجحة تتضمن شرطين أساسيين الأول: الخطاب وقبوله الواسع لدى الجمهور . والثاني تحديد التهديدات الفعلية والعمل المستعجل بوصفة مشكلا إنسانيا لأنها تعالج المشكلة فكل شيء أخر سيكون غير ذي معنى لأننا لن نكون موجودين أو لن نكون احراراً للتعامل معها بطريقتنا الخاصة وتسمى هذه الخطوة نحو الأمننة الناجحة بالتحرك نحو الأمننة كما يقول (بوزان) [2].

وبذلك تشير الأمننة إلى البناء الإستطرادي للتهديد، وأن إفتراضها الرئيسي يكمن في اعتبار الأمن كفعل الخطاب، فبمجرد التلفظ أن شيئا ما يشكل قضية أمنية فإنه يصبح كذلك، وانطلاقاً من هذه الاحداثية النظرية امكننا أن نقول إن تصريح فاعل ما أن موضوعا مرجعيا ما مهدد في وجوده، يمنحه الحق في اتخاذ تدابير إستثنائية لضمان بقاء ذلك الموضوع المرجعي على هذا النحو، الأمر الذي يؤدي إلى نقل القضية من حيز السياسة العادية إلى حيز

---

[1] Clara Eroukhmanoff, "Securitisation Theory: An Introduction", E-International Relations, Jan 14 2018.https://www.e-ir.info/2018/01/14/securitisation-theory-an-introduction

[2] فراس الياس،"الدفاع عن المقدسات وسياسات الامن القومي الايراني"، **مجلة الدراسات الايرانية**، العدد (10)،(2019)، ص 75

القضايا الطارئة، أين يمكن التعامل معها بسرعة، خارج قواعد الديمقراطية العادية ويضعها نصب عينيه [1]،وبالعودة إلى تصور المصلحة الجماعية ذات الطابع الاجتماعي في انتاج الأمن فان قضية ما تصبح رهاناً أمنياً فقط متى أعلن فاعل مؤمن ما عبر خطاب أمني، على أنها تشكل تهديداً وجوديا بحيث يمكن أن نؤسس عليه، إجراءات مستعجلة، تبرر الأعمال الخارجة عن حدود الإجراءات السياسية العادية كشرط أول، بالتحرك نحو الأمننة وإن السبيل لنجاحها هو لابد من قبول الجمهور لها كشرط ثان [2]،بعباره أخرى تشيرنا تلك التغيرات والتحولات التي شهدتها البيئة الدولية على إعادة النظر بطبيعة المخاطر التي تواجه المجتمعات الإنسانية ومن ثم تحولها إلى تحديات أمنية هذا الأمر يقترن برسم الخطوط للتعامل مع تلك المتغيرات والتطورات ومدى انعكاساتها المجتمعية في الدول.

- **منطلقات الالتقاء بين الأمننة والأمن العالمي**

في الواقع مع مطلع التسعينيات ارتفعت الأصوات التي ترى أن تركيز الأمن في الدولة ذات السيادة أصبح مناقضا للبيئة الدولية الصاعدة بعد نهاية الحرب الباردة، فالتهديد لم يعد موجها إلى بقاء واستقلال الدول كما كان في السابق، وإنما إلى الجماعات الاجتماعية التي تواجهها مثل الأقليات والمهاجرين واللاجئين وغيرهم،من الفواعل تحت الوطنية، وهذا يعني أن هذه التحولات أصبحت وكأنها فرصة لظهور الصراعات العرقية والدينية في الجمهوريات السوفيتية السابقة بل امتدت تلك الآثار إلى خارج حدودها، وفي أفق هذه التحولات تزايدت الضغوط المجتمعية التي يسببها التدفق المستمر للمهاجرين في أوروبا وانتشار الإرهاب داخل الدول التي كانت تعتبر آمنة نسبيا،

---

[1] فوزية قاسي، مصدر سابق، ص 1509.

[2] المصدر نفسه، ص 1510.

ولذا يمكن أن نفهم أن هذه التحولات أفرزت تغييرات دخلت في نطاق ما يسمى صعود خطاب أمني مختلف يركز على أمن المجتمع بدلا من الدولة ومن ثم ينطلق هذا الخطاب من نقد فكرة الدولة الحارس التقليدية في الفكر السياسي ويرى أن الدولة من الممكن في كثير من الأحيان أن تكون هي نفسها مصدر التهديد[1].

وتأسيساً على هذا المعنى فإن مفهوم الأمن ارتبط في دراسة السياسة الدولية تقليديا بمفهوم المجتمع وحالة الطبيعة، وعد احد أسباب نشأتها وهذا الهدف الأساس لسلوك الدولة،فقد ميز (توماس هوبز-Thomas Hobbes) بين حالة المجتمع وحالة الطبيعة واعتبر أن الأفراد في النظام الداخلي يعيشون حالة المجتمع بينما تعيش الدولة حالة الطبيعة في العلاقات الدولية، لذلك تسعى الدول إلى حماية نفسها عن طريق السعي في البحث عن الأمن، بل أنها تبحث أيضاً إلى دفع البشر للانخراط في مجتمعات من خلال عقد اجتماعي تخلوا بموجبه عن حريتهم لصالح سلطة مركزية مشتركة والحاصل من كل هذا أن هذه السلطة المركزية الدولة قد إنشات من أجل حماية الشعب ضد العدوان الخارجي، وبذلك فإن الأفراد اوكلوا للدولة مسالة حماية أمنهم من كل أشكال التهديد،وعندئذ يمكن عد ذلك عرف قائما في مختلف الدول لكونه مصدراً من مصادر شرعية السلطة وسببا للولاء العام لها [2].

إذا يتضح هنا بشكل مباشر متابعة مدراس الفكر السياسي والعلاقات الدولية أشكال هذه التغيرات ونتائجها وحاولت تفسيرها والاستجابة لها حيث يتم فيها تقديم ذلك المفهوم الجديد بتغييرها لمفهوم الأمن مرة وتوسيعها له مرة، في إطار توليد مفاهيم جديدة منه توافقا وانسجاما مع تغيرات الحياة الاجتماعية

---

[1] سيد أحمد قوجيلي،الدراسات الامنية النقدية : مقاربات جديدة لإعادة تعريف الامن،**مصدر سابق**، ص 81

[2] وداد غزلاني، **مصدر سابق**، ص57 .

والسياسية والمستجد من خصائصها وبتغير طبيعة المجتمع السياسي (الدولة) بحكم التغيرات الجذرية الكبرى والعامة التي شهدتها أوروبا في العصر الحديث، لكن ما يلاحظ فقد استتبع ذلك تغيراً موازياً ومماثلا في مبادئ الأمن ومفاهيمه تعبيراً عن الأوضاع المستجدة واستجابة لها،وكان من أول ما عكس ذلك التغير وجسده،على سبيل المثال مدونه رسالة احد النبلاء الفرنسيين أواخر عهد الملك (لويس الرابع عشر-Louis XIV) التي حدد فيها مفهوم الأمن بأنه" منع الجار من أن يكون قوياً جداً لا اتقاء لشره وحسب، وإنما صيانة للنفس من العبودية وصيانة للجيران الآخرين لان تنامي دولة ما إلى ما بعد حدود معينة يغير النظام العام لكل الأمم التي لها علاقة بها، أن تنامي دولة واحدة بشكل فائق قد يكون السبب في خراب جميع الدول الأخرى التي تجاورها [1].

واتساقاً مع ما سبق في ظل هذه البنية الدولية تغيرات مسارات الأحداث والبنى الاجتماعية، حيث يلاحظ أن أبرز ملمح لهذا التغيير أن الأمن المجتمعي يعني بمدى قدرة مجتمع ما الحفاظ على سماته الخاصة في سياق من الظروف المتغيرة وتهديدات فعلية أو محتملة وبدقة اكثر فهو يرجع إلى استمرارية ضمن شروط مقبولة للتطور النماذج التقليدية للغة الثقافة والروابط بالإضافة إلى الهوية والشعائر الدينية والوطنية، ذلك أن من الصعب جدا التحديد بموضوعية في تجاوز التناقضات الداخلية، فيما إذا كان هناك تهديد للأمن المجتمعي من عدمه والطريقة المثلي من مظاهر هذا التكييف هي التركيز على دراسة المسار الذي تدرك من خلاله جماعة ما أن هويتها مهددة لأنه على هذا الأساس تبدا في التصرف بطريقة أمنية [2]، في ظل كل هذه المعطيات

---

[1] علي عباس مراد، **الأمن والأمن القومي : مقاربات نظرية**، (الجزائر : ابن النديم للنشر والتوزيع، 2017)، ص ص 21-22.

[2] قسوم سليم، **مصدر سابق**، ص 114.ولمزيد من المعلومات حول موضوع الثقافة ودورها في المجتمع ينظر :جون توملينسون، **العولمة والثقافة : تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان**

السابقة شهد عالم ما بعد الحرب الباردة، زيادة في ظاهرة الدول العاجزة سواء كمصدر أو كمحصلة للنزاع بين المجموعات الإثنية الاجتماعية، ومن بينها تلك التحولات التي حصلت في جمهوريات (الاتحاد السوفيتي) السابق ففي هذه البنية المجتمعية تفض إلى مواجهة بخطاب إثني والتي تعمل في كل حالة على تغذية هذه الوضعية، وبنفس الوقت يختفي تحكم الدولة بإقليمها وتنتفي مظاهر سيطرة الحكومة واحتكارها لاستخدام القوة ووسائل القهر، والأهم من ذلك هو أن المجموعات المتناحرة تتبنى استراتيجية إشاعة الفوضى لتحقيق أهدافها وهدفها، بالتالي ليس الاستيلاء على السلطة لأن ذلك ليس في حدود إمكاناتها، إلا أن اعتمادها على استراتيجية إشاعة الفوضى جعلها تلجأ إلى أسلوب جديد للمواجهة من خلال استخدام التشكيلات المدنية شبه العسكرية، وهذا لسهولة تعبئة هذه الفئات والتحكم بها وحتى توريطها في أعمال إجرامية محظورة دولياً، ولذلك فإن الخاصية المميزة لحروب ما بعد الحرب الباردة تتمثل في اعتماد أسلوب الإرهاب بين المجموعات أو الأطراف المتصارعة وذلك عن طريق استهداف المدنيين، الإبادة الجماعية ... الخ ضد الهويات الأخرى في سياق لاستمداد معنى وجودها [1].

وجدير بالذكر أن نهاية الحرب الباردة عدلت من الحركيات الأمنية من خلال إضافة مجالات أمنية غير تقليدية إلى الأجندة الأمنية لتأكيد المجتمعات هويتها في مواجهة الآخر،هذه البنية الدولية الجديدة سلطت الضوء على عالمية أهمية المجالات الأمنية البيئية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتصدرت قائمة التهديدات تهديدات مثل تغير المناخ والإرهاب والأزمات المالية والهجرة، في حين فقدت التهديدات العسكرية الفورية هيمنتها، وهكذا تم استبدال الصراع

والمكان،ترجمة : ايهاب عبد الرحيم محمد، (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008).

[1] عادل زقاق، **مصدر سابق**، ص 63.

الايديولوجي الذي كان سائداً خلال الحرب الباردة باهتمامات عالمية عابرة للقارات أخرى مثل تحقيق الفعالية الاقتصادية والاستدامة البيئية [1]، ومن هنا تداعمت وجهة النظر الداعية إلى إعادة النظر في مفهوم الأمن من خلال تقرير "إيقون بار"(Egon Bahr) المقدم للجنة Palme(1982) والذي عنونه "الأمن المشترك"(Common Security) ويرى فيه أن التركيز على القوة في عالم يتميز بمستويات عالية من التسلح وتضبطه حركية الاعتماد المتبادل غير مؤسس، وهذا ما سيؤدي إلى سعي الدول منفردة لتعزيز أمنها، سوف يقلص في نهاية المطاف أمن الدول الأخرى، فضلاً عن ذلك، فإن التركيز على المخاطر العسكرية في التعامل مع المعضلات الأمنية غير واقعي، أمام كل ذلك توجد أشكال أخرى من المخاطر التي تهدد الدول، وهي ذات طبيعة عالمية سواء كانت اقتصادية، أو بيئية وحتى ثقافية، كما وقد يكون وراءها فاعلين آخرين غير الدولة كشبكات "المافيا" والتنظيمات الإرهابية مما يشير إلى تغير في أجندة الأمن وأولوياته [2]. أدى ذلك إلى تبني مفهوم أوسع للأمن أخذ تسميات متعددة كـ"الأمن لمتكامل"(omprehensive Security) (بحيث يتضمن كل أشكال التهديد)،و"الشراكة الأمنية" (Security Partnership)(بحيث يتم إشراك الدول غير الغربية)، و"الأمن المتبادل"(Mutual Security)(إذ يتم التخلي نسبيا عن نزوع الدول منفردة إلى تعظيم أمنها على حساب الدول الأخرى)، "الأمن التعاوني"(Cooperative Security) بحيث يتم تقاسم الأعباء الأمنية لاحتواء التهديدات)، وهكذا ورغم تعدد هذه التسميات إلا أنها لا تتجاوز الحدود التقليدية للمفهوم، وبدا هذا الوعي الجديد يتكون حين تلعب الدولة ومؤسساتها الرسمية دوراً حصرياً في تحديد ماهية التهديدات وسبل مواجهتها[3].

---

[1] فوزية قاسي، **مصدر سابق**، ص 77.

[2] عادل زقاق، **مصدر سابق**، ص 62.

[3] المصدر نفسه، ص 62.

كما أشرنا سابقاً أن التحدي الذي يواجه الأمن المجتمعي هو الجانب التطوري حيث أن سعي المجتمعات لإشباع حاجاتها، قد يقود إلى معضلة أمنية[*] مجتمعية متعلقة بمراجعة مضمون الأمن،حيث تصبح الهوية جوهراً لخلق صراع على المصالح،وسندا للسعي من أجل الهيمنة أو سنداً لبنية العلاقات القائمة مع المجموعات الاجتماعية الأخرى، لينتج عنها تغليب مظاهر الأنا على المظاهر التعاونية وهذا بالالتجاء إلى المجموعات المجتمعية بدل مؤسسات الدولة كإطار للصراع من أجل البقاء وكضمان وحيد للأفراد للحصول على الحماية في مناخ يسوده الخوف [1].

وعليه فمنظور الأمن بهذه الطريقة يجب إلا يكون محصوراً في منطقة جغرافية معينة فقط وإنما يجب أن يشمل جميع مناطق العالم بسبب عدم وجود حواجز طبيعية أو إنسانية تحول دون تدفق مظاهر عدم الأمن من المناطق غير الآمنة إلى المناطق الآمنة فعلى سبيل المثال فأمن أوروبا اليوم مرتبط بالاستقرار والأمن في شمال إفريقيا،وهكذا بالنسبة للمناطق الأخرى من العالم

---

[*] يعتبر (جون هيرز- John Herz) أول من استعمل مصطلح المعضلة الأمنية(Dilemma Security) عام (1950)، فالدول ذات السيادة تتسلح لتصبح أكثر أمناً حتى تزيد من مستوى الحماية لها، في المقابل وجود حالة من الفوضى الدولية تؤدي إلى المزيد من اللا أمن بالنسبة للدول الأخرى، فالشعور بانعدام الأمن مصدره الشك و الخوف المتبادل بين الدول المتنافسة. و قد قدم (روبرت جيرفيس- Robert Jervis) تعريفا للمعضلة الأمنية باعتبارها الحالة التي فيها "العديد من الوسائل التي تسعى الدولة من خلالها زيادة أمنها فتقلل من أمن الآخرين"، ففي نظام المساعدة الذاتية أو العون الذاتي(Self-Help)،خلق المزيد من أمن دولة معينة هو حتما خلق المزيد من انعدام الأمن بالنسبة للدول الأخرى، و بسبب الفوضى يعزز مبدأ المساعدة الذاتية بحيث لا تلجأ الدولة لأية سلطة أعلى منها بل تتحول بنفسها لضمان الأمن و السلامة. أمينة دير، **مصدر سابق**، 2014،ص ص 16-17 .

[1] بهولي عبير، **مصدر سابق**، ص 26.

[1]،وعليه يمكن القول يفترض البعد الجيوسياسي للأبعاد الأمنية المجتمعية تداخل مستوى الإبعاد الداخلية مع الخارجية ذات الاهتمامات المشتركة وبعيدة المدي مع المجتمعات الأخرى في ايجاد حلول للتحديات والمخاطر الأمنية للمجتمعات، بمعنى أن اضفاء العالمية حول هذه التحديات والمخاطر التي تتعدى حدود الدولة والإقليم يمكن اعتبارها حقيقية لانطوائها على بعد عالمي نتيجة شعورها أن تفاقمها ينعكس تأثيره على الاستقرار والأمن العالمي، من ناحية أخرى يفسر الأمن في سياق النظام الدولي بانه قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية، وفي سعيها للأمن فإن الدول والمجتمع يوجدان أحيانا في انسجام مع بعضها البعض، لكن يتعارضان في أحيان أخرى خارج فروض الاهتمام الجماعي، فأساس الأمن هو البقاء، لكن يشمل على أحيان أخرى على جملة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط الوجود"، في المقابل يعتبر (بوزن) الأمن في سياق النظام الدولي" قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي يرونها معادية، فالحد الأدنى للأمن هو البقاء، لكنه يتضمن أيضاً إلى حد معقول سلسلة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط حماية هذا الوجود" [2].

ومن جانب أخر يذهب آخرون إلى اعتبار أن التركيز على الأمن القومي والأمن العالمي أمر تجاوز الزمن وذلك بسبب نشوء مجتمع عالمي يعكس طموحات الجماعات المختلفة سمته الأساسية الاتجاه نحو تفكيك معطى الدولة الأمة على الصعيد الإمبريقي، وبالتالي فإن الجهد يجب أن ينصب على دراسة المجتمع العالمي في سياقة التاريخي، ومواقع الجماعات المختلفة فيه بدلاً من المجتمع على مستواه الإثني –القومي فالعولمة التي صبغت نهاية القرن العشرين قد جلبت

---

[1] عامر مصباح مصدر سابق، ص 104.

[2] توفيق بوستي، مصدر سابق،ص2.

اخطاراً جديدة كتسخين الكرة الأرضية وثقب الاوزون امكانية حصول كوارث نووية وانهيار النظام المالي العالمي، كما كشفت عنه الأزمة المالية العالمية الأخيرة (2008 -2009)،فمثل هذه التهديدات العالمية تخرج عن حدود سيطرة الدولة القومية بل وقد تكون أحد امتداداتها(أمريكا والأزمة المالية العالمية) لذا فأنها تتطلب طرح عالمي لمعالجتها[1]. أضف إلى ذلك الندرة في الثروات وما تخلفه من مشاكل في توزعها على الصعيد العالمي حيث أصبحت اقتراناً بذلك أي عنصر الندرة فيها يطرح مشاكل للهجرة التي تنذر بحدوث مشاكل لا حدود لها، وهو ما نجم عنه أشكال جديدة من انعدام الأمن ناتجة عن المنافسات ضمن الدول وعبر حدود الدول،وقد تجلى ذلك في الحروب الوحشية التي اندلعت في البوسنة، والشيشان، والصومال، ورواندا،وما يحدث في ليبيا، واليمن، وسوريا مؤخراً وما اقترن في بعضها بسياسات التطهير العرقي حيث أصبح يطرح بعد جديد للأمن العالمي مرتبط بأمن الافراد والجماعات [2].

وعليه يمكن القول من الناحية التقيمية احدى تجليات هذا التغيير التي تسببت في تحول طبيعة الظواهر الأمنية أهمها العولمة، التي غيرت كل المفاهيم وفي كل القطاعات وأدت إلى تدويل القضايا الأمنية واتساع فروعها والتي تشكل تهديداً جدياً على تراجع سيادة الدولة، كل هذه المعطيات تزيد من ظهور ذرائع جديدة للتدخل في شؤونها وأحداث تغيير في واقع ممارسة الدول لسيادتها وتعريف حدودها وتقليص مجال ممارسة الحرية السياسية

---

[1] وداد غزلاني، **مصدر سابق**، ص 63.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

والاقتصادية والاجتماعية وبالتالي زيادة الارتداد العكسي على القيود في ممارسة السيادة الوطنية [1].

في مقابل ذلك يقول (مارك توفيلد-Mark Tofield) بهذا الشأن أن سياسات التنمية هي الأهم في بحث التحول في المجتمعات وأن بحث الأمن يجب ان يرتبط بأسباب التخلف نكحطر يهدد ليس فقط الدول المتخلفة وانما لافق العالم بأكمله، لهذا السبب عرفت الدول الأوروبية التخلف في دول الجنوب نكحطر على الأمن الجماعي حين تعمل فروض جغرافيا كولونيالية تفصل بينها وبين دول الجنوب والتي شكلت مناطق توفر الجو المناسب لظهور المتمردين والتطرف وكل أنواع الجريمة وعوامل اللانظام [2].

ومن الجدير بالملاحظة يقترح كل من (بوزان) (وايفر) (ودي وايلد) تبني قراءة بنائية للحركيات الأمنية التي تصبح ممارسة تذتانية وتشكل إطاراً مرجعيا أي أن التهديد يصبح علاقة اجتماعية تتأثر بالبناء السوسيو-لغوي للخطاب بقوة الوقائع الميدانية، حيث إن الأمننة التي يشكل فيها مفهوم التهديد الوجودي جزءا لا يتجزا منها فالتعامل مع ظاهرة ما على أنها تهديد وجودي لموضوع مرجعي ذي قيمة بالنسبة لجماعة هو ما يسمح للدولة باتخاذ تدابير عاجلة واستثنائية للتعامل مع هذا التهديد [3].

ينعكس هذا الوضع بالنسبة للعديد من الدول بتحركات على نحو مكثف في الفضاءات العالمية لتفادي المشكلات الناجمة على سبيل المثال بفعل

---

[1] صليحة كبابي، التهديدات الجديدة للامن في العلاقات الدولية، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، العدد (3)،(2017)، ص 178

[2] المصدر نفسه، ص 180

[3] سمير البح، "المركب الأمني في غرب المتوسط : مأسسة حدود الاتحاد الأوروبي وحوكمة التهديدات الأمنية"، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، العدد (10)،(2017)، ص 150.

انتشار الأوبئة كفايروس كورونا يطرح مشكلات أساسية في التفاعل الاجتماعي لارتباطها بسياق المواجهة ولا يمكن تفاديه، لذلك نشير لاستدعاء مقولاتِ نظريةِ "مجتمع المخاطر العالمي" لأستاذ علم الاجتماع الألماني(أورليش بيك- Ulrich Beck)، التي تركز على تزايد المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات نتيجةً لعملية التحديث السريع والعولمة، بحيث تلاشى هامش الأمان النسبي وضمانات البقاء لدى المجتمعات، وظهور أنماط جديدة وغير تقليدية من المخاطر عالمية الانتشار تمثل أسس جديدة في وجه التحديات القادمة [1].

وفي سياق هذه الدينامية المعقدة تبلورت عدة أنماط من المخاطر العالمية تشكل نوع من المعيقات الأمنية، مثل: المخاطر البيئية والصحية، ومخاطر الأنشطة الاقتصادية الناجمة عن الجوانب المظلمة للتطور الصناعي والتكنولوجي، مثل: احتمالات التلوث الإشعاعي، وإخال الأنشطة الصناعية والزراعية بالتوازن البيئي، وهو ما يرتبط بتآكل نموذج "دولة الوقاية" القادرة على استيعاب المخاطر وتحصن المجتمع، وهذا ما توكده سيرورة التحولات تحت وطأة تعدد الأبعاد الاجتماعية لظهور مجتمع المخاطر وهو ما أدى تدريجياً إلى تشكيل "سوسيولوجيا المخاطر" التي جعلت حياة الأفراد موضع تهديد دائم نتيجة للتحولات السريعة للتكنولوجيا والتحديث باعتبارها عوامل مؤثرة في صيرورة المجتمعات، ومن أمثلة هذه المخاطر الاجتماعية تهديدات الهوية والتماسك المجتمعي، والشعور بتآكل الأمان الوظيفي، وتفكك روابط العائلة، والاغراب والانعزالية الفردية، وعدم القدرة على التنبؤ بالمهارات المطلوبة في المستقبل، وهو ما يرتبط بأطروحات (أنتوني غيدنز-Anthony Giddens) حول

---

[1] محمد عبد الله يونس، "كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا"، **دراسات استراتيجية**، العدد (2)،(2020)، ص 10.

الارتباط بين العولمة والمخاطر والتهديدات النابعة من تناقضات التحولات الاقتصادية والتكنولوجية الكثيفة التي لا يمكن توقع تأثيراتها الإنسانية [1].

وهناك من يرى أن مفهوم الأمن الكوكبي أو العالمي الذي ارتبط ظهوره بتحولات عرفتها البيئة الدولية بظهور فواعل جديدة إلى جانب الدولة، استهدف الانسجام مع ما شهده العالم من تقدم تكنولوجي هائل فأصبح للأمن مفهوم جديد يتجاوز الأمن الوطني والأمن الإقليمي وكان هدفه الجوهري متمحوراً حول الاقتصاد العالمي باعتباره الركيزة الأساسية للأمن الكوكبي أو العالمي الذي أهتم بالثورة التكنولوجية في مجالات المعلومات والاتصالات، علاوة على اهتمامه بمشكلة الانفجار السكاني وقضايا البيئة والأمن المجتمعي، مثل هذه التهديدات تميل إلى اكتساب أبعاد عالمية، وقدم رؤية جديدة لمفهوم الأمن الذي لا يواجه أعداء تقليديين "دولاً وأشخاصاً "،بل يعمل على حشد مقوماته لمواجهة الأخطار التي تواجه البشرية جراء الأشياء أو الأحداث كمقاربة شاملة [2].

ومن جانب آخر اهتمت أبحاث ودراسات حديثة بتأثير الأوضاع الدولية على تطور حقل الدراسات الأمنية، لا سيما على وجه الخصوص أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام (2001) ووجدت هذه الأبحاث أن أحداث أيلول/ سبتمبر أحدثت انقلاباً في جوهر الأمن الكوكبي أو العالمي الذي لم يعد محصوراً بالأفكار التي كان مقررا لها أن تلعب دوراً بدءا من أواخر القرن العشرين، بل على العكس أسهم ذلك في ممارسة الدولة لحقها الشرعي في احتكار استخدام القوة للتغلب على اشكال التهديدات العابرة للحدود باستخدام القوة المسلحة التي اتخذت من مواجهة الإرهاب هدفا لها دون اعتبار لما يلحق حقوق الإنسان من انتهاكات، ورسخ للأمن دون الوطني الذي يفسح

---

[1] المصدر نفسه، ص 10.

[2] جهاد عودة، مصدر سابق، ص 620.

المجال لتنظيمات سياسية أو قبلية أو طائفية من لعب دور في تقرير أمنها على حساب الأمن الوطني [1] .

من هذا المنظور نجد أن الأمن الإقليمي[2] اكتسب أبعاداً جديدة أوسع نطاقاً فلم يعد ينصرف إلى مواجهة التهديد المشترك بل تجاوزه إلى إقامة ترتيبات وهياكل جديدة من أجل تحقيق التكامل والاندماج والتعاون في المجالات كافة خاصة "الاقتصادية والتنموية" وأبرز أنجح التكتلات الاتحاد الأوروبي الذي يعمل جاهدا من أجل التصدي لسلبيات العولمة [3]،وترتب على ذلك تطور مفهوم الأمن لدى صانعي السياسات الدولية ، غلب عليها الطابع التطبيقي في إنتاج منهجيات لفهم نتائج السياسات وتنفيذها، فأوروبا بعد الحرب الباردة أسست لما يعرف بالمشاركة الأورو – متوسطة باتفاق أعضاء الاتحاد الأوروبي المتوسطين والشماليين على توسيع الاتحاد الأوربي تجاه شرق أوروبا، وتم التوصل بالإجماع حول التعامل مع التحديات الأمنية القادمة من الشرق والجنوب بهدف إعادة التوازن في توزيع الموارد المالية بينهم بما يتفق مع إدراكهم بأن القضايا الأمنية لا تقتصر فقط على الجانب العسكري، بل هناك قضايا أمنية غير عسكرية مثل : البطالة وتزايد معدلات الهجرة غير الشرعية من جنوب المتوسط إلى شماله، وتوالت المبادرات الأوربية مثل: إعـــلان برشلونة الـذي صـاغ مشاركة شاملة ترتكز علـــى ثلاثـــة محـاور [السياسية – الأمنية / الاقتصادية – المالية / الاجتماعية – الثقافية الإسلامية]، وإذا ما

---

[1] المصدر نفسه،ص 620.

[2] Bettina Koch and Yannis A. Stivachtis, Introducing Regional Security in the Middle East, May 11 2019.https://www.e-ir.info/2019/05/11/introducing-regional-security-in-the-middle-east

[3] جهاد عودة، مصدر سابق، ص 621.

تأملنا الأهداف المرجوة من كل محور لكان ذلك كافيا لمواجهة الانعكاسات السلبية للعولمة [1].

من هذا المنطلق سيكون الأمن العالمي وهو أحدث مفاهيم الأمن وأكثرها قرباً من مفهوم الأمن الدولي واختلاطا به، ولكن الفارق الجوهري بينهما يكمن في اقتصار مفهوم الأمن الدولي في دلالته على الوحدات السياسية الاجتماعية الدول، واتساع نطاق مفهوم الأمن العالمي ليشمل بدلالته وفي آن واحد :الوحدات السياسية الاجتماعية (الدول)، فضلاً عن الوحدات الجديدة في النظام الدولي من غير الدول والتي بدأت بالظهور منذ بدايات القرن العشرين مثل المنظمات الإقليمية والدولية العامة والمتخصصة المجتمعية والحكومية، ثم اضيفت اليها الشركات والمصالح الاقتصادية العابرة للحدود أو القوميات، حيث غير ظهور هذا التوع الجديد من الوحدات طبيعة النظام الدولي الذي فقد معها طابعة الجغرافي-السياسي المقترن كليا بالدولة وبذلك لم يعد الإطار الأمني الذي يعبر عنه مفهوم الأمن الدولي كافيا للدلالة على الوحدات الدولية الجديدة، مما اقتضى ظهور مفهوم الأمن العالمي الذي لا يقتصر على الدول أو يختص بها فقط، بل يشمل أيضاً وإلى جانبها الوحدات الدولية الجديدة التي أصبح لها هي الأخرى مطالبها الأمنية لذلك بات مفهوماً الأمن العالمي والأمن الدولي يختلفان من حيث :

أولا : عدد وطبيعة أطراف كل مفهوم .

ثانياً : نوعية المطالب الأمنية لأطراف كل مفهوم .

ثالثاً: نوعية الوسائل والأساليب المناسبة الأمنية لأطراف كل مفهوم .

---

[1] المصدر نفسه، ص 621. للمزيد من التفاصيل حول سلبيات العولمة ينظر :هانس، بيتر مارتن،هارالد شومان، **فخ العولمة : الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة : عدنان عباس علي،(الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بلا).

رابعاً: نوعية ومستويات الاستجابة المناسبة للمطالب الأمنية لأطراف كل مفهوم[1] .

في واقع الأمر يعني ذلك أن قضايا الأمن العالمي لم تعد قضايا ذات طبيعة سياسية فحسب بقدر ما يمكن تفسيرها، بأنها أصبحت أيضاً قضايا مجتمعية كالديمقراطية وحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب والأوبئة والتلوث والتصحر والمخدرات .. الخ، وعلى هذا الأساس فإن الأمن العالمي يشمل في نطاقة الأمن الدولي ولكن الأمن الدولي لا يشمل الأمن العالمي [2].

من كل ما سبق يمكننا القول حمل الأمن الصفة المجتمعية وعبر عنها من حيث هي صفة أساسية للكائن إنساني، فقد كان من الطبيعي أن يتأثر وبعمق بكل ما استجد على هذه الطبيعة من خصائص وما طرأ عليها من تغيرات فكما أنه أصبح ذو طبيعة سياسية بعد ظهور الأنظمة السياسية الحاكمة، فقد تغير بتغير المجتمعات وأنظمة الحكم فيها وكان تغيره شاملاً على المستويين النظري والعملي اللذين قد يسبق أحدهما الآخر، ويتقدم عليه ولكنهما يتكاملان ويتفاعلان في النهاية وعلى الدوام أي بناء نموذج يغدو وسيلة عالمية تقوم على نظرة لاكتساب الاستقرار [3].

يمكن القول مما سبق تقضي الأمننة العالمية خلق صور فاعلة تجاه الفضاءات الاجتماعية من خلال إدراك كون المخاطر التي أصبحت تتعرض اليها المجتمعات البشرية باختلافات إشكالياتها ومستوياتها وتأثيراتها العميقة، وتحولت إلى تهديد للعلاقات بين الدول وانعكاساتها السياسية والاجتماعية، ما يشير إلى الترابط العضوي بين ما تتعرض اليه المجتمعات، وبالتالي تستوجب تلك التحولات فهم وتفسير مسارتها وآثارها من أجل تحقيق الأمن العالمي المجتمعي.

---

[1] علي عباس مراد، مصدر سابق، ص 60-61.

[2] المصدر نفسه، ص 61.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول أن مفهوم الأمن الاجتماعي بما هو مفهوم لم يكن شائعا في تلك الممارسة التي نعرفها في الوقت الراهن، وهكذا اخذ مسارات عدة انطلاقاً من المفهوم التقليدي للأمن الذي ركز على الجانب العسكري للدولة، وهنا تحديدا يمكننا القول أسهمت التطورات والتحولات التي شهدتها البيئة الدولية أواخر القرن العشرين في إنتاج نوع مغاير من المقاربات النظرية التي شهدها حقل الدراسات الأمنية يعاد فيها تعريف الأمن والمرجعيات الفكرية للمقاربات النظرية للتكيف مع تلك التحديات،وإعادة موضعة دور الدولة،خصوصا مع توسع وتزايد التهديدات التي تتعرض اليها ومنه تكتسب موقعها الاجتماعي ولهذا تنوعت الاستجابات لهذا التحدي عبر إنتاج مقاربات تنطوي على توسيع مجال الأمن في ظل صعود المعايير الهوياتية للأقليات ومحاولة اثبات ذاتها والعولمة في النظام الدولي، لذا عدت كمعطيات في صياغة المفاهيم الجديدة للأمن كمفهوم الأمن الاجتماعي كأحد نتاجات مدرسة كوبنهاكن للدراسات الأمنية في مرحلة معينة، وهنا أيضاً اعتبرت مدرسة كوبنهاكن الأكثر فهما وتفسيراً لتحليل التحولات التي شهدها العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وفي هذا الإطار ونتيجة الصعود المطرد للتهديدات المحلية أو الإقليمية أو الدولية في الفضاء العالمي وتأثيرها في تلك البيئة، ولهذا السبب قد يفيد في توظيف الأمننة وتسويقها كآلية حماية المجتمعات من التهديدات والمخاطر المختلفة ذات الطابع الأمني في الإطار العالمي وتدعيم الاجراءات لمواجهتها بعيداً عن القضايا ذات الإبعاد والنشاطات الداخلية للدول التي لا تتطلب التفاعل العالمي المكثف لمواجهتها.

المراجع والمصادر

أولاً : الكتب العربية والمترجمة

1. -اشرف علام، **مشروع قناة البحرين والأمن العربي**،(القاهرة : مجموعة النيل العربية، 2008).
2. -أمارتيا صن، **الهوية والعنف وهم المصير الحتمي**، ترجمة: سحر توفيق، (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008).
3. -بول روبنسون، **قاموس الأمن الدولي**، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2009).
4. -جهاد عودة، **الصراع الدولي و القرار الاستراتيجي**، (القاهرة : المكتب العربي للمعارف، 2019).
5. -جون توملينسون، **العولمة والثقافة : تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان**،ترجمة : ايهاب عبد الرحيم محمد، (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008).
6. -سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية : دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**،(أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بلا سنة).
7. -سيد احمد قوجيلي، **الدراسات الأمنية النقدية : مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن**، (الأردن :المركز العلمي لدراسات السياسية، 2014).
8. -عامر مصباح، **المنظورات الاستراتيجية في بناء الأمن**،(القاهرة : دار الكتب الحديث، 2013).
9. -عبد الإله بلقزيز، **الدولة والمجتمع جدليات التوحد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر**، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008).
10. -علاء عبد الحفيظ محمد، **المواءمة بين اعتبارات الأمن والممارسة الديمقراطية : التجربة الأمريكية انموذجا**، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014).
11. -علي عباس مراد، **الأمن والأمن القومي : مقاربات نظرية**، (الجزائر : ابن النديم للنشر والتوزيع، 2017).
12. -علي عبد العزيز الياسري، **الأمن القومي العراقي : الابعاد الفكرية السياسية لاستراتيجية الأمن القومي في العراق**، (العراق : بلا، 2010).
13. -فراس عباس البياتي، **الأمن البشري بين الحقيقة والزيف**، (الأردن : دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011).

14. -محمد بو عشة، **العرب والمستقبل في الصراع الدولي**،(ليبيا :الدار العربية للنشر والتوزيع، 2000).

15. -منعم صاحي العمار، **العراق ومنظومة الأمن الخليجي**، (بغداد : مكتب الغفران للخدمات الطباعية، 2012).

16. -هانس، بيتر مارتن –هارالد شومان، **فخ العولمة : الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة : عدنان عباس علي،(الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بلا).

17. نواف قطيش، **الأمن الوطني وإدارة الأزمات**،(الأردن : دار الراية للنشر والتوزيع، 2009).

ثانياً :المجلات والدوريات

1. -احمد غالب محي، علي احمد عبد مرزوك، "البعد السياسي للأمن الاجتماعي : دراسة في المفهوم والأبعاد والأهداف:، **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**، العدد (44)،(2020).

2. إدريس عطية بن الطيب،" الحاجة العالمية لتطبيق الهندسة الأمنية المستدامة: التوجه نحو ما بعد النظرية في الدراسات الأمنية الجديدة"، **المجلة العربية للدراسات الأمنية**، المجلد (36)، العدد (1)،(2020).

3. -باي احمد، "العدالة الانتقالية والامن المجتمعي : التقاطعات والانعكاسات"، **مجلة البحوث السياسية والإدارية**، العدد (9)،(2016).

4. -بونوار بن صايم، اثر جائحة كورونا (كوفيد 19) على الدراسات الامنية، **المجلة الجزائرية للأمن الانساني**، العدد (2)،(2020).

5. -توفيق بوستي، "مدرسة كوبنهاغن نحو توسيع وتعميق مفهوم الأمن"، **دراسات استراتيجية**، المعهد المصري للدراسات، (2019).

6. -ـــــــــــ، "مفهوم الأمن ومنظورات ما بعد الوضعية"، **دراسات استراتيجية**، المعهد المصري للدراسات، 2019.

7. -جراية الصادق، "تحولات مفهوم الأمن في ظل التهديدات الدولية الجديدة"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، العدد (8)،(2014).

8. -زروقي براهيم، "الأمن القومي العربي دراسة في المفهوم والإبعاد والمرتكزات"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، العدد (2)،(2013).

9. -سليمان عبد الله الحربي، "مفهوم الأمن : مستوياته وصيغه وتهديداته (دراسة نظرية في المفاهيم والأطر)"، **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد(19)،(2008).

10. -سمير البح، "المركب الأمني في غرب المتوسط : مأسسة حدود الاتحاد الأوروبي وحوكمة التهديدات الأمنية"، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، العدد (10)،(2017).
11. -سيد احمد فوجيلي، "الأمن كابتزاز : جذور الدولة الحامية في العالم العربي، **مجلة شؤون الأوسط** "، العدد (150)، (2015).
12. -ـــــــــ،" تطور لدراسات الأمنية : ومعضلة التطبيق في العالم العربي"، **دراسات استراتيجية** (169)،(أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012).
13. -صليحة كبابي، التهديدات الجديدة للأمن في العلاقات الدولية، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، العدد (3)،(2017).
14. -عادل زقاق، "المعضلة الأمنية المجتمعية : خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة"، **المجلة الجزائرية للسياسات العامة**، العدد (1)، (2011).
15. -عبد اللطيف بوروبي، "نحو نسق معرفي جديد لمفهوم الأمن في العلاقات الدولية "، **مجلة شؤون الأوسط**، العدد (150)، (2015).
16. -علاء زهير الرواشدة، سعيد ناصف، موزة عيسى الدوي، "العوامل المؤدية للسلوك الانحرافي وانعكاساتها على الأمن المجتمعي : دراسة سوسيولوجية "، **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد (2)،(2019).
17. -فراس الياس،"الدفاع عن المقدسات وسياسات الامن القومي الايراني"، **مجلة الدراسات الايرانية**، العدد (10)،(2019).
18. -فراس عباس هاشم، "الهويات المتصارعة ومحنة تعريف الذات (الهوية الشيعية انموذجا)"،**مجلة أبحاث استراتيجية**، العدد (16)،(2017).
19. -فوزية قاسي، "أثر خطاب الأمننة على تطور الدراسات الأمنية بعد أحداث 11 / 9 : إسهامات مدرسة كوبنهاجن"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، العدد (1)،(2019).
20. -ـــــــــ، "الحرب على الإرهاب ومنطق الأمننة: قراءة في السياسة الأمريكية الجديدة من منظور مدرسة كوبنهاغن"، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، العدد (3)،(2011).
21. -فول مراد، "تاثير ظاهرة الهجرة غير الشرعية على الأمن المجتمعي الجزائري"، **المجلة الجزائرية للدراسات السياسية**، العدد (1)، (2019).
22. -مالك عوني، "رهان الثورات : تصاعد مشكلات الأمن غير التقليدي في المنطقة العربية"، **ملحق مجلة السياسة الدولية**، العدد (186)، (2011).
23. -محمد عبد الله يونس، "كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا"، **دراسات استراتيجية**، العدد (2)،(2020).

24. -منعم صاحي العمار، شيماء تركان صالح، "الأمن الوطني العراقي ومكافحة الإرهاب : دراسة في إشكالية الإدارة"، **مجلة دراسات دولية**، العدد (61)، (2015).

25. -هيفاء احمد محمد، "اشكالية الهوية الوطنية العراقية وأهم مقوماتها "، **أوارق دولية**، العدد (213)، (2012).

26. -وداد غزلاني،" الأمننة : منظومة للقيم الأمنية الجديدة في العلاقات الدولية"، **مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد (20)، (2017).

ثالثاً :الرسائل والاطاريح

1. -أمينة دير، "أثر التهديدات البيئية على واقع الأمن الإنساني في إفريقيا :دراسة حالة دول القرن الإفريقي"، **رسالة ماجستير**، (غير منشورة)، جامعة محمد خضير -بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014.

2. -بهولي عبير، "النظرية الواقعية البنيوية في الدراسات الأمنية : دراسة لحالة الغزو الأمريكي للعراق في 2003"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2014.

3. -سيد احمد قوجيلي، "الحوارات المنظورية واشكالية البناء المعرفي في الدراسات الأمنية"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة يوسف بن خدة -الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2010.

4. -فراس عباس هاشم، "تأثير العوامل الجيوبوليتيكة في تكامل وتماسك بيئة الأمن القومي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (أنموذجا)"، **رسالة ماجستير** (غير منشورة)، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2012.

رابعاً : الانترنت

5. -"سوسيولوجية الهوية، جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء "، مراجعة: فادي كحلوس، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2019/7/25، شوهد في 2020/7/21، في: https://www.harmoon.org/reports

خامسا :المصادر الاجنبية

1. -David Baldwin, "The concept of security", International Studies Review,1997,p8.
https://www.princeton.edu/~dbaldwin/selected%20articles/Baldwin%20(1997)%20The%20Concept%20of%20Security.pdf

2. -Matt McDonald, Securitization and the Construction of Security, University of Warwick institutional repository,2008. http://wrap.warwick.ac.uk/1232/
3. Bettina Koch and Yannis A. Stivachtis, Introducing Regional Security in the Middle East, May 11 2019.https://www.e-ir.info/2019/05/11/introducing-regional-security-in-the-middle-east
4. -Clara Eroukhmanoff, "Securitisation Theory: An Introduction", E-International Relations, Jan 14 2018.https://www.e-ir.info/2018/01/14/securitisation-theory-an-introduction.

المحور الخامس
إثر جائحة كورونا (COVID-19) على الجانب السياسي والاقتصادي والاعلامي والتعليمي

اولاً : اثار فايروس الكوفيد 19 في السياسة والاقتصاد والفكر العالمي

د. ميثاق بيات الضيفي

ثانياً : النموذج السببي للعلاقات بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية أثناء فترة الحجر الصحي

د. عدة بن عتو بلعربي عادل عبد الرحمن

ثالثاً : الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا : دراسة حالة الاقتصاد التركي

د. عبد الرزاق حسّاني سناء الريّس محمد البني

رابعاً : الصورة الإعلامية... سلاح يفتك بالرموز القومية

د. ريم الشريف د. أمينة عبد الله سالم

اولاً : اثار فايروس الكوفيد 19 في السياسة والاقتصاد والفكر العالمي

د. ميثاق بيات الضيفي

1. السياسة ووباء فيروس كورونا

أنظر إليه ولا أرى، وبالتالي أسميه غير مرئي، أستمع إليه ولا أسمع، لذلك أسميه غير مسموع، أحاول الإمساك به وعدم الوصول إليه، لذلك أسميه الأصغر، ولا حاجة للسعي لمعرفة مصدره هذا فالجزء العلوي غير مضاء، الجزء السفلي غير محجوب، وهو لانهائي ولا يمكن تسميته، يعود إلى العدم مرة أخرى، والآن يسمونه نموذجًا بدون أشكال، صورة بدون كائن، لذلك يسمونه غامض وضبابي، فأقابله ولا أرى وجهه، أتبعه ولا أرى ظهره... فالفايروس عندما بدأت الأخبار الأولى تأتي عنه من ووهان الصينية وعن أولئك الذين كانوا مصابين بفيروس تاجي غير معروف، لم يكن بوسع أحد أن يتخيل أن المرض الذي يختبئ الآن وراء الاختصار COVID-19 سيكون له مثل هذا التأثير على الإنسانية بملايين المرضى ومئات الآلاف من القتلى. الأنظمة الصحية تعمل إلى أقصى حد، والأطباء لا يعرفون الراحة والنوم وكل هذا على خلفية صور مروعة لمدن شبه فارغة، ومطارات شبه مجمدة، ومؤسسات ومنظمات خاملة، وحدود مغلقة، ونتيجة لذلك نشهد اندفاع الاقتصادات الوطنية للهبوط السريع[1].

وازمة الكورونا لم تعرض حياة الملايين من الناس للخطر فحسب، بل كشفت عن مخاطر لم تكن الدول الأكثر تقدماً والأكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية مستعدة لها، وجهت ضربة قوية للعولمة، التي اعتبرت أساس

---

[1] Smith K.M., Machalabaa C.C., Seifmanc R., Feferholtza Y., KareshaW.B. Infectious disease and economics: The case for considering multi-sectoral impacts One Health 7. 2019.

التعاون بين الدول في القرن الحادي والعشرين. واليوم، تهدف جهود العلماء والمحللين والمديرين والسياسيين من جميع الدول إلى معرفة ما نواجهه، هل الفيروس من صنع الإنسان أم طبيعي، وما يعني أن لديه ناقلات بيولوجية أولية؟ من هو المسؤول عن الانتشار السريع للوباء؟ والأهم من ذلك.. ماذا سنفعل؟ وكيف سنواجهه؟؟ وكيف ستجيب على هذه المشكلة كامل البشرية؟؟؟ نحتاج لقاحات وأدوية للفيروس، لكن ما هي الأدوية القوية والضرورية للاقتصاد العالمي واقتصادات الدول الفردية، وهل مطلوبا المساعدة والدعم من قبل عدد كبير من الناس، وهل ستكون هناك حاجة إلى أموال ضخمة لإحياء الحياة الاقتصادية، والأهم من كل الاسئلة... إلى متى سيستمر كل هذا؟؟؟؟ وهل ستغطي الموجة الثانية من الوباء العالم؟؟؟؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمتى؟؟؟؟ وهل ستتطور مناعة السكان في المستقبل القريب؟؟؟ الأسئلة تتكاثر وتتكاثر وليس هناك أجوبة سهلة لهذه الأسئلة، وبعضهن، أنا متأكد تقريبًا، لا يمكننا الإجابة عليه أبدًا، ولكن الآن ربما إن أهم شيء ليس فقط الإجابات نفسها، ولكن العمل العالمي المنسق للتغلب على الأزمة الأكثر انتشارًا والعالمية حقًا والتي ليس لها نظائر في التاريخ الحديث والمخاطر التي خلقها عالية للغاية، ولهذا السبب فإن التعاون الأمني العالمي مطلوب بالمعنى الواسع، وقد كان لأوبئة الطاعون تأثير كبير على تطوير الطب والإدارة العامة في القرون الماضية، وفي القرن التاسع عشر تبين أن الكوليرا كانت حافزًا قويًا، وفي بداية القرن العشرين كانت الإنفلونزا "الإسبانية"، وفقط بفضل التعاون الدولي نشأت مؤتمرات صحية جمعت بين الأطباء وعلماء الأوبئة والديمغرافيين للعمل على الاستجابة الفعالة للأمراض، ولقد كان عملهم المشترك هو الذي سمح بتأسيس

منظمة الصحة العالمية في عام 1948، وإنشاء مجموعة من الأدوية التي تسمى الآن المضادات الحيوية[1].

ومع ذلك فقد استغرق تنظيم وإضفاء الطابع المؤسسي على هذا التفاعل سنوات وعقود، لم تكن هناك وسيلة لنشر المعلومات بسرعة، وكان العالم كله بعيدًا جدًا عن مستوى الاتصالات الحديثة، واليوم أصبحت أكثر ترابطًا، وتعطي التقنيات الرقمية للبشرية فرصًا لا حدود لها تقريبًا للتفاعل دون إضاعة الوقت مكلفًا للغاية، فما هي المخاطر الرئيسية التي يواجهها العالم والدول الفردية؟ وما هي أشكال التعاون في الأمن العالمي المطلوبة؟ الأولى هو التعاون ليس فقط لضمان العالمية الأمن البشري فحسب، بل أيضًا لضمان الأمن البشري المحلي، وكل واحد مهما بدا الأمر مبتذلًا له، فإن الوباء ليس له حدود، ومن المستحيل هزيمته في بلد واحد، حتى مع وجود حدود مغلقة، وإلغاء روابط النقل وغيرها من الاتصالات بين الناس، ففي العصور الوسطى، تم إغلاق المدينة التي استقر فيها الطاعون بالكامل، وكان معظم سكانها محكومين بالموت غير اننا الان نحن نعيش في واقع مختلف جذريًا، لذلك يجب أن تكون الإجابة على جميع مشاكل أزمة الوباء عالمية، وهذا ينطوي على تفاعل مستمر وكامل بين الدول والحكومات والشركات. كما ويجب أن يكون تعاون مفتوح بشكل معقول، فالجميع يتحدث عن هذا والسؤال هو في مقياس الانفتاح وكل بلد وكل شركة يفهمها بشكل مختلف، وبالطبع لأسباب تتعلق بالأمن القومي أو الشركات، وسيبقى الكثير سريًا ولكن في عدد من الحالات سيتعين على الدول التعاون

---

[1] Coronavirus COVID-19 Global Cases by the Center for Systems Science and Engineering (CSSE) at Johns Hopkins University (JHU) [Electronic resource]. – URL:https://www.arcgis.com/apps/opsdashboard/index.html#/bda7594740fd40299423467b48e9ecf6.

المباشر، والذي يمكن أن أسميه "مجبرًا". وعلى سبيل المثال فأن التفاعل الإلزامي خلال حملة التطعيم من COVID-19. عندما تظهر اللقاحات المناسبة، يجب استخدامها في وقت واحد تقريبًا في جميع القارات، بالمقام الأول لأسباب تتعلق بالأمن القومي[1].فمن غير المحتمل أن يرغب أي شخص في أن يكون لديه جار قادر على إلقاء "قنبلة كورونا" في ساحته في أي وقت، أو مسألة العمل البحثي الذي يتم إجراؤه في مختبرات معينة، بما في ذلك تلك التي نشرتها الولايات المتحدة تقريبا في جميع أنحاء العالم يجب ألا تتسبب أنشطتهم في الشك، وإلا مع تفشي جديد لأي عدوى، وسيتم تقديم مطالبات متبادلة لا نهاية لها، وسيتم بناء نظريات المؤامرة، وسيتم فرض عقوبات متقاطعة، وقريبا جدا من الصراع المباشر سيبدأ الجميع بالشك في بعضهم البعض بكل شيء، وسيتم الإعلان عن كل فيروس جديد كسلاح بيولوجي.

هناك حاجة إلى شفافية معقولة والتحقق المستمر ومما لا شك فيه أنه في نهاية الوباء، سيكون من الضروري مراجعة مبادئ التعاون الدولي في مجال البحث البيولوجي، والعمل المقابل ممكن أيضًا في مواقع المنظمات مثل الأمم المتحدة، بما في ذلك معهد منظمة الصحة العالمية التابع لها، وكذلك في الأماكن الإقليمية، مثل منظمة معاهدة الأمن الجماعي ومنظمة شنغهاي للتعاون، والتي تولي اهتمامًا كبيرًا للجوانب المختلفة للأمن، ولقد كان البحث المغلق وسيظل لضمان الأمن القومي، ولصالح الشركات لكننا نحتاج إلى بروتوكولات متفق

---

[1] Health Care Spending in US, Other High-Income Countries [Electronic resource].

– URL: https://www.commonwealthfund.org/publications/journal-article/2018/mar/health-care-spending-united-states-and-other-high-income

عليها من قبل الدول في كيفية التصرف في حالة وجود خطر وبائي[1]، وإبلاغ الشركاء في المجتمع الدولي ومنظمة الصحة العالمية ثم لن تكون هناك مواجهة لا نهاية لها حول من كان المريض صفر سيئ السمعة، ومن أخفى ماذا، وما تم القيام به وما لم يكن.

ومن الواضح أن التحقيقات في أسباب الوباء هي اليوم جزء من السياسات الداخلية لفرادى البلدان، والتي تشكل الأساس للحملات الانتخابية، ونتيجة لذلك تظهر أيضًا الدول "الاستقصائية"، حيث يتم نقل المسؤولية عن الإخفاقات في الاقتصاد ومكافحة فيروسات التاجية على أراضيها، ويشار تريليونات من المطالبات وهذا طريق مسدود لن يساعد أحداً، حتى أثناء الانتخابات، وإن توفير منصة كاملة للتعاون بين الأطباء والعلماء والمختبرات وشركات بأكملها للحصول على نتيجة جماعية هو أكثر إنتاجية بكثير[2]. ففي الواقع سيستغرق تطوير لقاح فعال بحق ومجموعة من الأدوية المضادة للفيروسات الكثير من الوقت ولذا يمكن أن تكون مساهمة كل دولة وعلمائها وشركاتها فريدة حقًا[3]. لذلك ارى انه من الضروري إقامة تفاعل مفتوح وحيوي لجميع البلدان تقريبًا في مجال القوة والعلوم والأعمال التجارية على أساس قانوني دولي

---

[1] Погибшие от коронавируса иранцы не контактировали с людьми из Китая РИА Новости [Электронный ресурс]. – URL: https://ria.ru/20200220/1564988337.html (дата обращения: 20.02.2020).

[2] Коронавирус в Иране: власти расплачиваются за потерю доверия населенияDeutscheWelle [Электронный ресурс]. – URL:https://www.dw.com/ru/коронавирус-в-иране-власти-расплачиваются-за-потерю-доверия-населения/a-52649138. (дата обра-щения: 05.03.2020).

[3] The Travel & Tourism Competitiveness Report 2019. 2019. [Electronic resource]. –URL: https://www.weforum.org/reports/the-travel-tourism-competitiveness-report-2019

حديث في غضون ذلك، فإن التعاون السياسي متخلف بشكل خطير عن حوار الخبراء. ويمكن للسياسيين أن يضيفوا لمصلحتهم فقط التسليم الفوري للمساعدات الإنسانية إلى البلدان الأكثر تضرراً من الوباء، وهو بطبيعة الحال كثير لكنني متأكد من أن تهدئة التناقضات السياسية التي تعيق الحوار الدولي الكامل، على الأقل خلال مكافحة الوباء، سيحفز التعاون بين الدول ويوفر الكثير من الوقت والجهد.

والثاني هو تنسيق جهود المجتمع الدولي في مجال إنفاذ القانون، أي أزمة تثير بنشاط قوى مدمرة ومخاطر المتطرفين باستخدام نقاط الألم للحضارة وخطر الهجمات الإرهابية تزداد مرات عديدةCOVID-19 .لأسباب واضحة فإنه يجبر الدوائر الخاصة على تكثيف عملها [1].أولاً وقبل كل شيء، للحفاظ على الاستقرار داخل بلدانها ولكن بغض النظر عن مدى صعوبة الأمر الآن، فمن المستحيل إضعاف التفاعل العالمي ضد الإرهاب بين الخدمات الخاصة ويثبت وباء الفيروس التاجي بوضوح مدى حساسية العدوى الفورية لملايين البشر للبشرية وهذا بدوره يمكن أن يكون دافعًا لاستخدام تقنيات الإرهاب البيولوجي الخطيرة للغاية[2].وهذا هو السبب في أن تشديد سيطرة الدولة على التقنيات الحيوية والمختبرات الحيوية أمر ضروري، وأيضاً وجوب تعاون الخدمات الخاصة لمنع الهجمات الإرهابية باستخدام العوامل البيولوجية. كما وقد أدى الوباء إلى زيادة في الجرائم الافتراضية، وعندما يستخدم الناس بشكل متزايد الحلول الرقمية في الحياة اليومية، وتتحول الشركات إلى وضع التشغيل عن بعد، مما يوفر الوصول إلى بياناتهم الداخلية، والمحتالين عبر الإنترنت، والمتسللين

---

[1] Рождественская Я. Мировой туризм подрос и оцифровался. Коммерсант [Электронный ресурс]. – URL: https://www.kommersant.ru/doc/3914934. (дата обраще-ния: 17.03.19).

[2] ibid.

والبائعين للمنتجات المقلدة، أصبح من السهل العثور على ضحاياهم، فتستمر الإنترنت في أن تصبح أكثر انفتاحًا، وهذا ينطوي على مخاطر هائلة، مما يجعل شبكة الويب العالمية مجالًا مثاليًا للمجتمعات الإجرامية، وفي الآونة الأخيرة كان من الصعب تخيل أن أكبر الشركات ستتحول تمامًا إلى تنسيق الاجتماعات عبر الإنترنت، على سبيل المثال، باستخدام .Zoom وأي برنامج له خصائصه الخاصة، مما يسمح بحل بعيد عن المشاكل الأخلاقية العالية[1]. كما وبدأت الإنسانية في نقل الجاذبية إلى المجال الرقمي على الأقل خلال فترة الوباء، نحن نتحدث عن كل من مشتريات الأسرة من خلال المتاجر عبر الإنترنت والمعاملات واسعة النطاق التي تتم في شكل رقمي باستخدام طرق الدفع المناسبة، ويُقاس حجم هذه التجارة بمئات المليارات من الدولارات وسوف ينمو بغض النظر عن مسار العدوى وهذه عملية لا رجعة فيها، لكن الجريمة السيبرانية ستكتسب أيضًا زخمًا، مما يخلق مخططات احتيالية جديدة يجب على وكالات إنفاذ القانون الرد عليها بسرعة كبيرة، علاوة على ذلك وبسبب طبيعة المعاملات عبر الحدود ستكون هناك حاجة إلى أشكال جديدة من التعاون بين وكالات إنفاذ القانون في مختلف البلدان وأحدث الوسائل التكنولوجية للكشف عن الجرائم وتحديدها. لذلك يجب العمل بنشاط على تطوير نظام وطني ودولي للأمن السيبراني، بما في ذلك من خلال مجلس الأمن ووكالات إنفاذ القانون ونحث المجتمع الدولي على العمل بشكل أوثق لضمان الأمن العالمي في العالم الرقمي، فلقد حان الوقت لنا جميعا لتبني قوانين جديدة واتفاقيات دولية

---

[1] Dell'Ariccia D., Mauro P., Spilimbergo A., Zettelmeyer J. Economic Policies for the COVID-19 War. [Electronic resource]. – URL: https://blogs.imf.org/2020/04/01/economicpolicies-for-the-covid-19-war.

لمكافحة الإرهاب والجريمة في الفضاء الرقمي[1].ومثل هذا العمل مع انه جار بالفعل ولكن يجب تسريعه.

ثالثا، ضمان الامور المستقرة، وبالتالي آمن نسبي لأداء الاقتصاد العالمي والاقتصادات الوطنية، فلقد خلق وباء COVID-19 تحديات غير مسبوقة للاقتصاد العالمي ولا يوجد بلد واحد لا يشعر بآثار فيروس كورونا، وبعض الدول تتخلف بالفعل عن الوفاء بالتزاماتها وتفلس الشركات الكبيرة متعددة الجنسيات وفقًا لصندوق النقد الدولي، ففي عام 2020، بسبب الأزمة، قد يواجه الاقتصاد العالمي ركودًا يصل إلى 3٪ مقارنة بعام 2019م، وهذا هو أقصى انخفاض بالناتج المحلي الإجمالي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية[2].وللمقارنة خلال الأزمة المالية والاقتصادية العالمية الأخيرة في 2009-2008م كان الانخفاض السنوي الأقصى 0.1 ٪ فقط[3]. وكانت السمة الأساسية لعصرنا أن المنطق الاقتصادي تبين أنه تابع للطب وأصبح اختيار السياسة الاقتصادية، في الواقع، خيارًا بين النمو الاقتصادي والحفاظ على حياة الناس، والذي تحدده التقاليد ومستوى الثقة في كل مجتمع، ومع ذلك

---

[1] Хоссейни К. Коронавирус в Иране: что рассказывают врачи и что скрывают власти BBC [Электронный ресурс]. – URL: https://www.bbc.com/russian/features-51985809 (дата обращения: 22.02.2020).

[2] Главное таможенное управление КНР (GACC) [Электронный ресурс]. URL: http://www.customs.gov.cn/. (дата обращения: 07.03.2020

[3] Coronavirus: a warning to Latin America and the Caribbean to dramatically increase COVID-19 [Electronic resource]. – URL: https://theconversation.com/coronavirus-awarning-to-latin-america-and-the-caribbean-to-dramatically-increase-covid-19-testing-135759 (accessed: 08.04.2020)

فإن التدهور الاقتصادي المطول محفوف أيضًا بالإصابات البشرية[1]. فماذا يعني ذلك من حيث التحديات التي تواجه الاقتصاد؟ على المدى القصير على الأقل، سيتوقف الناتج المحلي الإجمالي عن كونه معيارًا بالغ الأهمية لتقييم ديناميكيات التنمية، علاوة على ذلك لا تكمن المشكلة في حجم الركود بقدر ما تكمن في مدته مع الانخفاض العميق، ولكن قصير الأجل، فإن الانتعاش أمر طبيعي مع النمو اللاحق، والذي قد لا يتطلب حتى الاستثمار، والأخطر هنا هو الركود الطويل الذي يثير تدمير البنية التحتية وتدهور جميع مستويات الحياة البشرية[2].

وهناك صدمة ثالثة مرتبطة بانخفاض الطلب الأجنبي على مجموعة واسعة من السلع المحلية بسبب التباطؤ في الاقتصاد العالمي ولوحظت حالة مماثلة في 2008-2009م خلال الأزمة المالية والاقتصادية العالمية، واليوم يرجع الانخفاض في التجارة والطلب في العالم إلى حد كبير إلى الإجراءات التقييدية والانقطاع المؤقت للعلاقات الاقتصادية واللوجستية، لذلك قد تكون مدة هذا الانخفاض محدودة بمدة إجراءات الحجر الصحي الصارمة، وبعد ذلك سوف يتعافى الطلب، ولكن هنا يوجد خطر تفشي وباء جديد يمكن أن يلحق ضربة قاصمة بالاقتصاد العالمي، لا يمكن مقارنته إلا بالحروب العالمية. وهنا نرى ان سرعة الانتعاش تعتمد في الطلب أيضًا على حالة الاقتصاد العالمي قبل الصدمة ففي 2007-2008م كانت "محمومة" إلى حد كبير بعد عقد من النمو السريع وحتى الآن نمت ببطء شديد، لذلك إذا تراجع الوباء تدريجيًا، فمن غير المرجح أن يزداد عمق الركود بعد الجولة الأولى من القيود على ممارسة الأعمال التجارية، ويمكن أن تصبح العودة اللاحقة إلى مستوى الطلب "الطبيعي" سريعًا جدًا، ومع ذلك من غير المرجح أن يتجاوز توسعها حجم الطلب والتجارة على

---

(1) ibid.

(2) Главное таможенное управление КНР, op, cit.

مستوى ما قبل الأزمة, .قد يثير الوضع غير المواتي الحالي أزمة مالية جديدة في بلد أو عدة بلدان وهذا بدوره سيضع ضغطًا على الأسواق المالية وأسواق العملات، وسيتسبب أيضًا في انخفاض إضافي في الطلب على الصادرات ويزداد احتمال حدوث مثل هذه الصدمة بمرور الوقت، وفي عام 2021 سيكون الخطر أعلى مما كان عليه في عام 2020م فلذا يجب أن نكون مستعدين لهذا[1].

لقد ثبت للعالم ان عامل الوباء يعقد بشكل كبير التنبؤ أية عمليات اقتصادية لذا سأذكر الآن بعض المبادئ من السياسة الاجتماعية والاقتصادية في المرحلة الأولى- انفتاح الاقتصاد أولاً، عب الإزالة التدريجية لجميع القيود، والدليل الذي يتمثل في الاستعداد والمعدات الطبية لمكافحة الوباء، وثانياً، دعم الناس، الذي ينبغي أن يشمل، في جملة أمور الموظفين وأصحاب المشاريع الفردية وهذا يعني الحاجة إلى إصلاح تشريعات العمل، بما في ذلك مؤسسة العمل عن بعد، وثالثًا، يهدف العمل إلى تحفيز العرض، من خلال وقبل كل شيء، تقليل التكاليف التي تواجهها الشركات فيما يتعلق بممارسة الأعمال التجارية فقد تحتاج الشركات الصغيرة إلى تدابير دعم إضافية في وقت إزالة الحجر الصحي، ورابعاً، زيادة تبسيط أنشطة الرقابة والإشراف، وخامسا، أقصى قدر ممكن من الحفاظ على التزامات الميزانية في الوضع الحالي، بما في ذلك الاستثمار[2]. وعبر ذلك كله ينبغي أن يكون نطاق تدابير الدعم الحكومي قابلاً

---

[1] Covid-19: After a lost quarter, 75% of the Chinese economy is back. [Electronicresource]. – URL: https://www.eulerhermes.com/en_global/economic-research/news/covid-19-after-a-lost-quarter-75-percent-of-the-chinese-economy-is-back.html.

[2] .Trade and development report update. Global trade impact of the coronavirusn (COVID-19) epidemic. - UNCTAD, 4 march 2020. [Electronic resource]. – URL:https://unctad.org/en/PublicationsLibrary/ditcinf2020d1.

للمقارنة قدر الإمكان مع حجم الخسائر الاقتصادية ورفاهية المواطنين ولكن من الواضح أن الحياة ستكون أكثر صعوبة وستقوم بالتصحيحات الحتمية حتى في المرحلة الأولى من التغلب على الأزمة[1]

وبالتركيز على الاستجابة للوباء والأزمة الاقتصادية ذات الصلة، ومن المهم عدم إغفال التحديات الحالية والتحديات طويلة المدى، وقد حظي عدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ في الاقتصاد العالمي الذي لوحظ في السنوات الأخيرة بأعلى تجسيد، فنحن نشهد تشكيل مؤسسات وآليات جديدة للحياة الاجتماعية والاقتصادية، تقوم على أحدث الحلول التكنولوجية. كما يجب أن يبدأ تحليل مفصل للقرارات المتعلقة بإنشاء مؤسسات جديدة لمكافحة الأزمات والتعرف على المؤسسات ذات الطبيعة قصيرة المدى، ومن ثم يُنصح بالتخلي عنها، وادراك ما هو الاختراق في المستقبل. وسيصبح "الرقم" بلا شك أهم عامل في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عالم ما بعد الوباء، ولكن من الأهمية بمكان أن نميز بشكل واضح بين الفوائد التي تعطيها الرقمنة وخطر ظهور "الأخ الأكبر الرقمي"، وهو تقييد حقوق الإنسان والحريات الأساسية، لا يمكن شراء الكفاءة الاقتصادية الناتجة عن الرقمنة على حساب "الشمولية الرقمية."[2]. ولذلك لابد من تنظيم الإنتاج في الظروف الجديدة فيجب مراجعة العديد من معايير الأعمال مع مراعاة المخاطر الوبائية، والتي من

---

(1) Китайский коронавирус против мировой экономики. Разразится ли глобаль-ный кризис? [Электронный ресурс]. – URL: https://www.bbc.com/russian/features-51330371.(дата обращения: 04.02.2020)

(2) В США предложили снизить мировую добычу нефти на 20 млн барр. [Электрон-ный ресурс]. – URL: https://www.rbc.ru/economics/08/04/2020/5e8e01629a79473da0d288a3. (дата обращения: 08.04.2020)

المرجح أن تزيد التكاليف في الاقتصاد، وفي الوقت ذاته يمكن للتقنيات الرقمية أن تعوض هذه التكاليف ولكن هذا سوف يستلزم تطوير حلول هيكلية ومؤسسية جديدة، وان "المقصلة التنظيمية" في هذه الظروف لا تذهب إلى المحيط بل على العكس، تزداد أهميتها بشكل كبير وبالفعل فإن "الرقم" لا يسمح فقط بل يتطلب أيضًا رفضًا حاسمًا لأشكال النمو والإشراف الاجتماعية والاقتصادية المتقادمة[1].

لقد قدم الوباء متطلبات جديدة لعمل القطاعات التي تحدد بشكل مباشر الظروف المعيشية للشخص كالتعليم والرعاية الصحية، ظروف العمل والراحة، ونظام التحفيز، والعديد من الآخرين ومن الضروري فهم دور "شخصية" على المدى الطويل في جميع هذه المجالات، بحيث تزيد جودة عملهم بشكل ملحوظ ففي الواقع، إن رأس المال البشري في القرن الواحد والعشرين هو العامل الرئيسي في المنافسة، وعلينا أن نفهم بوضوح أن التعاون العالمي، الذي شدد الوباء على الحاجة إليه مرة أخرى، لا يقضي على المنافسة العالمية[2]. ومع ذلك فإن المنافسة لا تلغي الحاجة إلى التعاون الاقتصادي الدولي، الذي تزداد أهميته بشكل ملحوظ تواجه العديد من البلدان مشاكل تمويل التزاماتها الاجتماعية ومدفوعات الديون، ويجب أن تكون الدول المتقدمة مستعدة لتقديم الدعم من أجل ضمان الاستقرار الاجتماعي والمالي والاقتصادي العالمي، ولقد أظهرت الأشهر الماضية استعداد مختلف البلدان والمنظمات الدولية للتعاون والتفاعل في مواجهة التحديات، وقد تعهدت المنظمات الدولية بالتزامات مالية كبيرة لمكافحة الوباء. وعلى الرغم من أن فرض مختلف البلدان

---

[1] Котировки нефти Brent (13 января 2020 г. – 10 апреля 2020 г.). РБК. [Элек-тронный ресурс]. – URL: https://quote.rbc.ru/ticker/181206?utm_source=rbc_material. (дата.

[2] Китайский коронавирус против мировой экономики, op, cit.

للعالم تدابير تقييدية في التجارة في السلع والخدمات قد قوض عمل النظام التجاري الدولي وسلاسل القيمة، وفقا لاتفاقات مجموعة العشرين ومنظمة التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ، وتوصيات منظمة التجارة العالمية ومنظمة الصحة العالمية، فإن التدابير التجارية التقييدية المتخذة لمكافحة آثار الوباء ينبغي أن تكون كافية وأن تكون مؤقتة، وقد كان للوباء تأثير أيضًا على تشكيل الاتفاقيات التجارية فتم تأجيل تنفيذ الاتفاقية الخاصة بمنطقة التجارة الحرة القارية الأفريقية، وتم تعليق المفاوضات بشأن اتفاقية التجارة الحرة بين الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة مؤقتًا والمرحلة الأولى من صفقة تجارية بين الولايات المتحدة والصين على المحك[1].

وأخيرًا، ربما الأكثر إلحاحًا، وبالتالي الأكثر أهمية بالإضافة إلى الانتعاش الاقتصادي، ستكون أكبر الصعوبات التي تواجه السلطات تتعلق بتنظيم الحياة الحالية للشخص وسلامته، والدول التي تقوم بالحجر التدريجي تدريجيًا قلقة حقًا بشأن الكيفية التي سيؤثر بها الفيروس التاجي على حياة المدن الكبيرة، وقبل المديرين من مستويات مختلفة، تثور أسئلة لم يكن من الممكن التفكير فيها في الماضي القريب بكيف يمكن للناس، في وجود فيروس شديد العدوى، أن يتنقلوا بأمان وحرية، وأن يذهبوا إلى العمل ويذهبوا للتسوق؟ هل أحتاج إلى المطالبة بالمسافة الاجتماعية، وارتداء الأقنعة؟ في الواقع، كل هذه التدابير، لنكون صادقين، تجلب الكثير من الإزعاج لحياتنا لذا تعتزم بعض البلدان بالفعل اتخاذ مسار صعب للغاية وإدخال ما يسمى "جوازات السفر الصحية"، والتي ستسمح بالكشف في الوقت المناسب عن السياح والضيوف المصابين، وإن رغبة السلطات في الموافقة أو الحفاظ على قواعد معينة للعلاقات

---

[1] World Economic Prospects March 2020 2nd Update. [Electronic resource].URL:https://resources.oxfordeconomics.com/hubfs/WEP/WEPM%20March%202020%20Word-forecast%20update%202.pdf

الاجتماعية الجديدة بين الناس أمر مفهوم تمامًا فالمواجهة الطويلة مع الفيروس والنصر البطيء عليه يأتيان باهظ الثمن، ومع ذلك فمن المهم إيجاد توازن بين مصالح الدولة والفرد وحقوقه المدنية، والاعتماد بشكل صحيح على تجربة البلدان الأخرى إذا كان قد أثبت نفسه بشكل إيجابي حتى في المراحل الأولى من التنفيذ. وأعتقد أن لربما تتمكن الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية من توفير منبرًا للمناقشة من قبل كبار الخبراء حول التدابير التي ستضمن حياة آمنة للناس وفي نفس الوقت تمنع انفجار السخط الاجتماعي. وإن عدوى الفيروس التاجي التي واجهناها فريدة من نوعها، لأنها أثرت بشكل مباشر على جميع مجالات حياتنا[1]. وفي هذه الفترة الصعبة، الشفافية هي الشرط الرئيسي للبقاء، ومن الضروري تبادل المعلومات والمهارات العلمية والعملية والحلول التكنولوجية المختلفة، فينبغي للدول والشعوب أن تتضافر جهودها وأن تقدم بعضها البعض الدعم والمساعدة المتبادلين بنفس النشاط الذي تتطلبه الحالة، ومن مصلحتنا المشتركة أن نترك الخلافات والتناقضات غير الضرورية في أسرع وقت ممكن، لذلك فإن التعاون الأقرب فقط هو الذي سيسمح لنا بهزيمة الفيروس، الذي لم يذهب إلى أي مكان ولا يزال العدو المشترك للبشرية جمعاء.

2. فيروس كورونا كعامل في السياسة العالمية

يمكن مقارنة عالمنا بجسر بدأ في التأرجح حتى قبل أن يدخله الجنود بخطوة مسيرة - فيروسCOVID-19 ، الذي أدى فقط إلى زيادة الصدى،

---

(1) Coronavirus: The world economy at risk. [Electronic resource]. – URL:https://www.oecd-ilibrary.org/docserver/7969896b-en.pdf?expires=1586370466&id=id&accname=guest&checksum=036974A9C88260FF27871E08670696C0 COVID-19: Quarantined economics [Electronic resource]. – URL:https//www.eulerhermes.com/en_global/economicresearch/insights/covid-19-quarantinedeconomics.html

قدمت الحالة في الأشهر الأولى من عام 2020، حتى قبل الوباء، صورة مقلقة، وكان من المتوقع بالفعل حدوث تباطؤ في نمو الاقتصاد العالمي وجميع "محركاته الوطنية" الرئيسية، وانهارت اتفاقيات أوبك، وغادرت المملكة المتحدة الاتحاد الأوروبي، ووصلت إجراءات عزل الرئيس ترامب إلى ذروتها، وفي عام 2019، انسحبت الولايات المتحدة من معاهدة القوات النووية متوسطة المدى، في السنوات الأخيرة، تزايدت ضغوط العقوبات والحرب التجارية بين واشنطن وبكين، وكانت العسكرة تكتسب زخما في كل مكان فتفاقم الوضع بعد انسحاب الولايات المتحدة من "الاتفاق النووي" مع إيران عام 2018م كما واستمرت الأعمال العدائية في العديد من البلدان والمناطق، لكن اللوحة متعددة الأوجه للحياة الدولية بدأت تطغى على وباء فيروس كورونا، الذي تحول إلى مرض عالمي ونتيجة لتداخل العديد من العوامل السلبية يجد العالم نفسه في وضع قريب من "العاصفة الكاملة" وآخر مرة أعلنت فيها منظمة الصحة العالمية (WHO) جائحة كانت في عام 2009 ("أنفلونزا الخنازير")، وأكثر من مرة في العقود الأخيرة وحتى خلال حياة الأجيال الحالية في تاريخ القرن العشرين ناهيك عن الفترات السابقة، كانت هناك أمثلة عديدة لأوبئة مختلفة، أكثر فظاعة وفتكا حصدت العديد منهم أرواح عشرات الملايين من الناس، مثل "الإنفلونزا الإسبانية" منذ مائة عام، ومع ذلك كان هذا في الماضي ولم يؤثر على غالبية من يعيشون اليوم لذلك فإن ما يحدث الآن مخيف للكثيرين ولا يمكن مقارنته.

تحافظ "الذاكرة الحية" على ذكريات مثل هذه الآفات المكتشفة منذ وقت ليس ببعيد، مثل الإيدز أو الإيبولا، والتي، مثل العديد من الأمثلة الأخرى، لم يتم هزيمتها بعد لكن الأطباء كانوا قادرين على توطين هذه الأمراض وغيرها، وتعلموا إبقائها ضمن حدود معينة، أو ببساطة اعتاد الناس على وجودهم، ولا ننسى أنه بحلول عام 2019، مات أكثر من 30 مليون شخص بسبب متلازمة نقص المناعة المكتسب، ومع ذلك حطمت مجموعة

متنوعة من فيروس كورونا الجديد جميع الأرقام القياسية المحزنة في تأثيرها على العالم والنقطة هنا ليست في ضراوتها، أو العدوى، أو غيرها من الكلمات المخادعة للشخص العادي، والتي يتلاعب بها الآن الملايين من الناس وبالإضافة إلى خطورة الفيروس، وخاصة بالنسبة لفئات معينة من السكان، هناك مؤشرين رئيسيين:

أدى عدم وجود علاج إلى حقيقة أن الطرق الرئيسية لمكافحة انتشار المرض كانت الحجر الصحي الجماعي والعزل الذاتي العام، والتي وصلت أبعادها إلى أبعاد لا تصدق، والعالم العالمي لم يشهد مطلقًا مثل هذا التقييد في حرية التنقل، ولم تشعر الإنسانية أبدًا بأي شيء مماثل حتى أمثلة الحروب العالمية ليست مناسبة هنا، لأنه خلال هذه الحروب، ولأسباب واضحة، كان الملايين من الناس، العسكريين والمدنيين يتنقلون بنشاط، كما كانت الأزمة الكوبية عام 1962م واحدة من أقوى حالات الذعر في العالم ولكن نتيجتها الغريبة كانت زيادة تدفق الناس، على سبيل المثال، عندما اندفع ملايين الأمريكيين لمغادرة المدن الكبرى التي يمكن أن تصبح أهدافًا في الصراع النووي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية[1].

ان الجدل حول أصول الفيروس له نفس التأثير المؤلم على العقلية الشعبية، بهل هو طبيعي أم اصطناعي؟ إذا كان هذا الأخير، فهل تحرر بالصدفة أو نتيجة عمل متعمد؟ وتنويعًا في السؤال الأخير - هل الفيروس من أصل صيني أم أنه جاء إلى المملكة الوسطى من الخارج؟ إن التواجد في مدينة

---

(1) Subran L., Garatti A., Boata A., Stamper M., Dib G., Huang F., Krizan P. Emerging markets: how to fight COVID-19 without 'Whatever it takes'.[Electronicresource].URL:https://www.eulerhermes.com/content/dam/onemarketing/ehndbx/eulerhermes_com/en_gl/erd/publications/the-watch/20200402_EMWallAhead.pdf

ووهان الصينية المركز الأصلي لـCOVID-19 ، وهو مختبر بيولوجي من الدرجة الرابعة، أعلى مستوى من الحماية، وأكبر مركز لتخزين الفيروسات في آسيا، ووهان، يثير حتمًا الإصدارات والتكهنات، بالإضافة إلى حقيقة أنه في أكتوبر 2019، أقيمت الألعاب العسكرية العالمية فيها، وشارك فيها، من بين أمور أخرى، وفد كبير من الرياضيين الأمريكيين، فالولايات المتحدة والصين، على المستوى شبه الرسمي، قد تورطتبالفعل في نزاع متبادل حول أي من البلدين "الصبر صفر". ومع ذلك فإن الاهتمام الحقيقي هو شيء آخر فالطبيعة الشاملة للحدث، واستجابات الدول له وتأثير الوباء على العلاقات الدولية، أصبحت الطبيعة العالمية للوباء مجرد تأكيد لطبيعة العولمة الشاملة، والتي بدونها لن يكون هناك انتشار فوري للمرض، وكذلك رد الفعل اللاحق له، بإن قدرة غالبية سكان العالم على الوصول إلى الجانب الآخر، إذا رغبت في ذلك، ضاعت تمامًا فجأة[1]. ولقد فقد الناس ما يعتبرونه منذ زمن طويل أمرا مفروغا منه. الان يتم التأكيد على الوباء أيضًا من خلال تأثير وسائل الإعلام العالمية والشبكات الاجتماعية، والتي بفضلها يمكن رؤية أصغر التفاصيل في أي جزء من الكوكب، كما لو كان من خلال مجهر، كما لو كان من خلال تلسكوب لرؤية ما يحدث حتى على مسافة بعيدة[2]. وشيء مشابه لما حدث الآن مع حرية التنقل حدث في وقت ما بقيمة الحياة السلمية، بعد أن اعتادت عدة أجيال ما بعد الحرب، وخاصة في أوروبا، على الأمن وغياب الحرب، نتيجة لذلك تلاشى الخوف من احتمال اندلاع "حرب كبيرة" جديدة أو اختفى تماما، وبدأت بنية

---

(1) Service sector activity falls at weaker pace in March [Electronic resource].URL:https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/08b04f5f71e7478c8a3ca6e1e82fa17b (accessed: 03.04.2020).

(2) ibid.

الاستقرار العالمي وأنظمة الحد من التسلح في الانهيار[1]. واختفت الحركات المناهضة للحرب تقريبًا، فيتم إعادة توجيه ثقافة تمرد الشباب إلى قناة "خضراء" ومناخية، كما وإن التعود على وقت السلم كأمر مسلم به يمكن أن يلعب مزحة قاسية، ويقلل من "الحصانة" ضد العنف، ويثير عسكرة جديدة في التفكير وقطاع الأمن بأكمله، وهو ما يحدث بالفعل، أما بالنسبة للوباء الحالي، فهو يدل على الضعف، إن لم يكن وهم حرية التنقل كأمر مسلم به، وبعد أن اعتاد الناس عليها، لم يكونوا مستعدين للآثار الجانبية لهذه الحرية[2]. والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان الإدراك سيأتي أن حرية العيش في عالم خالٍ من الحروب الكبرى وحرية التنقل، مثل جميع الحريات الأخرى، ليست مطلقة وليست مضمونة لنا منذ الولادة، ولكنها مشروطة بسلوك وأفعال كل جيل جديد من الناس. كما وتؤدي القيود المفروضة على حرية التنقل على مستوى مختلف داخل دولة واحدة إلى تفاقم مشكلة العلاقات بين الدولة والفرد والحريات المدنية، واتضح أنه بغض النظر عن النظام السياسي، من الممكن مكافحة المصائب العالمية بشكل فعال، وفي هذه الحالة فقط من خلال الاعتماد على مؤسسة الدولة القومية [3]. وبشكل أكثر دقة، باستخدام الحق في الإكراه وحتى العنف المنسوب إليها وإن الجانب المشرق، إذا جاز التعبير، للتحدي العالمي لفيروس كورونا يجبر الدول نفسها على العمل معًا وتعزيزها ويحدث الشيء نفسه في حالة مكافحة الإرهاب الدولي أو الجريمة العابرة للحدود.

---

(1) Subran L., Garatti A., Boata A., op, cit.

(2) Lemerle M., Livinec M., Hillenbrand-Saponar C., Duthoit A. No stone unturned: How Covid-19 is disrupting every industry [Electronic resource]. – URL: https://www.eulerhermes.com/en_global/economic-research/insights/no-stone-unturned-howcovid19-is-disrupting-every-industry.html

(3) ibid.

3. الوباء ودور الدولة القومية

لقد اثبتت الدولة القومية مرة أخرى في التاريخ في غياب منافس جاد آخر، دورها كعنصر رئيسي في نظام الحكم العالمي وفي نفس الوقت تحصل على فرصة لإثبات قدرتها على أدائه من أجل الصالح العام، فتجري إعادة تأميم جديدة للدول بما يوفر التاريخ فرصة في ظروف المحنة العامة ليس للحصول على حلقة مفرغة، بل حلقة مفيدة، عندما يكون من الضروري، من أجل حل مشكلة عالمية، إقامة تفاعل وثيق لمؤسسة الدولة الوطنية مع الجمعيات بين الدول والعابرة للحدود، وعدم معارضة بعضها البعض، وإن الركائز المشتركة بين الدول والأركان فوق الوطنية للحوكمة العالمية تعزز بعضها البعض فقط[1]. ووفقًا لهذا المنطق، تحركت الدول الرائدة في العالم في بداية الركود العظيم، عندما عقدت قمة مجموعة العشرين في عام 2008 لأول مرة والآن ينصب الكثير من الاهتمام على هذه المنظمة، وبطبيعة الحال عندما تضعف مأساة الوباء، ستتحمل العديد من الدول شعوبها بسبب الإخفاق في مكافحة الوباء، وذلك في المقام الأول بسبب عدم كفاية العديد من النظم الصحية، ولكن مرة أخرى سيتم حل هذه المشكلات على المستوى الوطني بالتنسيق بين مختلف الهياكل الدولية[2]. بدءًا من منظمة الصحة العالمية، والتي كما نلاحظ تلعب دورًا كبيرًا في الوقاية من العديد من الأمراض ومكافحتها ومكانتها بصفتها وكالة متخصصة تابعة للأمم المتحدة، ويؤكد فقط مدى أهمية حتمية التفاعل الوثيق بين الدول الوطنية

---

[1] Соловьева О. Китай и Индия оставляют мир без лекарств. Независимая газе-та. [Электронный ресурс]. – URL: http://www.ng.ru/economics/2020-03-10/1_7813_medicines.html. (дата обращения: 10.03.2020).

[2] ibid.

والمنظمات الدولية في حل المشكلات العالمية[1]. ولكن هناك أيضًا نتيجة ثانوية لحشد موارد الدولة لمواجهة هذه الأزمة أو تلك، وفي مثل هذه الفترات، تلجأ الدولة إلى أدوات إكراه إضافية، وعندما تمر الأزمة، فإنها ليست في عجلة من أمرها للتخلي عنها، إذن مكافحة الإرهاب الدولي في بداية القرن الحادي والعشرين مما أدى إلى زيادة غير مسبوقة في سلطات الفرع التنفيذي للحكومة وأجهزة المخابرات في معظم البلدان، بما في ذلك في مجال التنصت والمراقبة الجماعية. المشكلة ليست أن الحريات المدنية تعاني في ظروف قاهرة وبحلول عام 2020، انخفض خطر الإرهاب الدولي بشكل كبير، لكن السلطات الخاصة للخدمات الخاصة تم الحفاظ عليها بالكامل تقريبًا[2]. وقد أثبتت ممارسات العديد من الدول أنه يمكن استخدام مواجهة تهديد عالمي أو آخر لتحقيق أهداف أخرى فكان الهجوم على العراق عام 2003 ذريعة وجود أسلحة دمار شامل أو على ليبيا عام 2011 الذريعة إغلاق سماء البلاد لحماية السكان المدنيين كتأكيد واضح على ذلك، وفي الغرب لا يزال مؤيدو "التدخلات العسكرية الإنسانية" يأسفون لأن الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهم لم يستخدموا القوة العسكرية ضد سوريا في عام 2013. وذلك من الصعب القول كيف سيتم إلغاء الإجراءات القاسية لتقييد الحريات المدنية، المبررة بظروف استثنائية، بعد الانتصار على الوباء، ما إذا كانت الحاجة لمكافحته ستستخدم لحل بعض المشاكل السياسية الداخلية، لإدخال تقنيات جديدة للتعرف على الوجوه، وتحديد الموقع الجغرافي للهواتف المحمولة بشكل مستمر لمصلحة جهاز الدولة

---

(1) Индекс IHS Markit PMI Сферы услуг России. Активность сокращается са-мыми быстрыми темпами с февраля 2009 года на фоне воздействия коронавируса.[Электронный ресурс]. – URL: https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/39c9a5fc73c543b690f044e32b06ade9.

(2) Соловьева О, op, cit.

للإكراه. وبالنسبة لأوروبا بشكل عام وللاتحاد الأوروبي بشكل خاص، فإن مشكلة حرية التنقل لها عنصر هجرة ملح فتم فرض الوباء على تفاقم جديد للعلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي في أوائل مارس، مما أدى إلى استئناف تدفق الهجرة غير المنضبطة، ولا سيما على الحدود التركية البلغارية والتركية اليونانية، وماذا سيحدث لتدفقات المهاجرين إلى أوروبا من إفريقيا والشرق الأدنى والشرق الأوسط، إذا ظهرت مراكز العدوى الجماعية في بلدانهم الأصلية، في أماكن تجمع أعداد كبيرة من الأشخاص الذين غادروا بلدانهم بالفعل، ففي مخيمات اللاجئين على أراضي الاتحاد الأوروبي؟ لا يستحق الأمل ألا يحدث هذا[1]. نظرًا لعوامل الاكتظاظ في نفس مخيمات اللاجئين، والمعايير الصحية المتفرقة والخدمات الطبية، وفي هذه الحالة ستتلقى القوى السياسية اليمينية المتطرفة نفسًا جديدًا وستزداد كراهية الأجانب والعنصرية. كما ويمكن توقع أن الوباء لن يؤدي إلا إلى تفاقم، في أحسن الأحوال، الإبقاء على الخلافات في الاتحاد الأوروبي بين الدول الأعضاء حول استقبال ووضع المهاجرين واللاجئين في إقليم الرابطة، ومن المؤكد أن ضربة ستوجه على مبدأ حرية التنقل داخل الاتحاد، وقد يظل عدد من القيود عليها بعد انتهاء الأزمة، وفي أوقات التحديات التي يتعرض لها الأمن القومي، عادة ما يلتف السكان حول قيادة البلاد، لكن بعد الانتصار علىCOVID-19 ، لا مفر من زيادة شعبية "الشعبويين الجدد" والأحزاب غير النظامية، والتي ستصبح لسان حال

---

(1) IHS Markit Dienstleintungsindex Duetschland. COVID-19-Pandemie sorgtf ▪ beispiellosen Wachstumseinbruch im Dienstleistungssektor [Electronic resource]. – URL: https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/1a7837eab946470295937b81e68b55b6

المواطنين الغاضبين من عجز من هم في السلطة عن منع تطور الأحداث وفقًا لمثل هذا السيناريو الدراماتيكي.

4. الوباء وسباق الأسبقية وحرب المعلومات

يتمتع الوباء بكل فرصة لاكتساب بُعد أيديولوجي واضح وتقييد واسع النطاق لحرية الحركة كضربة لإحدى قيم البنية الديمقراطية للمجتمع والعولمة ككل، وبالطبع ستتم استعادة هذه الحرية إلى حد كبير في المستقبل القريب، لكن صورة العولمة ستزداد سوءًا، وبالإضافة إلى ذلك، ستعاني سمعة العديد من الدول ذات الديمقراطيات التمثيلية والأحزاب الحاكمة هناك، بما في ذلك إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها وسوف تشتد الخلافات ليس حول قيم بعض الأنظمة السياسية، ولكن حول فعاليتها، والقدرة على ضمان قيمة الحياة نفسها، والاجتماعية و الحقوق الاقتصادية[1].ومن الواضح بالفعل أن العديد من البلدان ستدخل في حالة ركود، وسيكون حجمه قابلاً للمقارنة أو يتجاوز أزمة 2008-2009، وان عشرات الآلاف من الشركات، الشركات الصغيرة والمتوسطة في المقام الأول، ستفلس، وسترتفع معدلات البطالة بشكل كبير، وسيزداد التفاوت الاجتماعي أكثر، فقد تكون البلدان الأكثر تضررًا هي الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة[2]. حيث توجد البؤر الرئيسية للوباء في أوائل أبريل فأعلن الأمين العام للأمم المتحدة أ. جوتيريس أنه من أجل مكافحة عواقب الوباء، سيكون من الضروري إنفاق حوالي 10٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وان العديد من التناقضات بين الدول والتناقضات الاجتماعية التي كانت موجودة قبل "المريض صفر" ستشتد، وأثناء التنقل،

---

(1) world countries move from COVID-19 readiness to response as many confirm cases. [Electronic resource]. – URL: https://www.afro.who.int/health-topics/coronavirus-covid-19107.

(2) ibid.

سيتعين عليك مراجعة بعض الاستراتيجيات، على سبيل المثال، "الصفقة الخضراء" للاتحاد الأوروبي، والتي من غير المرجح الآن العثور على مبالغ ضخمة لتنفيذها[1] يخلق خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي فجوة كبيرة في ميزانية الاتحاد الأوروبي، ولم يعرف أحد كيف يصلحها حتى قبل ذلك، والآن حجمه سوف ينمو بشكل كبير وبشكل عام لن تعود العولمة، كما تعترف الأصوات الرصينة، إلى الوراء، ولكن ديناميكاتها وبنيتها الداخلية سيتم تعديلها، ومع انحسار الوباء، سيكون هناك "انتعاش" وسيبدأ الاقتصاد العالمي في اكتساب الزخم، على الرغم من أن التعافي قد يستغرق أكثر من عام، والسؤال هو إلى أي مدى، نتيجة لاستعادة العدالة الاجتماعية هذه، سيصبح العالم أكثر أو أقل، إلى أي مدى سيجبر الوعي بالطبيعة العالمية للعديد من المخاطر الدول على التعاون، وسوف يكتسب الاقتصاد العالمي زخمًا، على الرغم من أن الانتعاش قد يستغرق أكثر من عام، وهنا السؤال هو إلى أي مدى، نتيجة لاستعادة العدالة الاجتماعية هذه، سيصبح العالم أكثر أو أقل، إلى أي مدى سيجبر الوعي بالطبيعة العالمية للعديد من المخاطر الدول على التعاون؟ ولقد بدأ بالفعل السباق على الصدارة في الحرب ضد الفيروس، ما الخسائر أو المكاسب التي ستخرجها دول مختلفة من هذه الأزمة، فلا يوجد سبب للاعتقاد بأن التعبئة العالمية لمكافحة COVID-19 ستساعد في الحد من الصراع السابق للوباء بين الدول، وبالإضافة إلى التوقعات الاقتصادية المهددة، التي لا يوجد نقص فيها الآن، تتزايد المخاطر الجيوسياسية بسرعة، ستمهد الأزمة الناجمة عن

---

[1] Global manufacturing downturn continues in March [Electronic resource]. – URL: https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/032f46ca31f74c98a40f817f55b2fc1b (accessed: 01.04.2020).

COVID-19الطريق لتجديد الصراع بين الغرب والقوى التنقيحية الأربع: الصين وروسيا وإيران وكوريا الشمالية[1]. وان اجتماعات قمتي الاتحاد الأوروبي في فبراير ومارس 2020، المخصصة لميزانية الاتحاد الأوروبي المقبلة للفترة 2021-2027، على التوالي لم تؤدي لا هي ولا الإجراءات المالية والاقتصادية لمكافحة الفيروس إلى نتائج ملموسة، وعلى الرغم من الوضع اليائس في إيطاليا وإسبانيا ودعوات روما ومدريد وعواصم وطنية أخرى للحصول على مساعدة مالية من الاتحاد الأوروبي.

[1] IHS Markit Brazil Services PMI. Survey-record decline in business activity during March [Electronic resource]. – URL: https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/bf155c98356447c9887fcd9fa064ca08108.

5. جولة وبائية جديدة من التنافس

علينا أن نعترف بأن الأزمة التي سببها الوباء لا تؤدي فقط إلى توقعات مدروسة ومثيرة للاهتمام من الخبراء، بما في ذلك الشؤون الدولية، ولكنها تؤدي إلى تفاقم الخلافات الأيديولوجية ومواجهة المعلومات، وعلى ما يبدو فإن المحنة الشائعة لن تؤدي إلى تليين الاختلافات الجيوسياسية، بل ستؤدي إلى تفاقمها وان العديد من البلدان باتت في موقف ضعيف، وتتجه أعينها إلى القادة السياسيين. وهناك حاجة إلى الاتحاد الأوروبي أكثر من أي وقت مضى، لكن ليس لديه دفة وأشرعة، فهناك دعوات متزايدة لتحويل مكافحة الوباء إلى أداة لتعزيز الدور العالمي للاتحاد الأوروبي. كما وكان قد اتضح أن الصين ليست "رجل آسيا المريض"، كما ورد في الصحافة الغربية باستخفاف في الأول من فبراير، وبعد ذلك بدأ موضوع المواجهة بين "الديمقراطيات الليبرالية" و "الأنظمة الاستبدادية" يتكشف بقوة متجددة، ولقد وصفت صحيفة واشنطن بوست إجراءات الحجر الصحي الصارمة التي تم إدخالها في الصين في يناير على الفور بأنها علامة على الاستبداد، وبكل جدية يقال إن الصين، انطلاقا من مصالحها الأنانية، مهتمة بجعل "الاستجابات القاسية للوباء" قاعدة عالمية، وبدلاً من استخدام الوباء لإيجاد حلول مشتركة، يُقال إنه إذا لم تتجمع "الديمقراطيات المتقدمة" لمحاربة الوباء، فستستفيد الصين من هذا وسيكون هناك "تحول عالمي نهائي لصالح نموذج سلطوي"، ولذلك يشعر العديد من الخبراء الغربيين بالرعب من فكرة أن الصين يمكن أن تظهر صفات قيادية وأن هذا كله سيتم الاعتراف به في العالم. وفي الأسابيع والأشهر الأخيرة، كان هناك بلا شك العديد من الأمثلة على التضامن في مكافحة فيروس كورونا، داخل البلدان وفيما بينها، ومع ذلك فإنها تتضاءل حتى الآن بالمقارنة مع تأجيج الجانب الجيوسياسي

للأزمة بمعناها الأكثر سلبية[1]. كما وتمت مقارنة تهديد COVID-19 بالمخاطر التي تعرضت لها البشرية خلال الحرب العالمية الثانية. وهنا أعتقد أن هذا تداخل كبير وأنه خلال سنوات تلك الحرب، احتشدت دول مختلفة، ثم بعد النصر، على أنقاض الرايخ الثالث، وتم إنشاء الأمم المتحدة، التي تخدم قضية السلام حتى يومنا هذا بسبب التنوير أو الفساد في دولها الأعضاء، وبعد تلك الحرب، حصلت أوروبا على سوق اجتماعي ودولة رفاهية فأنشأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والولايات المتحدة الأمريكية، بمساعدة حلفائهما، هيكلًا للتحكم في التسلح ونظامًا للاستقرار العالمي، ونظمتا مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، وأكثر من ذلك بكثير[2]. ونؤكد هنا ما لمسناه بأنه لا يكشف الوباء القادم عن المشاكل الصحية فحسب، بل يثير أسئلة حول التزام الناس والدول بالتضامن، وحول قدرتهم على التغلب على الاختلافات، وحول العلاقة بين المساعدة المتبادلة والمصلحة الذاتية، وسوف تتعافى البشرية من هذا المرض لكن هل سيتحسن عالم ما بعد COVID-19 أم أسوأ؟ ما الذي يمكن أن يفعله السياسيون في "اليوم التالي"؟ توفر الأزمة الحالية العديد من الفرص لإظهار ذلك، وستتاح الفرصة لقادة العالم للارتقاء إلى مستوى المناسبة في نيويورك، في القمة المقررة للدول - الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

---

(1) Китайский фармацевтический рынок: борьба с дефицитом. [Электронныйресурс]. – URL: https://www.diapazon-pharm.ru/kitaiskii-farmacevticeskii-rynok-borbas-deficitom

(2) ibid.

6. كورونا والاقتصاد

يركز معظم الخبراء والصحفيين والسياسيين على التأثير الاقتصادي والمالي للوباء، كيف سيؤثر فيروس كورونا على التجارة والاستثمار العالميين؟ ماذا سيحدث لسلاسل القيمة الدولية؟ كيف سيكون رد فعل الأسواق المالية العالمية؟ إلى أي مدى ستتغير الجغرافيا وحجم تدفقات الهجرة عبر الحدود؟ وكل هذه الأسئلة، بلا شك، مهمة للغاية وليس فقط للحكومات والشركات متعددة الجنسيات الرائدة والممتلكات المالية ولكن أيضًا للناس العاديين في جميع أنحاء العالم. ومن الواضح بالفعل اليوم أن الكثير من الناس سيقسمون حياتهم من الآن فصاعدًا إلى شرائح قبل الجائحة وبعدها وسيتعين على شخص ما التخلي عن رحلاته المعتادة حول العالم، ولن يتمكن شخص ما من الاعتماد على زيادة أخرى وزيادة في الراتب، وشخص ما بشكل عام، قم بالتبديل إلى تنسيق العمل عن بُعد أو تغريك بإمكانية التغيير إلى ترس أدنى. لكن لا ينبغي أن ننسى الأمور السياسية، بل عن العواقب السياسية والنفسية، وهذه العواقب ليست ملحوظة للغاية، ولكنها ليست أقل أهمية سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لنا. وان مؤشرات الاتجاهات والمشاعر السياسية العالمية مقلقة اليوم مثل مؤشرات الاتجاهات الاقتصادية العالمية وكشفت النتائج الأولية للاختبار البشري لفيروس كورونا وجودًا واضحًا لنقص المناعة السياسي والنفسي، أو، إذا أردت، غياب غريزة حماية سكانها المتأصل في أي نوع بيولوجي. وعاجلاً أم آجلاً، سيتم القضاء أيضًا على التفشي الحالي لوباء الفيروس التاجي. ومع ذلك، أثرت الأوبئة المختلفة على مسار تاريخ العالم بطرق مختلفة، كما ويمكن تشبيه بعضها بما يعرف في اللغة العامية للمبرمجين بأنه خطأ خطأ عرضي في برنامج كمبيوتر يؤدي إلى نتيجة غير مخطط لها وغير مرغوب فيها، وقد اتخذ الآخرون صفة الميزة أي تصبح خاصية عضوية، سمة أساسية، سمة مميزة وظيفة دون تغيير وحتى "ميزة

إضافية" للبرنامج[1].وان السيناريو الأول (الخطأ) مرجح إذا كانت البشرية أو مجموعة بشرية منفصلة أصبحت ضحايا للوباء قادرة على استخلاص النتائج الضرورية من اندلاع الكارثة ومنع تكرارها في المستقبل[2].السيناريو الثاني (السمة) يتبين أنه لا مفر منه إذا لم يتم استخلاص الاستنتاجات الضرورية، ونسيان دروس الكارثة، ولم يغير الوباء الأولويات السياسية المعتادة، ومقاربات الإدارة، والمواقف النفسية وطريقة الحياة القديمة. ويُنظر إلى الخطأ على أنه مشكلة، وميزة كحتمية، وإنهم يكافحون مع الخطأ، ويعيشون مع الميزات فدعونا نرى كيف تسير الأمور في الحالة المحددة لوباء الفيروس التاجي الحالي[3].فيفرض المنطق أنه في مواجهة التهديد المشترك، يجب أن يتجمع السكان لاسيما عندما يتعلق الأمر بالأنواع البيولوجية الإنسان العاقل، التي تقف على قمة السلم التطوري والانسان، كما تعلم، كائن اجتماعي وإذا وضعنا جانباً على الأقل لفترة من الوقت الخلافات الداخلية والصراعات الجماعية، يجب أن يركز المجتمع البشري على إيجاد حل لمشكلة إنسانية عالمية حقيقية. وماذا نراه على خلفية انتشار الوباء؟ لقد أظهر القادة السياسيون عزوفًا عنيدًا في إجراء أي تغييرات مهمة في أجنداتهم الدولية، ولم يمنع انتشار فيروس كورونا تفاقم الوضع في سوريا مؤخرًا أو انهيار اتفاقات وقف إطلاق النار وإن تحول إيران إلى أحد المراكز الرئيسية للوباء لم يستلزم حتى تخفيفًا رمزيًا للعقوبات الاقتصادية التي تفرضها واشنطن على طهران. كما لم يصبح الوباء حافزًا لروسيا والمملكة العربية السعودية لتقديم تنازلات متبادلة خلال مفاوضات أوبك ومنع الانهيار

---

(1) Губина М.А. Импортозамещение и/или экспортная ориентация: опыт фар-мацевтической промышленности Индии // Вестник СПбГУ. Серия 5: Экономика. 2019.№ 2.

(2) Китайский фармацевтический рынокМ p, cit.

(3) Губина М.А., op, ci.

الأرضي في أسعار النفط والذعر اللاحق في الأسواق المالية العالمية، وعلاوة على ذلك بدأ ينظر إلى الوباء نفسه على أنه فرصة لتعزيز موقعه في المنافسة الجيوسياسية والاقتصادية، وقد سارع عدد من الاقتصاديين الغربيين للإعلان أن الوباء سيعلن نهاية "العصر الصيني" في الإنتاج الصناعي العالمي والنصر النهائي للولايات المتحدة في المواجهة الاقتصادية مع بكين[1]. بطبيعة الحال فإن حقيقة أن الصين أصبحت أول ضحية لفيروس كورونا قد أعطت سببًا جيدًا للحديث عن عدم فعالية الأنظمة الاستبدادية في منع الأوبئة، وعن تكرار الإجراءات التقييدية التي اتخذتها السلطات الصينية، مرة أخرى للفت الانتباه إلى مشاكل حقوق الإنسان في الصين، ولم ينس المسؤولين الأمريكيين أبدًا في الأسابيع الأخيرة أن يذكروا أنهم لا يتحدثون عن أي شيء، بل يتحدثون عن الفيروس "الصيني" ("ووهان")، وبدورهم يرى المسؤولين الصينيين أن الفيروس كان من الممكن أن يدخل ووهان من قبل الجيش الأمريكي، الذي شارك في ألالعاب الاولمبية العالمية، التي أقيمت في هذه المدينة في أكتوبر الماضي، وبشكل عام يجب أن نعترف أنه بعد أشهر من بدء الوباء، يستمر الشجار المعتاد في العالم حول الخلافات اللحظية، والفخر التافه، والمكاسب والخسائر التكتيكية وهذا يعني أن الوباء لا يُنظر إليه على أنه خلل عالمي يحتاج إلى "إصلاح" بأي ثمن، ولكن كميزة جديدة في السياسة العالمية يمكن استخدامها لتعزيز مصالح الفرد ومواجهة مصالح خصومه ومنافسيه[2].عند إعادة صياغة التصريح

---

[1] IHS Markit / CIPS UK Services PMI. Survey-record fall in service sector activity amid emergency measures to slow COVID-19 pandemic [Electronic resource]. – URL:https://www.markiteconomics.com/Public/Home/PressRelease/61f043b216da42618ff2559dd8435bc6

[2] Система информационного обеспечения рынков сельскохозяйственной продукции (АМИС): http://www.ais-outlook.org/

المعروف للملك البروسي فريدريش فيلهلم الأول، قد يؤكد رجال الدولة المعاصرون: "الوباء وباء، والحرب في موعدها." ومع ذلك ربما يقع اللوم على السياسيين غير المبدئيين وشركات الدفاع الشرهة والمخططين الماليين غير المسؤولين؟[1].لسوء الحظ، لا يمكن للمرء أن يتفق مع هذا البيان، فلا يكشف الوباء الحالي غالبًا عن أفضل سمات الشخصية البشرية، ليس فقط "هم" المجردون، ولكن بشكل ملموس "نحن" أيضًا في الواقع، تبين أن كل هؤلاء السياسيين والشركات والبنوك غير مسؤولين وغير مبدئيين وقصر النظر كما يسمح لهم الطلب الاجتماعي الحالي[2].

يميل الوعي البشري أو بالأحرى العقل الباطن إلى رفض السيناريوهات السلبية لتطور الأحداث، وإلى حد أقل نميل إلى تجربة هذه السيناريوهات مباشرة على أنفسنا وعلى أحبائنا، وهذا ينطبق بشكل خاص على البلدان وحتى القارات بأكملها التي عاشت لعدة أجيال في سلام وفي غياب تهديدات واضحة للأمن الشخصي، ومن ثم هناك مظاهر عديدة للموقف التافه تجاه الوباء في مراحله الأولى، خاصة في الدول الأوروبية، وعدم الرغبة في اتباع التوصيات وحتى الأوامر المباشرة من السلطات. وفي خدمة المتفائلين الطفوليين، هناك جيش كامل من الخبراء يحثون على عدم تهويل الوضع وقيل لنا أن عدد الأشخاص الذين لقوا حتفهم بسبب الفيروس الجديد خلال الجائحة بأكملها يمكن مقارنته بعدد الأشخاص الذين يموتون من مرض السل كل يوم في العالم

---

[1] Анализ решений в области продовольственной и сельскохозяйственной политики (FAPDA): www.fao.org/news/story/ru/item/1270352/icode/

[2] Министры стран Латинской Америки и Карибского бассейна (ЛАК): www.fao.org/fileadmin/user_upload/rlc/docs/covid19/statement_ministers_of_agriculture_25_countries.pdf .

ويذكروننا أنه في الواقع، اليوم على كوكب الأرض، حتى الأنفلونزا العادية تسبب وفيات أكثر بكثير من فيروس كورونا كما يُذكر أنه[1].على سبيل المثال، في الولايات المتحدة، تحصد حوادث السيارات أرواح أكثر من مائة شخص كل يوم، ولن يقوم أحد في أمريكا بحظر السيارات في هذا الصدد. عندما يُجبر الناس العاديون، أخيرًا، على فتح أعينهم على الحجم الحقيقي للمشكلة، فإنهم غالبًا لا يتصرفون أفضل من السياسيين الساخرين والأنانيين، وبالطبع لقد أظهر الوباء بالفعل العديد من الأمثلة على التضامن البشري ونشاط المجتمع المدني والبطولة الحقيقية[2]. و في جنوب إيطاليا المزدهر نسبيًا، لم ترغب الشخصيات العامة المهتاجة في قبول لاجئين من شمال البلاد المحروم، وأدى هذا التردد في بعض الأماكن إلى إغلاق الطرق السريعة وإغلاق محطات السكك الحديدية، وفي منطقة بولتافا بأوكرانيا، ألقى السكان المحليون الحجارة على حافلات مع مواطنين تم إجلاؤهم من ووهان[3]. خوفًا من انتشار الفيروس في القارة الأفريقية، ظل الجمهور في العديد من الدول الأفريقية يصم أذى طلبات مواطنيهم لمساعدتهم على الإجلاء من ووهان، الصين،[4]. وفي الولايات المتحدة، اضطرت الحكومة الفيدرالية إلى وضع ناقلات محتملة للفيروس في القواعد العسكرية. وماذا عن حالة السفينة السياحيةWesterdam ، التي تعرضت

---

(1) Совместное заявление ФАО, Всемирной организации здравоохранения (ВОЗ) и Всемирной торговой организации (ВТО): www.fao.org/news/story/ru/item/1268973/icode/

(2) Заявление министров стран "Группы двадцати": G20.org/en/media/Documents/G20_Agriculture%20Ministers%20Meeting_Statement_EN.pdf.

(3) Covid-19 и риск для продовольственных товаропроводящих цепочек: www.fao.org/documents/card/ru/c/ca8388ru .

(4) ibid.

لضغط من نفس الجمهور لمدة أسبوعين، تم رفض رسوها من قبل موانئ اليابان والفلبين وتايوان وتايلاند حتى الآن، أخيرًا، لم يتمكن الركاب من النزول في سيهانوكفيل بكمبوديا، وعلى الرغم من عدم العثور على أي شخص مصاب على متن الطائرة!

تُظهر التجربة التاريخية أن ضحايا أي وباء أو كارثة طبيعية يصبحون على الدوام تلك المجموعات الاجتماعية والاقتصادية والعرقية والدينية التي كانت في وضع أسوأ حتى قبل بداية حالة الطوارئ، وهذه الفئات هي الأكثر عرضة لخطر تمزق الروابط الاجتماعية التقليدية، ونقص الرعاية الطبية الجيدة، وزيادة البطالة وغيرها من المشاكل، كما وتقع على عاتق هذه المجموعات المسؤولية الرئيسية عن عواقب الكوارث في أغلب الأحيان فتتسارع عمليات الاستقطاب الاجتماعي والثقافي في الظروف القاسية، ويصبح تماسك المجتمع الذي تمس الحاجة إليه في مواجهة تهديد مشترك مهمة صعبة للغاية[1]. وقد نقل هذا النمط العام إلى المستوى الدولي، من العدل أن نستنتج أنه في حالة تفشي وباء عالمي، ستكون الدول والأقاليم الأقل كفاءة والأقل ثراءً اقتصاديًا في نهاية المطاف. إن تغطية الفيروس لأوروبا الغنية أو الصين التي تحكم الصين بشكل فعال أمر واحد وإنها مسألة أخرى تمامًا إذا كانت بؤر الزلزال[2]. على سبيل المثال، أفغانستان أو إدلبالسورية أو جنوب السودان أو قطاع غزة ومن الصعب حتى تخيل حجم العواقب المحتملة للوباء في الأماكن ذات البنية التحتية المدمرة تمامًا، مع العديد من بؤر التطرف والراديكالية السياسية، مع اندلاع العنف المسلح بشكل مستمر. وما يسهل تخيله هو كيف سيستخدم الشعبويين اليمينيين أو المتطرفين هذا الوضع لتقوية مواقفهم، وفي الواقع، إنهم بالفعل يستغلون الوباء

---

[1] Каналы распространения воздействия на продовольствие и сельское хозяйство: http://www.fao.org/3/ca8430en/CA8430EN.pdf

[2] ibid.

بقوة وعزيمة، لأن فيروس كورونا بالنسبة لهم هو بالتأكيد ميزة، وليس خطأ، وفرصة إضافية، وليس تهديدًا جديدًا، ففي أوروبا، يعزز الوباء حجج الأحزاب اليمينية في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وبولندا والمطالبة بإغلاق الحدود ووقف تدفقات الهجرة الدولية[1].

ماذا عن مسؤولية وسائل التواصل الاجتماعي؟ لقد أصبح الوباء مصدر تكهنات لا نهاية لها ودعاية غير عادلة ومعلومات مضللة وازدهرت نظريات المؤامرة في ازدهار كامل وتم الإعلان عن الفيروس نتاج بعض المختبرات السرية، وانتشاره هو خطة شيطانية لقوى الظلام القوية التي تعيش إما في واشنطن، أو في بكين، وإن المخاوف من حدوث وباء، والتي يثيرها السياسيين والصحفيين، تغذي الغرائز المظلمة ذلك التعليق الضبابي الموجود حتما في أسفل أي هوية وطنية، والطلب على "قصص الرعب" المختلفة، بدوره، يحفز العرض والحرف اليدوية البائسة لعدد لا يحصى من منظري المؤامرة يتم اقتناصها من قبل سكان المدينة، مثل الصابون والملح والمباريات التي جرفت على الرفوف في الأوبئة السابقة.

7. الوباء "ليس في الخزائن بل في الرؤوس"

يتراجع بشكل عام استعداد الجنس البشري للعمل الجماعي في مكافحة التحديات المشتركة سواء كانت أوبئة أو كوارث طبيعية أو كوارث من صنع الإنسان وإن التنشئة المنهجية للقومية والحصرية الوطنية، والتشجيع الضمني أو الصريح لكراهية الأجانب، والتجاهل المتغطرس لقواعد القانون الدولي، وأولوية المصالح التكتيكية على المصالح الاستراتيجية كل تلك السمات للسياسة العالمية التي لاحظناها في السنوات الأخيرة لم تذهب سدى. وقبل عقدين فقط كان

[1] Материал агентства "Рейтер": www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-aid-factbox/factbox-imf-world-bank-disburse-funds-to-help-countries-battle-pandemic-idUSKBN22002G.

الاستعداد للتعاون الدولي أعلى بكثير وعندما اندلع ما يسمى بالوباء في بداية القرن "إنفلونزا الطيور"، جاء علماء الأوبئة الأمريكيون على الفور لمساعدة زملائهم الصينيين في التعرف على الفيروس الحامل .(H5N1) ونتيجة لذلك، تم كبح أخطر انتشار لوباء "إنفلونزا الطيور" في مهده، ولم يكن هناك سوى بضع مئات من الأشخاص ضحايا الوباء. وبطبيعة الحال في تلك الأوقات بالولايات المتحدة، لم تكن هناك قيود على التعاون العلمي مع جمهورية الصين الشعبية، وفي الواقع لم تكن الصين تُعتبر خصمًا جيوسياسيًا عنيدًا لأمريكا[1]. وبعد وباء فيروس الإيبولا القاتل، اقترح علماء الأوبئة الأكثر احترامًا على مر السنين مجموعة متنوعة من التدابير لتعميق التعاون الدولي في مكافحة الأمراض المعدية الخطيرة، لكن الوباء الجديد أظهر مرة أخرى ضعف وهشاشة المنظمات الدولية، بما في ذلك منظمة الصحة العالمية .(WHO) وهل من في العالم اليوم يعتقدون أن منظمة الصحة العالمية قادرة على أن تصبح مقرًا عالميًا فعالاً حقًا لمكافحة فيروس كورونا؟ لا شيء تقريبًا، بناءً على الموارد المخصصة، ولا يتجاوز إجمالي ميزانية منظمة الصحة العالمية ميزانية مستشفى أمريكي كبير وعلى الرغم من أن خبرة المنظمة المتميزة في مواجهة الأمراض الخطيرة لا شك فيها ودعونا نتذكر القضاء العالمي على الجدري، النجاح الذي لا جدال فيه في مكافحة شلل الأطفال والملاريا.لم تعد المجتمعات في معظم دول العالم تثق بالمنظمات الدولية، وتوقفت عن اعتبارها آليات موثوقة لمواجهة الأوبئة والتهديدات الأخرى. حتى في الاتحاد الأوروبي[2].تُتخذ أهم القرارات المتعلقة بفيروس كورونا اليوم في العواصم الوطنية، وليس في بروكسل، لكن المجتمعات لا تثق في حكوماتها،

---

[1] ibid.

[2] О глобальной экономической рецессии вследствие Covid-19: www.fao.org/3/ca8800ru/CA8800RU.pdf.

وتشتبه في أنها تخفي الحجم الحقيقي للوباء، فضلاً عن استخدام الوباء لأغراض سياسية ضيقة. الحكومات، من جانبها، لا تثق في بعضها البعض، ولا تثق فقط في خصومها ومنافسيها المحتملين، ولكن أيضًا في الحلفاء والشركاء، ونتيجة لذلك تتطور حلقة مفرغة من انعدام الثقة التام، والتي تعد بمثابة أرض خصبة مثالية لأي وباء[1]. وعلى ما يبدو، فإن قمة مجموعة العشرين المقبلة في الرياض في نوفمبر 2020 ستخصص بشكل أساسي لمشاكل الركود الذي يلوح في الأفق في العالم، والتحديات الجديدة للنظام المالي العالمي، ومشكلة فيروس كورونا، ولكن هل يمكن للبشرية أن تنتظر حتى تشرين الثاني/نوفمبر، وتقتصر على المحاولات اليائسة لوقف الوباء "في بلد واحد منفصل"؟ هل نتمنى اختراع لقاح معجزة في الأشهر المقبلة أم أن فيروس كورونا لن ينتشر خلال فترة الصيف الحار؟ ألا يجب أن تدعو لاجتماع طارئ لمجموعة العشرين لمناقشة الوباء الحالي؟ وعلى ما يبدو ومن دون ضغوط مستمرة ومتواصلة من الجمهور، لن تُظهر الحكومات استعدادًا للعمل الجماعي، وستظل تنظر إلى فيروس كورونا ليس على أنه خلل، بل سمة من سمات السياسة العالمية[2].وهذا النهج يحكم حتمًا على الإنسان العاقل بالتدهور، وفي النهاية إلى الانقراض، وليس فقط "هم" في مواجهة الحكومات والشركات، ولكن أيضًا "نحن" الملموس. إن لم يكن اليوم، فعندئذٍ بعد عشر أو خمسين عامًا، فليس من فيروس كورونا، ولكن من تغير المناخ أو من حرب نووية عالمية وإذن ما هي الإشارة الأخرى

---

(1) Это уровень 3 по Комплексной классификации стадий продовольственной безопасности (ККС) – глобальной шкале оценки в целях классификации уровня и масштабов отсутствия продовольственной безопасности и недоедания: www.ipcinfo.org/manual/overview/en/

(2) ibid.

التي تحتاجها البشرية لتوقظ أخيرًا في البشرية غريزة الحفاظ على الذات المتأصلة في أي نوع بيولوجي؟

8. الأوبئة ومستقبل العولمة

العولمة هي وقود الوباء وفي القرن الرابع عشر جلبت سفن التجار الجنويين فيروس الطاعون إلى أوروبا، والذي أطلق عليه اسم "الموت الأسود" وفي بداية القرن العشرين قامت القوات العائدة من ميادين الحرب العالمية الأولى بنشر فيروس الأنفلونزا الإسبانية في أنحاء أوروبا والولايات المتحدة، وكما ظهر فيروس سارس، الذي ظهر في الصين عام 2002م وفي أقل من عام أصاب أشخاصًا في 28 دولة ويبدو أن كوفيد -19 بالنسبة للكثيرين هو منتج وحفار للعولمة في نفس الوقت فهو فيروس انتشر في جميع أنحاء العالم على متن الطائرات والسفن السياحية، مما أدى اليوم إلى توقف الرحلات الجوية وإغلاق الحدود[1]. ومع ذلك فإن تاريخ الأوبئة يتنبأ بمستقبل أكثر تفاؤلاً للعولمة واستجابةً للأوبئة غالبًا ما تحول العالم إلى توازن أكثر فاعلية وأكثر عالمية وهناك تعميق متزامن للتعاون الدولي ومراجعة لتلك الأجزاء من النظام العالمي التي أصبحت بالفعل غير فعالة ويعطي الوباء فرصة لتلك الدول والمنظمات الدولية التي لديها إمكانات عالية للتنمية والتي أوقفت القواعد الصارمة للمؤسسة الدولية نموها[2]. فتاريخياً، تعافت المدن والبلدان التي تشارك بنشاط في التجارة العالمية من الأوبئة بشكل أسرع وفي دراسة حديثة عن الآثار طويلة المدى للموت

---

[1] Глобальный доклад о продовольственных кризисах – 2020: GRFC_2020_ONLINE_200420.pdf

[2] См. данные о воздействии Covid-19 на масштабы нищеты в мире по адресу: www.wider.unu.edu/sites/default/files/Publications/Working-paper/PDF/wp2020-43.pdf

الأسود تبين أن أسرع نمو سكاني منذ الوباء كان في المدن الواقعة على طول ساحل المحيط الأطلسي وسواحل بحر البلطيق وبحر الشمال وتظهر تأثيرات أصغر لكنها إيجابية أيضًا في المدن الواقعة بالقرب من الأنهار وعلى طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، والأهم من ذلك أن أسرع نمو حدث في المدن التي وصلت بالفعل إلى حجم سكاني كبير بحلول عام 1300 على المدى الطويل، فاستفادت المدن المتطورة جيدًا من الوباء، الذي أعاق نموه طرق التجارة غير الفعالة وقواعد التوازن الماضي[1].

وقد لوحظت أكبر زيادة بعد الوباء في مدن الرابطة الهانزية من 1300 إلى 1600 تعافت مدن التحالف في شمال ووسط أوروبا من وفيات الطاعون بنسبة 64٪ أسرع من المدن الأخرى وكان نمو الرابطة الهانزية مدفوعًا بتطوير طرق تجارية جديدة من الشمال إلى الجنوب وتصدير الحبوب من بولندا ودول البلطيق إلى أوروبا الغربية. ولم يتسبب الطاعون في نمو المدن التجارية فحسب، بل أدى إلى إعادة تشكيل التجارة العالمية من جنوب أوروبا إلى الشمال والتحول من التجارة القائمة على شبكة طرق الإمبراطورية الرومانية إلى تجارة بحرية أكثر كفاءة[2]. ولقد تغيرت أنماط العولمة ولم تتعاف بعض المدن التجارية الكبيرة من الصدمة، بينما أصبحت مدن أخرى كانت تعتبر غير مطورة قادة، وكما أدت الأوبئة الحديثة إلى تطوير التعاون الدولي وتغيير القواعد التي عفا عليها الزمن، فمن أثار وباء إيبولا وسارس حدثت انتقادات للمنظمات الدولية من المجتمع الطبي وأدى نقص المعلومات والتوزيع غير الفعال للموارد بين البلدان إلى مشاريع لتمكين منظمة الصحة العالمية وإدماج قضايا الصحة في أهداف الأمن الدولي والتنمية الاقتصادية، وقد أدى سوء جودة المعلومات الواردة من الصين وضعف التعاون أثناء وباء السارس إلى تغيير اللوائح الصحية

---

(1) См. данные о, op.cit.

(2) ibid.

الدولية، وهي معاهدة دولية تضم جميع أعضاء منظمة الصحة العالمية، كما تضمنت القواعد الجديدة ما يلي: 1) التزام جميع البلدان بإبلاغ منظمة الصحة العالمية بخطر الوباء وتقديم جميع المعلومات حول تطور الوضع. 2) التزام جميع البلدان بضمان مستوى أساسي من الحماية ضد الأوبئة؛ 3) حق منظمة الصحة العالمية في تقديم توصيات بشأن تدابير مكافحة الوباء للبلدان ذات التركيز المفتوح للوباء والبلدان الثالثة ومشغلي النقل[1].

في أعقاب وباء الإيبولا، دعا المجتمع الطبي إلى زيادة دور منظمة الصحة العالمية وزيادة الاستثمار في التنسيق الدولي كما تم تشكيل لجنة خبراء من معهد هارفارد للصحة الدولية وكلية لندن للصحة والطب الاستوائي لوضع توصيات لتطوير منظمة الصحة العالمية. وعلى وجه الخصوص، تم اقتراح ما يلي: 1) الاستثمار في إنشاء أنظمة للحماية من الأوبئة في البلدان الفقيرة. 2) إنشاء لجنة صحية عالمية داخل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ؛ 3) إنشاء مركز تابع لمنظمة الصحة العالمية لمكافحة الأوبئة بميزانية منفصلة ومجلس إدارة مستقل ؛ 4) إنشاء صندوق عالمي للاستثمار في تطوير اللقاحات والوقاية من الأوبئة[2]. كما أدى وباء الإيبولا إلى انتقادات لسياسة صندوق النقد الدولي، وأدت برامج الإصلاح الهيكلي واستقرار الاقتصاد الكلي التي ينفذها صندوق النقد الدولي في ليبيريا وسيراليون وغينيا إلى الحد بشكل كبير من الإنفاق الحكومي الوطني. كانت نفقات الرعاية الصحية، بما في ذلك الرواتب الأعلى للأطباء وشراء المعدات أول ما تم تقييده، وكانت النتيجة هجرة العاملين الطبيين المحترفين من

---

(1) Choularton R., Mallory M. Opinion: How to address the impact of COVID-19 onglobal food systems [Electronic resource]. – URL: https://www.devex.com/news/sponsored/opinion-how-to-address-the-impact-of-covid-19-on-global-food-systems-96892

(2) Choularton R., Mallory M, op, cit.

غرب إفريقيا، حيث عمل 40٪ من الأطباء من ليبيريا في نهاية المطاف في الولايات المتحدة، وأدى انهيار النظام الصحي الوطني في البلدان الثلاثة التي بدأ فيها وباء الإيبولا إلى التأخر في التعرف على الفيروس وعدم فعالية مكافحته. وبعد كل وباء كان المجتمع الطبي إلى زيادة المشاركة الدولية، ولذا دوما نلاحظ أن معظم الأوبئة أصبحت محركات لزيادة التعاون الدولي فبعد وباء فيروس نقص المناعة البشرية [1]. تم إنشاء منظمة جديدة داخل الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة المشترك المعني بفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز وتغيرت اللوائح الصحية الدولية منذ السارس ؛ أدى وباء الأنفلونزا H5N1إلى إنشاء إطار التأهب لجائحة الأنفلونزا وكانت جميع التغييرات المقترحة تهدف إلى توسيع نطاق تركيز منظمة الصحة العالمية وإدراج الصحة على جدول أعمال المؤسسات الدولية الأخرى. وقد يكون تغيير التعاون الاقتصادي وزيادته ضروريًا أيضًا فيما يتعلق بالعواقب الاقتصادية طويلة الأجل للأوبئة، والأطفال الذين ولدوا أثناء الوباء لديهم، في المتوسط ، مستويات منخفضة من الدخل ورأس المال البشري، لذلك في دراسة عن تأثير "الإنفلونزا الإسبانية" في الولايات المتحدة، وجد أن أطفال الأمهات المصابات بالإنفلونزا الإسبانية كانوا أقل عرضة للتخرج من المدرسة بنسبة 16٪، وأكثر عرضة بنسبة 20٪ للإصابة بإعاقة، وكانت رواتبهم أقل بنسبة 5-6٪ من رواتب الأطفال المولودين قبل أو بعد الوباء[2]. ويرجع ذلك إلى حقيقة أن هيكل سوق العمل قد تغير حيث تم تعيين الأطفال والأرامل الذين لم يعملوا

---

[1] Reidy S., Lyddon C., McKee D.COVID-19 impacts agriculture from farm to fork

[Electronic resource]. – URL: https://www.world-grain.com/articles/13479-covid-19-impactsagriculture-from-farm-to-fork

[2] COVID-19: Resources for the diary sector [Electronic resource]. – URL: https://www.fil-idf.org/mediaroom/covid-19-resources-for-the-dairy-sector/

سابقًا في هذا المجال في وظائف شاغرة بسبب ارتفاع معدل الوفيات. كان الموظفون الجدد أقل كفاءة بشكل ملحوظ وكانوا يتلقون أجوراً أقل[1]. ومع الانتعاش السريع وحتى نمو الاقتصاد ككل، تعاني العديد من الفئات الاجتماعية من عواقب سلبية طويلة المدى من الوباء من انخفاض الدخل إلى مشاكل صحية مزمنة، كما يؤدي الوباء إلى تدهور مستمر في الوضع الاجتماعي لبعض الفئات[2]. وإن دعم هذه المجموعات وإعادة بناء البلدان الأكثر تضرراً من الوباء مهمتان تتطلبان استثماراً دولياً وتنسيقاً متزايداً بين مؤسسات التنمية الاقتصادية الدولية. وتاريخيا لم تؤد الأوبئة إلى تراجع، بل إلى زيادة العولمة، وكان هناك انتقال إلى توازن جديد وتراجع دور القادة غير الفعالين من النظام السابق، وظهرت المدن والبلدان النامية بسرعة، والتي كان نموها سابقًا محدودًا بقواعد غير مرنة، كما تغيرت قواعد التعاون الدولي فقد زادت الأوبئة الأخيرة في وقت واحد من دور منظمة الصحة العالمية وأظهرت عدم فعالية بل وأضرار بعض الإصلاحات الأساسية لصندوق النقد الدولي[3]. وفي المستقبل القريب من المحتمل أيضًا أن نشهد ظهور معايير جديدة للصحة العالمية، والدور المتنامي للدول النامية وطرق التجارة، وربما تراجعا في أهمية قادة العولمة السابقين.

---

(1) Choularton R., Mallory M, op, cit.

(2) ibid.

(3) Основные налоговые меры для восстановления экономики в Китае [Элек-
тронный ресурс]. – URL:
https://cnlegal.ru/china_taxation/coronavirus_tax_concession_
2020/#more-7967

9. الوباء وترتيب الأزمات الاقتصادية

منذ بداية القرن العشرين، كان الاقتصاد العالمي ينمو باستمرار، ولكن في الوقت نفسه هناك بعض التقلبات والتغييرات والتي ادت للسقوط الحاد وغير المتوقع الذي نسميه بالأزمات، وهناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى مثل هذه التقلبات، ومنها الصدمات التكنولوجية كمستند اول والتي عبرها يحدث النمو الاقتصادي المرتبط باختراع تقنيات جديدة، مثل الإنترنت، ويصاحبه في وقت لاحق انخفاض أو حتى أزمة كاملة[1]. كما ويستند التفسير الثاني إلى نظرية التوقعات إذا كنا نعتقد أن كل شيء جيد في الاقتصاد، فإن الناس يستثمرون ويستهلكون ويأملون في الأفضل، فهو في الحقيقة ينمو وعلى وجه التحديد لأن الناس يتصرفون بهذه الطريقة ولكن إذا تغيرت المشاعر النفسية، أصبحت التوقعات أكثر تشاؤماً، ثم ينخفض الاستهلاك، ولا يستثمر الناس، وهذا يؤدي إلى الانخفاض[2].اما المستند الثالث فيقوم على حقيقة السياسة النقدية والتي يمكن أن يؤثر على الاقتصاد الحقيقي وإذا خفضت البنوك المركزية بشدة كمية الأموال في الاقتصاد من أجل تقليل التضخم، فقد يؤدي ذلك إلى إبطاء الاقتصاد نفسه، وإذا ضخت البنوك المركزية الكثير من السيولة في النظام فقد يؤدي ذلك إلى تضخم الفقاعات المالية وعندما تنفجر هذه الفقاعات، تبدأ أزمة في الاقتصاد [3]. وهذه ثلاثة تفسيرات قياسية، ولكن هناك تفسيرات أخرى لا تأتي من الاقتصاد، ولكن من العالم الحقيقي، وأول صدمة مهمة جدا

---

[1] How the World Bank Group is helping countries with COVID-19 (coronavirus).
how-the-world-bank-group-is-helping-countries-with-covid-19-coronavirus

[2] [Electronic resource]. – URL:
https://www.worldbank.org/en/news/factsheet/2020/02/11/

[3] how-the-world-bank-group-is-helping-countries-with-covid-19-coronavirus

يمكن أن تحدث في الاقتصاد هي الحروب، والآخر هو الأوبئة، ولقد نسيناهم قليلاً ونضطر للتذكر الآن، فكان عدد كبير من الناس يموتون من أمراض مختلفة، وهذا أدى في حد ذاته إلى أزمات اقتصادية، وإذا نظرنا إلى أكبر الأزمات العالمية التي حدثت من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن الحادي والعشرين، كانت الحرب العالمية الثانية أكبر صدمة، وجاءت الحرب العالمية الأولى في المرتبة الثانية، وجاء الكساد الكبير في المرتبة الثالثة، وانخفضت الاقتصادات في المرتبة الرابعة في الفترة من 1918 إلى 1920 سنوات، التي يربطها العلماء بالوباء الإسباني[1].ومن الأهمية بمكان، أن واحدة فقط من أكبر الأزمات الأربع تكون متسببة سببها مباشرة العوامل الاقتصادية وهذا أمر مهم للغاية لفهمه عندما نتحدث عن الوضع الحالي.

10. الدور الذي تلعبه الأوبئة في الأزمات

"الموت الأسود" في القرن الرابع عشر وجه ضربة عملاقة لجميع البلدان تقريبًا مات 75 مليون شخص في أوروبا، أي حوالي نصف مجموع السكان ووفقًا لتقديرات مختلفة أودت الانفلونزا الإسبانية في بداية القرن العشرين بحياة ما يصل إلى 100 مليون شخص وهذه الوفيات ليست مأساوية فحسب، بل تؤدي أيضًا إلى انخفاض حاد في ما يسمى معدل العائد، أي نسبة الأرباح المتوقعة للاستثمار في الاقتصاد والشيء الأسوأ هو أن هذا التأثير طويل الأمد: حتى بعد أربعين عامًا من الوباء [2]. اذ حدث انخفاض تاريخي في معدل الربح والإنتاجية، لأنه لا يزال هناك الكثير من رأس المال والأرض والموارد، ولا

---

[1] Choularton R., Mallory M, op, cit.

[2] Группа Всемирного банка принимает оперативные меры по оказанию
странам помощи в борьбе с COVID-19. [Электронный ресурс]. – URL: https://www.vsemirnyjbank.org/ru/news/feature/2020/04/02/the-world-bank-group-movesquickly-to-help-countries-respond-to-covid-19.

يوجد عمال بالإضافة إلى ذلك فأن بعد الأوبئة يبالغ الناس في تقدير المخاطر ويبدأون في توفير المزيد وإنفاق أقل. وتختلف الأزمة الحالية اختلافاً جذرياً للغاية فالآن يرتبط انهيار الاقتصاد بتدابير واعية من قبل الدول التي تخفض النشاط الاقتصادي من أجل الحد من الوفيات، كما وتتميز هذه الأزمة أيضًا بعدم اليقين الهائل اذ لا نعرف إلى متى ستستمر، ومدى خطورة ذلك، ولا نعرف الكثير عن الفيروس نفسه، لدينا فكرة قليلة عن الوفيات منه، ومدى معديها، ومدى استقرار مناعة الناس ولدينا أيضا فكرة سيئة عن تأثيرها الاقتصادي، لأنه ليس لدينا خبرة في مثل هذه الأزمات[1]. وقد يرجع ذلك إلى الصورة الوبائية اذ يتميز الفيروس التاجي بانتشار سريع للغاية ويمكن للأنظمة الطبية في جميع دول العالم هضم عدد محدود فقط من المرضى المصابين بأمراض خطيرة، وفي مرحلة ما يمكن أن يتجاوز عدد المرضى الحادين المصابين بفيروس التاجي عدد الأماكن المتاحة للعلاج في المستشفى، وعدد التهوية الميكانيكية، وما إلى ذلك، وجميع الوسائل المتاحة لإنقاذ حياة الإنسان وعندها سيزداد معدل الوفيات بشكل كبير وهذا هو معنى "تجانس الذروة" الشهير بالفعل[2]. وهذا هو السبب في أننا نرى أن معدل الوفيات في البلدان المختلفة يختلف تمامًا حيث كانت هناك فرص طبية كبيرة، أو حيث انتشر الفيروس ببطء أكثر، كان معدل الوفيات أقل بكثير مما هو عليه في البلدان الأسوأ استعدادًا. ومن السهل افتراض أن الركود في الاقتصاد كان سيحدث بدون إجراءات الحجر الصحي وهذا أمر مفهوم من التأثير الاقتصادي للأوبئة السابقة، ولكن ومن سمات الأزمة الحالية الحد من انتشار الفيروس على حساب تباطؤ الاقتصاد.

---

(1) ibid

(2) Robert KesslerDisease X: The Next Pandemic. [Electronic resource]. – URL:
https://www.ecohealthalliance.org/2018/03/disease-x.

ولفهم ملامحها تخيل اقتصادًا في حالة توازن بين العرض والطلب الكلي وعندما يتم إدخال تدابير تقييدية تسقط الجملة، لأن بعض الشركات مغلقة تمامًا، يضطر البعض الآخر إلى تقليل نشاطهم وبالإضافة إلى ذلك لا يقع الإنتاج فقط في تلك الشركات التي تم إغلاقها ولكن أيضًا في الشركات التي انخفض مورديها فإذا كنت تصنع هواتف محمولة ولا تخضع لنفسك للحجر الصحي، لكن مزود الرقائق مغلق فلا يزال بإمكانك فعل أي شيء وهذا هو التأثير الأول انخفاض العرض. كما ان الطلب ينخفض أكثر فيضطر الناس إلى عدم الذهاب إلى العمل فيتم تقليل دخولهم ويبدأون في إنفاق أقل ونتيجة لذلك يشترون أقل. بالإضافة إلى ذلك لا يمكنهم إنفاق أي شيء على بعض الخدمات، حتى لو أرادوا، لأن هذه الخدمات محظورة و حتى إذا كان لديك مال وتريد الذهاب إلى مطعم الآن فمن المرجح أنك لن تنجح، فنحن في منتصف أزمة عندما يكون تأثير عدم اليقين قويًا جدًا لا نعرف متى سينتهي كل شيء، لذلك فإن رد الفعل الأكثر طبيعية هو تقليل التكاليف وزيادة المدخرات ونحن نوفر المال ليوم سيء، لأننا لا نعرف متى يمكننا العودة إلى الحياة الطبيعية لذا نتوقف عن شراء الشقق والثلاجات والسيارات، وما إلى ذلك ونفس الشيء مع الشركات المصنعة إنهم يخفضون استثماراتهم، لذا انخفض العرض وانخفض الطلب وهذا بدوره يؤدي إلى جولة جديدة من تخفيض العرض حتى لو كان المصنع قادرًا على العمل ولكن لا أحد يشتري منتجه أو خدمته فهو مجبر على إنتاج كمية أقل بكثير وهذا يعني أن دخله ينخفض وهذا يعني أن الطلب ينخفض مرة أخرى وبعد كل شيء، نعمل جميعًا في الاقتصاد في دورين كل من المنتج والمشتري[1]. ومثل هذه اللولب النزولي ملتوي، ودورة مغلقة مكتفية ذاتيا وآخر الكرز الكارثي على الكعكة هو أن كل هذا يؤدي معا إلى سلسلة من التخلف عن السداد

[1] Robert KesslerDisease X, op, cit.

للشركات والأشخاص الذين لا يستطيعون كسب القروض وتقديمها ودفع الرهن العقاري وتؤدي موجة التخلف عن السداد بدورها إلى مشاكل في النظام المالي، لأن البنوك التي لا تتلقى مدفوعات القروض تبدأ في الإفلاس وهذا هو ما يبدو عليه السيناريو الأكثر كارثية إذا تم إدخال تدابير الحجر الصحي لكن الدول لا تحاول التعويض بطريقة أو بأخرى عن خسائر الأشخاص والمنظمات. ويناقش العلماء الآن العديد من الخيارات لتطوير الأحداث والأكثر تفاؤلاً بمجرد إزالة الإجراءات التقييدية، يصل الاقتصاد على الفور إلى توازنه الأولي فيتم استعادة الإنتاج، وبعد ذلك الطلب على السلع والخدمات، وهناك سيناريو أقل متعة، عندما يتم إلغاء الحجر الصحي بعد موجة من الإفلاس والأزمة المصرفية التي تلت ذلك، فلن يحدث أي انتعاش سريع نسبيًا [1]. ومن المرجح أن يكون لدينا ركود طويل ويبدو لي أن السيناريو الثالث على الأرجح سوف يشبه شعار الانخفاض السريع، وبعد ذلك، على خلفية إلغاء حظر الحجر الصحي، تبدأ عملية استعادة طويلة، مؤلمة في بعض الأحيان وغير متساوية.

[1] Helping Companies, Workers During the COVID-19 Pandemic. [Electronic resource].– URL: ttps://www.ifc.org/wps/wcm/connect/news_ext_content/ifc_external_corporate_site/ news+and+events/news/covid-19-response.

ثانياً : النموذج السببي للعلاقات بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية أثناء فترة الحجر الصحي

د. عمرة بن عتو (*)
بلعربي عادل عبد الرحمن (**)

1. الإطار المفاهيمي

إن الإطار المفاهيمي يهدف إلى تصنيف ووصف المفاهيم الأساسية للدراسة،ووضع خريطة للعلاقات ببنيتها ولتحقيق هذا الهدف يلجأ الباحثين إلى تضمين النظريات والأبحاث الإمبريقية التي تساعد على تنظيم هذا الإطار المفاهيمي الذي يهدف إلى:بناء أساس نظري للبحث،وكيف تطورت الدراسة المعرفية لموضوع البحث،ووضع تصور للدراسة،وتقييم تصميم البحث وأدواته،وأخيرا إعطاء مرجعية لتفسير النتائج[1].

وبناءا على ما تم ذكره عن أهمية وأهداف الإطار النظري سيتطرق الطلبة إلى عرض مجموعة من الدراسات السابقة التي لها علاقة بمتغيرات البحث والعلاقة بينها من أجل تأصيل مفاهيم البحث.

التعليم الالكتروني عبارة عن مجموعة من العمليات المرتبطة بالتعليم عبر الإنترنت،وهو نظام تقديم المقررات الدراسية عبر شبكة الإنترنت أو شبكة محلية أو الأقمار الصناعية، أو عبر الأسطوانات أو التلفاز التفاعلي للوصول إلى الفئة

(*) أستاذ محاضر " أ " جامعة حسيبة بن وبعلي الشلف-الجزائر.

(*)أستاذ مساعد "ب"جامعة تيارت-الجزائر.

)1 (Tonette S Rocco, Maria S. Plakhotnik, Literature Reviews.(2000).Conceptual Frameworks, and Theoretical Frameworks: Terms,Functions, and Distinctions. **Human Resource Development Review**,Vol. 8(1), 120-130.

المستهدفة.حيث نجد أن المحتوى التعليمي وفق هذا المفهوم يكون على هيئة ملفات إلكترونية: (نصوص،صوت،صور)، ويقدم عبر وسائط إلكترونية ليأخذ طريقه إلى المتعلمين الدين يتعامل ويتفاعل معهم بواسطة أجهزة إلكترونية[1]. ويعرفه(غالب عبد المعطي الفريجات،2010)،تعليم قائم على شبكة الإنترنت فيه تقوم المؤسسة التعليمية بتصميم موقع خاص به مواد أو برامج معينة لها ويتعلم المتعلم فيه عن طريق الحاسوب ويمكنه الحصول على التغذية الراجعة، وهو مجال للتعليم والتدريب والحصول على المعلومات المنظمة التي يتم نقلها بالحاسوب سواء عبر الإنترنت أو وسائط التخزين الأخرى للمعلومات[2].

يشير(سامي الخفاجي،2015)،إلى أن التعليم عن بعد " Distance Learning" ظاهرة حضارية مجددة للتعليم الرسمي النظامي وخدمته،ويقوم على استخدام وسائط الاتصال قديما كان يطلق عليه التعليم للأشخاص البعيدين وإرشادهم ودعمهم ومساعدتهم على تقدمهم وتفهمهم،فهو يعتبر أسلوب ناجح في توفير فرص التعليم والتزويد بالخبرات أمام الأشخاص الذين لا يستطيعون ترك عملهم والتفرغ للتعليم فهؤلاء الذين حرموا من التعليم النظامي فهو طريقة مرنة من طرق الدراسات عبر الإنترنت[3]. التعليم الالكتروني هو تعليم مباشر(Online)،حيث يقوم الطلبة المسجلون في المقرر الدراسي في هذا النوع من التعليم بالدخول إلى موقع المقرر على الإنترنت في الوقت نفسه لإجراء المناقشة والمحادثة فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين المدرس ومن إيجابيات هذا

---

(1) الحيلة محمد محمود.(2014).تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق.(ط9).دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.الأردن.ص418.

(2) الفريجات غالب عبد المعطى.(2010). مدخل إلى تكنولوجيا التعليم،(ط1). دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع.عمان .ص167.

(3) الخفاجي سامي.(2015).التعليم المفتوح والتعلم عن بعد أساس للتعليم الالكتروني.(ط1). الأكاديميون للنشر والتوزيع.عمان.ص13-14.

النوع من التعليم حصول الطالب على التغذية الراجعة المباشرة أو الفورية من المعلم[1].

وكنتيجة للتوجهات الدولية في مؤسسات التعليم الجامعي تم الاعتماد على مصادر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعلم عن بعد، وقد تنوعت الجهود لدمج تكنولوجيا في مؤسسات التعليم العالي بدءا بعمليات الإدارة ومرورا بتحويل التعلم عن بعد التقليدي إلى تعلم عن بعد إلكتروني،وفي ضوء ذلك برزت الجامعات الالكترونية في كوريا الجنوبية والصين والولايات المتحدة،حيث قدر عدد المقررات التي تدرس عبر التعلم عن بعد في أكثر من(130) دولة بأكثر من(50.000) مقرر[2].

يذكر(إبراهيم بعزيز،2012)،تشكل تكنولوجيا الاتصال الحديثة أدوات للنمو ووسائل لامتلاك مزيد من الاستقلالية وتتيح النفاذ غير المحدود للمعلومات،كما أنها تحفز على إعمال الفكر من جديد-على نحو شامل- في أهداف التربية ومدى ملاءمتها للتنمية الوطنية،وتتوافر لهذه التكنولوجيا طاقة كفيلة بفتح باب التربية على مصراعيه في مختلف المستويات وتمكين المدرسين والمتعلمين من إمكانيات مضاعفة التعليم والتعلم[3].

---

[1] عياد فؤاد إسماعيل ،وصالحة ياسر عبد الرحمن.(2014).الكفاءة الذاتية في الحاسوب وعلاقتها بالاتجاه نحو التعليم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأقصى.ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع لضمان جودة التعليم العالي.يومي1-3أفريل.جامعة الزرقاء الأردن.ص447.

[2] عوض منير سعيد،وحلس موسى صقر.(2015).الاتجاه نحو تكنولوجيا التعلم عن بعد وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية.**مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)**.9(1)،ص221

[3] إبراهيم بعزيز.(2012).تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية.(ط1). دار الكتاب الحديث.الجزائر.ص49

يذكر(عوض التودري،2009)،أن هناك أثر على توظيف المستحدثات التكنولوجية على مجال التعليم وقد مس كل من تغير في فسلفة التعليم،حيث أصبح التعليم متاحا للجميع على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم،وتغير دور المعلم من تصميم للتعليم وتنسيق البيئة التعليمية واختيار الموارد والأنشطة، وتغير في أهداف المنهج الدراسي وطرائقه وأساليب تقويميه، وأخيرا تغير في دور المتعلم من كونه مشاهد والمتلقي السلبي فأصبح ايجابي في موقف المشارك وأصبحت مسؤولية تعلمه تقع على عاتقه[1].

يشير كل من(عياد،وصالحة،2015)،أنه مما لا شك فيه أن تفاعل أعضاء هيئة التدريس مع التعليم الإلكتروني وأنظمته يعتمد بدرجة كبيرة على الاتجاهات الموجودة لدى هؤلاء، فالاتجاهات تؤثر في سلوك الأفراد و تفاعلهم مع التكنولوجيا بشكل عام. ويسهم عدد من العوامل في تشكيل اتجاهات الأفراد ومواقفهم نحو استخدام التكنولوجيا وتعاملهم معها، ومن أبرز هذه العوامل: الخبرات السابقة،والقدرات المعرفية للأشخاص من أساليب واستراتيجيات، وحل مشكلات وغيرها ويرى "زاكوبلوس"أن نقص التدريب والكفايات المتعلقة بالتعليم الإلكتروني وأنظمته يمكن أن تؤثر سلباً على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو استخدام تلك الأنظمة[2].

نستنتج مما سبق أن التعليم الالكتروني رغم ايجابياته،قد يعيق التعلم وذلك تبعا لكفاءة وكفايات الأفراد والوسائل التكنولوجية،فرغم أنه لا غنى عن التعليم الالكتروني في ظل التطورات التكنولوجية إلا أنه ليس كل فرد يستطيع استخدام الحاسوب وهذه التكنولوجيا مما يترب عليه مشقة وجهد مضاعف للتحكم في مخرجات التعليم الالكتروني وتجدر الإشارة أنه أيضا عند

---

[1] التودري عوض حسين.(2009).تكنولوجيا التعليم مستحدثاتها وتطبيقاتها. إطلع عليه من موقع: https://www.researchgate.net/publication/277095699

[2] عياد فؤاد إسماعيل ،وصالحة ياسر عبد الرحمن.(2014).مرجع سابق،ص441.

انقطاع تفقد الإنترنت يشكل عائق أمام المتعلمين مما يؤثر سلبا على الكفاءة الذاتية ويولد ضغوط واتجاهات سلبية نحو التعلم لاسيما في ظل الحجر الصحي المنزلي والذي ليده أيضا انعكاسات ومضاعفات نفسية وأخرى اجتماعية في ظل غياب التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد المتعلمين وجها لوجه.

الدراسات السابقة: من خلال الاطلاع على الأدب النظري الذي تناول متغيرات الدراسة أمكن للباحثين تصنيف الدراسات السابقة إلى دراسات تناولت التعليم الالكتروني في علاقته ببعض المتغيرات، ودراسات عن الرضا والاتجاه نحو تكنولوجيا التعليم، ودراسات عن الكفاءة الذاتية والتعليم الالكتروني،حيث سيليها تحليل وتقييم لبناء إشكالية الدراسة.

وذهبت دراسة(منير عوض،وموسى حلس،2015)، والتي هدفت إلى دراسة اتجاهات الطلبة نحو تكنولوجيا التعلم عن بعد وعلاقته ببعض المتغيرات،حيث تكونت العينة من(91) طالبا وطالبة، وبعد استخدام أدوات الدراسة،وبعد المعالجات الإحصائية، أفرزت نتائج الدراسة على اتجاهات الطلبة جاءت بوزن نسبي(72.2%)، وهو اتجاه ايجابي نحو تكنولوجيا التعلم عن بعد،كما لا توجد فروق تبعا للجنس والمستوى التعليمي، وهناك فروق لصالح الجامعة الإسلامية في التعلم عن بعد[1].

أشارت دراسة لكل من(أبو مغلي، ومهى شعيب،2020)،صمم فريق البحث في مركز الدراسات اللبنانية استمارة مسح إلكتروني موجه للمعلمين والمعلمات والطلاب والأهالي في الأردن ولبنان والضفة الغربية في قطاع غزة،حيث قدر عدد المعلمين ب(274) وعدد الطلاب ب(105)،وعدد الأهالي ب(299)، وبعد تحليل معطيات الاستبيان الالكتروني،خلصت نتائج الخاصة بالنسبة للمعلمين أنهم يعملون لساعات طويلة مع دعم غير محدود في

[1] عوض منير سعيد،وحلس موسى صقر.(2015).مرجع سابق،ص219

إعداد الدروس والمواد عبر الإنترنت لإرسالها للطلاب، وأنهم أجبروا على أخذ إجازة دون راتب،وأنهم يبذلون جهدا مضاعفا في استخدام تطبيق الواتساب وزوم، وميكروسفت تايمز(Whatsapp, zoom, microsoft time)،وخلصوا إلى أن التعليم عن بعد ليس مناسب ولا يلبي حاجات الأطفال ذوي الاحتياجات التعليمية،في حين كانت هناك أثار نفسية واجتماعية للطلاب أثناء فترة الحجر الصحي،حيث كان الجانب الأكثر سلبية هو الجانب الاجتماعي من الحياة المدرسية وأنهم معظمهم يفتقدون لأصدقائهم ومعلميهم،وأن تواجد الطلاب لمدة تزيد عن6 ساعات أمام صفوف زووم أثر على تركيزهم وعلى قدرتهم للتعلم،على العكس من استجابات المعلمين والطلاب نجد أن الأهالي كانوا راضيين على هذا التعلم عن بعد[1].

في حين تطرقت دراسة(فؤاد عياد،وياسر صالحة،2014)،والتي هدفت إلى التعرف إلى مستوى الكفاءة الذاتية في الحاسوب والاتجاه نحو التعليم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأقصى،حيث تكونت عينة الدراسة من(141)،وبعد استخدام أدوات الدراسة المناسبة وبعد المعالجات الإحصائية توصلت الدراسة إلى وجود مستوى فوق المتوسط من الكفاءة الذاتية في الحاسوب، ووجود اتجاه ايجابي نحو التعليم الالكتروني، وعدم وجود فروق في الكفاءة الذاتية تبعا للخبرة والكلية والتفاعل بينهما، كما وجد أيضا علاقة موجبة بين الكفاءة الذاتية والاتجاه نحو التعليم الالكتروني[2].

وتوصلت دراسة"كوردا كي" (Kordaki ,2013)،والتي هدفت إلى التعرف إلى الدافعية،والكفاءة الذاتية،والتوقعات الذاتية لمعلمي الحاسوب في

---

[1] أبو مغلي،ومى شعيب.(2020).التعليم في ظل الحجر الصحي أثناء جائحة كوفيد-19،خبرات المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات والأهالي.مركز الدراسات اللبنانية.ممول من مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية بكندا،ص15-20.

[2] عياد فؤاد إسماعيل ،وصالحة ياسر عبد الرحمن.(2014).مرجع سابق،ص447.

معلماً المدارس الثانوية،وقد أجريت الدراسة على 25 معلما من خلال مقابلات مقننة،وبينت النتائج أن المعلمين لديهم معتقدات متباينة حول المفاهيم الثلاثة السابقة، وأن بعض هذه المعتقدات تدعم إدراكهم لأساليب التدريس البنائية،في حين أن البعض الآخر لتلك المعتقدات يقيد الممارسات السلوكية التقليدية المتعارف عليها لدى المعلمين،وأوضح معظم المدرسين أن لديهم معتقدات مختلطة"داعمة ومقيدة" مما يربك أداءهم التدريسي[1].

أما عن دراسة "كاو وتاسي (Tsai & Kao, 2009 ،)وهدفت إلى تحديد العلاقة بين كفاءة المعلمين الذاتية في استخدام الإنترنت، واتجاهاتهم نحو استخدام الإنترنت، وأجريت الدراسة على(421) معلماً من (20) مدرسة بالمرحلة الابتدائية في تايوان. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية وقوية بين الكفاءة الذاتية في استخدام الإنترنت لدى المعلمين واتجاهاتهم الإيجابية نحو استخدام الإنترنت[2].

وفي دراسة أخرى لـ(الابراهيم،2005)،والتي هدفت لاستقصاء أثر طريقة التدريس المدعمة بالحاسوب على تحصيل طلبة الصف الثامن في الرياضيات واتجاهاتهم نحو الطريقة،حيث تكونت عينة الدراسة من(115)طالبا وطالبة،حيث قسمها على مجموعتين تجريبية وأخرى ضابطة،حيث تم تدريس المجموعة التجريبية بالطريقة المدعمة بالحاسوب والضابطة بالطريقة الاعتيادية، وخلصت نتائج الدراسة بعد التجربة إلى وجود فروق بين المجموعتين وتفاعل بين الجنس والطريقة ولصالح التجريبية مما يثبت أثر طريقة التدريس بالحاسوب وفعاليتها[3].

---

[1] عياد فؤاد إسماعيل ،وصالحة ياسر عبد الرحمن،.نفس المرجع،ص453.

[2] عياد فؤاد إسماعيل ،وصالحة ياسر عبد الرحمن،مرجع سابق،ص454.

[3] مفيد أبو موسى،وسمير الصوص.(2014).التعليم المدمج(المتمازج) بين التعليم التقليدي والتعليم الالكتروني.(ط1).دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.عمان،ص17.

مشكلة الدراسة: لقد حاولت الدراسات السابقة الإشارة إلى علاقة التعليم الالكتروني ببعض المتغيرات الشخصية كالكفاءة الذاتية والرضا عن استخدام التكنولوجيا وبعض المتغيرات كاستقصاء اثر طرائق التدريس باستخدام الحاسوب واختبار كفاءتها وتحيديها لاتجاهات مختلف الأفراد سواء كانوا معلمين أو متعلمين، وأفرزت نتائجها عن تباين بين الايجابية في الاستخدام والسلبية،كما أبرزت تباين في فروق تبعا للجنس والخبرة من عدمها، تأتي أهمية الدراسة الحالية للكشف عن تفاعل التعليم الالكتروني والكفاءة الذاتية والرضا عن استخدام التكنولوجيا في ظل الضغوط النفسية أثناء فترة الحجر الصحي المنزلي، وإبراز الأثر المباشر وغير المباشر لهذه المتغيرات المتفاعلة فيما بينها، ولعل هذه الثغرة هو تصبوا إليه الدراسة الحالية، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

هل هناك أثر مباشر للتعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا على كل من الكفاءة الذاتية والضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة؟

الفرضيات الفرعية:

-هناك علاقة ارتباطية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا

-هناك اثر سلبي مباشر بين التعليم الالكتروني على الكفاءة الذاتية والضغوط النفسية في ظل الحجر الصحي

-هناك أثر مباشر سلبي بين الرضا عن التكنولوجيا على الكفاءة الذاتية والضغوط النفسية في ظل الحجر الصحي.

-هناك أثر غير مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية يعدله متغير الكفاءة الذاتية.

أهداف الدراسة: من بين أهداف الدراسة مايلي:

-الكشف عن العلاقات السببية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية لدى الطلبة أثناء فترة الحجر الصحي.

-إجراء تحليل المسار للكشف عن الأثر بين المتغيرات

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الدراسة في جانبين وهما:

أ-من الناحية النظرية: توفير قدر معتبر من الأدب نظري الذي يخص متغيرات الدراسة لاسيما متغيري التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا على اعتبار أن الجامعة تتجه نحو التعليم الالكتروني مستقبلا.

ب-من الناحية التطبيقية: يأمل الباحثين تعميم الدراسة على كافة المستويات الدراسة، وتوسيع العينة على أستاذة الجامعة، لاستنباط نموذجي سببي يحكم العلاقات قابل للتعميم إذا ما توفرت فيه الشروط الإمبريقية للاستقرار والصدق.

التعاريف الإجرائية:

التعليم الالكتروني: تعليم قائم على شبكة الإنترنت فيه تقوم المؤسسة التعليمية بتصميم موقع خاص به مواد أو برامج معينة لها ويتعلم المتعلم فيه عن طريق الحاسوب ويمكنه الحصول على التغذية الراجعة، وإجرائيا هو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات التعليم الالكتروني.

الرضا عن التكنولوجيا: هو تقييم ذاتي للفرد عند استخدام التكنولوجيا سواء في البحث أو أثناء التعليم الالكتروني، وإجرائيا هو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

الكفاءة الذاتية: يعرف بنادورا على أنها من المتغيرات النفسية الهامة التي تؤثر على سلوك الفرد حين يعمل على تحقيق أهدافه الشخصية، فإيمان الفرد بقدراته وإمكانياته يساعده على تحقيق تلك الأهداف والتحكم في الظروف المحيطة به مما يساعده على تطوير أدائه.وإجرائيا هو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

الضغوط النفسية: هي عبارة عن إحساس الفرد بالتوتر والقلق وعدم الاتزان الناشئ عن عدم قدرته على الموائمة بين ما لديه من إمكانيات،وما تطلبه

البيئة المحيطة من أفعال تؤدي على حالة الإشباع لدى الفرد، وهي أيضا تتوقف على درجة إحساس الفرد وتقديره لهذه الضغوط والتي تتحد بعدد من العوامل من داخل الفرد ومن خارجه،وإجرائيا هو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة الحالية في:

-**حدود زمانية:** تمت في الفترة ما بين مارس 2020 إلى غاية شهر سبتمبر 2020، **حدود نوعية:** خصصت لفئة الطلبة الجامعة جميع المستويات والذين كانوا يتلقون التعليم عن بعد، **وأخيرا حدود موضوعية:** إبراز العلاقات السببية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية أثناء فترة الحجر الصحي.

2. الإجراءات المنهجية للدراسة:

أ-طريقة إجراء الصدق والثبات: تم اختيار عينة قوامها(50) طالبا وطالبة ممن أجابوا على الاستبيان الالكتروني، حيث احتوى كل بعد على مجموع(10) فقرات تقيسهم، وخضعت الأدوات لإجراءات الصدق والثبات كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم(01) يوضح صدق وثبات أداة الدراسة

المتغير	الصدق	الثبات (ألفا كرومباخ)
التعليم الالكتروني	تراوحت معاملات الصدق بين(0.25 و 0.65)،دالة عند مستوى (0.05، 0.01)،تم حذف 4 عبارات غير دالة	0.50
الرضا عن التكنولوجيا	تراوحت معاملات الصدق بين(0.28 و 0.51)،دالة عند مستوى (0.05، 0.01)،تم حذف 6 عبارات غير دالة	0.67
الكفاءة الذاتية	تراوحت معاملات الصدق بين(0.30 و	0.45

	0.65)،دالة عند مستوى (0.05، 0.01)،تم حذف 6 عبارات غير دالة	
الضغوط النفسية	تراوحت معاملات الصدق بين(0.30 و 0.58)،دالة عند مستوى (0.05، 0.01)،تم حذف 6 عبارات غير دالة	0.49

نلاحظ من خلال إجراء الصدق والثبات بأن جميع متغيرات الدراسة حققت شروط الصدق والثبات، وأصبحت الاستبانة تحتوى على مجموع(20)فقرة تقيسها، على أن يعيد الباحثين إجراءات الصدق والثبات العملي بعد تمحيص الفقرات ذات التي تحوز تشبع عالي ومرتفع يسمح بإجراء التحليل العاملي التوكيدي للفقرات.

ب-طريقة اختيار العينة الأساسية وخصائصها: يتمثل المجل البشري الذي اخترنا منه عينة الدراسة الأساسية من طلبة الجامعة والذين شاركوا طواعية وأجابوا على الاستبيان المصمم في الدراسة، حيث كانت الطريقة المتبعة هي طريقة الكرة الثلجية، على أن يجيب طالب ويدلنا على طالب مستعد للتجاوب ومعنا، إضافة إلى استخدام الطريقة العرضية من خلال إرسال الاستبيان لأكبر عدد ممكن من التجمعات الطلابية الموجودة في مجموعات التي تنتمي للجامعة، حيث قدر العدد الإجمالي ب(355).

ج-استخدام طريقة (Mahalanobis): تم استخدام هذه الطريقة وذلك بعد استبعاد الدرجات الشاذة، حيث يعتمد منطق هذه الطريقة على الأخذ في الاعتبار التباين والارتباط من سلسلة البيانات، ويقيس بعد كل ملاحظة(أو مشاهدة) عن مركز متوسط جميع الملاحظات داخل البيانات، فالمشاهدات التي تقع خارج التوزيع النموذجي يمكن تحديدها وهي تؤثر على العلاقة الارتباطية، وهو يعتمد في تطبيقه على مربع كاي مضاف إليه درجات الحرية(المتغيرات المستقلة) وعند النسبة الحرجة لمربع كاي والتي هي:

(0.001) وعند درجة القطع تساوي=18.467، فأي قيمة تقع أعلى من درجة القطع هذه وتقل عن القيمة الحرجة لتساوي مثلا=0.000، تعتبر قيم شاذة ويتم حذفها من المعالجة[1]. وعليه ووفق منطق طريقة (Mahalanobis) تم استبعاد الدرجات الشاذة لكي لا تؤثر على المعالجات الإحصائية.

د-عرض النموذج السببي المفترض في الدراسة:

بناءا على ما رمت إليه الدراسات السابقة من وجود علاقة بين التعليم الالكتروني واتجاهات الأفراد متعلمين ومعلمين،كما وأن هناك علاقة بين الكفاءة الذاتية والتعليم الالكتروني والاتجاه نحو استخدام التكنولوجيا، وبما أن الكفاءة الذاتية تتأثر سلبا بالضغوط النفسية،جاءت فكرة تشغيل هذه المتغيرات المتفاعلة فيما بينها ووضعها في نموذج سببي قابل للاختبار من خلال تطبيق أسلوب تحليل المسار لمعرفة التأثيرات المباشرة وغير مباشرة كالآتي:

[1] عدة بن عتو.(2017).مستويات المعالجة المعرفية وعلاقتها بالفهم القرائي في ضوء سعة الذاكرة وبنية النص،أطروحة دكتوراه منشورة،جامعة وهران2،الجزائر،ص209

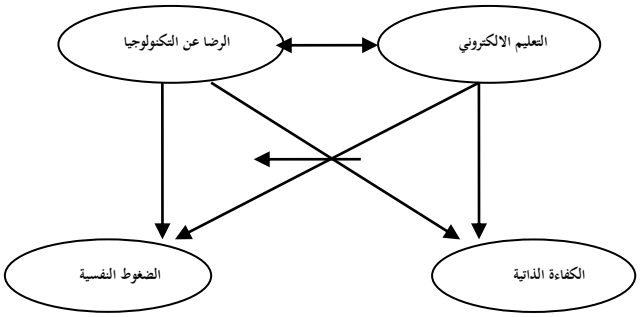

شكل رقم(1) يوضح العلاقات السببية بين متغيرات الدراسة

نلاحظ من خلال الجدول وجود اثر مباشر بين التعليم الالكتروني والكفاءة الذاتية، وهناك أثر غير مباشر بين الضغوط النفسية يعدله متغير الكفاءة الذاتية، وهناك أثر مباشر بين الرضا عن التكنولوجيا والضغوط النفسية،واثر مباشر بين الرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية، كما توجد علاقة ارتباطية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا.

أدوات الدراسة: تم تصميم استبانه تحتوى على مجموع(40) فقرة موزعة على أربعة أبعاد وهي: (التعليم الالكتروني، الرضا عن التكنولوجيا، الضغوط النفسية، والكفاءة الذاتية)، يحتوى كل بعد منها على (10) فقرات ذات تدريج خماسي حسب سلم ليكيرت، وبعد إجراءات الصدق والثبات وحذف العبارات غير الدالة إحصائيا، أصبحت الأداة تتكون من(20) فقرة، ومن أجل استقصاء الصدق العاملي للفقرات المتبقية تم استخدام التحليل العاملي التوكيدي.

الصدق العاملي لأداة الدراسة: من أجل إعادة حساب الخصائص السيكومترية،تم استخدام العينة الأساسية ن=355 لاستقصاء صدق البناء للفقرات التي لديها تشبع (0.40)، فما فوق حيث أفرزت النتائج على مايلي:

جدول رقم(02) يوضح قيم معاملات الارتباط وقبولها ن=355

المتغير	معاملات الصدق	القرار
التعليم الالكتروني	قدرت معاملات الصدق ب(0.39، 0.40، 0.44، 039)دالة عند مستوى (0.01)	حذف الفقرات التي لا تستوفي شرط (0.40 فما فوق)
الرضا عن التكنولوجيا	قدرت معاملات الصدق ب(0.40،0.35، 0.51، 0.48)،دالة عند مستوى (0.01).	حذف الفقرات التي لا تستوفي شرط (0.40 فما فوق)
الكفاءة الذاتية	قدرت معاملات الصدق ب(0.41،.،0.54،0.52،0.47)،دالة عند مستوى (0.01).	حذف الفقرات التي لا تستوفي شرط (0.40 فما فوق)
الضغوط النفسية	قدرت معاملات الصدق ب(0.45،0.35،0.47،0.40)،دالة عند مستوى (0.01).	حذف الفقرات التي لا تستوفي شرط (0.40 فما فوق)

نلاحظ من خلال الجدول بأنه تم الاحتفاظ بمعاملات الصدق التي قدرت ب(0.40)،والتي طبقت على العينة الأساسية وقدرها(355)،حيث ستخضع للمعالجة عند تطبيق التحليل العاملي التوكيدي وتحليل المسار معا،حيث ستمثل الفقرات المنتمية لكل بعد النموذج السببي النهائي للدراسة.

اختبار النموذج السببي باستخدام تحليل المسار: بغية اختبار النموذج السببي للدراسة والفقرات المنتمية لكل بعد تم استخدام التحليل العالمي وتحليل المسار سويا في نموذج واحد(يسمى نموذج أموس المتكامل)،وبعد الاطلاع على التعديلات دلت النتائج كما هو مبين في الشكل التالي:

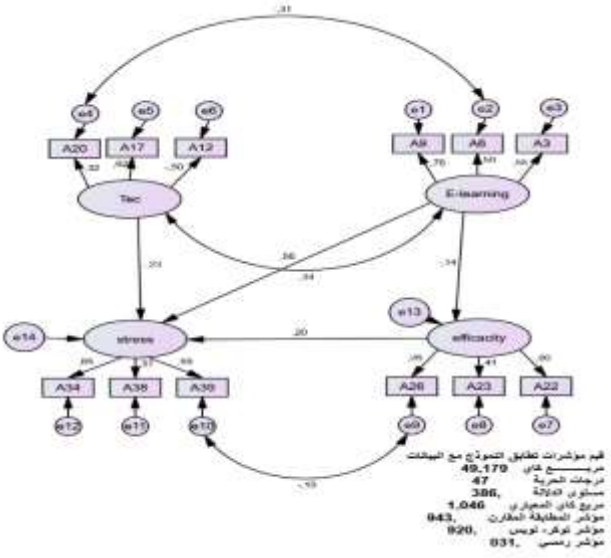

شكل رقم(02) النموذج السببي للعلاقات بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية

نلاحظ من خلال الشكل وجود علاقة ارتباطية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا قدرها (0.34)،وهناك أثر مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية بحجم أثر قدره(0.56)،ووجود أثر مباشر بين الرضا عن التكنولوجيا والضغوط النفسية بحجم أثر قدره(0.23-)، وهناك أثر غير مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية يعدله متغير الكفاءة الذاتية بحجم اثر قدره(0.14-)، ووجود أثر مباشر بين الكفاءة الذاتية والضغوط النفسية بحجم اثر قدره(0.19-).

3. عرض وتفسير نتائج الدراسة:

جدول رقم (03) يوضح مؤشرات جودة المطابقة للنموذج السببي للعلاقات بعد التعديل

المؤشرات والقيم المسجلة					
مربع كاي (Cmin)	49.179	(DF)	47	IFI	0.956
مربع كاي المعياري(Cmind/ Df)	1.046	(CFI)	0.943	RMSEA	0.031
مستوى الدلالة (P-value)	0.386	(TLI)	0.920	SRMR	0.057

نلاحظ من خلال الجدول بأن مؤشرات المطابقة جاءت مقبولة،حيث تراوحت قيمة مربع كاي (49.167) بعدما أن كانت(58.234)،وانخفض معها مربع كاي المعياري حيث أصبح (1.046)،بعدما كان يساوي(1.808)،وارتفعت قيمة مؤشر المطابقة المقارن (CFI)حيث أصبحت(0.94)بعدما كانت(0.84)،وارتفع بالمثل معها مؤشر توكر لويس(TLI)،حيث أصبح يساوي(0.92)،وكذا الأمر بالنسبة لمؤشر المطابقة التزايدي(IFI)،والذي قدر ب(0.95)،وهذه المؤشرات كلها إجمالا تدل على وجود مطابقة جيدة.

-لقد دلت نتائج تحليل المسار عن وجود علاقة ارتباطية بين كل من التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا بقيمة قدرها(0.34)،حيث يمكن تفسير ذلك في ضوء أن التعليم الالكتروني يعتمد أساسا على استخدام الحاسوب وتقنياته المتعددة نتيجة لما يوفره من اتصال وتفاعل بين الطلبة وبينهم وبين الأستاذة من جهة وما يوفره من معلومات كفيلة بتحفيز الطلبة على التعلم من جهة ثانية، وهذا الاتجاه الحديث نحو التعليم الالكتروني جاء نتيجة التطورات التكنولوجية في الوسائل التعليمية في الجامعات، فلا بد للجامعة كي تتطور أن

تنتجه نحو هذا الأسلوب والتقنية في التعليم،بل وحتى في الاتصال والتواصل مع هيئات تعليمية وحكومية أخرى، وهو ما يسعى إليه اقتصاد السوق، فبتالي إن عدم الرضا وقبول التكنولوجيا سيؤثر حتما على بلوغ أهداف ومناهج التعليم الالكتروني،لذا نجد هذا الارتباط (العلاقة الارتباطية) بين التعليم الالكتروني وقبول التقنية كشرط أساي للتطور والفهم والتعلم.

-كما ودلت نتائج التحليل الإحصائي انطلاقا من مؤشرات جودة المطابقة عن وجود أثر سلبي مباشر بين التعليم الالكتروني والكفاءة الذاتية بقيمة قدرها(0.14-)، ويعزي تفسير ذلك أنه كلما ارتفع التعليم الالكتروني بدرجة معيارية واحدة يصاحبه تغير وانخفاض في الكفاءة الذاتية للمتعلم،أي أن كفاءة الفرد في الاستخدام تتأثر بقدراته ومهاراته،فليس كل طالب لديه الكفاءة أثناء التعليم الالكتروني فكثير من الطلبة يجدون صعوبات في التفاعل والوصول والولوج للمنصات التعليمة إما لنقص التدفق الخاص بالإنترنت أو نتيجة نقص الخبرة في الاستخدام،فكلما نقصت الكفاءة وزاد بالموازاة كثرة المواد المعروضة ومشقة الولوج إليها كلما شعر معها الفرد بالعجز والتوتر مما ينقص من توافقه مع متطلبات بيئة التعليم الالكتروني، ولعل هذا ما يفسر القيمة السالبة لمعامل التأثير المباشر بين التعليم الالكتروني والكفاءة الذاتية للطلبة.

-كما ودلت نتائج تحليل المسار على وجود أثر موجب مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية بمعامل قدره(0.56)، وهو أثر في اعتقادنا مهم وجيد،حيث أن التعليم الالكتروني ينطوي على أن يكون لدى الطالب دراية كافية بالاستخدام وقبول التكنولوجيا من جهة، وعلى أن يتدرب باستمرار لاكتساب مهارات معينة في الأداء، وترتفع الضغوط النفسية مع كل إخفاق للوصول للمعلومات خاصة في فترة الحجر الصحي في البيت والتي أثرت سلبا على الطلبة، وهو ما يفسر إلى حد ما وجود أثر موجب مباشر للتعليم

الالكتروني على الضغوط النفسية هذا من جهة، وان نقص التفاعلات الاجتماعية بين الطلبة والمعلمين وجه لوجه عامل آخر قد يسبب الضغوط النفسية لدي هؤلاء الطلبة خصوصا أنهم ألفوا التدريس بالطريقة التقليدية من جهة ثانية.

-كما وأشارت نتائج تحليل المسار أيضا عن وجود أثر سلبي مباشر بين الرضا عن التكنولوجيا والضغوط النفسية بقيمة قدرها(0.23-)، فنقص خبرة الطلبة بالاستخدام في فترة الحجر الصحي والظروف الاجتماعية أثرت سلبا على هؤلاء الطلبة في قبول التكنولوجيا والتعامل معها لاسيما أن كثير من الطلبة ليس لديهم حاسوب خاص وأن قاعات الإنترنت كانت مغلقة أثناء فترة الحجر الصحي، وأن كثير منهم لا يملكون وسائل تكنولوجية متطورة، وهو ما صرح به الطلبة من خلال المقابلات،ولعل هذا ما يفسر وجود أثر سالب بين الرضا عن التكنولوجيا والضغوط النفسية،أضف إلى ذلك كله أن الطلبة لم توقفوا عن الدراسة أثناء فترة الحجر الصحي منهم من لم يتمكن من إنهاء الموسم الجامعي بخصوص السداسي الأول وكان مصيرهم مجهول إلى غاية الإعلان عن فترة وضع الدروس والمحاضرات عبر التعليم الالكتروني بعد مدة طويلة مما زاد من توتر وقلق هؤلاء الطلبة عن مصيرهم الأكاديمي.

الخاتمة

لقد حاولت الدراسة الحالية إبراز دور العلاقات السببية المتفاعلة بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا والكفاءة الذاتية والضغوط النفسية في ظل الحجر الصحي المنزلي لدي طلبة الجامعة،حيث وبعد تطبيق أداة الدراسة على عين وقوامها (355)مستجيب توصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين التعليم الالكتروني والرضا عن التكنولوجيا قدرها (0.34)،وهناك أثر مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية بحجم أثر قدره(0.56)،ووجود أثر مباشر بين الرضا عن التكنولوجيا والضغوط النفسية بحجم أثر قدره(0.23-)،وهناك أثر غير مباشر بين التعليم الالكتروني والضغوط النفسية يعدله متغير الكفاءة الذاتية بحجم اثر قدره(0.14-)، ووجود أثر مباشر بين الكفاءة الذاتية والضغوط النفسية بحجم اثر قدره(0.19).

المراجع والمصادر

1-إبراهيم بعزيز.(2012).تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية.(ط1).دار الكتاب الحديث،الجزائر،ص49

2-أبو مغلي،ومهى شعيب.(2020).التعليم في ظل الحجر الصحي أثناء جائحة كوفيد-19،خبرات المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات والأهالي.مركز الدراسات اللبنانية.ممول من مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية بكندا،ص15-20

3-سامي الجفاجي،(2015)،التعليم المفتوح والتعلم عن بعد أساس للتعليم الالكتروني،(ط1)،الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن،ص13-14.

4-عدة بن عتو،(2017)،مستويات المعالجة المعرفية وعلاقتها بالفهم القرائي في ضوء سعة الذاكرة وبنية النص،أطروحة دكتوراه منشورة،جامعة وهران2،الجزائر،ص209.

5-عوض حسين التودري.(2009).تكنولوجيا التعليم مستحدثاتها وتطبيقاتها.
https://www.researchgate.net/publication/277095699

6-غالب عبد المعطي الفريجات،(2010)،مدخل إلى تكنولوجيا التعليم،(ط1)،دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع.عمان،ص167

7-فؤاد إسماعيل عياد،وياسر عبد الرحمن صالحة،(2014)،الكفاءة الذاتية في الحاسوب وعلاقتها بالاتجاه نحو التعليم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأقصى.ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع لضمان جودة التعليم العالي،يوم1-3أفريل.جامعة الزرقاء الأردن.ص447.

8-محمد محمود الحيلة،(2014)،تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق،(ط9)،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.الأردن،ص418.

9-مفيد أبو موسى،وسمير الصوص،(2014)،التعليم المدمج(المتمازج)بين التعليم التقليدي والتعليم الالكتروني.(ط1)،دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.عمان،ص17.

10-منير سعيد عوض،وموسى صقر حلس،(2015)،الاتجاه نحو تكنولوجيا التعلم عن بعد وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية،**مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)**،9(1)،219.

11-Tonette S Rocco, Maria S. Plakhotnik, Literature Reviews.(2000). Conceptual Frameworks, and Theoretical Frameworks: Terms,Functions, and Distinctions. **Human Resource Development Review**,Vol. 8(1), 120-130.

ثالثاً : الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا : دراسة حالة الاقتصاد التركي

د. عبد الرزاق حسّاني (*)
سناء الريّس (**)
محمد البني (***)

مقدمة:

شهد العالم عبر التاريخ ظهور العديد من الأوبئة كالطاعون والكوليرا، والإنفلونزا، وغيرها. حيث أثرت تلك الأوبئة على العالم بشكل سلبي من النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والإنسانية، والصحية. وقد شهد العالم في نهاية عام 2019 ظهور وباء تنفسي جديد يدعى كورونا المستجد (COVID-19)، وتم تصنيف هذا المرض على أنه وباء عالمي نظراً لسرعة انتشاره، ولعدم توفر لقاح مجدٍ له، الأمر الذي زاد من المخاوف حول الصحة العامة في جميع أنحاء العالم. وفي مواجهة هذا الوباء قامت العديد من البلدان بفرض الكثير من القيود على التجمعات وعلى الانتقال، وحظر التجوال، كما قامت العديد من البلدان بإغلاق حدودها البرية والجوية، والبحرية للحد من انتشار هذا الفيروس والسيطرة عليه. وعلى نحوٍ موازٍ برزت مخاوف من العواقب الاقتصادية التي ستلقي بظلالها على المجتمعات والدول كنتيجة لقرارات حظر التجول، والإغلاق الجزئي، وإيقاف الأعمال، والبقاء في المنازل، وغيرها من الإجراءات الاحترازية لإبطاء انتشار الفيروس. ولقد أثرت هذه الإجراءات على اقتصاديات دول العالم التي عانت من إبطاء العجلة الاقتصادية بسبب توقف سلاسل التوريد وتراجع الطلب وهذا ما قد يؤدي إلى زعزعة استقرار

(*) أستاذ مساعد - جامعة دمشق - كلية الاقتصاد – سورية.
(**) باحثة دكتوراه علوم مالية ومصرفية - جامعة دمشق - كلية الاقتصاد – سورية.
(***) باحث دكتوراه علوم مالية ومصرفية - جامعة دمشق - كلية الاقتصاد- سورية.

الشركات، والأسواق، وبالتالي احتمال حدوث تباطؤ مستمر في عملية النمو. كل ذلك دفع صانعي السياسات، وإدارات الشركات، والمساهمين في الأسواق حول العالم إلى إعادة النظر في معدلات النمو المتوقعة في الأجل القصير، والمتوسط، والطويل. حيث لا يزال الأثر الكلي والفعلي لهذه الإجراءات والقيود المفروضة غير معروف بدقة فهو بحاجة إلى المزيد من البحث والاستقصاء.

وهكذا يسلط هذا البحث الضوء على الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا، ويعرض حالة الاقتصاد التركي كنموذج، من خلال القيام بتحليل التبعات الناجمة عن انتشار هذا الفيروس على المتغيرات الاقتصادية الرئيسية، وسوق الأوراق المالية (ISE-100) في تركيا.

على الرغم مما سببته الأزمة المالية العالمية في عام 2008 من آثار اقتصادية سلبية ظهرت نتائجها على العديد من دول العالم، إلا أن هذه الآثار لم تمتد لتشمل الاقتصادات كافة، وذلك على عكس جائحة كورونا التي ألقت بظلالها على جميع الدول دون استثناء، مع اختلاف شدة الأثر حسب قوة وتركيبة الاقتصاد. الأمر الذي يبرز ضرورة البحث في التبعات السلبية لهذه الجائحة على مختلف اقتصادات العالم. ويعد الاقتصاد التركي من الاقتصاديات النامية، حيث تصنف تركيا ضمن الدول الصناعية الحديثة (NIC) وقد صنفها البنك الدولي كدولة ذات دخل أعلى من المتوسط، كما تعتبر عضواً في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، ومجموعة العشرين (G-20)، إضافة لانضمامها لاتفاقية الشراكة الجمركية مع الاتحاد الأوروبي التي تمنح العديد من السلع التركية امتيازات جمركية، وفي المقابل يعاني الاقتصاد التركي من ضغوطات شديدة، ومن ارتفاع عوامل الخطر، وعدم اليقين بسبب التوترات

الجيوسياسية في المنطقة[1]، وهذا ما جعله محور الارتكاز في هذا البحث بسبب تشابه هذه العوامل مع العديد من الدول النامية، من ناحية أخرى يتجاوز التعداد السكاني لتركيا 83 مليون نسمة (29.5% منهم أعمارهم فوق 45 عام)[2]، وتتشابه عادات وتقاليد المجتمع التركي مع العادات المنتشرة في الشرق الأوسط من حيث التجمعات في الأعراس والمقاهي، وأسلوب الحياة المتبع، الأمر الذي يجعله ثاني أكبر بؤرة لانتشار الفيروس في منطقة الشرق الأوسط بعد إيران[3]، ناهيك عن الضغوطات التي يعاني منها الاقتصاد التركي بسبب أزمة اللاجئين السوريين الفارين من أماكن النزاع المسلح شمال سورية الذي يقارب عددهم 3.6 مليون[4]. على صعيد آخر، تشتهر تركيا بازدهار قطاع السياحة فيها،

---

(1) بالتصرف من قبل الباحثين بالاعتماد على المرجعين التاليين:

المو قع الر سمي للبنك ا لدولي(https://www.worldbank.org/en/country/turkey/overview).

Bagci Hüseyin (2011) "**G20 Perceptions and Perspectives for Global Governance The Role of Turkey as a New Player in the G20 System**", Regional Programme Political Dialogue Asia Singapore, chapter 15.

(2) بناءً على البيانات الواردة في موقع (www.populationpyramid.net/turkey/2019/)، حيث بلغ عدد السكان الذي تزيد أعمارهم عن 45 عام 24.59 مليون نسمة من أصل 83.43 مليون نسمة بناء على إحصائيات عام 2019.

(3) صحيفة الوطن السورية (2020) " تركيا تنافس إيران: بؤرة جديدة لكورونا في الشرق الأوسط"، مقال:

https://alwatannews.net/article/874475/World/ تركيا تنافس إيران بؤرة جديدة لكورونا في الشرق الأوسط

(4) المو قع الر سمي للبنك ا لدولي (https://www.worldbank.org/en/country/turkey/overview).

وذلك بسبب امتلاكها العديد من الأماكن التي تجذب السياح من جميع أنحاء العالم، ولعل ذلك السبب الرئيسي لانتشار الفيروس فيها. وهكذا تبرز مشكلة البحث في تحديد مقدار الأضرار التي تعرض (ويتعرض) لها الاقتصاد التركي نتيجة لانتشار فيروس كورونا.

تكمن أهمية هذا البحث في محاولته الإجابة على التساؤلات المتعلقة بمعرفة تأثير فيروس كورونا على المفاصل الاقتصادية في تركيا في ظل الاهتمام العالمي المتزايد حول تداعياته على الجوانب الاقتصادية وسبل الحد منها في دول العالم كافة. وعليه، فمن الممكن أن تحظى هذه الورقة باهتمام خاص من قبل الباحثين والمحللين في مجال السياسات الاقتصادية حول العالم بشكل عام وفي تركيا بشكل خاص، في إطار الجهود المبذولة لإيجاد التدابير المثلى المتعلقة بسبل الحد من تداعيات الفيروس على الاقتصاد بشكل مبكر.

تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على الآثار المحتملة لهذا الوباء العالمي، وبشكل خاص على اقتصاد تركيا فيما يتعلق بالمتغيرات الاقتصادية الرئيسية وخاصة النمو، وامتداد ذلك إلى السوق المالية.

الدراسات السابقة:

- دراسة عباس[1]، هدف الباحث إلى تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصادية للدولة التركية وأهم التداعيات الاقتصادية لإجراءات الإغلاق والتباعد الاجتماعي على الاقتصاد التركي، وأهم الإجراءات التي اتخذتها الدولة لمواجهة تلك التداعيات ومحاولة إعادة النشاط الاقتصادي إلى مستوياته السابقة في ظل احتياطات الوقاية من عودة انتشار الفيروس مرة أخرى. وفي سبيل ذلك قام الباحث بتقديم عرض نظري لأحوال الاقتصاد التركي قبل أزمة كورونا، وأهم الإجراءات (الاقتصادية فقط) التي اتبعتها الحكومة التركية

[1] محمد عباس (2020) " **تركيا ـ الإدارة الاقتصادية لتداعيات كورونا**"، بحث منشور، دراسات اقتصادية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، تركيا.

للتخفيف من آثار الفيروس على الاقتصاد، ثم قام بالتطرق للنتائج المبدئية لهذه السياسات على كل من مؤشر المشتريات والصادرات والعقارات، مُستشهداً ببعض الإحصاءات (دون إجراء أي تحليل بياني أو إحصائي). هذا وقد خلصت الدراسة إلى أن الإجراءات المتبعة من قبل الحكومة التركية كانت موجهة لكل من جانبي العرض والطلب على حدٍ سواء ولجميع القطاعات دون أي تمييز، مشيرة إلى الدور الكبير الذي تلعبه البنوك المركزية في مواجهة الأزمات، مع التأكيد على فعالية الإجراءات المتبعة في تركيا في الحد من تداعيات الإغلاق على الفقراء الذين يتقاضون الحد الأدنى من الأجور.

- دراسة Öztürk وآخرون[1]، هدف الباحثون إلى اختبار أثر عدد الإصابات بفيروس كورونا في تركيا، والاتحاد الأوروبي، والعالم على مؤشرات القطاعات المدرجة في السوق المالي التركي، وذلك للفترة بين 2 كانون الثاني و15 نيسان 2020، وذلك باستخدام نموذج الأثر الثابت. أظهرت النتائج أن مؤشرات القطاعات في السوق المالي التركي تتأثر سلباً بشكل رئيسي بعدد حالات الإصابة بفيروس كورونا في تركيا من تلك المعلنة في الاتحاد الأوروبي والعالم، حيث ظهر الأثر الأكبر في قطاعات الصناعات الحديدية، والرياضة، والتأمين، والمصارف. في حين أن قطاعات العقارات، والصناعات غير الحديدية، والأغذية، والاتصالات، وتجارة التجزئة؛ كانت الأقل تأثراً بعدد الإصابات بالفيروس.

---

[1] Özcan Öztürk; Muhammet Yunus Sisman; Hakan Uslu; Ferhat Citak (2020) "**Effects Of Covid19 Outbreak On Turkish Stock Market : A SectoralLevel Analysis**", Hitit University Journal of Social Sciences Institute, 13(1), P. 56:68.

- دراسة Uluyol[1]، هدف الباحث إلى تتبع تأثير جائحة كورونا على الاقتصاد التركي وأهم الإجراءات المتخذة من قبل الحكومة التركية لمواجهة التبعات السلبية لهذه الجائحة. حيث تم تسليط الضوء (بشكل نظري مع الاستعانة ببعض البيانات) على تأثير انتشار الفيروس على دول العالم بشكل عام، وعلى تركيا بشكل خاص من خلال تتبع أثره على كل من قطاعات الصحة، والمصارف، والسياحة وعلى مستوى العمالة وعلى سعر الصرف؛ وتناولت هذه الدراسة أهم الإجراءات التي تم تطبيقها في تركيا في سبيل مواجهة هذه الأزمة، مع الإشارة أخيراً إلى الآفاق المتوقعة للاقتصاد التركي في عالم ما بعد كورونا.

على الرغم من الأهمية العلمية للدراسات السابقة، إلا أن أهم ما يميز هذه الدراسة أنها تناولت المتغيرات الاقتصادية الرئيسية على المستوى الكلي وعلى مستوى السوق المالية لأطول فترة ممكنة، حيث تناولت الآثار على المستوى العالمي ثم على مستوى الاقتصاد التركي مع الاعتماد على التحليل البياني لاختبار اتجاه العلاقة بين تلك المتغيرات وبين المتغيرات الممثلة لانتشار فيروس كورونا.

1. تأثير أزمة كورونا على الاقتصاد العالمي:

يمكننا القول بأن الحرب العالمية الثالثة قد بدأت في نهاية عام 2019، ولكن هذه المرة لم تتواجه دول العالم مع بعضها البعض بل دخلت الدول كافة ولأول مرة في معركة ضد عدو غير مرئي يُعرف باسم كوفيد-19 (COVID-19)؛ فبعد ظهور الفيروس في مدينة وهان الصينية، انتشر تدريجياً

---

[1] Burhan Uluyol (2020) **"The Impacts Of Covid19 Pandemic On Turkish Economy: Issues And Challenges"**, Research, Istanbul Sabahattin Zaim University, Turkey.

ليطال جميع دول العالم، مُسبباً خسائر اقتصادية كبيرة إضافة إلى ما سببه "ويُسببه" من كوارث صحية.

- تفشي الوباء عالمياً: لقد فاجأت جائحة كورونا العالم في أواخر عام 2019، فعلى الرغم من أن الكثيرين قد نسبوا بدايتها إلى الأول من كانون الأول تزامناً مع تسجيل أول حالة واقعية في الصين، إلا أن بدايتها الفعلية غير مؤكدة حتى الآن بشكل فعلي. وفي الوقت الذي قلل فيه المجتمع العالمي من خطورة الفيروس معتقدين بأنه سوف يبقى محصوراً ضمن بعض الدول التي تتعامل مباشرة مع الصين، انتشر الفيروس بشكل سريع وغير متوقع في جميع دول العالم.

وخلال أول خمسين يوماً من ظهور الفيروس كان معظم الاهتمام موجهاً نحو تحديد هويته ومحاولة التنبؤ فيما إذا كان بإمكانه التأثير على مناطق أخرى من الصين ودول أخرى من العالم. ولكن خلال الخمسين يوماً التالية، أصبح من الواضح للمجتمع العالمي أن العالم بأسره يتعامل مع مرض مُعدٍ وخطير للغاية، وتحول المرض من تصنيفه على أنه مجرد فيروس جديد إلى تصنيفه على أنه "حالة طوارئ صحية عامة ذات اهتمام دولي". وخلال هذه الفترة تم البدء باتخاذ التدابير اللازمة مثل القيود على الحدود وعمليات الإغلاق العام على مستوى البلاد، ومع تزايد انتشار الفيروس بدأت الدول بتشديد حدة الإجراءات، وبدأت التبعات السلبية للمرض بالظهور على مستوى الاقتصاد، والحياة الاجتماعية والسياسية، والقطاعات الصحية الشاملة. ومن ناحية أخرى، خلال هذا الوقت الحافل بالأحداث ظهر نوع من الوحدة العالمية متمثلة بتعاون الناس والحكومات لتقديم الدعم والمساعدات المالية والعينية،

إضافة إلى موجة من العمل المشترك في سبيل تطوير اللقاحات اللازمة، كما قامت مؤسسات مختلفة بتقديم الدعم بشكل خاص للاقتصادات الضعيفة[1].

ومع استمرار انتشار الفيروس وازدياد الإجراءات الوقائية، تفاقمت التبعات السلبية العالمية على كافة الأصعدة، وعانت مختلف البلدان (بما فيها المتقدمة) من حدوث انكماش اقتصادي، الأمر الذي دفع الحكومات لاقتراح وتنفيذ حزم تحفيز اقتصادي لإنقاذ مواطنيها واقتصاداتها المتباطئة، بما في ذلك الشركات التي كانت تكافح بالفعل بسبب تباطؤ مستوى النشاط لديها.

- البعد الاقتصادي للوباء: يُعد تأثير الوباء على نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي هائلاً، وقد أرجع بعض الباحثين هذا التأثير إلى حقيقة أن المخاطر الاقتصادية لـ (كوفيد- 19) مستقلة عن المخاطر الصحية، وقد قارن بعض الباحثين[2] بين هذين الخطرين وأظهروا أنه في بعض الحالات قد يكون الخطران متعامدان، كما هو الحال بالنسبة للبلدان التي لديها عدد قليل من الحالات المبلغ عنها ولكنها تعتمد بشكل كبير على عائدات السياحة ولديها حيز مالي محدود لمكافحة الركود الناجم عن الأزمة.

كما تؤكد بعض الدراسات[3] على أن خطورة هذا الوباء وما سببه من كوارث اقتصادية يتعلق بمجمل المشهد العالمي الراهن. فإذا كان الأمر

---

(1) بالتصرف من قبل الباحثين، وللمزيد من التفصيل انظر في المرجع التالي:
Zaheer Allam (2020) **"Surveying the Covid19 Pandemic and Its Implications: Urban Health, Data Technology and Political Economy"**, Deakin University, Australia, P.9.

(2) Simeon Djankov ;Ugo Panizza (2020) **"COVID19 in Developing Economies"**, Centre for Economic Policy Research, London, UK, P.10.

(3) علي صلاح (2020) **"ملامح جديدة للاقتصاد العالمي في مرحلة ما بعد كورونا"**، سلسلة دراسات خاصة صادرة عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، العدد 4، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 16. (بتصرف)

يتعلق بوباء كورونا بمفرده، فإن منظمة الصحة العالمية تستقبل سنوياً أكثر من 5 آلاف بلاغ عن أوبئة متفشية في العالم، وإذا كان الأمر يتعلق بحجم الانتشار، فليس هذا الفيروس وحده هو ما أصاب الملايين وتسبب بوفاة الآلاف حول العالم[1]، كما أن التكلفة الاقتصادية ليست وحدها ما يجعل جائحة كورونا من أخطر الأزمات التي مر ويمر بها العالم، فالاقتصاد العالمي يتحمل سنوياً تكلفة تصل إلى 570 مليار دولار بسبب الأوبئة. لكن الأمر الأساسي الذي يضع الأزمة الناجمة عن فيروس كورونا المستجد في مراتب الأزمات الاقتصادية الأضخم على مر التاريخ، هو الواقع الاقتصادي الأكثر انفتاحاً الذي يعيشه العالم، وحالة السيولة والترابط غير المسبوقين بن الأنشطة الاقتصادية، وسلاسل الإمدادات التي باتت موزعة على مناطق العالم المختلفة بعد أن قطع العالم شوطاً طويلاً في عملية تخصيص الإنتاج بين الدول[2]. حيث بات النمو الاقتصادي العالمي بأكمله يعتمد في الأساس على استمرارية سلاسل الإمدادات العالمية وسيولتها. ويعني ذلك أنه إذا انقطعت تلك السلسلة فسيكون الاقتصاد العالمي بأكمله محل تهديد، بل إن انقطاع سلاسل الإمدادات الخاصة بالسلع الضرورية، بما فيها الأدوية والأغذية، من المتوقع أن يهدد حياة ملايين البشر حول العالم.

---

(1) حيث تُعد هذه الأرقام محدودة بالنسبة لوباء الكوليرا الذي يصيب ما بين 1.3 و4 مليون شخص ويقتل ما بين 21 و143 ألف شخص سنوياً حول العالم، ناهيك عن جائحة "الإنفلونزا الإسبانية" التي اجتاحت العالم خلال عامي 1918 و1919 والتي يُعتقد بأنها تسببت بوفاة حوالي 50 مليون شخص حول العالم، ما جعلها أشد وأعنف جائحة في التاريخ.

(2) فعلى سبيل المثال، طائرة ايرباص التي يتم تجميعها في فرنسا، يتم تصنيع أجزاءها فيما يزيد على 100 دولة، ويشترك في صناعتها 8 آلاف شركة بشكل مباشر و1800 شركة بشكل غير مباشر.

- الآثار الاقتصادية العالمية للوباء: لقد أدت جائحة كوفيد-19 إلى إغراق العالم في أزمة اقتصادية توقع البنك الدولي أنها ستكون الأعمق منذ الحرب العالمية الثانية، كما ستكون أسوأ بثلاث مرات تقريباً من الأزمة المالية العالمية 2008-2009. ومع ذلك، فإن نظرة البنك تختلف من دولة لأخرى؛ حيث يتوقع أن ينخفض الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصادات المتقدمة (كالولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، ومنطقة اليورو) بشكل أكبر من الاقتصادات الناشئة والبلدان النامية[1].

هذا وتشير التقديرات بالفعل إلى أن الناتج المحلي الإجمالي العالمي قد انكمش بنسبة 15.6% في النصف الأول من عام 2020، وهو تراجع أكبر بأربعة أضعاف مما كان عليه في عام 2008 وذلك وفقاً لتقديرات بنك الاستثمار JPMorgan Chase الأمريكي وقد تم استرداد بعض من هذا التراجع بالفعل. ولكن صندوق النقد الدولي يتوقع أن ينكمش الاقتصاد العالمي بنسبة 4.9% حتى نهاية عام 2020، وحتى عندما تبدأ الحكومات في سحب برامج الدعم فمن المتوقع أن ينخفض الناتج الإجمالي في منطقة اليورو والمملكة المتحدة بنسبة 10.2% هذا العام، بينما ينكمش الاقتصاد الأمريكي بنسبة 8%، حيث لا يتوقع معظم الخبراء أن يعود الناتج العالمي إلى مستويات ما قبل الأزمة حتى نهاية عام 2021 - ما لم تكن هناك موجة ثانية من انتشار الفيروس هذا الشتاء[2].

---

(1) Will HallSmith (2020) "**The economic impact of coronavirus across the globe**", Article, IG Bank, Switzerland, The first paragraph.

(2) للمزيد حول ذلك انظر في المرجع التالي:

Matei Rosca; Bjarke SmithMeyer; et. Al. (2020) **"The coronavirus economy: How bad will it get?"**, Article, Politico, Europe, The first Paragraph.

ومن ناحية ثانية، فقد تسبّبت إجراءات غلق الحدود والإغلاق الكلي أو الجزئي للنشاطات الاقتصادية بتداعيات خطيرة ومدمرة على سوق التوظيف العالمية، حيث فقد ملايين العمال وظائفهم، ليواجه الاقتصاد العالمي أزمة جديدة على صعيد البطالة التي تفاقمت بشدة منذ بداية الأزمة. وخلصت بعض الدراسات[1] إلى أن جائحة كورونا وما رافقها من إجراءات إغلاق قاسية، كلفت الاقتصاد العالمي نحو 3.8 تريليون دولار، وهو رقم مرشح للارتفاع. كما فقد 147 مليون شخص حول العالم وظائفهم، مما تسبب في انخفاض مدفوعات الرواتب بواقع 2.1 تريليون دولار، وانخفاض مستوى الاستهلاك العالمي بنسبة 4.2%، أي ما يعادل 3.8 تريليون دولار (وهو ما يوازي الناتج الإجمالي المحلي لدولة مثل ألمانيا).

أما إذا ما انتقلنا لتأثير هذه الجائحة على معدلات التضخم العالمية، فلا تزال هذه النقطة محل جدل حتى الآن بين الخبراء، حيث يرى بعضهم أن انخفاض أسعار السلع الأساسية، وعدم استقرار أسعار النفط، وركود سوق العمل، يشير إلى أن المستقبل يحمل تضخماً منخفضاً وربما انكماشاً ملحوظاً، بينما يرى آخرون أنه إذا ما بالغت الحكومات والبنوك المركزية في تقدير الأضرار التي لحقت بسلاسل التوريد العالمية بسبب الوباء، وقدمت الكثير من الدعم للشركات والأسر لمواصلة الإنفاق، فإن الطلب سيزداد بالشكل الذي لن يكون الاقتصاد العالمي قادراً على التعامل معه، مما سيؤدي إلى قفزات ضخمة في أسعار المستهلكين، ومن ثم فإن المستقبل يتراوح بين التضخم والتضخم

---

[1] سكاي نيوز الإخبارية (2020) "**أرقام صادمة ... كيف أثر فيروس كورونا على اقتصاد العالم؟**"، مقال مترجم، الفقرة الأولى:
أرقام صادمة أثر فيروس كورونا اقتصاد العالم؟ https://www.skynewsarabia.com/business/1360270

المرتفع[1]. إن هذا التباين في وجهات النظر بين الاقتصاديين، لا ينفي أن العدد الأكبر يرى أن الإرث الذي سيحظى به الاقتصاد الدولي نتيجة جائحة كورونا، سيكون إرثاً من هبوط أسعار السلع والخدمات نتيجة انخفاض الطلب الناجم عن استمرار تراجع الثقة من جهة والاتجاه نحو الادخار الاحترازي من جهة ثانية، ما يشير إلى الدخول في مرحلة من الانكماش، وفي أفضل الأحوال تضخماً محدوداً للغاية[2]. وعلى صعيد آخر، أحدثت أزمة كورونا خللاً في الاستقرار المالي العالمي حيث انخفضت أسعار الأصول الخطرة إلى مستويات متدنية جداً منذ بداية تفشي هذا الوباء ويعد الانخفاض الذي حدث في أسعار الأصول الخطرة منذ بداية انتشار فيروس كورونا أكبر انخفاض يشهده العالم بعد الانخفاض الذي حدث في عام 2008 نتيجة الأزمة المالية[3].

---

(1) كما يشير بعض الخبراء إلى أن أسعار النفط سترتفع مستقبلاً، وعلى الرغم من أن التوقعات التضخمية لا تعتمد فقط على مسار أسعار الطاقة، فمن المتوقع أن تكون الزيادة في التضخم أوسع نطاقاً عبر مجموعة من السلع والخدمات، وسيكون انتعاش الطلب أسرع بكثير من انتعاش العرض، مما يعني ارتفاع التضخم.

(2) بتصرف، وللمزيد من التفصيل انظر:

هشام محمود (2020) "**تضخم أم انكماش ... إلى أين يتجه الاقتصاد العالمي في ظل تداعيات الجائحة؟**"، مقال منشور، جريدة الاقتصادية الإخبارية الإلكترونية، الفقرة الأولى والثانية:
https://www.aleqt.com/2020/08/30/article_1908466.html

(3) فعلى سبيل المثال تحمل العديد من أسواق الأسهم في اقتصاديات الدول الكبرى والصغرى انخفاضات بنسبة 30% أو أكثر نتيجة لفيروس كورونا، وقد بدأت تظهر الضغوطات على الأسواق الكبرى للتمويل قصير الأجل مثل السوق العالمية للدولار الأمريكي. ونتيجة التقلب الشديد الذي حدث في السوق المالي العالمي حدث تراجع شديد في سيولة الأسواق الدولية مثل سوق سندات الخزانة الأمريكية. للمزيد انظر:

محمد رزق محمد عبد الحميد (2020) "**تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي والمصري**"، بحث منشور، المركز الديمقراطي العربي، الفقرة السادسة (لعدم وجود أرقام صفحات).

وتجدر الإشارة أخيراً، إلى أنه وعلى الرغم من أن معظم البلدان النامية قد نجت نسبياً من الموجة الأولى من الوباء، فقد تضررت اقتصاداتها بشدة حيث عانت من صدمات خارجية ومالية كبيرة؛ وفي الوقت الذي تتحسن فيه الأمور في الاقتصادات المتقدمة مع السيطرة على الوباء في معظم الدول الأوروبية، فقد تزداد الأمور سوءاً في بعض البلدان النامية مثل إفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تسجل زيادة في عدد حالاتها والتي قد تعاني بسبب ظروفها الأولية المتميزة بالفقر المرتفع وضعف النظام المالي وهشاشته، من عواقب طويلة الأمد من الوباء. وحتى البلدان النامية ذات معدلات الإصابة المنخفضة تواجه صدمات اقتصادية سلبية كبيرة مرتبطة تأثير الوباء على أسعار السلع الأساسية، وتدفقات رأس المال، وانكماش التجارة العالمية، وتراجع مستويات الطلب المحلي، وركود نشاط السياحة[1]. حيث تشير بعض الأبحاث[2] إلى أنه بالنسبة للدول العربية والنامية، سوف ينعكس التراجع في الطلب العالمي المحتمل الذي قد لا يقل عن 50% على مستويات الطلب الخارجي الذي يعد مسؤولاً عن توليد 48% من الناتج المحلي الإجمالي فيها، ومن ثم تراجع محتمل للصادرات النفطية وغير النفطية، وعلى وجه الخصوص سوف تتأثر الاقتصاديات العربية بتباطؤ الطلب لدى عدد من شركائها التجاريين، حيث تعتبر الدول المتأثرة بالفيروس حالياً من أهم الشركاء التجاريين للدول العربية كونها تستوعب 65% من الصادرات العربية.

---

(1) بتصرف: Simeon Djankov ;Ugo Panizza (2020) **"COVID19 in Developing Economies", Op. Cit., PP. 8:9.**

(2) مرام تيسير الفرا (2020) **"تأثيرات أزمة فيروس كورونا على أداء الاقتصاد العالمي وعلى أداء مؤسسات ضمان الودائع حول العالم"**، دراسة بحثية، المركز الديمقراطي العربي، ص7.

وبالطبع فإن استمرار انتشار الفيروس سيعمل على تضرر قطاعات عديدة في الدول النامية من أهمها قطاعات الخدمات الإنتاجية وعلى رأسها قطاعات السياحة والنقل والتجارة الداخلية والخارجية، وهو ما يدفعنا إلى دراسة وتحليل الآثار الاقتصادية لجائحة كورونا على واحدة من أكثر الدول النامية اعتماداً على السياحة من جهة، وثاني بؤرة انتشار لها في منطقة الشرق الأوسط من جهة ثانية.

2. تأثير أزمة كورونا (Covid-19) على الاقتصاد التركي:

على الرغم مما يتمتع به الاقتصاد التركي من حيوية سوقه وتطور قطاعات السياحة والصناعة والعقارات فيه، فضلاً عن تطور البنية التحتية للبلاد، إلا أن العملة التركية قد واجهت حالة من هبوط سعر صرفها منذ عام 2017 تقريباً، وصولاً إلى بداية أزمة حقيقية لليرة التركية في آب 2018[1]، وقد ذهبت الكثير من التحليلات إلى الأسباب السياسية، ولكن لا بدّ من التأكيد على وجود أسباب اقتصادية ساهمت في المشكلة الأخيرة للّيرة، ومنها ما يرتبط ببعض نقاط ضعف الاقتصاد التركي، ومن أهمها اختلال الميزان التجاري؛ فلا تزال تركيا تستورد أكثر بكثير مما تصدر من منتجات ومواد مختلفة[2]؛ ففي عام 2017 مثلاً بلغت قيمة العجز 7 مليار دولار، حيث زاد

---

(1) ففي العاشر من آب 2018 تدهورت الليرة التركية إلى أدنى مستوياتها منذ 17 عاماً أمام الدولار، وذلك بعد أن فرضت واشنطن عقوبات ورسوم جمركية إضافية على وارداتها من منتجات الألمنيوم والحديد التركية، علماً هذا الإجراء كان له جذورٌ أعمق مهدت لهذا التدهور.

(2) علماً أن أكثر ما تستورده تركيا من الخارج هو المشتقات البترولية، وذلك نظراً لحاجتها لهذه المواد الأولية والأساسية مع عدم وجود إنتاج محلي لها، مما يجعلها تحت رحمة الأسعار العالمية.

الاستيراد بنسبة 18% بالمقارنة مع العام السابق[1]، بالإضافة إلى ارتفاع درجة الانكشاف الخارجي، وحجم الائتمان الكبير الممنوح بالقطع الأجنبي، وانخفاض حصة صادرات التكنولوجيا المتقدمة من إجمالي الصادرات، ناهيك عن ارتفاع معدلات التضخم والتي كان لها اتجاه تصاعدي منذ نيسان 2018، حيث ارتفعت من 10.8% في نيسان إلى 15.8% في تموز نتيجة المضاربات على العملة. فضلاً عن أسعار الفائدة المرتفعة والتي وصلت في حزيران إلى 17.7%[2]. وهكذا فقد واجهت تركيا أزمة اقتصادية ونقدية حادة ما زالت مستمرة حتى الآن، وذلك قبل بدء ظهور جائحة كورونا، والتي ساهمت بدورها في زيادة حدة المشكلات التي كان يعاني منها الاقتصاد في الأساس.

- **مسار تفشي الوباء :**

لقد وصل الفيروس إلى تركيا في الحادي عشر من آذار 2020 (من سائح أجنبي)، لكنه انتشر خلال فترة قصيرة بسبب كونها -جغرافياً-حلقة وصل لدول العالم عبر مطاراتها وحدودها، وبدأت الإصابات بعدها بالتزايد بوتيرة متسارعة خلال الشهر الأول من انتشاره، وحدثت أول حالة وفاة نتيجة الإصابة بالفيروس بعدها بأيام قليلة، وقد أصبحت تركيا في المرتبة العاشرة ضمن أسوأ دول العالم بخصوص جائحة كورونا (أسوأ من الصين وبريطانيا). ولكن بعد ثلاثة أشهر من تسجيل الحالات الأولى لم تشهد البلاد تدهوراً دراماتيكياً في أعداد الإصابات والوفيات رغم أن السلطات لم تفرض الإغلاق التام[3]، وتم

---

(1) جو حمورة (2018) "**الليرة التركية.. أو آخر أخصام أردوغان**"، بحث منشور، مركز الشرق الأوسط للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، ص2.

(2) عبد الحافظ الصاوي (2018) "**أزمة الليرة التركية: تحديات ومقترحات**"، ورقة بحثية، المعهد المصري للدراسات، ص 4:5.

(3) حيث تم فرض إغلاق تام ليومي السبت والأحد نهاية الأسبوع ولمدة شهرين ونصف فقط.

إعلان السيطرة على الفيروس بعد ثمانية أسابيع من اكتشاف أول مريض[1]. وتجدر الإشارة إلى أن الوباء عاد للانتشار بشكل كبير فيما بعد، حيث أصبحت تركيا تسجل الآن ما يزيد على 1600 حالة إصابة و60 حالة وفاة بكوفيد-19 يومياً، وهو ما يتخطى بكثير ذروة التفشي في نيسان ويتزايد باطراد، إذ بلغ معدل الوفيات بالمتوسط ثلاثة أمثال المعدل المسجل بين حزيران وآب[2]. كما يوضح الشكلان رقم (1) و(2) تطور عدد الإصابات والوفيات بفيروس كورونا في تركيا، على التوالي.

---

[1] رامي الجندي (2020) "**النموذج الصحي التركي في مكافحة جائحة كورونا**"، مقال، الجزيرة نت، ترك برس، الفقرة الثانية:

https://www.turkpress.co/node/72954

[2] سكاي نيوز الإخبارية (2020) "**تفشي كورونا في تركيا.. مواجهة مستعرة بين الأطباء والسلطات**"، مقال، الفقرة الأولى:

تفشي كورونا تركيا مواجهة https://www.skynewsarabia.com/world/1377321 مستعرة الأطباء والسلطات

الشكل رقم (1) عدد الإصابات بفيروس كورونا في تركيا

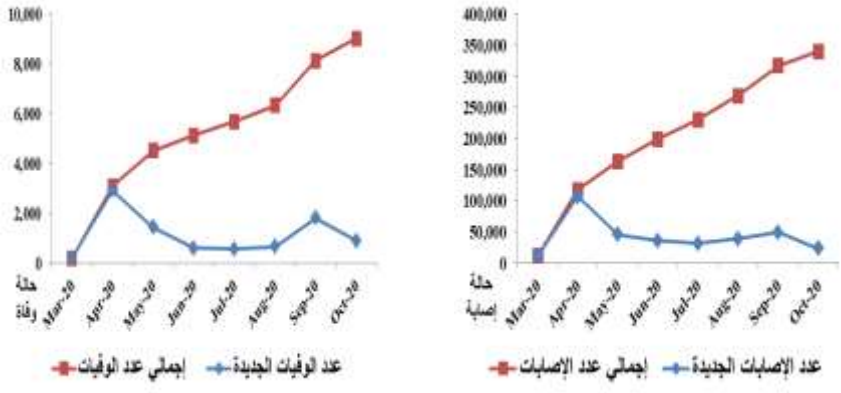

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من موقع (www.ourworldindata.org)

الشكل رقم (2) عدد الوفيات بفيروس كورونا في تركيا

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من موقع (www.ourworldindata.org)

يلاحظ من الشكل رقم (1) أن عدد الإصابات بفيروس كورونا ازداد بوتيرة متسارعة وبمعدل نمو تجاوز 950% خلال الشهر الأول من انتشاره في تركيا[1]، حيث ارتفع عدد الإصابات من 10.8 آلاف في شهر آذار إلى 117.58 ألف في شهر نيسان، وكذلك الأمر بالنسبة لعدد الوفيات نتيجة الوباء كما يظهرها الشكل رقم (2)، فقد تزايد عدد الوفيات 17 ضعفاً خلال الشهر الأول من الانتشار، حيث ارتفع إجمالي عدد الوفيات نتيجة الفيروس من 168 حالة وفاة في شهر آذار إلى أكثر من 3 آلاف حالة وفاة في شهر نيسان، ولكن حسن إدارة الأزمة من قبل الحكومة التركية، أدى إلى تسطيح منحنى الإصابات الجديدة بالفيروس ومنحنى الوفيات كما يظهر في الشكلين المذكورين أعلاه، حيث تراجع عدد الإصابات الجديدة إلى ما يقارب 37 ألف إصابة

(1) بناءً على الأرقام الواردة في موقع (www.ourworldindata.org)، حيث بلغ معدل نمو الإصابات الجديدة في شهر نيسان 986.1%.

بشكل وسطي بين شهري أيار وآب[1]، وارتفع عدد الإصابات في شهر أيلول بنسبة 18%[2]، ووصل عدد الإصابات الكلية بالفيروس في تركيا إلى 340 ألف إصابة حتى تاريخ 15 تشرين الأول 2020. وتبع منحنى الوفيات اتجاهاً مشابهاً لمنحنى الإصابات حيث وصل إجمالي عدد الوفيات حتى منتصف شهر تشرين الأول إلى 9 آلاف حالة وفاة.

- **أهم السياسات والإجراءات المتخذة:**

تُعد تركيا واحدة من الدول التي نجحت في اتخاذ تدابير فعالة في مكافحة الفيروس نظراً لاتخاذها إجراءات مبكرة من جهة، إضافة إلى توفر المعدات الطبية لدرجة قيامها بإرسال المساعدات اللازمة كالأقنعة وأجهزة التنفس الصناعي للعديد من الدول كالولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وإسبانيا، وإيطاليا من جهة ثانية. وقد أكدت العديد من الدراسات[3] على نجاح الاستراتيجية المتبعة في تركيا أكثر من غيرها من الدول، وعلى الرغم من ارتفاع عدد الحالات، كان عدد الوفيات منخفضاً، حيث أصبح أقل من 4600 حالة اعتباراً من 2 حزيران. هذا وقد تشابه معدل إجراء الاختبار (Testing Rate) في تركيا مع نظيره في فرنسا، أما معدلات الوفيات فقد كانت أقل بعشر مرات من معدلات الوفاة في بريطانيا.

---

(1) بناءً على الأرقام الواردة في موقع (www.ourworldindata.org)، حيث بلغ متوسط عدد الإصابات بين شهري أيار وآب 37,739 إصابة جديدة شهرياً.

(2) بناءً على الأرقام الواردة في موقع (www.ourworldindata.org)، حيث بلغ عدد الإصابات الجديدة في شهر أيلول 48,726 إصابة جديدة، في حين بلغ عدد الإصابات التراكمي لغاية نهاية شهر آب 268,546 إصابة.

(3) The Economist Newspaper (2020) **"Strength in Numbers: What Turkey got right about the pandemic"**, Article, UK, The third paragraph.

وتتضافر عدة عوامل في نجاح استراتيجية إدارة أزمة كورونا في تركيا، يمكن إيجازها فيما يلي:

- متانة القطاع الصحي[1]: حيث يتمثل السبب الأهم في هذا النجاح بالبنية التحتية القوية للقطاع الصحي والإدارة الناجحة للخدمات الصحية، فالاستثمارات المتواصلة في هذا القطاع منذ عام 2002، نجحت في زيادة عدد الأسِرّة في المستشفيات بشكل ملحوظ، وزيادة القدرة على علاج الحالات المصابة، وزيادة عدد أسِرّة وحدات العناية المركزة (فعدد الأسِرة لكل 100 ألف شخص في تركيا أكبر مما تملكه دول أوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وهولندا وبريطانيا وبلجيكا). وعلى هذا النحو، نجحت تركيا في توفير رعاية طبية فعالة للحالات المصابة، وواصلت ذلك على أكمل وجه حتى في فترات الذروة. كما لعبت التغييرات التي أجرتها تركيا على نظام التأمين الصحي العام خلال هذه المرحلة دوراً فعالاً في زيادة كفاءة الخدمات الطبية، حيث لم يتكلف المواطنون أية مصاريف مقابل الخدمات، وجرى الاكتفاء بتحصيل رسوم جزئية شهرياً، كما تم توفير رعاية صحية بالمجان للمواطنين الذين لا يملكون تأميناً صحياً، في الوقت الذي كان يتعذر على المواطنين المصابين بفيروس كورونا في بلدان عديدة (في مقدمتها الولايات المتحدة والدول الأوروبية) الحصول على رعاية طبية بسبب مصاريف العلاج الباهظة.

- التدابير الوقائية: لقد اتجهت الحكومة نحو اتخاذ تدابير قاسية نسبياً ولكنها تجاوزت مسألة الإغلاق الكامل، حيث فرضت في وقت مبكر جداً على كل من الأطفال وكبار السن والأشخاص المصابين بالأمراض المزمنة البقاء في المنزل، في حين طلبت من أي شخص آخر الحضور إلى العمل، كما فُرض على المدن الكبرى حظر تجول شامل في عطلات نهاية الأسبوع والأعياد واعتماد

---

[1] لمزيد من التفصيل انظر: حازال دوران (2020) "**استراتيجية تركيا في مكافحة كورونا: تدخُّل مبكِّر وحاسم**"، مقال منشور، TRT عربي، الفقرتين الرابعة والخامسة.

نظام التعليم عن بعد في المدارس والجامعات منذ 16 آذار. وفي الأول من حزيران استؤنفت بعض الأنشطة مع الاستمرار في منع كل من الأطفال والأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاماً عن الخروج لأكثر من بضع ساعات في الأسبوع[1]. فضلاً عن العناية الخاصة التي مُنحت للمسنين والتي يمكن أن تبرر تدني معدل الوفيات في تركيا[2].

- التدابير الاقتصادية[3]: تم الإعلان عن حزمة الدرع الاقتصادي وقدرها 100 مليار ليرة تركية؛ وفي إطار الحزمة المذكورة تم اتخاذ عدة خطوات مثل زيادة معاشات المتقاعدين، وتقديم مساعدات للعائلات المحتاجة ومقدارها 2 مليار ليرة، وجعل الحد الأدنى لمعاشات المتقاعدين 1500 ليرة، وصرف مكافآت العيد مبكراً. وبشأن أرباب العمل قدمت الحكومة تسهيلات لقطاع الأعمال كتأجيل الالتزامات الضريبية والديون الائتمانية، وتخفيض أوقات العمل وتخصيصها بشكل دقيق، وتخفيض ضريبة الدخل في قطاع النقل الجوي، وإيقاف إجراءات التنفيذ والإفلاس.

- التدابير في مجال السياحة: لقد تضررت السياحة التركية بشكل كبير من الوباء، مما دفع وزارة السياحة إلى صياغة بروتكولات مع الفنادق تتضمن 31 شرطاً لضمان صحة أفضل وتشغيل خالٍ من خطر العدوى بالفيروس؛

---

(1) The Economist Newspaper (2020) **"Strength in Numbers: What Turkey got right about the pandemic"**, Op. Cit., The second paragraph.

(2) إن من تقاليد المجتمع التركي أن يعيش المسنون مع عائلاتهم، حيث أن وضع شخص في دور للمسنين (التي أصبحت بؤرة للوباء في امريكا واوروبا) يعتبر من المحرمات ثقافياً. للمزيد انظر: وكالة يورونيوز (2020) **"كيف نجحت تركيا في الحد من انتشار وباء كوفيد19 والتخفيف من تداعيات الفيروس؟"** مقال منشور، الفقرة قبل الأخيرة.

(3) حازال دوران (2020) **"استراتيجية تركيا في مكافحة فيروس كورونا "**، بحث منشور، مؤسسة SETA، الفقرة قبل الأخيرة.

فالسياحة ليست مجرد محرك للاقتصاد التركي، ولكنها مصدر مهم للعملة الصعبة أيضاً[1].

وهكذا، فعلى الرغم من كل المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد التركي، إلا أن هناك بعض نقاط القوة التي تبلورت أثناء أزمة كورونا؛ فالقطاع الصحي على سبيل المثال، الذي استثمرت فيه الحكومة[2] بكثافة في السنوات الأخيرة أكد على قدرته على احتواء جائحة كورونا نسبياً على الأقل. وهو الأمر الذي سنحاول التحقق من مدى دقته من خلال تحليل التبعات الاقتصادية لهذا الفيروس.

- **الآثار الاقتصادية لانتشار الوباء (Covid-19) على الاقتصاد التركي:**

بعد تعرفنا على أبرز ملامح الاقتصاد التركي قبل جائحة كورونا، وبعد تسليط الضوء على أهم الإجراءات التي تم اتخاذها في سبيل مواجهة هذه الجائحة، سنقوم فيما يلي بدراسة وتحليل تأثير انتشار الفيروس على المؤشرات الأساسية للاقتصاد؛ سواء تعلق الأمر بالمتغيرات الاقتصادية الكلية أو بالسوق المالي. وذلك من خلال إجراء تحليل إحصائي لاختبار اتجاه وقوة العلاقة بين انتشار فيروس كورونا (معبراً عنه بكل من معدل نمو عدد الإصابات ومعدل نمو عدد الوفيات اليومي) من جهة، والسوق المالي (معبراً عنه بكل من حجم التداول اليومي والعوائد اليومية لمؤشر السوق المالي) من جهة ثانية. بينما سيتم الاكتفاء بتحليل العلاقة بين فيروس كورونا والمتغيرات الاقتصادية الكلية بيانياً،

---

(1) حسن زنيند (2020) "**انزلاق الليرة ـ اقتصاد تركيا يترنح وسط أزمات شرق المتوسط**"، مقال منشور، وكالة DW الألمانية، الفقرة الأخيرة.

(2) حيث باتت السياحة الصحية محور اجتذاب للزوار الأجانب، خصوصاً الراغبين في إجراء عمليات زراعة الشعر أو جراحة العيون بالليزر أو التلقيح الاصطناعي.

نظراً لقلة عدد المشاهدات[1] وبالتالي عدم القدرة على إجراء تحليل إحصائي دقيق.

- **أثر كورونا على الاقتصاد الكلي:**

سنقوم هنا بدارسة تأثير انتشار الفيروس على المؤشرات الكلية الرئيسية في الاقتصاد، متمثلة بكل من (معدل نمو الناتج، معدل التضخم، ومعدل البطالة) وذلك بالاعتماد على الأشكال البيانية (كما سبق وأشرنا).

- **الناتج المحلي الإجمالي:**

يظهر الشكل رقم (3) أدناه معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في تركيا خلال الفترة من الربع الثالث 2019 وحتى نهاية الربع الثاني لعام 2020.

الشكل (3): معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي التركي

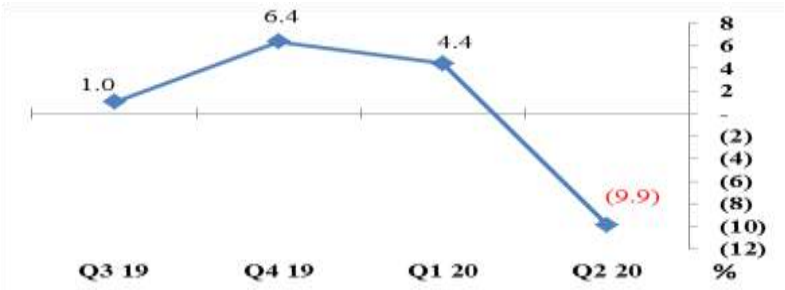

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

نلاحظ من خلال الشكل المذكور الارتفاع الكبير لمعدل النمو الحقيقي خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة لعام 2019 (أي قبل انتشار الوباء)، حيث ارتفع معدل النمو من 1% في أيلول 2019 إلى 6.4% في كانون الأول من

[1] المشاهدات ستكون شهرية وربعية، وبما أن الجائحة حديثة العهد في العالم بشكل عام وفي تركيا بشكل خاص فستكون المشاهدات غير كافية لإجراء تحليل إحصائي.

نفس العام، وقد أرجعت بعض الدراسات[1] هذا الارتفاع بشكل رئيسي إلى التسهيلات الكبيرة في السياسة النقدية كالإجراءات المتمثلة في التيسير النقدي السريع، وقرارات البنك المركزي التركي بتخفيض أسعار الفائدة على نحو مستمر بحيث تراجعت من 24% في حزيران 2019 إلى 9.75% في آذار 2020؛ فضلاً عن أن السياسات التوسعية وما رافقها من زيادة في الإنفاق العام، ورفع الحد الأدنى للأجور بنسبة 15% والانخفاض التدريجي في معدل البطالة كل ذلك ساهم في إنعاش الاستهلاك الخاص.

وفيما بعد تباطأ معدل النمو ليصل إلى 4.4% في نهاية الربع الأول من عام 2020 (أي قُبيل ظهور الفيروس في تركيا)، ورغم هذا التباطؤ، إلا أن معدل النمو ذاك كان مقبولاً بل كان محل إشادة من قبل بعض الباحثين[2] الذين اعتبروه بمثابة بداية إيجابية، يظهر في الواقع متانة هذا الاقتصاد وقدرته على مقاومة الصدمات.

وربما كان هذا المعدل سيكون أكبر، لولا تضرر الاقتصادات العالمية كافة من تبعات تفشي كورونا، وتأثر الاقتصاد التركي بتباطؤ الاقتصاد العالمي. ويمكن أن يعود هذا النمو بشكل أساسي إلى انخفاض عجز الحساب الجاري من جهة، إضافة إلى تحقيق فائض في الموازنة العامة خلال ذات الفترة، حيث يظهر لنا بوضوح الفائض المتحقق في الموازنة العامة خلال الأشهر الثلاثة الأولى لعام 2020، إضافة إلى تحسن وضع الحساب الجاري (انخفض العجز من 2.59 إلى 1.26 مليار دولار) خلال نهاية عام 2019 وبداية عام 2020؛

---

[1] World Bank (2020) **"Recent Economic Developments in Turkey"**, Article:
https://www.worldbank.org/en/country/turkey/overview#3

[2] كوكهان يلدز (2020) **"بداية قوية تخفف وطأة كورونا على الاقتصاد التركي 2020"**، تقرير، شبكة مواقع الأناضول، الفقرة الأولى.

وفيما بعد ساء وضع الحساب الجاري ليتفاقم العجز ليصل في نيسان 2020 إلى 5.23 مليار دولار، والذي يمكن أن يعود إلى تبعات تفشي فيروس كورونا في العالم وما رافقها من انخفاض كل من الصادرات والدخل الناتج عن الاستثمارات الخارجية. وهو ما يمكن توضيحه من خلال بيانات الشكلين (4) و(5) أدناه.

الشكل (4): فائض (عجز) الموازنة العامة في تركيا

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

الشكل (5): عجز الحساب الجاري في تركيا

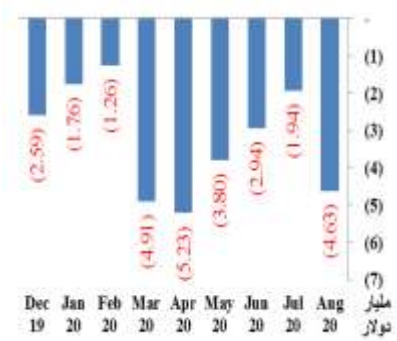

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

وبالعودة إلى النمو نلاحظ الانكماش الحاد في الربع الثاني لعام 2020 حيث وصل إلى 9.9%- (وهو الربع الذي شهد ذروة انتشار كورونا في تركيا)، وهكذا يمكننا القول أن هذا الانكماش يُعزى أساساً إلى نتائج الإجراءات الوقائية المختلفة لمواجهة تفشي الوباء ولاسيما إغلاق الأنشطة والفعاليات الاقتصادية كافة، الأمر الذي أدى إلى صدمة اقتصادية، تم التخفيف من حدتها بعض الشيء بزيادة منح الائتمان. وتشير بعض الدراسات[1] إلى أن أهم أسباب

[1] مجدي صبحي (2020) " **تركيا.. تدهور اقتصادي مستمر**"، مقال، مجلة العين الإخبارية:

https://alain.com/article/turkeycontinuouseconomicdecline

الانكماش المذكور تعود للتراجع الملحوظ في إنفاق المستهلكين بنحو 8.6% مقارنة بإنفاقهم خلال نفس الربع من العام السابق، فضلاً عن الانخفاض في إجمالي تكوين رأس المال الثابت (استثمارات قطاع الأعمال) بنسبة 6.1% مقارنة بالربع الثاني من عام 2019.

لقد ترافق هذا الانكماش بانتقال وضع الميزانية العامة في تركيا من حالة الفائض إلى حالة العجز خلال الربع الثاني من 2020 -انظر الشكل (4) - بسبب التفشي السريع للفيروس وما رافقه زيادة الإنفاق العام كمحاولة للتخفيف من حدة الأزمة، ولكن ذلك الأمر قد ساهم في تخفيض العجز في الحساب الجاري -انظر الشكل (5) -نتيجة لإغلاق الحدود والإغلاق الداخلي للبلاد الذي فرضته الحكومة، ليتقلص تدريجياً بسبب تراجع كل من الصادرات والمستوردات نتيجة تراجع الاستهلاك.

وكنتيجة يمكننا القول (وبافتراض ثبات بقية العوامل) أنه توجد علاقة عكسية بين انتشار وباء كورونا (إجمالي عدد الإصابات وإجمالي عدد الوفيات) ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي، وهو الأمر الذي يتفق مع النظرية الاقتصادية العامة التي تفترض أن تعرض أي اقتصاد لأزمة ما (وخاصة إن كانت عالمية) من شأنها أن تكون عبئاً على النمو، من خلال ما تسببه من تراجع الثقة وتزايد حالة عدم اليقين، واضطراب التجارة العالمية، وهروب رؤوس الأموال، وارتفاع علاوة المخاطر بسرعة على الصادرات، إضافة إلى الآثار السيئة على السياحة ومستويات المعيشة واستقرار العملة.

التضخم: تم الأخذ بعين الاعتبار هذا المعدل مقاساً بمؤشر أسعار المستهلك على أساس شهري وذلك من تشرين الثاني 2019 وحتى أيلول 2020 كما هو مبين في الشكل (6) أدناه، حيث تراوح معدل التضخم بين 0.4% و1.4% شهرياً ولكن الاتجاه العام يبدو صاعداً، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار تطور سعر صرف الدولار/ليرة، كما هو موضح في الشكل رقم (7)؛ فيبدو واضحاً

تراجع سعر الليرة ليصل الدولار إلى مستوى تجاوز 7 ليرات في نيسان 2020 مع تسارع تفشي الفيروس مقارنة 5.8 ليرات في تشرين الثاني 2019 ، والذي تزامن مع استمرار ارتفاع التضخم متجهاً نحو ذروته البالغة 1.4% في شهر أيار 2020.

وبالعودة إلى الشكل رقم (6) نلاحظ أن التضخم الشهري قد بلغ أعلى معدل له في فترتين مختلفتين، في كانون الثاني 2020 (أي قُبيل تفشي فيروس كورونا في تركيا) مدفوعاً بارتفاع أسعار الغذاء والطاقة نتيجة المخاوف المرتبطة بتفشي فيروس كورونا في العالم، وفي أيار (تزامناً مع ذروة انتشار الفيروس) ويعزى ذلك في الغالب (كما سبقت الإشارة) إلى ما نفذته الحكومة التركية من إجراءات السياستين النقدية والمالية التوسعية، بهدف تنشيط الاقتصاد. كما أشارت بعض الدراسات[1] إلى أن هذا الارتفاع يرتبط بارتفاع أسعار المشروبات الكحولية والتبغ وارتفاع تكاليف السلع والخدمات المتنوعة، إضافة إلى ارتفاع مؤشر أسعار الطاقة.

[1] سالي إسماعيل (2020) "**تسارع مفاجئ للتضخم في تركيا خلال مايو**"، رابط المقال: https://www.mubasher.info/news/3648412/

الشكل (6): معدل التضخم الشهري في تركيا

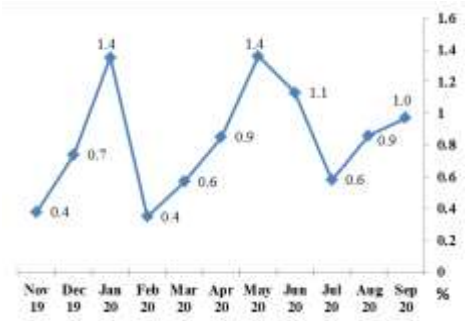

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

الشكل (7): سعر صرف الدولار الأمريكي مقابل الليرة التركية

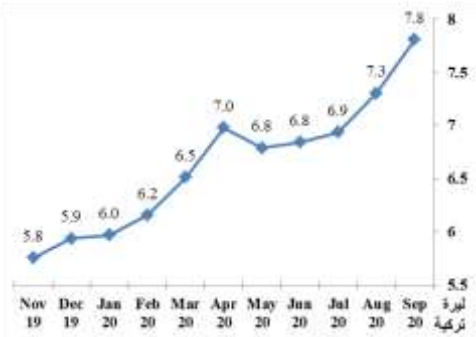

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

وكنتيجة يمكن القول مع الأخذ بعين الاعتبار كل من عدد الإصابات والوفيات في الشكلين رقم (1) و(2)، (وبافتراض ثبات بقية العوامل) بوجود علاقة طردية بين انتشار وباء كورونا ومعدل التضخم، وهو ما يتفق مع النظرية الاقتصادية العامة التي تفترض أن تعرض الاقتصاد إلى أزمة عالمية من شأنه أن يخلق حالة من عدم اليقين والاضطراب ويشكل ضغوطاً على أسعار الصرف والتي تسهم في ارتفاع الضغوط التضخمية.

- العمالة: سنتناول ذلك من خلال متابعة تطور معدلات البطالة والنمو في عدد العاملين بدوام كامل وبدوام جزئي في تركيا؛ حيث يوضح الشكل رقم (8) معدل البطالة، ويوضح الشكل رقم (9) معدلي النمو في عدد الموظفين بدوام كامل، وعدد الموظفين بدوام جزئي.

من الملاحظ أن معدل البطالة انخفض بمقدار نقطة مئوية واحدة من 13.8% في الشهر الأول 2020 إلى 12.8% في شهر نيسان الشكل رقم (8)، خلال ذروة انتشار الوباء، وتبع هذا الانخفاض ارتفاع طفيف في شهر أيار مع ارتفاع نسبي في شهري تموز وحزيران تزامناً مع تسطح المنحنى في معدل نمو

الإصابات في تركيا خلال هذين الشهرين. ويعزى هذا الاستقرار النسبي في معدل البطالة في الغالب إلى التحولات بين العمالة بدوام كامل والعمالة بدوام جزئي. حيث يوضح الشكل رقم (9) وجود تقلب متناظر تقريباً بين معدل نمو عدد العمال العاملين بدوام كامل، ومعدل نمو عدد العاملين بدوام جزئي قبل وخلال أزمة كورونا، ويدل ذلك على متانة سوق العمل في الاقتصاد التركي. وتجدر الإشارة إلى أن شريحة السكان القادرة على العمل في تركيا بين عمر 15-65 سنة تشكل 70.1% من التعداد السكاني[1].

الشكل رقم (8) معدل البطالة في تركيا

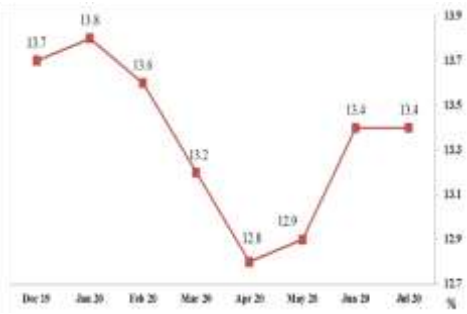

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية (www.en.hmb.gov.tr)

الشكل رقم (9) معدل نمو العاملين بدوام كامل، وبدوام جزئي في تركيا

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على البيانات من موقع (www.tradingeconomics.com)

وهكذا يمكننا القول، من خلال مقارنة الشكل رقم (8) مع الشكلين رقم (1و2)، (وبافتراض ثبات بقية العوامل)، بوجود علاقة عكسية بين انتشار وباء كورونا (إجمالي عدد الإصابات وإجمالي عدد الوفيات) ومعدل البطالة، وهو ما يخالف النظرية الاقتصادية العامة التي تفترض وجود علاقة طردية

(1) بالاعتماد على البيانات المنشورة في موقع (www.populationpyramid.net/turkey/2019/)،حيث بلغ عدد السكان بين عمر 1565 عام 58.51 مليون نسمة من أصل 83.43 مليون نسمة بناء على إحصائيات عام 2019.

بينهما، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى قوة سوق العمل التركي ودقة تنظيمه من جهة، وسلامة الإجراءات المتخذة في إدارة أزمة كورونا من جهة ثانية (من خلال الإغلاق الجزئي لبعض النشاطات، واستئناف الأعمال وعدم اللجوء إلى الإغلاق الكامل كما سبق وأشرنا).

- **أثر كورونا على السوق المالي:**

من المتوقع أن تتأثر أسعار الأسهم في السوق المالي وحجم التداول بالأخبار الجيدة والسيئة التي يتم الإعلان عنها، وذلك بسبب انعكاس هذه الأخبار على سلوك المستثمرين في السوق، وسوف نقوم فيما يلي بدراسة وتحليل العلاقة بين كل من عوائد مؤشر السوق (ISE-100)[1]، وحجم التداول[2] من جهة، ومعدل نمو الإصابات، ومعدل الوفيات بسبب جائحة كورونا وذلك على أساس يومي (على الترتيب) من جهة ثانية. وذلك باستخدام نموذج الانحدار الذاتي للابطاءات الموزعة (ARDL)[3] خلال الفترة ما بين 12 آذار 2020 و15 تشرين الأول 2020، وسيتم تحليل تلك العلاقة انطلاقاً من اختبار فرضيتي البحث التاليتين:-

- الأولى: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين عوائد مؤشر السوق وبين معدل نمو الإصابات، ومعدل نمو الوفيات.

---

[1] تم احتساب العوائد اليومية للمؤشر كما يلي: $R_t = Ln(X_t) - Ln(X_{t1})$، حيث تعبر R_t تعبر عن عائد المؤشر في اليوم t، و X_t قيمة المؤشر في اليوم t، و X_{t1} قيمة المؤشر في اليوم t1.

[2] تم التعبير عن متغير حجم التداول باللوغاريتم الطبيعي لحجم التداول في السوق المالي في تركيا.

[3] تم اختيار هذا النموذج لأنه يعالج مشكلة ارتباط المتغير التابع بقيم متأخرة، وكذلك مشكلة عدم استقرار المتغيرات المستخدمة في النموذج.

- الثانية: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم التداول في السوق وبين معدل نمو الإصابات، ومعدل نمو الوفيات.

تظهر نتائج التحليل الإحصائي للفرضيتين السابقتين في الجدول رقم (1).

الجدول رقم (1) نتائج اختبار أثر كورونا على العوائد وحجم التداول – تركيا

المتغير التابع العوائد اليومية للمؤشر السوق		المتغير حجم التداول اليومي في السوق	
المتغيرات المستقلة	Coefficient t-Statistic	المتغيرات المستقلة	Coefficient t-Statistic
معدل نمو الإصابات	(0.012) (0.276)	معدل نمو الإصابات	(0.066) (2.319)**
معدل نمو الوفيات	(0.009) (0.264)	معدل نمو الوفيات	(0.087) (1.130)
عائد المؤشر في الفترة t-1	1.828 21.798***	حجم التداول في الفترة t-1	0.504 6.285***
عائد المؤشر في الفترة t-2	(0.648) (3.748)***	حجم التداول في الفترة t-2	0.240 2.944***
عائد المؤشر في الفترة t-3	(0.184) (1.685)*	-	-
ثابت النموذج	0.009 1.085	ثابت النموذج	0.297 4.076***
معامل التحديد	0.995	معامل التحديد	0.571
معامل التحديد المعدل	0.995	معامل التحديد المعدل	0.559
S.E. of regression	0.095	S.E. of regression	0.229
Sum Squared Residuals	1.257	Sum Squared Residuals	7.421
F-statistic	5954.792***	F-statistic	47.001***
Durbin-Watson	2.000	Durbin-Watson	2.070

*** معنوية عند مستوى دلالة 1%، ** معنوية عند 5%، * معنوية عند 10%

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج E-views

أ – فيما يخص العوائد، تشير النتائج في الجدول أعلاه إلى أنه توجد علاقة بين عوائد مؤشر السوق وكل من معدلي نمو الإصابات ونمو الوفيات بسبب فيروس كورونا وأن هذه العلاقة عكسية، حيث تظهر النتائج أن معاملي الارتباط يساويان (0.012) و (0.009) على التوالي، أي إن ارتفاع معدل نمو الإصابات ومعدل نمو الوفيات بسبب فيروس كورونا سيؤديان إلى انخفاض في العوائد اليومية لمؤشر السوق المالي التركي، ولكن بالنظر لقيم إحصائية t يلاحظ أنها أقل من القيمة المعيارية 1.96 مما يعني أن هذه العلاقة ليست ذات دلالة إحصائية، وعليه تم قبول فرضية العدم التي تنص على عدم وجود علاقة ذات

دلالة إحصائية بين العوائد اليومية لمؤشر السوق المالي في تركيا وبين معدل نمو الإصابات، ومعدل نمو الوفيات بسبب فيروس كورونا[1].

ب - أما بالنسبة لحجم التداول اليومي في السوق المالي فتظهر النتائج في الجدول رقم (1) إلى وجود علاقة عكسية بين حجم التداول اليومي وبين كل من معدلي نمو الإصابات ونمو الوفيات بسبب فيروس كورونا، حيث تظهر النتائج أن معاملي الارتباط يساويان (0.066) و (0.087) على التوالي، أي إن ارتفاع معدل نمو الإصابات ومعدل نمو الوفيات بسبب فيروس كورونا سيؤدي إلى انخفاض حجم التداول في السوق المالي، وبالنظر لقيمة إحصائية t يلاحظ أن قيمتها أكبر من القيمة المعيارية 1.96 بالنسبة لمعدل نمو الإصابات أي إن العلاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 5%. وعليه يتم رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة التي تنص على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم التداول في السوق المالي وبين معدل نمو الإصابات نتيجة فيروس كورونا. في حين أن قيمة إحصائية t بالنسبة لمعدل نمو الوفيات أقل من القيمة المعيارية أي إن العلاقة ليست ذات دلالة إحصائية، وعليه يتم رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم التي تنص على عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم التداول في السوق وبين معدل نمو الوفيات بسبب فيروس كورونا[2]. وتتوافق هذه النتائج مع نتائج دراسة Öztürk وآخرون[1] فيما

---

[1] يلاحظ من الجدول رقم (1) أن المتغير التابع (عائد مؤشر السوق) مرتبط مع القيم المتأخرة من الدرجة الثالثة، أي أن عوائد المؤشر اليوم ترتبط بعوائد المؤشر لثلاثة أيام سابقة.

[2] يلاحظ من الجدول رقم (1) أن المتغير التابع (حجم التداول في السوق) مرتبط مع القيم المتأخرة من الدرجة الثانية، أي أن حجم التداول اليوم يرتبط بحجم التداول لليومين السابقين.

يخص الأثر السلبي لفيروس كورونا على السوق المالي، ومع ما تنص عليه النظرية المالية السلوكية التي تنص على أن الأخبار السيئة تمتلك آثاراً سلبية على الأسعار والتداولات في السوق المالي.

نتائج الدراسة

بعد عرض الجانب النظري والعملي من الدراسة يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

1- إن الانتشار العالمي السريع لفيروس كورونا وما ارتبط (ويرتبط) به من آثار كارثية على مستوى العالم، مع عدم القدرة على السيطرة عليه على الرغم من كل ما تتخذه الحكومات من إجراءات لمنع انتشاره والحد من تبعاته السيئة على الاقتصاد العالمي، يؤكد التوقعات القائلة بأن الأزمة الاقتصادية الناجمة عنها ستكون أسوأ من الأزمة المالية العالمية 2008.

2- على الرغم من كون تركيا من ضمن أفضل الدول التي تميزت بإدارة أزمة كورونا، بحيث قللت قدر الإمكان من النتائج الكارثية التي كان من الممكن أن يسببها الانتشار السريع للفيروس فيها، إلا أنها لم تنجُ من منعكساته السلبية على مختلف نواحي الحياة بشكل عام وعلى الاقتصاد بشكل خاص.

3- لقد عانت تركيا كغيرها من الدول من الركود الاقتصادي خلال فترة انتشار الوباء عالمياً حيث تباطأ معدل النمو من 6.4% في الربع الرابع 2019 إلى 4.4% في الربع الأول 2020، وفيما بعد انتقل الاقتصاد إلى الركود حيث انكمش الناتج بشكل ملحوظ ليصل إلى (-9.9%) في الربع الثاني 2020. متأثراً خلال الربع الأول بالاضطراب العالمي المترافق مع انتشار الوباء عالمياً، وبذروة تفشي الوباء في تركيا وما رافقه من إجراءات وقائية صارمة خلال الربع

---

(1) Özcan Öztürk; Muhammet Yunus Sisman; Hakan Uslu; Ferhat Citak (2020) "**Effects Of Covid19 Outbreak On Turkish Stock Market : A SectoralLevel Analysis**", Op. Cit., P. 56:68.

الثاني. من ناحية أخرى، ارتفعت معدلات التضخم مدفوعة بالهبوط المستمر لسعر صرف الليرة التركية من جهة، وارتفاع أسعار الغذاء وتكاليف السلع والخدمات المتنوعة عالمياً من جهة ثانية.

أما على صعيد سوق العمل، فقد أشارت النتائج إلى متانة سوق العمل وحسن تنظيمه في تركيا، الأمر الذي خفف من تأثيرات انتشار الجائحة على معدلات البطالة.

وبشكل عام، تأتي هذه النتائج متفقة إلى حدٍ ما مع ما أشرنا إليه خلال البحث من نتائج انتشار الوباء على الاقتصاد العالمي، الذي انكمش بنسبة 15.9% خلال النصف الأول من عام 2020 فقط. وقد عانت الكثير من دول العالم من ارتفاع معدلات التضخم أيضاً نتيجة زيادة الإنفاق وارتفاع الأسعار، في حين عانى البعض الآخر من هبوط معدلات التضخم دون المستوى الطبيعي نتيجة انخفاض حجم الطلب الكلي الناجم عن تراجع الثقة. ويبقى الاختلاف الأساسي في النتائج على مستوى سوق العمل والذي شهد أزمة حقيقية على مستوى العالم ككل الأمر الذي أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة، حيث فقد حوالي 147 شخص حول العالم وظائفهم خلال النصف الأول من 2020.

4- إن اضطرار الحكومة لزيادة إنفاقها في سبيل معالجة الخلل الحاصل في الدورة الاقتصادية والناجم عن إغلاق معظم الأنشطة الاقتصادية (مع وجود تراجع في الإيرادات) أدى إلى ارتفاع عجز الموازنة، كما أن تراجع الصادرات وانخفاض الدخل المتأتي من الاستثمارات الخارجية أدى إلى ارتفاع عجز الحساب الجاري.

5- لقد توصلت الدراسة الإحصائية التي هدفت إلى تحليل العلاقة بين انتشار فيروس كورونا والسوق المالي التركي، إلى وجود أثر سلبي للفيروس على السوق، وذلك نتيجة تراجع الثقة وحالة عدم اليقين التي من شأنها أن تؤثر سلباً على الأسعار والتداولات في السوق حسب النظرية المالية السلوكية. وتأتي هذه

النتيجة متفقة مع نتائج انتشار الفيروس على المستوى العالمي حيث شهدت العديد من أسواق الأسهم في اقتصاديات الدول الكبرى والصغرى انخفاضات بنسبة 30% أو أكثر.

توصيات الدراسة

1- لا يزال انتشار الفيروس يشكل وباءً عالمياً وتحدياً كبيراً للمجتمع الدولي؛ وبما أن هذا الانتشار مرتبط بشكل أساسي بالانتقال المادي بين البلدان، فمن الأفضل لكل دولة أن تعتمد على نفسها في إدارة الأزمة بما يتناسب مع إمكاناتها المتوفرة، مع محاولة الاستفادة من نجاح أو فشل التجارب الدولية؛ وأن تسعى نحو المزيد من التعاون في مجابهة هذا الوباء.

2- العمل على اعتماد سياسات مالية ونقدية تيسيرية، من شأنها ضخ المزيد من الأموال في الاقتصاد بغاية تشجيع الاستهلاك والاستثمار الداخلي وتحفيز الطلب لتجنب الركود، مع ضرورة تقديم حزم إعانات للأسر والأفراد ذوي الدخل المحدود، كمحاولة للتخفيف من معدلات الفقر والآثار السلبية للتضخم.

3-الاستمرار في فرض إجراءات الوقاية وخاصة للأطفال وكبار السن، وعدم التهاون في التعامل مع الوباء؛ مع ضرورة زيادة حملات التوعية وخاصة في الدول التي تعاني من هشاشة القطاع الصحي وعدم قدرته على احتواء الوباء.

وأخيراً وليس آخراً فإن جائحة كورونا لاتزال تعتبر مشكلة أخلاقية وإنسانية في مواجهة الأزمة الاقتصادية وما تخلفه من آثار اجتماعية، فإلى أي حد تستطيع المجتمعات أن تتحمل نتائج هذا الوباء وهل تستطيع التضحية بأعداد المصابين وتقبل بالأمر الواقع وتتجاهل أعداد الوفيات في سبيل استئناف النشاط الاقتصادي وهل سيتم تجاوز المسألة الأخلاقية وتتم المبادلة بين تكاليف الإغلاق وتكاليف الإصابات والوفيات؟ لا يزال الصراع مستمراً .....

المراجع والمصادر

المصادر باللغة العربية :

1- جو حمورة (2018)"الليرة التركية.. أو آخر أخصام أردوغان"، بحث منشور، مركز الشرق الأوسط للأبحاث والدراسات الاستراتيجية.

2- حازال دوران (2020) "استراتيجية تركيا في مكافحة فيروس كورونا "، بحث منشور، مؤسسة SETA.

3- حازال دوران (2020) "استراتيجية تركيا في مكافحة كورونا: تدخُّل مبكِّر وحاسم"، مقال منشور، TRT عربي.

4- حسن زنيند (2020) "انزلاق الليرة ـ اقتصاد تركيا يترنح وسط أزمات شرق المتوسط "، مقال منشور، وكالة DW الألمانية.

5- رامي الجندي (2020) "النموذج الصحي التركي في مكافحة جائحة كورونا"، مقال، الجزيرة نت، ترك برس:
https://www.turkpress.co/node/72954

6- سالي إسماعيل (2020) "تسارع مفاجئ للتضخم في تركيا خلال مايو"، مقال:
https://www.mubasher.info/news/3648412/تسارع-مفاجئ-للتضخم-في-تركيا-خلال-مايو/

7- سكاي نيوز الإخبارية (2020) "أرقام صادمة.. كيف أثر فيروس كورونا على اقتصاد العالم؟"، مقال مترجم:
https://www.skynewsarabia.com/business/1360270-أرقام-صادمة-أثر-فيروس-كورونا-اقتصاد-العالم؟

8- سكاي نيوز الإخبارية (2020) "تفشي كورونا في تركيا.. مواجهة مستعرة بين الأطباء والسلطات"، مقال:
https://www.skynewsarabia.com/world/1377321-تفشي-كورونا-تركيا-مواجهة-مستعرة-الأطباء-والسلطات

9- صحيفة الوطن السورية (2020) "تركيا تنافس إيران: بؤرة جديدة لكورونا في الشرق الأوسط"، مقال: https://alwatannews.net/article/874475/World / تركيا-تنافس-إيران-بؤرة-جديدة-ل-كورونا-في-الشرق-الأوسط

10- عبد الحافظ الصاوي (2018) "أزمة الليرة التركية: تحديات ومقترحات"، ورقة بحثية، المعهد المصري للدراسات.

11- علي صلاح (2020) " ملامح جديدة للاقتصاد العالمي في مرحلة ما بعد كورونا"، سلسلة دراسات خاصة صادرة عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، العدد 4، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

12- كوكهان يلدز (2020) "بداية قوية تخفف وطأة كورونا على الاقتصاد التركي 2020"، تقرير، شبكة مواقع الأناضول.

13- مجدي صبحي (2020) " تركيا.. تدهور اقتصادي مستمر"، مقال، مجلة العين الإخبارية:
https://al-ain.com/article/turkey-continuous-economic-decline

14- محمد رزق عبدالحميد(2020) "تأثير فيروس كورونا علي الاقتصاد العالمي والمصري"، بحث منشور، المركز الديمقراطي العربي.

15- محمد عباس (2020) "تركيا ـ الإدارة الاقتصادية لتداعيات كورونا"، بحث منشور، دراسات اقتصادية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، تركيا.

16- مرام تيسير الفرا (2020) "تأثيرات أزمة فيروس كورونا على أداء الاقتصاد العالمي وعلى أداء مؤسسات ضمان الودائع حول العالم"، دراسة بحثية، المركز الديمقراطي العربي.

17- هشام محمود (2020) "تضخم أم انكماش .. إلى أين يتجه الاقتصاد العالمي في ظل تداعيات الجائحة؟"، مقال منشور، جريدة الاقتصادية الإخبارية الإلكترونية:
https://www.aleqt.com/2020/08/30/article_1908466.html

18- وكالة يورونيوز(2020)"كيف نجحت تركيا في الحد من انتشار وباء كوفيد-19 والتخفيف من تداعيات الفيروس؟" مقال منشور.

المصادر باللغة الإنكليزية :

1- Bagci Hüseyin (2011) "G20 - Perceptions and Perspectives for Global Governance - The Role of Turkey as a New Player in the G20 System", Regional Programme Political Dialogue Asia Singapore, chapter 15.

2- Burhan Uluyol (2020) "The Impacts Of Covid-19 Pandemic On Turkish Economy: Issues And Challenges", Research, Istanbul Sabahattin Zaim University, Turkey.

3- Matei Rosca; Bjarke Smith-Meyer; et. Al. (2020) "The coronavirus economy: How bad will it get?", Article, Politico, Europe.

4- Özcan Öztürk; Muhammet Yunus Sisman; Hakan Uslu; Ferhat Citak (2020) "Effects Of Covid-19 Outbreak On Turkish Stock Market: A Sectoral-Level Analysis", Hitit University Journal of Social Sciences Institute, 13(1).

5- Simeon Djankov ;Ugo Panizza (2020) "COVID-19 in Developing Economies", Centre for Economic Policy Research, London, UK.

6- The Economist Newspaper (2020) "Strength in Numbers: What Turkey got right about the pandemic", Article, UK.

7- Will Hall-Smith (2020) "The economic impact of coronavirus across the globe", Article, IG Bank, Switzerland.

8- World Bank (2020) "Recent Economic Developments in Turkey", Article:
https://www.worldbank.org/en/country/turkey/overview#3

9- Zaheer Allam (2020) "Surveying the Covid-19 Pandemic and Its Implications: Urban Health, Data Technology and Political Economy", Deakin University, Australia.

المواقع الإلكترونية:

1. الموقع الرسمي لوزارة المالية التركية: (www.en.hmb.gov.tr).
2. الموقع الرسمي للبنك الدولي- تركيا: (https://www.worldbank.org/en/turkey/)
3. موقع "Trading Economics" – تركيا: (www.tradingeconomics.com).
4. موقع "Population Pyramid" – تركيا: (www.populationpyramid.net/turkey).

رابعاً : الصورة الإعلامية... سلاح يفتك بالرموز القومية

د. ريم الشريف (*)

د. أمينة عبد الله سالم (**)

مقدمة:

للبشر في مواجهة مواقف الحياة أساليب شتى ومواقف عدة، فقد يسقط الإنسان في هوة اليأس والقنوط إزاء مواقف الحياة ومشاكلها الصعبة، أو بالصرامة والعنف، أو الانسحاب من الموقف أو المشكلة في ذلّ وانكسار، أو الضرب والقتل، ولكن في ظل مجتمع المعرفة يواجه الفرد المصاعب بالضحك والابتسام، والسخرية والتعريض، كما أن ذلك من طبيعة المتعلم المتأدب، الناضج الفكر، الواسع الحيلة، الذي يدرك النقد باللين، والضحك والابتسامة بالسخرية.

تتزايد أهمية بعض الرموز القومية (كإعلام البلاد أو أثر يرمز لعراقة البلاد أو حاكم البلاد)فهم شخصيات محورية ومهمة في البلاد، مما يستوجب دراسة الصورة المقدم بها من خلال وسائل الإعلام (الصورة الإعلامية)، بالإضافة لدراسة صورتهم المنطبعة في ذهن شعبه عنهم (الصورة الذهنية)، وتأثير ما يقدم في وسائل الإعلام عليها ليُصبح لدراسة صورة الرموز القومية أهمية كبرى في البلاد المختلفة، وقد اهتمت الدراسات السياسية والإعلامية

(*) دكتوراه في علوم وتقنيات الفنون / أستاذ مساعد للتعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة القيروان/تونس.

(*) دكتوراه في الآداب قسم الاجتماع تخصص انثروبولوجيا وفولكلور، كلية الآداب- جامعة حلوان/ القاهرة – جمهورية مصر العربية.

الأجنبية بصورة القيادات السياسية والرموز القومية في بعض البلاد وتأثيرها على الانطباع والسلوك الجماهيري إزاء هذه القيادات وأهمية هذه الرموز لديهم من خلال ما يقدم في وسائل الإعلام، ومن خلال أفكار واتجاهات هذه الجماهير إزاء هذه الرموز.

قال أرسطو ذات مرة إن التفكير يستحيل من دون صور؛ إن الحياة المعاصرة لا يمكن تصورها من دون صور، فالصورة موجودة في كل مكان، إننا نعيش بالفعل في عصر الصورة. ([1])

وتكمن أهمية الصورة الكاريكاتيرية بأنها ساخرة في كونها سلاحًا يفتك بكل أركان الضعف في المجتمع، فالسخرية تعتبر تحديًا للواقع السياسي الراهن، فهي تظهر العيوب في شكل فكاهي. ولعل هذه السخرية تكون محاولة لمعالجة أوجه القصور بالمجتمع التي يجهلها أو يتجاهلها الحاكم، فدور السخرية هو إعادة اليقظة للحاكم والسلطة للقيام بدورهما الايجابي بالمجتمع في ظل أحداث فيروس كورونا.

ومن أسلحة السخرية التي تهز الرأي العام هي الصورة الإعلامية "الكاريكاتير"، وخاصة التي تمس الرموز القومية في المجتمع، فيعتبر الكاريكاتير أداة قوية لتشكيل معالم الخطاب العام لإحداث التأثير في الرأي العام، حيث تكمن قوته الاتصالية في قدرته على تقديم القضايا بشكل معقد من خلال رسوم في شكل رموز قومية لها معنى، تزلزل أركان الدولة، وتخترق السلطة الحاكمة، فهي لها تأثير هائل على مجريات الأمور في مختلف الجوانب المتعلقة بإدارة شئون البلاد داخليًا وخارجيًا، ولذلك اهتم الغرب بصناعة الصورة الذهنية للشخصيات والأماكن القومية.

---

(1) شاكر عبد الحميد، (2005م)،"عصر الصورة السلبيات والإيجابيات"، ع(3114)، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص7.

فالعلاقة بين النظامين الإعلامي والسياسي في أي مجتمع علاقة جوهرية، وقائمة أيًا كانت طبيعة النظام السياسي وأيًا كانت طبيعة النظام الإعلامي، وقد سادت في أماكن مختلفة من العالم وفي مراحل متعاقبة من التاريخ الإنساني عدة مفاهيم للعلاقة بين الإعلام والسلطة، عكست دائمًا خصائص النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم في هذه المجتمعات ودرجة التطور الحضاري بها.(1).

ولوسائل الإعلام علاقتها القوية بالسلطة، وبصنع القرار، والنخبة ويتشابك في هذه العلاقة كل من العوامل الثقافية والسياسية بما يسهم في تشكيل سلطة المجتمع (2)،حيث بدأ يتحول دور الإعلام من أداه في خدمة السلطة، إلى أداة لنقد السلطة ومحاسبتها، وقد أضاف هذا التطور قانونا ثالثا وهو "عندما تتعدد قوى السلطة في مجتمع ما، وحين تستمد هذه القوى وجودها من الإرادة الحرة للمواطنين، لا يعود الإعلام أداة في يد سلطة واحدة، وإنما أداة لسلطات متعددة في المجتمع، ويمتد دوره ليكون أداه للسلطات الأخرى في نقد ومراقبة السلطة الحاكمة ومحاسبتها، وشهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورًا مهمًا في الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال الإعلام، وفي التطور السياسي في المجتمعات الغربية باتجاه المزيد من التعددية السياسية، وهكذا يظهر القانون الرابع وهو "وجود علاقة وثيقة بين التطور الحديث في تكنولوجيا الإعلام وبين نمو الطابع المؤسسي لوسائل الإعلام، كما أن هناك علاقة وثيقة بين نمو التعددية السياسية في المجتمع الديمقراطي وبين تزايد استقلال وسائل الإعلام عن

---

(1) فاروق أبو زيد، (2007م)، "الإعلام والسلطة إعلام السلطة وسلطة الإعلام"، ط1، عالم الكتب،القاهرة، مصر، ص15.

(2) Davis Areon,(2003),Whither mass and power? Evidence for a critical elite theory alternative, Media culture & Society, Vol. 25, No. 5, September, P.669.

السلطة، وأن الارتباط بين كل من الطابع المؤسسي والمستقل لوسائل الإعلام يؤدي إلى تحول الإعلام كسلطة مستقلة قائمة بذاتها من سلطات المجتمع الديمقراطي الحديث".([1])

ونعرض في هذا الفصل فن الكاريكاتير الساخر خلال أحداث فيروس كورونا في كل من (الصين وايطاليا وأمريكا) ... هذا الفن التشكيلي الذي اخترق نفوس السلطة الحاكمة، وهز عرش الدول، وأثر في الشعوب، وعبر عن رأيهم وحزنهم وفرحهم وأزماتهم، ونما وتبلور وتطور عبر العصور المختلفة، وأصبح الكاريكاتير مفهومًا واضحًا لدى الجميع يملك خصائصًا تميزه وأدوات يملكها تمكنه من القيام بوظائف عديدة يؤديها للصحافة وللمجتمع من خلال أنواعه المتباينة، لكل منها رونق خاص يزيد من جماهيرية الكاريكاتير لدى جمهور القراء.

1. الصورة الإعلامية ...والكاريكاتير السياسي

- **الصورة الإعلامية:**

يُعد مفهوم الصورة الإعلامية من المفاهيم الأساسية في هذا الفصل، والتي تهدف إلى دراسة الصورة الإعلامية للرموز القومية في كل من الصين وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية من خلال فن الكاريكاتير المنشور في الصحف الإلكترونية، لذلك من المهم استعراض مفهوم الصورة الإعلامية وعلاقتها بالكاريكاتير السياسي.

الصورة الإعلامية هي الطريقة التي تقدم بها وسائل الإعلام بعض الأحداث والقصص والشخصيات بشكل متكرر، بحيث تميل إلى استبعاد بعض الفئات والتركيز على فئات أخرى. ([1])

---

(1) فاروق أبو زيد، (2007م)، "الإعلام والسلطة إعلام السلطة وسلطة الإعلام"، مرجع سبق ذكره، ص ص 28 – 29.

ويعرف "شادن نصير" الصورة الإعلامية بأنها: "مجموعة السمات والخصائص التي ترسمها وسائل الإعلام للأفراد والجماعات والشعوب والأحداث والقضايا، بفضل ما تقدمه من معالجات إعلامية مختلفة تعكس رؤية النخبة الإعلامية القائمة على شأن وسائل الإعلام، ولا تعكس بالضرورة رؤية جماهيرية لهذه الخصائص والسمات، ومن ثم فقد تتسم هذه الرؤية بالموضوعية.([2])

كما أنها مجموعة من الخصائص والانطباعات التي تقدم بها وسائل الإعلام فئة ما، أو مهنة معينة،أو نطاقًا ما، أو شعبًا ما، أو مؤسسة، أو منظمة، أو أي شيء آخر من خلال تصورات نخبة مثقفة هم الإعلاميون ومن خلال رسائل الإعلام المختلفة وباستخدام الإمكانات الخاصة بكل وسيلة([3])، فتُعد أساسيات صنع الصورة في السياسة على أنها التطوير الاستراتيجي واستخدام "الأجهزة المترابطة التي يمكن إنشاؤها باستخدام الرسائل المرئية واللفظية على حد سواء"، والتي توفر إشارة مختصرة إلى الجماهير لتحديد الهوية وتعزيزها. السمات الخاصة لفرد أو منظمة أو ظاهرة أو سبب.([4])

---

(1) Roy Stafford, (2004), "The Media student\s Book", Rutledge, London, P.90 .

(2) علي محمد علي، (2016)، "صورة إيران في الصحف العربية اليومية دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص59.

(3) Robins, K., (1996),The image culture and politics in the Field of Vision, 1stpublished, Rout ledgg, New York,P.15.

(4) Mireille Lalancette& Vincent Raynauld, (2017), "The Power of Political Image: Justin Trudeau, Instagram, and CelebrityPolitics", American BehavioralScientist, P.3.

Availableat:https://www.researchgate.net/publication/321396251

وللصورة الإعلام أهمية كبيرة تتحدد فيما يلي : ([1])

1. لقد أصبحت الصورة الإعلامية أهم وسائل التاريخ، حيث أنها لها قدرة على تسجيل الأحداث لحظة وقوعها وتناقلها عبر الأقمار الصناعية إلى أنحاء العالم كافة.
2. لها عظيم الأثر إقناع العامة بوجهة نظر الساسة والحكومات في قضية ما، حيث تستطيع أن تصل بدلالاتها الأيديولوجيا المعلنة أو المضمرة إلى وعي الجمهور.
3. أحد العوامل التي تساهم في رسم الصورة الذهنية لدى الأفراد.
4. أداة نقل ثرية للمعلومات التي تتم صياغتها من خلال وسيلة الإعلام.
5. تسهم في تشكيل الوعي الإنساني (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، التعليمي) سواء على المستوى الفردي أو الجمعي .

حيث أن الصور والرسوم بوسعها أن تعطي المضمون أو الهدف الإخباري بسرعة أكثر وبوضوح أفضل من التعبير اللفظي، وتستطيع أن تظهر في كثير من الأحوال لحظة خاصة من وقائع الأنباء بشكل بياني مرئي مفصل ومستفيض، وهي وسيلة إيضاحية يستعاض بها الكلام لتعريف الأهداف وتوضيحها، بل أنها من أيسر السبل المؤدية إلى المعرفة وأسسها فهي التي توضح النص، وتدعمه بتقديم البرهان البصري الذي يعني النص بعناصر إضافية إعلامية وتقديرية، والصورة من الوسائل الإعلامية التي تتصف بالبساطة وسهولة التعبير،

---

(1) ممدوح عبد الله محمد،(2009م)، "الصورة الإعلامية للحكومة المصرية كما تعكسها البرامج الحوارية في القنوات الفضائية وعلاقتها بالصورة الذهنية للحكومة لدى شباب الجامعات"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ص ص 4647.

لذا فإن تأثيرها قد يكون أعمق بكثير من الكلمات والمادة الإعلامية المكتوبة.([1])

وقد تكون الصورة الإعلامية نابعة من الصورة الذهنية عن الموضوع، فبعض الباحثين ركزوا في دراستهم على الصور الذهنية السلبية التي تتكون لدى الشعوب والأمم بعضها عن بعض؛ لأنها تؤدي إلى الكثير من الصراعات فيما بينهم، وكلما تكررت هذه المعلومات السلبية عن الجماعة أو الدولة أو الحزب أو أي شيء آخر، فإن الصورة المتكونة تزداد ثباتًا وصلابة وتقاوم التغيير بشكل أكبر من السابق، ولهذا سميت بالصورة الثابتة.([2])

- **الكاريكاتير السياسي:**

الكاريكاتير السياسي هو ذلك الكاريكاتير الذي يعالج موضوعًا سياسيًا مباشرًا، أو يلمح بشكل غير مباشر إلى موضوع له علاقة بالسياسة. لكي يعكس الأهداف التي يسعى رساموه لتحقيقها، ومنها تنوير الرأي العام، ورفع مستوى الوعي السياسي للمتلقين، بالإضافة إلى قدرته على التوجيه والإصلاح، وإظهار الحسرة والألم الذي يصل إليه المجتمع نتيجة الأوضاع السياسية المترددية([3])، لذا فإن الكاريكاتير السياسي هو مجموعة من الرسوم الكاريكاتيرية في الصحف كفيلة بإسقاط شعبية سياسي هام ([4])

---

(1) محمد جمال الفار، (2014م)، "معجم مصطلحات الإعلامية"، ط1، نبلاء ناشرون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص211.

(2) بسام عبد الرحمن المشاقبة، (2014م)، "معجم مصطلحات العلاقات العامة"، ط1،دار أسامة، عمان، الأردن، ص216.

(3) ماجد سالم تربان، (2013م)، " سيميائية فن الكاريكاتير السياسي في الصحف الفلسطينية دراسة تحليلية"، ع21، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، العراق، ص33.

(4) حسنين شفيق، (2009م)، "الصحافة المتخصصة المطبوعة والإلكترونية"، دار فكر وفن،القاهرة، مصر، ص 183.

لذا تعتبر الصورة الإعلامية عرض لبعض الممارسات والأحداث والأزمات التي تمر بالمجتمعات في شكل رموز ودلالات، تحمل في طياتها مضامين وتأويلات تعبر عن أحداث إيجابية وسلبية بالمجتمعات، لذلك ينبغي التركيز على تلك الصور والمفاهيم التي يعاد تصويرها؛ لأنها رسالة قد تهدد أو تحذر وتنبأ بخطورة الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية، وتحمل مسئوليتها إلى السلطة الحاكمة، فتشير في رموزها التي تمثل كيانها الحضاري والجغرافي والشخصيات البارزة فيها، حتى تُيقظ السلطة والمسئولين بوجود خطر يهدد الأمن العام ويجب توخي الحذر لحماية المواطنين.

إن السخرية، إذا قصد بها الاحتقار والاستصغار لغير سبب ظاهر، فهي منهي عنها بنص القرآن الكريم،قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (*)، فإذا كان المسخور منه بليد الشعور لا يتأثر بما يلحقه من إهانات، فإن النهي في هذه الحالة لا يتناوله، بل يكون ضربًا من المزاح الذي أحله الله: ([1])

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ∴ هوانًا بها كانت على الناس أهونا

يهدف الكلام الساخر إلى: تسير السخرية في اتجاهين: "اتجاه بناء، واتجاه سلبي هدّام، والهدم مرحلة حتمية في إعادة البناء". إذا فالهدف من السخرية نقد أو طعن مصوغ في ثوب فكاهه، إنها بديل مقبول للعقاب وهجوم معتمد على شخص بهدف سلبه كل أسلحته وتعريته من كل ما يتخفى فيه ويتحصن وراءه،فنجد الكلام الساخر يناقش الكتّاب والإعلان والخطاب، ويتفوق عليهم

(*) سورة الحجرات: (11) .

(1) السيد عبد الحليم محمد حسين، (1988م)، "السخرية في أدب الجاحظ"، الدار الجماهيرية،ليبيا، ص 65.

جميعا في تبيان سيئات المجتمع في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي. ([1])

فالسخرية تهدف إلى تعديل الاتجاه السلوكي، و إثارة المتلقي، والتنفيس عن المتلقي بحيث لا يتكون لديه تراكم في تراث الرفض لظاهرة سياسية أو مجتمعية معينة، وإثارة الرغبة في الضحك أو السخرية. ([2])

ويذهب البعض لكون الكاريكاتير السياسي أشد وسائل التعبير من بين الفنون والآداب كافة وذلك:

- لأنه سهل الأداء مما يجعله صالحًا لملاحقة الأحداث المتغيرة يومًا بعد يوم.([3])
- لكونه مُركز الهدف بتخليص وتبسيط، مما يجعله ميسور التناول، ويسهل إدراكه لدى أدنى المستويات وعيًا بما يحتويه من منطق الفكاهه والسخرية، والكاريكاتير السياسي الفعال هو الذي يؤثر في الرأي العام، ويقوم بالإقناع وترتيب أجندة الجمهور([4])، ويلعب دورًا مهمًا في نشر الأفكار والمعتقدات أو يساهم في تكوين الصور السلبية لدى الجمهور

---

(1) شمسي واقف زاده، "الأدب الساخر : أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية"، بحث منشور، بجامعة آزاد الإسلامية في ورامين، بيشوا، إيران، ص 105.

(2) محمد فتحي عبد السميع، (2008م)، "دور الكاريكاتور في معالجة القضايا المحلية : دراسة تطبيقية على صحف (أخبار اليوم، العربي الناصري، الأسبوع)"، رسالة الماجستير،قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر،ص 57.

(3) شوقية هجرس، (2005م)، " فن الكاريكاتير"، ط1، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة، مصر ، ص 36.

(4) دينا محمد فتحي، (2007م)،"دور الكاريكاتير في معالجة القضايا الاجتماعية خلال الفترة من (1992: 2002)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، ص80.

حول فكرة معينة، ويكون صورة العدو Enemy Image بشكل فعال ومؤثر.([1])

فالكاريكاتير السياسي فن يتخذ من المجال السياسي وسيلة للتعبير، أو يربط بين أحداث المجتمع وعلاقتها بالنظام السياسي، أو يربط بين أحداث فيروس كورونا والرموز القومية من شخصيات تمس الدولة أو أماكن حضارية تعبر عن الدولة وتشير لتاريخها، بهدف النقد والتحريض، وأصبح هذا الفن جزءًا حيويًا لاغنى عنه في أي صحيفة، بل أن الصحف أفردت له مساحات واسعة في صفحاتها، نظراً لإدراكها لأهمية هذا الفن وتأثيره القوي على شريحة عريضة من المجتمع بل وشعوب العالم.

ويتناول الكاريكاتير السياسي جانبين رئيسيين في هذا الصدد:

الجانب الأول: العلاقة مع الدولة والدول الأخرى في ظل أحداث كورونا.

الجانب الثاني: تأثير الرموز القومية في الصورة الإعلامية على الدولة والرأي العام.

2. **رؤية تحليلية للصور الكاريكاتيرية:**

- **كاريكاتير "دنماركية تغضب بكين" :** ([2])

نشرت صحيفة "**يلاندس بوستن**"**الدنمارك** يوم29يناير2020مفي تمام الساعة07:06GMT،وتم إعادة نشرها بتاريخ 20 مايو 2020م الساعة 7:47 GMTمصدر الصورة الصحيفة الإلكترونية "**دبي ـ العربية. نت**" في مقال

(1) Jonathan A. Becker, (1996), "The Disappearing Enemy: The Image of the united states in soviet politicalcartoons, Journalism and Mass Communication Quarterly 73, No.3, P.612.

(2) جريدة العربية، (2020/1/29م)، "كورونا تصيب "علم الصين"...صورة دنماركية تغضب بكين !"، الجريدة الإلكترونية العربية، 07:47ص.https://www.alarabiya.net

بعنوان:"كورونا تصيب (علم الصين)...صورة دنماركية تغضب بكين !{الصورة:1}.

الصورة رقم{1}	الصورة رقم{2}
" الدنمارك تثير غضب الصين "	" العلم الوطني لجمهورية الصين الشعبية "
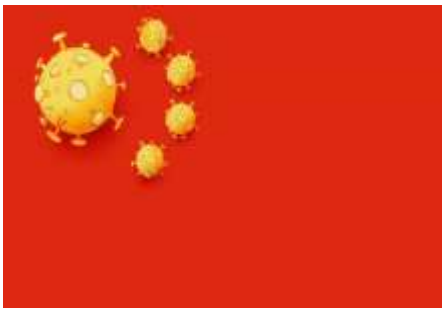	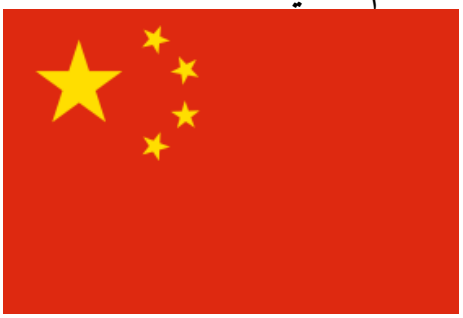

ما يمكن أن نشاهده في هذا العمل هو العلم الوطني لجمهورية الصين الشعبية (الصورة:2) صمم هذا العلم من قبل الفنان التشكيلي والاقتصادي "نسينغ بيان سونغ" هذا الرسام ينتمي إلى منظمة الحزب الشيوعي الصيني في تلك المدينة، يرمز اللون الأحمر للدماء التي بذلها الشعب الصيني أثناء الثورة التي تكللت بتأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949، أما النجمة الكبيرة التي تتوسط النجوم الأربع الأخرى فترمز للدور القيادي للحزب الشيوعي الصيني، بينما ترمز النجوم الأربع الصغار للفئات الرئيسية التي يتكون منها جمهور الحزب وهي(العمال والفلاحين والعسكريين والمعلمين).([1])

يعرف العلم الوطني National Flag: بأنه "رقعة قماشية ملونة، ذات لون واحد أو متعدد الألوان،تحمل بعض الرموز والشارات التي تنطوي على معنى خاص، والعلم الوطني يرمز إلى الشخصية الاعتبارية للدولة كما يحمل شعار البلاد والوطن، وللدولة أعلامها الوطنية ورايتها التي ترمز إلى السيادة،ويرفع

(1) بي بي سي، (2009/9/25م)، "إلى ماذا يرمز العلم الصيني؟"، موقع بي - بي - سي عربي نيوز، هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at: https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2009/0

العلم على دور الحكومة وشعارات الدولة كما يرفع على المؤسسات والمباني والمنصات في الأعياد والمناسبات الرسمية، ويحمله الجند في طليعة الجيش، ويجري تنكيس الأعلام حدادًا، كما تحتفل الدول بيوم العلم أو عيده".([1])

إن العلم من الأشياء المقدسة لكل وطن، واحترام الوطن يتم من احترام رموزه وشعبه، وأي سخرية أو إهانة لرموز الوطن هي إهانة للوطن.

لذا من الضروري أن يترافق ذلك مع وضع ترتيبات قانونية تتكفل بحماية العلَم جنائيا، من الإهانة والعبث، تقديرا لمكانة هذا الرمز، فهو يرفع دائما في الأعلى وفي مختلف الإدارات {السياسية، والاجتماعية والثقافية}، فرفع العلم فوق المنشئات هو من اجل التميز وإحداث الاختلاف في بقية المباني السكنية، وإزالته من غير قانون يعاقب عليه بالسجن، على سبيل المثال(**في فرنسا كان قانون العقوبات(المادة٤٣٣-٥-1) يعاقب المساس بالعَلَم الوطني خلال التظاهرات العامة بتوقيع غرامة ٧٥٠٠ يورو، وإذا كان المساس خلال اجتماعات تكون العقوبة الحبس ستة أشهر مع الغرامة المذكورة**).([2])

كذلك يمكن أن نذكر الحادثة التي صارت في تونس في ثورة الربيع بتاريخ 7مارس 2012م، عندما تصدت طالبة لشاب ينتمي إلى التيار السلفي قام بإزالة العلم واستبداله براية سوداء، من فوق كلية الآداب والعلوم

(1) عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، (1985م)، "موسوعة السياسة"، ج4، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ص179

(2) أحمد عبد الله مصطفي، (2016م)، "من من أجل حماية جنائية للعلم الوطني"، صحيفة الأقصى،موريتانية، 12:29م.

Available at: http://alaqssa.org/?q=node/3714

الإنسانية{تونس العاصمة}([1])،وهذا العمل يعتبر مشين وغير لائق بأي راية وطنية مهما كان الاختلاف الديني واللغوي.

تدخل (الصورة:3) الماثلة أمامنا ضمن الرسم الكاريكاتوري، يظهر في الصورة العلم الوطني الصيني وعلى اليسار في الأعلى نجد فيروس كبير الحجم وتدور حوله أربع فيروسات صغيرة مع قاعدة حمراء. رسم هذا الكاريكاتير الفنان/نيل بو بويسين مع نص كتب في مقال يحمل المعني التالي "**كاريكاتير عن الكورونا في الدنمارك يثير غضب الصين**".

الصورة رقم{3}

""كورونا تصيب "علم الصين""

ولكن نحن هنا نلاحظ أن العلم الصيني قدم بطريقة كاريكاتورية ففي الأصل يتكون العلم من خمس نجوم صفراء وخلفية حمراء،حيث يرمز اللون الأحمر في العلم إلى دماء المحاربين الذين سقطوا أثناء الثورة،أما النجوم الصفراء فهي تشكل ثقافة البلاد الصينية، كما أن العلم الصيني يشبه علم الاتحاد السوفيتي الذي يتكون من { مطرقة ومنجل وخمس نجوم باللون الأصفر}.

(1)جريدة الصباح، (2017م)، "إحياء للذكرى الخامسة ل"واقعة العلم"....تدشين لوحة رخامية في كلية الآداب بمنوبة"، 7مارس 2017، 17:42، جريدة الصباح نيوز الالكترونية، تونس، 17:42م.

Available at:http://www.assabahnews.tn/article/145152

ولكن ما نشاهده في هذا العمل هو أن النجوم الخمس الصفراء استبدلت بخمسة فيروسات،الفيروس الكبير في الأعلى على اليسار يرمز إلى البلد المنشأ للمرض وهي الصين، أما البقية فهي يمكن أن تدل على بقية القارات التي انتشر فيها المرض حتى أنه يمكن أن نستعين بالمثل الشعبي الذي يقول "**أطلب العلم من المهد إلى اللحد**" بمعنى أن الفيروس انتشر في كامل بقاع العالم لم يقف في منطقة محددة.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه لماذا الدنمارك قامت بهذا العمل الكاريكاتوري الذي أشعل مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، وكتب عنه العديد ويمكن أن نأخذ بعض العينات التي انقسمت إلي قسمين منها المعارض ومنها الذي يقول مبدأ حرية الرأي والصحافة:

- ذكرت "بوليتيكن" أن "الغضب الصيني دفع بالقراء (الدنماركيين) لتوجيه انتقادات لنشرنا العلم، رغم أنه محاولة للدفاع عن حرية التعبير كما جرى أثناء أزمة رسوم النبي محمد ﷺ، فلماذا هذا الغضب من القراء العاديين في الشارع فيما لم يجرِ ذلك سابقاً؟".
- قال"**كريستيان يانسن**" - رئيس تحرير صحيفة "**يلاندس بوستن**"**الدنمارك**- أن الرقابة مرفوضة، وبأن على المرء أن يكون مولوداً في دولة يتحكم فيها نظام الرقابة ليقبل أن يُنزع من صحيفة دنماركية حقها في نشر رسم متهكم من العلم الصيني باستبدال النجوم بنماذج شكل فيروس كورونا".
- واعتبر "**يانسن**" أن "قمع حرية التعبير، كأسس للحريات، يقدم صورة واضحة وشاملة عن ضآلة اختيار الصين عدم فهم ما يمنحه الدستور الدنماركي من حقوق أساسية ومنها حرية الكلام والرسم والتعبير".
- ونقلت الصحيفة عن الباحث "**هانيبال مونك**" والمؤرخ في "جامعة روسكيلد"- في الرسوم الساخرة الدنماركية، أن "تغيراً ما طرأ على مزاج

الشعب الدنماركي، وهو ما أوضحته قضية العلم الصيني". وأضاف أن "أزمة الرسوم المتعلقة بالنبي محمد ﷺ كانت لحظة تاريخية دفعت نحو التردد، وقد تعلم منها الساسة أن يقفوا موقفاً حاسماً، فيما الأمر مختلف بين عموم الشعب حيث تسود بينهم فكرة أنه يجب أخذ مشاعر الآخرين بالاعتبار".([1])

بعد جملة هذه الآراء التي تعيب هذا العمل التي قامت به الصحيفة الدنماركية مع إعطاء بعضها الحق في مبدأ حرية القلم وحرية التعبير، نجد موقع الكتروني حول علم الصين إلى لعبة الكترونية ليتواصل الاستهزاء بالعلم، وقد رصدنا الانتقادات التالية:

الصورة رقم{4}

"لعبة Coronavirus Attack"

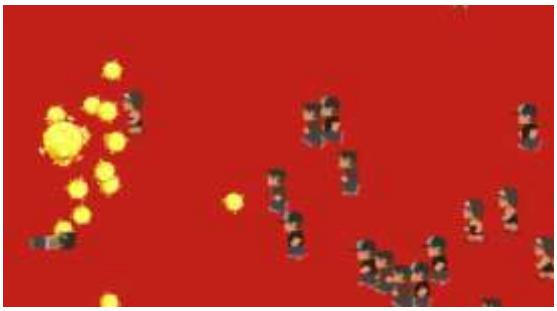

حظرت السلطات في الصين لعبة إلكترونية( ) عن فيروس كورونا لأن دافعها "سياسي"، وتتطلب اللعبة من اللاعبين أن يمنعوا من يسمون

(1)ناصر السهيلي، (2020/2/1م)،"كاريكاتير كورونا يثير أزمة بين الدنمارك والصين"، جريدة العربي الالكترونية،

Available at:https://www.alaraby.co.uk/

بـ"الأشباح الأنانيين" من مغادرة البلد الموبوء بالعدوى للفوز في اللعبة. وقد قدم اللاعبون شكوى ضد اللعبة بسبب استخدامها ألوان العلم الصيني واستعملت أشكال الفيروس بدل النجوم الموجودة بالعلم الصيني.

وقد كتب اللاعبون مراجعات وتقييمات سلبية للعب،وورد في التعريف باللعبة "فيروس شبح أناني أصاب الناس بالعدوى في أنحاء البلاد. يحاول المصابون بالعدوى مغادرة البلاد، ومهمة اللاعب الحيلولة دون تمكن المصابين بالفيروس من المغادرة ونشر الوباء في العالم.([1])

واعترفت "**MythZsGame**" - مطور اللعبة- في حديث لموقع"Abacus"بأن الهدف من اللعبة كان انتقاد الحكومة الصينية، وسكان مدينة ووهان؛ الذين هربوا من المدينة التي اعتبرت بؤرة تفشي الفيروس قبل فرض إجراءات الحجر الصحي في أواخر يناير الماضي.([2])

وهذا ما يطلق عليه الحرب الإلكترونية التي تدعى بأنها "مفهوم يشير إلى أي نزاع يحدث في الفضاء الإلكتروني ويكون له طابع دولي"([3])، وهو شكل نزاع خطير يهدف إلى التأثير على إرادة الطرف المستهدف سياسيا، وتعاطف الدول الأخر المتضررة من هذه الدولة، من خلال الصورة الإعلامية والألعاب

---

(1)عربي NEWS، (2020/4/29م)، "فيروس كورونا: الصين تحظر لعبة إلكترونية عن الوباء لأنها موجهة سياسيا"، جريدة بي بي سي الإلكترونية،هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at:https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech52473775

(2) جريدة الحرة، (2020/4/30م)، "زومبي" مصاب بكورونا.. الصين تحظر لعبة فيديو أثارت الجدل"، نشرتها جريدة الأنباء، الكويت.

Available at:https://www.alanba.com.kw/ar/worldnews/965274/01052020

(3) فيصل محمد عبد الغفار، (2016م)، "الحرب الإلكترونية"، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الإردن، ص10.

الإلكترونية... وغيرها، والتي أصبحت سلاح العصر الحديث، والتي تتنافس به العديد من دول العالم.

ويمكن اعتبار أن الحرب الإلكترونية والصورة الإعلامية التي شُنت علي الصين راجع إلى جملة الانتقادات التي وردت في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، والتي أثبتت أن أصابع الاتهام كلها متجهة إلى الصين؛ لأنها سبب انتشار الفيروس،وإنها لو اتخذت التدابير منذ البداية لما حدث كل هذا التضارب؛لأن أغلب دول العالم فقدت مكانتها في السوق، وأنهار اقتصادها، وخسرت العديد من المعاملات جراء هذا الفيروس الذي اشغل غضب كل الدول دون استثناء، وأهم من ذلك كثير من دول العالم ارتفعت فيه حالات الوفاة ما بين أطفال وشباب ومسنين أسيرا جائحة كورورنا، وما على الصين إلا أن تتقبل هذه الآراء.

- **كاريكاتير "كورونا يدمر سور الصين العظيم "** : ([1])

نشرت جريدة "الشرق الأوسط "السعودية، رسم كاريكاتيرية تحت عنوان:" **كاريكاتير صحيفة سعودية...كورونا يدمر سور الصين العظيم**" نشر بتاريخ 29يناير 2020م بتوقيت 06:00 مساءًا كما في (الصورة:5).

عُرف صور الصين العظيم Great Wall of China: بأنه " سور عسكري دفاعي، ينسب بناؤه عادة إلى الإمبراطور الصيني "**شين شيه هوانغ تي**" الذي حقق بالقوة، في القرن الثالث قبل الميلاد، وحدة المقاطعات الصينية الثمانية عشرة، إلا أن الأساسات الأولى لهذا السور العظيم تعود في الواقع إلى ما قبل ذلك. أي إلى "عصر الممالك المتحاربة" في القرنين السادس والسابع ق.م.، إضافة إلى ذلك، فإن بناء السور كان يعبر في الواقع عن الاتجاهات الثابتة في

(1) محمد عبد المجيد، (2020/1/29م)، "كاريكاتير صحيفة سعودية...كورونا يدمر سور الصين العظيم"، صحيفة اليوم السابع، مصر، 06:00م.

Availableat:https://www.youm7.com/story/2020/1/2

السياسة الصينية عبر التاريخ، والقائمة على فكرة الاكتفاء الذاتي والعزلة، وكان "**شين شيه**" بعد أن وحد إمبراطوريته، وأراد أن يحميها من غزوات الهون قد شغل حوالي (300000) رجل، لمدة تزيد عن عشر سنوات في بناء أسوار تصل فيها بينها القلاع والحصون الدفاعية المنتشرة على حدود الصين الشمالية، وقد استمرت أشغال بناء السور حتى بعد انتهاء عهد "**شين شيه**" (221 – 206 ق.م.) يمتد سور الصين العظيم، بالاستناد إلى الآثار المتبقية منه اليوم، من بحر "بوهاي" إلى شرق سينكيانغ متبعًا خطًا انسيابيًا ومتعرجًا، ويبلغ طول الخط المستقيم (النظري) الذي يربط أقصى طرفي السور حوالي 2880كلم، إلا أن طوله الحقيقي لا يقل عن 5760 كلم، اكتسب سور الصين الكبير شكله النهائي في عصر أسرة "مينغ" (1368- 1644م) وقد بني بأكمله من الحجارة، ويبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار، وعرضه ستة أمتار" .([1])

الصورة رقم{5}

"فيروس كورونا يدمر سور الصين العظيم"

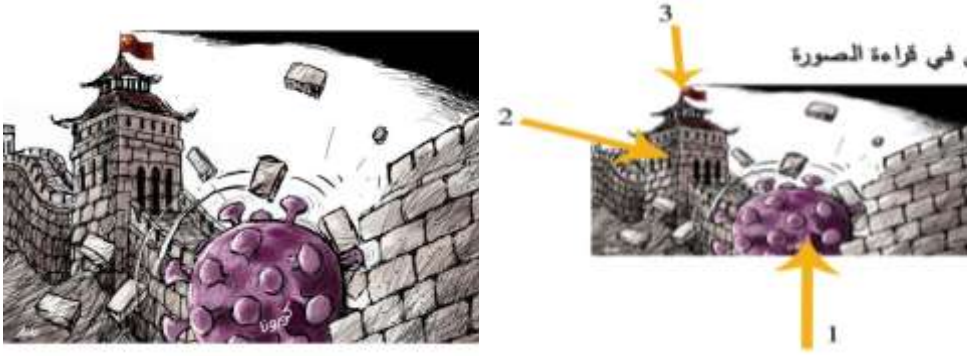

(1) عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، (1985م)، "موسوعة السياسة"، ج3، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ص285.

نشاهد في (صورة:5) سور الصين العظيم، وهو رمز قومي من الآثار العريقة بالصين،وفيروس كورنا في شكل كرة تحطم سور الصين العظيم،وأول ما يشد الانتباه هو حجم الفيروس الضخم الذي استطاع أن يحطم السور الذي يُعد من عجائب الدنيا السبع،سور الصين العظيم الذي يتوافد الألف لرؤيته والانبهار به وبعظمة بنائه. هذا السور الذي يرجع بناؤه إلى حوالي ألفي سنة ويمتد على مسافة 2400 كيلومتر تقريبا، تعتليه راية الصين.

هذا السور الذي يمثل قوة البلاد وأهم معالمها السياحية، كما تُعد الصين من أهم الدول الصناعية التي تنافس أكبر الدول العظمي، هذه الدولة التي لم يسقطها أي شيء غير هذا الفيروس الصغير الحجم الذي انتشر في البلاد كلها، وبالتحديد انطلق من مدينة ووهان الصينية.

هذا الرسم معبر بدرجة كبيرة فاختيار الرسام لهذا المشهد إنما هو اختيار ممنهج ودقيق، فالكورونا استطاعت أن تُحطم سور الصين العظيم،من خلال اختراق الفيروس للصين، وانتشاره في كامل البلاد من جنوبها إلى غربها ومن شرقها إلى شمالها، هذا الفيروس الذي لم يجدوله دواء له حتى أن الحيوانات أصبحت معدية وتستطيع أن تقتل الإنسان.

إن الرسام اختار سور الصين العظيم الذي يرمز إلى دلالات لقيم وحضارة تاريخ البلاد، مع التأكيد على وضع الراية فوق السور للتأكيد على رمزية المكان. كذلك اختار أن يكون حجم الفيروس كبير وفي شكل كرة متدحرجة، فقوته استطاعت أن تحطم الحواجز، وهذا ما حدث فقد انتشر بشكل سريع في كامل البلاد وحصد العديد من الأرواح،وحتى هذه الساعة مازال الفيروس مجهول ويتطور بشكل سريع،فالبلدان العظمى كأمريكا روسيا وإيطاليا وبريطانيا وغيرها لم تستطيع مواجهة هذا الفيروس؛ فعلى سبيل المثال ايطاليا كانت منذ البداية من أكثر الدول التي خسرت العديد من الأرواح .

فتحطيم الفيروس لسور الصين ما هي إلا رمزية معبرة، فهو حطم عناصر الدول دون استثناء من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والصحية، فتحطيمه كان من خلال قطع العلاقات الدولية والدبلوماسية والمعاملات التجارية،والصين هي السبب وكل أصابع الاتهام متجهة نحوها، وهذا ما يبينه الرسم الكاريكاتوري، فالصين لم تستطيع السيطرة على هذا الوباء رغم أنها قوية اقتصاديًا وسياسيًا، ولكن الصورة الإعلامية ضاعفت من قوتها، باستخدامها رموز قومية لتهز أركان الصين، حاملة العواقب الوخيمة التي مرت بها العالم كله.

اليوم أصبح الإعلام الممارس عبر "الوسائل الجماهيرية" أكبر من أن يمارس الفرد المستقل صاحب الحق في التعبير الحر، ذلك أن وسائل الإعلام الجماهيرية تطرح مشكلات ذات طبيعة سياسية، وبفضل وسائل الإعلام المذكورة أصبح الإعلام قوة اجتماعية تحوز على أداة تقنية – اجتماعية فعالة.([1])

فقد خلقت الصين أزمة صحية تسببت في تدهور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى العالم،فهذا البلد كان له تاريخ كبير مع الفيروسات فبين سنة 1910م، وسنة 1911م انتشر "**طاعون منشوريا**" الذي حصد قرابة 60 ألف شخص([2])، لذلك فتاريخ الصين مع الفيروسات ليس جديدا ولكن هذه المرة فيروس كورونا كان الأقوى على جميع الأصعدة، فانتشاره كان عالميًا وليس محليًا، لذلك لم تستطيع الصين أن تسيطر عليه.

---

(1) سامي ذبيان، وآخرون، (1990م)، "قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية"، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ص53.

(2) صحيفة عربي NEWS، (2020/2/29م)، "فيروس كورونا: تعرف على تاريخ الأوبئة في العالم"، موقع بي - بي سيBBC،هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at:https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech51675634

ونتيجة هذا الوباء أباح لكل دول العالم يعبروا عن آرائهم واتجاهاتهم نحو الصين في هذا الشأن من خلال المساس برموزها القومية، وهو سقوط سور الصين العظيم، ففقدان هذا البلد لشعبه ومكانته بين الدول،سقط اقتصاده وتدهورت أحواله على جميع الأصعدة، وترتب على ذلك الضرر والدمار للعديد من دول العالم، مما دفع إلى رسم يحمل دلالات رمزية وفنية قوية يهاجم ويندد ما يحدث في هذا البلد.

- **كاريكاتير "كورونا تغزو العالم.. الصين ضد أمريكا ":** {[1]}

نشر موقع "**العربي الجديد**" بتاريخ 27 أبريل 2020م كاريكاتير بعنوان :"**كورونا والعولمة والصين**" كتب هذا المقال فارس الخطاب - كاتب عراقي مقيم في لندن- (الصورة:6).

الصورة رقم{6}

" كورونا تغزو العالم.. الصين ضد أمريكا"

يحمل هذا العمل العديد من الدلالات:أول ما يمكن أن نلاحظه هو وجود شخصيتين مركزيتين فوق الكرة الأرضية، وهما رئيس أمريكا "دونالد ترامب" ورئيس الصين "شي جين بينغ " الذي يضع على يديه علم بلاده للتأكيد على هويته، في حين يحمل كل منهما سلاح في شكل منظار طبي بينهما لوحة زجاجية شفافة يتوسطهما فيروس كورونا باللون الأخضر،في الأعلى على اليسار نجد موقع الصحيفة"**العربي الجديد**" التي أصدرت هذا العمل وفي الأسفل توقيع صاحب العمل، مع خلفية زرقاء تحمل بعض النجوم.

(1) فارس الخطاب، (2020/4/27م)، "كورونا والعولمة والصين"، جريدة الأخبار على مدار الساعة.**Available at:**https://www.alakhbar.press.mal

قبل الانطلاق في تحليل العمل الفني يجب أن ننتبه إلى العنوان "**كورونا والعولمة والصين**"، وكأن هذه الكلمات هي مفاتيح هذه الرسمة، سوف نعرض علمياً تعريف هذه المصطلحات:

- **تعريف كورونا: "Coronavirus"Civid-19**

فيروسات كورونا هي فصيلة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان، ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثلا متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس)، وبسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخرًا مرض فيروس كورونا كوفيد – 1. وتعرف منظمة الصحة العالمية مرض كوفيد- 19: " كوفيد- 19 هو مرض معدي سببه فيروس كورونا المُكتشف مؤخرًا، ولميكنهناكأي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجد ينقبل اندلاع الفاشية في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر2019. ([1])

(1) منظمة الصحة العالمية، (2020/3/5م)، "فيروس كورونا المستجد (Covid19) دليل توعوي صحي شامل"، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليميلشرقالمتوسط، ص4.

Available at:https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novelcoronavirus2019

- **تعريف العولمة:** Globalization

أن للعولمة معنى عامًا شاملاً، يتضمن الانتقال من المجال الوطني، أو الإقليمي إلى المجال العالمي، أو الكوني، وليس الدولي، لأن الكلمة الثانية تعني وجود الحدود، وخطوط الفصل بينما كلمة الكوني أو العالمي تتجاوز الحدود.([1])

قد أسفرت إسهامات علماء الاقتصاد في تعريف العولمة عن بروز رؤيتين: رؤية تقليدية ترى أن مصطلح العولمة يشير إلى تحول العالم إلى منظومة من الحلقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد عمقًا من خلال تحرير التجارة الدولية، وتشجيع تدفقات رؤوس الأموال، وتيارات هجرة العمالة عبر الحدود، وانتشار استخدام التكنولوجيا وشبكات المعلومات والتيارات الثقافية العابرة للحدود، والتحويل للقطاع الخاص فيما يعرف بسياسة العولمة، أما الرؤية الثانية؛ فهي تتميز بالطابع النقدي ذي المنظور التاريخي، ويرى أصحابها أن العولمة ليست ظاهرة جديدة،وأنها بدأت منذ القرن السابع عشر أو قبله بقليل، ولم يعد الأمر متعلقًا فقد بإنتاج المزيد من السلع والأشياء؛ بل أصبح الأمر متعلقًا أيضا بتداول المعلومات ومعالجتها ونقلها، والانتقال من اقتصاد السلع العينية إلى اقتصاد المعلومات.([2])

لقد قيل إن العولمة "مفهوم مجرد مركب يعني الكثير ويختلف معناه لدى الكثيرين"، فالعولمة على المستوى اللغوي مصدر صناعي من (عالم أو كون)، ويعني في حال استخدامه غلبة الطابع العالمي أو الكوني على الظواهر

---

(1) وليد أحمد مساعدة، عماد عبد الله الشريفين، (2010م)، "العولمة الثقافية رؤية تربوية إسلامية"، ع1، مج18، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، غزة، فلسطين، ص252.

(2) عواطف عبد الرحمن،(2015م)، "الإعلام العربي وقضايا العولمة"، كتب عربية،www.kot obarabia.com، ص ص1920.

والنشاطات الفكرية والعملية بما يسمح بوصفها بأنها ظواهر ونشاطات عالمية أو كونية.([1])

- **تعريف الصين: Chine**

الصين الجمهورية الشعبية People`s Republic of Chine: تقع جمهورية الصين الشعبية في شرقي آسيا يحدها من الشمال الاتحاد السوفييتي ومنغوليا، ومن الشمال الشرقي الاتحاد السوفييتي وكوريا الشمالية، ومن الشرق والجنوب الشرقي المحيط الأطلسي، ومن الجنوب الهند الصينية (الفيتنام واللاووس) وبورما، ومن الجنوب الغربي الهند والنيبال، ومن الغرب الباكستان وأفغانستان، ومن الشمال الغربي الاتحاد السوفييتي، واللغة الصينية هي اللغة الرسمية كما أنها لغة 94% من السكان بالإضافة إلى لغات الأقليات، والديانة هي "البوذية" التي دخلت إلى الصين قادمة من الهند منذ القرن الثاني قبل الميلاد بالإضافة إلى تعاليم الكونفوشية التي هي حركة فلسفية عامة، أثرت تأثيرًا عميقًا في عقلية المواطن الصيني، والعاصمة تدعى بكين".([2])

وانطلاقًا لهذه المصطلحات العلمية، التي استشهد بها الرسام في الكاريكاتير بهدف توضيح أن العالم تغير جراء فيروس مجهول المصدر، ولكن موطنه معروف وهي مدينة ووهان الصينية هذا **أولا.**

ثانيا: هذا الفيروس "**كورونا**"غير مسار مجرى القوى العالمية الكبرى، وهي الصين وأمريكا اللتان في صراع دائم منذ نشأة كليهما على المستوى الاقتصادي والسياسي.

---

(1) عبد الرضا حسين الطعان، وآخرون، (2015م)، "موسوعة الفكر السياسي عبر العصور"، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص670.

(2) عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، (1985م)، "موسوعة السياسة"، ج3، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص683.

ثالثا: كلمة العولمة هذه الكلمة لم تصدر عن غير قصد فقد قالها الرئيس الصيني "**شي جين بينغ**" في سنة 2017م في منتدي دافوس قائلاً: "**أن بلاده مستعدة لتحمل قيادة العالم،وجعل "العولمة" صالحة للجميع**".([1])

وهذا القول جعل من الدول العظمى وتحديدًا الولايات المتحدة تفزع من هذا الخبر، وتشكك في إمكانية ظهور الصين كقائد للنظام العالمي الجديد، وهذا ما يمكن أن نتبينه في المحمل الذي يجلس عليه كل من الشخصيتين، لأن الغلبة للصين بما أنها في هذا الرسم تبرز علو كفة الصين، لأن في وقت الجائحة استطاعت أن تحصد **أولاً** أعلى نسبة من الوفيات والإصابات،**وثانيًا** تبرعت لمختلف الدول بأربعة مليارات كمامة، و37.5 مليون بزّة واقية، و16 ألف جهاز تنفس، و2.84 مليون جهاز لكشف الإصابات بفيروس كورونا، بقيم إجمالية قدّرت بأكثر من ملياري دولار، كما أصبحت صناعة الأدوية العالمية تعتمد على الصين في 80% من إنتاجها([2])، هذا التبرع وغيره من الامتيازات التي قدمتها الصين لمختلف الدول المتضررة رفع من شأنها وقيمتها ولاقت استحسان العديد من الدول، وبالتالي فشعبيتها ارتفعت مقابل أمريكا.

كذلك يمكن أن نستنتجه من هذا العمل الكاريكاتيري الذي كان واضحًا ومعبرًا، وله دلالة رمزية كبيرة، وهو أن الدول الكبرى التي تدعي تطورا تكنولوجيا وصحيا، وتمتلك أحسن المراكز الصحية تكون هي الأكثر الدول التي نالت نصيب من جائحة كورونا وأكثر الدول المنهارة، والتي كان العالم يأمل أن يجد الدعم منها على سبيل المثال{الولايات المتحدة، بريطانيا،

---

(1) فارس الخطاب، (2020/4/27م)، "كورونا والعولمة والصين"، جريدة الأخبار على مدار الساعة.

Available at:https://www.alakhbar.press.ma/%D9

(2)المرجع السابق نفسه.

فرنسا إسبانيا وغيرها ...}، هذه الدول انكشفت عوراتها بسبب فيروس كورونا أمام العالم.

لتكون في المقابل الدول الفقيرة هي التي استطاعت أن تغلب هذا الفيروس بأبسط الوسائل الوقائية المتوفرة عندها كالجلوس في البيت والحملات الاشهارية المتداولة في اغلب القنوات التلفزيونية التي تحث على مبدأ الوقاية منها شعار"**جلوسك في البيت يمنحك الحياة**"أو شعار"**شد دارك**" مع التأكيد على الاستمرار في غسل الأيادي، وعدم التقبيل والتسليم وتقليل الزيارات، وكلها وسائل وقائية بدائية استطاعت أن تمنح الحياة إلى شعبها بوسائل احترازية.

ولكن هنا وفي هذا الرسم الكاريكاتوري "لفارس الخطاب" ركز على قيمتين قوميتين كبيرتين وهما أمريكا والصين دولتين لم تجد لهما منافس آخر، وهذا ما تفسرهُ وضعية الجلوس التي تتشكل في شكل أرجوحة الغلبة لمن ستكون، والعالم يتفرج ويراقب من بعيد؛ لأن الحرب لم تعد حرب فيروس قاتل بل حرب انتصار اقتصادي صناعي ثقافي تجاري.

فأمريكا قد خسرت العديد من المصالح ويمكن أن نؤكد ذلك بما قاله الدكتور "**روبرت ردفيلد**" مدير المركز الأمريكي للسيطرة على الأمراض والوقاية : "إن فيروسا ضئيلًا مثل كورونا تسبب في جعل الولايات المتحدة "تجثو على ركبتيها".كما قال أيضا" خسائر كورونا 7 تريليرنات دولار.. "، وأن هذا الفيروس انتشر في اغلب الولايات، فالدولة لم تعد قادرة على السيطرة عليهفي حين قال الدكتور "ريتشارد بيسر" نائب مدير مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها السابق :"**يتعين علينا أن نحسب كيف ننفذ هذا الانتقال بأفضل السبل وإلا ستشهد جميع الولايات صعودا دراماتيكيا.**"وواصل حديثه بكل أسف على بلاد هو ما وصلت إليه جراء هذه الجائحة: "**لقد حان الوقت لإصلاح المنظومة المتهرئة لكن ذلك يحتاج إلى شراكة ولا يمكن إلقاء كل**

الحمل على عاتق الحكومة الفيدرالية للاستثمار في الصحة العامة على المستوى المحلي".([1])

هذا يؤكد أن رسوم الكاريكاتير أسرع وسيلة تصل إلى مفاهيم المجتمع، وتكون مثار الحديث بين الناس مما يشكل فكرًا عامًا، وأن يتناول الناس هذه القضية بالتعليقات المختلفة ويبدون آراء هم حولها، مما يفجر بعض الجوا نب المرتبطة بهذه القضية . ([2])

لندعم ما قلناه نستشهد (بالصورة:7) التي نشرت بتاريخ 3مايو2020م بالموقع صحيفة "اليوم" والتي حرر هذا المقال مجموعة من الصحافيين الذين اختاروا أن يكون العنوان والصورة متلائمة مع النص:"سيضع فيروس كورونا نهاية للنظام العالمي الذي تأسس بعد الحرب العالمية الثانية وادعاء أمريكا بشأن زعامة العالم".

(1) وائل عبد الحميد، (2020/6/24م)، "خسائر كورونا 7 تريليرنات دولار...أمريكا تجثو على ركبتها"،موقع مصر العربية، القاهرة، مصر، 18:24م.

Available at:https://masralarabia.netD8%A7%C2%BB

(2) دينا محمد فتحي(2007م)،"دور الكاريكاتير في معالجة القضايا الاجتماعية خلال الفترة من (1992: 2002)، ر سالة ماج ستير (غ ير منشورة)، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر ، ص91.

الصورة رقم{7}

"كورونا سيجبر أمريكا على التنازل عن ادعاء زعامة العالم"

لأننا نجد أن النص والصورة في تكامل الرئيس "دونالد ترامب" يخفض رأسه ويمسك علم بلاده بكل حسرة وألم وكأنه يعلن فوز الصين عليه. وكأن بهذه الوضعية تعود بالرئيس ترامب ثانية إلى مؤتمر دافوس2017 " بأن الصين مستعدة لتقود العالم.

قول يدور في رأس الرئيس الأمريكي الذي يعلن في قراره نفسه عن فوز الصين برأسة العالم. لأنه ومنذ بداية انتشار الفيروس والى حد اليوم والولايات المتحدة تعاني الويلات والانهيارات على جميع الأصعدة، وقد أكد ذلك كبار الصحفيين "لصحيفة لوموند" العريقة بقولهم:"أن الولايات المتحدة لم تعد تلعب دور زعيم العالم، كما كان عليه الحال في القرن العشرين".([1])

كما اعتبرت الصحيفة أنه لمتعد للولايات المتحدة القدرة على لعب دور الزعامة في العالم فقد تراجعت بشكل متزايد في السنوات الأخيرة، لأن الأزمة

(1) وكالة الحميرية نيوز،(2020/5/3م)، "كورونا سيجبر أمريكا على التنازل عن ادعاء زعامة العالم"، 16:06م.

Available at:https://www.alhemyarianews.com/109

الحالية أضعفت أمريكا، وجعلتها أكثر دول العالم تضررا من فيروس كورونا، فالجائحة أجبرت الأمريكيين أخيرًا على التنازل عن إدعاء هذه الزعامة.

وهذا ما يمكن أن يفسره هذا العمل هو أن الصين تشير بإصبعها إلى أمريكا للمساعدة، وخاصة أن الرئيس "دونالد ترامب" قد خسر شعبيته، وأن بلاده لم تستطيع السيطرة على هذا الفيروس الصغير، ويمكن أن نتبين ذلك من خلال علو كفة الصين، ورفع رئيسها يده مشيرا إلى"دونالد ترامب"، بأنه لم يعد قادرًا على السيطرة، وخاصة أن فيروس كورونا وجه ضربة كبيرة لوحدة أوروبا، التي كانت حليفة أمريكا، وقد عجز في المقابل الاتحاد الأوروبي على دعم البلدان الأكثر تضررا مثل إيطاليا لتتحرك في المقابل الصين، وترسل وفدًا من الأطباء لمساعدة ايطاليا في احتواء هذا الفيروس.

وهنا نتبين أن المصالح الشخصية هي التي غلبت، ولم يقدر كليهما المصلحة العامة حتى أنه يمكن أن نختم برؤية الفيلسوف الأمريكي "نعوم تشومسكي" **الذي انتقد تعامل الرأسمالية مع الأوبئة والجوائح، وفسر ذلك في تصريح لمجلة** "رولينج ستون الأمريكية" **قائلاً:** "الأمر الذي يبرع فيه قادتنا خلال الأربعين عاما الماضية هو صب الأموال في جيوب الأثرياء والمسئولين التنفيذيين للشركات مع ترك كل شيء آخر يتحطم"([1])، **وهنا نفهم أن المال والاستثمار في القطاعات السياسية والاقتصادية هو الأهم، وأن صحة الإنسان هي أخر اهتمامات الدول الكبرى، وهذا ما فاق عليه العالم برمته بأن فيروس صغير الحجم استطاع أن يغير مجرى العالم، ويقلب الموازين، ويضع العالم في كفة ميزان الكل يسأل لمن ستكون الزعامة.**

---

(1) وائل عبد الحميد، (2020/6/24م)، "خسائر كورونا 7 تريليرنات دولار...أمريكا تجثو على ركبتها"،موقع مصر العربية، القاهرة، مصر، 18:24م.

Availableat:https://masralarabia.net/%D8%A7%D9%84%D8%

- كاريكاتير "الهرم الايطالي في مواجهة الكورونا" : {[1]}

نشر الموقع الإلكتروني "زاد دي زاد"يوم 14 مايو 2020م كاريكاتير بعنوان:"الكاريكاتير في مواجهة الكورونا" (الصورة:8)، للرسام باقي بوخالفة(*)وهو رسام كاريكاتير، وقد قام بمبادرة فريدة من نوعها في إطار مواجهة فيروس كورونا المستجد، واختار لها شعار "**الفيروس عدوك والطبيب جنديك والوعي سلاحك**"، وينشرها أسبوعيًا عبر صفحته الشخصية على فيسبوك، حيث نشر الحزمة الأولى من رُسماته يوم الثالث من شهر أبريل 2020م الماضي، وكتب وقتها في منشور له على فيسبوك قائلا: (في وقت انتشر فيه فيروس مجهري يقتل الناس دون استثناء استفقنا متأخرين على مفهوم جديد للحرب، حرب حتمت علينا معرفة كيفية التعامل معها إن أردنا البقاء؛ لأننا لاعب فيها، حرب العدو فيها غير مرئي والجندي فيها آنت، وأكبر شيء يمكن أن تقوم به هو أن تلزم بيتك،وأعلى المراتب فيها طبيب،والسلاح الأول فيها الوقاية، وذخيرتها إتباع إرشادات النظافة، حرب أن سقطت فيها لا يعني هذا موتك وفقط بل ستصبح جنديا في صفوف العدو فتبدأ بقتل وتجنيد أقرب المقربين).

(1) موقع زاد دي زاد، (2020/5/14م)، " الكاريكاتير في مواجهة الكورونا"، موقع إلكتروني إعلامي متخصص، يصدر من الجزائر.

Availableat:https://www.zdz.com/%D8%A7%D

(*) باقي بوخالفة جزائري الجنسية رسام كاريكاتيري قام بمبادرة توعوية تحت شعار "الفيروس عدوك والطبيب جنديك والوعي سلاحك" وينشر إعماله أسبوعيا على صفحته الشخصية الفيسبوك للمزيد من التفاصيل انظر إلى:https://www.facebook.com/baki.boukhalfa

الصورة رقم{8}

"الهرم الايطالي في مواجهة الكورونا"

كمشهد أولي يمكن أن نشاهد برج "بيزا المائل"في الوسط،ويحيطه من اليسار طبيب يقوم بحمايته من الفيروس، وعلى اليمين فيروس كورونا في شكل جسم إنسان يريد المساس به،وفي الأعلى على اليمين نجد ثلاث كلمات باللغة الانجليزية (Coronavirus=enemy - Doctor=Solider - Awareness=Weapon) وهذا يعني أن (فيروس كورونا = العدو – والطبيب = الجندي – والوعي = السلاح)، وفي الأسفل توقيع صاحب العمل "باقي بوخالفة". إن قراءة هذه الصورة ستكون من اليسار إلى اليمين رغم أنه يجب أن تكون الانطلاقة برمز البلد برج بيزا المائل، لأن في هذه الصورة يظهر حجم الطبيب هو المميز والكبير يجاهد من أجل عدم سقوط رمز وهوية البلد، الذي يتمثل في برج بيزا المائل Torre Pendentedi Pisa وهو يعد من الرموز القومية بإيطاليا والمميزة في العالم التي يتوافد على رايته العديد من السياح.يقع برج "بيزا المائل" مدينة بيزا هي جزء من "مشاهد فن العمارة ومواقع أخرى في إيطاليا" في كتالوج شركة ديترويت للنشر (1905م). يُعرف البرج أيضًا باسم برج الأجراس 2، وهو عبارة عن بناء من الرخام والجرانيت وقد تم بناؤه

ليكون برجًا للأجراس (كامبانيلي) بكاتدرائية بيزا. بدأ بناء البرج في عام 1174م، وقد صمم البناء المهندس المعماري "بونانو بيزانو"، غير أن سير البناء قد توقف عدة مرات، ولم يتم استكمال بناء البرج حتى عام 1350م، بعد مرور مائتي عام تقريبًا، يبلغ طول البرج سبعة وخمسون مترًا، وتم تشييده على النظام الروماني لمدينة بيزا. يحتوي البرج على ثمانية طوابق وثلاثمائة درجة سُلم تقريبًا.

ويعود الميل الذي يميز البرج - يبلغ الميل عند قمة البرج ما يزيد عن أربعة أمتار خارج مسار القاعدة إلى عدم ثبات الأرض التي تم بناء البرج فوقها. كما يشتهر البرج أيضًا بالتجربة العلمية التي أجراها العالم "جاليليو جاليلي" في عام 1589م، حيث أسقط من فوق البرج عدد من الكرات بأوزان وكتل مختلفة ليثبت بالتجربة أن الأجسام الأكبر والأخف وزنًا تسقط من أعلى بنفس السرعة.([1])

سقطت إيطاليا وحصدت العديد من الأرواح بسبب فيروس كورونا، هذا الفيروس الذي انتشر بسرعة وفاق البلد الأم في عدد الإصابات، وهنا نقدم جدول توضيحي عن عدد الخسائر، فالإصابات من تاريخ 2020/1/31م إلى2020/7/31م وصلت 250000 حالة، وهذا ما يبنه هذا الرسم بأن حجم الطبيب اكبر من حجم برج بيزا، كذلك الفيروس الذي تطور وكبر حجمه وابتلع العديد من البشر.

اختار الرسام أن يكون حجم الطبيب كبير، للإشارة إلى أنه جند من جنود وبطل من أبطال الشعب الذي بدوره يحمي شعبه من الأمراض، من

(1) موقع المكتبة الرقمية العالمية، (2016/2/12م)، " البرج المائل، بيزا، إيطاليا"، شركة ديترويت للنشر، ديترويت، ميتشغان.

Available at: https://www.wdl.org/ar/item/4240/

خلال تقديم الدواء، وإمداد يد العون والمساعدة، لتداوي الألأم، واختار له لون الأبيض، وهو اللون الذي يرتديه الأطباء وفريق التمريض في المستشفيات على مستوى العالم، ويتميز اللون الأبيض بالسلام والأمان كالملائكة، ويعطي هذا اللون الإحساس بالراحة والشعور بالأمان.

الصورة رقم{9}

" جدول توضيحي عن عدد الإصابات منذ انطلاق الفيروس إلى حدود هذه الساعة([1])"

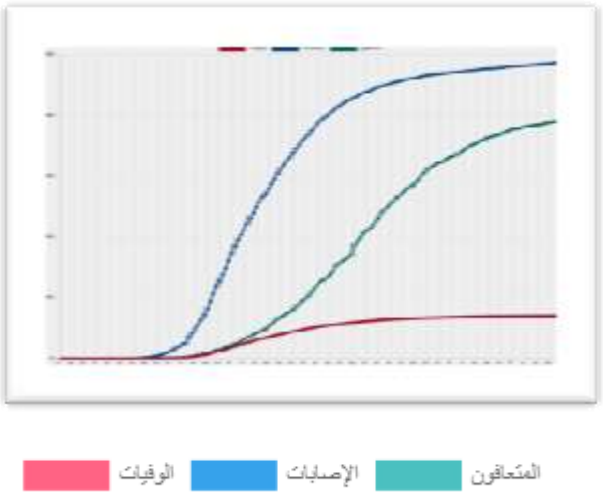

فاللون الأبيض يصور القرآن الكريم وجوه النَّاس يوم القيامة فيقول الله تعالى:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(1) موقع إيلاف، (2020/7/31م)، "إحصائيات إنتشار فيروس كورونا في إيطاليا"، بوابة إلكترونية صدرت من لندن، المغرب.

Available at: https://elaph.com/coronavirusstatisticsinitaly.html

(107)﴾ (*)وللعلماء في ابيضاض الوجهوا سوداده قولان: "القولا لأول:أن المقصود ببياض الوجه الفرحو السرور،بينما سواده كناية عن الغم، والقولا لثاني:أنبياض الوجهواسوداده يحصلان حقيقة في الوجه" ([1])، وهذا يوضح أن اللون الأبيض انعكاس الفرحو السرورً،واللون الأسود هو يرمز للغمو الحزن يعكسان، كما ينقل اللون الأبيض للآخرين ما تشعر به من السرور والرضا والتَّنعم، ومن الآيات التي تدل على ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (*)
- قول الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ (*)

والطبيب يدافع عن بلاده بكل ما أوتي من جهد وهذا ما يوضحه الرسم فالطبيب يدافع عن هوية بلاده ورمزها الأثري الذي يجب أن يبقي شامخًا،فاستخدم رسام الكاريكاتير برج "بيزا المائل" كرمز لدولة إيطاليا، التي عانت ومازالت تعاني من فيروس كورونا، وما خالفه من انهيار اقتصادي وسياسي، ولكن كان الأطباء وفريق التمريض خير معين في هذه الأزمة، بالإضافة إلى المساعدات التي قدمتها العديد من الدول.

فإيطاليا وجدت المساعدة من جميع الأطراف دون منازع فمثلا تونس أرسلت مجموعة من الأطباء إلى ايطاليا بتاريخ 11 أبريل 2020ممن خلال بعثة طبية تضم سبعة أطباء بهدف دعم البلد الصديق.([1])

(*) سورة "آل عمران": (106 – 107).

(1) فاطمة عرفات الحلو، (2008م)، "الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين : دراسة قرآنية موضوعية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة فلسطين، ص32.

(*) سورة "القيامة": (22).

(*) سورة "عبس": (38).

وكذلك أرسلت الحكومة المصرية، يوم السبت 3 أبريل 2020م مساعدات، ومستلزمات طبية إلى إيطاليا للمساعدة في مواجهة كورونا، حيث وصلت طائرتان عسكريتان إلى روما، وصرح السفير بسام راضي، المتحدث الرسمي باسم رئاسة مصر، بأنه في إطار توجيهات الرئيس عبد الفتاح السيسي، قامت القوات المسلحة بإعداد وتجهيز طائرتين عسكريتين، تحملان كميات من المستلزمات الطبية والبدل الواقية ومواد التطهير مقدمة من مصر إلى إيطاليا، وذلك في إطار العلاقات والروابط التاريخية التي تجمع بين الدولتين الصديقتين([2]).

هذه المساعدات لم تفي بالغرض لأن الوفيات ارتفعت، والبلاد فقدت مكانتها وقيمتها وخاصة الجانب السياحي، فقبل الجائحة كانت وجهة وقبلة لزوار من مختلف بلدان العالم؛ لأن ايطاليا تتميز بالثراء المعماري والثقافي والأثري. ولذلك تجد أن برج "**بيزا المائل**" بسبب الفيروس فقد مكانته ورمزيته العالمية، لذا نجد فيروس صغير الحجم اسقط العديد من الرموز القومية وحطم العديد من الدول رغم كبر حجمها واقتصادها وقوتها العسكرية والسياسية. هذا الفيروس قلب الموازين ودمر الاقتصاد والسياسة والسياحة الداخلية والخارجية، وكل مظاهر الدخل القومي.

---

(1) مونت كارلو الدولية / أ ف ب، (2020/4/11م)، " مساعدة طبية من تونس إلى إيطاليا للمساهمة في مواجهة كوفيد 19"، موقع مونت كارلو الدوليةMCD، 21:44م.

Availableat:https://www.mcdoualiya.com/a

(2) أحمد جمعة، (2020/4/4م)، " مصر وايطاليا إيد واحدة في مواجهة كورونا.. مصر ترسل طائرتين عسكريتين تحملان مستلزمات طبية دعما لروما.. وزيرة الصحة تسلم وزير خارجية إيطاليا المساعدات.. ودى مايو: شكرا لمصر"، صحيفة اليوم السابع، القاهرة، مصر، 04:56م.

Availableat:https://www.youm7.com/story/2020

أما الكلمات الثالثة التي كتبت في أعلى الصورة باللغة الانجليزية والتي كانت عبارة عن شعار اختاره الرسام "**الفيروس عدوك والطبيب جنديك والوعي سلاحك**" وهذا ما أراد الرسام أن يقوله للناس؛ بأن الفيروس هو جائحة غريبة لم نستطيع السيطرة عليها، ولكن بوجود الطبيب سنتغلب على هذا المرض، وأنه بالوعي وإتباع الحماية والتعليمات يمكن أن نحمى أنفسنا من الموت.

(فالوقاية خيرًا من العلاج) فبالوقاية نستطيع أن نتغلب علي فيروس كورونا، وان نساعد الطبيب في اكتشاف لقاح سريع له، وهذا ما نسمعه كل يوم في مختلف الوسائل السمعية والمرئية وخاصة الدول الكبرى التي تتنافس فيما بينها لاكتشاف مصل لعلاج البشرية، وباكتشافه تكون قد ربحت الحرب على الفيروس،ولهذا نجد أن الشعار الذي أطلقه الرسام على مجموعته إنما الغاية منه هو نشر الوعي وتطبيقه على أوسع نطاق.

- **ثلاث صور كاريكاتيورية"الحرية تسقط المشعل...الحرية نائمة في سرير الذئب...الحرية تطلب اللجوء في كندا ": {[1]}**

الصورة رقم{10}

الحرية تسقط المشعل

(1) محمود جبار، "ذئب ومرعب تمثال الحرية.. ترامب يسيطر على رسوم الكاريكاتير{تقرير خاص}"، موقع الخليج أنولاين، مقره الرئيس في بريطانيا، 13:36م.

Availableat:https://alkhaleejonline.net/%D8

نشر موقع الخليج أنولاين في {تقرير خاص}، صور كاريكاتيرية بعنوان" **ذئب ومرعب تمثال الحرية.. ترامب يسيطر على رسوم الكاريكاتير**"بقلم محمود جبار، ثلاث رسوم تشترك في نفس الشخصية المحورية وهو الرمز القومي للولايات المتحدة "تمثال الحرية"

الصورة رقم{11}
الحرية نائمة في سرير الذئب

الصورة رقم{12}
الحرية تطلب اللجوء في كندا"

نلاحظ في (الصورة:10) سيدة في وضعية جلوس تمسك رأسها بين يديها وهي تظهر ذليلة وضعيفة ومقهورة، وهذا مشهد لامرأة منهارة استنفذت كل قواها الاقتصادية والسياسية والصحية والاجتماعية، امرأة سقطت من عرش الحرية في زمن الكورونا، الذي حصد قرابة 143ألف شخص عدد فاق البلد الأم للفيروس وهي الصين، وقد أسقطت من يديها مشعل الحرية على يسارها، الذي يشير إلى المنارة ويرمز للقيم الأمريكية المتعلقة بالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، كما أسقطت الكتاب لأنه بالنسبة لها تعني شعارات الحرية، التي لم تعد تعنى أمام حياة الإنسان أي قيمة، بعد موته، حيث تفقد الأرض معنى الحياة؛ لأن هذا الكتاب هو رمز الوجود والعطاء وهو الذي يعطي الأمل للإنسانية،وأمامها رجل ينظر إليها بتعجب من أمرها،

استمرت منذ بنائها هامه شامخة وانهارت في لحظات، مع سور يحيط بها يرمز إلى الخراب والدمار.

أما (الصورة:11) فأحداث تتجسد في غرفة النوم سيدة الحرية مستلقية على الفراش وعيناها مفتوحتان تدلان على الخوف والرعب، بجانب السرير كتاب الاستقلال وتمثال الحرية هيكل فقط دون وجودها فوقه، وعليها غطاء يحمل علم أمريكا، أما على اليمين نجد الرئيس "دونالد ترامب" عاري الجسد في يده جريدة تحمل عنوان"TRUMP"، وهذا يعني أنه لا يسمع أو يقرأ إلا ذاته، ويخرج من فمه كلمة صباح الخير أمريكا"" GOOD MORNING AMERICA"، هذا يدل على أن الرئيس "دونالد ترامب" يشيع والسخرية والاستهزاء في نفوس الشعب الأمريكي الذي يتمثل في تمثال الحرية، في حين أن ملامحه عادية يقرأ جريدة وكأن شيء لم يكن، بحكم سيطرة الرئيس على الحكم، وفي نفس الوقت الحرب التي يخوضها ضد شعبه، والتصرفات الغير مسئولة التي يفعلها.

فالسيدة هنا تعبر عن خوفها من المجهول، وأيضا خوفها على شعبها الذي فقدت الكثير منه إثر جائحة الكورونا، والتي عجزت الدولة في السيطرة عليه رغم أنها تعد من الدول الأكثر تقدما في جميع المجالات والتي من المفترض أن تجد حالاً، وتسعف دولتها، ولكن "دونالد ترامب" فعل العكس، وجعل شعبه يتعرضُ إلى التهلكة بعدم تطبيق قواعد الصحة العالمية والالتزام بالوقاية ورفض حظر التجول الإجباري على مختلف المدن، ولكن اهتمامه الشديد بالعامل الاقتصادي كان على حساب الشعب الأمريكي، فقد كان منشغلا بأموره وحملته الانتخابية. ولتفادي المشاكل كرس اهتمامه بتوجيه أصابع الاتهام على الصين بعدم إبلاغه بهذا الفيروس.

في حين أن الصين قد أبلغت عن وجود فيروس غير معروف وتحذر من انتشاره، ولكن الرئيس كانت إجابته كالتالي في تاريخ 22 يناير 2020م عن سؤال من شبكة "سي إن بي سي" حول فيروس كورونا خلال مشاركته في مؤتمر دافوس في سويسرا، وقال: "**أنا غير قلق على الإطلاق من احتمال وجود وباء، لدينا فقط حالة واحدة لشخص قدم من الصين. سيكون الأمر على ما يرام.**"كما قال أيضا إن "**كل شيء تحت السيطرة" والمخاطر على بلاده قليلة**".([1])

ولتفادي اللوم وجه أصابع الاتهام إلى الصين والاتحاد الأوروبي اللذان لم يحذران من مخاطر الفيروس **الصيني**،أطلق ترامب على كورونا "الفيروس الصيني"، وألقى باللوم على بكين بسبب تسترها، ومحاولة خداع العالم بخصوص كورونا خلال أسابيع انتشاره الأولى، وقال في المؤتمر الصحفي بالبيت الأبيض يوم 21 مارس/آذار "كنت أتمنى أن تبلغنا الصين مبكرًا عما يحدث، كان يمكن الاستعداد بصورة أفضل"، وانتقل ترامب بعد ذلك إلى لوم الاتحاد الأوروبي بسبب الإصابات الكثيرة التي ظهرت في نيويورك، وكان مصدرها دول أوروبية، واعتبر أن "فشل الاتحاد الأوروبي في تقييد السفر من الصين والمناطق المتضررة من الفيروس كما فعلت الولايات المتحدة تسبب بظهور هذه الإصابات".([2])

في حين أن الحقيقة عكس ذلك فالصين قد أبلغت العالم كله،وحظرت من انتشار هذا الوباء الذي مازال العالم يعاني ويلاته ويجهل مصدره، رغم أن الدول الكبرى تتسابق في كشف لقاح وكسب الحرب والفوز باللقب الأعلى، وبعدها تبدأ حرب جديدة هي من سيسيطر على العالم بعد خسارة الولايات

---

(1)محمد المنشاوي، (2020/4/12م)، "من الإنكار إلى الانهيار...كيف تعامل ترامب مع فيروس كورونا؟"، موقع الجزيرة الالكتروني.

Available at:https://www.aljazeera.net/news/politics/

(2)المرجع نفسه .

المتحدة لكل رموزها القومية والعالمية، وهذا ما ستكشف عنه (الصورة:12) وهي سيدة الحرية تقوم بطرق باب الهجرة إلى كندا حاملة معها حقيبة سفر تريد النجاة بعد أن كانت الولايات المتحدة حلم الشباب وحلم كل من يريد أن يتمتع بالحرية والصحة والشغل. وهذا يوضح أن الشعب الأمريكي يشعر بعدم الأمن والأمان والاستقرار في بلاده، ويقرر الهجرة إلى كندا؛ لينعم بالسلام والأمان، مع نص يوضح أن تمثال الحرية يطرق "TOC TOCTOC" باب اللجوء إلى كندا، أي أن الشعب الأمريكي يسعى إلى المغادرة إلى بلد يحلم بها العديد من الشعوب التي تعاني في بلادها بالظلم والطغيان.

ولكن هذا الوباء كشف الحقائق وخاصة حقيقة الرئيس "دونالد ترامب" الذي لم يكن قد المسؤولية، وانه خسر ثقة شعبه حتى أن هناك العديد من الشخصيات انتقدت "ترامب" كالرئيس السابق للولايات المتحدة "**باراك أوباما**" والذي عبر عن ضعف الرئيس الحالي في إدارة الأزمة بقوله:- "**أن عددا من المسئولين " لا يحاولون حتى التظاهر بأنهم مسئولون" ..."إن هناك عددًا منهم لا يحاولون حتى التظاهر بأنهم مسئولون".** ([1])

هذا يدل على أن ورؤساء الدولة يمتلكون قدرًا هائلاً من القيمة الإخبارية، ويكون الصحافيون عادة مستعدين لتقديم الكثير للحصول على معلومات من هؤلاء الرؤساء، والطرق التي تقدم بها وسائل الإعلام أخبار

(1) فرانس 24، (2020/5/17م)، "باراك أوباما ينتقد ضمنا ترامب على إدارته لأزمة فيروس كورونا ويندد باللامساواة بحق الأمريكيين السود"، الجريدة الإلكترونية France24، 08:19ص.

Available at:https://www.france24.com/ar/20200

الرئيس تأتي بأشكال وصيغ مختلفة طبقا لطبيعة المؤسسة وتوجهها وأولوية اهتماماتها. ([1])

لقد تعددت الرسومات الكاريكاتيرية حول تمثال الحرية لما يمثله من دلالات ترمز للقيم الأمريكية المتعلقة بالحرية والديمقراطية، وبصور الرئيس "ترامب" لما يرمز إلى المجتمع الأمريكي،ونحن اختارنا هذه الصور الثلاثة المعبرة عن الأزمة التي مرت بها الولايات المتحدة جراء جائحة الكورونا.

والصحافة حينما تمارس دورها على الحاكم لا تفعل ذلك نكاية فيه أو لفرض سيطرة الرأي العام على السلطة السياسية على الرغم من أهمية ذلك، لكنها تعمل في إطار إيصال الحقوق لأصحابها، وإن كان دور الصحافة في الرقابة على أعمال السلطة السياسية وفي تكوين الرأي العام، مرهون بالإطار القانوني والدستوري الذي تعمل في ظله. ([2])

واعتمدت الدراسة على مدخل الصورة كأساس نظري لها لتحقيق هدفها الرئيسي بالتعرف على ملامح وسمات الصورة الإعلامية للرموز القومية بالكاريكاتير المنشور بالصحف الإلكترونية، ودورها في تشكيل ملامح الصورة الذهنية للرموز القومية لدى الجمهور، ونظراً لدور الإعلام اللامحدود في تشكيل الصور وتثبيتها وتغييرها، يتم الاعتماد على وسائل الإعلام بشكل أساسي في صناعة الرمز القومي، ولا تكتمل عملية صناعة صورة الرموز القومية إلا بتضافر الجهود الإعلامية لتشكيل ثالوث العلاقة بين الرموز القومية وجمهوره ووسائل الإعلام.

---

(1) علام خالد السروري(2012م)،"وسائل الإعلام والصراعات السياسة، ط1، دار أسامة،عمان، الأردن، ص32.

(2) بسيوني إبراهيم حمادة، (2012م)، "الصحافة وصنع القرار السياسية في الوطن العربي"، ط1، عالم الكتب،القاهرة، مصر،ص45.

الخاتمة

إن الكاريكاتير له شعبيته الواسعة حول العالم، وأصبح غير مقتصر على الصحف الساخرة فقط، بل تكاد لا تخلو أي صحيفة في العالم لا يتضمنها مضمون كاريكاتيري يعالج الأزمات والقضايا والأحداث التي نعيش في ظلها، فهو رؤية لحظية لشيء يحدث الآن،يحمل دلالات ومعاني لأحداث حدثت في الماضي والحاضر ورؤية مستقبلية لها، فالكاريكاتير مُصمم لكي ينقل المعلومات والأفكار والآراء بصريًا، وله معان كثيرة تسكن ذهن الإنسان وتجبره على التفكير فيما هو داخل المجتمع، كما أنه يتمتع بقدرته الفريدة على كشف العيوب، من خلال إلقاء الضوء على الجوهر الملتبس والمراوغ وراء القناع الظاهر.

لذا اكتسب الكاريكاتير السياسي القدرة على الانتشار، فهو فن لاذعًا ضد أصحاب المناصب العليا، ويستخدم في الصراعات الفكرية لتميزه بالقدرة على استخدام الأساليب اللاذعة في النقد، ويعتبر رسالة سياسية واجتماعية يكشف فيها الرسام الساخر أخطاء الرؤساء والحكام، ويفضح عيوب المجتمع.

فالصورة الإعلامية ليست مجرد صورة تعلق على الجدران أو في واجهات المحلات، بل هي صورة تفوق سلطة القلم لما تتميز به من قدرة على إيصال الرسالة التي يمكن أن يقرأها الجميع دون استثناء، بمعني أن المثقف والجاهل يستطيعون فك شفرة هذه الصورة كل حسب نظرته وموقعه،ويثبت هذا العمل أن الصورة الإعلامية سلاح يفتك بالرموز القومية التي تُعد محرمة عند تناولها، نظرًا لما تمثله من هوية وطنية.

وتُعد الرموز القومية مجموعة علامات ورموز تدل على رسم يحمل دلالات ومضامين لها معاني يمكن فهمها ومقصدها، وخاصة إذا كانت تمس أحداث جارية حولة أزمة معينة داخل الدولة أو خارجها، ونحن في هذا الفصل اخترنا

صور كاريكاتورية ساخرة تحمل رموز معينة كالعلم الوطني، وأثر حضاري،وشخصية الحاكم، هذه الرسومات لبعض الدول العظمي كأمريكا والصين وإيطاليا وغيرها التي حملت طابع ساخر وأخر ضمني سياسي.

لذا يعتبر الكاريكاتير فناً ناقدًا بالدرجة الأولى؛ فإن العلاقة تمتد بينه وبين كل أنظمة مجتمعه، ومن هنا نجد الكاريكاتير حقلاً عظيمًا لمواجهة مجتمعه والتصادم مع النظام السياسي السائد داخل هذا المجتمع،أن الكاريكاتير قد يساهم في تصاعد حالة التوتر السياسي الناجمة عن قرارات النظام الحاكم، والتي قد تؤدي إلى تصاعد السخط السياسي والضغط من جديد على النظام، وهذا كان واضحًا في الكاريكاتير بشكل ضمني، مما ولد العديد من الإشكاليات والصرعات والنزعات السياسية بين العديد من الدول، ففيروس كورونا كان هو الوسيلة التي كانت كالعصا التي صدمت الأنظمة السياسية في دول العالم، وكل دولة عبرت عن استيائها لفيروس كورونا وأسبابه بهجوم لاذع للدول الأخرى من خلال الرسوم الكايكاتيرية التي تضم رموز هوية المجتمع وقوميته. كالصراع بين الصين والدنمارك.

كذلك استخلصنا في هذا العمل أن اغلب الدول الأوروبية والعربية ترفض مهما كان الأحداث والنزعات أن تمس من معالمها الحضارية والتاريخية،فالصور الإعلامية ضربت الدول العظمى في مقتل، وذلك خير دليل على أثر هذا الفن وتأثيره النافذ، وهذا مبعث خطورته وأهميته وتأثيره السحري بالنسبة للعامة وللساسة وأنظمة الحكم.

ونختم كلماتنا بقول:"إن فنان الكاريكاتير مبدع ذو موقف ورأي، وهذا الرأي نابع من أحداث المجتمع وأزماته، وأن الصورة مهما كان محتويها فهي معبرة، وفي نفس الوقت محيرة تثير موجة من الغضب والصراعات والنزاعات السياسية، بهدف تبصير الشعوب بما يحيط بهم،وخفض التوترات التي تهدد حياتهم،ورسالة للعالم عن مجرى الأحداث حول العالم".

المراجع والمصادر

أولاً : المراجع باللغة العربية :

1. السيد عبد الحليم محمد حسين، (1988م)، "السخرية في أدب الجاحظ"، الدار الجماهيرية، ليبيا.
2. بسام عبد الرحمن المشاقبة، (2014م)، "معجم مصطلحات العلاقات العامة"، ط1، دار أسامة،عمان، الأردن.
3. بسيوني إبراهيم حمادة، (2012م)، "الصحافة وصنع القرار السياسية في الوطن العربي"، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
4. حسنين شفيق، (2009م)، "الصحافة المتخصصة- المطبوعة والإلكترونية"، دار فكر وفن،القاهرة، مصر.
5. سامي ذبيان، وآخرون، (1990م)، "قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية"، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن.
6. شاكر عبد الحميد، (2005م)، "عصر الصورة - السلبيات والإيجابيات"، ع(3114)، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
7. شمسي واقف زاده، "الأدب الساخر : أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية"، بحث منشور، بجامعة آزاد الإسلامية في ورامين، بيشوا، إيران، ص 105.
8. شوقية هجرس، (2005م)، " فن الكاريكاتير"، ط1، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة، مصر.
9. عبد الرضا حسين الطعان، وآخرون، (2015م)، "موسوعة الفكر السياسي عبر العصور"، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
10. عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، (1985م)، "موسوعة السياسة"، ج3، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
11. عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، (1985م)، "موسوعة السياسة"، ج4، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
12. علام خالد السروري، (2012م)، "وسائل الإعلام والصراعات السياسة، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن.

13. عواطف عبد الرحمن، (2015م)، "الإعلام العربي وقضايا العولمة"، كتب عربية،www.kot obarabia.com.
14. فاروق أبو زيد، (2007م)، «الإعلام والسلطة- إعلام السلطة وسلطة الإعلام"، ط1، عالم الكتب،القاهرة، مصر.
15. فيصل محمد عبد الغفار، (2016م)، "الحرب الإلكترونية"، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الإردن.
16. ماجد سالم تربان، (2013م)، " سيميائية فن الكاريكاتير السياسي في الصحف الفلسطينية- دراسة تحليلية"، ع21، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، العراق.
17. منظمة الصحة العالمية، (2020/3/5م)، "فيروس كورونا المستجد (Covid-19) دليل توعوي صحي شامل"، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص4.

Available at:https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019

18. محمد جمال الفار، (2014م)، "معجم مصطلحات الإعلامية"، ط1، نبلاء ناشرون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
19. وليد أحمد مساعدة، عماد عبد الله الشريفين، (2010م)، "العولمة الثقافية رؤية تربوية إسلامية"،ع1، مج18، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، غزة، فلسطين.

ثانيًا : رسائل علمية:

20. دينا محمد فتحي(2007م)، "دور الكاريكاتير في معالجة القضايا الاجتماعية خلال الفترة من (1992: 2002)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر.
21. علي محمد علي، (2016)، "صورة إيران في الصحف العربية اليومية دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
22. فاطمة عرفات الحلو، (2008م)، "الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين : دراسة قرآنية موضوعية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة- فلسطين.

23. محمد فتحي عبد السميع، (2008م)، "دور الكاريكاتور في معالجة القضايا المحلية : دراسة تطبيقية على صحف (أخبار اليوم، العربي الناصري، الأسبوع)"، رسالة الماجستير،قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر.

24. ممدوح عبد الله محمد،(2009م)، "الصورة الإعلامية للحكومة المصرية كما تعكسها البرامج الحوارية في القنوات الفضائية وعلاقتها بالصورة الذهنية للحكومة لدى شباب الجامعات"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

ثالثًا : المراجع باللغة الأجنبية :

25. Davis Areon,(2003),Whither mass and power? Evidence for a critical elite theory alternative, Media culture & Society, Vol. 25, No. 5, September, P.669.

26. Roy Stafford, (2004), "The Media student\s Book", Rutledge, London, P.90.

27. Robins, K., (1996),The image culture and politics in the Field of Vision, 1st published, Rout ledgg, New York,P.15.

28. Mireille Lalancette& Vincent Raynauld, (2017), "The Power of Political Image: Justin Trudeau, Instagram, and CelebrityPolitics", American BehavioralScientist, P.3.

Availableat:https://www.researchgate.net/publication/321396251

29. Jonathan A. Becker, (1996), "The DisappearingEnemy: The Image of the united states in soviet politicalcartoons, Journalism and Mass Communication Quarterly 73, No.3,, P.612.

ثالثًا : صحف ومواقع إلكترونية :

30. أحمد جمعة، (2020/4/4م)، " مصر وايطاليا إيد واحدة في مواجهة كورونا.. مصر ترسل طائرتين عسكريتين تحملان مستلزمات طبية دعما لروما.. وزيرة الصحة تسلم وزير خارجية إيطاليا المساعدات.. ودى مايو: شكرا لمصر"، صحيفة اليوم السابع، القاهرة، مصر، 04:56م.

Availableat:https://www.youm7.com/story/2020/4/4

31. أحمد عبد الله مصطفي، (2016م)، "من من أجل حماية جنائية للعلم الوطني"، صحيفة الأقصى،موريتانية، 12:29م.

Available at: http://alaqssa.org/?q=node/3714

32. بي بي سي، (2009/9/25م)، "إلي ماذا يرمز العلم الصيني؟"، موقع بي - بي - سي عربي نيوز، هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at: https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2009/09/090924_als_china_flag

33. الجريدة العربية، (2020/1/29م)، "كورونا تصيب "علم الصين"...صورة دنماركية تغضب بكين !"، الجريدة الإلكترونية العربية، 07:47ص.

Available at: https://www.alarabiya.net/ar%D9%8A%

34. جريدة الصباح، (2017م)، "إحياء للذكرى الخامسة ل"واقعة العلم"....تدشين لوحة رخامية في كلية الآداب بمنوبة"، 7 مارس 2017، 17:42، جريدة الصباح نيوز الالكترونية، تونس، 17:42م.

Available at:http://www.assabahnews.tn/article/145152/

35. صحيفة عربي NEWS، (2020/2/29م)، "فيروس كورونا: تعرف على تاريخ الأوبئة في العالم"، موقع بي - بي سيBBC،هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at:https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51675634

36. عربي NEWS، (2020/4/29م)، "فيروس كورونا: الصين تحظر لعبة إلكترونية عن الوباء لأنها موجهة سياسيا"، جريدة بي بي سي الإلكترونية،هيئة الإذاعة البريطانية.

Available at:https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-52473775

37. فارس الخطاب، (2020/4/27م)، "كورونا والعولمة والصين"، جريدة الأخبار على مدار الساعة.

Available at:https://www.alakhbar.press.ma/%D9%

38. فرانس 24، (2020/5/17م)، "باراك أوباما ينتقد ضمنا ترامب على إدارته لأزمة فيروس كورونا ويندد باللامساواة بحق الأمريكيين السود"، الجريدة الإلكترونية France24، 08:19ص.

Available at:https://www.france24.com/

39. موقع المكتبة الرقمية العالمية، (2016/2/12م)، " البرج المائل، بيزا، إيطاليا"، شركة ديترويت للنشر، ديترويت، ميتشغان.

Available at: https://www.wdl.org/ar/item/4240/

40. موقع إيلاف، (2020/7/31م)، "إحصائيات إنتشار فيروس كورونا في إيطاليا"، بوابة إلكترونية صدرت من لندن، المغرب.

Available at: https://elaph.com/coronavirus-statistics-in-italy.html

41. موقع زاد دي زاد، (2020/5/14م)، " الكاريكاتير في مواجهة الكورونا"، موقع إلكتروني إعلامي متخصص، يصدر من الجزائر.

Availableat:https://www.zdz.com/%D8%A7

42. مونت كارلو الدولية / أ ف ب، (2020/4/11م)، " مساعدة طبية من تونس إلى إيطاليا للمساهمة في مواجهة كوفيد -19"، موقع مونت كارلو الدوليةMCD، 21:44م.

Available at: https://www.mcdoualiya.com/articles/2020041

43. محمد المنشاوي، (2020/4/12م)، "من الإنكار إلى الانهيار...كيف تعامل ترامب مع فيرروس كورونا؟"، موقع الجزيرة الالكتروني.

Available at:https://www.aljazeera.net/news/politics/

44. محمد عبد المجيد، (2020/1/29م)، "كاريكاتير صحيفة سعودية...كورونا يدمر سور الصين العظيم"، صحيفة اليوم السابع، مصر، 06:00م.

Availableat:https://www.youm7.com/story/2020/1/29/%

45. محمود جبار، "ذئب ومرعب تمثال الحرية.. ترامب يسيطر على رسوم الكاريكاتير{تقرير خاص}"، موقع الخليج أنولاين، مقره الرئيس في بريطانيا، 13:36م.

Availableat:https://alkhaleejonline.net/%

46. ناصر السهيلي، (2020/2/1م)،"كاريكاتير كورونا يثير أزمة بين الدنمارك والصين"، جريدة العربي الالكترونية،

Available at:https://www.alaraby.co.uk/

47. وائل عبد الحميد، (2020/6/24م)، "خسائر كورونا 7 تريليرنات دولار...أمريكا تجثو على ركبتها"، موقع مصر العربية، القاهرة، مصر، 18:24م.

Availableleat:https://masralarabia.net/%D8

48. وكالة الحميرية نيوز،(2020/5/3م)، "كورونا سيجبر أمريكا على التنازل عن ادعاء زعامة العالم"، 16:06م.

Available at:https://www.alhemyarianews.com/109858/%

المحور السادس
قدرة الدول في التعاطي
مع جائحة كورونا (COVID-19)

اولاً : دور التفكير الرشيق في إدارة ازمة كوفيد 19 (عرض التجربة الصينية)

د. دولي سعاد

د. حاجي كريمة

ثانياً : قدرة الدول على أحتواء دون تفشي الأوبئة العالمية كوفيد 19 نموذجاً

د. هيبة غربي

اولاً : دور التفكير الرشيق في إدارة ازمة كوفيد 19 (عرض التجربة الصينية)

د. دولي سعاد (*)

د. حاجي كريمة (**)

مقدمة:

لقد أدت أزمة كوفيد ـ19 المستجد إلى تدهور الأوضاع وظهور تحديات كبيرة في العالم، وسرعان ما حولتها من حدثًا طارئاً يخص الصحة العامة إلى أزمة سياسية واقتصادية ونفسية واجتماعية عالمية ذات أبعاد غير مسبوقة.

وباعتبارها أزمة عابرة للحدود، شكلت تحديًا كبيرًا للدول، يجب الاستجابة في الوقت المناسب في التعامل مع الوباء، واحتواء الأزمة والسماح لها بالامتداد، وتجاوز قدرة المؤسسات الاقتصادية على العمل بفعالية. قد تحدث أخطاء غير مقصودة، ولاحتواء هذه الأخطاء تتطلب درجة من سرعة الاستجابة تتجاوز قدرة حتى البيروقراطيات الأكثر مهارة، حيث تصبح القواعد التي تنطبق على العمليات الروتينية غير مناسبة فى زمن الوباء. ولا يمكن توقع ما هي تداعيات الأزمة وكم تتطلب من الوقت لتمكن من التقييم الشامل والمقارنة الشاملة لاستراتيجيات إدارة الأزمات فى كل دولة. ومع ذلك فإن استخدام الأساليب الإدارية الحديثة ومنها التفكير الرشيق، يمكن من تخفيض أضرار الأزمة على اقتصاديات الدول.

(*) أستاذة محاضرة أ ، جامعة طاهري محمد - بشار - الجزائر .

(**) استاذة محاضرة أ جامعة طاهري محمد - بشار - الجزائر.

لقد تطورت الظروف البيئية المحيطة بالمؤسسات في الوقت الحاضر تطوراً كبيراً، بحيث أصبحت البيئة الحديثة ذات خصائص مميزة ومختلفة عن البيئة التقليدية، كما أدت هذه التغيرات والتطورات التي حدثت إلى ضرورة البحث عن أساليب جديدة تحقق إضافة خصائص جديدة للمنتجات والخدمات لا توفرها النظم التقليدية، وكانت مفاهيم الرشاقة من المفاهيم الحديثة التي ظهرت نتيجة لتلك التغيرات والتي تعد مفتاح للتقدم في المنهج الرشيق الذي يؤكد على فهم متطلبات الزبون ومن أهم ركائز هذا الأخير هما التحسين المستمر ونظام السحب، ففلسفة المنهج الرشيق تساهم في القضاء على الهدر، وتوفير الوقت، وإزالة الأنشطة التي لا تضيف قيمة مما يؤدي إلى تحسين طويل الأمد وتخفيض التكاليف، سيتم إلقاء الضوء في هذه الدراسة على التفكير الرشيق وكيف يساهم في إدارة أزمة كوفيد 19 حيث تم التركيز في هذه الورقة على كل من التفكير الرشيق والتعرف على أدواته وتقنياته وكيفية تطبيقه وأيضاً كيف يتم إدارة أزمة كوفيد 19 عن طريق تبني منهج التفكير الرشيق من خلال عرض التجربة الصينية.

1. التأصيل النظري (التفكير الرشيق في إدارة أزمة كوفيد 19)

تستطيع المنظمات من خلال تبني الأفكار الحديثة والمعاصرة، تحسين جودة منتجاتها، وتخفيض كلف إنتاجها وأن تكسب حصة سوقية معتبرة، وتكون الأسرع في الاستجابة لحاجات الزبائن، ورغباتهم وكل هاته الأمور تعد من المرتكزات الأساسية للنجاح، والتنافس داخل الأسواق؛ ولهذا استجابة المنظمات ولاسيما الإنتاجية منها أصبح ضرورة لتبني مبادئ التفكير الرشيق عن طريق تغيير إستراتيجيات عملها، والذي يعد منهجاً متعدد الأبعاد يشمل تشكيلة واسعة من المبادئ والممارسات الإدارية.

- **نبذة عن التفكير الرشيق**

التفكير الرشيق هو مفهوم ياباني، تم تطويره وبناؤه كفلسفة ومنهج في مجال التصنيع في اليابان، وبالتحديد في شركة تويوتا، ففي السنة 1950 كانت شركة سيارات تويوتا هي الرائدة لمجموعة طرق التصنيع المتقدمة التي تهدف إلى تدنيه الموارد، حيث يهدف هذا النموذج إلى التقليل من الضياع مع المرونة والقدرة على التغيير في عملية الإنتاج وكان دخول هذا المفهوم إلى الغرب وبالتحديد إلى الولايات المتحدة الأمريكية كفلسفة وأسلوب تفكير من قيل Jone و Womack حيث ابتكرا هذا المصطلح في سنة 1990في كتابهما الشهير "The Machine That Change The world"(الآلة التي غيرت العالم)، الذي نشر سنة1991 وجاء هذا المفهوم كوصف لنموذج التصنيع الناشئ بواسطة نظام إنتاج تويوتا وأطلق عليه مصطلح التصنيع الرشيق (شيماء شرفي، 2019 ص25.).

وفي عام 1996 نشر الباحثان" Jones و Womack"كتابهما الثاني بعنوان التفكير الرشيق(Lean Thinking)، الذي تناول تفصيلا للمفاهيم والأدوات الرئيسية للأسلوب الإنتاجي لشركة تويوتا، واستمرت بعد ذلك العديد من المؤلفات التي توضح مفاهيم وأدوات تفكير الرشيق الذي يؤدي إلى استنفاذ موارد أقل، حيث يعتمد على وجود حد أدنى من المخزون، والتسليم وفقا للمواعيد المقررة، والرقابة الدقيقة على الجودة والصيانة، وتقييم جميع الوظائف والأنشطة، مما شجع العديد من الوحدات الاقتصادية على التحول مباشرة إلى تطبيق هذا الفكر.(نفس المرجع السابق، ص25.)

- **مفهوم التفكير الرشيق:** قبل التطرق إلى مفهوم الرشيق لابد من إشارة إلى أن هناك الكثير من الأسماء التي تدل عليه، وذلك لاختلاف ترجمة كلمة Lean إلى العربية، فقد ترجمت على أنها بمعنى المرونة أو الخلو من الفاقد أو الليونة أو النقاء أو ترشيد الفاقد وفي بحثنا هذا سنختار مصطلح الرشيق لدلالة معنى كلمة Lean، لتوضيح ذلك سنتطرق لبعض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية.

- **تعريف التفكير الرشيق:** من بين مفاهيم التي وجدت في العديد من المراجع نذكر منها ما يلي:

يعرف بأنه فلسفة إدارية تأخذ بوجهة نظر نظم التشغيل بغية تصميم وتشغيل هذه النظم بالطريقة المثلى مع التركيز على تطبيق مفهوم نظام السحب* من الزبون أو المستهلك النهائي خلال النظام.(Anton Van Der Merwe, "P1,2008).

عبارة عن عقلية أو طريقة جديدة لمشاهدة العالم، وتتعلق بالتركيز وإزالة الضياع وإضافة القيمة أو خلق القيمة للمستهلك النهائي وأيضاً تتعلق بالتدفق السلس والانسيابية للعمليات والإجراءات داخل المنظمة ، والقيام بتلك الأنشطة التي تضيف قيمة للمستهلك النهائي وإزالة الأنشطة التي لا تضيف قيمة.(يروان كريم عيسى ومحمد عبد العزيز محسن، 2015، ص116)

إن التفكير الرشيق كمبدأ من مبادئ الإدارة يعنى أن المديرين والقادة في حاجة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يكون هناك إمكانية لتحسين العمليات، ولقد كان التركيز في سنة 1980م على التقليل من الضائع وإنتاج المنتجات ذات الكفاءة والجودة العالية والتي تؤدي بدورها إلى إدارة التكاليف (خلود محمد بشير الطيب، 2017، ص35.)

*نظام السحب: هو أسلوب تصنيع الرشيق لتقليل هدر أي عملية إنتاج،يعمل فقط عند طلب على المنتج.

التفكير الرشيق هو عبارة عن تقنية أو طريقة جديدة تتعلق بالتركيز أو إزالة الضياع وخلق القيمة للمستهلك النهائي (رحيلة فايزة، 2018، ص16)

من خلال التعاريف نستطيع القول أن التفكير الرشيق هو طريقة جديدة للتفكير في أي نشاط، يعمل على تحقيق أهداف المنظمة بالتقليل من الجهد البشري، المعدات، الوقت من جهة و توفير احتياجات الزبائن من جهة أخرى.

- **الفرق بين التفكير الرشيق والتفكير التقليدي:** في الجدول التالي يوضح بعض الفروق بين التفكير الرشيق والتفكير التقليدي:

الجدول 1 : الفرق بين التفكير الرشيق والتفكير التقليدي

التفكير الرشيق	التفكير التقليدي
يتعين تغيير أسلوب العمل لكي يحقق أعلى كفاءة لمسار القيمة ككل.	تحقيق أعلى كفاءة في ضوء أسلوب العمل الحالي.
التفكير الرشيق يبحث عن تلبية حاجات العمل في اقل وقت ممكن.	بينما التفكير التقليدي لا يبحث عن تقليل الوقت الكلي للتصنيع ولكنه يبحث عن زيادة كمية الإنتاج لكل وحدة.
يحاول تعظيم كفاءة الفريق ثم يغير في مهام كل عامل لتحقيق كفاءة الفريق	تعظيم كل عامل في الفريق.
لامركزية العمل في المؤسسة إذ يعتمد على إدارة وسيطرة فريق العمل في الخلية مما يخفف الزخم على الإدارة العليا في اتخاذ القرارات اليومية والروتينية.	مركزية العمل في المنظمة إذ يعتمد على إدارة وسيطرة الإدارة العليا ومركزيتها في أداء العمل والتي تقوم باتخاذ جميع القرارات حتى وان كانت روتينية.
تمكين للصلاحيات	تفويض للصلاحيات
عالي المرونة الإنتاجية	قليل المرونة الإنتاجية

المصدر: دهيرب الربيعي، علي محمد، وآخرون، 2019، ص184 (بتصرف).

- **المبادئ الأساسية للتفكير الرشيق:** يمكن توضيح المبادئ الأساسية للتفكير الرشيق في عدد من العناصر التي يمكن استخدامها كإطار عام من قبل الوحدات الاقتصادية التي تنفذ الرشاقة وهي كالتالي:

- **تحديد القيمة:** إن نهج الرشاقة يبدأ مع فهم قيمة الزبون وأثاره على المنتجات والخدمات، وهذا يحدد ما يدفعه الزبون ويسمح بتحديد القيمة للمنظمات والأسعار المستهدفة، ثم يتم تحديد كلفة الإنتاج والخدمات وتركز المنظمات على التخلص من المضياعات وتحقيق رضا الزبون والأرباح، حيث أن القيمة تنشئ من قبل المنتج وتعتبر نقطة البداية هي التفكير الرشيق، وكذلك المبدأ الأساسي لهذا الأخير هو تحديد القيمة من منظور الزبائن، فهذا المبدأ يقيم من هم أهم الزبائن الفعليين ومن منهم يعتبر قيمة للمنظمة وتحديد قيمة المنتج أو الخدمة التي

يدركها الزبون وما يقرره.(رائد مجيد عيد محمد، خليل إبراهيم إسماعيل، 2019، ص99.) .

-**تيار القيمة** :يعد تيار القيمة المبدأ الثاني من مبادئ التفكير الرشيق، ويمكن أن نُعرف تيار القيمة بأنه عملية تخطيط خطوات الترشيق من خلال جمع البيانات و تحليلها بشكل نظامي، والتي تساعد الإدارة و المهندسون و العاملون الفنيون و المجهزون و الزبائن على تحديد الضياع و بيان أسبابه، فتقنية الترشيق هي تقنية مرئية تساعد في تكوين عملية التغيير في الشركة، حيث أنها تفصح عن جميع التدفقات للمواد و المعلومات الهامة التي يحتاجها المنتج، أضف إلى ذلك تبين طريقة تحسين مستقبلية تظهر تكوين رؤية أفضل باتجاه القيمة التي يتوقعها و يطلبها و يحتاجها الزبون الحالي و الزبائن المرتقبون.(علي محمد المعموري، محمد سمير دهيرب، 2018، ص140)

-**التدفق**:المبدأ الثالث من مبادئ التفكير الرشيق، والذي هو تكوين تدفق مستمر للقيم عند إنتاج المنتجات التي يطلبها الزبون، من خلال تحديد العمل لكل الوظائف في المسار التكنولوجي للقسم الصناعي المنتج لتلك المنتجات(نفس المرجع السابق، ص141).

-**نظام السحب**:يستخدم أسلوب السحب في عملية الإنتاج بدل الدفع وهذا يعني الإنتاج حسب رغبة العملاء، والاستعداد دائما للقيام بالتغييرات التي يقوم بها العملاء، وتتمثل الفكرة بالسحب في الحد من الإنتاج غير الضروري واستخدام الإنتاج في الوقت المحدد (JIT) كأداة إدارية وتقليل من الهدر(ياسمين حاتم الهشلمون، 2017، ص15).

-**السعي للكمال** :المبدأ الأخير من مبادئ التفكير الرشيق، يهدف إلى الوصول إلى الحلول المثالية والتحسينات المستمرة، وتقديم المنتجات التي تلبي حاجات ورغبات العملاء وتوقعاتهم بالوقت والجودة والكلفة المناسبين؛ والطريقة المثلى

للوصول إلى الإتقان هي من خلال وجود اتصال وثيق ودائم مع العملاء.(نفس المرجع السابق، ص16)

مما سبق يمكن استخلاص من المبادئ الأساسية للتفكير عدد من العناصر، وهي كالتالي:

سحب كل النشاط من خلال العميل أو بمعنى آخر الإنتاج وفقا لطلب العميل؛

صنع تدفق القيمة التي تتطلب إعادة التفكير الكامل أعمال المنظمة؛

التخلص من الخطوات غير الضرورية في كل مراحل تدفق القيمة ؛

تعريف و تحديد القيمة لكل منتج أوخدمة؛

السعي المستمر نحو الكمال .

ثانيا: بيت التفكير الرشيق

يوضح الشكل التالي أهم العمليات الأساسية المتضمنة في البيت الرشيق:

الشكل رقم 1:البيت الرشيق

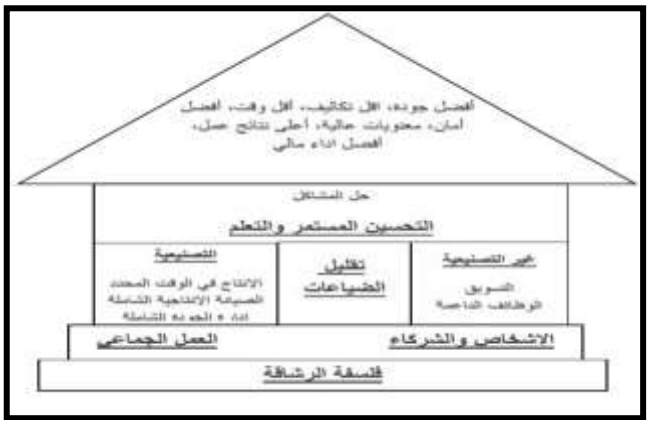

المصدر: رائد مجيد عيد محمد،خليل إبراهيم إسماعيل، مرجع سابق، ص101.

العنصر الأكثر أهمية في البيت هي القاعدة والتي على أساسها تم البناء وهي الفلسفة الرشيقة والتي تنعكس على أساسها القيادة ويجب أن تكون مقبولة

ومفهومة من جميع العاملين في الوحدة الاقتصادية وخاصة من قبل الإدارة العليا، الطبقة التالية هي الموارد البشرية والتي ينبغي أن تركز عليها بشكل خاص، على المنظمات الرشيقة يجب أن تفهم أن موظفيها هم مفتاح النجاح وقوة الموظفين من العمل الجماعي وهو ضروري لتحقيق الاستفادة الكاملة من الممارسات والمبادئ الرشيقة.

أما فيما يتعلق الأمر بالعمليات الأساسية يتم بناء البيت الرشيق على عمودين، مع الهدف الرئيسي والأكثر أهمية والذي يتوسطهم هو خفيض الضياعات، إن الحد من الضياعات هو الهدف الأهم والوحيد الذي يمكن للجميع تحقيقه وكذلك الممارسات والمبادئ، وهناك أدوات مثل الإنتاج في الوقت المحدد، إجمالي الصيانة الإنتاجية وإدارة الجودة الشاملة، أما على الجانب غير التصنيعي فهناك التسويق وتطوير المنتجات والشراكة مع الموردين/الزبائن و الممارسات البيئية و العديد من وظائف الدعم الأخرى التي تحسن مبادئ و ممارسات الرشاقة.

الترشيق هو وضع الأدوات والتقنيات الرشيقة والتي تساعد في(تحديد، تخفيض، إلغاء الضياع، التحسين، تخفيض الوقت وتكاليف الإنتاج) والجداول الموالية تبين أدوات وتقنيات التفكير الرشيق.

يوجد العديد من الأدوات المستخدمة من قبل منهج التفكير الرشيق في مجابهة الأزمة منها ما يلي:

الجدول 2: أدوات التفكير الرشيق

الرقم	أدوات الرشيق	الوصف من قبل الباحثون
1	5s	تنظيم مكان العمل و إدارته
2	الإدارة المرئية (VM)	الرقابة المرئية للإدارة بالاستثناء
3	مصباح Andon	تحذير بانتظار مشاكل في النظام
4	خارطة تيار القيمة (VSM)	أعمال مثالية تضيف قيمة

5	بوكا يوكي (Poka yoke)	تجنب الأخطاء المهملة
6	الصيانة الإنتاجية الشاملة (TPM)	الصيانة الدورية و الوقائية و التنبؤية
7	إدارة الجودة الشاملة TQM	تتبع جودة المنتج
8	فريق العمل و تمكين القوى العاملة Teamwork	العمل معا كفريق و استخدام المعرفة لحل المشاكل
9	إدارة سلسلة التجهيز	بناء علاقات مع جميع الأطراف

المصدر: علي محمد المعموري، محمد سمير دهيرب، مرجع سبق ذكره، ص20.

- **أخطوات المتبعة في تطبيق التفكير الرشيق**

إن المنظمة تتبع طريقة ورشات العمل وبرامج التدريب من أجل تنفيذ منهج التفكير الرشيق، والتغيرات التي قد تطرأ لها، ذلك كون التدريب يهدف لتوفير كل ما تحتاجه العمليات، ويمكنها من إجراء تحسينات مستمرة، بالإضافة إلى أنه يتم تحديد تيار القيمة الذي يتضمن كل ما تحتاجه المنظمة لتصميم وتقديم منتج معين أو خدمة، وتشمل جميع الأنشطة والأشخاص والمواد والمعلومات وتحديد الضياعات المتواجدة داخل المنظمة.

أما بالنسبة لأهم الخطوات المتبعة في تطبيق التنفيذ الرشيق فتتمثل في:[1]

- **تعلم المفاهيم الرشيقة والتفكير الرشيق قبل التطبيق:** إنها مهمة جدا للعمل ليكون هناك إدراك من قبل الإدارة العليا لمفهوم وأهمية الفلسفة الرشيقة.
- **التزام الإدارة بالرشاقة:** إن دعم الإدارة للتفكير الرشيق يساعد في حل المشاكل كالتي تنشأ من تنفيذ فلسفة التفكير الرشيق، وينبغي على القادة أن يمارسوا الوعظ والإرشاد والتوجيه للأفراد العاملين ليستطيعوا فهم أفضل حول التفكير الرشيق ويستخدموا طريقة المحاكاة لعمل الأشياء؛

[1] رائد مجيد عبد محمد و خليل إبراهيم إسماعيل، نفس المرجع السابق، ص100.

- **عمل خبير الرشاقة:** للحصول على خدمات من خبراء الرشاقة ينبغي أن يحصلوا على مساعدة الوحدات لإمكان تطبيق فلسفة وفكر التفكير الرشيق، لاسيما عند التحول من نظام الدفع إلى نظام السحب ومن المحتمل أن يكون هناك استرشاد من شخص خبير ولديه خبرة كبيرة في ذلك ؛
- **بناء التوعية بشأن الرشاقة:** ينبغي على الإدارة العليا التواصل وذلك لحاجته وأهميته عند تطبيق الرشاقة، المفهوم الأساسي للرشاقة هو أنه ينبغي أن يكون مفهوما من قبل العاملين والإدارة جميعا ، فورش العمل والتدريب ينبغي أن تكون أداة وصل لتعليم العاملين حول مبادئ وأساسيات التفكير الرشيق؛
- **بناء فعال لرشاقة فعالة:** فريق الرشاقة يجب أن يبني مع الأعضاء الذين لديهم صفات الإخلاص والانفتاح والاحترام والترابط والثقة، أعضاء الفريق يجب أن يقبلوا وجهات النظر المتعددة واحترام أراء العاملين الآخرين و التواصل وتغيير القيم والمعتقدات بكل رحابة صدر.
- **تخطيط الحالة الحالية:** خارطة تدفق القيمة ينبغي أن تنفذ عملية مسح من الأساس لتحديد العمليات والضياعات والأنشطة التي لا تضيف قيمة؛
- **تنمية المعرفة و المهارة:** إن أعضاء فريق الرشاقة يجب أن يكون متدرب لأداء تحسين الأنشطة التي تخص الهندسة الصناعية والرقابة على الجودة.
- **تصميم خارطة مجرى القيمة مستقبلا:** وأن تكون خارطة مجرى القيمة واضحة المعالم ومفهومة من قبل الجميع؛
- **نصب مؤشرات الأداء الرئيسية:** وهي مؤشرات مختارة من قبل العاملين والإدارة إذ تعكس تحسينات الأعمال على نحو حقيقي وتعتمد لتخفيض الضياعات؛

- **قياس فاعلية المعدات الإجمالي:** وهي المؤشرات التي تقيس فاعلية المكائن عن طريق الجاهزية لتلك المعدات للأداء والجودة في الإنتاج.

2. أدوات وتقنيات التفكير الرشيق لمجابهة أزمة كوفيد 19 الصين نموذجاً

أصبحت أزمة كوفيد 19 الهاجس الذي يخشاه العالم، فتم اتخاذ قرارات وتدابير أجبرت الدول على التباعد المنزلي ، كل ذلك من أجل الحفاظ على سلامتهم وحفظ حياتهم. ولقد تعلمت الشعوب من الفيروس الكثير من الدروس الخاصة بمواجهة الفيروسات الوبائية من خلال تطبيق الإجراءات الصارمة، التي فرضت نمطا ونسقاً مجتمعياً لم يكن له مثيل على الأقل خلال القرن الماضي.

بحيث أصبح العالم اليوم يفكر في كيفية الخروج من تداعيات **أزمة كوفيد 19**، وبدأ يستعد لإعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل الأزمة، ولكن وفق الشروط التي سوف تساهم في تقليل الفرص والظروف التي يمكن لهذا الوباء العودة من خلالها وباستخدام أدوات حديثة لإدارة الأزمة.

- **مفهوم إدارة جائحة كورونا (كوفيد 19)**

لقد أشار الباحثون بأن الفيروس التاجي كوفيد 19 هو فصيلة من فصائل الإنفلونزا، ويعتبر جائحة عالمية كونها سريعة الانتشار، وسريعة في نقل العدوى، وللكشف عن وجودها لدى الأفراد الحاملين لهذا الفيروس، أو ظهور أعراضها عليهم يتطلب ذلك من 4 إلى 14 يوماً .

- **التعريف بجائحة كورونا** (أزمة كوفيد19) (المصري، 2020): صنفت منظمة الصحة العالمية تفشي فيروس كورونا بوصفه وباء عالميا "جائحة"، وهذا مصطلح كانت المنظمة تتردد في استخدامه حتى هذه اللحظة لوصف انتشار الفيروس، وقال رئيس منظمة الصحة العالمية، الدكتور تيدروس أدهانوم غيبريسوس، إن المنظمة ستستخدم هذا المصطلح لسببين رئيسين هما: سرعة

تفشي العدوى واتساع نطاقها والقلق الشديد إزاء "قصور النهج الذي تتبعه بعض الدول على مستوى الإرادة السياسية اللازمة للسيطرة على هذا التفشي للفيروس"

-**لغوياً** فإن معنى الجائحة في اللغة العربية حسب معجم المعاني الجامع وفق ما يقصد بـها، فـــــ "الجائحة (اسم) وجمعها جائحات وجوائح، أصابته جائحة: بلية، تهلكة، داهية. سنة جائحة: جدبة، غبراء قاحلة.

- **اصطلاحا** الجائحة كمفهوم علمي يقصد به التهلكة التي تعترض الانسان جراء ويلة محددة والتي تحل بالفرد وتساهم في تدهور وضعه وتؤثر عليه سلبا في حياته وأسلوب معيشته.

- **سوسيولوجياً** الجائحة كورونا (كوفيد 19) حسب ما تشتمل عليه من انتشار وباء فيروسي وما يسهم به من تفشي لمرض معدٍ وخطير، فهذا الفيروس التاجي يؤثر على صحة الإنسان سلباً، ويسبب له المشاكل الصحية، وهذا الانتشار يعود إلى ممارسات سلوكية خاطئة لدى الفرد، غير مبالية أو غير مسؤولة في تعاملها مع مثل هذا الفيروس المجهول في حجم تأثيراته وطبيعة تحولاته الصحية عليه وعلى بيئته الاجتماعية، خاصةً أن هذا الفيروس سريع الانتقال كعدوى كونه ينتقل عبر الهواء ويعيش على الأسطح الصلبة لفترات زمنية طويلة نوعا ما، مما يساعد في انتقاله بين الأفراد فيتسبب بالويلات الاجتماعية التي تطال المجتمع البشري.

- **خصائص إدارة أزمة كوفيد 19**

تفاجئ العالم بظهور الالتهاب الرئوي الناجم عن كوفيد 19 الجديد في ديسمبر 2019 بالصين ، وقد إتسمت إدارة الصين للأزمة باستخدام التفكير الرشيق لمواجهة الأزمة، بثماني خصائص كالتالي:

-التعامل مع الأزمة كقضية أمن وطني بالمبادرة والسرعة منذ اللحظة الأولى؛

- إدارة الأزمة على أعلى مستوى من المسؤولين، حيث ظهر الرئيس شي جين بينغ خلال زيارته لبعض الأماكن في فترة الأزمة واضعا على وجهه كمامة، وهذا نموذج للقدوة ؛

-انتشار التعامل السريع مع مناطق الأزمة بإغلاق المصانع والمراكز المختلفة في كل مكان انتشر به الفيروس وإقالة أمين لجنة الحزب الشيوعي في مقاطعة هوبي، وإلغاء الرحلات الترانزيت وإغلاق المدارس؛

-الحد من استقبال طائرات أجنبية أو دخول وحركة المواطنين والأجانب منعا لانتشار العدوى في المناطق الآمنة، نتيجة السفر والحركة من وإلى الصين والخارج أو في مناطق داخل الصين؛

-الترحيب بأي مساعدات خارجية لمقاومة الفيروس أو معالجة المصابين؛

-التعامل الإعلامي في توعية المواطنين المرضى ومخاطر فيروس كورونا الجديد لأن الإهمال الإعلامي أو الأخبار الكاذبة تساهم في انتشار الذعر والقلق بخصوص المرض؛

- التعامل بالشفافية في الكشف عن عدد المصابين وحالاتهم الخطرة أو الموتى بسرعة خوفا من انتشار العدوى من جثث الموتى أو نحو ذلك؛

-توسيع نطاق التعامل الدولي مع منظمة الصحة العالمية للاستفادة من وسائل العلاج وللحد من انتشار الفيروس سواء في الصين أو في أي دولة أخرى.

3. الخطوات المتبعة في تطبيق التفكير الرشيق لإدارة الأزمة

معظم دول العالم حاولت ان تتبع طريقة ورشات العمل وبرامج التدريب من أجل تنفيذ منهج التفكير الرشيق، والتغيرات التي قد تطرأ لها، ذلك كون التدريب يهدف لتوفير كل ما تحتاجه عملية مقاومة الفيروس ووضع آليات لمجابهة تداعيته الاقتصادية والاجتماعية على الدول ، بحيث التفكير الرشيق يمكن من إجراء تحسينات مستمرة، بالإضافة إلى أنه يتم تحديد تيار القيمة الذي يتضمن كل ما تحتاجه دول العالم لإدارة الأزمة.

أما بالنسبة لأهم الخطوات المتبعة في تطبيق التنفيذ الرشيق فتتمثل في(رائد مجيد عبد محمد، خليل إبراهيم إسماعيل، المرجع نفسه، ص100):

- **تعلم المفاهيم الرشيقة والتفكير الرشيق قبل التطبيق:** إنها مهمة جدا للعمل ليكون هناك إدراك من قبل الدول لمفهوم وأهمية الفلسفة الرشيقة.
- **التزام الإدارة بالرشاقة:** إن دعم الإدارة للتفكير الرشيق يساعد في حل المشاكل الناجمة عن فيروس كوفيد 19 كالتي تنشأ من تنفيذ فلسفة التفكير الرشيق، وينبغي على القادة أن يمارسوا الوعظ والإرشاد والتوجيه للمواطنين ليستطيعوا الفهم بشكل أفضل حول التفكير الرشيق ويستخدموا طريقة المحاكاة لعمل الأشياء.
- **عمل خبير الرشاقة:** للحصول على خدمات من خبراء الرشاقة ينبغي أن يحصلوا على مساعدة جميع الوحدات ، لإمكان تطبيق فلسفة وفكر التفكير الرشيق لاسيما عند التحول من نظام الدفع إلى نظام السحب، ومن المحتمل أن يكون هناك استرشاد من دولة خبير ولديه خبرة كبيرة في ذلك مثلا الصين .
- **بناء التوعية بشأن الرشاقة:** المفهوم الأساسي للرشاقة هو أنه ينبغي أن يكون مفهوما من قبل الجميع ، فورش العمل والتدريب ينبغي أن تكون أداة وصل لتعليم مبادئ وأساسيات التفكير الرشيق.
- **بناء فعال لرشاقة فعالة:** فريق الرشاقة يجب أن يتقبلوا وجهات النظر المتعددة واحترام أراء الآخرين والتواصل، وتغيير القيم والمعتقدات بكل رحابة صدر من أجل إدارة أزمة كوفيد 19 والخروج باقل الخسائر .
- **تخطيط الحالة الحالية:** ينبغي أن تنفذ عملية مسح من الأساس لتحديد العمليات والضياعات والأنشطة التي لا تضيف قيمة لادارة أزمة كفيد 19.
- **تنمية المعرفة و المهارة:** يجب أن يكون التدريب لأداء تحسين الأنشطة والتأقلم مع تداعيات كوفيد 19

- **تصميم خارطة مجرى القيمة مستقبلا:** وأن تكون خارطة مجرى القيمة واضحة المعالم ومفهومة من قبل الجميع خاصة داعيات الجائحة ومن بينها ركود النموّ الاقتصادي والتّأثير على التّشغيل والحدّ من توقّعات موازنة 2020.
- **نصب مؤشرات الأداء الرئيسية:** وهي مؤشرات مختارة من إذ تعكس تحسينات الأعمال على نحو حقيقي وتعتمد لتخفيض الضياعات الناجمة عن أزمة كوفيد 1.

4. أهم نتائج استخدام التفكير الرشيق لمجابهة أزمة كوفيد 19

يمكن حصر أهم النتائج من خلال التجربة الصينية كالتالي

- **تجهيز المنشآت الصحية في وقت قياسي:** وجب على الحكومة الصينية تدبير مزيد من غرف الرعاية الصحية الخاصة للمصابين؛ إذ وصلت معدلات الوفيات إلى 1.4%، وفق دراسة علمية في دورية نيتشر العلمية، تزيد النسبة إلى 2.6% مع البالغين من العمر 60 عامًا أو أكثر، بات توفير الأماكن المُجهزة للمرضى العقبة الأكبر خلال الأزمة، من أجل ذلك أعلنت السلطات الصينية تشييد 4 مستشفيات مجهزة مسبقًا في أقل من شهر، من بينها مستشفى "ووهان ليشنشان" الذي يتسع لـ1600 سرير، على مساحة 60 ألف متر مربع، فضلًا عن إنشاء مستشفيات ميدانية متنقلة "أشبه بمستشفيات الحرب، يتم تركيبها في كافة أنحاء ووهان، وتفكيكها بعد انتهاء الأزمة".
- **تحضير عقاقير لمعالجة أعراض "كورونا":** بجانب العقاقير، استخدم الصينيون بلازما مستخلصة من دماء متعافين من "كورونا" المستجد لعلاج آخرين، وفق مجموعة الصين الوطنية للتكنولوجيا الحيوية، إذ أشارت إلى بدء التجربة في 8 فبراير الماضي على 3 مرضى في حالة خطيرة، ثم 10 آخرين، أظهرت تحسُّنًا في الأعراض السريرية على

المصابين خلال 24 ساعة، وانخفض الالتهاب الرئوي فضلًا عن تشبع الأكسجين في الدم بشكل جيد، في الوقت نفسه قدمت الشركات المتخصصة والجامعات ومعامل الأبحاث يد العون خلال الأزمة، كما تم العمل على اختبار تشخصي دقيق لكوفيد - 19 للتعرف على أسرار الفيروس، وكيفية انتقاله ومهاجمته للأجساد، ومحاولة للوصول إلى دواء دون آثار جانبية تؤذي المرضى"، فضلًا عن البحث بصورة علمية ودقيقة عن "المريض صفر" ومصدر العدوى، في حين أقرت الصين في 17 مارس بإجراء التجارب السريرية على أول لقاح لمكافحة "كوفيد -19".

- **استخدام التكنولوجيا:** شكلت التكنولوجيا والاستخدام الأمثل لوسائل التواصل الاجتماعي سُبلَ مساعدة في التعامل مع تفشي الفيروس، ومنها رسائل هاتفية بجميع المعلومات الخاصة بتطور الأحداث مع "كورونا" المستجد، سواء نصائح طبية لا بد من إتباعها، أو أعراض المرض، وأعداد الإصابات والوفيات، "استقبلت نتيجة تحاليل الإصابة بكورونا بالطريقة ذاتها"، فضلًا عن ظهور طائرات مسيرة دون طيار (درون) في أنحاء المدينة "تحذر المواطنين من الخروج، وتحثهم على لزوم بيوتهم لحين زوال الأزمة"، وتخصيص سيارات أجرة لنقل المشتبه في إصابتهم، "والاتصال بهم من خلال موقع وي تشات WeChat- موقع تواصل اجتماعي بالصين".

التطور التكنولوجي السريع الذي عرفه العالم اليوم تأثيرا كبيرا في مجال الاقتصاد ، وازدادت وثيرة هذا التأثير حدة في ظل الآزمة الحالية، سواء من خالل جودة وسرعة الخدمات المقدمة للفاعليين الاقتصاديين والمواطنين، أم من خلال تطوير الابتكارات والحلول التي يحتاجها المجتمع، إضافة إلى تحسين أساليب العمل الإداري والحكومي، وبالتالي أصبحت الرقمنة عنصرا مهما عنه في كل مناحي الحياة .(ميلود رحالي ، الحسين اكو،8 جوان 2020).

- **احتواء تداعيات الفيروس:** استطاعت الصين احتواء الفيروس، لكن رغم ذالك الجائحة لا تزال تهدد جميع البلدان، واحتمالات حدوث انتكاسة واردة ما دامت احتمالات الانتقال بالوفادة أو بالانتقال المحلي للعدوى قائمة، والحل الأمثل أن تواصل الصين العمل بكل جدية لترصُّد الحالات واكتشافها، وإجراء الفحوص المختبرية، وعزل الحالات المشتبه فيها، وتتبُّع المخالطين، ومواصلة توعية الأفراد والمجتمعات بأهمية تدابير الوقاية.

الخاتمة

البحث عن سبل للخروج من أزمة كوفيد 19 أصبح أمرا ضرورياً ، لذلك لجات بعض الدول الى تبني منهج التفكير الرشيق الذي يعود ظهوره لنتيجة جهود الإدارة اليابانية بفضل نظرتها وإدارتها للأمور في كافة المجالات، ولقد أثار هذا الموضوع اهتمام الباحثين والمنظمات على حد سواء، وأصبح حاجة ملحة في الوقت الراهن لمواجهه تداعيات أزمة كوفيد 19 وتحديات المنافسة من أجل البقاء والنمو، عن طريق إدارة الأزمة، ومنهجية التفكير الرشيق تستطيع كل الدول والمنظمات تبنيها بغض النظر عن نوعها حجمها، طبيعتها فهو أصبح القاعدة التي ترتكز عليها فلسفة الدول ومنظمات الأعمال من أجل تفادي الهدر في مواردها خاصة الهدر الناجم عن ازمة كوفيد 19.

وتم استخلاص بعض النتائج نذكر منها :

-إنشاء مجموعة من المؤشرات وتجميعها في مركز تحكم يعمل بصفته نظام إنذار مبكر للإشارة إلى السيناريو الناجح بتكوين نظرة واقعية لنقطة البداية.

-يسعى التفكير الرشيق إلى تمكين الصلاحيات ، مما يخلق ثقة ويزيد الانتماء والشعور بالمسؤولية ومنه يحسن أدائه و هذا من أجل تحقيق الأهداف؛

-من مميزات التفكير رشيق اللامركزية في العمل داخل المنظمة الذي يخفف الزخم على الإدارة العليا في اتخاذ القرارات اليومية وروتينية كونه يعتمد على إدارة وسيطرت فريق العمل؛

-تكوين فريق التخطيط المسبق لمواجهة المشكلات التي أثارتها الموجة التالية من أزمة "كوفيد-19"،

-وضع سيناريوهات متعددة لمستقبل الدول بعد كوفيد 19،و تحديد الإجراءات والتحركات الاستراتيجية الأكثر فاعلية ضمن السيناريوهات؛

-تحديد نقاط الانطلاق التي تدفع الدول إلى اتخاذ إجراءات في الوقت المناسب لموجهة اثار كوفيد 19؛

-نشر الثقافة الرشيقة وتوطيد علاقات العمل، أساسها الثقة والرغبة لتحسين والتطوير وتنميه لكل الأطراف ذات الصلة؛

-الإنتاج يكون على أساس أوامر وطلبات الزبائن، وهذا ما يجنب الهدر؛

-يعمل التفكير الرشيق على تغيير أسلوب العمل لكي يحقق أعلى كفاءة لمسار القيمة ككل؛

المراجع والمصادر

1. خلود محمد بشير الطيب (2017) **مدى توفر مقومات تطبيق المحاسبة الرشيقة في الشركات الصناعة في قطاع غزة (دراسة ميدانية تحليلية)**، رسالة ماجستير، كلية التجارة، تخصص المحاسبة والتمويل، الجامعة الإسلامية بغزة،غزة.

2. رائد مجيد عيد محمد،خليل إبراهيم إسماعيل،(2019) اعتماد التفكير الرشيق في الأداء الإداري والكلفوي للوحدات الاقتصادية، مجلة كلية مدينة العلم الجامعة، العدد1، بغداد.
3. رحيلة فايزة، (2018) **دور المحاسبة الرشيقة في تخفيض تكاليف الإنتاج في الشركات دراسة حالة -شركة الإسمنت بني صاف**، شهادة ماستر، قسم علوم التسيير، تخصص محاسبة و جباية معمقة، الجامعة بلحاج بوشعيب ، عين تموشنت.
4. سيروان كريم عيسى ومحمد عبد العزيز محسن،(2015) **المحاسبة الرشيقة تطبيق نموذج مقترح لتيار القيمة في شركة فاملي لإنتاج المواد الغذائية**، مجلة جامعة كركوك للعلوم الإدارية والاقتصادية، العدد 1، العراق.
5. شيماء شرفي (2019) ، **محددات تطبيق المحاسبة الخالية من الفاقد في المؤسسات الجزائرية - دارسة استطلاعية لعينة من ولاية أم البواقي** -، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير،تخصص المحاسبة، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي.
6. علي محمد المعموري،محمد سمير دهيرب، (2018)**أثر تطبيق التفكير الرشيق على ترشيد التكاليف وتحقيق رضا الزبـون بحث تطبيقي في شركة أور العامة للصناعات الكهربائية**، مجلة دراسات محاسبية ومالية، جامعة ، العدد43، بغداد.
7. فداء ابراهيم المصري، **التحديات المجتمعية اللبنانية في ظل انتشار الوباء كوفيد19وآفاقها التنموية**، أشغال ندوة المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، من الجائحة الى التنمية، نماذج عربية وافريقية في صعوبات التجاوز وفرص الإقلاع، ص09-10، يونيو 2020.
8. ميلود رحالي، الحسين اكو (2020) جائحة كورونا وسؤال التحول الرقمي بالمغرب، المركز المغربي للابحاث وتحليل السياسات، الكتاب الجماعي جائحة كورونا والمجتمع المغربي.
9. ياسمين حاتم الهشلمون، (2017)،**أثر تطبيق مرتكزات التصنيع الرشيق في استراتيجيات الميزة التنافسية في شركات صناعة الأدوية الأردنية**، رسالة الماجستير في إدارة الأعمال، كلية الأعمال، قسم إدارة الأعمال، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
10. Anton Van Der Merwe," (2008) **debating the principles : asking questions of lean accounting** , journal of cost management" ,vol 22, N 05, Thommson Reuters,Toronto,Canada,.

ثانياً : قدرة الدول على الحؤول دون تفشي الأوبئة العالمية كوفيد 19 نموذجاً

د. هيبة غربي(*)

مقدمة:

كان ولا زال انتشار "فيروس كورونا" بـ مثابة لحظة كاشفة عن درجة استعداد وجاهزية دول العالم للتصدي للتهديدات غير التقليدية، أين عانت بعض دول العالم، ليس فقط النامية والفقيرة، بل أيضًا الغنية والمتقدمة، من التخبط والعجز عن إدارة هذه الأزمة الصحية الخطيرة بـ صورة سليمة، وسَجلت عددًا كبيرًا من حالات الإصابة والوفاة. ففي ظل ما يُمثله تفشي فيروس كورونا المستجد "كوفيد- 19"، الذي أعلنته منظمة الصحة العالمية في 30 جانفي الماضي "حالة طوارئ صحية عامة تُثير قلقًا دوليًّا"، من اختبار حقيقي لـــ قدرات الدول القومية على التصدي له بـــ فاعلية؛ أين تباينت أنماط استجابة الدول التي انتشر فيها الفيروس حتى الآن، وكذلك مستوى النجاح الذي حققته في مواجهته. فبالرغم من عدم وجود دولة في العالم مستعدة بـــ شكل كامل للاستجابة بـ فاعلية لتفشي الأمراض والأوبئة على نطاق واسع، فإنّ هناك فجوات واضحة بين الدول، ممّا يعني أنّ هناك دولًا أكثر نجاحًا في التصدي للفيروس من غيرها. وعليه لم تعد قوة الدول القومية تُقاس بـ حجم ما تمتلكه من ثراوت طبيعية أو بشرية، أو قوة اقتصادية أو عسكرية فحسب؛ بل أصبحت هذه القوة مرهونة -بـ درجة كبيرة- بـ قدرة الدول على منع نشوء مسببات الأمراض، وكذلك الاكتشاف المبكر والإبلاغ عن الأوبئة ذات الطابع العالمي، إضافة إلى الاستجابة السريعة والتعامل الناجح معها...وهو ما سنحاول

(*) متحصلة على شهادة الماستر في العلوم السياسة قسم العلاقات الدولية/اختصاص الدراسات الأمنية والإستراتيجية 2017 بـ جامعة قسنطينة 3 /الجزائر.

التطرق إليه من خلال هذه الدراسة انطلاقاً من دراسة قدرات كل دولة على حدا متبعين في ذلك أهم الخطوات للتعرف على الأسباب التي جعلت بعض الدول أكثر نجاحًا من غيرها في التعامل مع انتشار هذا الفيروس، وأهم الاستراتيجيات التي اتبعتها للتقليل من مخاطره.[1] وذلك من خلال الرجوع إلى تصريحات أطلقها العديدون من قادة الفكر في العالم، والتي تناولت هذا الموضوع وحللته.

1. فيروس كرونا المستجد ....النشأة والأعراض وأهم النصائح الوقائية

لا يختلف اثنان حول خطر وسرعة انتشار فيروس "كوفيد – 19" أو فيروس كورونا التاجي المستجد، والذي خلال شهرين فقط من إعلان ظهوره في الصين.. غزا العالم كله وفرض حجراً ومقاطعة صحية على دول بكاملها وهبط بأسواق الأسهم وكواليس الاقتصاد لمرحلة خطيرة ومرعبة. ظهر فيروس كورونا شهر ديسمبر الماضي فقط، ولكنه تفشى بسرعة كبيرة جداً لــ يُصبح وباء عالميًا ثم جائحة يُحاول العالم التصدي لها. فبالرغم من أنّ هذا المرض يكون طفيفًا لدى أغلب المصابين، إلاّ أنّ البعض من المصابين يتوفون[2].. ما جعل منظمة الصحة العالمية تعلن "كوفيد 19" وباءاً عالميا[3] ما يستوجب معرفة

(1) صدفة محمد محمود، "النموذج السنغافوري: تجارب أسيوية ناجحة للحد من انتشار كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 11/09/2020.

(2) "فيروس كرونا المستجد...النشأة والأعراض والوقاية"، مركز أبحاث ودراسات مينا، موقع: https://mena-studies.org/، 11/09/2020.

(3) "منظمة الصحة العالمية تعلن كوفيد 19 وباء عالمياً...فما هو هذا الوباء"، منظمة الصحة العالمية، موقع: https://www.who.int/، 11/09/2020.

كيفية مهاجمة هذا المرض الجسم، ولماذا يتسبب بموت البعض، وما إجراءات معالجته وفائدة الحجر الصحي ..[1] فما هو هذا الفيروس..؟

- **ماذا يعني فيروس كوفيد 19 كوباء عالمي؟**

فيروسات كورونا هي مجموعةٌ من الفيروسات تُسبب أمراضًا للثدييات والطيور، كما يُسبب في البشر عداوَى في الجهاز التنفسي والتي تتضمن الزكام وعادةً ما تكون طفيفةً، ونادرًا ما تكون قاتلةً مثل المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية. وفيروس كورونا الجديد الذي سبب تفشي "فيروس كورونا الجديد 2019-20"، قد يُسبب إسهالًا في الأبقار والخنازير، أما في الدجاج فقد يُسبب أمراضًا في الجهاز التنفسي العلوي.

تنتمي فيروسات كورونا إلى "فُصيلة الكوراناويات" المستقيمة ضمن فصيلة الفيروسات التاجية ضمن رتبة الفيروسات العشية، كما تُعد هذه فيروسات فيروساتٍ مُغلفة مع "جينومٍ حمضٍ نووي ريبوزي" مفرد السلسلة موجب الاتجاه، كما تمتلك قفيصة منواة حلزونية متماثلة، أين يبلغ حجم جينوم هذا الفيروس حوالي 26 إلى 32 كيلو قاعدة، وهو الأكبر بين فيروسات الحمض النووي الريبوزي."RNA virus "

يُشتق اسم ""coronavirus عربيًا/ فيروس كورونا اختصارًا لـــ Cov من باللاتينية ""corona وتعني التاج أو الهالة، حيثُ يُشير الاسم إلى المظهر المميز لجزيئات الفيروس "الفريونات" والذي يظهر عبر المجهر الإلكتروني، حيث تمتلك نُملًا من البروزات السطحية، يساعد في ظهورها.هذا وسُميت هذه الفيروسات رسميًا بـــ واسطة منظمة الصحة العالمية بـ-2019

(1) فيروس كرونا المستجد...النشأة والأعراض والوقاية"، مركز أبحاث ودراسات مينا، موقع: https://mena-studies.org/، 11/09/2020.

nCoV [1]. في بداية ظهور هذا الوباء بـــ مدينة "ووهان الصينية"، أطلق الباحثون على الفيروس اسم "فيروس ووهان "Wuhan virus، وهو اسم تداولته كافة وكالات الأنباء، ثم تحول الاسم إلى "فيروس ووهان التاجي "Wuhan coronavirus، أو "فيروس الصين التاجي " China coronavirus، ثم إلى "فيروس كورونا المُستجد لـــ سنة 2019 "-nCoV 2019/ وفي الحادي عشر فيفري 2020 خلعت منظمة الصحة العالمية عليه اسمًا رسميًا هو "كوفيد-19 "Covid-19. ولـ توضيح الأمر أكثر، أعلنت المنظمة أنها بهذا الاسم تُشير إلى المرض وليس الفيروس "حيث Co اختصار لكلمة كورونا – تاج أو تاجي – Corona، وVi اختصار لكلمة فيروس Virus، وD اختصار لكلمة مرض Disease، و19 اختصار لسنة 2019 التي ظهر بها المرض". أما "سارس-كوف-2 2-SARS-CoV فهو اسم الفيروس المُسبب للمرض، والذي أطلقته عليه الهيئة الدولية لتصنيف الفيروسات International Committee on Taxonomy of Viruses (" حيث تُشير SARS للارتباط الجيني لفيروس كورونا الجديد بالفيروس الذي تسبب في تفشي السارس سنة 2003، وتعني "متلازمة الالتهاب التنفسي الحاد Severe Acute Respiratory Syndrome"[2].

- **ظهور ونشأة الفيروس**

كانت بداية ظُهور هذا المرض في الصين وبالتّحديد في مدينة "يوهان" في أواخر ديسمبر 2019 ليضرب إيران ثم القارة الأوروبية والولايات المتحدة

(1) "الأمن الصحي: دراسة حول فيروسات كرونا"، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، موقع: https://www.politics-dz.com/، 14/09/2020.

(2) صلاح عثمان، "لغة كورونا...الابتكارات اللغوية والثراء المعجمي في الأزمات"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 14/09/2020.

الأمريكية ويحطّ رحاله في القارة الإفريقية. أين يمتلك القدرة على الانتقال من شخص إلى آخر خلال فترة الحضانة عبر السعال، رذاذ العطاس، التلامس، المُخاط، اللعاب أو السوائل الجسدية الأخرى. هذا و يؤكد الخبراء أنّ عامل الوقت يُساهم بشدة في انتقال الفيروس، حيث يمتلك هذا الأخير القدرة (وفق الحالات التي لُوحظت) على التسبب بالعدوى ملامسة سطح يحتوي على رذاذ العطاس على سبيل المثال لا الحصر. ولكن بعد مرور الوقت يفقد رذاذ العطاس على ذلك السطح قدرته على نقل الفيروس بعد جفافه. هذا وقد سجلت أول حالة إصابة لشخص ياباني الجنسية من محافظة "نارا جنوب اليابان" والذي انتقل إليه الفيروس بينما كان يعمل على نقل سياح من مدينة "ووهان" في باص سياحي في العاصمة. وهذا يدل على قدرة الفيروس الانتقال من شخص لشخص آخر عندما يكون المصاب وغير المصاب بالفيروس بالقرب من بعضهما البعض (حتى دون تلامس أحياناً).[1]

بعد انتقال الفيروس ودخوله إلى جسم الإنسان، تبدأ عمليات الغزو التي يقوم بها هذا الأخير لخلايا البدن، أين يعمل في هذه الفترة على توطيد وجوده في الجسم. كما تعمل الفيروسات بدخول الخلايا التي يتكون منها الجسم ثم الاستيلاء عليها، وفيروس كورونا، المعروف علمياً باسم "سارس-كوف-2" على اعتباره فيروس مثل باقي الفيروسات يمكنه هو الآخر غزو الجسم عندما تستنشقه إلى داخل جهازك التنفسي أي عندما يسعل شخص بالقرب منك أو عند ملامسة لسطح ملوث ثم تلمس وجهك بعد ذلك. هذا وقد يُصيب الفيروس أولًا الخلايا المبطنة للحلق، والقصبة الهوائية والرئة، ثم يحولها لـ "مصانع لفيروس كورونا" التي تنتج كميات ضخمة من الفيروسات الأخرى التي تُصيب المزيد من الخلايا. ففي المراحل الأولى، لن يمرض الشخص وقد لا يُصاب

(1) كل ما تحتاج معرفته عن فيروس كرونا الجديد "كوفيد – 19"، مجلة البيان THE NIPPON TIMES، موقع: https://nippontimes.net/، 09/05/2020.

البعض بأي أعراض على الإطلاق، حيث تختلف فترة الحضانة، وهي الفترة بين العدوى بالفيروس وظهور الأعراض، بصورة كبيرة من شخص إلى آخر، ولكنها في المتوسط تكون خمسة أيام.. رغم أن هناك دراسات جديدة أشارت أنّ فترة الحضانة قد تمتد لعشرين يومًا بدلا من خمسة أيام.

- **الأعراض والمؤشرات والاهم النصائح الوقائية**

أعلنت منظمة الصحة العالمية ""WHOفي مارس 2020، أنها صنفت "كوفيد 19 " كجائحة، أين تقوم المجموعات المختصة بـــ الصحة العامة، مثل مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة "CDC" ومنظمة الصحة العالمية ""WHO، بـ مراقبة الجائحة ونشر التحديثات على مواقعها على الإنترنت، كما أصدرت هذه المجموعات توصيات حول منع انتشار هذا الفيروس.[1]

- الأعراض:

تُشير التقارير الطبية، أنّ الأعراض الأساسية لـــ "فيروس كوفيد -19" تشمل ارتفاع درجة الحرارة والسعال، وكذلك التهاب الحلق والصداع، ووجع الجسم وهي كلها أعراض محتملة، بيد أنها ليست مؤكدة. إنّ ارتفاع درجة الحرارة والشعور بالتوعك العام ناتجان عن استجابة الجهاز المناعي للعدوى بالفيروس، حيث يدرك الجسم أنّ الفيروس عدو يُهاجمه، ويُرسل إشارات للجسم أنّ هناك ما يتسبب له في الضرر، وذلك عن طريق إطلاق مواد كيماوية تعرف باسم "سايتوكينس" أين تدعوا هذه المواد الكيماوية الجهاز المناعي لاستجماع طاقته لـــ مقاومة الفيروس، ولكنها أيضاً تتسبب في أوجاع الجسد والآلام وارتفاع درجة الحرارة، ويكون السعال الناجم عن الفيروس جافاً بادئ الأمر، الذي هو ناجماً عن تهيج الخلايا إثر إصابتها بـــ هذا الأخير. وقد

(1) برتش كيه توش، "فيروس كورونا: ما هو وكيف يمكنني وقاية نفسي منه؟"، MAYO CLINIC، موقع: https://www.mayoclinic.org/، 20/09/2020.

يبدأ البعض لاحقاً في السعال المصحوب بالبلغم، وهو مخاط سميك يحتوي على خلايا الرئة التي قتلها الفيروس، ويمكن علاج تلك الأعراض بالراحة في الفراش، والكثير من السوائل والباراسيتامول. ولن يكون المريض بـــ حاجة لرعاية المستشفى.

عند اتخاذ الجسم ردود فعل متقدمة ضد الفيروس، يبدأ حينها يتطور المرض، وتبدأ مؤشرات رد فعل زائدة تجاه الفيروس. حيث تُسبب هذه الإشارات الكيميائية لـــ سائر أعضاء الجسم الالتهاب ويتم ذلك بتوازن. فالالتهاب الأكثر من اللازم قد يتسبب في أضرار للجسم، ويسمى الالتهاب الذي يصيب الرئة بـ "الالتهاب الرئوي". وإذا كان من الممكن الانتقال عبر الفم إلى القصبة الهوائية وعبر القنوات الدقيقة في الرئة، فإنك ستصل إلى الحويصلات الهوائية الدقيقة. ففي هذه الحويصلات ينتقل الأكسجين إلى الدم وثاني أكسيد الكربون إلى الخارج، ولكن في حالة الإصابة بالالتهاب الرئوي تبدأ الحويصلات الهوائية بـ الامتلاء بـــ الماء وقد تتسبب في ضيق التنفس وصعوبته. وقد يحتاج البعض من المصابين إلى جهاز للتنفس الصناعي حتى يتمكنوا من التنفس، ويُعتقد أنّ هذه المرحلة تؤثر على 14% من الأشخاص، وفقًا للبيانات التي تم الحصول عليها من الصين.[1]

أما فيما يخص الخطورة القصوى تتمثل في وصول الجسم للمرحلة الحرجة للمرض حيث يُقدر عدد الواصلين لتلك المرحلة بنحو 6% من الحالات. وفي هذه المرحلة بـ الذات تبدأ وظائف الجسد في الإخفاق، ويوجد احتمال حقيقي للوفاة، والمشكلة هنا هو أنّ الجهاز المناعي بدأ يخرج عن السيطرة ويتسبب في المتاعب في مختلف أجزاء الجسم، وقد يتسبب ذلك في الإصابة بـــ تسمم الدم

(1) "كل ما تحتاج معرفته عن فيروس كرونا الجديد "كوفيد - 19"، المرجع سبق ذكره.

وينخفض ضغط الدم لمعدلات خطرة وتتوقف الأعضاء عن العمل بكفاءة أو تفشل بصورة تامة.

إنّ متلازمة الضائقة التنفسية الحادة التي يتسبب فيها التهاب القصبة الهوائية تؤدي إلى عدم تمكن الجسم من الحصول على الأكسجين الكافي حتى يتمكن من البقاء على قيد الحياة، وفي هذه المرحلة قد تتوقف الكلى عن تنظيف الدم وقد تؤدي إلى أضرار ببطانة الأمعاء. وإذا لم يتمكن الجهاز المناعي من السيطرة على الفيروس، فإنه سينتشر في نهاية المطاف إلى سائر أعضاء الجسد وأجهزته، ويتسبب في المزيد من الأضرار، وسيتطلب العلاج في تلك الحالة تدخلاً طبياً كبير، ولكن الضرر قد يصل لمرحلة قاتلة لا يمكن فيها للأعضاء إبقاء الجسم على قيد الحياة.

لهذا السبب يعتقد الباحثون حالياً أنّ ما بين 5 و40 حالة من كل 1000 حالة إصابة بـــ فيروس كورونا ستنتهي بالوفاة، وأنّ أفضل تخمين لـــ معدل الوفاة هو موت تسعة أشخاص من كل 1000 حالة إصابة أو نحو 1 %منها. ولكن ذلك يعتمد على مجموعة من العوامل: الفئة العمرية والجنس والحالة العامة للصحة والنظام الصحي حيث توجد.[1]

- أهم النصائح الوقائية

وفق النصائح الأساسية من منظمة الصحة العالمية، يُمكنك حماية نفسك من جميع فيروسات الجهاز التنفسي عن طريق غسل يديك، وتجنب الأشخاص الذين يُعانون من السعال والعطس، مع محاولة الامتناع عن لمس العينين الأنف والفم. وحول مدى فعالية الكمامات، يُصرح أستاذ الميكروبات والأحياء الدقيقة بـــ الجامعة الأردنية، "محمد المدادحة" قائلا: "إن الكمامات قد تحد من خطر انتقال العدوى ولكن على نطاق ضيق جداً، حتى استخدام الكمامات

(1) المرجع نفسه.

ذات المرشحات الدقيقة الفلاتر، لا تقدم الحماية الكافية".ويُتابع قائلاً: "بل ينبغي إتباع إجراءات وقائية أخرى أهمها المواظبة على غسل اليدين، فالدور الأساسي في انتقال العدوى تلعبه اليد"، ويشرح مفسراً: "الفيروسات تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الرذاذ الذي يطلقه المريض عند العطس والسعال".

من جهتها، أكدت منظمة الصحة العالمية أنه لا حاجة للأصحاء لارتداء الكمامات، ونصحت بارتدائها فقط عند رعاية شخص مشتبه في إصابته بـــ العدوى. إلى ذلك، أشار تقرير نشرته صحيفة "ديلي ميل" إلى أنّ هناك بعض الأطعمة التي قد تعمل على تعزيز جهاز المناعة ضد "فيروس كورونا"، وذلك نقلاً عن عدد من خبراء التغذية الأستراليين. هذا ويضيف خبراء التغذية "أنّ الأطعمة الغنية بـ مضادات الأكسدة، بما فيها الباذنجان، والقرع، والجزر، والتوت، والثوم، والبصل، ضرورية لبناء الجهاز المناعي الذي يحارب الفيروسات.. يضاف لها الكركم، الأطعمة الغنية بالزنك كالأسماك اللحوم الحمراء السبانخ البقوليات ... كما أن للبيض والشاي الأخضر والزنجبيل والثوم أفعالًا قوية في تعزيز المناعة لمواجهة المرض".أما فيما يخص اللقاح لمعالجة هذا الفيروس فهو غير موجود حالياً حسب ما أكده العلماء الذين لا يزالون إلى يومنا هذا يحاولون فهم هذا الأخير معتبرين أنّ أهم طريقة للعلاج منه هو العزل من خلال عزل المصابين وتوفير الرعاية الطبية المناسبة لهم.[1]

وعلى هذا الأساس اتخذت تداعيات فيروس "كوفيد 19" القاتل والتي ربما لا تقتصر في أبعادها على الجانب الصحي، وحالة الهلع المترتبة عليه فحسب، وإنّما تمتد في أبعادها إلى ما يُمكننا تسميته بـــ"خريطة النظام الدولي الجديد"، في ظل صعود العديد من القوى الجديدة. وهو ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني من خلال هذه الدراسة.

(1) المرجع نفسه.

2. أكيلولة الدولية في احتواء الجائحة للحد من تفشيها

طغى على الساحة السياسية وفي كبريات العواصم الغربية ضرب من الجدل في كيفية التعاطي مع موضوع جائحة "كرونا" الفجئية، وكيفية التوقي منها. إلاّ أنّ الجدل الذي يدور هنا، لا يتعلق بمجرد خلاف سياسي أو علمي في كيفية التعاطي مع هذه الجائحة العالمية، بقدر ما يتعلق بالفلسفة العامة التي تقف خلف هذا النقاش السياسي والأخلاقي مؤداه هنا: هل باتت الأولوية للاقتصاد والمنافع أم للإنسان أولاً وأخيرا؟ . والمؤكد هنا أنّ الدول التي تُبدي نجاعة في إدارة أزمتها وتُظهر قدرتها على تحمل الخسائر البشرية والمادية، ستخرج أقوى وأوفى. وفي الحد الأدنى ستصعد درجات في سلم التنافسية الدولية، مقابل ذلك فإن الدول التي لم تنجح في السيطرة على الأزمة، أو لم تقو على تحمل تبعات وارتدادات هذه الجائحة، ستخرج ضعيفة أو أكثر ضعفاً وهشاشة. هذا الأمر أشبه ما يكون بحرب ستخرج منها جيوش منتصرة وأكثر قوة ومناعة، وأخرى مهزومة، أو في الحد الأدنى مثخنة ومنهكة. والحقيقة أنّ عالم السياسة ليس بعيداً عن عالم الحروب والجيوش، وفعلاً كورونا هي أشبه ما يكون بحرب ساخنة وشرسة، ولكن من دون جيوش مرئية أو عدو واضح الوجه والمعالم، ومن دون أسلحة خفيفة أو ثقيلة، ولكنها تظل في نهاية المطاف سلاحاً بيولوجياً مجهرياً متحركاً، أكثر خطورة وفتكاً من الأسلحة النارية.

- **القدرة والتصدي لـــ كبريات العواصم الغربية في مواجهة جائحة كورونا**

جرى على ألسنة الكثير من الناس أنّ جائحة كورونا ستقلب الموازين رأساً على عقب، وأنّ عالم ما بعد كورونا لن يكون حتماً مثلما كان قبل كورونا. والحقيقة أنّ هذا القول فيه قدر من الصحة، ولكنه لا يخلو من المبالغة في ذات الوقت. ذلك أنّ كورونا شأنها في ذلك شأن طواعين وجوائح

وكوارث طبيعية أخرى ضربت البشرية قديماً وحديثاً ستمر آجلا أم عاجلا، ولن تكون نهاية التاريخ أو بدايته، ولكنها بكل تأكيد ستترك ندوباً نفسية وآثار سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة النطاق داخل الدول وفيما بينها، وفي نظام العلاقات الدولية.وهو ما سنتطرق إليه من خلال دراسة قدرات الدول على التصدي لهذه الجائحة انطلاقاً من أهم الاستراتيجيات المعتمدة عليها في حل هذا اللغز الصحي والعالمي في الوقت ذاته.[1]

- **الولايات المتحدة الأمريكية "الاقتصاد أولاً":**

تعاملت إدارة الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" منذ بداية الأزمة بنوع من التجاهل تارةً والتقليل من مخاطر الفيروس تارةً أخرى، فعلى الرغم من أنّ علماء الأوبئة وخبراء الصحة الآخرون قد حذروا الإدارة الأمريكية من خطر تفشي وباء فيروسي لعقود؛ إلّا أنّ ذلك لم يمنع الرئيس من الادعاء بأن الأزمة كانت "غير متوقعة". فإدارته كانت ومازالت تخشى من التداعيات السلبية للإغلاق الشامل على الاقتصاد الأمريكي خلال عام التجديد، لذلك مازالت تُصّر على عدم إغلاق البلاد ودعوة الشعب الأمريكي الجلوس في البيوت كما فعلت العديد من الدول[2]. لذا تصبّ معظم التوقعات لعالم ما بعد كورونا في أنّ الولايات المتحدة ستفقد موطأ قدم في الزعامة العالمية بسبب الرجّة التي أحدثها وباء كورونا في النظام العالمي. ولم يكن من باب الصدفة في هذا السياق أن يستخلص أستاذ الدبلوماسية الأمريكية "هنري كيسنجر"، وهو المحلل الخبير المحنك، الذي مخر عباب السياسية العالمية وقرأ بإمعان مستقبلها أنّ "عالم

(1) رفيق عبد السلام، "عالم ما بعد كورونا إلى أين؟"، مركز الدراسات الإستراتيجية والدبلوماسية"، موقع: http://www.csds-center.com/، 11/05/2020.

(2) منصور أبو كرم، "تجارب عالمية لمواجهة تفشي فيروس كرونا"، مسارات/ المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://www.masarat.ps/، 19/10/2020.

ما بعد كورونا لن يكون مثل ما قبل كورونا". كما لم يكن غريباً كذلك أن يخرج عالم الاجتماع الفرنسي "ألان توران" عن صمته الذي فرضه عليه ثقل السنين والهدوء العلمي، لـــ يُصرّح تعقيباً على تداعيات كورونا بـــ القول: "لقد انسحبت الولايات المتحدة من لعب دور زعيم العالم". ولم يبتعد الرئيس الفرنسي "ايمانويل ماكرون" ذاته عن هذا المنحى حين تنبأ في قمة السبع المنعقدة بفرنسا في 24 غشت 2019 بـــ تراجع الهيمنة الغربية لفائدة القوة الشرقية. وحتى أصوات النشاز التي تعاكس احتمال الانحسار الأمريكي، فإنها ما فتئت تدعو إلى مراجعة مفهوم القوة والزعامة انطلاقاً من التغيرات التي تشهدها بنية المجتمع الدولي، وهو ما عبّر عنه بالتفصيل "جوزيف ناي "Joseph.S.Nye في كتابه "مستقبل القوة"، ممّا يُشي بضرورة إعادة النظر في زعامة جديدة تكسر منظومة الأحادية القطبية القائمة على القوة العسكرية التي أثبتت فشلها في بناء نظام عالمي مستقر، والاتجاه رأساً نحو البحث عن نظام بديل نعتقد أنه سيكون متقاسماً، أو على الأقل ستشارك في توجيه دفّته الزعامات الشرقية والقوى الاقتصادية الناعمة مثل الصين، تايوان، ماليزيا، سنغافورة وكوريا الجنوبية والقوى التقليدية كاليابان، وما في نظيرتها من دول الشرق الأنيقة التي أثبتت كفاءتها في تدبير الأزمات، وضمنها أزمة كورونا[1]. وهذا نكتشفه من خلال ما يلي:

- خريطة الانتشار:

سُجلت أول حالة لـــ مريض بـ فيروس كورونا داخل الولايات المتحدة الأمريكية يوم 21 جانفي 2020، ومنذ ذلك التاريخ فإنّ معدل انتشار الفيروس يتسارع بشكل لافت، فحتى صباح يوم الجمعة 13 مارس وصل عدد

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، "ما بعد كرونا ...صعود ناعم للشرق والتفكير في نظام عالمي بديل"، مركز المجدد للبحوث والدراسات، موقع: https://almojaded.com/ ، 09/05/2020.

الإصابات بـــ الفيروس داخل الولايات المتحدة الأمريكية إلى 1.663 مصاب في 46 ولاية أمريكية بـ الإضافة إلى العاصمة واشنطن، ووفاة 41 حالة من تلك الحالات، وسجلت ولاية واشنطن أعلى معدل إصابة بـ 420ـ حالة، تليها ولاية نيويورك في المرتبة الثانية بـــ 328ـ حالة، وكاليفورنيا في المرتبة الثالثة بـــ 252ـ حالة، وولاية ماساتشوستس في المرتبة الرابعة بـــ 108ـ حالة، وسجلت بقية الولايات معدل إصابات أقل من 100 حالة. يبدو واضحًا أنّ الأرقام في الحالة الأمريكية تتزايد بـ شكل ملحوظ، فالأرقام الرسمية التي قام "مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها"، بـــ نشرها يوم الخميس 12 مارس 2020، كانت 1.215 حالة، والأرقام التي تم تحديثها ونشرها في المصادر الصحفية صباح يوم الجمعة 13 مارس بلغت 1.663 حالة أمريكية.

هذا وتُشير تقارير صحفية أمريكية إلى أنّ "مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها"، وضع سيناريوهات حول انتشار الفيروس، لـ تقدير أسوأ هذه السيناريوهات. ووفقًا للإحصائيات والنماذج الحسابية، هناك عدةُ سيناريوهات سيئة لانتشار المرض أمريكيًّا، منها سيناريو من المحتمل فيه أن يُصاب ما بين 160 إلى 214 مليون أمريكي، وهذا السيناريو قد يستغرق أشهرًا أو عامًا، ووفقًا لهذا السيناريو، فإنّ معدل الوفيات قد يكون ما بين 200.000إلى 1.7 مليون شخص أمريكي. وهناك سيناريو آخر يُحتمل في ضوئه إصابة ما بين 2.4 إلى 21 مليون أمريكي، والوصول إلى هذا السيناريو قد يُمثل كارثة، وسيؤدي إلى انهيار النظام الصحي الأمريكي[1]. وهو ما حدث فعلاً خلال الآونة الأخيرة إذ وصل عدد المصابين منذ بداية ظهوره إلى يومنا الحالي إلى ما

(1) حسام إبراهيم، "ملامح استجابة إدارة ترامب لازمة "كورورنا""، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 25/09/2020.

يُقارب 7.204.980 في حين وصلت عدد الوفيات إلى 207.893والحالة في تصاعد مستمر.[1]

- أسباب الانتشار:

إنّ احد أهم المحدِّدات الرئيسية التي تُفسر الفشل الأمريكي في إدارة أزمة فيروس كورونا، يتمثل في طبيعة وهيكل النظام السياسي الأمريكي القائم على الفيدرالية، والذي يُقسم مسؤوليات ومهام الحكم داخل الدولة بين حكومة مركزية، وبين حكومات الولايات. وجرت العادة في أوقات الأزمات على أن تتولى حكومات الولايات مسؤولية إدارة الأزمة التي تقع داخل نطاق الولايات، مثل الأعاصير التي تجتاح الولايات الأمريكية من وقت لآخر، أو التنسيق والتعاون بين الولايات المتجاورة، مع إسنادٍ ودعم من الحكومة المركزية. وقد كشفت أزمة كورونا عن كيف قوض هذا النظام من قدرات الولايات المتحدة الأمريكية في إدارة الأزمة. ففي ظل عدم وجود جهة مركزية أمريكية رئيسية في إدارة الأزمة، وعدم وجود إستراتيجية وطنية للتعامل معها؛ بدا واضحًا حاجة الولايات الأمريكية -خاصة الأكثر تضررًا من انتشار الفيروس- إلى دعم وتعزيز من الحكومة المركزية أو الحكومة الفيدرالية، لكنها لم تجد هذا الدعم خاصة لوقت طويل جدًّا من بداية انتشار الفيروس، كما أنّ أولويات الحكومة الفيدرالية تختلف في إدارة الأزمة عن أولويات الولايات نفسها. وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى ما يلي:

ارتباك الحكومة الفيدرالية: ساهمت طريقة إدارة أزمة كورونا من قبل الحكومة الفيدرالية أو المستوى الفيدرالي Federal Level، ممثلًا في حكومة الرئيس "دونالد ترامب" الإدارة الأمريكية، في زيادة انتشار الفيروس على المستوى الوطني، لعدة أسباب، منها: دور الرئيس "دونالد ترامب" ذاته في

(1)" إحصائيات انتشار فيروس كورونا في الولايات المتحدة الأمريكي"، جريدة إيلاف، ع.7066، الجمعة 25 سبتمبر 2020.

التعامل مع الأزمة، فالطريقة التي تعامل بها مع الموقف ساهمت في إهدار كثيرٍ من الوقت للتحرك بـ فاعلية، ففي البداية أنكر وجود أزمة، ولاحقًا وبعدما أظهر حجمُ انتشار الفيروس في ولاية واشنطن وولايات أخرى حجمَ الكارثة، بدأ يتحرك في اتخاذ خطوات من قبيل إعلان حالة الطوارئ الوطنية في بعض الولايات، وخلال هذه الفترة ركز أكثر على التعامل مع الأزمة من منظور اقتصادي، ودفع في اتجاه طرح حزمة تحفيز اقتصادي بلغت نحو تريليونَيْ دولار، ودفع وزير المالية للتفاوض مع الكونجرس، الذي أقرها لاحقًا مع بعض التعديلات على المشروع الذي قدمته الإدارة.

وبالتوازي مع ذلك، استمر أيضًا في التقليل من الأزمة، وَرَمَى الكرة في ملعب حكام الولايات، مطالبًا إياهم بضرورة التحرك للتعامل مع الموقف كلٌّ حسب ظروف ولايته، ووسط كل ذلك تباطأت الإدارة في الانتباه لجوهر الأزمة، باعتبارها أزمة صحية تتعلق بوجود أوجه قصور متعددة في النظام الصحي الأمريكي، أبرزها يتعلق بقصور الإمكانيات المتوافرة للولايات على المستوى المحلي، وعندما بدأت الإدارة تدرك ذلك، في ظل النداءات المتكررة من حكام الولايات للدعم، كان عامل الوقت يمر، وكلما عالجت الإدارة بعض جوانب القصور مثل تغيير القواعد والإجراءات البيروقراطية الخاصة بإجراءات الفحوصات الطبية، والعمل على توفير أكبر قدر من الإمكانيات والتسهيلات كان منحنى الإصابات بـ الفيروس يتصاعد بشكل كبير جدًّا .[1]

مسؤولية حكومات الولايات: ينقسم هيكل النظام السياسي الأمريكي إلى ثلاثة مستويات من حيث تقسيم مسؤوليات الحكم والإدارة؛ الأول هو مستوى الحكومة الفيدرالية" "Federal Level، والمقصود به حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أو الإدارة الأمريكية ورئيسها "دونالد ترامب". والثاني هو

(1) حسام إبراهيم، المرجع بق ذكره.

مستوى الولايات ""State level، والمقصود به حكومات الولايات الـ 50، فكل ولاية أمريكية لديها حكومة، وأعلى مسؤول فيها هو الحاكم" "Governor، مثل حاكم نيويورك "أندرو كومو". والمستوى الثالث هو المستوى المحلي" " local level، والمقصود به الحكومات المحلية في المدن والمقاطعات الأمريكية، حيث يوجد أكثر من 90.000حكومة محلية في الولايات المتحدة الأمريكية، أبرزها عُمَد المدن الأمريكية الذين يُطلق عليهم ""Mayor، مثل عمدة مدينة نيويورك "بيل دي بلاسيو".

هذا المستوى من الهيراركية في مستويات الحكم بدا واضحًا في أزمة كورونا، فالرئيس "دونالد ترامب" يُدير الأزمة على المستوى الوطني، وحاكم ولاية نيويورك يُديرها على مستوى الولاية، وعمدة مدينة نيويورك يديرها على مستوى المدينة، وكل منهم له صلاحيات، وله مهام، وحاكم الولاية وعمدة مدينة نيويورك كل منهما يناشد الرئيس بـــــ التدخل لدعم وتعزيز قدرات الولاية أو المدينة، وأحيانًا يحدث اختلاف بين حاكم ولاية نيويورك وعمدة مدينة نيويورك.

عندما أعلن الرئيس "دوتالد ترامب" احتمال فرض حظر على ولاية نيويورك، اعتبر حاكم الولاية "أندرو كومو" أنّ هذا تعدٍّ من الحكومة الفيدرالية واعتبره بـــــ مثابة حرب، وأيضًا حينما أكد حاكم ولاية نيويورك أنه سيقاضي أية ولاية أمريكية مجاورة تمنع دخول مواطني نيويورك. وهذا يوضح تأثير تعقيدات هيكل النظام السياسي في إدارة الأزمة، فالرئيس ليست له صلاحيات مطلقة، وصلاحياته تقف عند حد معين.

فخلال أزمة كورونا ظهر بُعدٌ آخر للفيدرالية الأمريكية، لا يتعلق بإدارة الأزمة على المستوى السياسي، ولكن فيما يتعلق بجوهر الأزمة وهو البُعد الصحي، فالحكومة الأمريكية ممثلة في وزارة الصحة وأجهزتها خاصة "مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها" "The Centers for Disease Control

"and Prevention المعروف اختصارًا بـ""CDC تلعب دورًا في التوجيه ووضع الإرشادات العامة، لكن إدارة الأزمة والاستجابة لها على المستوى الصحي تقع بشكل رئيسي على حكومات الولايات وأجهزتها الصحية، حيث يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية 2.684 وزارة وقسمًا للصحة العامة على مستوى الولايات، والمستويات المحلية، والمناطق الأخرى. بمعنى أنه لا توجد مؤسسة مركزية واحدة تدير الموقف في الأزمة .[1]

شكل رقم 1: إحصائيات انتشار فيروس كورونا في الولايات المتحدة الأمريكية

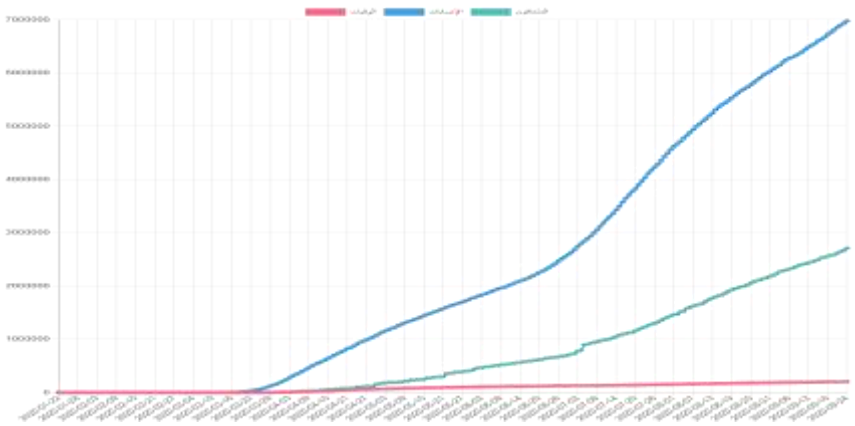

المصدر: "إحصائيات انتشار فيروس كورونا في الولايات المتحدة الأمريكي"، جريدة إيلاف، ع.7066، الجمعة 25 سبتمبر 2020.

(1) المرجع نفسه.

- **الاستجابة الأمريكية:**

تميزت التجربة الأمريكية في التعامل مع "فيروس كورونا" بـــ مستويين من الاستجابة الحكومية، فالمستوى الأول شمل استجابة الحكومة الفيدرالية الأمريكية ممثلة في إدارة الرئيس "دونالد ترامب" والكونجرس والخطوات التي تم اتخاذها لإدارة الأزمة، والمستوى الثاني هو مستوى التعامل معها على المستوى المحلي داخل الولايات الأمريكية المختلفة. وفيما يلي لمحة عن أبرز الإجراءات المتخذة في الولايات المتحدة الأمريكية للتعامل مع هذا الفيروس:

مجموعة العمل الرئاسية ":Task Force" قام الرئيس "دونال ترامب" يوم 29 جانفي بـ تشكيل فريق عمل رئاسي لإدارة أزمة فيروس كورونا. والذي أُطلق عليه "مجموعة العمل" يهدف إلى مراقبة واحتواء وتخفيف انتشار الفيروس، وضمان حصول الأمريكيين على معلومات دقيقة حديثة حول الموقف بشأن هذا الاخير. ويضم الفريق أعضاء يعملون في وكالات الأمن القومي، والأمن الداخلي، والميزانية، ومركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها. في البداية كانت تشكيل المجموعة بـــ رئاسة وزير الصحة، ولكن مع تصاعد الانتقادات لأداء الإدارة، وتزايد اهتمام الرأي العام بـ الأزمة، قام الرئيس بـــــ تعيين "مايك بنس" نائب الرئيس لـ يرأس المجموعة. في حين كانت هذه المجموعة في حالة انعقاد دائم، وتعقد اجتماعات مع الرئيس، وتقوم بإقامة مؤتمرات صحفية بـ شكل مستمر لإطلاع الشعب الأمريكي على تطورات الموقف.

كما يلعب "مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها" " The Centers for Disease Control and Prevention" المعروف اختصارًا بـ""CDC"، الذي يُعد أحد مكونات مجموعة العمل؛ دورًا رئيسيًّا في توجيه المؤسسات الصحية، ووضع الدلائل الإرشادية، ونشر الفرق الطبية والصحية، ودعم وزارة

الأمن الداخلي في الرقابة بالمطارات والموانئ، وتحديث المعلومات عن المرض، والتأكد من كفاءة المؤسسات الصحية واستعداداتها .[1]

التنسيق على المستويين الفيدرالي والمحلي: فرض انتشار "فيروس كورونا" على أجهزة ووكالات الحكومة الأمريكية، ضرورة التنسيق المشترك، فجهود مواجهة الأزمة تجري على مستويين، المستوى الفيدرالي الذي تقوده الإدارة الأمريكية، وبشكل خاص مجموعة العمل الرئاسية، أما على المستوى المحلي في الولايات الأمريكية، فتقوم حكومات الولايات بجهودها لـ مواجهة الأزمة، وتعمل على التنسيق المشترك مع الحكومة الفيدرالية. وفي إطار التنسيق المشترك أيضًا بين المؤسسات الحكومية، تقوم إدارة الرئيس "دونالد ترامب" بـ التنسيق بشكل مستمر مع الكونجرس لتوفير التمويل الخاص لـــ مواجهة الفيروس، ففي البداية طلبت الإدارة تمويلًا خاصًا بـــ 2.5. مليار دولار كتمويل عاجل من الكونجرس، لمواجهة انتشاره، الأمر الذي دفع الكونجرس إلى إقرار تمويل إضافي بقيمة ما بين 7.5 إلى 8 مليارات دولار لدعم جهود الإدارة.

دور أجهزة الأمن: تلعب أجهزة ومؤسسات الأمن الأمريكية دورًا في مواجهة "فيروس كورونا" بـــ اعتباره تهديدًا غير تقليدي يُواجه الأمن القومي الأمريكي. وفي هذا الإطار، لعبت أجهزة الأمن دورًا مبكرًا في الإنذار من انتشار الأوبئة، فالتقارير السنوية لمكتب الاستخبارات الوطنية " National Intelligence Bureau" لـ تقييم التهديدات العالمية " World Threat Assessment" للسنوات 2017 و2018 و2019 حذرت من انتشار الأوبئة الصحية. وفي تقرير سنة 2019 بشكل خاص حذر المكتب من "أن الولايات المتحدة والعالم سيظلون عرضة لوباء الأنفلونزا القادم أو تفشي مرض معدٍ على نطاق واسع يمكن أن يؤدي إلى معدلات هائلة من الوفيات والعجز، وسيؤثر

(1) المرجع نفسه.

على الاقتصاد العالمي". من جهة أخرى، أشارت تقارير صحفية إلى أنّ مكتب الاستخبارات الوطنية، ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، يقومان بـــ جمع المعلومات الاستخباراتية عن انتشار المرض والجوانب المختلفة ذات الصلة به حول أنحاء العالم، خاصة في الصين وإيران والهند. وبالإضافة إلى أدوار الإنذار المبكر، وجمع المعلومات، يتركز جزء من جهود أجهزة الاستخبارات على إطلاع الكونجرس على مستجدات الموقف، فقد قام المسؤولون في أجهزة الاستخبارات بـ تقديم إحاطة للجنة الاستخبارات في مجلس النواب بتطورات الوضع، وسيقوم المسؤولون بـ الاستمرار في إطلاع اللجنة على تطورات الموقف.[1]

إبلاغ الرأي العام: أحد الجوانب البارزة في التجربة الأمريكية هو الاستمرار في إبلاغ الرأي العام بـ تطورات الموقف، وهو الدور الذي تقوم به مجموعة العمل الرئاسية في مؤتمراتها الصحفية المستمرة، وحكومات الولايات المختلفة في المؤتمرات الصحفية التي تعقدها لإطلاع السكان المحليين على تطورات الموقف. ويُضاف إلى المؤتمرات الصحية، تخصيص الحكومة الأمريكية صفحة خاصة على موقع "مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها" لـ تحديث البيانات والمعلومات بشكل مستمر عن الموقف.

إعلان حالة الطوارئ الطبية "Health Emergency": أحد الإجراءات الرئيسية التي تم اتخاذها على المستوى المحلي والفيدرالي هو إعلان حالة الطوارئ الطبية لـ مواجهة الفيروس. فقد أعلنت ولايات: واشنطن، ونيويورك، وكاليفورنيا -التي سجلت أعلى معدلات إصابة- حالة الطوارئ، وأيضًا ولايات أخرى مثل: أريزونا، وديلاوير، وفلوريدا، وغيرها من الولايات.

---

(1) المرجع نفسه.

الإجراءات الاحترازية: تعددت الإجراءات الاحترازية التي تم اتخاذها في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء على المستوى الفيدرالي أو المحلي، وشملت تلك الإجراءات المرتبطة بـــ وضع قيود على السفر. فقد وضعت الإدارة الأمريكية حظر سفر على القادمين من الصين، وأعلنت منع السفر من أوروبا إلى الولايات المتحدة لمدة 30 يوميًا، وهذا الإجراء الذي أعلنه الرئيس "دونالد ترامب"، دفع سلطات الأمن الداخلي إلى إعلان أنه لا يشمل المواطنين الأمريكيين الذين يحملون بطاقات الإقامة الدائمة، ويضاف إلى تلك الإجراءات إجراءات العزل الصحي للمشتبه في إصابتهم من المرض القادمين من الخارج، ووضع قيود مشددة على السفر على متن البواخر السياحية الـ .Cruise

إضافة إلى إغلاق المدارس وإلغاء الأنشطة الثقافية والرياضية، حيث اتخذت العديد من الولايات الأمريكية قرارات بإغلاق وتعليق الدراسة في المدارس والجامعات، والانتقال إلى التعليم عن بعد، وأيضًا إغلاق الأنشطة العامة والتجمعات التي ترتبط بالأنشطة الثقافية والرياضية. كما شمل جزءٌ من الإجراءات الاحترازية الأنشطة المتعلقة بـ حملات الانتخابات الرئاسية 2020، فقد تم إلغاء بعض الجولات الانتخابية لكل من المرشحين الديمقراطيين "جون بايدن" و"بيرني ساندرز"، قبل جولة الانتخابات التمهيدية في بعض الولايات. وأيضًا تجري الآن مراجعة الموقف بالنسبة للكثير من الأنشطة العامة والتجمعات المرتبطة بالانتخابات .[1]

هذا وكشفت هذه الأزمة الوجه المخيف للولايات المتحدة الأمريكية، ومن ذلك هشاشة منظومتها الصحية وعجز مستشفياتها عن توفير الحد الأدنى من التجهيزات الصحية، بما في ذلك أدوات الوقاية للطواقم الصحية من أطباء وممرضين. إنه لمشهد سريالي أن يشاهد العالم بعض الممرضات في أثرى البلدان،

(1) المرجع نفسه.

وأكثرها قوة، وهن يرتدين أكياسا بلاستيكية، ويشتكين من عدم وجود بدلات صحية وأدوا واقي من الفيروس. طبعاً هذا الأمر لا يعود إلى قلة إمكانيات أو شح موارد ، بل نتيجة خيارات سياسية واقتصادية غير متكافئة تُعطي الأولوية القصوى لصناعة السلاح وكبار الشركات على حساب رفاه المواطن وصحته العامة.فنظام السوق يهدف إلى الربح بدرجة أولى، وقد أثر ذلك فعلاً في التطور غير المتكافئ حتى داخل صناعة الأدوية واللقاحات نفسها، قبل أن نتحدث هنا عن أسبقية صناعة السلاح أو النفط مثلاً.

يركز الاستثمار الرأسمالي على الأدوية واللقاحات الأكثر استخداماً وذات العائد المالي السريع. ولم يكن يخطر ببال شركات الأدوية واللقاحات مثلاً أنّ يجتاح العالم وباء خاطف سريع الانتشار، ولذلك اتجهت العناية إلى صناعة أدوية ولقاحات كان يبدو إنها ستكون أكثر طلبا وربحية . وهذا الأمر يبين تهافت تلك المقولة التي يبشر بها الليبراليون والتي مفادها أنّ مصلحة الأفراد تؤول في نهاية المطاف إلى مصلحة المجموع. وعليه فان الواقع يُبرز أنّ مصلحة "جنرال موتورز" أو "جنرال إلكتريك" ليست بالضرورة مصلحة عموم الأمريكيين، قبل أن نتحدث عن مصلحة العالم.

وعليه فقد بينت جائحة كورونا الطابع الإستراتيجي لقطاع الصحة، ولذلك اضطرت الدول إلى ضخ الأموال على عجل لبناء وتجهيز المستشفيات، بل تم تسخير الجيوش ومختلف أجهزة الدولة لمعاضدة القطاع الصحي العمومي. وقد كان أداء الدول الغربية نفسها متفاوتا على هذا الصعيد، فبينما أظهرت ألمانيا والبلدان الاسكندينافية وتركيا جاهزية قوية في مواجهة الجائحة بدت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول جنوب أوروبا مرتبكة ومتخبطة. ولعل أكثر العناصر الإيجابية التي ولدت من رحم جائحة كورونا، هي شعور الجميع، بما ذلك الحكومات اليمينية وسائر الأحزاب، أنّ القطاع الصحي أصبح قطاعاً استراتيجياً ، ولا يمكن العبث بحياة المواطنين وصحتهم لصالح

رهانات الربح الرأسمالي، ومن المؤكد أنه سيكون من تبعات ذلك عودة الدولة مجددا إلى مجالات تمدد فيها القطاع الخاص .[1]

- الجانب الاقتصادي:

تتوالى الأزمات التي تواجه الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب"، خاصة وأنّ بلاده تُصارع واحدة من أكثر أزمات الصحة التي تشهدها والتي أثرت بشكل كارثي على الاقتصاد العالمي والأمريكي، ويجد نفسه مشتتاً بين رغبتين متضادتين، فمن جهة هو مطالب بـ الحفاظ على أرواح الأمريكيين من فيروس كورونا الذي أصبحت بلاده تحتل الصدارة من حيث الإصابات والوفيات والأرقام في تسارع مخيف، ومن جهة أخرى يريد فتح الاقتصاد في البلاد حتى يُمكن تعويض الخسائر الاقتصادية التي مني بها الاقتصاد الأمريكي لاسيما أنّ ورقة الاقتصاد هي الورقة الرابحة التي يبني عليها آمال ترشحه لولاية ثانية، وانهيار الاقتصاد سيعد أحد أكبر أسباب خسارته انتخابات نهاية سنة 2020إن حدثت.

في الحقيقة فإنّ تداعيات الأزمة "كورونا" اقتصادياً ليست أكثر سوءاً من إدارته لها، فسُرعة انتشار الإصابة بـــــ الفيروس تكشف تخبط الرئيس "دونالد ترامب" الذي لطالما روج خلال الشهرين الماضيين أنّ الفيروس سيتم احتوائه في أمد أقصاه 12 أفريل وسيتم فتح الاقتصاد بالكامل، مؤكداً عدة مرات أنّ الاقتصاد سيعود قريبا إلاّ أنّ تفاقم الأزمة وإغلاق كافة الولايات، كشف فشله وحُكومته في إدارة الأزمة، الأمر الذي يَعكِس حالةً من التخبّط وهو ما أعطى القدرة لد "نانسي بيلوسي" رئيسة مجلس النوّاب في اتّهام الرئيس"دونالد ترامب" بـــــ الفشَل والكَذِب معًا.

(1) رفيق عبد السلام، المرجع سبق ذكره.

هذا وقد حاول "دونالد ترامب" أن يتفادى مؤشرات السقوط الاقتصادي جراء تداعيات أزمة كورونا فدعا إلى إجراءات اقتصادية تحفيزية سريعة، فمثلاً خفضت الولايات المتحدة أسعار الفائدة إلى ما يقرب من الصفر، وأطلقت برنامجاً تحفيزياً بـــ قيمة 700 مليار دولار، في محاولة لحماية الاقتصاد من تأثير فيروس كورونا. هذه الحزمة التحفيزية، التي تُمثل شريان حياة للعديد من الأمريكيين بعد الشلل الذي أصاب النشاط الاقتصادي والتجاري في البلاد تنص على تأمين 377 مليار دولار في شكل قروض للشركات الصغيرة وتعويضات مباشرة لكافة أبناء الشعب الأمريكي.

إلاّ انه حسب العديد من الخبراء الاقتصاديين فأنّ الإصلاحات المذكورة قد تخفف من حدة الأزمة الاقتصادية لكن لا شك أنّ الآثار الاقتصادية لجائحة كورونا ستكون آثارها طويلة المدى ومن الصعب تداركها في الوقت الحاضر والأهم من كل ذلك سنرى هل قرارا "دونالد ترامب" بفتح الاقتصاد رغم تحذيرات المسئولين عن القطاع الصحي وعدد من حكام الولايات نذير موجة جديدة من الإصابات قد تكون اشد في آثارها الإنسانية والاقتصادية والتي قد تدق المسمار الأخير في نعش حلمه بإعادة انتخابه في الانتخابات المقبلة.. وهل أخطأ بالمراهنة على تقوية الاقتصاد مقابل الحريات وصحة الإنسان وحقوق الأقليات والنزعة الشعبوية والتمييز العرقي وإضعاف وتشويه قيم أمريكا داخلياً ناهيك عن انعزالية وسوء إدارة العلاقات خارجياً.

يبدو أنّ هذا التخبط قد يضع "دونالد ترامب" في عزلة دولية وهو أمر لن يرغب به في مثل هذا الظرف بالذات إذا أضفنا له هجومه مؤخراً على المستشارة الألمانية "انجيلا ميركل" واصفاً سياستها بـ شأن اللاجئين بـــ الكارثية كما هاجم "حلف الناتو" واصفًا إياه بأنه "عفا عليه الزمن" ما دفع ألمانيا مؤخرًا على لسان وزيرا المالية والاقتصاد فيها إلى التخوف من أسلوب الرئيس الأمريكي في

التعامل مع القضايا السياسية والاقتصادية، متوقعين فشله في إدارة البلاد اقتصاديًا بسبب المعارضة الداخلية لسياساته المثيرة للجدل.[1]

- **الانقسام العالمي وتضارب المصالح:**

إنّ الخيار الأكثر واقعية يتمثل في أن تقود الولايات المتحدة جهوداً دولية حازمة للقضاء على هذا الوباء، خاصّة وأنّ هناك سابقة جيدة لمثل هذه القيادة ليس فقط في زمن الحروب ولكن في مجال الصحة العالمية، ففي سنة 2003، اعترفت إدارة الرئيس "جورج دبليو بوش" بـــ انتشار فيروس "نقص المناعة البشرية/ الإيدز" بـ اعتباره تهديدًا ليس فقط للصحة العالمية ولكن أيضًا للأمن العالمي والأمريكي، وعليه، وضع بوش خطة طارئة للإغاثة من هذا الفيروس من خلال جمع موارد المساعدات الطبية والدبلوماسية والخارجية لإنقاذ ملايين الأرواح في جميع أنحاء العالم. وبـــ المثل تمت الاستجابة لـــ تفشي وباء "الإيبولا المدمر" سنة 2014، حيث عمل الرئيس الأمريكي الأسبق "باراك أوباما" بشكل وثيق مع الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والحكومات الأجنبية لاحتواء هذا المرض القاتل وعلاجه، عن طريق إرسال فرق من الخبراء الأمريكيين لمساعدة البلدان الأخرى.

لكن في الأزمة الحالية وفي عهد الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" استخدم هذا الأخير الفيروس كذريعة للتراجع عن التضامن والتكامل العالمي، فلقد اعتمدت أمريكا على شعار "أمريكا أولاً" أين بدأت الإدارة الأمريكية في إتباع نهجًا واضحًا قبل ظهور هذه الأزمة يتمثل في تقليص حجم المساعدات الخارجية ولاسيما تلك التي تتعلق بالصحة العالمية، وفي شهر فيفري 2020 عندما تم تداول الأخبار عن انتشار "فيروس كوفيد - 19" في الصين وخارجها، قررت الولايات المتحدة الأمريكية قطع المساعدات المالية الخارجية

(1) احمد كردش، "تداعيات كرونا الاقتصادية...هل يخرج ترامب من عنق الزجاجة"، موقع: https://blogs.aljazeera.net/، 13/05/2020.

للسنة المالية 2021 بنسبة 21%، بما يتضمن تقليص المساعدات الموجهة لبرامج الصحة العالمية بنسبة 35%، وهو الأمر الذي يقدر باقتطاع حوالي 3 بلايين دولار أي حوالي 50% من المساهمات الأمريكية في منظمة الصحة العالمية. أما فيما يتعلق ببعض الملفات الأخرى، مثل الهجرة والسياسة الخارجية خفضت الإدارة الأمريكية مساعدتها لكل من غواتيمالا، السلفادور، هندوراس، سوريا والأراضي الفلسطينية، التي تعرضت ميزانيتها وأنظمة الرعاية الصحية لديها بالفعل لضغوط كبيرة، كما أعلن "دونالد ترامب" خلال سنة 2018 داخل الأمم المتحدة، أنّ المضي قدمًا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية سيتضمن تقديم المساعدة فقط لكل من يحترموننا أو الأصدقاء بمعنى أوضح.

إلاّ أنّ "دونالد ترامب" لم يتجاهل المساعدات الخارجية كليًا، فمنذ بداية الأزمة، فعلى الرغم من إعلان الإدارة الأمريكية عن مساعدات دولية إضافية بقيمة 274 مليون دولار، لكن أشار بعض الخبراء إلى أنّ هذا المبلغ غير كاف أيضًا في وقت يُعاني فيه بالفعل أكثر من مليون شخص في جميع أنحاء العالم من الفيروس القاتل، وتقلص الميزانيات الوطنية في كل مكان، ويتجه الاقتصاد العالمي إلى الركود الشديد. وعليه، تأتي التخفيضات التي أقرتها الإدارة الأمريكية فيما يتعلق بالمساعدات الخارجية بنتيجة عكسية؛ ففي 23 مارس 2020، أعلن وزير الخارجية "مايك بومبيو" عن خطط لخفض المساعدات المقدمة لأفغانستان بمقدار مليار دولار سنة 2020 وهدد بقطع مليار دولار أخرى سنة 2021، في الوقت الذي تُعانى فيه الحكومة الأفغانية بالفعل من ضائقة مالية وتحصل على حوالي 75%من إيراداتها من خلال المنح الدولية، كما أنّ البنية التحتية للصحة العامة رديئة بالفعل، لذا، يشير الخبراء الاقتصاديين إنه إذا تبنت كابول إجراءات تقشفية كباقي دول العالم في ظل أزمة تفشي "COVID-19"، من المتوقع أن تنهار حكومتها الهشة بالفعل. وفي هذا

السياق، أقر وزير الصحة العامة الأفغاني في 24 مارس 2020 إنه من المتوقع أن يصاب ما حوالي 16 مليون أفغاني، كما لن تقتصر المشكلة على أفغانستان فقط، فوفقًا "لوكالة الحدود الأوروبية فرونتكس"، عبر حوالي 17000 أفغاني بحر إيجه إلى أوروبا سنة 2019، ومن المتوقع أن يصل العدد إلى ضعف هذا العدد سنة 2020، لذا من المحتمل أن تؤثر البيئة الهشة صحيًا بالسلب على الدول المجاورة.[1]

في حين تستخدم الصين الأزمة لإظهار استعدادها للقيادة بصفتها الدولة الأولى التّي عانت من الفيروس وتعافت منه. هذه القُدرة على التعافي منحتها فرصة كبيرة للتأثير على سلوك الدول الأخرى بفضل طريقتها الجيّدة في مُعالجة الأزمات وبفضل مخزونها الكبير من المعدات الطبية.[2]

وعليه وبناءاً على ما سبق فانّ الولايات المتحدة الأمريكية، ومنذ تولى "دونالد ترامب" الحكم في جانفي 2017، شهدت تحولاً ملحوظاً في سياستها الخارجية ومدى فعاليتها.الأمر الذي انعكس بدوره على مكانتها في النظام الدولي وخاصة في ظل صعود العديد من القوى على رأسها الصين وروسيا. وهو ما أثار الجدل حول بداية تبلور نظام دولي متعدد القطبية. وقد جاءت أزمة فيروس كورونا لتكشف لنا عن مستوى القوة لهذه الأخيرة والتي ظلت مهيمنة بـــــ مفردها على قمة النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي سنة 1991حتى وقتنا الحالي. ففي ظل انتشار هذا الفيروس في العديد من الدول وتزايد معدلات الإصابة والوفيات وتدهور الاقتصاد العالمي لم تقم

(1) فيلي جوردون، "أمريكا أولاً.....أسطورة حطتها أزمة كورونا وأعادت ترامب لمربع الصفر"، المرجع/ دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، موقع: https://www.almarjie-paris.com/، 10/05/2020.

(2) ماهر لطيف، "تفشي فيروس كرونا وتفكك الروابط العالمية"، المركز العربي للبحوث والدراسات موقع: http://www.acrseg.org/، 24/09/2020.

الولايات المتحدة الأمريكية بالدور المنوط به تجاه دول النظام العالمي باعتبارها الدولة الوحيدة القائدة في هذا النظام، أين تخلت عن حلفائها من حيث تقديم المساعدة والدعم لهم هذا من جهة، وحتى احتواء الأزمة في الداخل الأمريكي من جهة ثانية واتهام الرئيس الأمريكي بإتباع سياسة فوضوية في التعامل مع الأزمة. هذا وقد كشف فيروس كورونا عن مدى هشاشة البنية الأساسية للمنظومة الصحية الأمريكية، حيث تعد هذه الأخيرة حتى الآن أكبر دولة في العالم من حيث معدلات الإصابة والوفيات في ظل عدم القدرة على احتواء انتشار الفيروس داخل البلاد. ومن ثم بدأ التشكيك في الصورة التي تُصدرها دائماً عن نفسها باعتبارها دولة عظمى قادرة على مواجهة كافة التحديات والأزمات .[1]

- **الصين:**

على الرغم من أنّ الانتشار السريع لـ فيروس "كورونا" أثار حالة من القلق العالمي، إلاّ أنّ الخبرات المتراكمة لـــ بكين في التعامل مع أوبئة مماثلة مثل "سارس" مكّنها من إدارة الأزمة بـــ شكل مختلف هذه المرة لـــ مواجهة الانتقادات التي وُجِّهت لها سابقًا والتي أثّرت على صورتها على المستوى الدولي، حيث قامت بكّين بـــ الإعلان بـــ شفافية عن عدد الحالات المصابة، وسعت لاتخاذ التدابير اللازمة لـــ مواجهة الفيروس بشكل سريع؛ إلاّ أنّ البعض وجّه إليها انتقادات، مشيرين إلى أنها قامت بإخفاء انتشار الفيروس لفترة طويلة، ولم تقم بإصدار بيانات تتسم بـــ الشفافية عنه إلاّ بعد أن أصبح غير قابل للإخفاء. وعليه فان مدى فعالية إدارة الأزمة الحالية قد يُمثّل فرصة لبكين لتحسين صورتها وسمعتها على المستوى الدولي من خلال الحضور المكثف

(1) ياسمين محمود، "مستقبل النظام الدولي ما بعد كورونا... هل ستتغير خريطة القوى العالمية؟"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 03/10/2020.

لها في كيان العالم المعولم، الذي سيكون له انعكاسات لا على المستوى الجيو-سياسي ودورها العالمي فحسب، بل في لمعان صورتها كقوة اقتصادية قادرة على تدبير الأزمات الوبائية .

- لماذا ووهان؟

تم إبلاغ مكتب منظمة الصحة العالمية في الصين، في 31 ديسمبر 2019، بـــ وجود 27 حالة مصابة بـــ الالتهاب الرئوي نتيجة فيروس مجهول في مدينة "ووهان" بـ مقاطعة هوبي في وسط الصين. وفي 1 جانفي 2020، قامت السلطات الصينية بـــإغلاق "سوق هوانان" للمأكولات البحرية وبيع الحيوانات الحية في نفس المدينة، والذي اكتشفت السلطات الصينية أنه بؤرة لتفشي هذا الفيروس الجديد الذي سُمّي بـ "فيروس كورونا الصيني". وفي اليوم 9 من نفس الشهر تم الإبلاغ عن أول حالة وفاة تحدث بسبب الفيروس الجديد. وقد أشارت أصابع الاتهام إلى أنّ "سوق هوانان" لـ بيع الحيوانات الحية في مدينة "ووهان" كان السبب وراء انتقال المرض من الحيوانات المصابة إلى البشر، حيث ارتبطت كافة الحالات الأولى للمرض بهذا السوق. أين أشار عددٌ من العلماء إلى أنه نتيجة تشابه هذا الفيروس الجديد مع "فيروس سارس" الذي يُصيب الخفافيش والثعابين، فمن الممكن أن تكون شوربة الخفافيش أو أكل لحوم الثعابين أحد أهم أسباب انتقال المرض إلى البشر.[1]

في المقابل، تُشير بعض التحليلات إلى أنّ "مختبر ووهان الوطني للسلامة البيولوجية" Wuhan National Biosafety Laboratory الذي يقع على بعد 20ميلًا من "سوق هوانان"، هو سبب انتقال وتفشي الفيروس الجديد، وقد تم

(1)إيمان نخري، " خبرة "سارس": كيف تدير الصين أزمة انتشار فيروس كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 08/10/2020.

افتتاح هذا المختبر في مدينة "ووهان" سنة 2017 لـ دراسة فيروسات "السارس والإيبولا" على الحيوانات، وتم بناء المختبر ليلبي معايير المستوى "BSL-4" للسلامة البيولوجية، وذلك لـــــ مجابهة أعلى مستوى من المخاطر البيولوجية. ولكن حذّر عدد من العلماء الأمريكيين من افتتاح هذا المختبر، وأكدوا أنّ هناك فرصة كبيرة لـ تسرب أي من الفيروسات التي تخضع للدراسة وتحورها، واستشهدوا بواقعة تسرب "فيروس سارس" من المختبرات الصينية سنة 2004 وذلك أثناء إجراء دراسات عليه. لذا يعتقد بعض العلماء أنّ الفيروس قد يكون تسرب من "مختبر ووهان" إلى بعض الحيوانات في"سوق هوانان" بشكلٍ ما، وأنه انتقل إلى البشر بسبب استهلاك لحوم الخفافيش أو الثعابين.

- أزمات مماثلة:

لا يُعد "كورونا" الفيروس الأول الذي يظهر أولًا في الصين ثم ينتشر إلى عدد من دول العالم. ففي سنة 2002، كانت الصين أيضًا مركزًا لـــ ظهور وانتشار فيروس "سارس" ""SARS في 26بلدًا آخر. والتي كانت بدايته مشابهة لـ فيروس "كورونا" الجديد، حيث بدأ ظهور "فيروس السارس" أيضًا في أسواق الحيوانات الحية في الصين، ويعتقد أنه فيروس يُصيب الخفافيش التي بدورها أصابت "قطط الزباد" التي يتم بيعها في أسواق الحيوانات الحية في الصين ويأكلها الصينيون[1]. وعلى الرغم من أنّ "السارس وكورونا" ينتميان لنفس السلالة الفيروسية؛ إلاّ أنّ "السارس" يختلف عن كورونا في أعراضه، أين تتمثل هذه الأخيرة -في بدايتها- في الإنفلونزا الموسمية والارتفاع الطفيف بدرجة الحرارة، وآلام العضلات والإسهال في بعض الأحيان، وتتطور إلى حمى والتهاب رئوي. في حين تتمثل أعراض "كورونا" في ارتفاع درجة الحرارة، يليها سعال جاف، ثم صعوبة في التنفس تصل إلى الالتهاب الرئوي والفشل الكلوي.

(1) المرجع نفسه.

ولكن الأخطر هو أنّ فترة حضانة فيروس "كورونا" الجديد تتراوح من يوم إلى 14 يومًا، وأنّ الفيروس مُعْدٍ خلال فترة الحضانة، وهو ما لم يحدث مع فيروس "السارس"، ممّا يعني أنّ فيروس "كورونا" الجديد أشد وأخطر وأكثر قدرة على التحور والانتشار من "السارس"، وهذا ما أكده وزير الصحة الصيني . هذا وقد مثّل "السارس" كابوسًا للقارة الآسيوية، حيث أصاب أكثر من 8000 شخص وراح ضحيته نحو 800 شخص، وكلف الاقتصاد العالمي ما بين 40 مليار دولار و60 مليار دولار وخسر 2,8 مليون صيني وظائفهم بسبب انخفاض الاستثمارات وإغلاق الشركات الأجنبية. (1)

- تداعيات الفيروس:

تبذل بكين قصارى جهدها للسيطرة على هذا الفيروس وعدم تحوله لوباء عالمي، ليس فقط للحفاظ على صورتها العالمية، وتجنّب اللوم الدولي حيال انتشار الوباء، ولكن من أجل تعزيز رصيد النظام الحالي، فأي فشل في إدارة هذه الأزمة سيكون له مردود سلبي على نظام "شي جين بينج" الذي عمد إلى تركيز السلطات بشكل كبير في يده منذ قدومه إلى سدة السلطة، وبالتالي فإن أي إخفاق سيُعتبر فشلًا شخصيًا له، وستكون له عواقب وخيمة على المدى القصير من فقدان الثقة في النظام الحالي، وعلى المدى المتوسط والطويل سيُعزز ذلك فقدان الثقة في آليات عمل النظام الصيني ككل، مما قد يؤثر على استمراريته واستقراره. وفي هذا الإطار، يُمكن الإشارة إلى أبرز تداعيات هذا فيروس على المستوى المحلي والإقليمي وذلك فيما يلي:

على مستوى الأمن الصحي: يبدو - وأنّ المقولة القائلة والقائمة على "تأثير الأوبئة في سقوط حضارات وصعود حضارات أخرى"- أنّ الصين تعدّ ولو مؤقتاً الجواد الرابح في الحرب الكونية ضد "كورونا"، بما أثبتته من دور

(1) المرجع نفسه.

مرموق في مكافحة الوباء، وإدارة محكمة في تدبير المعالجة والتصرف، وتضييق الخناق عليه، حتى أنّ المدينة التي ظهر فيها " ووهان" عادت لحياتها الطبيعية، ودبّت الحياة في شرايين المجتمع الصيني من جديد. وجاءت زيارة الرئيس الصيني لها مباشرة بعد انحسار الوباء، حدثاً محمّلاً برسائل بليغة للعالم، وبدلالات عميقة على مناعة الصين، وقوة منظومتها الصحية نسبياً وجاهزيتها للزعامة. ولم تكتف بذلك فحسب، بل زادت من تلميع صورتها "القيادية" من خلال تقديم المساعدات للدول المتضررة من انتشار هذا الوباء بما في ذلك الولايات المتحدة ذاتها، فكسبت أيضًا معركة التضامن العالمي، وساهمت بذلك بنصيب في التخفيف من تخوفات العالم ، وإظهار نفسها في صورة البطل المنقذ، ممّا يحيل على جدارتها في التربّع على عرش الزعامة العالمية[1]. وهذا انطلاقاً من توظيف خبرة "سارس" إذ سعت بكين للاستفادة من خبرة مكافحة "السارس"، حيث قام الرئيس الصيني "شي جين بينج" بالإعلان عن أنّ فيروس كورونا الجديد ينتشر بسرعة، وأنّ الوضع خطير، وذلك في محاولة منه لإثبات شفافية الصين في تعاملها مع الأزمة، وتم تشكيل لجنة مركزية لمجابهة هذا المرض. كما أكّد مسؤولون صينيون في الحزب الشيوعي أنّ من سيثبت إخفاؤه أية معلومات حول هذا الفيروس سيكون ارتكب خطأ فادحًا، وألحق العار بالشعب الصيني والحزب الشيوعي . خاصة بعدما شكّل فيروس "سارس" تحديًا كبيرًا للصين كأزمة صحية وأزمة سياسية، حين وجّهت منظمة الصحة العالمية (WHO) انتقادًا لها آنذاك بسبب عدم انفتاحها بشكل كافٍ، واتهمتها بعدم الشفافية حيال معدلات انتشار الفيروس، وكذلك عدم وجود تنسيق كافٍ لمكافحة المرض بين مستشفيات

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع سبق ذكره.

ومراكز علاج الفيروس، مما أثّر سلباً على صورة الصين الدولية في ذلك الوقت.[1]

على مستوى البحث العلمي: لا تزال المختبرات الصينية منكبّة ليل نهار على إنتاج لقاح يُهدئ من روع العالم، ويقضي نهائياً على فيروس "كورورنا" العدو المشترك للإنسانية. هذا دون إغفال تصدّر الصين للائحة براءات الاختراع العلمي، مصداق ذلك ما ذكرته "المنظمة العالمية للملكية الفكرية" في 7 أفريل 2020 أنّ الصين تجاوزت الولايات المتحدة في عدد براءات الاختراع لأول مرة منذ سنة 1978[2].وهذا من خلال "الروبوتات بديلًا مكملًا للطواقم الطبية والمعاونة في المستشفيات، سيارات إسعاف بدون سائق لنقل المرضى وتوصيل المواد الطبية، الطائرات بدون طيار للتوعية والتطهير والمسح الطبي للأفراد، جلسات تشخيص فورية عن بعد لتحديد حالة المرضى، استخدام البيانات العملاقة لتتبع خط سير المصابين، الاعتماد على تطبيقات الهواتف الذكية لمراقبة المرضى، شاشات وكاميرات ذكية للكشف عن الحالات المصابة، الطباعة ثلاثية الأبعاد لبناء غرف العزل الصحي".[3] كل هذا الصعود السريع للصين، يُؤكد تحوّل بوصلة مركز الابتكارات العلمية نحو الشرق.

على المستوى الإنتاج الاقتصادي: يُتيح لها الأخذ بناصية الزعامة، فقد حققت الصين المعجزة الاقتصادية كما يشهد بذاك انتقالها من المركز السادس دولياً بناتج كان يقدر بـ 1.6 ترليون دولار سنة 2003، إلى

---

(1) إيمان نخري، المرجع سبق ذكره.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع سبق ذكره.

(3) إيهاب خليفة، "الإدارة الذكية كيف توظف الصين التكنولوجيا لمكافحة فيروس كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 16/05/2020.

المركز الثاني بعد الولايات المتحدة بناتج 14 مليون دولار. وتُشير مؤسسة "كولدمان ساكس" في هذا الاتجاه أنّ الاقتصاد الصيني سيحتل المرتبة الأولى في أفق سنة 2027، مع محاولة إقامة نظام مالي بديل يُقزّم سلطة الدولار، ويُقلّص من هيمنته على شرايين الاقتصاد العالمي. وحسب توقعات بعض الخبراء، فثمة إمكانية تعويض عملتي "الدولار والأورو" بـــ عملة عالمية جديدة تتماشى مع المنهج الاقتصادي الجديد الذي ستقوده الصين مستقبلاً.

يبدو أنّ الصين فطنت إلى ما عرفته شبكة الحضارات العالمية من تغيرات تحت تأثير الجغرافيا الاتصالية التي عوّضت مفهوم الحدود والدول، بمدى فعالية شبكة المواصلات وخطوط أنابيب النفط والغاز الطبيعي، وكابلات الإنترنت وتقنيات الاتصال، وتمكّنت في هذا الصدد من تأسيس البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية الذي يسعى بـــ التعاون مع منظمات أخرى إلى إنشاء شبكة طريق الحرير الذي من المنتظر أن يمتدّ من شانغهاي الصينية إلى العاصمة البرتغالية لشبونة، ويكرّس تُمدّد التنين الصيني. فقد حدثت هذه اليقظة الاقتصادية الصينية في وقت بدأ العالم يشهد تحولاً في طبيعة الاقتصاد المعولم الذي تتابعت أزماته ولحقت به دورات من الركود، لعلّ أهمها أزمة 2008، والأزمة الحالية. أين يرى المتخصصون أنّ العالم بدأ يلج مرحلة الكساد العظيم، وأنّ الأسوأ على الأعتاب، ممّا يُنذر بـــ عواقب وتداعيات اقتصادية خطيرة، بدأت ملامحها من خلال تأكيد صندوق النقد الدولي أنّ النتائج المترتبة عن وباء "كوفيد المستجد" ستكون أفظع كارثة اقتصادية عرفها التاريخ منذ سنة 1929، وأنّ أكثر من 170 دولة من الدول الأعضاء في الصندوق ستشهد انكماشاً في الدخل الفردي.[1]

(1) ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع سبق ذكره.

هذا وأمام هذا المشهد الكارثي للاقتصاد العالمي، اتضح لدى الخبراء الاقتصاديين من خلال متابعة ومراقبة المستجدات التي أحدثتها جائحة كورونا التي انتشرت في الصين خلال المرحلة الأولى، أنّ التوقف الجزئي للصناعة الصينية، أحدث شرخاً في الاقتصاد العالمي، بحكم أنّ النصيب الأوفر من متطلبات السوق العالمية يأتي من الصين، ممّا شكّل ثغرة لم تتمكن أي دولة من سدّها. وممّا زاد الطين بلّة في ظل هذا الاقتصاد العالمي المتدهور، ظهور مؤشرات تنطق بوجود حرب باردة بين أمريكا والصين لم تسكتها وخزة "فيروس كورونا". فإتباع إستراتيجية أمريكية عقابية تجاه الصين قبيل جائحة كورونا بفرض رسوم جمركية بنسبة 10٪ على البضائع الصينية بقيمة 300 مليار دولار، وردّ الصين عليها بإجراءات مماثلة على منتجات أمريكية، عكست الوضع الاقتصادي المتردي. وجاء وباء "كورونا" ليصبّ الزيت على النار، وتجلت مشاهد هذه الحرب الأمريكية- الصينية في التلاسن والاتهامات المتبادلة بين الطرفين، ووصلت إلى حدّ وصف الرئيس "دونالد ترامب" فيروس "كورونا" بأنه "فيروس صيني"، ونصّب نفسه هذه الأيام خلال الندوات الصحفية شبه اليومية التي يعقدها قائد حرب ضد عدوين فيروس "كورونا" والصين التي حمّلها المسؤولية عن تفشيه، والدعوة لمحاسبتها دولياً. كما لم تتوان الصين عن رد الصاع بصاعين، من خلال كيل التهم لأمريكا بأنها المسؤولة عن تصنيع الفيروس في أفغانستان. ولعلّ التقرير الذي أوردته صحيفة "نيويورك تايمز"، يُبيّن مدى هذا الصراع "الكوروني" الذي يضمر وراءه حرباً اقتصادية، منها تصريح المستشار الاستراتيجي السابق لإدارة ترامب، "ستيف بانون"، الذي أكّد فيه قائلاً:"أننا في خضم حرب اقتصادية ساخنة". أين تعكس هذه الاتهامات المتبادلة صراعاً على كرسي الزعامة العالمية، إذ أنّ كل طرف يروم من خلال اتهاماته الاستمرار في الزعامة، أو احتلال موقع إلى جانب الزعيم، أو إبعاد المنافس على الزعامة.

غير أنّ الصين أتقنت فنّ العوم في هذا البحر الهائج، وخرجت من محنتها الوبائية بأقل الخسائر. وفي ذات الوقت نجحت في الهيمنة على الشركات الأمريكية التي انسحبت من الصين بعد ظهور الوباء، فاشترت الأسهم التجارية، واستفردت بعائدات الأرباح، لتعوض الخسائر المادية التي تكبدتها خلال الجائحة، بل حولت هذه الخسائر إلى مكاسب اقتصادية بفضل حاجة الأسواق العالمية الملحّة للبضائع الصينية. وبعيد انحسار الوباء، تضاعف الإنتاج الصناعي الطبي للصين عشر مرات، وغدت المصانع تصل الليل بـ النهار في إنتاج أجهزة التنفس والمضادات الحيوية، في الوقت الذي لم تستطع أمريكا توفير هذه الأجهزة، لا بسبب قلة اليد، بل برغبة مقصودة، وهو ما تؤكده المعطيات التي أثبتت أنّ إدارة ترامب لم تعمل بـ توصيات مخابراتها التي تنبأت منذ مطلع يناير بأنّ أمريكا توجد في مربع الخطر الوبائي.[1]

فضلاً عن ذلك، أثبتت الصين ذكاءاً سياسياً في التواصل مع دول العالم، خاصة دول الاتحاد الأوروبي، والظهور بـــ "حمار إنساني" من خلال تقديم المساعدات الطبية للبلدان المتضررة من وباء كورونا المستجد. ففي الوقت الذي أدارت أمريكا ظهرها لدول الاتحاد الأوروبي، تاركة إياها تترنح تحت ضربات الوباء، كانت الطائرات الصينية تشقّ الأجواء الدولية، محمّلة بـــ الأجهزة والأطر الطبية، مدعمة هذا الدور الدولي بدعاية مكثفة مررتها عبر الوسائط التكنولوجية، لتقدم نفسها كمحور أساسي في نقل المعطيات والتجارب الصينية حول مكافحة وباء "كرونا".

إنّ هذا الحضور المكثف للصين في كيان العالم المعولم، سيكون له انعكاسات لا على المستوى الجيو- سياسي ودورها العالمي فحسب، بل في انخفاض منسوب ثقة الرأي العام في كفاءة القيادة الأمريكية، والتشكيك في

(1) المرجع نفسه.

قدرتها على مواجهة فيروس "كورونا"، وهزالة مخزونها الاستراتيجي من الإمدادات الطبية، ممّا خلخل صورتها القيادية. كما قزّمت بـــ تلك المساعدات هيبة المؤسسات الإقليمية كالاتحاد الأوروبي، بل حتى المؤسسات الأممية التي فقدت الشعوب الثقة فيها بسبب عجزها، مقابل لمعان صورة الصين كقوة اقتصادية قادرة على تدبير الأزمات الوبائية .

- **روسيا:**

لا شك أنّ مسألة انتشار فيروس "كورونا" في العالم والتغييرات الجيوسياسية التي أحدثها هي التي ستساعد الصين وروسيا على أن تصبحا قوتين عالميتين رائدتين بعد الانتهاء من خطر هذا الفيروس. فحتى الآن ما زالت كل من الصين وروسيا واقفتين على قدميهما بالرغم من أنّ الأولى كانت المركز الأول لانتشار الفيروس في العالم والثانية ما زالت في فترة مكافحة الفيروس على المستوى الداخلي. (1)

إنّ عدد هذه الإصابات في الداخل الروسي وخطر انتشاره بشكل كبير فيها لم يقف عائقاً في وجه روسيا صاحبة الأوضاع الاقتصادية غير الجيدة في استخدام هذا الحدث من أجل إظهار نفسها كقوة عالمية تناوىء الولايات المتحدة في إدارة العالم من خلال تقديم المساعدات الطبية والفنية لعشرات الدول سواء في آسيا الوسطى وايطاليا أو الشرق الأوسط. خصوصاً وأنّ واشنطن حتى الآن لم تستطع مساعدة نفسها أولًا أو أخواتها الأوربيات. سنحاول هنا أن نلقي الضوء على كيفية تأثير انتشار هذا الفيروس على تنفيذ السياسة الخارجية الروسية وكيف استخدمت موسكو التفكك الأوروبي أمام

(1) عمرو الديب، "موسكو وأزمة كورونا... كيف سيعظم ب"وتين" مكاسب السياسة الخارجية الروسية"،المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://marsad.ecsstudies.com/، 19/05/2020.

هذا الوباء لكي تظهر رسالة مفادها أنّ روسيا ليست العدو الذين يتكلمون عنه في أوروبا والولايات المتحدة، بل هي الصديق المستعد لتقديم أي مساعدة.

- الاتحاد الروسي ونظام الأحادية القطبية:

اتهم "فلاديمير بوتين" في خطاب له أمام "مؤتمر ميونخ" للأمن سنة 2007، واشنطن بـــــ تجاوز حدودها، معتبراً أنّ السياسات الأمريكية جعلت العالم أكثر خطراً وأقل أمناً، وأنّ لا أحداً يمكنه حالياً أن يلوذ بـ القانون الدولي للشعور بالأمن. في هذا الخطاب بالذات رفض بوتين مفهوم العالم أحادي القطب الذي تكون فيه الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة، وعبر بالحرف قائلاً: "أيا كانت الطريقة التي يتم بها تجميل هذا المصطلح فإنه يعني مركز سلطة واحدا ومركز قوة واحداً وسيداً واحداً". بالنسبة للعالم الحديث، فإنّ النموذج أحادي القطب ليس فقط غير مقبول، ولكنه أيضا مستحيل عموماً. لكن الأهم من ذلك النموذج نفسه غير صالح، لأنه لا يوجد ولا يمكن أن تكون هناك قاعدة أخلاقية للحضارة الحديثة مع وجوده. فكل ما يحدث في العالم اليوم، هو نتيجة لمحاولات إدخال هذا المفهوم في الشؤون العالمية – مفهوم العالم الأحادي القطب.[1]

يُمكننا القول أنّ كلمات الرئيس الروسي أمام "مؤتمر ميونخ" حينها، كانت تّعتبر إعلان عن العقيدة الروسية في السياسة الخارجية، وهذه العقيدة رأينا تطبيقها بعدها بشهور قليلة في أزمة جورجيا وأوسيتيا الجنوبية سنة 2008وفي الأزمة السورية وفي عملية ضم شبه جزيرة القرم وغيرها من المواقف الروسية المتتابعة التي كانت ترفض تماماً "نظام الأحادية القطبية". فبالرغم من حصول روسيا على عقاب أمريكي-أوروبي في شكل عقوبات اقتصادية منذ سنة 2014 وحتى الآن، إلاّ أنّ المواقف الروسية تجاه مصالحها الإستراتيجية في كل من

(1) المرجع نفسه.

أوكرانيا، الشرق الأوسط وحتى فنزويلا ما زالت صامدة ضد كل هذه الضغوط. وجاءت مسألة انتشار فيروس كورونا في الصين أولًا ثم إيران ومن بعدها إيطاليا وأوروبا وصولًا إلى أراضي الولايات المتحدة لكي تكون فرصة أمام السياسة الخارجية الروسية للتأكيد مرة أخرى على أنه لا يوجد نظام "أحادي القطب"بل هناك قوى عديدة تُشارك الولايات المتحدة في قيادة هذا العالم، خصوصاً وأنّ الصين كما هو واضح لنا استطاعت السيطرة على انتشار وباء كورونا على أراضيها وبدأت مع روسيا وبشكل منفصل تقديم مساعدات طبية للدول التي انتشر فيها هذا الفيروس مثل ايطاليا. أو لبعض دول آسيا الوسطى التي تعمل جاهدة لمنع إنتشار هذا الفيروس على أراضيها.

وقد ساعد ضعف موقف الولايات المتحدة أمام انتشار هذا الفيروس على أراضيها وعدم قدرة النظام الطبي الأمريكي حتى الآن على احتوائه، في هز صورة الولايات المتحدة "أقوى دولة في العالم"والمتحكمة في معظم أرجاء الكرة الأرضية. فبسبب ضعف الأجهزة الحكومية الأمريكية أمام انتشار هذا الوباء، يبدو أنّ المؤمنين بمفهوم العولمة والمؤمنين بقوة الولايات المتحدة سيكونوا قلة في العالم، حتى في داخل الولايات المتحدة ذاتها. بل وجاءت مسألة عرض المساعدة الروسية لواشنطن في جهود مكافحة وباء فيروس"كورونا" ، لـــــ تؤكد على معنى عدم صلاحية النظام العالمي أحادي القطب، فإذا نظرنا لكلمات السفير الروسي في واشنطن عندما عبر قائلاً: " لقد أظهرت مجموعات الاختبار لدينا جودة عالية في الصين وإيران، وتم نقلها إلى إيطاليا. يجب أن يعرف الأمريكيون العاديون أنّ روسيا ستكون مستعدة لمساعدة الولايات المتحدة، إذا لزم الأمر"، نرى أنها تُظهر للعالم مفهوم التكاتف والتعاون بدلًا من الانفراد والاستئثار.[1]

(1) المرجع نفسه.

- المساعادت الروسية لايطاليا:

نشر الجيش الروسي وحدات جيشه في "برغامو" شمال ايطاليا وتم تنفيذ المهام في المدينة نفسها وفي المناطق المجاورة. كما تم انتداب المتخصصين الطبيين إلى المستشفى المركزي في نفس المدينة ومستشفى الضباط في جبال الألب المنتشرين في الضواحي. وقد حدد أخصائيوا الحماية الإشعاعية والكيميائية البيولوجية حتى الآن مهمة تطهير وسائل النقل والمعالجة الخاصة للجدران الداخلية والخارجية للمستشفيات وداخل المستشفيات، وكذلك المركبات التي تنقل الموتى. وفقًا لمعلومات رسمية من وزارة الدفاع الإيطالية، وصل حوالي 120 متخصصًا إلى البلاد، بما في ذلك أخصائيوا الأوبئة وعلماء الفيروسات وشاحنات Kamaz TMS 65U وKDA Orlan للتطهير قادرة على رش ما يصل إلى 5 كيلومترات مربع كل ساعة، ومعدات للمستشفيات المتنقلة، و100 جهاز تنفسي و500 ألف قناع.

هذا وأنّ جميع المتخصصين الذين وصلوا إلى إيطاليا جنرالات ورتب عسكرية أخرى متخصصة في مجال الحرب البيولوجية، منهم المتخصص في الجمرة الخبيثة ومنهم المتخصص في مكافحة انفلونزا الخنازير وخبير في معدات الحماية ضد العوامل البيولوجية ذات الأصل الفيروسي وخبراء شاركوا في برامج مكافحة الإيبولا والطاعون. لذلك كان على الكرملين إظهار أنفسهم بأنهم الجيش الوحيد على أراضي القارة الأوروبية الذي يستطيع مواجهة أي أخطار، فبالرغم من الحملة الإعلامية الكبيرة التي صاحبت مناورات"الدفاع عن أوروبا 2020"والتي كانت موجهة ضد الخطر الروسي، إلاّ أنّ روسيا أظهرت العكس. فمن الواضح أنّ الأوروبيين ليسوا أغبياء لدرجة أنهم لا يلاحظون كيف أنّ "أعداء الأمس" يصبحون منقذين وأصدقاء. وسيتعين على النخب السياسية الغربية، التي من أجل البيت الأبيض أن تخيف مواطنيها مع الكرملين، وأن تكبح حماسهم وتقلل من حملات فوبيا الروس.

ففي نهاية المطاف لا يجب أن ننظر إلى مسألة إنتشار فيروس كورونا كمرض، بل يجب أن ننظر إليه كأزمة كبيرة، والأزمات دائما تُظهر حجم القوة الحقيقي للمؤسسات، خاصة بعدما فشلت تماماً كل المؤسسات الأوروبية في مواجهة أزمة "كورونا" كما فشلت المؤسسات الأمريكية في نفس الأمر، فقط وحتى الآن أظهرت القوات المسلحة الروسية قوة جاهزيتها أمام أزمة انتشار هذا الوباء، بالطبع بالإضافة إلى جمهورية الصين. لذلك هناك فرصة حقيقية أمام السياسة الخارجية الروسية في إظهار نفسها كقوة عظمى، ولكن ليست قوة عظمى تريد استعمار الدول الأخرى وإنما قوة جاهزة للمساعدة، حتى مساعدة الدول التي تفرض عليها عقوبات اقتصادية. وبذلك إذا استطاعت روسيا كبح هذا الوباء على أراضيها، فسيكون شكل العالم بعد التخلص من خطر الوباء عالميًا بلا أدنى شك متغير إلى حد كبير. فالدولة التي مدت يد العون للدول المتضررة سيكون من الصعب تصويرها بعد ذلك كدولة تمثل خطر على أمن أوروبا وأمن الولايات المتحدة.[1]

- **الاتحاد الأوروبي:**

باتت أوروبا البؤرة العالمية لـ وباء فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" منذ بداية شهر أفريل الماضي، ورغم الارتفاع المتسارع في حالات الإصابات والوفيات خلال شهري فيفري ومارس في إيطاليا التي كانت أول الدول الأوروبية وأكثرها تضرراً بـ الوباء بل وتسجيلها أعلى نسبة إصابات في العالم آنذاك، إلاّ أنّ استجابة الاتحاد الأوروبي اتَّسمت بـــــ البُطء الشديد، وبدت مؤسساته بادئ الأمر غير مُدركة لـــــ حجم الخطر الذي يتهدد الدول الأعضاء به، أين وُصفت الاستجابة الأولية للاتحاد بـ الارتباك ممّا عرضه لانتقادات شديدة من الدول الأكثر تضرراً مثل إيطاليا واسبانيا، هذا وحذَّر الرئيس

(1) المرجع نفسه.

الفرنسي "إيمانويل ماكرون" من انهيار الاتحاد الأوروبي كمشروع سياسي في حال لم يتخذ خطوات جدية في دعم اقتصادات الدول المنكوبة. فبينما منعت ألمانيا في البداية تصدير أي مُعدات طبية خارج حدودها بما في ذلك إلى دول الاتحاد واستولت جمهورية التشيك على شحنة من معدات الحماية الطبية المُصدرة من الصين إلى إيطاليا، سارعت الدول الأوروبية الأخرى إلى إغلاق حدودها المحلية بما اعُتبر تقويضاً لمبادئ أساسية قام عليها الاتحاد مثل حرية الحركة للبضائع والأفراد، ورغم وجود سند قانوني استندت عليه الدول الأوروبية لاتخاذ هذا الإجراء، إلاّ أنها تعرضت للانتقاد الحاد لقيامها بذلك بسبب أنّ قراراتها اتُخذت بصورة فردية وحمائية دون وجود لأدنى تنسيق أو تشاور مع الاتحاد ومؤسساته، وفي ظل كل هذا التشقق في جدار الوحدة الأوروبية، كان الجيش الروسي ينقل إلى إيطاليا المعدات الطبية، شأنه في ذلك شأن الطائرات الصينية التي هبطت في إيطاليا حاملة شحن المساعدات العاجلة من تلك المعدات، ووصول وفود الأطباء الكوبيين الذين سارعوا لـــــ تلبية الاستغاثة الإيطالية التي لم تلق استجابة أوروبياً آنذاك.[1]

- **فيروس كورونا يخلط أوراق الاتحاد الأوروبي:**

أبانت أزمة كورونا عن هشاشة مبدأ التضامن بين دول الاتحاد الأوروبي وكذا التأخير في إدارة الأزمة ومرافقة الدول المتضررة منها. هذا راجع بـــ الأساس إلى تنامي الأنانية الوطنية بين الدول الأعضاء ممّا سيكون له انعكاسات على روابط وتماسك الاتحاد هذا من جهة. ومن جهة أخرى هناك انقسامات بين دول الشمال ودول الجنوب، أين رفضت دول الشمال كألمانيا وهولندا طلب الاستعانة الجماعية كانت قد تقدمت به كل من إيطاليا وإسبانيا بـ

(1) "تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 13/10/2020.

دعم من فرنسا، بلجيكا وغيرها من دول الجنوب .[1] فمن المتفق عليه ومنذ تكتل الدول الأوروبية في كيان واحد يُسمى بـ "الاتحاد الأوروبي"، هو التعاون المشترك والتنسيق المتبادل في مختلف القضايا والمسائل والأزمات. إلاّ أن جائحة "فيروس كورونا" أظهرت العكس خاصة بعدما تأخر الاتحاد كثيرا في إدارة الأزمة الصحية ومرافقة الدول الأعضاء في سبيل السيطرة على الفيروس. فالاتحاد الأوروبي اليوم وجد نفسه تحت ضغوطات انتشار الفيروس بشكل متسارع، متبوع باستنزاف في قدرات القطاع الصحي للدول الأعضاء المتضررة، لتشهد أوروبا قرارات متسرعة وغير مضبوطة أحيانا، وغير عقلانية أحيانا أخرى، لاسيما في المراحل الأولى لبداية انتشار فيروس كورونا في أوروبا.[2] هذه التفاعلات جعلت الخبراء والباحثين يُرجحون فرضية تفكك الاتحاد مستقبلاً، خصوصاً بعد الأزمة الاقتصادية المتوقعة بعد هذا الوباء العالمي.[3]

- الاستجابة الأولية للاتحاد الأوروبي:

رغم اعتراف الاتحاد الأوروبي بـــــ الخطأ في التعامل مع الحالة الإيطالية وتقديم اعتذار رسمي من رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لاين" عن خذلان الاتحاد لـــــ إيطاليا، إلاّ أنّ هذا الأخير لم يتوصل إلى الاتفاق على خطة الدعم الاقتصادي لـ مواجهة الأزمة إلاّ في العاشر من

(1) سمر الخمليشي، "رهانات التعاون الدولي في ظل أزمة كورونا"، المعهد المصري للدراسات، موقع: https://eipss-eg.org/، 12/10/2020.

(2) وحدة الدراسات والتقرير، "انعكاسات فيروس كورونا على روابط وتماسك الاتحاد الأوروبي"، المركز الأوروبي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات، موقع: https://www.europarabct.com/، 12/10/2020.

(3) سمر الخمليشي، المرجع سبق ذكره.

أفريل الماضي بالرغم أنّ بداية ذلك الشهر شهدت وصول كل من ألمانيا إيطاليا إسبانيا فرنسا وبلجيكا إلى ذروة معدل الإصابات اليومية فيها. هذه الخطة التي تُقدر بـــ حوالي 7 إلى 8 % من الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد، اتُخذت إلاّ بعد عشرات المناقشات التي رأى مراقبون أنها أضاعت وقتاً ثميناً على الدول المتضررة لـــ تلافي المزيد من الأضرار التي تعرضت لها اقتصاداتها .هذا وتمثلت الخلافات حول خطة الدعم الاقتصادي بدايةً حول ما يُعرف باسم "سندات الكورونا"، وهي عبارة عن آلية للضمان المشترك من قبل دول الاتحاد لـ سندات الدين التي قد تحتاج إلى إصدارها الحكومات المتضررة اقتصادياً من الأزمة، وهو ما يُعرف بـــ الديون المتبادلة بين دول منطقة "اليورو"، حيث رفضت ألمانيا وهولندا ودول أخرى في شمال أوروبا في البداية مطالبات إيطاليا وإسبانيا وبرتغاليا بـ السماح لها بـ الاقتراض عبر إصدار سندات كورونا، ويُعزى هذا الخلاف إلى عدة نقاط أهما:

ـ افتقار الاتحاد الأوروبي إلى سياسة مالية موحدة.

ـ الأزمات المالية المتكررة والإصلاحات المؤسسية المتعثرة.

ـآثار أزمة الديون السيادية سنتي 2011/2012 حيث لم يحسم الجدل لـــ غاية الآن بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي حول ما إذا كان الأولى هو تجميع الديون أو إصلاح الاقتصادات المتعثرة أولاً. ويمكن تقسيم تعثُّر استجابة الاتحاد الأوروبي الأولية لـ مواجهة الأزمة إلى ثلاثة مستويات:[1]

المستوى المالي النقدي: لا يزال الاتحاد الأوروبي يُعاني من عدم وجود سياسة نقدية موحدة؛ فمنطقة "اليورو" نفسها أُنشئت على أسس ضعيفة بـــ سبب الفشل في إنشاء اتحاد مالي يُؤسس لـــ سياسة نقدية واحدة، وبسبب الوسائل غير الكفؤة في إدارة الأزمات، إضافة إلى الاستهانة بـــ معايير الانضمام إلى

(1) "تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، المرجع سبق ذكره.

العملة الموحدة. هذه المشاكل البنيوية والفنية أدت إلى حلول غير فعالة وغير مكتملة في أزمات مالية سابقة واجهها الاتحاد مثل الأزمة المالية العالمية 2007/2008، وأزمة الديون السيادية 2011/2012. وقد انعكس عدم وجود آليات وسياسات نقدية واضحة على سبل معالجة الصدمات الاقتصادية الناتجة عن أزمة كورونا في الدول الأوروبية، على إنتاج مزيجاً غير مستقر من الإجراءات المتضاربة في بعض الأحيان بين مؤسسات الاتحاد وبين حكومات الدول الأعضاء. فعلى سبيل المثال، وفي الوقت الذي يسعى البنك المركزي الأوروبي لـ تثبيت سوق الديون الأوروبية، لم تلتزم الدول الأكثر تضرراً اقتصادياً واستمرت في إصدار ديونها الخاصة كإجراءات عاجلة قصيرة الأمد وكحلول سريعة لـ مواجهة الضغوط المتزايدة عليها.

المستوى المؤسساتي: يُواجه الاتحاد الأوروبي منذ نشأته مشكلة في آليات اتخاذ قراراته والجدل القائم حول اتخاذ القرارات الحاسمة بـ الأغلبية أم بـ الإجماع، فرغم توسع صلاحيات مؤسسات الاتحاد في اعتماد آلية اتخاذ القرارات بـ الأغلبية بدلاً من الإجماع، إلاّ أنّ الصدام بين التكنوقراط داخل مؤسسات الاتحاد وبين السياسيين من حكومات الدول الأعضاء في الاتحاد برز بـ شكل واضح خلال أزمة الديون السيادية سنتي 2011/2012، وعاد للظهور بـــ نفس القوة خلال مناقشة سُبل مواجهة الاتحاد لأزمة وباء كورونا؛ فهذا الأخير ومؤسساته ومسؤولوه لديهم آليات تُمكّنهم من اتخاذ قرارات بـــ موجب السلطة الممنوحة إليهم من الدول الأعضاء في هذه الدول، لكن هذه الآليات نفسها تحتاج إلى موافقة الدول الأعضاء حتى تصبح فعالة.

المستوى السياسي: خلال الأزمة الحالية بدا واضحاً أنّ الدول الأعضاء ترددت بين إظهار التضامن مع الوحدة الأوروبية وبين الضغوط السياسية الداخلية التي تُواجهها بـ سبب المواقف المختلفة لـ شعوبها من أزمة كورونا خلال الأشهر الثلاث الأولى على الأقل من الأزمة، حيث نتجت هذه المواقف المتباينة

بسبب الآثار المتباينة للأزمة على المستويين الصحي والاقتصادي لهذه الدول، والتي تفاقمت داخلها الضغوط السياسية، على خلفية موجة الشعبوية والتشكيك بـ الاتحاد الأوروبي التي تقودها جماعات وأحزاب اليمين المتطرف التي شهدت السنوات الخمس الأخيرة تنامي تأثيرها في أوروبا.[1]

- الخطة الأوروبية لمواجهة أزمة وباء كورونا المستجد:

عقد رؤساء الدول والحكومات الأوروبية في 10 مارس 2020، مؤتمراً عبر الفيديو "كونفرانس" للاتفاق على السبل المشتركة لمواجهة فيروس "كورونا"، حيث تم التشديد على ضرورة إتباع نهج أوروبي مشترك وتنسيق وثيق مع المفوضية الأوروبية، والتأكيد على وزراء الصحة ووزراء الداخلية بضرورة التشاور يومياً لـــ ضمان التنسيق المناسب من أجل التوجيه الأوروبي المشترك. وخلال الاجتماع تم تحديد 4 أولويات:

التنسيق والمشاورة: اتفقت الدول الأعضاء على أنّ التدابير التي سيتم اتخاذها يجب أن تستند إلى المشورة العلمية والطبية من خلال المركز الأوروبي للوقاية من الأمراض ومكافحتها ECDC، وأن تكون تلك التدابير متناسبة بحيث لا تكون لها نتائج مفرطة على المجتمعات الأوروبية. كما اتفق القادة كذلك على أنهم سيتبادلون جميع المعلومات ذات الصلة من خلال تعزيز آليات التنسيق القائمة.

توفير المعدات الطبية: تم الاتفاق على تكليف المفوضية بتحليل الاحتياجات، والخروج بمبادرات لمنع نقص المعدات الطبية، وأبلغت المفوضية أنها ستواصل ارتباطها بالصناعة وتتابع المشتريات العامة المشتركة. علاوة على ذلك، تعتزم المفوضية شراء معدات الحماية الشخصية من خلال إطار الحماية المدنية الأوروبي" "RescEU، مع إبلاء اهتمام خاص للأقنعة وأجهزة

(1) المرجع نفسه.

التنفس. وفي هذا السياق دعت المفوضية في 28 فيفري و17 مارس الشركات والمنتجين إلى تقديم عطاءات بشأن المعدات الطبية، وبالفعل حتى 24 مارس قدم المنتجون عروضًا تُغطي الاحتياجات التي طلبتها الدول الأعضاء. وتجدر الإشارة إلى أنّ دور المفوضية في هذا الصدد تنسيقي فقط، ولا تشتري المعدات نيابة عن الدول.[1]

هذا واقترحت المفوضية في 19 مارس 2020 إنشاء مخزون استراتيجي من المعدات الطبية لإنقاذ الاتحاد الأوروبي كنوع من الاحتياطي الأوروبي المشترك، معلنة تمويلها 90٪ من تكاليف التخزين وإدارة توزيع المعدات للتأكد من أنها تذهب إلى حيث تشتد الحاجة إليها داخل أوروبا. كما وافقت هذه الأخيرة في 20 مارس على أنّ جميع المعايير الأوروبية سيتم توفيرها بشكل استثنائي مجانًا للشركات المهتمة بهدف زيادة القدرات الإنتاجية الأوروبية بما سيسمح بتصنيع أجهزة عالية الجودة، مثل: الكمامات، والقمصان الطبية، والمطهرات، وأدوات التعقيم، وغيرها، وضخها في الأسواق المحلية.

دعم البحث العلمي: شددت الدول الأعضاء على أهمية تعزيز الجهود في مجال البحث لاسيما فيما يتعلق بإنتاج اللقاح، وقد قامت المفوضية بـــ الفعل بتوفير 140 مليون يورو للأبحاث العلمية، واختارت 17مشروعًا للقيام بذلك.

مواجهة تداعيات الوباء: اتفقت الدول الأعضاء على الاستعداد لاستخدام جميع الأدوات اللازمة لمواجهة التداعيات الناتجة عن الفيروس، بالتركيز على دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة والقطاعات المتضررة وموظفيها. وستكون هناك

(1) باسم راشد، " فاعلية مفقودة: هل يتجه الاتحاد الأوروبي إلى التفكك بعد أزمة أوروبا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 14/05/2020.

حاجة إلى تطبيقٍ مرنٍ لقواعد الاتحاد الأوروبي على وجه الخصوص فيما يتعلق بمساعدة الدول على الاستقرار والنمو.

وفي هذا الإطار، أعلنت المفوضية الأوروبية في مارس 2020 عن تخصيص نحو 40 مليار دولار لمواجهة أزمة "كورونا"، كما دعت 9 دول أوروبية في نفس الشهر نُظراءها في الاتحاد الأوروبي إلى إصدار ما أسمته "سندات كورونا"، وهي أداة دين جديدة تجمع بين الأوراق المالية من دول أوروبية مختلفة، خاصة في ظل تزايد الضغط في القارة للتوصل إلى طرق جديدة للتخفيف من الأثر الاقتصادي لفيروس كورونا، وهو الأمر الذي يظل حتى الآن موضع جدل بين دول الاتحاد.إضافة لما سبق، تم تفعيل الاستجابة المتكاملة لأزمة انتشار وباء كورونا في أوروبا، وتم تفعيل دور مركز تنسيق الاستجابة للطوارئ التابع للمفوضية الأوروبية والذي يلعب دورًا رئيسيًا في جهود الإغاثة لمساعدة جميع البلدان التي تطلب دعمًا محددًا، والذي يتخذ شكل المساعدة في التمويل المشترك أو توفير معدات الحماية الشخصية.

كما شكَّلت هذه الأخيرة لجنة من العلماء من ست دول في الاتحاد الأوروبي لوضع إرشادات وتنسيق إدارة المخاطر. ويترأس اللجنة رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لين"، وهي طبيبة مدربة. كما عرضت المفوضية مبادئ توجيهية بشأن الحدود للحفاظ على تدفق البضائع بين الدول الأوروبية[1]. إضافة إلى مساعدة مواطني الاتحاد الأوروبي العالقين في الخارج ومكافحة نشر المعلومات الخاطئة حول الوباء.[2]

(1) المرجع نفسه.

(2) "تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، المرجع سبق ذكره.

االشكل رقم 2.2: الإجراءات الأساسية لمواجهة وباء كورونا

المصدر: الاتحاد الأوروبي

ومن واقع العرض السابق تبقى الفاعلية محدودة، ويمكن القول أنّ الاتحاد الأوروبي -على عكس ما يُشاع- يقوم بالدور المنوط به في التعامل مع أزمة كورونا، وهو الدور الذي فرضته عليه معاهدات الاتحاد الأوروبي، والصلاحيات الممنوحة له في بعض الملفات كالصحة وغيرها. بيد أنّ ما قد يُؤخذ على الاتحاد في التفاعل مع أزمة كورونا هو بطء الإجراءات والقرارات التي تم اتخاذها، والتي كان من الممكن لو تم اتخاذها مبكرًا إنقاذ القارة العجوز من إحدى أخطر الأزمات التي تواجهها مؤخرًا .[1]

(1) باسم راشد، المرجع سبق ذكره.

لذلك فان هذا الدور وهذه الفعالية تُثار عليهما بعض التحفظات على أداء الاتحاد في التعامل مع الأزمة، وأنه لم يثبت فعاليته في المواجهة المشتركة للوباء وتداعياته، لذا تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الانتقادات نابعة من عدة أمور، لعل أهمها عدم فهم الخط الفاصل بين دور الاتحاد وأدوار الدول الأعضاء طبقًا لمعاهدات تأسيس الاتحاد، خاصة في بعض الملفات وذلك لأن هذا الأخير ككيان فوق وطني له سلطة التنسيق بين الدول الأعضاء، وصلاحية إبداء النصيحة والرأي وليس فرض قراراته عليهم. والدليل على ذلك بعض التحليلات التي مفادها احتمال تأثر الاتحاد الأوروبي بـ تداعيات أزمة كورونا، والتي تطرح احتمالات خروج دول أخرى منه مثل إيطاليا على سبيل المثال، مستندين في ذلك إلى أمرين؛ أولًا ما يُثار من مزاعم عن وجود حالة من الغضب الشعبي ضد الاتحاد الأوروبي داخل إيطاليا مثل: حرق علم الاتحاد الأوروبي، وإنزال علم الاتحاد في مقابل رفع علم الصين، وثانيًا حالة الاستياء على المستوى الرسمي الإيطالي النابعة من رفض الاتحاد الأوروبي في مارس 2020 بـــــ التحديد ألمانيا، وهولندا، وبعض دول شمال أوروبا طلب تسع دول أوروبية منها إيطاليا بإصدار ما يسمى بـ "سندات كورونا" للتخفيف من الآثار الاقتصادية للوباء.[1]

وعلى هذا الأساس فانّ تفتشي الوباء في أوروبا الذي باتت بعض الدول الأوروبية بؤرة له، كشف لنا مواطن ضعف الاتحاد الأوروبي وأوهام فدراليته المزعومة، وأنّ الاتحاد شأنه شأن الكثير من قطاعات التجارة الأوروبية، لن يعود أبداً إلى سابق عهده حتى بعد انحسار الوباء. خاصة وانّه أُنشئ من أجل إدارة الأزمات الخطيرة على شاكلة الوباء الحالي، بـ سلاسة من خلال التعاون الدولي والتنسيق في مجال الصحة العامة والتخفيف من تبعات تلك الأزمات

(1) المرجع نفسه.

الاقتصادية وضمان انطلاق سلس للدول الأعضاء بعد التغلب عليها. لكن ما يحدث اليوم مُخالف لذلك تماماً، أين غابت روح الاتحاد وأُغلقت الحدود بين الدول الأوروبية وتُركت كل دولة لتواجه الوباء الفتاك بـ مفردها، ولم يُسير الاتحاد الإمدادات الطبية الأساسية للدول الأعضاء الأكثر تضرراً.هذا ما سيجعله يدخل في حالة انهيار وهو كان ضعيفاً أساساً.

انعدام أهم الشروط التي يقوم عليها النظام الإقليمي، وهو "التعامل مع العالم الخارجي كوحدة واحدة" وهو ما يفتقده الاتحاد الأوروبي من خلال انعدام وجود اقتراب أوروبي موحد للتعامل مع القضايا الكبرى لاسيما الصحية منها، نتيجة الاختلاف وتباين المصالح الأوروبية الذي يؤدي إلى اختلاف السياسات الوطنية إزاء مختلف الأحداث والقضايا الدولية، ما جعل وسيجعل العمل على صياغة سياسة خارجية أوروبية موحدة فعالة قوية ومؤثرة، بعيدة التحقيق وهي تُشكل أبرز التحديات التي يُواجها هذا الاتحاد. وكعادته يبقى الاتحاد الأوروبي يتعامل مع القضايا الكبرى بموقفين لا بموقف واحد...

- **الآثار المتوقعة لأزمة وباء كورونا على مستقبل الاتحاد الأوروبي:**

إنّ الآثار المترتبة على هذا الفيروس لن تظهر مباشرة على دول الاتحاد الأوروبي ومستقبله ولن يحدث تغير اجتماعي وسياسي سريع، ولكن التأثير الحقيقي سيكون حول كيفية إدراك الاتحاد لـ مثل هذه الأزمات مستقبلاً وأن يكون التعامل مع أي أزمة قائم على أساس من التعاون لا الانعزالية في القرار السياسي خاصة أنّ الاتجاه الذي استندت علية أكبر دول هذا الأخير حتى الآن قائم على أساس الانعزالية في القرار ممّا يُؤثر على كيانه خاصة أنّ هذا الوباء هو وباء عالمي لا يُهدد فقط مجتمع بعينه بل هو ظاهرة عالمية له تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية على مستقبل المجتمعات والشعوب. وعليه، هناك مخاوف من أن تستفيد التيارات الشعبوية من تبعيات هذه الأزمة التي تُعارض سياسات الاتحاد، والدليل على تلك الاستفادة تصريح وزير الداخلية الايطالي

السابق "ماثيو سالفيني" الذي صرح قائلاً: "عندما تنتصر إيطاليا على الوباء سنغلق حدودنا، لاسيما في وجه الدول التي أغلقت حدودها في وجهنا، وشركاتها التي لم يكن لها سوى هم واحد... القفز على السوق الإيطالية لتحل محل الشركات الإيطالية" .[1]وهو ما أدى إلى تبني عدة توقعات بشأن مستقبل الاتحاد الأوروبي من أبرزها ما يلي:

السيناريو الأول: انهيار الاتحاد وتفككه تدريجياً

قد تُساهم الخسائر التي خلفتها الأزمة وتأخر الاتحاد الأوروبي في الاستجابة التي كانت مأمولة منه في إذكاء دعوات الانفصال عنه، خاصة بعد أن تلقى هذا الأخير ضربة عنيفة - رغم أنه استطاع لغاية الآن امتصاص آثارها – بـــــ انفصال بريطانيا عنه أو ما يُعرف بـــــ "البريكست"، إلاّ أنّ ما برز خلال هذه الأزمة من مسارعة الدول إلى الإجراءات الحمائية دون التفكير في التنسيق الأوروبي كأولوية، وتمسُّك مؤسساته والدول الفاعلة فيه بـ البيروقراطية الإجرائية التي عرقلت الاستجابة لاستغاثات الدول الأشد تضرراً، هذا وقد كشفت الأزمة أيضاً عن وجود خلل عميق في آليات الاستجابة السريعة وإدارة الأزمات في الاتحاد، إضافة إلى الضغوط المتزايدة من المجموعات المتشككة في جدوى الاتحاد وأحزاب اليمين المتطرف؛ جميعها عوامل قد تُؤدي إلى بلورة الدعوات المحلية في بعض الدول الأعضاء لإجراء استفتاءات للانفصال عنه، وفي حال نجحت إحدى هذه الدول بذلك - إيطاليا على سبيل المثال - فمن المتوقع أن يُؤدي خروج دولة ثانية من الاتحاد بعد بريطانيا إلى ضربة شديدة لـــ عملة "اليورو" الموحدة وإلى زعزعة أكبر في الثقة به، وهو ما قد يُؤدي إلى تفككه تدريجياً في نهاية المطاف.

---

(1) محمد عثمان، "العالم بعد كورونا...الاتحاد الأوروبي على محك الفشل في احتواء الأزمة"، المرجع/دراسات وأبحاث استشرافي حول الإسلام الحركي، موقع: https://www.almarjie-paris.com/، 17/10/20120.

السيناريو الثاني: تماسك الاتحاد الأوروبي واستفادته من الأزمة لـــ تقوية حضوره

تُسهم أزمة كورونا في إدراك أنه لا يمكن لأي دولة أن تواجه الأزمات عابرة الحدود بـــ مفردها، وقد أظهرت هذه الأخيرة مدى حاجة أقوى الاقتصادات العالمية والإقليمية إلى نوع من أنواع التعاون الدولي. أين تمثل أزمة كورونا فرصة حقيقية للاتحاد الأوروبي لإقناع المتشككين فيه بـــ ضرورة وجوده كمظلة آمنة في مثل هذه الأزمات، وذلك يعتمد على عدة عوامل من بينها:

ـ فعالية خطة الاتحاد الأوروبي الحالية في مواجهة الأزمة والتخفيف من آثارها .[1] من خلال تفعيل مركز أوروبي متخصص لإدارة الأزمات مستقبلاً.[2]

ـ إظهار الاتحاد الأوروبي مرونة أكبر في حال تطور أزمة وباء كورونا المستجد أو في حال تعرض المنطقة إلى موجات أخرى متوقعة من الوباء.

ـ توافق الاتحاد الأوروبي سريعاً دون المرور بـــ الخلافات السابقة على خطة للخروج من الأزمة وإنعاش الاقتصاد، بحيث تنال رضى جميع الدول، وتتضمن آليات فنية ومالية فعالة لإنقاذ الاقتصادات المتأثرة وإعادة بناء القطاعات الصحية الأوروبية.

ـ مدى استفادة الاتحاد الأوروبي من الأزمة الحالية لإجراء إصلاحات عميقة في هيكليته وسياساته، وخاصة السياسات النقدية الموحدة.

السيناريو الثالث: المعالجة الآنية للأزمة واستمرار التعثُّر والتصحيح في الاستجابة

---

(1)" تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، المرجع سبق ذكره.

(2) محمد عثمان، "ضبابية المشهد أم نأي بالنفس...موقف الاتحاد الأوروبي من أزمة كورونا"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.com/، 17/10/2020.

يُعتبر السيناريو الثالث الأكثر ترجيحاً، والذي يتمثل في استمرار اعتماد الاتحاد الأوروبي على تشريعاته وآلياته المؤسساتية الحالية، واستغراق وقت أطول لابتكار حلول وآليات مختلفة والارتكان أكثر إلى الحلول المُجرَّبة، مع إجراء إصلاحات تدريجية بحسب الدروس المستفادة من الأزمة لـــ تصحيح الخطط والمسار، غير أنّ هذا السيناريو سيعتمد بـــ شكل كبير على القناعات السياسية للدول الأعضاء بـــ جدوى الاتحاد، ومن المتوقع أن تعتمد هذه القناعات بـــ صورة مباشرة على خطة الإنعاش والخروج من الأزمة أكثر من اعتمادها على خطة الاستجابة لها، هذا ومن المتوقع أيضاً أن لا تُثير الدول المتضررة من أزمة كورونا مسألة الخروج من الاتحاد الأوروبي في حال قُدِّمت لها خطة إنعاش اقتصادي مُجدية تحُقق مصلحتها في ذلك، إذ تدرك هذه الدول أنها لن تستطيع مواجهة آثار الأزمة بعد انتهائها بـــ مفردها.

وتبقى تداعيات أزمة كورونا على مستقبل الاتحاد الأوروبي مرهونة أيضاً بـ تطورات أزمة الوباء نفسه، من حيث احتمالية تعرُّض القارة والعالم بـ أسره لـــ موجات جديدة من الوباء أو اكتشاف علاج أو لقاح يتمكَّن من إنهاء حالة الارتباك التي يشهدها العالم نتيجة هذه الأزمة، وإعادة الحياة إلى طبيعتها، كما سيبقى الاقتصاد الأوروبي أيضاً متأثراً بـ المنحى الذي سيأخذه الاقتصاد العالمي بعد انتهاء الأزمة.[1]

(1)" تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، المرجع سبق ذكره.

- **القدرة العربية المتقدمة والنامية منها في مواجهة الجائحة**

على الرغم من وجود اختلافات كبيرة بين الدول العربية من حيث أنظمتها الصحية والموارد المتاحة في مواجهة الوباء، فانّ المنطقة العربية ككل غير مهيأة للتعامل مع تأثير مرض مُعدي وقاتل كمرض "كوفيد 19" الذي انتشر بسرعة حول العالم. فمعظم سكان العالم العربي، والبالغ عددهم 435 مليون نسمة، يعيشون في بلدان حيث الخدمات الصحية التي تُقدمها الدولة شحيحة أو فقيرة جداً أو غير موجودة عملياً. أين ترتبط معظم الأسباب بـــ نقص الموارد المادية، وارتفاع الإنفاق الحكومي في مجالات أخرى مثل الدفاع، والخلل في أداء مؤسسات الدولة، وسوء الإدارة وهجرة الأدمغة، وانعدام الشفافية في نقل المعلومات وإدارة الأزمات، وقلة الثقة في السلطات، والنزاعات المسلحة، والنزوح السكاني جراء الحروب، وغيرها من الأسباب. فحتى الآن يُعتبر انتشار مرض "كوفيد 19" في الدول العربية محدوداً، مقارنة بـــ مناطق أخرى من العالم. إلاّ انه لا يزال موجوداً وفي مرحلة الانتشار. علاوة على ذلك، يرجع انخفاض عدد الحالات المؤكدة حتى الآن في البلدان العربية إلى انخفاض نطاق الاختبار من قبل خدماتها الصحية. بالإضافة إلى ذلك، هناك شكوك كثيرة حول أنّ السلطات في هذه البلدان لا تُبلغ عن جميع المعلومات التي لديهم الخاصة بالانتشار الفعلي للمرض.[1]

- **إيران:**

خلّف تفشي فيروس كورونا المستجد في كل دول العالم كوارث اقتصادية جمة، خاصة بعد قرارات الإغلاق التي اعتمدتها دول العالم، خشية استمرار انتشار الوباء ولـ محاولة تقويضه أملًا في انحسار أعداد الإصابات

(1) هيثم عميرة فرناندث، "فيروس كرونا في الدول العربية: عاصفة عابرة، فرصة للتغير أم كارثة إقليمية؟"، معهد الكانو الملكي للدراسات الدولية والإستراتيجية في مدريد، 2020/10/19.

والوفيات، لكن في إيران كان الوضع مختلفًا، فبعد وقت قليل من انتشار الفيروس تم تصنيف إيران على أنها إحدى أكبر بؤر تفشي الفيروس بعد بلد المنبع وهي الصين.ولم تشفع الإجراءات التي أعلنت عنها السلطات في إيران لتقويض تفشي الفيروس، حيث تزايدت أعداد الإصابات والوفيات بشكل لافت حتى يومنا هذا، إذ تسجل إيران يومياً ما يزيد عن 2500إصابة، فضلًا عن مئات الوفيات.

فطبقًا لاحصائيات شهر سبتمبر، فقد أعلنت طهران أنّ إجمالي عدد إصابات كورونا في البلاد يقترب من 378 ألف حالة، بعد تسجيل 1858 حالة إصابة جديدة حتى الأربعاء 2 سبتمبر 2020، فيما بلغ إجمالي عدد حالات الوفيات في البلاد نحو 22 ألف حالة.

فالأوضاع الاقتصادية لم تكن بعيدة عن تأثيرات تفشي فيروس كورونا المستجد في إيران، إذ أصبح الاقتصاد الإيراني يُعاني بشدة، فما بين العقوبات الأمريكية منذ الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي، وبين أزمة تفشي "فيروس كورونا" المستجد، ذهبت مؤشرات الاقتصاد الإيراني إلى هبوط غير مسبوق، فضلاً عن أزمة الهبوط المتواصل لسعر العملة المحلية الإيرانية أمام الدولار الأمريكي، إذ بلغ سعر الدولار الواحد في سوق طهران 25 ألف تومان، أي ما يعادل 250 ألف ريال إيراني.[1]

لذلك اضطرّ النظام الإيراني إلى استئناف الأنشطة الاقتصاديّة منخفضة المخاطر في معظم أنحاء البلاد رغم أنّ الأوضاع الناجمة عن الفيروس لا تزال حرجة، وذلك تحت وطأة الضغوط الاقتصاديّة والأوضاع المعيشيّة الصعبة التي خلفتها الأزمة، والتي بات النظام غير قادرٍ على مواجهتها بعد التراجع الكبير في الإيرادات من المصادر الأساسية التي ترفدُ الميزانيّة بـــــ الموارد، ومع ذلك لم

(1) محمد خيري، " تأثيرات اقتصادية: تداعيات كورونا على سياسيات طهران الخارجية"، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، موقع: https://afaip.com/، 22/10/2020.

يعدم النظام الإيراني توظيف الجائحة ومحاولة الاستفادة وتحقيق مكاسبَ داخليّة وخارجيّة من ورائها، والهروب بـــــ مجمل الأزمة التي يُعاني منها للأمام عبر الحديث عن مؤامرةٍ خارجيّةٍ تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضدّ إيران لتهدئة الغضب الداخلي. فرغم جوانب الإخفاق والتداعيات الكارثيّة للأزمة على كافة المستويات الإنسانيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، غير أنّ النظام حقّق من خلال تسييسهِ بعض المكاسب الرمزيّة والمؤقتة، التي مِن أهمها مطالب بعض الدول والمنظمات الدوليّة والشخصيّات بـ تعليق العقوبات الأمريكية على إيران لأسبابٍ إنسانيّة، وكذلك تفعيل آلية التبادل المالي الأوروبية المعروفة بـــ "إنستكس"، التي أقرتها الترويكا الأوروبية في جانفي 2019، وذلك بعد أنْ ظلت متوقفةً منذ أكثر من عامٍ نتيجةَ الضغوط الأمريكية.

لكن يظل الإخفاق في إدارة الأزمة وتداعياتها الداخليَّة التحدي الرئيس الذي سيُواجهه النظام بعد انتهاء هذه الأخيرة وعودة الحياة إلى طبيعتها، إضافة إلى تواضع نتائج توظيف انتشار "فيروس كورونا" في إيران في كسب رأيِ عامٍ دوليّ يضغطُ على الولايات المتحدة ويدفعها نحو مراجعة سياسة الضغوط والعقوبات. أين تطرحُ إشكاليّة إدارة الأزمة ومحاولة توظيفها جملةً مِن التساؤلات حول البيئة الداخليَّة وسبب تفاقم الأزمة في إيران إلى هذا الحدّ وكذلك تساؤلاتٍ حول الطريقة التي تعاملت بها السلطة مع جوانبها المختلفة وكيفيّة إدارتها عمليًّا، ومحاولة توظيفها لتحقيق مكاسبَ سياسيّة داخليًّا وخارجيًّا، وأخيرًا أهمّ النتائج والتداعيات التي خلّفتها الأزمة ومآلاتها.[1]

(1) محمود حمدي أبو قاسم، "إيران وإدارة أزمة "كورونا": النتائج والمآلات"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 25/10/2020.

- **أبعاد أزمة فيروس كورونا الداخلية في إيران:**

جاء "فيروس كورونا" بينما يُواجه النظام أكبر أزمةٍ تاريخيّةٍ منذ ثورة سنة 1979؛ نتيجةَ إستراتيجية الضغوط الأمريكية القصوى التي تركت آثارًا بالغةً على الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في إيران، والتي وصلت إلى حدّ التشكيك الواسع في شرعيّة النظام، ولاسيّما بعد تسلسل الاحتجاجات الشعبيّة والفئويّة التي لم تتوقف منذ وقوعها نهاية سنة 2017 واستمرت تداعياتها خلال سنة 2018، مرورًا بـ الاحتجاجات الواسعة في نوفمبر 2019 والتي واجهها النظام بـــــ قسوةٍ غير مسبوقةٍ وقمعٍ لم يسبق له مثيل، ووصولًا إلى الاحتجاجات في مطلع جانفي 2020 على خلفية إنكار السُّلطة مسؤوليتها عن إسقاط الطائرة الأوكرانية. إذ فاقم الفيروس من أبعاد الأزمة الداخليَّة بـــ كافة جوانبها بعدما تحولت إيران إلى بؤرةٍ للوباء في الشرق الأوسط، وأصبحت تحتلّ مركزًا متقدمًا من حيث معدلات الانتشار والوفاة، فبحسب البيانات الرسمية تُوفي قرابة 4500 شخصٍ، وأُصيب قرابة 70 ألف شخصٍ وذلك حتى 13 أفريل 2020، فيما تتّهم المعارضة وأطرافٌ دوليّةٌ أخرى محايدةٌ طهران بإخفاء حقيقة الضحايا، وتُشكك في هذه الإحصائيّات وتتحدث المعارضة عن عدد وفيَات يصل إلى عشرين ألف شخص.[1]

لقد أظهر انتشار الفيروس هشاشة الوضع في قطاع الخدمات الصحيّة بصفةٍ خاصّة، حيث كان هناك نقصٌ حادٌ في المعدات الأساسيّة اللازمة للتعامل الفنيّ مع الأزمة، وإنْ كان ذلك منطقيًّا في جميع الدول التي تواجه هذه الأخيرة، لكن في إيران بالذات حذرت منظمة الصحة العالميّة من عدم قدرة طهران على تحمل تبعات انتشار الفيروس.هذا وأصبحت عدم الشفافية

(1) المرجع نفسه.

تُهمةً تُواجهها السلطات؛ بسبب عدم إعلان الحقائق المتعلقة بـ الوباء، خصوصًا بعدما تبيّن أنّ الحرس الثوري أصبح يلعب دورًا في إصدار شهادات الوفاة، وظهر أنّ بعض هذه الشهادات لا يُدوّن بها أنّ سبب الوفاة هو الإصابة بـــ الفيروس ولكنْ تُسجل على أنّها وفاةٌ نتيجة اختناقٍ في الجهاز التنفسيّ، فيما يبدو أنه محاولة لإخفاء حجم الكارثة وقد أدت عدم الشفافية إلى أجواءٍ من عدم الثقة داخليًّا وخارجيًّا، خصوصًا بعدما اتهمت بعض الدول الخليجيّة، إيران بتصدير الوباء للخارج، عبر التستُّر على انتشار الفيروس وعدم ختم جوازات سفر مواطنيها المسافرين إليها.

وما زاد الطين بلّه توقف عجلة الاقتصاد؛ بسبب فقدان الميزانية أهمّ مواردها، سواءً من الضرائب، أو قطاع الخدمات، ناهيك عن قطاع النِّفط المورد الذي تقلّص؛ بـــ سبب العقوبات إلى أدنى مستوياته، وكذلك انخفاض أسعاره عالميًّا، وقلة الطلب عليه بعد حالة الركود العالمي جرّاء حالة الإغلاق العالميّ واسع النطاق بعد انتشار الفيروس في العالم؛ فنتيجةَ هذه الأوضاع الاستثنائيّة المرتبطة بالأزمة أعلن الرئيس حسن روحاني خلوّ خزينة البلاد من الموارد .وقد زادت أزمة "فيروس كورونا" من حالة الارتباك الداخليّ بين أجنحة السلطة، وظهر تخبّطٍ في التعامل مع الأزمة في بدايتها، وتبادل المسؤولين الاتهامات بـــ محاولة توظيفها، حيث اتّهم "محمد تقي فاضل مؤبدي"، عضو هيئة التدريس بـــ "جامعة مفيد" في مدينة قم، السلطات بـــ تسييس الأزمة من خلال الزعم بأنّ السبب فيها العقوبات المفروضة على إيران.

كما تحملت حكومة "حسن روحاني" بسبب تعاطيها مع انتشار الفيروس انتقاداتٍ واسعة، إذ نظر إلى سياسة حكومته على أنها استمرارٌ لنمط التعامل نفسه مع الكوارث الطبيعيّة والأزمات والأحداث السياسيّة السابقة، ولاسيّما أنّ هذه الأخيرة هوّنت من انتشار الفيروس في البداية.كما أصاب الفيروس

وراح ضحيته بعضٌ من النُّخب في مؤسّسات الدولة وهياكل السلطة المختلفة؛ بما أعطى مؤشرًا على حجم الانتشار الواسع والتأثير الكبير للوباء، وأثرُ ذلك على سير العمل داخل أجهزة الدولة ومؤسّساتها.

- **إدارة إيران للازمة وكيفية توظيفها لتحقيق مكاسب داخلية وخارجية من ورائها:**

أعلنت إيران رسميًّا عن أول إصابة بـ الفيروس في 19 فيفري 2020، وانتظرت السّلطات حتى انتهاء الانتخابات لتُعلن في 22 من نفس الشهر عن أول إجراءاتها وهي إغلاق المدارس والجامعات بـ صورةٍ مؤقّتة لمدة أسبوع، ثُم انتظرت خمسة أيام أخرى لـ تعليق صلاة الجمعة في 28 فيفري، رغم أنّ الأوضاع كانت تُنذر بـ أنّ الأزمة شديدة الخطورة .هذا وقد تضاربت تصريحاتُ المسؤولين حول الفيروس فبينما رآه المرشد "علي خامنئي"، وقائد الحرس الثّوري "حسين سلامي"، هجومًا إرهابيًّا بيولوجيًّا شنّته الولايات المتحدة، نجد أنّ وزارة الصحة أفادت بمعلوماتٍ وأصدرت بياناتٍ يناقض ذلك، بل قال وزيرها أنه نبّه إلى وجود الفيروس في إيران قبل الإعلان عنه بـــــ شهرين، وهو الأمر الذي كان يعني عدم وجود تنسيقٍ بين مؤسّسات الدولة في التعاطي مع الأزمة.[1]

وبعدما تفاقم الوضع، تشكلت لجنةٌ لإدارة الأزمة بقيادة رئيس القيادة العامّة للقوات المسلحة الإيرانية "محمد باقري"، وبينما أعلن هذا الأخير في 13 مارس 2020 عن خُطته التي تقوم على إخلاء الشوارع والأسواق والمراكز التجاريّة في المدن خلال الـ 24 ساعة المقبلة لـــــ مواجهة انتشار الفيروس، أعلن الرئيس "حسن روحاني" في 16 من نفس الشهر مصرحاً: "أنه لن يتمّ

(1) المرجع نفسه.

تطبيق أيّ حجرٍ صحّي لا اليوم ولا في أيام أعياد النوروز"، وبالتالي لم يتمّ تفعيل ما قاله رئيس الأركان، ولم تُعَد هناك أية تدابير جديّة على الأرض لمكافحة الفيروس.إلا أنّ الحكومة الإيرانية حاولت تدارك أخطائها في التعامل مع الأزمة، فقررت لجنة إدارة الأزمة اتّخاذ عددٍ من القرارات والإجراءات، ومنها إغلاق المراكز الدينيّة في 15 مارس رغم ضغوط رجال الدين، وحظر السفر بين المدن في 26 من نفس الشهر وغيرها من الإجراءات الاحترازيّة، وذلك بعد ما تجاوز عدد الوفيات أكثر من ألفين شخصٍ، وكانت الحكومة تُبرّر تأخر هذه الإجراءات؛ بـــ سبب مخاوفها من تضرر الاقتصاد ولاسيّما أثناء الظروف التي تمر بها إيران في ظل العقوبات الأمريكية.

أما على الجانب الاقتصاديّ، أقرت الحكومة حزمةً من القرارات والإجراءات لمعالجة تدهور الأوضاع ولتقديم المساعدات العاجلة للمتضررين، كما طلب "حسن روحاني" من المرشد سحب مليار دولارٍ من الصندوق الوطنيّ للتنمية؛ وذلك لـــ توفير الاحتياجات الضروريّة للبلاد، وهو الطلب الذي وافق عليه "علي خامنئي" بعد انتقاداتٍ تعرّض لها سواءً في الداخل أو مِن قِبَل الخارجيّة الأمريكية، وذلك بعد طلب إيران قرضًا من صندوق النّقد الدوليّ، وكذلك قررت الحكومة منح قرضٍ ائتمانيّ للشراء يبلغ مليون تومان لـ 23 مليون عائلةٍ من مستحقيّ الدعم وبفائدةٍ تبلغ 12% يتم تقسيط سدادها على 24 شهراً وبـــ مهلة أربعة أشهر، بالإضافة إلى إجراءاتٍ بـــ تأخير سداد القروض البنكيّة، ومنح مهلةٍ للعقوبات البنكيّة لأصحاب الورش ومساعدة الأُسر والشرائح المتضررة.[1]

(1) المرجع نفسه.

كما قامت الحكومة بـــ توفير قروضٍ ميسّرة لـ مساعدة الشركات على عدم وقف أنشطتها، بما يضر بـــ مصالح العمال والموظفين بها، حيث وعد البنك المركزيّ بـــ تقديم 75 ألف مليار تومان" 5 مليارات دولار"؛ لـ توفير تسهيلاتٍ للشركات الاقتصاديّة بـ شرط أنْ تحتفظ هذه الشركات بعمالها .ولجأت الحكومة لـــ تغطية احتياجاتها إلى القروض من أجل تأمين الميزانيّة، وفي هذا الصدد طالبت إيران صندوق النّقد الدوليّ بـــ مساعدةٍ قدرها 5 مليار دولار لـ مساعدتها على مواجهة الأزمة ضمن المساعدات التي يُقدمها الصندوق للدول في مواجهة الازمة. وبذلت وزارة الاقتصاد جهودًا حثيثةً للحصول على مساعداتٍ نقديةٍ وغير نقديةٍ من بنوك التنمية، حيث أعلن معاون وزير الاقتصاد ورئيس منظمة الاستثمار والمساعدات الاقتصاديّة والفنيّة الإيراني عن الاستعداد لتقبّل مساعدات بنوك التنمية.

هذا ولم يفُت النظام الإيراني توظيف تفشّي الفيروس لأجل سيطرته على الأوضاع الداخليّة، والعمل على تحقيق تضامنٍ شعبيّ، فضلًا عن إحالة الأزمة إلى دور قوىً خارجيّة ووجود مؤامرةٍ وراء تفشّي هذا الأخير، بل ذهب المرشد إلى اتهام الولايات المتحدة بـــ إنتاج فيروسٍ خصيصًا لإيران؛ لهذا خرج البعض وطالب بـ ضرورة تنحية الخلافات السياسيّة جانبًا، والتأكيد على ضرورة التحلي بروح التعاون وتجنّب النّقد والمعارضة لـ مواجهة هذا التحدي، وقد عبر عن ذلك النائب الأول لـــ رئيس الجمهورية "إسحاق جهانغيري" قائلاً: "إنّ الظرف الحالي يستلزم التضامن الاجتماعيّ والتفاهم الوطنيّ بشكلٍ أكبر".ولتأكيد دوره قام الحرس الثوريّ بـــ بناء مستشفياتٍ مجهزةٍ وميدانيّة، كما قامت قوات تعبئة المستضعفين "الباسيج" بدورٍ مُماثل، من خلال مشاركة أكثر من 600 ألفٍ من عناصره في جميع أنحاء البلاد لدعم الأجهزة المختلفة، وتقديم الدّعم للجهات الفاعلة في الأزمة وفي توفير وتوزيع آلافٍ من حزم المساعدات إلى المناطق المحرومة بـــ مساعدة المتبرعين،

وكذلك روّجت وسائل الإعلام لدور الميليشيّات التابعة لإيران وهي تقوم بـــ جهودٍ ميدانيّةٍ لـــ مواجهة الفيروس، كـ "الحشد الشعبي" في العراق و"حزب الله" في لبنان، وذلك في محاولةٍ لتحسين صورتها بعد دورها في مواجهة الاحتجاجات الشعبيّة في هذه البلدان ومسؤوليّتها عن سقوط العديد من الضحايا.[1]

يبدو أنّ الحرس الثوريّ قد تجنّب من البداية التصدي للكارثة وترك مسؤولية ذلك للقوات المسلحة؛ خشية التعرض لـــ هجومٍ وانتقاداتٍ هو في غنى عنها. ولبعث رسالةٍ خارجيّةٍ لـــ تحسين صورته بعد اتهامات له بقمع احتجاجات نوفمبر 2019 بعد رفع أسعار الوقود والتي يُقال أنّ عدد مَن قُتلوا فيها تخطى 1500 فردٍ، فضلًا عن مئات المعتقلين، قام النظام بالإفراج عن 85 ألف سجينٍ بصورةٍ مؤقتة خشية انتشار الفيروس. كما حاول النظام الإيراني استغلال الانشغال الدوليّ بـــ مواجهة هذا الفيروس، وقام بتسخين بعض جبهات الصراع في الخارج، حيث صعّدت الميليشيّات المحسوبة عليه في العراق هجماتها ضدّ الولايات المتحدة، وأعاد الحوثيون شنّ هجماتهم على المملكة العربية السعودية، وذلك في محاولةٍ للضغط على أطراف المواجهة لإعادة النظر في سياساتها تُجاه إيران، وذلك بالتوازي مع جهود جلب التعاطف الخارجيّ مع إيران على أرضية الوضع الإنساني جرّاء تداعيات تفشّي الفيروس وكذلك الضغط على الولايات المتحدة في العراق لسحب قواتها منه.

كذلك قام النظام بأكبر حملةٍ دبلوماسيّةٍ شاركت فيها كافة مؤسّسات الدولة من أجل كسب تعاطفٍ دوليّ، وكسب تأييد القوى الدوليّة الفاعلة والمؤسّسات الدوليّة في مواجهة العقوبات الأمريكية، وقاد هذه الحملة الرئيس

(1) المرجع نفسه.

"حسن روحاني" ووزير خارجيته "محمد جواد ظريف"، وكذلك رئيس البرلمان "علي لا ريجاني"، حيث أجروا اتصالاتٍ بنظرائهم في مختلف الدول، ومارسوا خطابًا إعلاميًّا دعائيًا تمّ فيه إحالة أزمة كرونا في إيران إلى العقوبات؛ وذلك بـــ هدف تحويل العقوبات الأمريكية إلى مسألةٍ إنسانيّةٍ تخصّ الشعب الإيراني، كما دفع النظام بحملةٍ شعبيةٍ لـــ مخاطبة الشعب الأمريكي والضغط على وزارة الخزانة لإيقاف العقوبات والضغوط المتواصلة على إيران.

وأخيرًا، صعّدت إيران تهديداتها النوويّة مستغلةً الانشغال العالميّ بـ مواجهة كورونا، حيث لم تسمح للوكالة الدوليّة للطاقة النوويّة بـــ الوصول إلى بعض المواقع، إذ رأت أنّ طلباتها تستندُ إلى ضغوطٍ أمريكية، هذا بالإضافة إلى التهديد بالانسحاب من معاهدة عدم الانتشار النووي "NPT" إذا لم يُلبِّ المجتمع الدولي مطالب إيران. وذلك في وقتٍ اتّهمت فيه الوكالة طهران بتجاوز التزاماتها ولاسيّما فيما يتعلق بـــ معدلات التخصيب وكميته، وبتركيب أجهزة طردٍ مركزيّ متطورة.

- **نتائج وتقييم إدارة إيران لأزمة كورونا:**

يدّعي النظام الإيراني أنّ لديه تجربةً طويلةً مع تسيير الأوضاع في ظلّ الأزمات، وأنّه قد راكم خبراتٍ واسعةً في هذا الإطار، ولاسيّما أنه يُواجه الضغوط والعقوبات والأزمات لأكثر من أربعة عقود منذ اندلاع الثورة سنة 1979، وهذا ما عبّر عنه أمين عام المجلس الأعلى للأمن القوميّ "علي شمخاني" قائلاً: "لقد تعلمنا لسنواتٍ فنّ إدارة الحياة في الأزمة"، وعليه يُمكننا تقييم طريقة وأسلوب إدارة الأزمة ورصدُ بعض نتائجها على النحو الآتي:[1]

(1) المرجع نفسه.

تداعياتُ تسييسِ الأزمة "مكاسب داخليّة وخارجيّة محدودة":حقّق النظام عددًا من المكاسب من وراء تسييس هذه الأزمة وهي:

ـ ضبط الأوضاع الداخليّة وتراجع الاحتجاجات ضدّ النظام في الداخل والخارج حيث استفاد النظام من حالة الهلع المجتمعيّ من تفشّي كورونا، ومِن كونها حالةً عالميّةً لا تخصّ إيران وحدها، وذلك في استعادة الهدوء والاستقرار الداخليّ بعد شهور من الاضطرابات وعدم الاستقرار الداخلي، ففي ظل أزمة "فيروس كورونا" تراجعت كافة مظاهر الاحتجاجات الحاشدة التي تُهدد النظام، فضلًا عن أنّ الإجراءات الاحترازية والحجر المنزليّ أسهم في هدوءٍ نسبيّ إجباريّ، وبالتوازي مع تراجع حدة الغضب داخليًّا ضدّ النظام انخفضت كذلك حدّة الاحتجاجات ضدّ النفوذ الإيراني في كلٍ من العراق ولبنان، والتي كانت مستمرة منذ أشهر.

ـ تحسين صورة التيّار المحافظ فبينما أسهمت الأزمة وإدارتها في التأثير سلبًا على شعبية روحاني والإصلاحيين، فإنّها حسّنت صورة الجناح المتشدّد المهيمن على السلطة داخل النظام، حيث أيّدوا من البداية إجراءاتٍ صارمةٍ لـ مواجهة انتشار الفيروس في البلاد، وهم الذين نادوا بـــ حظر السفر والحجر الصّحي وحظر التجول والتباعد الاجتماعيّ وإلغاء المناسبات الدينيّة والثقافيّة، كما كانوا هم من نادى بـــ تقديم الحكومة مساعداتٍ للمتضررين، أين لعبت المؤسّسات التابعة لهم ولاسيّما الحرس الثوري وقوات الباسيج والمؤسّسات الماليّة الموازية في جهود مواجهة الفيروس على الأرض، بينما كانت الحكومة بـــ قيادة الرئيس "حسن روحاني" تتعامل مع الأزمة بـــ استخفافٍ في البداية، بل وأسهمت قرارات الرئيس وحكومته في تفشّي الفيروس بعد رفض إجراء حجرٍ صحيٍّ واتباع إجراءاتٍ أكثر احترازًا في مواجهة كورونا.[1]

---

(1) المرجع نفسه.

ـ وجود مطالبَ دوليّة بـــــ تعليق العقوبات الأمريكية على إيران أين نجح النظام في كسب تعاطف بعض القوى والمنظمات الدوليّة الفاعلة، وطالبت بعضها بـ تعليق العقوبات الأمريكية عن إيران، وأسفرت الحملة الدبلوماسيّة الإيرانيّة عن استجابةٍ من بعض الأطراف حيث بعث ممثلو إيران وروسيا والصين وكوبا وكوريا الشماليّة والعراق وفنزويلا ونيكاراغو في الأمم المتحدة بـ رسالةٍ إلى الأمين العام بـــــ ضرورة رفع العقوبات عن إيران، كما دعت المقررة الخاصة للأمم المتحدة بـ حقوق الغذاء "هلال إلفير" إلى رفع العقوبات الدوليّة ضد دول مثل إيران وسوريا وفنزويلا؛ بسبب انتشار الفيروس هناك .كما أيّد الاتحاد الأوروبي في 03 أفريل 2020 تنفيذ بعض الإعفاءات الإنسانيّة ليُمكن تعليق العقوبات الاقتصاديّة المفروضة على دولٍ مثل كوبا وفنزويلا وإيران حتى تتمكن من الحصول على المعدات الطبيّة اللازمة على وجه السرعة.

ـ إجراء أول معاملةٍ مالية عبر آلية "إنستكس" حيث نجح الاتحاد الأوروبي على وقع الأزمة في تفعيل هذ الآلية لأول مرةٍ منذ إقرارها في جانفي 2019، إذ قدمت من خلالها ألمانيا مساعداتٍ طبيّةٍ وإنسانيّةٍ للنظام الإيراني، وذلك على الرغم من أنّ الولايات المتحدة حاولت منع تفعيل هذه الآلية، وقد عبر عن ذلك رئيس الغرفة التجاريّة البريطانيّة-الإيرانيّة اللورد "نورمن لامونت" قائلاً: "إنّ أمريكا تعرقل تفعيل إنستيكس، وتُطيل فترة تنفيذها. كذلك دعا المرشح الرئاسيّ الأمريكي "جون بايدن" إلى تسهيل إرسال الأدوية والمعدات الطبيّة اللازمة لمكافحة الفيروس في إيران، كما دعا طهران إلى اتّخاذ إجراءٍ إنسانيّ والسماح للمعتقلين الأمريكيين بـــ العودة إلى وطنهم.

ـتلقي إيران مساعداتٍ إنسانيّةً لمواجهة الفيروس حيث قدمت أكثر من 30 دولةً وعددًا من المنظمات الدوليّة مساعداتٍ لإيران في مجال مكافحة "كورونا"، وفي هذا الصدد أرسلت الصين منذ اندلاع الأزمة مساعداتٍ عبر 28 رحلةً جويّةً، وشملت هذه المساعدات؛ أكثر من عشرة ملايين كمامة، و500 ألف مجموعةٍ تشخيصيّةٍ للفيروس، و300 ألف قطعة ملابسٍ للجراحة والعزل، ومليونين و200 ألف قفازٍ طبيّ، و350 جهاز تنفّس صناعي، و 500غرفة مستشفياتٍ جاهزة، ومجموعةٍ متنوعةٍ من أدوية ومعدات المستشفيات.

وضمن مساعدات بنوك وصناديق التنمية وضع صندوق أوبك للتنمية العالميّة مساعدةً قيمتها 500 ألف دولار تحت تصرّف منظمة الصّحة العالميّة لـــــ صرفه على شراء وتوزيع التجهيزات الضرورية جدًّا للمستشفيات لمواجهة فيروس كورونا في إيران، وكان الصندوق قد قدّم مساعدةً عاجلةً مشابهةً لمواجهة السيول سنة 2019. إضافةً إلى ذلك تلقّت إيران مساعداتٍ شملت معداتٍ وأدواتٍ طبيّةً بقيمة 200 مليون دولار، من دولٍ مثل تركيا، وقطر، واليابان، وفرنسا، والصين، ومِن منظماتٍ دوليّةٍ عدّة كمنظمة الصّحة العالميّة.[1]

نتائج الاحتواء إخفاقٌ وظيفيّ وفشل في تعليق العقوبات:في مقابل بعض النجاحات المحدودة كانت هناك تداعياتٌ ونتائجَ سلبية مؤثرة على النظام وعلى مجمل أزماته الداخلية والخارجية، ومنها:

ـ التأخر في التعامل مع الكارثة وتحمّل المسؤولية عن الانتشار الواسع للفيروس إذ كانت السلطة وقراراتها سببًا رئيسيًّا في تفاقم الأزمة، حيث تأخرت السلطات في إيران في الكشف والإعلان عن وجود الفيروس حتى يوم 19 فيفري 2020، وهناك تقديراتٌ بأنّ ذلك تمّ عن عمدٍ في وقتٍ لم يكُن فيه قد

(1) المرجع نفسه.

تفشّى الفيروس وظهرت مخاطره، وهذا التأخير كان بـ سبب رغبة النّظام في عدم تأثير الإعلان عنه في الحدّ من نسبة المشاركة في الانتخابات البرلمانيّة التي أُجريَت في النصف الثاني من فيفري 2020، مما ترتب على ذلك تأخُّر السّلطة في اتّخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الجائحة الأمر الذي أدى إلى اتساع نطاقها.

ـ الفشل في إدارة الأزمة حيث أثرت الثُنائيّة المؤسّسية التي يُعاني منها النظام في التأثير على إدارة الأزمة وصناعة القرار الخاص بها، أين تملص الرئيس "حسن روحاني" من تحمّل مسؤولية إدارة اللجنة المعنيّة بإدارة الأزمة؛ بسبب محدودية سُلطته في مواجهة المؤسّسات الموازية والمؤسّسات العسكريّة وتوتر علاقاته بها، وربما أراد أنْ يُلقي بعبء الأزمة على الجناح المناوئ له في السّلطة بقيادة المرشد، والذي طالما حمّلهُ مسؤولية إخفاق السلطة خلال السنوات الأخيرة منذ الإنسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي.

وظهر أنّ النظام الإيراني قد أخفق في إدارة الأزمة أكثر من غيره من دول المنطقة تحديدًا، وذلك لأسبابٍ متعدّدةٍ أهمّها نمط تعاطيه وغياب الشفافية وأولويّة توظيف الأزمة على استثمارها، وقد ترك ذلك أثره على عدم الرضا الشعبيّ عن السياسات، خصوصًا في ظل الانتشار الواسع للفيروس، والأخبار والفيديوهات المتداولة حول حقيقة الكارثة، وتأثُّر الأوضاع المعيشيّة والحياتيّة للمواطنين بصورةٍ أكبر مما كانت عليه بعد الأزمة.[1]

ـ عدم ثقة المواطنين في السلطة فرغم ضعف الإجراءات الاحترازيّة من جانب أجهزة الدولة ومؤسّساتها، لكن لم يُبد المواطنون الالتزام الكافي والاستجابة الفعّالة، حيث أثّرت أزمة الثقة بين المواطنين والسّلطة على الحدّ من الاستجابة الشعبيّة لقرارات السلطة وتوجيهاتها، وتعود أزمة الثقة تلك إلى طريقة تعامل

(1) المرجع نفسه.

السّلطة مع الأزمة وتضارب تصريحات المسؤولين بـــ شأنها، وكذلك وجود فجوةٍ بين الجماهير والحكومة نتيجةَ سياسة الإنكار التي تُمارسها السلطة مع كلّ أزمة، كما حدث في حادثة الطائرة الأوكرانية في جانفي 2020 وغيرها من الحوادث، وهو الأمر الذي لعب دورًا في التأثير على نمط حياة الناس رغم خطورة الأوضاع.

ـ التأثير السلبي لمواقف رجال الدين على مسار الأزمة حيث أسهم رجال الدين في تفاقم الأزمة من خلال معارضة إغلاق الأضرحة في مدينة قُم، ورفضهم فرض حجرٍ صحيّ على المدينة التي تفشى بها الفيروس وانتقل منها إلى معظم المدن الإيرانية، بل كان لآرائهم وفتواهم الدينيّة دورٌ في تعقيد الأمور ولاسيّما أنّ هذه الآراء كان لها تأثيرٌ على عدم التزام العامة بـ احتياطات السلامة الواجبة.

ـ مضاعفة الأزمات الاقتصادية والمعيشية خاصة وأنّ النظام لم يكن مستعدًا لمواجهة أزمةٍ بهذا الحجم، بل إنّ هذه الأزمة أضافت إلى النظام أعباءً اقتصاديّةً لا قِبَل له بتحمل تبعاتها، كما أنّها ضاعفت معاناة المواطنين، وضاعفت من مشاكلهم المعيشيّة، فضلًا عن أنّ تداعياتها الاقتصاديّة ستكون كارثيّة بأضعاف أيّ دولةٍ في ظل العقوبات والضغوط الدوليّة وفقدان الميزانية لأهمّ مواردها الأساسيّة، وربما تجدُ الدولة صعوبةً في حال استمرت الأزمة لفترة أطول في تدبير الاحتياجات الأساسيّة.[1]

كذلك كشفت الأزمة عن هشاشة الوضع الاقتصاديّ، وعدم قدرة النظام على تحمل أعباء الأزمة، وظهر ذلك مع حيرة الحكومة بين مواجهة "فيروس كورونا" عبر تطبيق قواعد الحجر ومطالبها للشركات باستمرار العمل؛ خشية التأثير

(1) المرجع نفسه.

على أوضاع العمال والموظفين، فالحكومة لا تريدُ أنْ يكون لديها أيّ التزامٍ ومسؤولية تُجاه هؤلاء المعرّضين لفقدان أعمالهم.

ـ فشل الحملة الدبلوماسية في التأثير على الموقف الأمريكي واستمرار سياسة العقوبات إذ باءت محاولاتُ إيران لـ تخفيف حدّة الضغوط الأمريكية من خلال الترويج لدور العقوبات في التأثير على إمكانية مواجهة إيران لتفشّي الفيروس، حيث لم تلتفِت الولايات المتحدة للضغوط الإيرانية، ولا المطالبات الدوليّة بتعليق العقوبات، وواصلت ممارسة ضغوطها الاقتصاديّة عبر الاستمرار في سياسة الضغوط القصوى، ومعاقبة أيّ أطرافٍ خارجيّةٍ تتعاون مع إيران خارج إطار المساعدات الإنسانيّة الخاصة بالغذاء والدواء.

وعليه لا يبدو أنّ سياسة الحكومة في التعاطي مع تفشّي "فيروس كورونا" سوف تُسهم في محاصرته في المستقبل القريب، فالنظام يجد نفسه في الزاوية، العقوبات الأمريكية مستمرةً ولا مجال لتعليقها، وعدم اللجوء إلى إغلاقٍ كاملٍ وفرض حجرٍ صحيّ واسع النطاق، يعني ترك الناس نهبًا للفيروس، ومع زيادة انتشاره في إيران من المرجح أنْ تتفاقم شرعية النظام ويتزايد الغضب الشعبي الذي له جذوره السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. وفي حالة الحجر والإغلاق الكامل فمن المرجح الدخول في مرحلة ركودٍ اقتصاديّ وتضخّمٍ واسع النطاق وإفلاس البلاد، وهذا حتمًا سيقود إلى حالة غضبٍ شعبيّ واسع النطاق واحتجاجات على غرار احتجاجات 2019.ربما تتّجه إيران لإتباع سياسة المقاومة وتحمّل تبعات الأزمة وتفاقمها لفترةٍ محدودة في حالة عدم وجود تهديدٍ داخليّ لشرعية النظام، وهذا هو على الأغلب السيناريو المحتمل، وذلك حتى شهر نوفمبر المقبل على أقل تقدير انتظارًا لـــــ نتائج الانتخابات الأمريكية، حيث ترى إيران أنّ حظوظ الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" قد تتراجع بعد الأزمة

وبالتالي الخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر التي كانت متوقعة أكثر في وجوده .[1]

- **تركيا:**

وصل "كوفيد – 19" إلى تركيا في 11 مارس، لكنه سرعان ما ترك بصمة في كل زاوية من زوايا البلاد، وخلال شهر واحد ضرب الوباء 81 ولاية تركية واتسعت بذلك بؤرة الوباء بسرعة نموّ كانت من بين الأسوأ في العالم – أسوأ من الصين وبريطانيا. وسادت خشية من ارتفاع حصيلة الوفيات بشكل جنوني، ما قد يحوّل تركيا إلى إيطاليا جديدة، إذ كانت إيطاليا في ذلك الوقت الأكثر تضرراً في أوروبا. ومع ذلك فإن تداعيات الفيروس لم تكن بالقاسية على النظام الصحي التركي الذي استطاع استيعابها، ولم يعاني من مخاطر انهيار المنظومة الصحية، أو من هشاشة نظام التأمين الصحي كما هو الحال في الولايات المتحدة.[2] فلم تكن كورونا هي أول أزمة يواجهها الاقتصاد التركي في الألفية الثالثة، إذ ضربت تركيا العديد من الأزمات الاقتصادية خلال العشرين سنة الماضية، وكانت السمة الملاحظة في كل تلك الأزمات هي قدرة الاقتصاد على التعافي سريعا من تداعيات تلك الأزمات المختلفة.

- **استجابة تركيا للازمة: الإجراءات والعثرات**

أعلن وزير الصحة التركي ظهور أول حالة إصابة بفيروس كورونا على الأراضي التركية في الحادي عشر من مارس توقع البعض أنه طبقا للهيكلية التي يختص بها الاقتصاد التركي أن تكون نتائج انتشار الفيروس كارثية عليه. فعلى سبيل المثال عدلت وكالة موديز الدولية للتصنيف الائتمانية توقعاتها للاقتصاد التركي، فبعد أن كانت تتوقع انكماشا قدره 1.4%، قامت بزيادة تلك النسبة لتصل إلى

(1) المرجع نفسه.

(2) امجد حمدي، "تداعيات أزمة كورونا على النظم الصحية في العالم"، المعهد المصري للدراسات، الموقع: https://eipss-eg.org/، 27/10/2020.

5% في نهاية السنة الحالية2020 . نشرت الوكالة تقريرا أكدت فيه أن البنوك التركية ستتعرض لضغوط على ربحيتها بسبب تراجع الإقراض وزيادة المخصصات، ورأت أيضا أن تدابير التي اتخذتها الحكومة قد تنجح في تعويض تلك الخسائر لكن بشكل جزئي، في حين أن التدهور الاقتصادي العميق الناتج عن وباء كورونا سيقلل من قدرات السداد لدى المقترضين. توقعت الوكالة أيضا أن أكثر القطاعات تأثرا بالأزمة هي السياحة والنقل والشركات الصغيرة والمتوسطة، كما توقعت وجود ضغوطا إضافية على رؤوس الأموال بسبب تدهور قيمة الليرة التركية في مقابل سلة العملات الأجنبية.

منذ إعلان تركيا عن زيادة وتيرة انتشار فيروس كورونا في البلاد، شرعت الجهات التنفيذية في الدولة إلى تطبيق سياسات تباعد اجتماعي -كما قامت أغلب دول العالم- من خلال إقرار حظر للتجوال كلي في نهاية الأسبوع، وفي أيام عيد الفطر، بجانب تطبيق حظر تجوال لمن هم فوق سن 65، ومن هم دون الـ 20 عاما، بالإضافة إلى إغلاق المدارس والجامعات وبعض المؤسسات الحكومية.

ويمكننا القول إن تركيا سمحت للعديد من الأنشطة الاقتصادية أن تستمر في العمل كي تحافظ على استمرار دوران عجلة الاقتصاد، بجانب تصنيف الحكومة المجتمع إلى طبقات، وتوجيه تدابير وقائية للطبقات الأكثر ضعفا، وفي الوقت نفسه السماح للطبقة العاملة بالعمل خلال الأسبوع، وهو ما يعني أن تركيا بدلا من أن تتبنى سياسة مناعة القطيع، استبدلتها بإستراتيجية المناعة الطبقية؛ وهي التي تهدف إلى الحد من انتشار المرض بين أكثر الفئات ضعفا مع تمكين الاقتصاد من الاستمرار في العمل في الوقت ذاته.[1]

(1) محمد احمد عباس، "تركيا- الإدارة الاقتصادية لتداعيات كورونا"، المعهد المصري للدراسات، الموقع: https://eipss-eg.org/، 27/10/2020.

وبالتالي تؤدي هذه الإستراتيجية إلى انتشار العدوى بين الطبقة العاملة، ولكنها من ناحية أخرى تحمي الأشخاص الضعفاء، وتسمح للاقتصاد بمواصلة العمل[13]. وبالطبع كان لإغلاق العديد من الأنشطة الاقتصادية، وما ترتب عليه من خسارة للكثيرين من وظائفهم آثارا سلبية كبيرة، منها على سبيل المثال تراجع مؤشر مديري المشتريات إلى ما دون 34 نقطة، وذلك في شهر إبريل من العام الحالي، وهو ما يعني دخوله منطقة الانكماش، وهو أيضا ما يعد أكبر انخفاض له منذ الأزمة المالية العالمية[14]، وذلك نتيجة للاضطرابات الناتجة عن الإجراءات الاحترازية.

في هذا الصدد، حاولت الحكومة في تلك الأثناء تبني إجراءات من شأنها تخفيف وطأة التباطؤ الاقتصادي على مختلف طبقات المجتمع. وبعد مرور فترة من الزمن، وانحسار انتشار الوباء تدريجيا أصبح الهدف الرئيسي من الإجراءات الاقتصادية المتبعة هو المساعدة في عودة النشاط الاقتصادي إلى سابق عهده قبل الأزمة .[1]

- **القطاع الصحي:**

أثبت القطاع الصحي في تركيا قدرته على الصمود أمام جائحة كورونا التي عصفت بـ العالم أجمع إلى أن أصبح مثالاً يُحتذى به من حيث البنية التحتية التي يمتلكها هذا القطاع والمستشفيات الحديثة التي يعمل فيها نخبة من الأطباء ومقدمي الرعاية الصحية، إلى أن باتت تركيا مقصداً لكل من يسعى للسفر من أجل العلاج.

ان نجاح القطاع الصحي في تركيا يعود إلى الاستثمار الحكومي الكبير وبـ وقت مبكر في النظام الصحي والتغطية الصحية الشاملة التي يتم تقديمها، وهو ما يبدو

---

(1) محمد احمد عباس، المرجع نفسه.

جلياً من خلال التطوير الهائل في البنية التأسيسية الصحية الذي شهدته تركيا خلال السنوات الماضية لـ تصبح اليوم عنواناً للسياحة العلاجية. لقد تمكّن القيمون على القطاع الصحي من السيطرة على الوضع مع بدء ظهور حالات الفيروس المستجد، فلم تشهد تركيا تدهوراً في أعداد الإصابات أو الوفيات في ظل اعتمادها إستراتيجية في هذا الخصوص أين تعتمد بالدرجة الأولى على سرعة الكشف عن المصابين بـ الفيروس، عبر إجراء فحوصات لكل من يُعاني من أعراض الفيروس، عزل من ثبتت إصابتهم عن محيطهم حسب سوء حالة المصاب، وتعقب كل من اختلط بـ المصابين وإجراء اختبار فحص الإصابة للتأكد من سلامتهم، ومن تثبت إصابته فيتم حجره بناءً على سوء حالته الصحية، في المنزل أو إلى المستشفيات لتلقي العلاج اللازم.

لقد تمكنت تركيا خلال السنوات الماضية من تأسيس بنية تحتية قوية للقطاع الصحي، وعقب ظهور أولى الحالات بـ الفيروس حول العالم تداركت السلطات الأمر من خلال تفعيل أنظمة إدارة الخدمات الطبية مباشرة وجرى إعداد إستراتيجية مواجهة شاملة كخطوة أولى في إطار خطة الاستعداد الوطني للأنفلونزا الوبائية لـ سنة 2019عبر تشكيل اللجنة العلمية لـ مواجهة كورونا والتي ضمت 31 خبيراً وذلك منذ بداية السنة الحالية في الـ 10 جانفي 2020.

هذا وقد كان الرئيس التركي"رجب طيب أردوغان" قد صرّح في وقت سابق قائلاً: "تركيا لديها جيش طبي ضخم مؤلف من 165 ألف طبيب، و205 ألف ممرضة، و490 ألف عامل صحة، و360 ألف موظف دعم لوجستي، وهي إحدى أكثر الدول استعداداً لـ مواجهة فيروس كورونا وذلك بفضل التحول الذي شهدته في الـ 18 سنة الماضية".

ولعل من أهم أسباب نجاح النظام الصحي التركي إقامة استثمارات مهمة وإتاحة خدمات النظام الصحي لجميع المواطنين، بـ الجودة والسرعة نفسها

من دون تمييز، كما توجّهت الحكومة التركية بـ القطاع الصحي إلى إنشاء مدن طبية ضخمة انطلاقاً من النظام الصحي المُعمم في كل المراكز الصحية بكل المحافظات والمدن والقرى، وانتهاء بإنشاء المدن الصحية وآخرها المدينة الصحية في أنقرة التي تحوي 4 آلاف سرير، وخلال فترة قصيرة جرى افتتاح "مستشفى إيكيتللي" الجديد في إسطنبول الذي يتسع لـ 1000 سرير مع غرف عزل في بداية انتشار الفيروس. ورغم ارتفاع عدد حالات فيروس كورونا في الفترة الأخيرة مع فتح البلاد، إلاّ أنّ الوضع لا يزال تحت السيطرة حيث يُمكن القول عموماً أنّ تركيا تمكنت من التغلب على أزمة كورونا من خلال خطط الحكومة الاقتصادية والصحية التي طبقتها خلال الأشهر الماضية، إضافة للبنية التحتية القوية في المجال الصحي ما ساهم في السيطرة على الوباء واحتوائه .[1]

- **القطاع الاقتصادي:**

تقوم تركيا، على المستوى الداخلي، باتخاذ العديد من الإجراءات المالية والاقتصادية المُتخبطة، بينما تنخرط خارجيًّا في مُغامرات عسكرية، الأمر الذي عمّق مُعاناة الاقتصاد الكُلي للبلاد الذي كان يمر في الأساس بـ وضع أزمة خلال السنتين 2018/2019[2]. إذ من المتوقع أن تكون هناك ثلاثة مجالات سيؤثر بها انتشار وباء كورونا في الاقتصاد التركي انطلاقاً بـــــ تعثُّر وتباطؤ حركة وتنقل السلع والبضائع عالمياً، ممّا سيؤثر في تجارة تركيا الخارجية؛ مروراً بـ تراجع الطلب المحلي بسبب أجواء عدم الثقة والضبابية والبطالة؛ وصولاً إلى زيادة صعوبة الوصول والحصول على مولين ومستثمرين خارجيين مع تراجع الرغبة عالمياً في الاستثمار والمجازفة. وهذا من خلال ما يلي:

---

(1) "القطاع الصحي في تركيا..قوة لافتة بمواجهة كورونا"، THE ARAB HOSPITALMAGAZIN، موقع: http://thearabhospital.com/، 29/10/2020.

(2) محمد شادي، "تدهور حالة الاقتصاد التركي في ظل أزمة كورونا"، المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://www.ecsstudies.com/، 30/10/2020.

ـانهيار سلسلة تأمين البضائع وتعثر نقل السلع والمسافرين:مع تفشي فيروس كورونا في الصين وتوقُّف المصانع هناك، بدأت أزمة الحصول والوصول إلى البضائع تظهر في الأسواق التركية، واستفحل الوضع مع تفشي الوباء في أوروبا، حيث باتت بعض البضائع غير متوافرة في الأسواق، ومنها بعض المواد الأولية هذا من جهة.ومن جهة ثانية، من المتوقع أن يُحقق الاقتصاد الصيني انكماشاً في الربع الأول من هذه السنة 2020، وأن تلحق بها أوروبا والولايات المتحدة في الربع الثاني من نفس السنة، وفي حال لم يتم تجاوز هذه الأزمة الوبائية سريعاً مع إيجاد اللقاح أو العلاج سريعاً، فإنّ هذا سيُهدد بأن يبقى الاقتصاد الأوروبي راكداً حتى نهاية السنة، وهو ما سيجعل الصادرات التركية بـــ العموم تُواجه مشكلة كبيرة تؤدي إلى تراجعها، خصوصاً إذا علمنا أنّ الاتحاد الأوروبي هو صاحب الحصة الأكبر في الصادرات التركية، فخلال سنة2019 مثلاً ذهبت 49%من صادرات تركيا إلى دول الاتحاد. دون ننسى أنّ تركيا، التي نما اقتصادها خلال سنة نفس بـــ نسبة 0.9% فقط، كان للصادرات دور بلغ 6.4% في هذا النمو.

في المقابل فإنه في سنة 2019 اعتمدت تركيا في وارداتها على شرق آسيا بـــ نسبة وصلت إلى 23%من مجموع الواردات. ومعظم هذه الواردات لم تكن نفطاً أو طاقة وإنما مواد أولية أو مواد مصنَّعة بـــ شكل أوّلي تستخدمها تركيا من أجل تشغيل مصانعها وبيع منتجاتها المركبة بعد ذلك إلى الخارج. ومع الصعوبة التي بدأت تظهر في الوصول إلى هذه المنتجات بسبب وضع المصانع والأسواق في شرق آسيا، خصوصاً في الصين، فإنّ تركيا ستُواجه مشكلة في الحصول على المواد الأولية التي تعتمد عليها في الصناعة والاستهلاك المحلي كما في الصادرات، وسيزداد ثمنها وسعرها.

كما سيشهد قطاع الخدمات خسائر كبيرة فيما يتعلق بـــ النقل والسياحة، بسبب هذه الأزمة العالمية، واستمرار انتشار الفيروس، وستعاني شركة

الخطوط التركية، وكذلك بعض الخطوط التركية الخاصة التي كانت قد بدأت في الاستحواذ على بعض الأسواق في المنطقة، خسائرَ مهمة[1]. ولأن هذه الأزمة من المتوقع أن تستمر في الحد الأدنى حتى وقت غير محدد، فإن الخسائر الحقيقية في قطاع السياحة ستظهر في الصيف وليس في الوقت الحالي. علماً أنه في سنة 2019، زار تركيا نحو 40 مليون سائح أجنبي، وساهموا في إدخال 30 مليار دولار إلى السوق المحلية، وعليه فإنه من المتوقع أن يتراجع دخل تركيا من السياحة هذا العام ما بين 10-20 مليار دولار.

ـ تراجع الطلب المحلي: مع الإعلان في 10 مارس 2020 عن تسجيل أول إصابة بـ فيروس كورونا في تركيا، بدأت الحياة تتراجع بـــ التدريج، من خلال الضوابط الاحترازية التي تم اتخاذها، مثل تقليل ساعات العمل، أو تقليل عدد العمال، وإغلاق العديد من المحلات والمشاريع التجارية بشكل مؤقت. وهذا أدى بـــ الطبع إلى تراجع الحركة التجارية والإنفاق، وطال هذا الأمر جميع القطاعات مع بدء الطلب من السكان التزام بيوتهم وعدم الخروج إلاّ للضرورة. ومع تراجع البيع والإنتاج، فإنّ وضع الموظفين والعمال بدأ يتعرض للخطر، خصوصاً أنّ 35% منهم يعملون خارج السجلات الرسمية، أي من دون أي تأمين صحي أو وظيفي أو تقاعدي. وعليه فإن الطبقة الفقيرة من العمال والموظفين والحرفيين هي التي بدأت تُعاني مؤخراً، رغم بدء حملات إعلامية تُطالب بعدم طرد الموظفين أو قطع أجورهم. وقد يكون هناك الكثير من الوعود لكن في حال طالت الأزمة فإنّ تحقيقها سيكون صعباً جداً. وقد أظهرت مؤشرات "الثقة في الاقتصاد" التراجعَ خلال شهر مارس بـ نسبة 6%، وستتراجع بـــ شكل أكبر خلال شهر أفريل، ولن يكون التعافي قريباً في هذا الشأن ولا في عودة الطلب الداخلي أو المحلي، أو العودة إلى الإنتاج.

(1) "تداعيات وباء كورونا على الاقتصاد التركي"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 30/10/2020.

أزمة الحصول على تمويل خارجي: تبلغ ديون تركيا الخارجية حالياً 434 مليار دولار، وهو مجموع جميع ديون المؤسسات التركية الحكومية والخاصة، وبـــ حسب أرقام البنك المركزي فإن نحو 172 مليار دولار من هذه الديون تستحق الدفع خلال هذا العام، أي أنها ديون قصيرة الأجل. وقبل بدء أزمة كورونا، شهدت تركيا تراجعاً في حركة الاستثمار الخارجي، بل بداية هروب رؤوس الأموال الأجنبية من تركيا، والتي بدأت اعتباراً من مطلع هذه السنة.

أمّا خلال الأشهر الثلاث الأخيرة، أي منذ بداية العام الجاري، تخلى المستثمرون الأجانب عن سندات للبنك المركزي كانوا قد اشتروها، وما تم بيعه من سندات من قبل المستثمرين الأجانب الذين خرجوا من تركيا بلغ نحو 5 مليارات دولار. وبينما كان نحو 26% من سندات البنك المركزي مملوكة من قبل مستثمرين أجانب سنة 2013، فإنّ هذه النسبة اليوم تراجعت إلى 7% فقط، وهذا رقم أقل حتى من مثيله عندما عانت تركيا أزماتها الاقتصادية الأخيرة سنتي 2008/ 2001؛ ما يعني أنّ ثقة المستثمر الأجنبي في الاقتصاد التركي وقوانينه وقيادته هي في أدنى مستوياتها خلال هذين العقدين.[1]

من ناحية أخرى فإنّ البنك المركزي يعلن أنّ مجموع ما لديه من عملات أجنبية وذهب، بما فيها ودائع البنوك المحلية، يبلغ نحو 93 مليار دولار، لكن ما يملكه البنك المركزي وهو الاحتياطي الأساسي الذي يُمكنه أن يتصرف به، لأن بقية المبلغ تعود إلى بنوك وشركات خاصة، هو 31 مليار دولار فقط. وإذا ما حذفنا من هذا المبلغ ما هو موجود كعهدة مؤقتة نتيجة اتفاقيات المقايضة المالية المسماة بـ "SWAP " أو تبادل مع بنوك مركزية أخرى، فإنّ ما يملكه البنك المركزي التركي حقيقةً من احتياطي من الدولار لا يتجاوز 4 مليارات دولار. وعليه فإنه ليس في قدرة البنك المركزي التركي حالياً تأمين الدولارات

(1) المرجع نفسه.

المطلوبة التي ستسعى الشركات إلى شرائها من أجل سداد ديونها هذه السنة، والتي تبلغ 172 مليار دولار، كما أنه يجد صعوبة في تأمين الدولار للمستثمرين الأجانب الذين يبيعون استثماراتهم بـ الليرة ويحولّون أرباحهم إلى الدولار ويرسلونه إلى بلادهم.

وفي مقابل تراجع النمو الداخلي وانكماش السوق المحلي، فإنّ البنك المركزي سيستمر في سياسة خفض سعر الفائدة على الليرة التركية التي تبلغ حالياً 9.75%من أجل تشجيع الإنفاق، فيما تتوقع أن تتوجه الحكومة إلى بيع أو خصخصة بعض مؤسساتها التي جمعتها في صندوقها السيادي؛ من أجل الحصول على الاستثمار الأجنبي والدولار، لكن لا توجد في الصندوق السيادي مؤسسة يمكن خصخصتها بسرعة وتؤمِّن السيولةَ الكافية أو المطلوبة من الدولار والعملة الصعبة لتركيا لتأمين احتياجاتها المذكورة أعلاه. والفائدة الوحيدة المتحققة لـــ تركيا من أزمة كورونا، هي تراجع أسعار النفط حالياً بـــ شكل كبير، إذ تتوقع تركيا أن توفر نحو 10 مليارات دولار من نفقاتها واحتياجاتها للدولار بـــ سبب تراجع أسعار النفط عالمياً، لكن هذا المبلغ الذي سينزل من على كاهل الاقتصاد التركي هذه السنة ستقابله خسارة بـ القيمة نفسها في قطاع السياحة، الذي هو القطاع الأهم في إدخال العملة الأجنبية إلى تركيا .[1]

(1) المرجع نفسه.

- **أهم السياسات المتخذة في مواجهة فيروس كورونا:**

اتخذت شكل السياسات التركية في سبيل مواجهة تداعيات انتشار فيروس كورونا أشكالا عديدة، ويتضح من تتبع الإجراءات قيام جهات حكومية عديدة بانتهاج سياسات اقتصادية على عدة أصعدة، ومنها: الرئاسة التركية، والبنك المركزي، كما قامت بعض البنوك الحكومية بإطلاق عدة مبادرات، ويمكن استعراض أبرز تلك السياسات والقرارات من خلال النقاط التالية:

ـ قرارات رئاسة الجمهورية "حزمة درع الاستقرار الاقتصادي":أعلن الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان"، في الثامن عشر شهر مارس -أي بعد ظهور أول حالة إصابة بفيروس كورونا في تركيا بـ 7 أيام-، إطلاق تركيا حزمة "درع الاستقرار الاقتصادي" التي تم بـــ موجبها تخصيص أموال بـــ قيمة 100 مليار ليرة تركية/ 15.4 مليار دولار أمريكي للتخفيف من آثار كورونا. وتتكون هذه الحزمة من عدة نقاط، أهما:

ـ السماح بـ تأجيل مدفوعات ضرائب القيمة المضافة، ومستحقات الضمان الاجتماعي، لأشهر أفريل وماي وجوان ستة أشهر، لكلا من القطاعات الآتية: قطاع البيع بالتجزئة، والمولات التجارية، قطاع الحديد، قطاع السيارات، قطاعي النقل والخدمات اللوجستية، السينمات والمسارح، الضيافة، المأكولات والمشروبات، وغيرها. ويتضح أنّ الهدف من هذا القرار دعم المستهلك النهائي؛ فمن المعلوم أنّ ضريبة القيمة المضافة يتحملها المستهلك النهائي، وتسعى الدولة في وقت يتوقع فيه تراجع الاستهلاك الخاص إلى علاج ذلك عن طريق تأجيل هذه المدفوعات.

ـ عدم تطبيق ضريبة السكن حتى شهر نوفمبر المقبل. ويمكن القول أن هذا القرار أيضا يستهدف دعم المستهلك النهائي حتى يخفف عن كاهله الضرائب السكنية خلال تلك الفترة.

ـ السماح بـــ تأجيل دفع رسوم الإشغال الفندقي لأشهر أفريل وماي وجوان ستة أشهر. وهذا الإجراء لا شك من شأنه أن يدعم قطاع السياحة، والذي يُعتبر أكبر القطاعات المتضررة من أزمة كورونا.

ـ خفض ضريبة القيمة المضافة على نشاط النقل الداخلي من 18% إلى 1%، لـــ مدة 3 أشهر. وفي ظل إقرار الدولة حظر تجوال بين المدن، ومنع الانتقال بينها إلاّ بـ تصريح خاص، فإنّ هذا الإجراء يهدف إلى دعم المستهلك النهائي، وأيضاً شركات النقل.

ـ دعم الشركات المدينة للبنوك التي تضررت بنقص السيولة جراء وباء فيروس كرونا، بـــ السماح بـــ تأجيل دفع ديونهم، وكذا الفوائد المستحقة، لمدة 3 أشهر، وفي بعض الحالات سيتم توفير دعم مالي للشركات.

ـ توفير دعم نقدي للمصدرين يساعدهم على زيادة الطاقة التخزينية لأنشطتهم.

ـ جميع الشركات التي ستتأخر في سداد ديونها المستحقة للبنوك خلال الأشهر أفريل وماي وجوان، لن يؤثر ذلك في قدرتها الحصول على قروض في المستقبل.

ـ العمل على تطوير القوانين واللوائح؛ لكي تكون متوائمة مع نماذج العمل عن بعد. كما سيتم إقرار بعض التسهيلات للمؤسسات التي تتعطل عن العمل خلال الفترة الحالية.

ـ زيادة الحد الأقصى لـــ تعويضات العمل من شهرين، إلى أربعة أشهر، وذلك بـ هدف المساعدة على استمرار توفير فرص عمل.[1]

ـ زيادة الحد الأقصى لصندوق ضمان الائتمان من 25 مليار ليرة، ليصل إلى 50 مليار ليرة. كل هذه الإجراءات السالفة الذكر كلها تهدف إلى دعم قطاع الأعمال والذي بلا شك تضرر كثيراً من تداعيات انتشار فيروس كورونا.

---

(1) محمد احمد عباس، المرجع سبق ذكره.

ـ أصحاب الحرف المتضررين والذين لديهم ديون لدى بنك خلق، بإمكانهم تقديم ما يثبت تضررهم، وفي تلك الحالة، سيتم السماح لهم بتأخير دفعات القروض المستحقة عليهم لمدة 3 أشهر دون فوائد.

توفير العديد من خيارات القروض الاجتماعية، بـــ شروط مناسبة لعموم المواطنين.

ـ استمرار الدعم المقدم للحد الأدنى للأجور. مع زيادة الحد الأدنى للمعاش التقاعدي لـــ يصبح 1500 ليرة تركية.

ـ سيتم صرف إكرامية منحة العيد في بداية شهر أفريل. كذا سيتم تحويل مستحقات المعاش على الحساب مباشرة، دون الاضطرار إلى الذهاب إلى فروع البنوك لاستلامها.وتوفير دعم نقدي إضافي بقيمة 2 مليار ليرة تركية للأسر التي تعتمدها وزارة الأسرة والعمل.إضافة إلى توفير خدمة متابعة دورية لكبار السن فوق الثمانين عاما، الذين يعيشون بـ مفردهم.

يتضح أنّ الإجراءات سالفة الذكر موجهة بـــ الأساس للطبقات الفقيرة والمتوسطة من المجتمع، فمن المعلوم والمتوقع أيضاً أن تتأثر هذه الطبقات سلبياً بـ شدة بسبب تداعيات فيروس كورونا؛ لذا نجد أنّ الدولة ومن خلال تلك الحزمة لا تنسى أن تتدخل لدعمها، ممّا قد يعده البعض انتكاساً عن مبادئ الاقتصاد الكلاسيكي.[1]

ـ فيما يتعلق بـ الوحدات السكنية التي يقل سعرها عن 500 ألف ليرة تركية، تقرر زيادة الحد الأقصى للتمويل البنكي من 80% إلى 90%، بـ الإضافة إلى تقليل الحد الأدنى للمقدم لـــ يصبح 10% من قيمة الوحدة السكنية. هذا الإجراء ضمن عدة إجراءات أخرى سيتم بيانها لاحقاً يهدف إلى دعم القطاع العقاري، والذي يقوم بتشغيل ما يقارب 250 قطاع أخر. وأيضاً يمكننا القول

(1) المرجع نفسه.

إنه من خلال هذا القرار نستطيع ملاحظة تدخل الدولة مرة أخرى لدعم قطاع هام يُوفر فرص عمل ودخول للملايين من المواطنين.

بناءاً على الإجراءات السالفة الذكر كانت هناك العديد من الردود الإيجابية والتي جاءت من مجتمع الأعمال على تلك الحزمة، نذكر منها "تشيتين تيجدلي أوغلو"، رئيس جمعية الصناعيين، الذي أكد أن "حزمة درع الاستقرار الاقتصادي بمثابة بر الأمان للشركات التي كانت تعاني من ضائقة اقتصادية". من جهته اعتبر "ثروت ترزيلار"، عضو هيئة مجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية التركي، "الحزمة الاقتصادية بـــ مثابة متنفس للاقتصاد التركي والشركات الصغيرة والمتوسطة". أيضاً في السياق ذاته، أكد رئيس جمعية مصدّري المستلزمات المنزلية في تركيا، "براق أوندر"، أنّ "الإعلان عن الحزمة الاقتصادية عزز الثقة الاجتماعية والنفسية لدى المجتمع".

هذا وقد شرعت تركيا في تنفيذ تلك الحزمة بعد إعلانها مباشرة، وبعد الإعلان عن الآليات المختلفة لطلب الدعم النقدي للأسر محدودة الدخل، وكذا أصحاب الأعمال المتضررين من انتشار الوباء، زادت قيمة الدعم المقدم من خلال الحزمة، حيث أعلن وزير المالية والخزانة التركي "بيرات البيرق" في الخامس والعشرين من أقريل أنّ إجمالي حزم المساعدات وصل إلى 200 مليار ليرة تركية، قبل أن يعلن أنّ الرقم وصل إلى 240 مليار ليرة وذلك في الثالث عشر م ماي 2020.

ـ البنك المركزي التركي: كان يوم السابع عشر مارس شاهداً على التدخل الأول من قبل البنك المركزي التركي، إذ قام بـ اتخاذ عدة إجراءات تهدف بـــ الأساس إلى التخفيف من الآثار السلبية لفيروس كورونا على الاقتصاد التركي، منها ما يلي:

ـ زيادة المرونة في إدارة السيولة النقدية لليرة التركية والعملات الأجنبية.

ـ تعهد البنك المركزي التركي بـــــ تأمين سيولة إضافية للمصارف لضمان استمرار تدفق القروض للقطاع الحقيقي.

ـ دعم تدفق النقد للشركات المصدِّرة من خلال تنظيم قروض إعادة الخصم [1] .

بعد ذلك، قرر المركزي خفض معدل الفائدة ثلاث مرات، كل مرة بمقدار 100 نقطة أساس، وذلك في تواريخ 18 مارس، 23 أفريل، 22 ماي، حتى وصل معدل الفائدة الذي تم إقراره في اجتماع شهر ماي إلى 6.75%، 9.75% للإيداع والإقراض على الترتيب. وهو ما يعني أنّ البنك انحاز لوجهة النظر التي يُدعمها الرئيس "الطيب رجب أردوغان"، وهو أيضاً ما جعل الاقتصاد التركي يشهد موجة بيعية كبيرة أصابت السندات والأسهم الحكومية بلغت 7 مليار دولار منذ اندلاع أزمة كورونا، بجانب خروج استثمارات أجنبية من سوق الأسهم التركي بـ مقدار 4 مليار دولار، وهو ما يعني خروج 11 مليار دولار خلال تلك الفترة.

وعلى صعيد التصدي للآثار السلبية لفيروس كورونا على الاقتصاد التركي، اتخذ البنك المركزي قرارات أخرى متعلقة بـــــ تسهيل آليات اقتراضه من البنوك وما يقوم به من طرح سندات لكي يجعل من السهل على البنوك شرائها، وبسبب كون بعض هذه الآليات فنية؛ لذا لن نتعرض الورقة إلى تفصيلها.

ومن خلال الآليات آنفة الذكر حاول المركزي أن يُسهل على البنوك آليات الاقتراض والإقراض، ولكن تُشير دراسة قام بها "مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التركي""SETA" إلى أنّ قيام بعض البنوك الخاصة وبـــــ خاصة صاحبة رأس المال الأجنبي بـــــالتباطؤ في توفير قروض للقطاع الحقيقي، ما دفع هيئة التنظيم والرقابة البنكية "BDDK"إلى إقرار نظام

(1) المرجع نفسه.

النسبة النشطة، وإلزام البنوك بـــ تطبيقها، وإقرار غرامات على البنوك التي لا تلتزم بها، والهدف من ذلك كله تشجيع البنوك على تقديم قروض للمواطنين وقطاع الأعمال.[1]

ولكن بالرغم من ذلك تم ملاحظة قيام بعض البنوك بـتشجيع بعض الراغبين في الحصول على قروض إلى الاتجاه إلى أدوات الدين الحكومي، وهو ما يؤكد من وجه نظر التقرير على أهمية امتلاك البنك المركزي مستقبلاً آليات يستطيع من خلالها الوصول إلى أسواق رأس المال مباشرة والقيام بعمليات الإقراض. في هذا الصدد أعلن بنك التنمية والاستثمار التركي طرح قروض للمستثمرين ممولة من البنك المركزي التركي بـــ قيمة 18 مليار ليرة، لآجال تصل إلى 10 سنوات، بـــ نسبة فائدة ثابتة 7.75%

ويُلاحظ من كل ما سبق أنّ دور البنك المركزي التركي لم يقتصر فقط على تخفيض سعر الفائدة، وإنما تخطى ذلك إلى مساعدة البنوك في طرح قروض للمواطنين وأصحاب الأعمال، وهو ما يعني أنّ أزمة كورونا وتداعياتها جعلت البنوك المركزية تضطلع بـــ أدوار قد تكون لم تقوم بها من قبل، وهو ما يعني أنّنا في عالم ما بعد كورونا قد نشهد أدوارا أكبر للبنوك المركزية، ليس فقط في تركيا، وإنما قد يمتد ذلك إلى العديد من دول العالم المختلفة.

(1) المرجع نفسه.

ـ البنوك الحكومية التركية: إلى جانب ما قام به البنك المركزي التركي، كان أيضاً لـ بعض البنوك الحكومية التركية الكبيرة دور في مجابهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على الاقتصاد، أين يمكن القول أنّ أدوار هذه الأخيرة تركزت في الأساس في فترة العودة إلى الحياة الطبيعية، حيث احتاج الاقتصاد في تلك الفترة إلى بعض الإجراءات التي من شأنها تعزيز بعض القطاعات، والتي من شأنها تشجيع النشاط الاقتصادي على أن يعود مرة أخرى لسابق نشاطه، في هذا الصدد يمكن القول أنّ تنشيط القطاع العقاري على العودة مرة أخرى من شأنه أن يساعد على إحداث تنشيط لأكثر من 250 نشاط اقتصادي يحتاج إليهم القطاع العقاري. ففي هذا السياق، أطلقت بعض البنوك الحكومية التركية حملة لـــ تمويل شراء عقارات بـ نسبة فائدة دون الواحدة في المائة. وشاركت في هذه الحملة كلا من البنوك الآتية: "خلق بنك، زراعات بنك، وقف بنك". على أن يكون أقصى قيمة تُقدمها البنوك في المدن الثلاثة الكبرى "إسطنبول، أنقرة، أزمير" هو 750 ألف ليرة، أما باقي المدن فيكون الحد الأقصى للقرض 500 ألف ليرة .وتصل مدة السداد إلى 15 سنة، بـــ معدل فائدة 0.64% للعقارات التي تُملك للمرة الأولى، ومعدل 0.74% للعقارات التي سبق تملكها، مع إمكان عدم دفع أي أقساط خلال السنة الأولى من الحصول على القرض. هذا وبـــــ جانب حزمة التمويل العقاري التي أطلقتها البنوك الثلاثة الكبرى، أطلقت حزمة تمويل أخرى لـــــ شراء السيارات، على أن تكون معدلات الفائدة من خلالها 0.69% - 0.49%، بـــ شرط أن يكون الحد الأقصى الذي يقدمه البنك لشراء السيارة الواحدة 150 ألف ليرة تركية .[1] كما توجد أيضاً حزمة ثالثة لـــ دعم الأسر التي تحتاج إلى قروض لتسير أمورها المعيشية خلال فترة الوباء، وتقدم القروض من خلال هذه الحزمة إلى من يقوم بـ إنتاج محلي

(1) المرجع نفسه.

في مجالات معينة كالأدوات الكهربية، والنجارة وغيرها. ويكون الحد الأدنى للقرض 3 آلاف، والأقصى 30 ألف ليرة، مع إمكانية عدم سداد أي أقساط خلال 6 أشهر من الحصول على القرض، ويكون معدل الفائدة على هذا القرض .0.55% أمّا الحزمة الرابعة والأخيرة جاءت لدعم الأسر التي ترغب في قضاء العطلة، ويتم التقديم عليها من خلال وكالات السياحة المرخص لها بـ العمل داخل البلاد، بـــ معدل فائدة 0.67%، وبآجال سداد 36 شهر، على أن يكون الحد الأقصى للقرض 10 ليرة تركية.

ـ مبادرات دعم القطاع الزراعي: لقد كان للسياسات التي اتبعتها تركيا منذ بداية الألفية الحالية أثر واضح في تنويع القاعدة الاقتصادية، ودفع عملية التنمية وزيادة الصادرات حتى وصلت إلى 180 مليار دولار سنة2019 . في هذا السياق دعمت الحكومة القطاع الزراعي محدثة طفرة كبيرة في الإنتاج الزراعي التركي حيث تزايدت قيمته من أقل من 40 مليار دولار سنة 2002، إلى ما يُقارب 60 مليار دولار بنهاية 2019، وهو ما أدى إلى زيادة الصادرات الزراعية التركية من 3.7 مليار دولار إلى 17.7 مليار دولار خلال نفس الفترة. وبذلك أصبحت تركيا سابع أكبر بلد في العالم للإنتاج الزراعي بـــــ شكل عام، ومن أكبر الدول المصدرة للمنتجات الزراعية في أوروبا الشرقية ومنطقة الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا.

وبسبب الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها هذا القطاع في تركيا، ودوره الكبير في تحقيق الأمن الغذائي للدولة؛ قررت هذه الأخيرة عمل العديد من المبادرات التي تهدف إلى دعم العاملين في هذا القطاع الحيوي. فكانت البداية بـــ تصريح وزير الزراعة والغابات التركي "بكير باكدميرلي"، بأنه سيتم هذه السنة 2020 تقديم دعم علف لأصحاب الأعمال التجارية الصغيرة لـ حماية مربي المواشي

ومنتجي الحليب من الضرر جراء تفشي فيروس كورونا بـــ هدف التشجيع على إنتاج حليب عالي الجودة في السنة نفسها.[1]

كما أفاد الوزير بأنّ الوزارة حددت الولايات المنتجة لـ نوعية حليب عالية الجودة، وهي "جناق قلعة وأكسراي وبوردور"، وأنها ستقوم بـــ صرف "دعم الحليب الخام" في غضون سنتين، بالإضافة إلى العمل على توفير دعم إضافي حسب جودة الحليب.أما عن تفاصيل المستحقين للدعم فقد أعلن الوزير أن من لديه 20 رأس من المواشي الحلوب سيحصل على 65 ليرة عن كل رأس ماشية، وسيحصل كل من لديه 20 رأس من مواشي التسمين الذكور على 65 ليرة عن كل رأس ماشية، في حين سيحصل من لديه 50 رأس من الماعز والأغنام على مبلغ 6,5 ليرة عن كل رأس.

بجانب دعم إنتاج الحليب كانت هناك فئات أخرى كثيرة دعمتها وزارة الزراعة والغابات، إذ قدمت الوزارة في 20 مارس الماضي دعماً للعاملين في مجال إعمار المناطق النائية، وكذلك للعائدين إلى الريف، بـ الإضافة إلى المزارعين العاملين بـ الإنتاج الحيواني، وغيرها، وقد بلغت قيمة تلك المساعدات 1 مليار و572 مليون و500 ألف ليرة تركية.

حزمة أخرى من المساعدات قدمتها الدولة من خلال وزارة الزراعة والغابات إلى المزارعين، بإجمالي منح 374 مليون ليرة تركية، حيث تضمنت تلك الحزمة دعم لـ منتجي الحبوب الزيتية، وكذلك دعم الإنتاج الحيواني. وتسلم المزارعين تلك المساعدات في الخامس من جوان من هذه السنة.

إنّ الدولة التركية عمدت إلى دعم القطاع الزراعي لـ سببين اثنين، الأول هو أهمية هذا القطاع في تحقيق الأمن الغذائي للدولة، وكذلك مساهمته في الناتج المحلي الإجمالي، والثاني هو السعي لتقديم دعم للفئات الفقيرة والمتوسطة؛ فمن

(1) المرجع نفسه.

المعلوم أنّ المزارعين في الأغلب يكونون من بين أبناء تلك الطبقات، وهو ما يعني أن أزمة فيروس كورونا أجبرت العديد من الدول على إعادة النظر في سياسات الدعم الاجتماعي.

وعليه ومن خلال كل ما تقدم يُمكن القول ورغم كونه من المبكر إصدار أحكام نهائية بـــــ شأن نجاح أو فشل تلك السياسات، إلاّ أنه في الوقت ذاته ومن خلال تتبع بعض المؤشرات الاقتصادية، يدافع البعض بأنه وفي حالة عدم حدوث موجة ثانية من موجات انتشار فيروس كورونا، قد تكون تركيا أحد أسرع الدول التي تتعافي من التداعيات السلبية لانتشار الفيروس على الاقتصاد التركي. خاصة وانّ التنمية التركية كانت متوازنة إلي حد كبير، ولم تُهمل أي من القطاعات الاقتصادية فقد جاءت كل اجراءتها متوازنة ومستهدفة لكل القطاعات، لاسيما القطاع الزراعي، كما استهدفت أيضاً تنشيط القطاع العقاري من خلال توفير التمويل للطبقات الفقيرة والمتوسطة.[1]

- **الدول النامية:**

إن دول الشرق الأوسط وإفريقيا خاصة، تلك التي تعيش حالة من الغليان المستمر نتيجة حروب ونزاعات إقليمية، وفساداً أنهك مؤسساتها، واقتصادها على شفير الانهيار هي أكثر من يحتاج إلى الخروج من هذه الأزمة وبأسرع وقت ممكن، إلاّ أنها لن تستطيع تحمل أية أخطاء في الوقت الحالي، لذا يتوجب عليها التريث قبل أن تحذوا حذو أوروبا. فأولوية هذه الدول للخروج من أزمة الفيروس التاجي، هي الحصول على اقتصاد قوي ومستشفيات مجهزة، ومراكز اختبارات واسعة، تُمكنها من القضاء على الوباء وعودة الحياة إلى طبيعتها قبل أن يقضي الإغلاق عليها، على كافة الأصعدة.

(1) المرجع نفسه.

- **لبنان:**

في هذا البلد الصغير الذي بات على مشارف أن يصبح الأكثر مديونية في العالم، ووصل إلى شفير الإفلاس، ويُعاني من نظام صحي هش، أدى الإغلاق إلى وقوع عشرات الآلاف من المواطنين في براثن الفقر.الأمر الذي دفع الحكومة للبدء بـ تخفيف الإجراءات والقيود المشددة المتبعة، وهو قرار عارضه الأطباء الذين طالبوا باستمرار تدابير الإغلاق مع نقص الموارد الطبية في البلاد، مما يُثير مخاوف من حدوث انفجار اجتماعي نتيجة الأوضاع المعيشية الصعبة.

الأمر عينه في العديد من البلدان النامية. فإن قررت هذه الدول المخاطرة وتخفيف قيود الإغلاق، فمن المتوقع أن يؤدي هذا القرار إلى ارتفاع أعداد المصابين بـــ "كوفيد 19" وإرهاق المستشفيات التي تفتقر إلى الموظفين والمعدات الطبية والأدوية الضرورية، وتُعاني من نقص في الأسرة وأجهزة التنفس. والعدول عن مثل هذا القرار وتمديد فترة الحظر الكامل لن يقدم لها إلاّ المزيد من الخسائر الاقتصادية.

- **باكستان:**

في باكستان، ذهب "عمران خان" رئيس الوزراء الباكستاني إلى أبعد من ذلك. وناشد الدول الأكثر ثراءً والمؤسسات المالية الدولية لـ شطب ديون الدول الأكثر فقراً. وفي علامة دالة على حالة اليأس التي يعيشها المواطنون، أدى تدفق الآلاف إلى مراكز توزيع المساعدات المالية والغذائية من قبل الحكومة الباكستانية في "إقليم البنجاب" إلى مقتل امرأة مسنة وإصابة العشرات.[1]

(1) مريم شهاب، "مخاطر كبيرة تهدد البلدان الفقيرة بالشرق الأوسط وإفريقيا بسبب كورونا...وحياة الملايين على المحك"، العربية، موقع: https://arabic.euronews.com/، 01/11/2020.

- **مصر:**

في مصر، أكبر دولة عربية من حيث عدد السكان اختارت الحكومة تنفيذ الإغلاق الجزئي، خشية أن يؤدي الإغلاق الكامل إلى تدمير اقتصاد البلاد، الهش بالفعل.

- **اليمن وليبيا وسوريا:**

في هذه الدول الثلاثة، التي تعاني منذ سنوات من حروب وصراعات أدت إلى وقوع كوارث إنسانية. هناك مخاوف جمة من أنّ نطاق تفشي الفيروس قد يكون غير واضح بسبب نقص الاختبارات والإمدادات والاختصاصيين والكوادر الطبية.[1]

في خضمّ كل ذلك، يتوقع أن ينكمش اقتصاد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بمعدل 4.2%- سنة 2020. ويعود ذلك إلى عاملين أساسيين، هما: تراجع الطلب العالمي على النفط، ولاسيما خلال الربع الثاني من السنة، وقد أدى ذلك إلى انخفاض أسعار النفط بنحو 50%، ووصولها إلى أدنى مستوى في أكثر من 20 سنة. ونتيجة لأهمية الاقتصادات المصدرة للنفط، باعتبارها الكتلة المرجحة في اقتصادات المنطقة، فإنّ تراجع الإيرادات النفطية يُمثّل تحديًا بالنسبة لها، وسببًا في تراجع الناتج المحلي لقطاعها النفطي ككل. لكن العامل الآخر والأكثر تأثيرًا على الأداء الاقتصادي بـــ دول المنطقة يتعلق بالانكماش العميق لقطاعها غير النفطي.

هذا وستواجه الأوضاع المالية للمنطقة تحديًا إضافيًا يُثقل كاهل موازناتها خلال سنة 2020، بسبب حلول آجال استحقاق ديون سيادية خارجية على دولها، بـــ قيمة 35 مليار دولار. فبرغم أنّ بعض هذه الدول قد تستفيد من المبادرات التي تبنتها المؤسسات الدولية، ومجموعة العشرين والدول الدائنة، بـــ

(1) المرجع نفسه.

شأن تأجيل تحصيل الديون المستحقة على الدول الأشد فقراً، فهناك قيوداً تحكم ذلك، القيد الأول يتعلق بأنّ استفادة دول المنطقة من المبادرة تظل مشروطة بـ موافقة الدائنين المباشرين لكل منها، وهو أمر لا يُمكن الجزم بـــ حدوثه، لاسيما وأنّ مبادرة تأجيل الديون ليست ملزمة للدائنين. ويتعلق القيد الثاني بـ قدرة اقتصادات المنطقة على تحمل المزيد من الديون، لاسيما وأنّ بعضها دخل في مفاوضات للحصول على قروض جديدة، لـــ مجابهة التداعيات الاقتصادية لأزمة كورونا، وحصل بعضها بـــ الفعل على قروض، ويتوقع أن يحصل المزيد منها على قروض أخرى.

إلى جانب ذلك، فقد توسع العديد منها في الاستدانة عبر إصدارات السندات الجديدة. وهذا التوجه يُساهم في مفاقمة أزمة ديون المنطقة، كونه يضع أعباء جديدةً على موازناتها العامة، ويُثقل كاهل اقتصاداتها بـــ التزامات خدمة ديون جديدة، تدفع إلى تأخر تعافيها، عبر سحب المزيد من السيولة النقدية من دورتها الاقتصادية، ويضغط على عملاتها المحلية، ولاسيما الدول التي تتبع سياسة سعر صرف مرنة.

الشكل رقم3.2: النمو الاقتصادي العالمي في ظل أزمة كورونا (%)

وعليه فإن الأزمة الراهنة بـ النسبة لـــ منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تُمثل عامل تهديد كبيراً لاقتصاداتها، التي تعتمد بشكل كبير على إيراداتها من تصدير السلع الأولية ومصادر الطاقة. ومع تراجع الطلب العالمي

على هذه المنتجات بسبب تراجع النشاط الاقتصادي العالمي، تظل اقتصادات دول المنطقة موضع تهديد، ويبقى مستقبلها محل شك وتساؤل كبيرين.[1].

لقد كشفت الجائحة العالمية "كوفيد 19" حقيقة الضَعف الذي يُعانيه النظام الدولي في مواجهة المخاطر والأزمات، أين عجزت أغلبية الدول في مواجهة هذه الأزمة العابرة للحدود، وذلك نتيجة التأثير الذي خلفته هذه الجائحة على التوازنات الدولية والإقليمية، خاصة بعد سوء التدبير وضعف الاستجابة الذي رافق الإدارة الأمريكية وتكلفة إتباع نهج "أمريكا أولاً" هذا من جهة، والاتجاه الذي استندت عليه العديد من الدول الأوروبية والذي بقي حتى الآن قائم على أساس الانعزالية في القرار من جهة ثانية، ممّا يُؤثر على كيان الاتحاد خاصة أنّ هذا الوباء هو وباء عالمي لا يُهدد فقط مجتمع بعينه بل هو ظاهرة عالمية له تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية على مستقبل المجتمعات والشعوب. وبالتالي انعدام أهم الشروط التي يقوم عليها النظام الإقليمي، وهو "التعامل مع العالم الخارجي كوحدة واحدة" وهو ما يفتقده الاتحاد الأوروبي من خلال انعدام وجود اقتراب أوروبي موحد للتعامل مع القضايا الكبرى لاسيما الصحية منها، نتيجة الاختلاف وتباين المصالح الأوروبية الذي يؤدي إلى اختلاف السياسات الوطنية إزاء مختلف الأحداث والقضايا الدولية .

ولا شك أنّ مسألة انتشار فيروس "كورونا" في العالم والتغييرات الجيوسياسية التي أحدثها هي التي ستساعد الصين وروسيا على أن تصبحا قوتين عالميتين رائدتين بعد الانتهاء من خطر هذا الفيروس. وإنّ هذا الحضور المكثف للصين في كيان العالم المعولم، سيكون له انعكاسات لا على المستوى الجيو- سياسي ودورها العالمي فحسب، بل في انخفاض منسوب ثقة الرأي العام في كفاءة

(1) علي صالح، "تسطيح المنحنى: كيف تتأثر اقتصادات الشرق الأوسط إذا استمرت أزمة كورونا"، المستقبل/ للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 01/11/2020.

القيادة الأمريكية، والتشكيك في قدرتها على مواجهة فيروس "كورونا"، وهزالة مخزونها الاستراتيجي من الإمدادات الطبية، ممّا خلخل صورتها القيادية. كما قزّمت بـــ تلك المساعدات هيبة المؤسسات الإقليمية كالاتحاد الأوروبي، بل حتى المؤسسات الأممية التي فقدت الشعوب الثقة فيها بسبب عجزها، مقابل لمعان صورتها كقوة اقتصادية قادرة على تدبير الأزمات الوبائية.

لكن ذلك لا يعني بـــ الضرورة أنّ الصين ستُحل آلياً محل الولايات المتحدة الأمريكية، بل الأرجح أن تظل أمريكا تتصدر الريادة العالمية لعقود قادمة من الزمن، بالنظر إلى مستوى انتشارها العسكري في المضايق والبحار واليابسة، وامتداد قواعدها العسكرية الضخمة، وتقدم جامعاتها ومراكز بحوثها مقارنة بالدول المنافسة، واعتماد "الدولار" عملة رئيسية في تبادل الطاقة والتجارة العالمية في إطار ما يعرف بـــ "نظام برنتن". أين ستلقى منافسة جدية من الصين، وبدرجة أقل من الروس وقوى أخرى صاعدة، مثل الهند والبرازيل وغيرهما.

فالصين لا تُشكل اللاعب الخصم الفريد الذي تتبارى معه الولايات المتحدة، بل ثمة منظومة الدول الشرقية الآسيوية الأخرى التي تُعاكس التفرد الأمريكي بـ الزعامة، مع أنّ أنظمتها مختلفة عن الصين، ممّا قد يدفع نحو مربع التوافق هذا من جهة. ومن جهة أخرى إذا تجنّبت القوتان تسييس القضايا الحاسمة مثل قضية "كورونا"، والتنافس الاقتصادي المفتقر إلى القواعد الأخلاقية، يُمكن توليد نظام عالمي يتسم بالتعقل الذي يتجاوز المواقف الحدية، ويكون جوهره الإنسان، نظام يمنح من المبادئ الأنوارية للنظام الرأسمالي كالحرية والديموقراطية، ومن مبادئ النظام الاشتراكي القائم على حق الإنسان في الطعام والصحة دون تمييز طبقي، وتطعيمه بمبادئ الأديان الروحية والأخلاقية القائمة على العدالة، وعلى مبدأ التداول الحضاري، وتسخير العلم لخدمة الإنسان كما هو واضح في النص القرآني، بهدف العبور

نحو حقبة أخرى تتسم بنزعة إنسية، يتم فيها إعادة توزيع الثروات، ورسم خريطة طريق لتنظيم استغلالها والتصرف فيها بحكمة وأداء حضاري راق، بعيداً عن الإسراف والترف. وهذا من خلال وضع بعض الفرضيات انطلاقاً من الدراسات السابقة والقائمة على تعديل المنهج الاقتصادي العولمي وضرورة إيجاد "برنامج لتعاون دولي" وهو ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي...

3. تعديل المنهج الاقتصادي العولمي وضرورة إيجاد "برنامج لتعاون دولي"

إنّ قراءتنا للسيناريوهات المحتملة لعالم ما بعد كورونا هي قراءة مركّبة، تتأسس على التوليف بين الأفكار التي طرحها المتخصصون والمفكرون الذين استطلعت آراؤهم حول مستقبل العالم بعد وباء كورونا في مجلة "Foreign policy". كما ستستند إلى آراء بعض الفلاسفة، فضلاً عن جملة الأحداث المتسارعة التي لا تزال تجري أمام أعيننا، مع تطعيمها ببعض الاجتهادات الخاصة التي تمتح روحها من سياق المنظور الحضاري للتاريخ، وبـــ فرضيتنا القائمة على أنّ الأوبئة تُساهم في تسريع حركة التاريخ وتكثيف تحولاته، واقتناعنا بأنّ العالم فضاء متحرك دائم التغيير، يتجدد بـــ استمرار، خاصة في ظل الانتقال من المفهوم التقليدي للحضارات القائم على قاعدة الأمم والحدود، إلى حضارة الشبكات العالمية القائمة على بنيات الاتصال وسلاسل التوريد التي تُوحّد الشعوب، وهي ما يُسميها "باراخ خانا" "بالكونكتوجرافيا" أي "الجغرافية الاتصالية" الذي تحل فيها القدرة على الاتصال مقام القوة العسكرية. [1]

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع سبق ذكره.

- **التعاون الدولي الأساس المنظم للعلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية**

منذ إنشاء منظمة الأمم المتحدة سنة 1945 بـــــ أهدافها السامية التي كانت ترمي إلى تحقيق السلم والأمن الدوليين بعد الحرب العالمية الثانية التي أنهكت العالم بـــــ خسائر مادية وإنسانية كبيره وتلبية لمبادئ المدرسة المثالية التي تُنبني على أسس تعزيز التعاون بين الدول بكافة أشكاله العلمية، الدبلوماسية، الاقتصادية، الثقافية والأمنية والعسكرية، قلت نسب الحروب بين الدول بتبني معاهدات دولية تُشكل أسس القانون الدولي المنظم للعلاقات الحديثة بين كافة الدول المنتمية لمنظمة الأمم المتحدة. فأصبح التعاون الدولي هو الأساس المنظم للعلاقات الدولية متمثلاً في شكلين: علاقات تعاون بين بلدين صديقين وهو ما يُسمى بـــــ التعاون الثنائي القطبية، ثم التعاون المتعدد القطبية المتمثل في الاتفاقيات المبرمة في إطار المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة. وقد تكرس مبدأ التعاون الدولي اقتصادياً من خلال ظهور وتبني العولمة التي أصبحت من خلالها العلاقات بين الدول مترابطة وتجاوزت الحدود المادية والجغرافية فيما بينها من اجل خلق سوق مشتركة بين الدول عبر إنشاء منظمات سياسية اقتصادية لتشريع هذا الشكل من التعاون كالاتحاد الأوروبي مثلاً. أما على المستوى الأمني تم توقيع معاهدات تُرجمت بإنشاء منظمات سياسية عسكرية بين دول مختلفة هدفها مواجهة التهديدات الأمنية والدفاع المشترك كمنظمة حلف الناتو.

إذن ظهر التعاون الدولي ليغير مفهوم الدولة المنطوية على ذاتها والتي تعتبر القوة العسكرية أساساً وحيداً لقوة الدولة "المدرسة الواقعية" لـ يصبح العالم متفقاً على أنّ المصالح المشتركة بين الدول هي التي تُحدد مجرى العلاقات السياسية والاقتصادية فيما بينها.[1]

(1) سمر الخمليشي، المرجع سبق ذكره.

غير أنّ التعاون الدولي اليوم أصبح موضوع تساؤل حول تداعياته الحالية وكذا مستقبل العلاقات الدولية المبنية على أساسه في ظل ظهور أزمة تفشي جائحة فيروس كورونا الذي ظهر في مدينة "ووهان الصينية" في ديسمبر 2019 لـ ينتشر بـــــ سرعة مذهلة بكافة أرجاء العالم مخلفاً الآلاف من الضحايا. إذ يبدو أنّ هذه الأزمة كانت اختباراً للتفاعلات السياسية للدول في علاقتها بـ بعضها البعض. أين ساهمت هذه الأخيرة في انعزال الدول مع تنامي الأنانية الوطنية مترجمة في حالات قرصنة المواد الطبية هذا من جهة، ومن جهة أخرى، توطدت العلاقات الدبلوماسية من خلال تبادل المساعدات. أما على مستوى العلاقات المتعددة القطبية فقد بينت الأزمة هشاشة التكتلات الاقتصادية والمالية الكبرى فيما يخص مبدأ التضامن والتعاون الدولي في فترة الأزمات، كما أنّ التكتلات الاقتصادية الصاعدة أظهرت أنّ الدول الأعضاء قد أعطت الأسبقية للاقتصاد بدلاً من الخسائر البشرية، من خلال عدم تبني حظر شامل وعدم إقفال الحدود بين الدول الأعضاء بشكل كامل، كما بينت محدودية الإمكانات المادية لديها. وعليه، فتقلبات التعاون الدولي خلال أزمة كورونا ستترك آثارا على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين مختلف دول العالم. وهو السؤال الذي يطرح نفسه اليوم هل كشفت أزمة كورونا عن قوة مفهوم التعاون والتضامن ما بين الدول وقت الأزمات، أم أصبح هذا المفهوم على العكس هشاً وضعيفاً...؟، وما آثار هذه الحيثيات على العلاقات الدبلوماسية بين الدول...[1]؟. هذا ما يذهب إليه "هنري كيسنجر" إلى أهمية اتحاد الشعوب في مواجهة أزمة كورونا، وهو مؤشر خطير على تطور في الخطاب السياسي الأميركي الذي كان يضع الولايات المتحدة في موقع التمثيل للمجتمع الدولي ونبذ الدول والأفكار المخالفة له، وهنا يقول كيسنجر "يجب أن تتحد الشعوب

(1) المرجع نفسه.

وتفكيرها وأن تتوقع مؤسساتها كارثة، وأن تعيد الاستقرار لتكبح آثار تلك الكارثة" وأكثر من هذا فانّ كيسنجر يرى من الخطأ أن "يعمل القادة على أساس وطني في التعامل مع الأزمة... أثار الفيروس لا تعترف بالحدود".

فهو يتناول هذا الخطر من وجهة نظر أميركية وليس من وجهة نظر عالمية، وهي الطريقة التي اعتادها العقل الأميركي في التفكير السياسي. وان تسارع الولايات المتحدة إلى العمل على حماية النظام الليبرالي الذي يصفه بـــ العالمي في خطوة ثالثة بعد أن تتمكن الولايات المتحدة في خطوة أولى وبشكل سريع من إيجاد علاج لفيروس كورونا، ومن ثم في خطوة ثانية تقديم المساعدة لإعادة بناء الاقتصاد العالمي وفق مقترحاته الثلاث التي ضمنها مقاله الأخير لتجاوز أزمة كورونا بالنسبة للولايات المتحدة. كما يؤكد هذه المرة على ضرورة الاستعانة بـ العالم من جانب الولايات المتحدة لإنجاز هذه المهمة في مواجهة كورونا مشدداً "لن تتمكن أي دولة حتى أميركا من التغلب تماماً على الفيروس، ويجب أن تكون هنالك الآن رؤية وتعاون عالميان، وإن لم نتمكن من تحقيق هذا فسنواجه الأسوأ".[1]

- **برنامج التعاون الدولي في ظل أزمة كورونا المستجد**

بعد استشراء وباء كورونا، وعجز الترسانة الصحية للنظام الرأسمالي الذي ترعاه العولمة، وتسارع ارتفاع أرقام عدّاد الموت، بدأت البشرية – جمهوراً ونخباً- تطرح سؤالين سيكونان بـ مثابة القوة الدافعة لإعادة النظر في نظام العولمة بـــ وصفها نظاماً أحادياً، ومدى مشروعية القيادة الأمريكية للعالم وهما كالتالي:

(1) حكمت البخاتي، "بوصلة كيسنجر في اتجاهات وتغيرات عالم ما بعد كورونا"، موقع: https://m.annabaa.org/، 05/11/2020.

ـ لماذا أخفقت الدول المنضوية في فضاء العولمة في التنبؤ بوباء كورونا، ثم تخبطت بعد ذلك في أساليب تدبير الأزمة، وعجزت عن الاحتواء السريع للجائحة؟.

ـ لماذا غاب التضامن الدولي؟ وهو سؤال مستأنف لـــ سلسلة الأسئلة التي طرحها العقل البشري عبر التاريخ حول معنى الإنسانية، ومعنى الوجود الإنساني، وعن جدوى العلاقات بين البشر في ظل انعدام الروح الجماعية وانفلات دائرة التآزر. كما أعاد مراجعة ثنائية مفهوم الخير والشرّ، وأسباب تخلي الغرب عن القيّم التي بشّرت بها الأديان، وأفرزها عصر الأنوار، وكيف السبيل للرجوع للرشد وتصحيح المسارات الخاطئة للبشرية؟..

يبدو أنّ العالم اليوم وفي هذه اللحظة المفصلية في مسيس الحاجة إلى تحبيك خيوط نظامه، وإدارة جيدة تجعل من "التعاون الدولي المشترك" حجر الزاوية التي يتأسس عليها، نظام يتسم بـ المصداقية والقدرة علي الاستجابة السريعة للأزمات والكوارث، خاصة كوارث الأوبئة. نظام يتأسس على اقتصاد غير موجه للاستهلاك والرفاه فحسب، بل يسير على هدي قاعدة الإنفاق بـــ قدر الحاجة، أو حسب الحاجيات الأساسية للإنسان وبـــ أقل تكلفة لكي يعيش الفقراء، وهذا ما يتيحه الاقتصاد الصيني القليل التكلفة، المنخفض السعر. فما أحوج العالم اليوم إلى نظام ينظر إلى الحياة والإنسان والبيئة برحمة ورفق، وفق منطلق كوني يجنح به نحو غايات أسمى وأرقى.[1]

ومع أنّ هذا التحول المرتقب يبدو مثالياً على المدى القصير على الأقل، لكن في ظرفية الأزمة العالمية الحالية، وما خلفه وباء كورونا من فضح لأخلاقية النظام العولمي، ومتاجرته بـــ صحة البشر، والإخلال بحقهم في الوجود، تبقى كل السيناريوهات محتملة. ربما تكون هذه التوليفة بين

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع سبق ذكره.

الغرب المتراجع، والشرق الصاعد، في سياق منظومة تعاونية وتكاملية، بعيداً عن أي تنافس محموم أو صراع، هو ما عبّر عنه "هينري كيسنجر" في مقال له بـــ صحيفة "وول ستريت جورنال" حين انتقد بـــ شدة التعامل الأحادي لكل دولة من دول العالم في مواجهة فيروس كورونا، وأوصى بـ ضرورة إيجاد "برنامج لتعاون دولي". ولبلوغ ذلك يكفي تعديل المنهج الاقتصادي العولمي، القائم على الجشع والنهب وحصار الشعوب وتجويعها، ومراجعة القانون الدولي، وتعديل بعض بنوده المتعلقة بالأمن الصحي العالمي، وتكثيف التعاون في مجالين أساسيين:

أولهما مجال البحث العلمي، وخاصة العلوم الصحية بهدف تأمين صحة الإنسان التي غدت بعد كورونا تتسنم سلّم الأولويات، وهذا ما يبشّر به مشهد الرئيس الفرنسي "ايمانويل ماكرون" وهو يسارع الخطى من باريس إلى مارسيليا ليجلس مصغياً باحترام للطبيب "ديدييه راؤول"، ويستلهم منه الدرس حول دواء "الكلوروكين"، وكذا مشهد "دونالد ترمب" في أيام مضت محاطاً بـــ خبراء أثناء عقد ندواته الصحفية، على رأسهم طبيب علم الأوبئة. فالحقبة التاريخية الجديدة صارت تُملي ضرورة إصغاء الحكام للعلماء، أو على الأقل كما صرح الفيلسوف الألماني "هابرماس" في مقابلة له مع جريدة "لوموند الفرنسية" يوم 10 أفريل2020 قائلاً: "أنّ على الحكام اتخاذ القرارات بـــ وعي واضح بـ حدود معرفة علماء الفيروسات الذين يُقدمون لهم المشورة".

أما المجال الثاني فهو مجال الأخلاق، أي أخلقة مجال البحث العلمي والطبي ذاته، وتطهير العلوم من المافيات المتاجرة بـ أرواح البشر، وجعله تحت توجيه النخب العالمة التي تراعي كرامة الإنسان وتحرص على حق الأرض والبيئة في العيش في طهرانية.

وإذا أردنا الاستفادة من دروس ماضي البشرية الطويل أو ماضي الغرب القريب، أو تجارب دول الشرق الصاعدة للخروج من حالة الانسداد، وتأسيس حقبة تاريخية جديدة لعالم راشد، وحضارة بشرية ناضجة، فإننا نستنتج أنّ البقاء سيبقى للأمم والحضارات التي تُطور هذين المجالين، وتسييجهما بسياج سميك من العدالة والمساواة.[1]

إنّ برنامج التعاون الدولي في ظل أزمة كورونا المستجد والذي ستتداخل فيه عدة قوى كالصين وبعض القوى الاقتصادية الأخرى الصاعدة في الشرق لإعادة ترتيب نظام عالمي جديد أكثر توازناً، وربما أكثر عقلانية. لن يكون إلاّ من خلال الاعتماد بشكل اكبر على التغيير، التغيير الذي سيكون على مستوى أفكار صناع القرار وإتباع مرحلة جديدة خارجة عن نطاق المصلحة الخاصة أو على الأقل التقليل منها على اعتبار أنّ العالم هو عالم فوضى فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة وإنما هناك مصلحة دائمة والمصلحة هنا هو خروج العالم من هذه الأزمة الوبائية بأقل الخسائر البشرية والتكاليف المادية... من خلال إتباع خطوات عقلانية هدفها تحقيق اكبر قدر من المنفعة بأقل تكلفة والتكلفة في ظل هذه الأزمة هي اقل الخسائر البشرية.

هذه البداية السلمية في عالم جديد يتخلله وباء عالمي خطير وعابر للقارات هو ما أراد الوصل إليه المفكر السياسي الأمريكي "هنيري كيسنجر" في مقال له بـــ صحيفة "وول ستريت جورنال" وضرورة الاستعانة بـ العالم من جانب الولايات المتحدة لإنجاز هذه المهمة في مواجهة كورونا مشدداً "لن تتمكن أي دولة حتى أميركا من التغلب تماماً على الفيروس، ويجب أن تكون هنالك الآن رؤية وتعاون عالميان، وإن لم نتمكن من تحقيق هذا فسنواجه الأسوأ"....هذه

(1) المرجع نفسه.

البداية السلمية لن تحددها القوة المادية ولا القوة العسكرية، وإنّما تحددها قوة الأفكار أي التغيير الذي يحدث على مستوى أذهان صناع القرار والنخبة الحاكمة. وعليه لا يوجد شيء حتمي وثابت في العلاقات الدولية وهناك إمكانية للتغير وهو ما عبّرت عليه مقاربة البنائية في اعتبارها أنّ كل شيء تذاتاني في العلاقات الدولية هذا ما يجعل العالم من صنع ذواتنا....

وعليه وبناءا على كل قدمناه على أمريكا وكل دول العالم الانتقال من البحث عن المصلحة المرادفة للقوة إلى البحث في كيفية خلق علاقات تقوم على مبادئ النظرية الليبرالية الهادفة إلى تكثيف علاقات ثنائية جماعية تبادلية والتعاون المشترك في شق فوضى العالم وفي ظرفية الأزمة العالمية الحالية، من خلال تعزيز المؤسساتية والتي لن تتحقق إلاّ عن طريق الاتصال وبالتالي التقليل من حدة المعضلة الأمنية القائمة فيما بين الدول. ووفقًا لهذه الرؤية الجديدة وهذا التعديل السلوكي، يُمكنها التقليص من حدة تلك الضغوط وذلك بـ ضرورة إيجاد وإتباع "برنامج لتعاون دولي".. وهي ضرورة حتمية لا بد منها في إطار سياساتهم الخارجية الجديدة.

النتائج:

ـ فيروس كورونا، المعروف علميًا باسم "سارس-كوف-2" على اعتباره فيروس مثل باقي الفيروسات يمكنه هو الآخر غزو الجسم عندما تستنشقه إلى داخل جهازك التنفسي أي عندما يسعل شخص بالقرب منك أو عند ملامسة لسطح ملوث ثم تلمس وجهك بعد ذلك. هذا وقد يُصيب الفيروس أولًا الخلايا المبطنة للحلق، والقصبة الهوائية والرئة، ثم يحولها لـ "مصانع لفيروس كورونا" التي تنتج كميات ضخمة من الفيروسات الأخرى التي تُصيب المزيد من الخلايا.

ـالجدل الذي يدور منذ تفشي الوباء، لا يتعلق بمجرد خلاف سياسي أو علمي في كيفية التعاطي مع هذه الجائحة العالمية، بقدر ما يتعلق بالفلسفة العامة التي تقف خلف هذا النقاش السياسي والأخلاقي مؤداه هنا: هل باتت الأولوية للاقتصاد والمنافع أم للإنسان أولاً وأخيرا؟ . والمؤكد هنا أنّ الدول التي تُبدي نجاعة في إدارة أزمتها وتُظهر قدرتها على تحمل الخسائر البشرية والمادية، ستخرج أقوى وأوفى.

ـ شهدت الولايات المتحدة الأمريكية منذ تولى "دونالد ترامب" الحكم في جانفي 2017، تحولاً ملحوظاً في سياستها الخارجية ومدى فعاليتها.الأمر الذي انعكس بدوره على مكانتها في النظام الدولي وخاصة في ظل صعود العديد من القوى على رأسها الصين وروسيا. وهو ما أثار الجدل حول بداية تبلور نظام دولي متعدد القطبية،وقد جاءت أزمة فيروس كورونا لتكشف لنا عن مستوى القوة لهذه الأخيرة والتي ظلت مهيمنة بـــ مفردها على قمة النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي سنة 1991حتى وقتنا الحالي.

ـأثبتت الصين ذكاءاً سياسياً في التواصل مع دول العالم، خاصة دول الاتحاد الأوروبي، والظهور بـــ "خمار إنساني" من خلال تقديم المساعدات الطبية للبلدان المتضررة من وباء كورونا المستجد. ففي الوقت الذي أدارت أمريكا ظهرها لدول الاتحاد الأوروبي، تاركة إياها تترنح تحت ضربات الوباء، كانت الطائرات الصينية تشقّ الأجواء الدولية، محمّلة بـــ الأجهزة والأطر الطبية، مدعمة هذا الدور الدولي بدعاية مكثفة مررتها عبر الوسائط التكنولوجية، لتقدم نفسها كمحور أساسي في نقل المعطيات والتجارب الصينية حول مكافحة وباء "كرونا".

ـ إنّ تفتشي الوباء في أوروبا الذي باتت بعض الدول الأوروبية بؤرة له، كشف لنا مواطن ضعف الاتحاد الأوروبي وأوهام فدراليته المزعومة، وأنّ الاتحاد شأنه شأن الكثير من قطاعات التجارة الأوروبية، لن يعود أبداً إلى

سابق عهده حتى بعد انحسار الوباء. خاصة وانّه أُنشئ من أجل إدارة الأزمات الخطيرة على شاكلة الوباء الحالي، بـ سلاسة من خلال التعاون الدولي والتنسيق في مجال الصحة العامة والتخفيف من تبعات تلك الأزمات الاقتصادية وضمان انطلاق سلس للدول الأعضاء بعد التغلب عليها. لكن ما يحدث اليوم مُخالف لذلك تماماً، أين غابت روح الاتحاد وأُغلقت الحدود بين الدول الأوروبية وتُركت كل دولة لتواجه الوباء الفتاك بـ مفردها، ولم يُسير الاتحاد الإمدادات الطبية الأساسية للدول الأعضاء الأكثر تضرراً.هذا ما سيجعله يدخل في حالة انهيار وهو كان ضعيفاً أساساً.

ـأنّ انتشار مرض "كوفيد 19" في الدول العربية محدوداً، مقارنة بـــ مناطق أخرى من العالم. إلاّ انه لا يزال موجوداً وفي مرحلة الانتشار. علاوة على ذلك، يرجع انخفاض عدد الحالات المؤكدة حتى الآن في البلدان العربية إلى انخفاض نطاق الاختبار من قبل خدماتها الصحية، بالإضافة إلى ذلك، هناك شكوك كثيرة حول أنّ السلطات في هذه البلدان لا تُبلغ عن جميع المعلومات التي لديهم الخاصة بالانتشار الفعلي للمرض.

ـلا يعني بـــ الضرورة أنّ الصين ستُحل آلياً محل الولايات المتحدة الأمريكية، بل الأرجح أن تظل أمريكا تتصدر الريادة العالمية لعقود قادمة من الزمن، بالنظر إلى مستوى انتشارها العسكري في المضايق والبحار واليابسة، وامتداد قواعدها العسكرية الضخمة، وتقدم جامعاتها ومراكز بحوثها مقارنة بالدول المنافسة، واعتماد "الدولار" عملة رئيسية في تبادل الطاقة والتجارة العالمية في إطار ما يعرف بـــــ "نظام برنتن". أين ستلقى منافسة جدية من الصين، وبدرجة أقل من الروس وقوى أخرى صاعدة، مثل الهند والبرازيل وغيرهما.

ـ التعاون الدولي اليوم أصبح موضوع تساؤل حول تداعياته الحالية وكذا مستقبل العلاقات الدولية المبنية على أساسه في ظل ظهور أزمة تفشي جائحة فيروس كورونا الذي ظهر في مدينة "ووهان الصينية" في ديسمبر 2019 لـ

ينتشر بـــــ سرعة مذهلة بكافة أرجاء العالم مخلفاً الآلاف من الضحايا. إذ يبدو أنّ هذه الأزمة كانت اختباراً للتفاعلات السياسية للدول في علاقتها بـــ بعضها البعض. أين ساهمت هذه الأخيرة في انعزال الدول مع تنامي الأنانية الوطنية مترجمة في حالات قرصنة المواد الطبية وعليه، فتقلبات التعاون الدولي خلال أزمة كورونا ستترك آثارا على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين مختلف دول العالم. وهو السؤال الذي يطرح نفسه اليوم هل كشفت أزمة كورونا عن قوة مفهوم التعاون والتضامن ما بين الدول وقت الأزمات، أم أصبح هذا المفهوم على العكس هشاً وضعيفاً...؟، وما آثار هذه الحيثيات على العلاقات الدبلوماسية بين الدول...؟

ـ العالم اليوم وفي هذه اللحظة المفصلية في مسيس الحاجة إلى تحبيك خيوط نظامه، وإدارة جيدة تجعل من "التعاون الدولي المشترك" حجر الزاوية التي يتأسس عليها، نظام يتسم بـ المصداقية والقدرة علي الاستجابة السريعة للأزمات والكوارث، خاصة كوارث الأوبئة. نظام يتأسس على اقتصاد غير موجه للاستهلاك والرفاه فحسب، بل يسير على هدي قاعدة الإنفاق بـــ قدر الحاجة، أو حسب الحاجيات الأساسية للإنسان وبـــ أقل تكلفة لكي يعيش الفقراء، وهذا ما يتيحه الاقتصاد الصيني القليل التكلفة، المنخفض السعر.

التوصيات:

ـ أهمية اتحاد الشعوب في مواجهة أزمة كورونا، والأخذ بعين الاعتبار ما وصل إليه المفكر السياسي والأمريكي "هينري كيسنجر" "في ضرورة اتحاد الشعوب وتفكيرها وأن تتوقع مؤسساتها كارثة، وأن تعيد الاستقرار لتكبح آثار تلك الكارثة" ومن الخطأ أن "يعمل القادة على أساس وطني في التعامل مع الأزمة... أثار الفيروس لا تعترف بالحدود".

ـضرورة الاستعانة بـ العالم من جانب الولايات المتحدة لإنجاز هذه المهمة في مواجهة كورونا إذ لن تتمكن أي دولة حتى أميركا من التغلب تماماً على الفيروس، ويجب أن تكون هنالك الآن رؤية وتعاون عالميان، وإن لم نتمكن من تحقيق هذا فسنواجه الأسوأ.

ـضرورة تعديل المنهج الاقتصادي العولمي مع ضرورة إيجاد "برنامج لتعاون دولي" ولبلوغ ذلك يكفي تعديل المنهج الاقتصادي العولمي، القائم على الجشع والنهب وحصار الشعوب وتجويعها، ومراجعة القانون الدولي، وتعديل بعض بنوده المتعلقة بالأمن الصحي العالمي، وتكثيف التعاون في مجالين أساسيين: أولهما مجال البحث العلمي، وخاصة العلوم الصحية بـــ هدف تأمين صحة الإنسان التي غدت بعد كورونا تتسنم سلّم الأولويات ثانيهما مجال الأخلاق، أي أخلقة مجال البحث العلمي والطبي ذاته، وتطهير العلوم من المافيات المتاجرة بـ أرواح البشر، وجعله تحت توجيه النخب العالمة التي تراعي كرامة الإنسان وتحرص على حق الأرض والبيئة في العيش في طهرانية.

ـأهمية الاستفادة من دروس ماضي البشرية الطويل أو ماضي الغرب القريب، أو تجارب دول الشرق الصاعدة للخروج من حالة الانسداد، وتأسيس حقبة تاريخية جديدة لعالم راشد، وحضارة بشرية ناضجة، فالبقاء سيبقى للأمم والحضارات التي تُطور هذين المجالين، وتسييجهما بسياج سميك من العدالة والمساواة.

ـ برنامج التعاون الدولي في ظل أزمة كورونا المستجد والذي ستتداخل فيه عدة قوى كالصين وبعض القوى الاقتصادية الأخرى الصاعدة في الشرق لإعادة ترتيب نظام عالمي جديد أكثر توازناً، وربما أكثر عقلانية. لن يكون إلاّ من خلال الاعتماد بشكل اكبر على التغيير، التغيير الذي سيكون على مستوى أفكار صناع القرار وإتباع مرحلة جديدة خارجة عن نطاق المصلحة الخاصة أو على الأقل التقليل منها على اعتبار أنّ العالم هو عالم فوضى فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة وإنما هناك مصلحة دائمة والمصلحة هنا هو خروج العالم من هذه الأزمة الوبائية بأقل الخسائر البشرية والتكاليف المادية... من خلال إتباع خطوات عقلانية هدفها تحقيق اكبر قدر من المنفعة بأقل تكلفة والتكلفة في ظل هذه الأزمة هي اقل الخسائر البشرية .

ـهذه البداية السلمية القائمة على رؤية وتعاون عالميان، لن تحددها القوة المادية ولا القوة العسكرية، وإنّما تحددها قوة الأفكار أي التغيير الذي يحدث على مستوى أذهان صناع القرار والنخبة الحاكمة. وعليه لا يوجد شيء حتمي وثابت في العلاقات الدولية وهناك إمكانية للتغير وهو ما عبّرت عليه مقاربة البنائية في اعتبارها أنّ كل شيء تذاتاني في العلاقات الدولية هذا ما يجعل العالم من صنع ذواتنا....

ـعلى أمريكا وكل دول العالم الانتقال من البحث عن المصلحة المرادفة للقوة إلى البحث في كيفية خلق علاقات تقوم على مبادئ النظرية الليبرالية الهادفة إلى تكثيف علاقات ثنائية جماعية تبادلية والتعاون المشترك في شق فوضى العالم وفي ظرفية الأزمة العالمية الحالية، من خلال تعزيز المؤسساتية والتي لن تتحقق إلاّ عن طريق الاتصال وبالتالي التقليل من حدة المعضلة الأمنية القائمة فيما بين الدول. ووفقًا لهذه الرؤية الجديدة وهذا التعديل السلوكي، يُمكنها التقليص من حدة تلك الضغوط وذلك بـ ضرورة إيجاد وإتباع "برنامج لتعاون دولي"..

وهي ضرورة حتمية لا بد منها في إطار سياساتهم الخارجية الجديدة في ظل أزمة كورونا المستجد.

الخاتمة

تعرّضت هذه المنظومة لـــ مراجعة جذرية، مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، ولاسيما بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتراجع الأيديولوجيا الشيوعية في مقابل انتشار واسع للديمقراطية الليبرالية، وبروز ظاهرة العولمة، حيث ساد تفاؤل كبير، ولاسيّما في الغرب، بأن عهداً جديداً من الاستقرار والسلام قد حل، تكفله عقلانية الدول الكبرى والاعتماد المتبادل وتشابك العلاقات في ما بينها، غير أنّ هذا التفاؤل سرعان ما أخذ يتبدّد، بعدما تكشف للعالم أنّ التغيرات التي حدثت لا تعدو كونها طاولت القشرة السطحية للعلاقات الدولية. وفي العمق، ما زالت هذه العلاقات محكومةً بجدلية القوة في ظل استمرار الدول، لاسيما الكبرى منها، بزيادة قوتها العسكرية، ودخولها سباق تسلح محموم. فما خلفه وباء كورونا من آثار ونتائج قد يفتح المجال لمراجعة قيم ومبادئ كثيرة تحكم العلاقات الدولية على المديين المتوسط والبعيد.

ومع انتشار وباء كورونا، وما خلفه من إصابات ووفيات ضخمة على مستوى العالم، في الدول الفقيرة والغنية، الصغيرة والكبيرة، المتخلّفة والمتقدّمة، بدأت تساؤلات تُطرح بقوة، في ظل الأزمة المعيارية القيمية التي أحدثها انتشار الوباء هل يمكن لهذه الجائحة أن تُهيئ لظهور تغيير في منظومة العلاقات القيمية للعلاقات الدولية؟ وهل يمكن لها أن تفتح الباب أمام عالمٍ يسوده مزيد من التعاون والجهود المشتركة لمواجهة التحدّيات والمخاطر غير التقليدية، وبالتالي تحقيق مزيد من الاستقرار؟ وللإجابة عن هذا التساؤل المتشعب، يُمكن الرجوع إلى تصريحات أطلقها عديدون من قادة الفكر في العالم، وتناولت هذا الموضوع وحللته. ومن ذلك، ذكر وزير الخارجية الأميركي الأسبق "هنري كيسنجر" في مقال له في صحيفة "وول ستريت جورنال"، قائلا: "وباء كورونا سوف يُغير

النظام العالمي إلى الأبد، فقد تكون الأضرار التي ألحقها بـــــ الصحة مؤقتة، إلاّ أنّ الاضطرابات التي ألحقها قد تستمر لأجيال عديدة". مؤكداً: "أنه لا يمكن لأي دولة، وإن كانت الولايات المتحدة، أن تتغلب على الفيروس بـ جهد وطني محض، وأنّ التعاطي مع الضرورات المستجدّة بعد الآن ينبغي أن يصاحبه وضع رؤية وبرنامج لتعاون دولي لمواجهة الأزمة". هذا واعتبر الفيلسوف الفرنسي "إدغار موران"، في حواره له مع صحيفة "كوريير ي ديلا سيرا الإيطالية"، "أنّ تفشي فيروس كورونا مثّل تحدّياً للإيديولوجيا الكامنة التي سيطرت على الحملات الانتخابية في السنوات الأخيرة، ورفعت شعارات أنانية من قبيل "أميركا أولاً"، "فرنسا أولاً"، "الإيطاليون أولاً"، و"البرازيل قبل كل شيء" والتي قدمت صورة مشوّهة عن الإنسانية، وجعلت الأمر يبدو كما لو أن كل فرد يُمثل جزيرة معزولة عن الآخرين". قائلا: "انه بات من الضروري في عالم اليوم التشجيع على إيجاد نوع من الوعي المشترك بين سكان العالم، بناء على أسس إنسانية، وذلك من أجل تشجيع التعاون"....

المصادر والمراجع

أولاً/ المجلات والدوريات:

_1 كل ما تحتاج معرفته عن فيروس كرونا الجديد "كوفيد – 19"، مجلة البيان THE NIPPON TIMES، موقع: https://nippontimes.net/، 09/05/2020.

_2"الأمن الصحي: دراسة حول فيروسات كرونا"، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، موقع: https://www.politics-dz.com/، 14/09/2020.

3_ هيثم عميرة فرناندث، "فيروس كرونا في الدول العربية: عاصفة عابرة، فرصة للتغير أم كارثة إقليمية؟"، معهد الكانو الملكي للدراسات الدولية والإستراتيجية في مدريد، 2020/10/19.

4_ محمد خيري، " تأثيرات اقتصادية: تداعيات كرونا على سياسيات طهران الخارجية"، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، موقع: https://afaip.com/، 22/10/2020.

ثانياً/ المواقع الالكترونية:

_1 صدفة محمد محمود، "النموذج السنغافوري: تجارب أسيوية ناجحة للحد من انتشار كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 11/09/2020.

_2"فيروس كرونا المستجد...النشأة والأعراض والوقاية"، مركز أبحاث ودراسات مينا، موقع: https://mena-studies.org/، 11/09/2020.

3_ صلاح عثمان، "لغة كورونا...الابتكارات اللغوية والثراء المعجمي في الأزمات"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 14/09/2020.

4_ منصور أبو كرم، "تجارب عالمية لمواجهة تفشي فيروس كرونا"، مسارات/ المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://www.masarat.ps/، 19/10/2020.

5_ إبراهيم القادري بوتشيش، "ما بعد كرونا ...صعود ناعم للشرق والتفكير في نظام عالمي بديل"، مركز المجدد للبحوث والدراسات، موقع: https://almojaded.com/ ، 09/05/2020.

6_ حسام إبراهيم، "ملامح استجابة إدارة ترامب لازمة "كورورنا""، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 25/09/2020.

7_ رفيق عبد السلام، "عالم ما بعد كورونا إلى أين؟"، مركز الدراسات الإستراتيجية والدبلوماسية، موقع: http://www.csds-center.com/، 11/05/2020.

8_ فيلي جوردون، "أمريكا أولاً.....أسطورة حطتها أزمة كورونا وأعادت ترامب لمربع الصفر"، المرجع/ دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، موقع: https://www.almarjie-paris.com/، 10/05/2020.

9_ ماهر لطيف، "تفشي فيروس كرونا وتفكك الروابط العالمية"، المركز العربي للبحوث والدراسات موقع: http://www.acrseg.org/، 24/09/2020.

10_ ياسمين محمود، "مستقبل النظام الدولي ما بعد كورونا... هل ستتغير خريطة القوى العالمية؟"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.org/، 03/10/2020.

11_ إيمان نخري، " خبرة "سارس": كيف تدير الصين أزمة انتشار فيروس كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 08/10/2020.

12_ إيهاب خليفة، "الإدارة الذكية كيف توظف الصين التكنولوجيا لمكافحة فيروس كرونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 16/05/2020.

13_ عمرو الديب، "موسكو وأزمة كورونا...كيف سيعظم ب"وتين" مكاسب السياسة الخارجية الروسية"،المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://marsad.ecsstudies.com/، 19/05/2020.

_14"تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الأوروبي ومستقبله"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 13/10/2020.

15_ سمر الخمليشي، "رهانات التعاون الدولي في ظل أزمة كورونا"، المعهد المصري للدراسات، موقع: https://eipss-eg.org/، 12/10/2020.

16_ وحدة الدراسات والتقرير، "انعكاسات فيروس كورونا على روابط وتماسك الاتحاد الأوروبي"، المركز الأوروبي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات، موقع: https://www.europarabct.com/، 12/10/2020.

17_ باسم راشد، " فاعلية مفقودة: هل يتجه الاتحاد الأوروبي إلى التفكك بعد أزمة أوروبا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 14/05/2020.

18_ محمد عثمان، "العالم بعد كورونا...الاتحاد الأوروبي على محك الفشل في احتواء الأزمة"، المرجع/دراسات وأبحاث استشرافي حول الإسلام الحركي، موقع: https://www.almarjie-paris.com/، 17/10/20120.

19_ محمد عثمان، "ضبابية المشهد أم نأي بالنفس...موقف الاتحاد الأوروبي من أزمة كورونا"، المركز العربي للبحوث والدراسات، موقع: http://www.acrseg.com/، 17/10/2020.

20_ محمود حمدي أبو قاسم، "إيران وإدارة أزمة "كورونا": النتائج والمالات"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، موقع: https://rasanah-iiis.org/، 25/10/2020.

21_ امجد حمدي، "تداعيات أزمة كورونا على النظم الصحية في العالم"، المعهد المصري للدراسات، الموقع: https://eipss-eg.org/، 27/10/2020.

22_ محمد احمد عباس، "تركيا- الإدارة الاقتصادية لتداعيات كورونا"، المعهد المصري للدراسات، الموقع: https://eipss-eg.org/، 27/10/2020.

23_ محمد شادي، "تدهور حالة الاقتصاد التركي في ظل أزمة كورونا"، المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، موقع: https://www.ecsstudies.com/، 30/10/2020.

24_ "تداعيات وباء كورونا على الاقتصاد التركي"، مركز الإمارات للسياسات، موقع: https://epc.ae/، 30/10/2020.

25_ علي صالح، "تسطيح المنحنى: كيف تتأثر اقتصادات الشرق الأوسط إذا استمرت أزمة كورونا"، المستقبل/ للأبحاث والدراسات المتقدمة، موقع: https://futureuae.com/، 01/11/2020.

26_"منظمة الصحة العالمية تعلن كوفيد 19 وباء عالمياً...فما هو هذا الوباء"، منظمة الصحة العالمية، موقع: https://www.who.int/، 11/09/2020.

27_ برتش كيه توش، "فيروس كورونا: ما هو وكيف يمكنني وقاية نفسي منه؟"، MAYO CLINIC، موقع: https://www.mayoclinic.org/، 20/09/2020.

" _28إحصائيات انتشار فيروس كورونا في الولايات المتحدة الأمريكي"، جريدة إيلاف، ع.7066، الجمعة 25 سبتمبر 2020.

_29احمد كردش، "تداعيات كرونا الاقتصادية...هل يخرج ترامب من عنق الزجاجة"، موقع: https://blogs.aljazeera.net/، 13/05/2020.

_30"القطاع الصحي في تركيا..قوة لافتة بمواجهة كورونا"، THE ARAB HOSPITALMAGAZIN، موقع: http://thearabhospital.com/، 29/10/2020.

31_ مريم شهاب، "مخاطر كبيرة تهدد البلدان الفقيرة بالشرق الأوسط وإفريقيا بسبب كورونا...وحياة الملايين على المحك"، العربية، موقع: https://arabic.euronews.com/، 01/11/2020.

32_ حكمت البخاتي، "بوصلة كيسنجر في اتجاهات وتغيرات عالم ما بعد كورونا"، موقع: https://m.annabaa.org/، 05/11/2020.